جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
كلية الآداب و العلوم الإنسانية - ظهر المهراز
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FES
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Dhar El Mahraz

مركز دراسات الدكتوراه : الجماليات وعلوم الإنسان
تكوين الدكتوراه : اليات التفكير و الديناميات النفسية و الاجتماعية
تخصص: علم الاجتماع

ثقافة الشباب وممارساتهم الثقافية،

مقاربة سوسيوأنثروبولوجية للشباب الجمعوي وللتنظيمات الجمعوية

بجهة الرباط سلا القنيطرة.

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

اسم الطالب: بوشعراء محمد
ر.و.ط : 0098560335

تحت إشراف الأستاذ د. أحمد شراك

السنة الجامعية: 2020/ 2021

كلمة شكر وتقدير وامتنان

أتقدم بوافر الشكر والعرفان إلى أستاذي الجليل **الدكتور أحمد شراك** الذي تفضل بالإشراف على هذه الأطروحة، مدعمة بتوجيهاته العلمية وملاحظاته الدقيقة والهادفة، أشكره على خصاله النبيلة والإنسانية وتواصله المستمر طيلة سنوات إنجاز هذه الأطروحة، رغم انشغالاته العلمية.

أتقدم أيضا بجزيل الشكر لأساتذة شعبة علم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس على مساهماتهم العلمية من خلال المحاضرات والندوات والتكوينات التي استفدت منها الكثير.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين جادوا بوقتهم وجهدهم لقراءة مضامين هذه الأطروحة.

أشكر أيضا كل أفراد عينة البحث، وكل من ساعد من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أسرتي العزيزة، واشكرها على كل التضحيات التي بذلتها طيلة حياتها من أجلي.

كما اهدي هذا العمل إلى كل أقربائي وأصدقائي ومعارفي وكل من ساهم في من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل.

تقديم عام

إن اختياري لموضوع: "ثقافة الشباب وممارساتهم الثقافية، مقاربة سوسيوأنثروبولوجية للشباب الجمعوي وللتنظيمات الجمعوية بجهة الرباط سلا القنيطرة" راجع لدافعين أساسيين، أحدهما ذاتي والآخر موضوعي. يتمثل الدافع الأول من جهة في شغفي الدائم للمشاركة في أنشطة الجمعيات الثقافية فعلا وحضورا، ويتجلى من جهة ثانية في إيماني بالأثر القوي لدور النخب في تسريع وتجويد سيرورة التغيير نحو الإصلاح والتنمية. أما الدافع الموضوعي وهو الأهم، فيرتكز على الأهمية التي تكتسيها دراسة هذا الموضوع نظرا لاعتبارات عديدة، من بينها:

أولا، من الناحية العلمية والأكاديمية، تعد كل من حقول الثقافة والعمل الجمعوي والشباب ظاهرة اجتماعية شمولية un fait social total حسب مفهوم الأثروبولوجي الفرنسي مارسيل موس Marcel Mauss، وبالتالي فهي محلّل analyseur من شأنه الكشف عن الديناميات والصراعات التي تعتمل في المجتمع وكذا مختلف الرهانات والتحديات التي يسعى الفاعلون إلى تحقيقها. لذلك، فإن الجمع بين هذه الحقول الثلاثة الكبرى في إشكالية واحدة يضفي تركيبا وتعقيدا على الموضوع، ويمنح لهذا الاتجاه البحثي خصوبة وتنوعا في الأبعاد والآفاق.

ثانيا، تبرز أيضا أهمية دراسة الشباب من منظور سوسيولوجي في كون معظم الظواهر والمشاكل المجتمعية تعرف انتشارا في أوساط هذه الفئة العمرية على وجه الخصوص. في هذا الاتجاه، يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر مشاكل من قبيل التطرف الفكري والديني والمشاكل الصحية كالأمراض المنتقلة جنسيا والجريمة ومختلف أشكال العنف والإدمان والانتحار والبطالة، الخ. ونظرا لكون البعد الثقافي من أبرز محددات هذه المشاكل المجتمعية، فإن المساهمة في حلحلتها ومعالجتها يمكن أن تمر عبر مدخل الفعل الجمعوي الثقافي.

ثالثا، تعتبر فئة الشباب الأكثر نشاطا وتأثيرا في الديناميات المجتمعية، فهي من تؤثر بشكل أكبر في الواقع الراهن، وهي من تشكّل ملامح مجتمعات المستقبل. لأجل ذلك، تركز

مختلف الدراسات والأبحاث، خاصة المهتمة منها بحقول التنمية، على هذه الشريحة الاجتماعية وتعتمدها ضمن أبرز المؤشرات البحثية. نظرا لذات الأهمية، تركز مختلف المؤسسات والتنظيمات على خطابات الشباب ضمن سياساتها وبرامجها.

رابعا، لا تعدّ فئة الشباب عنصرا فاعلا على المستوى الماكرو في المجتمع فحسب، بل تظهر فاعليتها أيضا على مستوى التنظيمات الجمعوية، فهي من تخلق الدينامية في الفعل الجماعي المنظم لهذه الكيانات الاجتماعية، وهي في الآن نفسه من تشكّل فئاتها المستهدفة لضمان انتشارها ونجاح أدائها، سواء كان هذا النجاح مؤسسا على نجاعة في التدخل والأداء أم كان نجاحا صوريا.

خامسا، أصبحت الجمعيات فاعلا اجتماعيا معوّلا عليه في المساعدة على تدبير المشاكل المجتمعية وفي بناء التنمية، لاسيما بعد تراجع شعبية فاعلين اجتماعيين آخرين مثل الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والمنتخبين السياسيين. نظرا لهذه الأسباب ولغيرها، أصبحت الحكومات والهيئات الدولية تركز في سياساتها على التنظيمات الجمعوية كمخاطب مجتمعي يتسم بالقرب من المواطن وبالاندماج في حركية المعيش اليومي، وهو ما يدعو إلى البحث والتساؤل حول القيم المضافة التي تخلقها الجمعيات في الحقل الثقافي. جدير بالذكر أن الفعل الثقافي لا يُفترض به الاقتصار على طابع المتعة والترفيه، بل إن وظيفته الأساسية تكمن في نشر الوعي وتحقيق الارتقاء الفكري مع تأهيل المواطن للمشاركة في التنمية وفي الحياة العامة.

خلال تناولي لهذا الموضوع، سأقوم بتقسيم هذا المنجز إلى قسمين، أحدهما نظري والآخر ميداني. سيتفرع عن القسم النظري ثلاثة فصول، في الفصل الأول سأميز في مفهوم الثقافة بين معنى شمولي ومعنى تخصيصي يتعلق بالممارسات الثقافية والفعل الثقافي، ثم سأتطرق إلى وضعية الممارسات الثقافية بالمغرب. وفي الفصل الثاني سأتناول أهم الإشكاليات التي تمس فئة الشباب وثقافتهم في ظل التغيرات الاجتماعية المعولمة. في حين، سأتطرق في الفصل الثالث إلى التنظيمات الجمعوية وما تعرفه من تطور ورهانات وخصائص.

أما القسم الميداني فانقسم إلى ثلاثة فصول، حيث سأتناول في الفصل الأول إشكالية ولوج الشباب إلى التنظيمات الجمعوية وما يرافق ذلك من رهانات ذاتية، وسيتضمن الفصل الثاني استراتيجيات الشباب والجمعيات الثقافية لتحقيق الرهانات المجتمعية. وختاما، سأتطرق في الفصل الثالث إلى الموارد البشرية والمادية كأهم رأسمالين لتحقيق رهانات الفعل الثقافي وتنزيل استراتيجياته.

فصل تمهيدي

1- الدراسات السابقة

بعد اختيار هذا الموضوع بناء على العوامل السالفة الذكر، قمتُ باستكشاف ما أنجز حوله من أدبيات علمية، فاطلعتُ على أهم الكتب والمقالات التي نشرت حوله ثم على أهم الدراسات السابقة، مما ساعدني على تدقيق الزاوية التي سأتناوله منها. بداية، اطلعتُ على أولى الدراسات بالمغرب، ويمكن القول إن الأبحاث الاجتماعية المهتمة بفئة الشباب ظلت محدودة خلال العقود الأولى التي تلت فترة الاستقلال، وأبرز ما يمكن أن يُذكر منها:

- **دراسة أندري ادم André Adam** سنة 1962 بمدينتي الدار البيضاء وفاس، شملت 418 شاب في طور التعليم الثانوي (61% منهم ذكور و39% منهم إناث) وأظهرت اهتماما مهما للشباب بالسياسة. بعدما أطلقت الحركة الطلابية بفرنسا شرارة احتجاجات عارمة في ماي-يونيو 1968 (تعرف اختصارا بأحداث ماي 68)، انتقل صداها إلى مجتمعات أخرى وانعكس أثرها على الدراسات الاجتماعية التي أصبحت تهتم بموضوع الشباب. من هذه الدراسات تلك التي قام بها بول باسكون والمكي بنطاهر سنة 1969 والتي همت 296 شابا قرويا. مع سنوات التسعينات تزايد الاهتمام الأكاديمي بموضوع الشباب، خاصة مع تأسيس المجلس الوطني للشباب والمستقبل الذي نشر العديد من الدراسات.

أما بخصوص الدراسات الحديثة، فقد اخترت منها ما ارتبط بشكل مباشر مع موضوع بحثي، وحيث أن هذا الأخير تتداخل فيه ثلاث حقول أساسية، فقد صنفت الدراسات التي سأقدمها حسب التبويبات التالية: دراسات حول العمل الجمعوي؛ دراسات حول ثقافة الشباب بالمعنى الشمولي لمفهوم الثقافة؛ دراسات حول الممارسات الثقافية بالمعنى التخصيصي لمفهوم الثقافة.

1-1 دراسات حول العمل الجمعوي

❖ **أطروحة: "الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية: دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير"[1]**

أنجزت هذه الأطروحة السوسيولوجية هناء شريكي سنة 2010، وقبل الوصول إلى مرحلة التحديد الإشكالي، تساءلت الباحثة حول طبيعة الانتقال من منطق اشتغال التنظيمات الجماعية التقليدية إلى التنظيمات الجمعوية الحديثة، أي بعبارة أخرى: هل الجمعية تنظيم ناشئ وفق نصوص قانون الحريات العامة المستلهم في جزء كبير منه من القانون الفرنسي لسنة 1901، أم أن الجمعية تندرج داخل سيرورة التطور السوسيولوجي للتنظيم الجماعي التقليدي؟، يقود ذلك إلى البحث في ما تنقله الجمعيات من منظومة قيمية إلى الشباب.

على هذا الأساس، تبلورت إشكالية الأطروحة على الشكل التالي:

- الشباب والجمعيات التنموية، أي تفاعل بين الفاعل والنسق؟ وأية منظومة قيمية تنتجها هذه العلاقة؟

من خلال هذه الإشكالية المركزية تفرعت الإشكاليات الفرعية التالية:

- ما هي مسارات وسيرورات جمعيات التنمية وما هي فلسفتها وقيمها، وكيف تنقل هذه القيم إلى الشباب المنخرط فيها؟
- ما هي القيم التي يتشكل منها هابيتوس الشاب المغربي والتي يتفاعل بها وينخرط من خلالها في العمل الجمعوي؟
- هل الجمعية مجال لإنتاج منظومة قيمية خاصة بها أم هي مجرد آلية تكرس القيم الاجتماعية السائدة والغالبة؟
- إلى أي حد تنسجم أو تتباعد القيم الجمعوية مع القيم المرجعية؟

[1] شريكي. هناء، (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط.

- ما هو موقع الشباب المنخرط داخل الجمعية؟ وما هي مكانة الشباب داخل استراتيجيات واهتمامات التنظيمات الجمعوية التي تشتغل في مجال التنمية؟

تمحورت الفرضية المركزية لهذا البحث حول ما يلي:

- كلما اتسع مجال شراكات وبرامج الجمعية، كلما أنتجت منظومة قيمية خاصة بها لا تنسجم بالضرورة مع القيم الغالبة بالمجتمع المغربي.

من أهم الخلاصات التي يمكن استنتاجها من هذه الدراسة:

- شباب العينة كفئة عمرية تفتقد للاستقلالية وتوجد في حالة مستمرة من البحث عن الذات.
- هناك عدم تجانس (يصل حد التناقض أحيانا) في التمثلات حول الشباب المغربي، ومن ضمن هذه التمثلات النظر إلى الشباب بمنظور إعادة الإنتاج من خلال المنظومة القيمية المرجعية التي تحدد قبليا خصائص مفترضة لهذه الفئة (عدم التجربة والخبرة، الطيش، الاستهتار، الخ)، مما يجعل من تكريس كل من سلطة الكبار وسلطة الرجال على النساء بمثابة مسلمات اجتماعية ومبادئ عامة للعمل الجمعوي، سواء على مستوى الهيكلة والتنظيم وآليات اتخاذ القرار.

  على هذا المستوى، مازالت القيم المرجعية تلعب دورا وازنا داخل جل منظمات المجتمع المدني المدروسة وتضفي صفة المشروعية على قيم وممارسات تتنافى مع قيم التنمية والتحديث المؤسسة لفكرة المجتمع المدني ذاته.
- الجمعية مازالت، بدرجات متفاوتة، تعمل على إعادة إنتاج نفس المنظومة القيمية التي تشتغل وفقها الأسرة، الجماعة، القبيلة، على الرغم من التحولات التي عرفتها على مستوى القوانين والهياكل التنظيمية. وقد استطاعت الجمعية مواكبة فلسفة التنمية التي سطرتها الدينامية الجمعوية، غير أن استيعابها لهذه الفلسفة اقتصر إلى حد كبير على عصرنة وتحديث البنيات والتنظيمات المادية، دون أن يشمل ذلك بشكل وازن القيم والعلاقات التي تعتبر جوهر مشروعيتها.

- لا يتم إشراك مختلف الفئات (الإناث، الصغار، الشباب) بالشكل الكافي في اتخاذ القرار.
- يؤدي هذا الوضع إلى توسيع الهوة بين التنظيمات المدروسة وفئة الشباب، مما ينعكس على مشاركتهم الجمعوية، وهو ما يؤدي إلى "هروب قيمي" نحو ممارسات وتنظيمات أخرى.

❖ **دراسة: "البحث الوطني حول المؤسسات غير الهادفة للربح"[2]**

تحت عنوان Enquête Nationale auprès des Institutions Sans But Lucratif، نشرت المندوبية السامية للتخطيط هذا البحث باللغة الفرنسية سنة 2011 (2007 هي السنة المرجعية)، بعد أن قامت بدراسة عينة مكونة من 7274 جمعية، وقد تم السحب وفق طريقة عشوائية بسيطة من قاعدة معاينة تشتمل على 51.637 جمعية، وتم تسجيل أن 634 وحدة أوقفت نشاطها، في حين اعتبرت 389 وحدة خارج مجال البحث، مما يمثل نسبة 14,6٪، وقد أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- قُدّر عدد الجمعيات العادية النشيطة فعليا في سنة 2007 ب 44.614 جمعية، وبعد إضافة الجمعيات ذات المنفعة العامة التي خضعت كلها للبحث، يصبح العدد الإجمالي للجمعيات النشيطة هو 44.771 جمعية، وهو ما يسفر عن معدل 145 جمعية لكل 100.000 نسمة (مقابل 1.749 في فرنسا لسنة 2005 و508 في كندا سنة 2003).
- بمراعاة سنة تأسيس الجمعية، يلاحظ أن أغلبية الجمعيات النشيطة خلال سنة 2007 هي وحدات حديثة التأسيس، ذلك أن 8 جمعيات من أصل 10 أنشأت خلال الفترة الممتدة من 1997 إلى 2007، و 4 من أصل 10 تأسست منذ إعلان المبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2005. وبصفة عامة، فإن متوسط العمر للجمعيات النشيطة سنة 2007 في المغرب يبلغ 4 سنوات.
- أما بالنسبة للانتشار الجغرافي لهذه الجمعيات، فقد أبانت نتائج البحث أنها تتواجد بمختلف الجهات لكن بنسبة أكبر بجهتي الرباط- سلا- زمور- زعير و سوس- ماسة-

[2] Haut-Commissariat au Plan (Direction de la Statistique), (2011), Rapport de synthèse, Enquête Nationale auprès des Institutions Sans But Lucratif (ISBL), Rabat.

درعة (3 جمعيات من أصل كل 10). وأظهرت النتائج أن ثلاثة أرباع الجمعيات هي ذات إشعاع محلي، وتمارس أنشطتها على صعيد الحي أو الدوار أو الجماعة الحضرية أو القروية أو مجموعة من الجماعات.

- رغم تعدد مستويات تدخلها، فإن هذه الجمعيات تشتغل في مجالات متباينة (كالتربية والصحة والثقافة والرياضة والترفيه والدفاع عن الحقوق والتنمية والسكن، الخ). رغم هذا التنوع، فإن أنشطة العمل الجمعوي تتركز أساسا في مجالي "التنمية والسكن" (35,2٪ من مجموع الجمعيات) و" الثقافة والرياضة والترفيه" (27,1٪).
- تقدم أغلب الجمعيات (70,5٪) من خدماتها للأشخاص المنخرطين وغير المنخرطين، وقد سجل النسيج الجمعوي في سنة 2007 أكثر من 15 مليون انخراطا، وثلثهم نساء. وتجدر الإشارة إلى أن 57,3٪ من الجمعيات لا يتعدى عدد الإنخراطات بها 100 منخرط.
- رغم النمو الذي عرفه النسيج الجمعوي في المغرب خلال السنوات الأخيرة، يلاحظ أن ظروف العمل غالبا ما تكون غير ملائمة للقيام بأنشطته بطريقة جيدة ولضمان حسن تتبعها. ومن بين المؤشرات المنبثقة عن البحث في هذا المجال، نجد أن أكثر من نصف الجمعيات لا تتوفر على مقر، في حين أن 29,6٪ من الجمعيات تتوفر على مقر منح لها بالمجان (58٪ منها من طرف المؤسسات العمومية والخاصة و29٪ من طرف أحد أعضاء الجمعية)، و11٪ تكتري مقرها و8,4٪ تتوفر على مقر في ملكها الخاص.
- أما بخصوص التسيير المالي، فقد كشف البحث أن أغلبية الجمعيات (94,7٪) لا تتوفر على محاسبة وفق المعايير الجاري بها العمل.
- بالرغم من ظروف العمل هذه، لا تستفيد غالبية الجمعيات من الفرص التي قد يمنحها التعاون فيما بينها، إذ أن 78,1٪ من مجموع الجمعيات لا تنتمي إلى أي شبكة للتعاون. أما فيما يتعلق بالشراكة، فنجد أن 87,7٪ من الجمعيات تعمل لوحدها مقابل 7,9٪ تعمل في شراكة مع الدولة أو مع المؤسسات العمومية، و 2,7٪ مع الجماعات المحلية فيما 1,5٪ فقط لها شراكة مع جهات أجنبية.

- بخصوص التأطير والتسيير الإداري، أبانت نتائج البحث أن 95,9٪ من الجمعيات مسيرة من طرف مكتب تنفيذي فقط و1,1٪ من طرف مجلس إداري فقط، و 3٪ من طرف مكتب تنفيذي ومجلس إداري معا. بالنسبة للجمعيات التي يسهر على تسييرها مكتب تنفيذي فقط، يبلغ متوسط عدد أعضاء هذا الأخير 9 أشخاص. أما فيما يخص الجمعيات المسيرة من طرف مكتب تنفيذي ومجلس إدارة، فمتوسط عدد أعضاء المكتب التنفيذي هو 10 أشخاص، في حين يبلغ متوسط عدد أعضاء المجلس الإداري 27 شخصا، و تشكل النساء 12,7٪ من مجموع الأعضاء المسيرين للجمعيات.
- أما فيما يخص توزيع الهيئة المسيرة حسب المهنة، فنجد أن 16,9٪ من هؤلاء الأعضاء هم أطر عليا أو يمارسون مهنا حرة، 14,8٪ أطر متوسطة، 14,6٪ مستخدمون، 9,6٪ أعضاء هيئات تشريعية أو منتخبون محليون أو مسؤولون و8,2٪ حرفيون وعمال مؤهلون في المهن التقليدية.
- يعتبر العمل التطوعي الركيزة الرئيسية للعمل الجمعوي، حيث أن 7 جمعيات من أصل 10 تعتمد كليا على هذه الفئة من الموارد البشرية. ففي سنة 2007، استخدم القطاع الجمعوي ما يقارب 352.000 متطوعا، ساهموا بما يقرب من 96 مليون ساعة عمل، وهو ما يعادل 56.524 منصب شغل بدوام كامل. والملاحظ هنا أن معظم الجمعيات المشغلة للمأجورين هي وحدات صغيرة، بحيث نجد أن 80٪ منها تشغل عاملين على الأكثر.
- استطاع النسيج الجمعوي بالمغرب سنة 2007 تحقيق موارد مالية بلغت حوالي 8,8 مليار درهم، إلا أن هذه الموارد تبقى ضعيفة نظرا لحجم النسيج الجمعوي (حوالي 45.000 جمعية). هكذا، أبانت نتائج البحث أن جمعية واحدة من أصل خمسة تشتغل بميزانية سنوية لا تتعدى 5000 درهم، وجمعية من أصل ثلاثة تشتغل بميزانية سنوية تقل عن 10.000 درهم، في حين نجد أن 5,4٪ من الجمعيات فقط تتوفر على ميزانية سنوية تفوق 500.000 درهما. أما الجمعيات التي تتجاوز ميزانيتها مليون درهم فهي لا تمثل إلا 2,5٪ من مجموع الجمعيات. بالمقابل فالجمعيات التي تتوفر على موارد سنوية لا تتجاوز 100.000 درهما تمثل 80٪ من مجموع الجمعيات.

يتراوح المبلغ الوسيط للموارد السنوية بين 7600 درهما لدى "الجمعيات الاقتصادية والمهنية" و 326.898 درهم بالنسبة للجمعيات التي تمارس "الأنشطة الدولية".

- رغم النمو الذي عرفه النسيج الجمعوي في السنوات الأخيرة، فإن أغلبية الجمعيات تواجه عدة معيقات في إنجاز مهامها، نذكر منها على الخصوص غياب تجهيزات التسيير والحصول على التمويل. وقد صرحت 8 جمعيات من أصل 10 بمعاناتها من النقص في التجهيزات الضرورية، ونفس النسبة صرحت بمعاناتها من صعوبات في الحصول على التمويل.
- أما فيما يخص العمل التطوعي، فإن أكثر من نصف الجمعيات صرحت بصعوبة إيجاد المتطوعين أو إقناعهم بالاستمرار في العمل الجمعوي.

❖ **محور "العمل الجمعوي"، ضمن دراسة: "البحث الوطني حول الشباب"[3]**

- يتضمن "البحث الوطني حول الشباب" الذي نشره باللغة الفرنسية المجلس الوطني للشباب والمستقبل محورا حول العمل الجمعوي تحت عنوان "الأنشطة السوسيوثقافية للشباب"، يندرج هذا الأخير ضمن الجزء الثالث من هذه الدراسة، وقد تم إنجاز البحث ككل سنة 1993.
- تشكلت العينة من شباب بين 15 و34 سنة، وتم التمييز بين فئتين: الشباب المراهق (15-24)، والشباب الأكبر سنا (25-34).
- تمحورت مواضيع البحث حول: الوقت الحر؛ أنشطة العطل؛ الإعلام؛ العمل الجمعوي؛ بنيات التأطير؛ الصحة.

من نتائج هذا البحث:

- تقريبا لا ينخرط الشباب القروي في العمل الجمعوي؛
- أكثر الشباب انخراطا في العمل الجمعوي هم شباب الشمال الغربي، يليه الجنوب ثم الوسط؛

[3] Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir, (1993), Enquête Nationale sur les Jeunes, Activités socioculturelles des jeunes, Volume 3, chapitre intitulé : jeunes et vie associative, (51-65), Rabat.

- الانخراط الجمعوي يرتفع أكثر مع المستوى التعليمي، فالطلبة الجامعيون هم الأكثر انخراطا؛
- ينخرط الشباب في الجمعيات الثقافية والرياضية أكثر من انخراطه في الجمعيات الحقوقية؛
- الذكور أكثر انخراطا في العمل الجمعوي من النساء؛
- تتلخص أسباب العزوف عن العمل الجمعوي في عدم الرغبة ثم في قلة الوقت، كما يشكل بعد المسافة عن الجمعية عائقا مهما في المجال القروي، في حين لا يُطرح هذا المشكل بشكل كبير في المجال الحضري؛
- أغلب الشباب في المجال القروي يجهلون معنى دار الشباب؛
- يرتاد الذكور، خاصة العاطلون عن العمل، دور الشباب أكثر من الإناث. وترتفع هذه النسبة مع ارتفاع المستوى التعليمي.

❖ **محور "المشاركة السياسية والجمعوية" ضمن دراسة: "البحث الوطني حول القيم"[4]**

تم إنجاز البحث في إطار التحضير لتقرير "خمسين عاما من التنمية البشرية بالمغرب"، والمسمى أيضا "تقرير الخمسينية"، وقد صدر سنة 2006 بمناسبة مرور خمسين سنة على استقلال المغرب. اطلعتُ على هذا التقرير في نسخته الفرنسية تحت عنوان Rapport de synthèse de L'enquête nationale sur les valeurs. من أجل دراسة القيم، تم التركيز على عدد من المجالات، هي: الأسرة والتقاليد والدين والسياسة والعمل والترفيه، واهتمت الدراسة بالوصول إلى مجموعة من الأهداف، هي:

- تحديد القيم المركزية عند المغاربة؛ القيم الأقل أهمية ثم القيم الصاعدة؛
- دراسة تأثير بعض المحددات المجتمعية على دينامية القيم.

[4] Haut-Commissariat au Plan, (Centre d'Etudes et de Recherches Démographiques), (2005), 50 ans de développement humain et perspectives au Maroc 2025, Rapport thématique: Cinquantenaire de l'indépendance du Royaume du Maroc, chapitre 3, valeurs politiques, (49-63), Rabat.

تم الاعتماد على عينة قصدية بحيث تكون بنيتها مشابهة لبنية المجتمع المغربي، ومن معايير هذه البنية: محيط السكن (مجال حضري/قروي)؛ الجنس؛ السن؛ الحالة العائلية؛ المستوى الدراسي؛ الشغل. بلغ حجم العينة 1000 مشارك في البحث، كما تم الاعتماد على عينة البحث الذي أجرته المندوبية السامية للتخطيط سنة 2002 بخصوص البحث الوطني حول الشغل. استخدم البحث الوطني حول القيم تقنية الاستمارة المحررة بالدارجة المغربية، وفي المناطق الأمازيغية تم اعتماد ثلاث لهجات أمازيغية. وقد كانت الأسئلة المفتوحة قليلة العدد.

بخصوص موضوع المشاركة السياسية والجمعوية، توصل البحث إلى النتائج التالية:

- نسبة الانخراط في التنظيمات السياسية، النقابية والجمعوية تظل ضعيفة جدا، غير أن العمل الجمعوي يظل أكثر جذبا من الأنماط الأخرى للمشاركة السياسية؛
- عدم قدرة شريحة هامة من الساكنة على تقييم المحيط السياسي والمؤسساتي؛
- على العموم، هناك موقف ايجابي من مشاركة النساء في الحياة العامة، لكن هناك اختلاف حسب الحقول؛
- هناك حضور مهم للتنوع الثقافي واللغوي.

❖ **أطروحة: "الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني"[5]**

أنجزت هذه الأطروحة السوسيولوجية العمراني حسناء، وقد تركزت محاور البحث حول الأسئلة التالية:

- ما طبيعة العلاقة بين الجمعيات والديمقراطية؟ أي منهما تابع للآخر؟
- ما مدى احترام الجمعيات لمبدأ الديمقراطية في علاقتها مع أعضائها ومنخرطيها؟ فإذا كانت الديمقراطية مطلبا عاما، فكيف يمكن للجمعيات أن تلتزم بتحقيقه على المستوى المحلي بإعداد استراتيجيات للتنمية المحلية لفائدة الساكنة؟
- هل الجمعيات قادرة على تحقيق الديمقراطية من خلال الاهتمام بالشأن المحلي؟

[5] العمراني. حسناء، (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، سلسلة دراسات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس.

- هل المواطن هو الذي يبحث عن ممارسة الديمقراطية المحلية والمساهمة في تدبير الشأن المحلي عبر الجمعيات، أم أن وجود الجمعيات هو الذي يخلق الديمقراطية المحلية؟
- هل للجمعيات قوة اقتراحية، وهل صوتها مسموع ويؤخذ به؟
- كيف تتدخل السلطات العمومية لمراقبتها؟
- هل يدل ارتفاع عدد الجمعيات على قدرة المجتمع على الانتظام من الأسفل لتحقيق الديمقراطية انطلاقا من المحلي؟

تمت صياغة الفرضية المركزية على الشكل التالي:

- الديمقراطية المحلية هي الإطار المناسب لفهم العمل الجمعوي وللاشتغال في إطاره لأنه يقوم على مبادئ وقيم إنسانية.

أما الفرضيات الفرعية فكانت كما يلي:

- تشكل الجمعيات المحلية من خلال العمل عن قرب مؤسسات لتفعيل الديمقراطية المحلية، لأنها جزء من الفضاء العام الذي يساهم في ترسيخ وتربية المواطن على قيم إنسانية عن طريق الديمقراطية وإشراك المواطن في تدبير الشأن المحلي؛
- لا تهدف الجمعية إلى الربح لأنها مؤسسة تقوم على الممارسة والإرادة الطوعية للمواطنين؛
- الجمعية مجال لبناء علاقات اجتماعية وتحقيق الذات والدفاع عن قيم مشتركة ومأسسة الوظيفة الديمقراطية في المجتمع؛
- لا يمكن فصل التنمية والديمقراطية لأن قضية التنمية في العمق هي قضية ديمقراطية
- إن الفضاء الجمعوي تقتحمه أساسا الفئة المثقفة، فالوعي الثقافي والسياسي هو الذي يؤدي إلى تأسيس الجمعيات والانخراط فيها؛

- هناك مجموعة من العوامل تساعد على الانخراط في العمل الجمعوي من بينها اكتساب تجارب وخبرات والبحث عن المكانة ونسج علاقات اجتماعية، إضافة إلى البحث عن حلول مشتركة لمشاكل اجتماعية؛
- العمل الجمعوي يتأرجح بين حرية الجمعية كقاعدة للتنظيم الذاتي للأفراد والقيود القانونية المحددة لتأسيس الجمعيات؛
- يبين التطور الكمي للجمعيات قدرة المجتمع على تحقيق الديمقراطية انطلاقا من العمل المحلي والعمل عن قرب.

ارتكزت تقنيات هذا البحث الذي أنجز بالمجال العمراني لمدينة فاس على الاستمارة مع المنخرطين، والمقابلة نصف الموجهة مع أعضاء ورؤساء الجمعيات، وقد جاءت النتائج كالتالي:

- تتنوع الإدارات المكلفة بإحصاء الجمعيات مما يفرض على الباحث التنقل بينها، إضافة إلى كون المعلومات التي تتوفر عليها كل مؤسسة تختلف عن الأخرى؛
- هناك ارتفاع في عدد السكان، خاصة فئة الشباب. في مقابل ذلك، يظل عدد دور الشباب غير كاف؛
- تأسيس الجمعيات نابع من رغبة لحل المشاكل المحلية إضافة إلى كونها مدراس للتربية على الديمقراطية؛
- هناك جدل ومفارقة بين القانون والواقع، ففي نفس الوقت الذي تشجع فيه القوانين على تأسيس الجمعيات تعمل السلطات على مراقبة وضبط الفعل الجمعوي؛
- الرجال أكثر تطوعا في الجمعيات من النساء، كما تشكل فئة الشباب الفئة الأكثر حضورا، وكلما انخفض سن المنخرطين كلما كانوا أكثر نشاطا؛
- كلما ارتفع المستوى التعليمي ارتفع النشاط والانخراط في هذه الجمعيات؛
- الجمعيات المحلية بفاس تتشكل من الطلبة والتلاميذ لأنها تعتبر مدارس لتعلم قيم الديمقراطية والمواطنة؛

- يتشكل أغلب المنخرطين من فئة العازبين والعازبات لأن سنهم ووضعيتهم المهنية يسمحان أكثر بالانخراط في الفعل الجمعوي؛
- هناك مشاكل تتعلق بضعف الديمقراطية المحلية، كالانفراد في اتخاذ القرارات واستغلال العمل الجمعوي لغايات أخرى قد تكون سياسية أو شخصية.
- الجمعيات مطالبة بإعادة النظر في طرق اشتغالها.

❖ **أطروحة: "الجمعيات النسائية بالمغرب"[6]**

أنجزت هذه الأطروحة السوسيولوجية حبيبة حفصاوي سنة 2006، وتمحورت حول الأسئلة التالية:

- ما مدى اهتمام الجمعيات النسائية بالأدوات التنظيمية؟ هل ثمة تفكير في الجمعية كتنظيم؟ هل ثمة اختيارات تنظيمية واعية لذاتها؟ هل التوجه نحو التخصص والمهنية وما يستتبعه من انشغال بالمردودية هو انفتاح للجمعية بشكل أكبر على منطق المقاولة وانزياح عن منطق الجمعية، أم أنها لحظة في تاريخ الجمعيات في نطاق بحثها المستمر عن خصوصية الوجود؟
- هل غياب الذكور عن مراكز القرار في الجمعيات النسائية هو سلوك سياسي يعبر عن اختيار واع لضرورة تعلم النساء للسلطة؟ أم أنه واقع غير مساءل أملته تراكمات تقسيم الاهتمامات بين الجنسين مدنيا وسياسيا؟
- إذا كانت هذه الجمعيات تقوم في مجملها بتقديم خدمات للنساء في مختلف المجالات، فما هو نوع العلاقة المنتجة مع الوافدات؟ هل ثمة استراتيجيات المسافة بين أطر تمنح الخدمة ووافدات تتلقاها؟ هل ثمة تواصل ومحاولة تأسيس علاقة خارج العلاقة المحض خدماتية؟
- هل يمكن النظر من زاوية أحادية تركز على منتوج الجمعيات والذي أبرزها ولاشك على الساحة، دون الالتفات إلى زاوية البناء الداخلي ومدى حضور الحسابات في

[6] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

علاقة بالاستثمار على مستوى بناء وتكوين الأطر ومن ثم خلق الخلف وإمكانات الاستمرار؟

- هل وجود المهنية جعل الهرمية تدخل الفضاء الجمعوي؟ وهل أدى تعدد الفاعلات إلى تباين المواقع والى إنتاج استراتيجيات مختلفة في علاقة بامتلاك السلطة؟ هل توجهت الجمعيات إلى فصل واضح بين فئة المناضلات التي تفكر وتنتج المعرفة وتقود المعارك وفئة تنفذ القرارات وتسهر على العمل اليومي د-ونما تدخل يذكر؟
- هل صحيح أن تاريخ الجمعيات مرتبط بمأسسة مهن اجتماعية؟ هل غياب الدولة في عدد من المجالات جعل الجمعيات مضطرة لملء الفراغ، الأمر الذي تطلب تكيفا تنظيميا من طرف الجمعيات لتحسين التدخل ونوع المردودية، تكيف تنظيمي هو بالذات مأسسة لمهن اجتماعية ظلت خارج تدخل الدولة؟

وقد جاءت فرضيات هذا البحث كالتالي:

- من خلال مراكز الاستماع للنساء ضحايا العنف، مأسست الجمعيات النسائية مهنة اجتماعية متمحورة حول حماية النساء وهي "مهنة الاستماع"؛
- الاختيار التنظيمي المبني على المهنية يؤدي إلى تقسيم العمل بين فئة تفكر وتنتج المعرفة والقرار وتقود المعارك، وفئة تنفذ القرارات وتسهر على العمل الخدماتي اليومي لصالح الوافدات؛
- الاختيار التنظيمي المبني على التخصص والمهنية يضعف المنطق التشاركي والإدماجي ويطرح من ثم مشكل الانفتاح والاستمرارية؛
- الاختيار التنظيمي المبني على المهنية وتقديم الخدمات يؤدي إلى تقديم واضح للمواقع بين فئة تقدم الخدمة وفئة تتلقاها.

تكونت العينة من 8 جمعيات، وتم إنجاز البحث الميداني مع ثلاث فئات:

- فئة الأطر النسائية؛
- فئة المداومات المتحملة لمسؤولية مهنية داخل إدارة الجمعية؛

- فئة الوافدات على الجمعية من أجل الاستفادة من خدماتها.

أسفر هذا البحث على النتائج التالية:

- تمثل كل جمعية تجربة تنظيمية متميزة؛
- ليس ثمة تلازم ضروري بين المواقع الرسمية والمواقع الفعلية للأطر، فسلطة الفرد قوية داخل الجمعية وتوزيع المهام لا يعني توزيع الصلاحيات بالضرورة؛
- ليس ثمة تناسب ضروري بين الخطاب والممارسة، فقد تعتبر جمعية نفسها جماهيرية دون أن تستطيع تأطير أي عضوة جديدة، بينما قد تؤثر جمعية تعتبر نخبوية في العديد من النساء المنخرطات أو الوافدات؛
- مستوى تكوين الأطر داخل الجمعية سواء ما يخص العضوات أو المداومات يؤثر بشكل واضح على موقعهن، بغض النظر عن نوع الاختيار التنظيمي، مما يحيل إلى أن مستوى التكوين يشكل رصيد سلطة أساسية داخل الجمعيات؛
- ثمة مشاكل تعيشها الجمعيات داخليا بفعل تأثير المحيط، فالتحولات السياقية العامة تؤثر بشكل ملحوظ على حجم وطبيعة حضور النساء في الجمعيات وعلى مستوى انخراطهن، ومن ثم درجة التعلم والتحول، كما يؤثر على مستوى البعد الإدماجي للوافدات.

❖ **أطروحة: "آليات تنظيم واشتغال المنظمات غير الحكومية بالمغرب"[7]**

أنجز هذه الأطروحة السوسيولوجي محمد شرايمي سنة 2006، وقد حاول الإجابة من خلالها عن التساؤلات المطروحة التي تهم تنظيم واشتغال المنظمات غير الحكومية بالمغرب، فارتكز في ذلك على الأسئلة التالية:

- ما هو الإطار التنظيمي الذي يحكم أعمال المنظمات / الجمعيات غير الحكومية بالمغرب؟
- ما هي الأساليب التي تتبعها الجمعيات من أجل تلبية بعض من حاجيات مستهدفيها؟

[7] شرايمي. محمد، (2006)، آليات تنظيم واشتغال المنظمات غير الحكومية بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

- ما هو اثر القطاع اللاربحي على سلوكيات مستعمليه؟
- وما هي علاقة تلك المنظمات بمحيطها الاجتماعي؟

وقد طرح هذا البحث الفرضيات الآتية:

- النمط التنظيمي للجمعية يؤدي إلى توحيد المواقف والرؤى واتخاذ القرارات السريعة؛
- طريقة عمل الجمعيات التنموية تؤدي إلى رضى المستهدفين من المشروع التنموي؛
- الاشتغال الجمعوي يؤدي إلى اكتساب قيم اجتماعية جديدة وإعادة تجديد أخرى بطرق مغايرة؛
- ما تحققه الجمعيات من إنجازات يؤدي إلى توطيد علاقاتها مع محيطها الخارجي.

تشكلت العينة من جمعيتين هما "جمعية أدرار" و"جمعية أماب" نظرا لاشتراكهما في بعض الأهداف واشتغالهما في المجال التنموي. وقد تم اختيار العينة بشكل عشوائي فيما يخص المنخرطين، أما الفاعلين الذين يعتقد أنهم سيوفرون معلومات قيمة فتم اختيارهم بالعينة القصدية، اعتمدت تقنية البحث على استخدام المقابلة والملاحظة وتحليل مضمون السجلات والوثائق.

هكذا، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج:

- أكدت الجمعيات غير الحكومية تواجدها الفعلي في ميدان التنمية وتلبية حاجيات المواطنين، وهو ما أكسبها ثقة المواطن وتقدير الدولة؛
- حفزت الجمعيات جهات فاعلة على إعادة تقييم سياساتها، بل إنها أقدمت على تدابير مختلفة لكي تجري تغييرات حقيقية، وبهذا تكون قد أبانت عن إظهار نماذج قائمة على المشاركة التي يمكن للدولة أن تتبعها؛
- ما يميز عمل هذه التنظيمات هو المرونة والتلاؤم مع الديناميات الاجتماعية، كما أن لها القدرة على التمأسس وربط علاقاتها الخارجية بتلك الرؤى التي تخدم التنمية المستدامة ذات المدى البعيد؛

- رغم المكانة التي حققتها الجمعيات إلا أنها تعاني من عدم الاتفاق بين كافة المتدخلين حول رؤية تنموية واضحة يتم من خلالها الفصل بين ما هو آني ومستعجل، وبين ما هو متوسط أو طويل المدى؛
- تعاني هذه الجمعيات من الانتشار غير المتكافئ على كافة التراب الوطني، فهي تكثر في مناطق ويقل عددها في أخرى، رغم أن هذه المناطق تعاني من العوز الاجتماعي.
- أصبحت المنظمات غير الحكومة تريد من مستهدفيها تحمل المسؤولية ليصبحوا منتجين بدل نموذج الهبات والهدايا الذي يجعل منهم مستهلكين فقط؛
- لم يعد التطوع وحده سمة مميزة للجمعيات وإنما هناك سمة الاحترافية، وهو ما يؤدي إلى تشكل مجموعة من القواعد التنظيمية، مما يعني أن الجمعية ليست تنظيما جامدا بل دائم التغير والحركية؛
- الحجم الصغير للجمعية والاستقلالية في التدبير وتنوع الأنشطة يجعلها بعيدة عن التعقيدات الإدارية الروتينية التي تعد من بين الأوجه السلبية للبيروقراطية، ورغم وجود المكاتب والمأجورين كعلامة على البيروقراطية إلا أنها وسائل ضرورية للتسيير الجيد للأنشطة الجمعوية؛
- القيم الأساسية للجمعية تمنح الفرد إطارا يمارس من خلاله القدرة على التنظيم الذاتي، وبهذا تؤكد على تصور آخر للعلاقات الاجتماعية من خلال بلورة ثقافة خاصة بها ذات مميزات حداثية موسومة بطبائع المؤسسة. فهي تسعى بالأساس إلى جعل كل فرد فاعلا حرا يتحلى بالمسؤولية وروح التضامن؛
- الجمعية نظام مفتوح لا يرتبط بشروط داخلية مثل الهيكل التنظيمي وحسب، وإنما بمبادلات التنظيم مع البيئة الخارجية؛

❖ **أطروحة: "مساهمة الجمعيات في التشغيل، حالة إقليم الرشيدية"[8]**

أنجز هذه الأطروحة السوسيولوجي فوزي بوخريص سنة 2010، وقد تركزت محاورها حول الإشكاليات التالية:

- كيف قارب علماء الاجتماع الظاهرة الجمعوية؟ ما الذي أضافته سوسيولوجيا التنظيمات على مستوى فهم الظاهرة؟ ثم ما مشروعية الحديث عن سوسيولوجيا الجمعيات، أو بأي معنى يمكن الحديث عن سوسيولوجيا الجمعيات؟
- ما الذي يميز الجمعيات عن باقي التنظيمات الأخرى؟ هل يمكن الحديث عن هوية خاصة بالجمعية، متميزة عن هويات التنظيمات الأخرى مثل المقاولة والإدارة وغيرهما؟
- هل يمكن الحديث عن الشغل المأجور داخل سياق جمعوي، يقوم بالأساس على التطوع؟ هل يتعلق الأمر بشغل أو بفعل أو بنشاط؟ ما الفرق بين هذه المفاهيم؟
- هل هذا البروز المتنامي والمتسارع للجمعيات مؤشر على التغيرات الاجتماعية التي شهدها المجتمع المغربي خلال العقود التي أعقبت استقلال البلاد، وخصوصا بعد عقد التسعينات، أم أنه لا يعدو أن يكون استمرارا لظاهرة قديمة لازمت تطور المجتمع، ألا وهي ظاهرة "الجماعة"؟
- ما هي خصوصيات الظاهرة الجمعوية ببلادنا؟ هل ما تزال الجمعيات ظاهرة حضرية كما كان الحال طوال العقود التي أعقبت الاستقلال، أم أنها أضحت بفعل التغيرات الاجتماعية المستجدة ظاهرة مميزة لمجموع تراب المملكة؟ بماذا نفسر أنه عندما يتم تأسيس الجمعيات في القرى النائية يكون وراء مبادرة التأسيس "نخب مثقفة" تشكل وعيُها في المدينة؟ ما حجم الديمغرافيا الجمعوية ببلادنا؟ وكيف تتوزع هذه الديمغرافيا على مستوى الجغرافيا وعلى مستوى التخصص أو مجال الاهتمام؟

[8] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

- هل يمكن الحديث عن تحول في أدوار الجمعيات خلال العقدين المنصرمين؟ وإذا سلمنا بتنوع أدوار الجمعيات وتحولها، نتيجة التغيرات التي شهدها المجتمع المغربي، فهل يمكن اعتبار "الجمعيات التنموية المحلية" بمثابة الجيل الجديد من الجمعيات؟
- ما هي طبيعة مساهمة الجمعيات في خلق فرص الشغل؟ ما حجم هذه المساهمة، ما أهميتها؟ وما حدودها؟

وقد كانت الفرضية المركزية للبحث كالتالي:

- شهدت الجمعيات ببلادنا، كما في بلدان العالم، تحولا كبيرا خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، لعل من أبرز سماته بروز الدور السوسيواقتصادي للجمعيات، حيث بدأت الجمعيات اليوم تساهم في خلق فرص الشغل المأجور، وهذا ما يعني أن الجمعيات لم تعد تتميز بسيادة العمل التطوعي فقط، بل أضحت تشهد اليوم تناميا ملحوظا للشغل المأجور، وإن كانت ما تزال في الغالب بعيدة عن احترام مقتضيات الشغل فيما يخص شروط العمل الجمعوي المأجور. ولعل هذا من الاعتبارات القوية التي تجعل الجمعيات اليوم فاعلا مهما في الاقتصاد الاجتماعي، وبذلك يمكن افتراض أن الجمعيات تعتبر اليوم تنظيمات تقوم بسد الخصاص الذي تتركه تدخلات الدولة.

أما الفرضيات الفرعية فكانت كالتالي:

- اهتمام علماء الاجتماع بالظاهرة الجمعوية قديم قدم علم الاجتماع نفسه (فقد بدأ مع رواد هذا العلم: أليكسيس دو توكفيل، فيردناند تونيز، ماكس فيبر، دوركايم)، لكن الاهتمام الفعلي سيبدأ مع تطور سوسيولوجيا الشغل وبروز سوسيولوجيا التنظيمات، لدرجة أنه بدأ الحديث اليوم عن سوسيولوجيا الجمعيات على غرار سوسيولوجيا المقاولة مثلا.
- يجد الحديث عن سوسيولوجيا الجمعيات مبرره في ما تتميز به التنظيمات الجمعوية من خصوصيات على مستوى الهوية، التسيير، القيم والغايات، مقارنة مع باقي التنظيمات الأخرى.

- تشهد الجمعية اليوم ظهور العمل المأجور إلى جانب أشكال العمل التطوعي التي تميزت بها تاريخيا.
- إن البروز المتنامي والمتسارع لعدد الجمعيات بالمغرب، ليس استمرارا لتلك الظاهرة التنظيمية القديمة التي لازمت تطور مجتمعنا (ظاهرة "اجماعة")، بل يتعلق الأمر بظاهرة مستجدة تعبر عن التغيرات الاجتماعية التي شهدها المجتمع المغربي خلال العقود التي أعقبت الاستقلال، وخصوصا بعد سنوات التسعينات.
- عرفت الديمغرافيا الجمعوية ببلادنا تزايدا كبيرا منذ بداية التسعينات وتنوعا على مستوى مجالات اهتمامها وإن كان الغالب عليها هو الاهتمام بالتنمية، كما شهدت تغيرا على مستوى توزيعها الجغرافي، حيث لم تعد متمركزة في المدن الكبرى في الشمال الغربي. رغم ذلك، ما يزال اللاتكافؤ في التوزيع بين المدن الكبرى وبين المدينة والقرية هو الغالب.
- شهدت أدوار الجمعيات تحولا كبيرا خلال العقدين المنصرمين، من أبرز سماته ظهور الجمعيات التنموية المحلية باعتبارها الشكل الجمعوي الأكثر انتشارا اليوم والذي يمثل جيلا جديدا من الجمعيات، يتميز بتصور جديد للعمل الجمعوي مبني على الفعل أكثر من النظرية، ويؤمن بضرورة التدخل عبر مشاريع سوسيواقتصادية ملموسة وذات تأثير مباشر على واقع الفئات المستهدفة، التي تتشكل في الغالب من المهمشين والمقصيين.
- تساهم الجمعيات في خلق فرص الشغل وإن كانت في الغالب بعيدة عن احترام مقتضيات قانون الشغل فيما يخص شروط العمل الجمعوي المأجور. ويبقى من بين أهم نتائج تطور العمل الجمعوي ببلادنا ظهور مهن جمعوية جديدة، ومأسسة متدرجة لهذه المهن في أفق خلق إطار قانوني رسمي لها.

تكونت العينة التي تم بناؤها بطريقة عشوائية من 200 جمعية، ولم يكتف الباحث في منهجيته بالاستمارة بل أضاف إليها أداة المقابلة، ثم الملاحظة بالمشاركة.

أما بالنسبة لنتائج البحث، فقد كانت كالتالي:

- إن كان اهتمام السوسيولوجيا بالجمعيات يعود إلى بدايات ظهور هذا العلم، فإن الملاحظ هو أن هؤلاء الرواد تناولوا موضوع الجمعية ولم يحللوها باعتبارها كذلك، فالجمعية بدت لهم كإجابة (من بين إجابات أخرى ممكنة) على أسئلة شغلتهم. فيما بعد، ومن خلال دراسة مشاركة الأفراد في هذه البنيات، سيصير العالم الجمعوي موضوع تحليل سوسيولوجي. بالتالي، يمكن التمييز بين ثلاث مراحل أساسية من الناحية التاريخية: مرحلة الإرهاصات مع الرواد، ثم مرحلة الوعي الضمني التي ركزت على الجانب القيمي، الثقافي والنضالي، وأخيرا مرحلة الوعي بالذات والتي ارتبطت بمحاولات فهم أشكال سير التنظيم الجمعوي؛
- تتمظهر الهوية الجمعوية في إسمها وفي الهوية البصرية وفي قوانينها وفي ثقافتها (قيم، رموز، الإيديولوجيات، طرق التفكير، الخ)؛
- يتميز العمل المأجور بأنه يحيل على المشروع الجمعوي المحكوم بالمنفعة الاجتماعية، كما أنه يتطلب احترام قانون الشغل ونوعا من المسؤولية والانخراط الشخصي. يسمح تحليل كل ذلك بالتفكير من جديد في مسألة الحدود بين العمل وخارج العمل، وفي العلاقات بين العمل المأجور والعمل التطوعي؛
- إن ظاهرة العمل الجمعوي بالمغرب ظاهرة حديثة ارتبطت بسيرورة التمدين وبروز الطبقة الوسطى، وهي تحيل على حداثة مغايرة، حداثة تضامنية وتشاركية، وليس حداثة العقلانية الحسابية والفردانية؛
- عرفت الديمغرافيا الجمعوية ببلادنا تزايدا كبيرا منذ التسعينات وتنوعا في الاهتمامات والميل إلى التنمية والأهداف التي تحظى أكثر بالتمويل، كما شهدت تغيرا على مستوى التوزيع الجغرافي، إذ لم تعد متمركزة في المدن الكبرى؛
- أصبح من الممكن الحديث عن اقتصاد اجتماعي للجمعيات على غرار الاقتصاد الاجتماعي التعاوني دون التخلي عن العمل التطوعي مع ظهور مهن جمعوية جديدة، وبالتالي لم تعد تتحدد بقانون الجمعيات بل بمدونة الشغل أيضا. وعليه، تحولت الجمعيات إلى ملاذ أخير للشباب لضمان منصب شغل؛

- الفعل الجمعوي يعاني من اختلالات: قلة التجربة والخبرة، غياب رؤية شمولية للعمل الجمعوي ولسياسة التنمية، ضعف التنسيق والتشاور بين الجمعيات فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين باقي الفاعلين التنمويين من جهة أخرى، تغليب المصالح الشخصية، الفئوية، الاقتصادية والسياسية، الطابع الهجين لمالية الجمعيات ولطبيعة تنظيمها، الخ؛
- السياسات العمومية التي هي من حيث المبدأ مسؤولية الدولة، تنزع إلى التحول إلى نوع من الأشغال الباطنية أو المناولة sous traitance لفائدة الجمعيات، بفعل تخلي الدولة التدريجي عن جزء من مسؤوليتاها، في هذه الحالة تصبح الجمعيات تابعة أكثر فأكثر للطلب العمومي، أي أنها تتحول إلى أداة في يد الدولة ووسيلة للضبط الاجتماعي.

2-1 دراسات حول الممارسات الثقافية بالمعنى التخصيصي

❖ **دراسة "سوسيولوجيا الجمعيات الثقافية، أي باراديغم للعمل الثقافي"[9]**

أنجز هذه الدراسة السوسيولوجي أحمد شراك، وارتكزت محاورها حول الأسئلة التالية:

- إلى أي حد ساهمت الجمعيات الثقافية، إلى جانب مؤسسات ثقافية أخرى، في إخصاب الحقل الثقافي؟
- هل ظلت براديغمات العمل الثقافي (والعمل الجمعوي خصوصا) تابثة على امتداد تاريخ المشهد الجمعوي في المغرب؟ بعبارة أخرى، هل ظل العمل الجمعوي الثقافي معزولا عن السياقات السياسية والاجتماعية، أم على العكس ظل جزءا من صميم هذه السياقات؟
- ما هي علاقة السياق بالجمعيات؟ هل هي علاقة تواصل أم تفاصل؟ أي تواصل؟ ما طبيعته؟ ما دوره؟ ونفس الأسئلة بالنسبة للتفاصل؟ أي تفاصل يمكن الحديث عنه؟

[9] شراك. أحمد، (2015)، سوسيولوجيا الجمعيات الثقافية، أي براديغم للعمل الثقافي؟، الطبعة الأولى، منشورات مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

اختار السوسيولوجي أحمد شراك عينة غرضية، حيث أخذ نسبة 10% من مجتمع الدراسة والذي يبلغ عدده 1000 عضو يكونون 25 تنظيما اجتماعيا، بالتالي كان حجم العينة 100 عضو، تم إجراء البحث معهم باستمارة تضمنت 40 سؤالا مغلقا. وقد سبقت هذه العملية طريقة المقابلة الشخصية مع أغلب مسؤولي التنظيمات الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، تم توظيف الملاحظة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة. أما من حيث الإطار النظري، فتم الاستناد على فكر صراعي ماركسي.

وقد طرحت الدراسة الفرضيات التالية:

- كلما تهاون العاملون في التنظيمات الاجتماعية عن ممارسة مسؤوليتهم الثقافية ساد الفراغ الثقافي؛
- الأنشطة الفنية تحتاج إلى تكاليف مادية وإعلامية أكثر من الأنشطة الثقافية العامة؛
- العمل الجماعي داخل التنظيمات الاجتماعية وفيما بينها يؤدي إلى تصعيد النشاط الثقافي؛
- كلما انعدمت الوسائل المادية للتنظيمات الاجتماعية كلما ساد الجمود الثقافي؛
- غياب الحرية الثقافية في التنظيمات الاجتماعية يساهم في الجمود الثقافي؛
- كلما غابت اللغة الشعبية غابت الثقافة الشعبية؛
- نوعية وحجم الجمهور الذي يحضر الأنشطة الثقافية يتحدد على حسب نوعية هذه الأنشطة الثقافية؛
- لكل تنظيم اجتماعي نمط وعي سياسي يحرك نشاطه الثقافي؛
- النقص في المهارات الفنية والتكوين الثقافي لدى العاملين في التنظيمات الاجتماعية له انعكاس سلبي على التنمية الفكرية والثقافية؛

أسفر هذا البحث الميداني على النتائج الآتية:

- أبرز التركيب الداخلي للتنظيمات الاجتماعية أن فئة العمر المركزية تستقر في فئة 20-30 سنة والتي تشكل أعلى نسبة؛

- هناك حضور قوي للرجل في مقابل غياب كبير للعنصر النسوي؛
- أغلبية المهن والوظائف المكونة في عينة البحث تتكون من فئة الطلبة والتلاميذ كأعلى نسبة، تليها نسبة المعلمين والأساتذة، ثم فئة الموظفين الصغار، مع نسبة لا بأس بها من الحرفيين. يدل وجود هذه الفئة الأخيرة على أن العمل الجمعوي بفاس في تلك الفترة لم يكن يقتصر على فئة المثقفين فقط؛
- فيما يتعلق بمفهوم العمل الثقافي، احتلت الإجابات " التوعية الاجتماعية " المرتبة الأولى، تليها إجابة "تصعيد العمل الثقافي"، ثم "الترفيه والتسلية"، ثم "الشهرة" وأخيرا "الملء وقت الفراغ"؛
- تنوعت الأنشطة الثقافية التي أجري حولها البحث، فحل المسرح في الرتبة الأولى من حيث الانتشار، ثم الأنشطة الثقافية المتنوعة، ثم الغناء والمحاضرات الثقافية، تليهما السينما، وأخيرا الرسم والنحت؛
- عبرت 58% من الجمعيات أن ممارسة العمل الجمعوي مع جمعيات أخرى يتم من أجل تصعيد العمل الثقافي، في حين عبرت 27% من الجمعيات أن ذلك بسبب الانسجام الفكري، أما 14% منها فعبرت أنه بسبب وجود صداقات مع الجمعيات الأخرى؛
- 34% من الجمعيات لم تكن تتوصل بأي منحة سنوية؛
- 44% من الجمعيات أجابت أن هناك شروط تقنن بها السلطة العمل الثقافي؛
- 85% من الجمهور هم طلبة وأساتذة ومعلمون وموظفون؛
- 72% من الفاعلين الجمعويين ليس لديهم انتماء سياسي؛
- عدد مهم من الفاعلين الجمعويين يتوفرون على مستوى تعليمي ثقافي يساعدهم على ممارسة النشاط الثقافي؛
- الوضعية الثقافية بمدينة فاس لا تعبر عن الصورة التي يقدمها الخطاب الرسمي على أنها مدينة العلم والثقافة؛
- التراكمات الكمية للتنظيمات الجمعوية ليست علامة ملموسة على حركة ثقافية متنامية، بل يجب قياسها من الناحية الكيفية.

❖ **دراسة: "بحث حول القراءة بالمغرب"[10]**

أنجز هذه الدراسة الباحث عبد العالي اليزمي خلال سنتي 1997 و 1998 وأصدرها في كتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان Enquête sur la lecture au Maroc، وقد همت 1500 مشارك في البحث، موزعين على خمس مناطق من المغرب (بما معدله 300 مشارك في كل منطقة)، وهي: محور طنجة-تطوان؛ محور مراكش-أكادير؛ محور وجدة-تازة؛ محور الرباط-الدار البيضاء؛ محور فاس-مكناس.

أقيم هذا البحث الميداني في الفضاءات التالية: الخزانات؛ المكتبات التجارية؛ المؤسسات التعليمية، وقد اعتمد على تقنية المقابلة والاستمارة (تكونت هذه الأخيرة من 60 سؤالا). و شكل الشباب (أقل من 30 سنة) نسبة 56% من العينة، أما الكبار من فئة 30-45 فشكلوا نسبة 37% بالمئة، في حين شكلت فئة 45 سنة فما فوق نسبة 6%، وكان أغلبية المبحوثين من الأساتذة والطلبة.

أسفر هذا البحث عن نتائج تتعلق بحجم الممارسات الثقافية وبخصائص الممارسين:

- تبين أن إقبال مجتمع العينة على الممارسات الثقافية يتوزع من حيث الأهمية حسب الترتيب التالي: القراءة؛ مشاهدة التلفاز؛ الموسيقى؛ العلاقات مع الأسرة والأصدقاء؛ الخرجات؛ الذهاب للسينما؛ التوجه للمقهى؛ البقاء في المنزل؛
- المهتمون بالثقافة بشكل دائم يشكلون نسبة 6%، والذين يهتمون بشكل متوسط يشكلون نسبة 18%، أما نسبة 48% فلا تهتم إلا من حين لآخر؛
- 78% لا ينتمون إلى جمعيات ثقافية، لكن الذين يهتمون بالممارسات الثقافية هم غالبا أعضاء في الجمعيات الثقافية؛
- أماكن القراءة هي البيت بالدرجة الأولى، ثم المقهى ثم الخزانات؛
- الأوقات المفضلة للقراءة هي الليل عند أكثر من نصف العينة؛
- مدة القراءة تمتد لأكثر من ساعة عند أكثر من نصف العينة؛

[10] El YAZAMI. Abdelali, (1998), Enquête sur la lecture au Maroc, 1ère édition, Association marocaine des professionnels du livre, Rabat.

- مكتبات المركز الثقافي الفرنسي تجذب القراء أكثر من المكتبات العمومية المغربية وذلك بسبب عدد من المميزات: الولوج المفتوح للكتب؛ التنوع، والثراء؛
- ثمن الكتب يبقى مرتفعا بالنسبة لأغلبية المشاركين في البحث؛
- 60% من المبحوثين لا يذهبون إلى السينما إلا نادرا؛
- 60% من المبحوثين يشاهدون التلفاز يوميا؛
- 61% لا يقومون بالكتابة؛
- أكثر من نصف المبحوثين يفضلون الروايات في قراءاتهم بالدرجة الأولى؛
- حوالي 70% من المشاركين في البحث أخبروا أنهم لا يتلقون الكتب في شكل هدايا.

❖ **محور "الأنشطة السوسيوثقافية للشباب"، ضمن دراسة: "البحث الوطني حول الشباب"[11]**

سأعرض فيما يلي دراسة حول الأنشطة السوسيوثقافية للشباب، وتشكل الجزء الثالث من "البحث الوطني حول الشباب" الذي أنجزه باللغة الفرنسية المجلس الوطني للشباب والمستقبل سنة 1993. تمحورت مواضيع هذا البحث ككل حول: الوقت الحر؛ أنشطة العطل؛ الإعلام؛ العمل الجمعوي؛ بنيات التأطير؛ الصحة. شملت عينة البحث 3500 من الشباب والمراهقين؛ وتم التمييز بين فئتين: الشباب المراهق (15-24) والشباب الأكبر سنا (25-34)، وقد جاءت نتائج هذه الدراسة كالتالي:

- مشاهدة التلفاز هي الهواية الأولى للشباب خاصة الشباب الحضري، وهي أكثر حضورا لدى الإناث؛
- يحتل الاستماع إلى المذياع المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وهو منتشر عند الشباب القروي أكثر من الشباب الحضري؛
- تخصص الشابات من مختلف الأعمار وقتا مهما للأعمال المنزلية، ويتضاءل هذا الوقت كلما ارتفع المستوى التعليمي للفتاة؛

[11] Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir, (1993), Enquête Nationale sur les Jeunes, Activités socioculturelles des jeunes, Volume 3, chapitre intitulé : jeunes et vie associative, (51-65), Rabat.

- الهوايات الممارسة مع الأصدقاء تحتل وقتا أطول من الوقت الذي يتم قضاؤه مع أقارب العائلة؛
- الممارسات الثقافية للشباب تظل مرتبطة بمستواهم التعليمي؛
- ارتياد النوادي السينمائية ودور الشباب يظل ضعيفا عند الفئات الشابة؛
- احتلت القراءة المرتبة السادسة من حيث الاهتمام، وتبين أن 68% من الشباب لا يقرؤون الجرائد؛
- يفضل الذكور قراءة الأخبار الرياضية؛ السياسة الوطنية والدولية؛ في حين تفضل الإناث المقالات الثقافية والفنية؛ الأخبار الاجتماعية؛ أخبار الشباب والأخبار المحلية؛
- احتلت الرياضة المرتبة السابعة، وهي تمارس أكثر من طرف الذكور؛
- يشكل ارتياد دور السينما متنفسا للشباب للهروب من ضغوطات الحياة، وأمام ضعف البنيات وتزايد حضور التلفاز، لم تعد هذه الممارسة تشكل حضورا قويا؛
- يعتبر السفر بالنسبة إلى 61% من الشباب فرصة لزيارة العائلة، ويقل هذا النوع من السفر كلما ارتفع مستوى التعليم، ويظل السفر عبر التخييم أقل حضورا عند الشباب.

❖ **محور "الممارسات الثقافية"، ضمن دراسة: "المؤشرات الاجتماعية بالمغرب لسنة 2018[12]**

أنجزت هذه الدراسة المندوبية السامية للتخطيط سنة 2018 باللغة الفرنسية تحت عنوانLes Indicateurs sociaux du Maroc، وقد جاءت بالنتائج الآتية:

- يتبين من خلال بحث حول استعمال الزمن تم إجراؤه سنة 2012 أن الوقت الحر للمغاربة يتوزع بين أنشطة الترفيه، العلاقات الاجتماعية والممارسات الدينية، وأن مشاهدة التلفاز تحتل نسبة 43.6 % في حين تحتل القراءة نسبة 0.3%. يختلف هذا التوزيع حسب الفئات العمرية، إذ يقضي المراهق معدل ساعتين وربع أمام التلفاز، في مقابل معدل دقيقتين في اليوم لكل من القراءة وممارسة الرياضة؛

[12] Haut-Commissariat au Plan, (2018), Les indicateurs sociaux du Maroc, Rabat.

- يعتبر الشباب التلفاز، الراديو والأنترنت وسائلهم المفضلة للانفتاح على محيطهم وعلى العالم؛
- خلال سنة 2012، ارتفع عدد دور الشباب ليبلغ 557 مؤسسة، واستقبلت 5 ملايين من الشباب، أي بارتفاع يصل إلى 145 ألفا بالمقارنة مع سنة 2011، وتحتل جهة فاس مكناس المرتبة الأولى من حيث التوفر على هذه الفضاءات (56 مؤسسة)؛
- برسم سنة 2012، ارتفع عدد المشاركين من الشباب والمراهقين في أنشطة التخييم بنسبة 7% مقارنة مع السنة الفارطة، ليرتفع العدد من 125 ألفا سنة 2011 إلى 135 ألفا سنة 2012؛
- فيما يتعلق بالبنيات الرياضة تشير إحصائيات سنة 2011 إلى توفر المغرب على 1140 بنية رياضية، منها 455 ملعب لكرة القدم، 181 ملعب لكرة السلة، 103 قاعة مغطاة، وتتوفر جهة الرباط سلا زمور زعير على 11% منها؛
- تراجعت دور السينما بشكل كبير حيث انخفض عددها من 70 سنة 2010 إلى 36 سنة 2012، ليصل إلى 31 سنة 2015. لا يهم هذا الانخفاض عدد دور السينما، بل يخص عدد المقاعد أيضا. وتعد جهة الدار البيضاء أكثر المناطق استفادة من هذه البنيات.

❖ **دراسة: البحث الوطني حول السينما وجمهورها بالمغرب[13]**

ورد هذا البحث في الصفحة 209 من كتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان "الثقافة والسياسات الثقافية بالمغرب" لمؤلفته أمينة التوزاني، وقد تم إنجازه سنة 1991 في إطار التحضير لمناظرة "من أجل الترويج للسينما المغربية". شملت هذه الدراسة 1200 مشارك في البحث موزعين على مختلف مناطق المغرب، وأسفر الشق الكمي من هذه الدراسة على النتائج التالية:

- 37% من الساكنة المغربية لا تهتم بالسينما ولا تدرجها ضمن اهتماماتها الثقافية؛

[13] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 209.

- 24.4% من مجتمع العينة هم بمثابة جمهور غير تابث و61.5% لا يذهبون إلى السينما إلا نادرا؛
- 30% من المستجوبين لم يسبق لهم أن رأوا فيلما مغربيا، ونصف الجمهور الذي رأى فيلما مغربيا قد رآه عبر التلفاز وليس في دار السينما؛
- أغلب المستجوبين الذي يذهبون للسينما هم حضريون وأغلبهم من الشباب الذكور؛

أما الشق الكيفي من هذا البحث فقد خلص إلى أن:

- المستجوبين الذين يتوفرون على المستوى الكافي من التعليم الذي يجعلهم يكونون رأيا مبنيا يصنفون السينما المغربية في مستوى متوسط، ضعيف أو ضعيف جدا. كما استنتجت الدراسة أن فئة من الجمهور مازالت حاضرة لكنها تنتظر أعمالا قيمة، في حين أن فئة أخرى تعبت من الانتظار وعبرت عن استيائها.

3-1 دراسات حول ثقافة الشباب بالمعنى الشمولي

❖ **أطروحة: "الشباب وتحول القيم والاتجاهات والممارسات الدينية. دراسة سوسيولوجية بمدينة سلا"[14]**

أنجز هذه الأطروحة السوسيولوجي رشيد جرموني سنة 2013، تكونت العينة من 459 شابا وشابة ينتمون للوسط الحضري والقروي وتتراوح أعمارهم بين 15 و35 سنة من كلا الجنسين، وقد تم اختيار العينة بشكل عشوائي مع تفادي الشباب المنتمين للحركات الإسلامية. توزعت مجالات الدراسة حول ستة مداخل: دراسة المعتقد؛ الشعائر؛ المعرفة الدينية؛ الأخلاق؛ الانتماء؛ الفاعلون الدينيون. تم الاعتماد في تقنية البحث على الاستمارة والمجموعات البؤرية والمقابلات الفردية الموجهة.

[14] جرموني. رشيد، (2013)، الشباب وتحول القيم والاتجاهات والممارسات الدينية. دراسة سوسيولوجية بمدينة سلا، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط.

يتمحور جوهر هذه الدراسة حول السؤال الإشكالي التالي: كيف نفسر ارتفاع مؤشرات التدين في شقي المعتقدات والممارسات، ووجود توتر على مستوى الأخلاق والمعارف؟ تفرع عن هذا السؤال إشكاليات فرعية هي:

- بماذا يمكن أن نفسر وجود توترات في المنظومة القيمية/الدينية عند الشباب في مدينة سلا؟؛
- كيف نفسر ضعف ثقة الشباب بالمؤسسات الدينية الرسمية واللارسمية؟ وهل الأمر مرتبط بضعف التأطير أم بغياب الرؤية المجتمعية المنسجمة؟؛
- هل هناك علاقة تفسيرية ما بين تعدد المتدخلين في الحقل الديني وضعف القيم الدينية عند الشباب في شقي الأخلاق والمعارف؟ وما هي التفسيرات التي يمكن أن نخلص إليها؟؛
- هل للإعلام الديني دور إيجابي في تقوية القيم الدينية، أم أنه على العكس من ذلك يقوم بأدوار مشوشة على فئة الشباب؟ وإذا وجدت هذه الإيجابيات، فما هي مظاهرها ومؤشراتها، وبالمثل إذا كانت هناك سلبيات.

على إثر ذلك، صيغت الفرضيات الآتية:

- وجود أزمة في نقل وإنتاج وإعادة إنتاج القيم الدينية عند فئة الشباب مرده وجود أزمة في المرجعية المؤطرة، ومستوى تنزيلها في الحياة المجتمعية؛
- غياب الرؤية المجتمعية في الحقل الديني يؤدي إلى ظهور تصدعات على مستوى التمثل والممارسة عند الشباب؛
- وجود ضبابية في الرؤية المرجعية المؤطرة للحقل الديني يؤدي إلى إنتاج سلوكات متناقضة ومتضاربة؛
- هناك وجود لرؤية مجتمعية، إلا أن مستوى تنزيل القيم الدينية فيه ضعف كبير، مما يفقد الشباب تفاعلهم مع هذه المرجعية؛
- وجود أزمة وتناقض بين الرؤية المؤطرة والسياسات العمومية ينعكس على سلوكات وتصرفات شباب المنطقة بشكل سلبي؛

- تعدد رهانات الفاعلين الدينيين يؤدي إلى فقدان الثقة في أدوارهم ووظائفهم من طرف الشباب؛
- ظهور الوسائط الإعلامية الحديثة فتح مجالا واسعا لتعدد التوجهات الدينية وميلها نحو التشظي والتشتت وإلى بروز التدين الفردي؛
- انحسار المؤسسات الرسمية في عملية التأطير الديني راجع بالأساس إلى تمثلات سلبية اتجاه هذه الأخيرة من طرف الشباب.

أسفرت هذه الدراسة عن النتائج التالية:

- وجود توجه هام نحو تعزيز الهوية الدينية ودور قوي لأهمية الدين في مخيال الشباب؛
- الإجابات حول المواضيع العقائدية بقيت متأثرة بالحس المشترك؛
- ضعف المعرفة بباقي الديانات التوحيدية؛
- بقدر ما تبرز قيمة المعتقد الديني عند الشباب، فالتمثلات حول علاقة الإسلام بالاقتصاد والسياسة والفن تحمل مجموعة من المفارقات؛
- وجود تدين حضري مرتبط بشروط سوسيوثقافية وبنيوية وسوسيوتاريخية، ومن ظاهر ذلك أن عملت الحركات الدينية على تقديم نموذج من التدين يستفيد من خدمة التعليم وباقي الفضاءات العمومية لتوصيل خطابها. وقد انعكس ذلك بمثل "إيجابي" في بعض الممارسات الدينية مثل الصلاة؛
- تفوق الفتيات على الذكور في الممارسات الدينية نظرا لطبيعة التنشئة الاجتماعية؛
- طقسي قراءة القرآن وصيام التطوع يسجلان نسبا جد ضعيفة رغم كون عدد من المستجوبين عبروا عن الاستماع للقرآن من خلال الوسائط الحديثة. كما أن طقس الحج لم يعد ملتصقا بالشيوخ والكبار بل تحول إلى مطلب شبابي؛
- ارتفاع الاتجاهات المؤيدة للحجاب؛
- ضعف المعرفة الدينية، نسبة هامة من الشباب لا تتعرف على المذهب المتبع في المملكة، كما لا تفرق بين الشيعة وبقية المذاهب الفقهية الأخرى؛

- الحقل المعرفي الديني لم يبق معزولا عن التحولات في باقي الحقول، خاصة مع الانفتاح الإعلامي مما أدى إلى نوع من التشظي المعرفي الذي عقّد مهمة مختلف الفاعلين والمتدخلين، مما يطرح مفهوم الأمن المعرفي الديني؛
- هناك ارتفاع في المعتقدات واعتزاز بالهوية الدينية، وبالمقابل هناك توتر في السلوكات والقيم الأخلاقية؛
- يحاول الفاعل الرسمي ضبط الحقل الديني، لكن فعله كان غير كاف وهو ما تجلى في أحداث 16 ماي 2003 وفي الحركات الاجتماعية الشبابية، مما دفعه إلى اللجوء إلى استراتيجية جديدة لتدبير الحقل الديني تشمل جوانب أوسع مثل: البعد التنموي؛ البعد الاجتماعي؛ البعد الإعلامي؛ تشجيع التيار الصوفي لإضعاف التيار السلفي. رغم هذه المجهودات، فإن أثرها يظل محتشما وسط شباب المنطقة المدروسة، وقد يعزى ذلك إلى ضعف السياسة التواصلية مع الفاعلين من مؤسسات المجتمع المدني وضعف التنسيق بين السياسات العمومية؛
- انحصار دور العلماء عند فئة الشباب؛
- ضعف ثقة الشباب في الفاعلين المدنيين وعدم معرفتهم بهذه الحركات وأحيانا التشكيك فيها؛
- التيار السلفي يقدم نفسه كدعوة أقرب إلى الوحي من غيرها؛
- هناك صراع للإرادات بين الفاعلين الدينيين الرسميين وغير الرسميين؛
- اهتمام فئة الشباب بالقناة الدينية "محمد السادس" وبالقناة المشرقية "الناس"، وهي بعض نتائج إصلاح الحقل الديني. لكن بالموازاة، هناك تماه مع خطاب "الدعاة الجدد"، مثل محمد حسان وعمرو خالد، مع انحسار الاهتمام بالدعاة المغاربة وهو ما يعكس أزمة نماذج في منطقة الدراسة وفي المجتمع المغربي؛
- الإعلام الديني، خاصة في شقه الافتراضي، ولّد ما يسمى بالتدين الفردي؛
- مقولة أن التقنية تقتل الدين غير صالحة لتفسير التحولات، فرغم كون الانترنت يذكر بالقيم المادية إلا أن الدين شكل أحد الجوانب الجديدة في علاقته بالعالم الافتراضي.

وقد خلق هذا الأخير هوة بين الفرد والجماعة، وبالتالي يمكن الحديث عن "شخصنة الدين".

❖ **دراسة: «Generation what, arabic countries, Maroc»** [15]

أُنجزت هذه الدراسة باللغة الفرنسية سنة 2019 من طرف الأنثروبولوجي حسن رشيق بتنسيق مع السوسيولوجية Anne Muxel والمتخصصة في علم الإحصاء Céline Mardon، وذلك في إطار برنامج مشترك بين اتحادات إذاعية على المستوى الدولي. تكونت العينة من 1890 من الشباب المتراوحة أعمارهم بين 18 و34 سنة، وقد شكلت الإناث نسبة 54.8% في حين شكل الذكور 45.2%، ويعيش 68.3% من هؤلاء الشباب مع آبائهم، و55.7% منهم مازالوا في طور الحياة الطلابية.

تطرقت هذه الدراسة إلى عدد من المواضيع: التمثلات (حول حياة الكبار؛ المجتمع؛ المستقبل؛ السعادة)؛ المواقف (حول المؤسسات السياسية؛ الحياة الجنسية؛ المساواة بين الرجل والمرأة؛ التحرش)؛ الانخراط السياسي والمدني، وتوصلت إلى النتائج التالية:

- الشباب يتمسكون باستقلاليتهم، سواء حول حرية التفكير؛ حرية العقيدة؛ اختيار الشريك في الحياة الزوجية؛
- الشباب يتميزون من الناحية الاجتماعية والثقافية عن أجيال الكبار، فهم أكثر توجها إلى المستقبل منه إلى الماضي، لديهم ميول نحو تجاوز المعايير والعادات الاجتماعية، وهم أقل محافظة وأقل ارتباطا بقيم الماضي. وترتسم حول الشباب فكرة أنهم يستطيعون أن يكونوا سعداء بدون عائلة، والنجاح في الحياة دون عمل ودون ارتباط عائلي؛
- الشباب متفائلون بخصوص المستقبل، يعتبرون أن حياتهم أفضل من حياة آبائهم وأن حياة الأجيال اللاحقة ستكون أفضل من حياتهم، لكنهم يظلون متشائمين ومتشككين بخصوص بعض القضايا، لاسيما الحقل السياسي الذي يبدو أكثر الميادين إحباطا لهم.

[15] RACHIK. Hassan et MARDON. Céline et MUXEL. Anne, (2019), Generation What? Arabic Countries MAROC, Rapport national, sur le site ; https://ma.generation-what.org/ebook/domains/ma/fr.pdf

وترتبط إحباطات الشباب بأسباب قيمية أكثر منها مادية، لذلك، فالتوترات والنزاعات ستكون قيمية أكثر منها مادية، وكلما تقدم المجتمع ماديا وفكريا كلما ارتفعت نسبة الشباب المحبط التي سيصطدم بها رجال السياسة؛

- بشكل عام هناك ثلاث حقول لدراسة التدين في علاقته مع الشباب: التوظيف السياسي للمرجعيات الدينية؛ ممارسات التدين؛ التمظهرات الجماعية والمنظمة للتدين مثل الجمعيات والطوائف الطرقية الدينية؛
- يحتل المعتقد الديني أهمية وازنة عند الشباب حتى لو لم يكونوا ممارسين، ويعتقد 72% من الشباب كثيرا في دور الدين في تحقيق السعادة. وقد أظهر البحث الوطني حول القيم أن حوالي نصف الشباب يمارسون طقس الصلاة؛
- لم يكن الهدف هو قياس مستوى التدين فقط، بل البحث فيما إذا كان التدين يتم فرضه أم لا، وقد أبرز 80% من الشباب أن ارتداء الحجاب فعل حر وإرادي ولا يجب فرضه، ويعد ذلك مؤشرا على توجه المجتمع نحو الفردانية وشكل من أشكال العلمانية؛
- هناك توجهين للشباب يعبران عن تميز هذه الفئة فيما يخص التدين: التحلل من المعايير (عدم ممارسة الصلاة أو الصوم) وتأويل الدين بشكل مختلف؛
- بالنسبة للشابات المتدينات المثقفات، فارتداء الحجاب يعتبر وسيلة للتميز عن الأمهات والأجيال السابقة اللواتي ترتدين الزي التقليدي المحلي (النكاب أو الملحف)؛
- بالنسبة للشابات اللواتي لا ترتدين الحجاب، فاللباس لا يعبر عن الإيمان؛
- في المغرب، هناك ارتباط عند الشباب بين ثلاث أنماط من الأزياء: النمط التقليدي؛ النمط الديني؛ النمط الغربي. ففي الحياة اليومية مثلا، يمكن أن يلبس الحجاب مع سروال "الجينز" الغربي، وفي المناسبات العائلية يمكن أن يلبس مع "القفطان" التقليدي؛
- نصف الشباب يعبرون أنه يجب فصل الدين عن السياسة؛
- بالنسبة لمصادر المعرفة الدينية، تورد دراسة l'Islam au quotidien أن 68% من الشباب يعتبرون الفضائيات الدينية مصدرا للمعرفة؛

- تم سؤال الشباب عن الأمور التي لا يمكن أن يكونوا سعداء بدونها، فاحتل العمل المرتبة الأولى، إذ عبر الشباب أن العمل يعد أكثر أهمية بالنسبة إليهم من الدين ومن تأسيس الأسرة. كما احتلت ممارسة الجنس أهمية بعد العمل وكانت أهم من علاقات الصداقة والحب، علما أن هذه العلاقات تحتل مرتبة لا بأس بها؛
- عبرت الأغلبية الساحقة من الشباب (87%) أن المجتمع لا يمنحهم ما يحتاجونه لإبراز قدراتهم وإمكانياتهم، وهذا لا يعني أنهم ينتظرون كل شيء من المجتمع، بل على العكس فأغلبهم يعتقدون أن الشباب يجب أن يعتمد على نفسه، إذ عبر 81% منهم على تبنيه للفكرة القائلة: حينما نريد نستطيع quand on veut on peut. مع ذلك، يجب الإشارة إلى أن الشباب يولي أهمية كبيرة لمؤسسة الأسرة؛
- 69% من الشباب يعتقدون أن النظام التعليمي لا يوفر تساوي الفرص، إنما يكرس الفوارق. وقد عبر نصف المستجوبين عن مشاعر سلبية تجاه النظام التعليمي مثل الإحساس بالاحتقار؛
- عبر 78% من الشباب أن كل فرد حر في علاقاته الحميمية إذا كانت بالتراضي؛
- عبرت الدراسة أيضا أن الزواج لا يحتل قيمة كبيرة لدى الشباب، إذ عبر فقط 28 % أنه يعتبر خير دليل على علاقة الحب، في حين عبر 37 % أنه مجرد ضرورة اجتماعية، أما 17 % فعبرت أنه مجرد وثيقة لا تعني شيئا؛
- بخصوص الانتماء إلى الثقافة العربية، عبر 71% عن موقف إيجابي إزاء هذا الانتماء؛
- فيما يتعلق بالسياسة والمؤسسات، عبر فقط 8% عن ثقتهم في السياسة والمؤسسات. كما عبر 89% أن المال هو من يفرض سلطته على السياسة، و أن 47% من رجال السياسة فاسدون، في حين عبر 39% أن رجال السياسة لا يملكون استقلالية في اتخاذ القرار.

❖ **محور "العلاقات الأسرية والتكوين الأكاديمي"، ضمن دراسة: "البحث الوطني حول الشباب"[16]**

- اهتم الجزء الأول من "البحث الوطني حول الشباب" (المشار إليه سابقا والمنجز من طرف المجلس الوطني للشباب والمستقبل سنة 1993) بدراسة العلاقات الأسرية للفئات الشابة، وقد خلص إلى النتائج التالية:
- أبرزت الدراسة أهمية الدور الذي يلعبه تعليم المرأة في نجاح السياسات الديمغرافية بشكل عام وتقليص حجم العائلات بشكل خاص، بالإضافة إلى تطور المستوى الثقافي والتعليمي للأطفال؛
- أهمية الدور الذي تلعبه إقامة الشباب مع آبائهم في تأطيرهم ونقل القيم الروحية والاجتماعية والثقافية بين الأجيال. وفي هذا الصدد، فإن إيجابيات العيش مع الوالدين كمؤشر على متانة الروابط الاجتماعية تتجاوز التأثيرات السلبية لذلك؛
- أهمية مساهمة الشباب في توفير الحماية الاجتماعية لأسرهم بعد التوفر على العمل؛
- الحضور الدائم للعائلة ضمن اهتمامات وانشغالات الشباب.

وقد ركز الجزء الثاني من هذا البحث على دراسة الجانب الأكاديمي، ومن أهم نتائجه:

- ولوج الشباب إلى التعليم ضعيف جدا في العالم القروي، أما في المجال الحضري فصعوبة الولوج تخص الفتيات بشكل أكبر، وذلك بسبب الفقر ومحددات سوسيوثقافية ترتبط بوضعية النساء في المجتمع؛
- 69% من الشباب يعتبرون أن الهدف الأساسي من التعليم هو تعلم الكتابة والقراءة؛ 54% منهم يعتبرون أن الهدف هو الولوج إلى سوق الشغل؛ 43% يعتبرون الهدف هو الولوج إلى المعرفة؛ كما تركز نسبة 34% على تأمين المستقبل؛ أما نسبة 16% فهمّها هو الحصول على دبلوم؛ في حين تسعى نسبة 9% إلى تطوير الوضعية الاجتماعية؛
- 58% من الشباب القروي يغادرون المدرسة قبل الحصول على دبلوم؛

[16] Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir, (1993), Enquête Nationale sur les Jeunes, Volume 1, Relations familiales des jeunes, Rabat.

- نصف الشباب يفضلون الحصول على دبلوم مهني على الحصول على دبلوم الدراسات الأساسية؛
- 42% من الشباب يتجهون نحو الدراسات الأدبية، و37% يتجهون نحو الدراسات العلمية، فيما يتجه 12% منهم نحو القانون والتدبير؛
- المقارنة بين مستوى تعليم الآباء ومستوى تعليم الأبناء يسفر عن توجه واضح نحو التطور في هذا المستوى؛
- 24% فقط يعبرون عن إتقانهم كتابة وقراءة اللغة العربية الفصحى بشكل جيد، 49% يجهلون اللغة الفرنسية؛ فيما 5% منهم فقط يتقنون اللغة الانجليزية؛
- بالنسبة لمعايير اختيار التوجه الدراسي، فنسبة 62% تختار توجهها بسبب الاهتمام بالحقل المعرفي؛ و63% بسبب النقط المحصل عليها؛ أما 17% فبتوجيه من الأطر التعليمية؛ و6% بإكراه من الآباء؛
- نضف الشباب الذين يندمون على اختيارهم الدراسي يبررون هذا الموقف بانسداد الآفاق أمام باقي الشباب من نفس الحقل؛
- المكتبة هي فضاء ضعيف الارتياد من لدن الطلبة؛
- نصف الشباب يعلنون أن أساتذتهم يتميزن بالسلطوية؛
- التأطير الدراسي خارج المدرسة يتم من طرف الأسرة، الأصدقاء، دروس الدعم والتقوية؛
- المشاكل التي يواجهها الشباب خلال حياتهم الدراسية تتمثل غالبا في: شراء الكتب؛ ضعف مصروف الجيب واقتناء الملابس؛ مشكل النقل؛ ضعف المنح المدرسية؛ مشاكل الإيواء والتغذية؛
- ضعف المعلومات وندرة فرص التواصل مع الحقل المهني تجعل الشباب لا يأخذون سوق الشغل بعين الاعتبار خلال فترة تكوينهم؛
- 61% من الشباب المتمدرس يعبرون عن حاجتهم للتكوين التكميلي؛
- من بين الذكريات التي يتم الاحتفاظ بها من الحياة الطلابية: علاقة الصداقة وضغط الدراسة.

❖ **أطروحة: الشباب والقيم، مساهمة في بناء تصنيف لقيم الشباب بمدينة الدار البيضاء[17]**

أنجزت هذه الأطروحة باللغة الفرنسية من طرف الباحث عزيز مشواط سنة 2017 تحت عنوان jeunes et valeurs, essai de construction d'une typologie des valeurs des jeunes casablancais، وسعت إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- الهدف الأول هو الإحاطة بنظام قيم الشباب المتمدرس في مدينة الدار البيضاء والمتراوحة أعمارهم بين 15 و24 سنة.
- الهدف الثاني: هو فهم منطق انخراط الشباب في نظام معين للقيم.
- الهدف الثالث: هو الوقوف عند التوجهات الغالبة في نظام القيم مع تحليل اختيارات الشباب ورؤيتهم للأشياء التي يولونها أهمية كبرى، بحيث تم التركيز على المضمون وعلى بنية أنظمة القيم وليس على سيرورة تشكل القيم.

انبنت هذه الدراسة على فرضيتين أساسيتين:

- الفرضية الأولى: تفترض أن الوضع الحالي لنظام القيم لدى الشباب بمدينة الدار البيضاء يندرج في إطار سيرورة لبروز الشباب المستقل، غير أن ذلك لا يتم بالتحلل من الأطر التقليدية لكن يتم في إطار الاستمرارية، وهو ما يجعل الشباب يوظفون عدة استراتيجيات لتجاوز إكراهات الصراع بين الحداثة والتقليد في حياتهم المجتمعية، مع حرصهم على بناء هذه الأخيرة وفق نمطهم الخاص؛
- الفرضية الثانية: تفترض أن نظام قيم الشباب بمدينة الدار البيضاء لا يجب التعاطي معها حسب التقابل الكلاسيكي بين الشباب الحداثي والشباب التقليدي والشباب المزاوج بين الحداثة والتقليد، ولكن استنادا على خطاطة جديدة تميز داخل كل نظام بين التوجه نحو الذات، التوجه نحو الآخر، التوجه نحو الماضي، ونحو المستقبل. وحسب هذه الخطاطة، تم افتراض أن نظام القيم لدى شباب العينة هو في طور

[17] MECHOUAT. Aziz, (2017), Jeunes et valeurs, essai de construction d'une typologie des valeurs de jeunes casablancais, thèse de doctorat en sociologie, Université Hassan II, Casablanca.

التحول نحو فردانية ترتكز على التفتح في الشخصية وبروز الاستقلالية مع احترام القيم العائلية، الاجتماعية والدينية، وهو ما يقود إلى التنبؤ باتجاه المجتمع نحو بناء حداثته الخاصة.

بناء على هاتين الفرضيتين تمت صياغة الفرضيات الفرعية الآتية:

- كلما تقدم الشاب في السن كلما تزايد توجهه نحو الذات واهتمامه بها؛
- تولي الإناث أهمية أكبر من الذكور للقيم الموجهة نحو الآخر (الأسرة، الأطفال)؛
- يقبل شباب الأحياء الهامشية بشكل أكبر على القيم الجماعية؛
- كلما ارتفع المستوى التعليمي للآباء كلما انخرط الشباب في نظام قيم موجه نحو الإبداع.

وقد جاءت نتائج هذا البحث كالتالي:

- يعتبر أغلب الشباب أن الدين هو القيمة الأكثر أهمية، متبوعا بالأسرة ثم العمل. أما قيم الحرية والصداقة والترفيه فاحتلت موقعا متأخرا؛
- يستنكر الشباب التساهل ويتأسفون على عصر السلطوية؛
- يتأكد الدين كقيمة مهيكلة ومولدة لقيم الشباب؛
- رغم وجود رغبة قوية للفردانية، إلا أنها تصطدم بعوائق أمام تحقيقها، مما يدفع الشباب إلى اللجوء إلى الماضي أو إلى القيم الجماعية، مستخدمين في ذلك القيم الأسرية والدينية.
- يتأرجح نظام القيم لدى الشباب بين إرادة التخلص من القيم التي تحد من استقلاليتهم وتفتحهم والحضور القوى للتنشئة الاجتماعية وقيمها التقليدية؛
- رغم انخراط الشباب في نظام قيم موجه بالدين والتمثلات الميتافيزيفية إلا أن الحداثة والفردانية تظل حاضرة؛
- يوظف الشباب عدة استراتيجيات للتفاوض بشأن فردانيتهم مع تأويل الدين حسب مصالحهم الخاصة؛

- يخضع الشباب لتجاذبات قوية بين الرغبة في الحداثة وبين تمثل مثالي للماضي، وهو ما يؤدي إلى أزمة هوية تؤثر على قيمهم. أمام هذه الأزمة يبحث الشباب عن عدة استراتيجيات، لكن الرابط المشترك بينها هو البحث عن حلول في السفر والحركية.
- يشكل الحاضر الذي يبدو ناقصا ومعيبا قاعدة لإدانة الآخر الذي يسعى إلى تدمير قيمنا عبر نشر قيم مخالفة للحياء؛
- يتم تمثل المستقبل بشكل إيجابي إذا تم التمسك بنموذج الماضي؛
- تواجه الفتيات صعوبة في التخلص من الأشكال التقليدية للفعل، وهو ما يترجم بشعور بالاستيلاب والتقيد بالعادات والتقاليد، من هنا، كان العمل وسيلة من وسائل تحقيق الذات والتفتح. وقد عبرت عدة فتيات أن الزواج لا يشكل لهن أهمية قصوى، كما أنهن يعتبرن أن العذرية مازالت تعتبر ضرورية وأن السلطة يجب أن تكون في يد الرجل؛
- الاتجاهات الأربع للقيم التي تم اقتراحها في الخطاطة تتداخل فيما بينها.

2- تحديدات مفاهيمية

أفضى التراكم السوسيولوجي الذي اطلعتُ على نصيب منه إلى حصر المفاهيم المركزية المؤسسة للنواة الصلبة التي انبنى عليها هذا البحث. وفيما يلي أقدم تحديدات لهذه المفاهيم بشكل مركّز، على أن أتناولها لاحقا في مواقع أخرى من هذا العمل بشكل مفصّل كما وردت عند مختلف الباحثين الاجتماعيين.

2-1 مفهوم الثقافة

تُميّز معاجم الكثير من اللغات في تعريفها لمفهوم الثقافة بين بعدين: الثقافة الفردية كبناء يرتبط غالبا بالجانب المعرفي والفكري للشخص، والثقافة الجماعية كعناصر مشتركة تميّز مجموعة بشرية عن أخرى. يشكل هذا البعد الجماعي لمفهوم الثقافة موضوع علم الاجتماع، على اعتبار أن هذا العلم يهتم أساسا بما هو جماعي ومشترك. وحينما يهتم البحث السوسيولوجي بالبعد الشخصي، فإن ذلك يندرج في إطار دراسته في سياق مجتمعي sociétal.

في إطار هذا المعنى الجماعي، من المهم جدا أن أميز في مفهوم الثقافة بين مستويين أساسيين: مستوى شمولي ومستوى تخصيصي، وترجع أهمية هذا التمييز في كونه عنصرا بنيويا يخترق مجمل محاور هذا البحث. يتصف المستوى الأول بطابعه الفضفاض، الملتبس والمعقد، فلا غرابة إذن إن أحصى الانثروبولوجيان ألفرد لويس كروبر Alfred Louis Kroeber وكلايد كلوكهون Clyde Kluckhohn سنة 1952 أكثر من 150 تعريفا للثقافة.

لذلك، سأعتمد في هذا البعد على التعريف الشهير للأنثروبولوجي الإنجليزي إدوارد بورنيت تايلور Edward Burnett Tylor والذي يتقاطع في شموليته مع التعريف الفلسفي لمفهوم الثقافة (أي كل ما هو مختلف عن الطبيعة). يعرّف تايلور الثقافة على أنها: "كل مركب يشتمل على المعارف، المعتقدات، الفنون، الأخلاق، القوانين، الأعراف وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين".

صاغت منظمة اليونسكو تعريفا يقترب من تعريف تايلور واعتبرت أن الثقافة هي: "جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته وتجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة بالعقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها يهتدي إلى القيم ويمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته (كمشروع غير مكتمل) وإعادة النظر في إنجازاته والبحث عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه".

إن هذا الكل المركب الذي تحدث عنه تايلور يؤثر بشكل عميق في حياة الأفراد والتنظيمات والمجتمعات، لذلك يصفه الأنثروبولوجي وعالم النفس الاجتماعي الهولندي جيرت هوفستيد Geert Hofstede بكونه برمجة ذهنية جماعية خاصة بمجموعة بشرية معينة. من هذا التعريف العام التايلوري الذي يحتوي مجموع مناحي الحياة المجتمعية يتفرع البعد التخصيصي لمفهوم الثقافة والذي يشمل على وجه الخصوص الفنون والآداب والتراث الثقافي.

2-2 بين مفهومي الممارسة الثقافية والفعل الثقافي

تعددت المقاربات حول مفهوم "الممارسة الاجتماعية" في التراث السوسيولوجي وتنوعت حسب المشارب الفكرية. لذلك، اخترتُ التركيز على إسهام السوسيولوجي الفرنسي بيير بورديو الذي اشتهر بهذا المفهوم مثلما اشتهر بباقي عناصر جهازه المفاهيمي. لكن قبل بورديو، تناول ماركس هذا المفهوم في إطار فلسفة البراكسيس Praxis التي تروم فهم المجتمع وتحويل بنيته تحقيقا لرهانات المشروع الشيوعي، وهي فلسفة البراكسيس ذاتها التي تبناها المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي لكن على طريقته.

سعت نظرية الممارسة عند بيير بورديو لإرجاع القيمة لدور الفاعل الاجتماعي بعد أن همشته النظرية البنيوية واختزلته في كونه مجرد نتاج للبناء الاجتماعي خاضع لمبدأ الحتمية الاجتماعية ومجرد من الوعي والفعل القصدي. يركز هذا السوسيولوجي الفرنسي على

علاقة البناء الاجتماعي بالفاعل، ورغم أن هذا الأخير خرج من رحم البنية إلا أنه يشارك باستمرار في إعادة إنتاج بنائها، مع احتمال قدرته على تغيير هذا البناء إن توفرت الشروط اللازمة لذلك.

إن نتيجة الممارسات التي يقوم بها الفاعل تتحدد بالنظر إلى مجموعة من العوامل أهمها الحقل الاجتماعي والموقع فيه، بالإضافة إلى ما استدمجه الفاعل من هابيتوس وما يتوفر عليه من رساميل. هكذا، وفي سياق علم دراسة الممارسة praxéologie، تتمظهر توفيقية بورديو في تجاوز التقابل الذي يعتبره زائفا بين الذاتية والموضوعية. ومثلما قارن دوركايم بين المجتمعات التقليدية القائمة على التضامن الآلي والمجتمعات الحداثية القائمة على التضامن العضوي، كذلك ميّز بورديو من جهة أولى بين مجتمعات "تقليدية" تتصف برتابة الممارسات السوسيوثقافية وضعف تنوعها مع إنتاج بنى عقلية قائمة على عقيدة "الدوكسا" Doxa، ومن جهة ثانية ميّز مجتمعات "متطورة" تختص بتنوع الممارسات الاجتماعية والثقافية وسرعة تغيرها كنتيجة لديناميات البنى العقلية.

استنادا إلى إسهام بورديو وأنتوني جيدنز Anthony Giddens وبرونو لاتور Bruno Latour وآخرون، تناولتْ نظريات اجتماعية أخرى (مثل "نظرية الممارسات" التي تطورت منذ نهاية سنوات التسعينات بالدول الاسكندنافية والانكلوساكسونية) مفهوم الممارسة السوسيوثقافية من منظور آخر يركز على الاستهلاك والاعتياد الروتيني على أنشطة معينة كالممارسات الغذائية؛ الممارسات الرياضية؛ ممارسات الموضة؛ وكذلك الممارسات الثقافية المتمثلة على وجه الخصوص في الممارسات الفنية والأدبية والتراثية، والتي تتناسب والمعنى التخصيصي لمفهوم الثقافة في هذا البحث.

في سنة 2002، عرّف الباحث الثقافوي الألماني أندرياس ريكفيتز Andreas Reckwitz مفهوم الممارسة بكونها نمطا من السلوك الروتيني الذي يتشكل من مجموعة من العناصر المترابطة فيما بينها والتي تتكون من: أشكال من الأنشطة الجسدية؛ أشكال من

الأنشطة الفكرية؛ مجموعة من الأشياء واستخداماتها؛ معارف أساسية مكونة من إدراكات وخبرات وحالات عاطفية ومحفزات[18].

تأسيسا على كل ما تقدم، يتبين التداخل بين مفهومي الممارسة والفعل الاجتماعيين، فإذا كان مفهوم الفعل عند ماركس يحيل على رهان تغيير الواقع، فإن بورديو يتناول كلا من الممارسة كاستهلاك وأنشطة اعتيادية وفي نفس الوقت قد تتحول الممارسة إلى فعل اجتماعي يروم تغيير الواقع إن تحققت الظروف المناسبة للفاعل الاجتماعي. في حين، تركز نظرية الممارسة (التي ذكرت أنها تبلورت بالدول الاسكندنافية والانكلوساكسونية) على مفهوم الاستهلاك والاعتياد كمحلّل analyseur لفهم الواقع الاجتماعي.

أما بالنسبة لي، فالتحديد الإجرائي الذي أتبناه في هذا البحث هو اعتماد مفهوم "الممارسة" حينما يتعلق الأمر بالاستهلاك والاعتياد على أنشطة ثقافية معينة تمارس في الحياة اليومية، وهو التردد الذي يؤدي إلى عمليات للبرمجة الثقافية بالمعنى الشمولي (كقيم ومعايير ومنطق للتفكير وغير ذلك)، وهنا يبرز التداخل بين هذين المستويين من مفهوم الثقافة. في هذا الإطار، تندرج أيضا عناصر الحقل الثقافي بالمعنى التخصيصي والمشكّلة من: المؤسسات والتنظيمات الثقافية وما تقدمه من عرض الثقافي l'offre culturelle؛ تجهيزات الثقافية؛ سياسات ثقافية، اقتصاديات الثقافة؛ الخ.

في مقابل ذلك، أعمد إلى توظيف مفهوم "الفعل السوسيوثقافي" عندما يرتبط السياق بعملية التدخل من أجل المشاركة في البناء أو المقاومة أو التأثير في الواقع سعيا لإحداث التغيير. بعبارة أخرى، فإنني أحمّل مفهوم "الفعل" دلالة أكثر إيجابية من تلك التي ينطوي عليها المعنى الاستهلاكي لمفهوم الممارسة.

[18] DUBUISSON-QUELLIER. Sophie et PLESSZ. Marie, « La théorie des pratiques », *Sociologie* [En ligne], N°4, vol. 4 | 2013, mis en ligne le 28 janvier 2014, URL : http://journals.openedition.org/sociologie/2030

3-2 مفهوم التنظيمات الجمعوية

إستلهم المشرع المغربي تعريف الجمعية من القانون الفرنسي لسنة 1901، وقد ورد في الفصل الأول من الظهير الشريف رقم 1.58.376 الصادر بتاريخ 16 جمادى الأولى 1378 (27 نونبر 1958) والمنشور بالجريدة الرسمية عدد 2404 مكرر أن الجمعية هي: "اتفاق لتحقيق تعاون مستمر بين شخصين أو عدة أشخاص لاستخدام معلوماتهم أو نشاطهم لغاية غير توزيع الأرباح فيما بينهم. وتجرى عليها فيما يرجع لصحتها القواعد القانونية العامة المطبقة على العقود والالتزامات"[19]. بهذا الطابع غير الربحي وبهذا التركيز على المصلحة العامة، تختلف الجمعية عن المقاولة والتعاونية.

إن الكشف عن مرجعيات مفهوم الجمعية يتطلب تعزيز هذا التعريف القانوني بتأصيل سوسيولوجي وفلسفي، فقد اعتبر الفلاسفة منذ أرسطو وحتى فلاسفة العقد الاجتماعي عملية التجمع أو الاجتماع أو الجمعية أصلا للمجتمع المدني (الذي كان يقصد به المجتمع السياسي)، وتعد هذه العملية سيرورة تاريخية للانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة التمدن[20].

بعد أن نظر هيجل إلى المجتمع المدني كحيّز مستقل يستوعب مصالح الأفراد وتلتقي فيه مصالحهم من خلال علاقات السوق، ربط أليكسيس دوتوكفيل مفهوم الجمعية بالديمقراطية وعرّفها بكونها "تعاون بين مجموعة من الناس رغم اختلافهم في السن والعقلية والثروة، إنها تقرّب بينهم وتخلق اتصالا بينهم، وتعلمهم كيف يجعلون إرادتهم في خدمة إرادة الآخرين، وعلى جعل جهودهم الخاصة في خدمة الصالح العام"[21].

وقد اعتبر صاحب كتاب "الديمقراطية في أمريكا" أن كثرة الجمعيات دليل على عافية المجتمع من حيث أنها فضاء لتطوير الممارسة الاجتماعية ولتحمل المسؤوليات والوعي بالارتباطات الاجتماعية المتبادلة التي هي ليست فقط أفضل حماية ضد تعسفات السلطة،

---

[19] Sur le site : http://adala.justice.gov.ma/production/html/Ar/159643.htm

[20] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس. ص. 143

[21] المرجع نفسه، ص. 142

وإنما أداة لتحقيق التنمية ما دامت أهمية الحكم الديمقراطي لا تكمن فيما يقوم به بقدر ما تكمن في ما يدفع إلى القيام به[22].

فيما يخص دوركايم، فقد اعتبر الجمعية نتاج سيرورة اندماج متوال للأفراد داخل هذا التنظيم، وذلك في إطار تطور المجتمعات من بنية "تقليدية" إلى بنية "حداثية" قائمة على التضامن العضوي. لم يقصد دوركايم من خلال تعريفه للجمعية ما نقصده بها في الوقت الراهن، بل كان يعني أشكال مستحدثة من التنظيم ينخرط فيها أفراد ذوي توجهات جديدة تختلف عن التوجهات الاجتماعية أو السياسية التقليدية، من بينها النقابات والتعاضديات[23]، في حين أن التصور الأقرب لما نقصده حاليا بالجمعيات هو الذي ورد عند توكفيل في نموذج الجمعيات الأمريكية.

يتجلى الحضور الفيبري في تحديد مفهوم الجمعية في اعتبارها كتنظيم اجتماعي، ويعرف دنيس سغرستن Denis Segrestin هذا التنظيم بكونه تجمع مستقل خُلق بشكل إرادي للتنسيق بين مجموعة من الأدوات بالشكل الأفضل لتحقيق هدف معين. ويرد في تعريف بارسونز أن التنظيمات لها أيضا حاجات معينة ومتطلبات وظيفية إلى جانب ضرورة امتلاكها أبنية توافقية تمنحها إمكانية التكيف مع المحيط الخارجي[24]. ويعتبر روبرت فورد Robert Ford أن الإجابة عن ثلاثة أسئلة تخص التنظيم كفيلة بالكشف عن أهم خصائصه، وهي: من هي الجماعة الإنسانية التي تشكل التنظيم؟ كيف ولماذا اتصل أعضاء هذه الجماعة ببعضهم البعض؟ وما الهدف الذي يرغبون في تحقيقه؟[25].

يرى السوسيولوجي فوزي بوخريص أن وجود الجمعيات لم يمثّل في الماضي ضرورة ملحة بالنسبة للمجتمع قياسا مع التنظيمات الاستراتيجية الأخرى. لكن مع تعقد المجتمعات الحديثة، أصبح إنشاء الجمعيات يعبّر عن هذا التعقد ويستهدف تجاوز الاختلالات التي

---

[22] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس. ، ص. 141

[23] شريكي. هناء، (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط. ص. 263.

[24] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس. ص. 49

[25] طلعت. إبراهيم. لطفي، (2007)، علم اجتماع التنظيم، الطبعة الأولى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص.23

يطرحها بالنسبة للمواطنين. بعبارة أخرى، لم يعد يمثّل تأسيس الجمعيات ترفا، بل ضرورة اجتماعية تطمح إلى ملء الفراغ الذي تتركه تدخلات الفاعلين العموميين أو نتيجة لمحدودية تلك التدخلات.

مثلما أشار إلى ذلك السوسيولوجي محمد جسوس عند تناوله للمجتمع المغربي، فإن أهمية الجمعيات اليوم تبرز بشكل جلي في ظل الظروف "الباتولوجية" التي تعرفها البلاد نتيجة لبرنامج التقويم الهيكلي، وفي ظل العجز العام الذي بدأت تعرفه العديد من المؤسسات الاجتماعية العمومية في تغطية الحاجات الأساسية للمواطنين. ذات الفكرة تؤكد عليها السوسيولوجية فاطمة المرنيسي التي اعتبرت أن أجيال ما بعد التقويم الهيكلي وجدت نفسها مطالبة أكثر من غيرها بتحمل مسؤولياتها كاملة في الانخراط في تدبير الشأن العام عبر تأسيس جمعيات حكومية، والأكثر من ذلك أن هذه الأجيال مطالبة بالخلق والإبداع. وتعتقد الباحثة أنه لا ينبغي أن ينصب النقد دائما على أداء الدولة لوحدها، بل إن المواطن يتحمل أيضا مسؤوليته فيما يحدث لأنه أصبح اتكاليا و"بكائيا" حسب تعبيرها ويراهن بشكل مطلق على الدولة، في حين أن أسلافنا كانوا يتعبؤون ويبادرون في استقلال عن الدولة[26].

تختلف أهداف الجمعيات بحسب توجهاتها، إذ تعتبر ميشيل كاسرييل Michèle Kasriel أن الجمعية قد تشير إلى ما هو عام أو على العكس إلى ما هو خاص ونوعي مثل جمعيات الأحياء[27]، وهناك جمعيات تتشكل حول هوية ثقافية أو هواية معينة ولا تعبر صراحة عن إرادة التأثير[28]. ولعل تنوع مستويات التدخل جعل الباحث برنار أنجولرا يتحدث عن تعدد منطق الفعل الجمعوي، حيث يقول إنه يمكن إدراك الجمعية كشكل مؤسسي قائم على التوفيق بين عدة أشكال من منطق الفعل، يمكن تحديدها كما يلي: منطق تجاري مرتبط

[26] MERNISSI. Fatema, (2003), Les Ait Débrouille – ONG Rurales du Haut Atlas, 3ème édition, Edition de Poche, Marsam, Rabat, p. 56.

[27] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.ص. 142

[28] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس. ص. 7

بالسوق كآلية تضمن استقرار وتوازن المصالح المتضاربة، ومنطق منزلي يقوم على الثقة، ومنطق تضامني يتأسس على مبدأ التبادل، ومنطق إداري يحيل على مبادئ الصالح العام[29].

4-2 مفهوم الشباب وثقافة الشباب

طُرحت إشكاليات جمّة بين العلوم الاجتماعية في محاولة لتعريف مفهوم الشباب، وقد رفع بيير بورديو من سقف هذا الجدل بإعلانه أن الشباب ليس سوى كلمة la jeunesse n'est qu'un mot، مما أسال الكثير من المداد بين تحليل وتأييد ونقد. استند بورديو في أطروحته هاته على صعوبات التحديد العمري لمرحلة الشباب، نظرا لطابع النسبية الاجتماعية الذي تتميز به هذه المحطة من حياة الفرد. نتيجة لذلك، فالحدود بين الفئات العمرية هي ذات طبيعة اعتباطية، إذ لا تدقّق أين تبدأ مرحلة الشباب وأين تنتهي، نظرا لكونها نتاجات اجتماعية ترتبط بالسياق الزمكاني المتغير من مجتمع إلى آخر. هكذا، يُنتج كل مجتمع تعريفه الخاص بالشباب وتمثلات اجتماعية متفرّدة. لنفس السبب، تظل الإشكاليات المرتبطة بالشباب متباينة بين السياقات المجتمعية.

رغم هذه الصعوبة، يقترح السوسيولوجي الفرنسي جيرار موجي Gérard Mauger تعريف الشباب بكونه المرحلة العمرية التي يتم فيها الانتقال المزدوج من الحياة الطلابية إلى الحياة المهنية ومن العيش في ظل المنشأ الأسري إلى بناء أسرة جديدة، وهو ما يسمى من طرف بعض الباحثين ب"الدخول في الحياة". من جهتي، أختلف مع هذا التوصيف على اعتبار أن الحياة المجتمعية لا تبدأ إلا حينما يصير الفرد منتجا من الناحية الاقتصادية ومستقلا من الناحية الأسرية، بل إن الفرد يندمج في سياقه الاجتماعي (وقد يؤثر فيه بشكل رئيسي) قبل هذه المرحلة الانتقالية بوقت طويل.

في خضم أبحاثه حول سوسيولوجيا الشباب وتناوله لموضوع الأجيال، حدد جيرار موجي ست خصائص لوضعية الشباب، وهي:

- مراكمة مختلف أنماط الرساميل الاقتصادية؛ الثقافية؛ الاجتماعية، الخ؛

[29] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، ص. 142

- ❖ اكتساب استقلالية نسبية في العلاقة بالعائلة مع استمرارية الارتباط المادي بها؛
- ❖ عدم استقرار المكانة الاجتماعية نتيجة التوسط بين وضعية الطفولة ووضعية النضج؛
- ❖ التذبذب بين وضعية النشأة الاجتماعية الأصلية والوضعية الاجتماعية اللاحقة؛
- ❖ التعرض للتصنيف الاجتماعي والوصم في حالة عدم التموقع ضمن وضعية اقتصادية قارة ووضعية زواجية مستقرة؛
- ❖ تبلور أشكال الهابيتوس بعد الاندماج في سوق الشغل وتأسيس أسرة، وهو ما يفرض تعديل بعض الاستعدادات والتكيف مع الوضعيات الجديدة.

فيما يخص التعريف الإجرائي الذي أصوغه حول ثقافة الشباب، فإنني أستند على التمييز الذي قدمتُه سابقا حول مفهوم الثقافة لأفرق بين ثقافة الشباب حسب المعنى الشمولي لمفهوم الثقافة (أي ما تحمله من قيم؛ تمثلات؛ أعراف؛ معايير؛ منطقيات للفعل؛ الخ) وبين ثقافة الشباب حسب المعنى التخصيصي (كالأنماط الموسيقية للشباب ومختلف إبداعاتهم وممارساتهم). على هذا النحو، يمكنني التمييز بين ثقافة الشباب والشباب في الثقافة.

3- إشكالية البحث، الأسئلة الكبرى، الفرضيات والأهداف

بعد تحديد المفاهيم المركزية، تشكّل لديّ سؤال الانطلاق على النحو التالي: "هل يمكن الحديث عن ثقافة خاصة لدى الشباب المغربي داخل التنظيمات الجمعوية ؟". على إثر القيام ببحث استكشافي والتقدم في المراحل اللاحقة للبحث، تبلور السؤال الإشكالي على الشكل التالي: "ما هو منطق الفعل المتحكم في الممارسات السوسيوثقافية لكل من الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية؟ وهل تتميز ثقافة هذه الفئة الاجتماعية بمنطق القطيعة والإبداع أم بمنطق الاستمرارية والإتباع؟". عن هذا السؤال المركزي، تفرعت الأسئلة الكبرى التالية:

1- ما هي أبرز خصائص ولوج الشباب للتنظيمات الجمعوية؟ وأي رهانات ذاتية يحققها الشباب من خلال الفعل الجمعوي؟

2- ما هي الرهانات الثقافية التي يستهدفها كل من الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية؟ وكيف يتم استثمار الفعل الثقافي للمساهمة في تنمية حقول مجتمعية أخرى؟

3- كيف تعمل التنظيمات الجمعوية على توفير الرساميل البشرية والمادية اللازمة لتحقيق رهاناتها؟ وما هي استراتيجياتها في تجاوز نقص هذه الموارد؟

كإجابة مؤقتة عن الأسئلة السابقة، قمت بصياغة الفرضية العامة التالية: "أفترض أن الفعل السوسيوثقافي للشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية يرمي إلى التجديد الثقافي ويسعى إلى المساهمة في بناء مشروع مجتمعي حداثي في ظل سياق يتسم بمقاومة الإكراهات عبر مجموعة من الاستراتيجيات وآليات التكيف. يعبر منطق الفعل هذا عن ثقافة جيلية خاصة تمتحّ من الحداثة والإبداع، لكن ذلك لا ينفي استمرارية منطق التقليد والإتباع".

من هذه الفرضية المركزية، انطلقت ثلاث فرضيات فرعية بحيث تتناسب كل واحدة منها بالترتيب مع الأسئلة الكبرى للبحث:

1- أفترض أن تأثير الأقران (كأحد مميزات الثقافة الجيلية) يساهم بشكل رئيسي في ولوج الشباب للتنظيمات الجمعوية، وأن الهشاشة الاجتماعية للشباب تدفعهم للسعي إلى تحقيق رهانات مادية؛

2- أفترض أن الرهانات الثقافية للشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية تصب باتجاه تصعيد الفعل الثقافي. موازاة مع ذلك، يتم استثمار هذا الأخير عبر آليات أخرى: الخدمة الاجتماعية، المقاومة السياسية والتنشئة على قيم الديمقراطية؛

3- أفترض أن الفعل السوسيوثقافي للتنظيمات الجمعوية يرتكز على موردين أساسيين: التطوع والدعم العمومي. وموازنة لنقص الموارد، يتم الاعتماد على تقسيم العمل وعلى استحداث مصادر بديلة للتمويل.

يراهن هذا البحث على بلوغ أهداف متعددة، ويمكن إجمال بعضها في النقاط التالية:

- ❖ دراسة تأثير العوامل المؤثرة في ولوج الشباب للتنظيمات الجمعوية والرهانات الذاتية التي تخالجهم في إطار هذا الفعل الاجتماعي؛
- ❖ الوقوف على مختلف أنماط الفعل التي يقوم بها الشباب من أجل البحث عن حضور مجتمعي، ومن بينها: الفعل الاحتجاجي ووسائل المقاومة، آليات البحث عن الاعتراف والتميز، وسائل التعبير، الخ، فلطالما تم التعامل مع هذه الفئة بأسلوب الإقصاء ولطالما نُظر إليها على أنها تفتقر للخبرة والنضج، سواء كان ذلك من طرف المحيط العائلي أو من طرف باقي المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية، مما يؤدي بها إلى ردود أفعال تختلف بين السلبية والايجابية؛
- ❖ دراسة أنماط الحداثة وأشكال التقليد عند فئة الشباب، خاصة أنها أكثر الفئات انفتاحا من الناحية الثقافية وأكثر نزوعا نحو الإبداع والتجديد الفكر النقدي؛
- ❖ تناول الرهانات المجتمعية التي يرمي إليها كل من الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية في سبيل المساهمة في تحقيق التغيير المبتغى؛
- ❖ الكشف عن كيفية تأهيل التنظيمات الجمعوية للشباب برساميل وتجارب حياتية لا تكتسب عادة في مؤسسات اجتماعية أخرى كالمدرسة أو الأسرة؛
- ❖ التطرق إلى وضعية الممارسات الثقافية والحقل الثقافي بالمغرب وما يكتنفها من إشكاليات؛

❖ التطرق إلى سياقات إنتاج الفعل الثقافي ضمن إطار العينة والوقوف على الاستراتيجيات والرساميل والإكراهات.

4- الإطار المنهجي

إن الإطار المنهجي الذي اخترته لإنجاز هذه الدراسة هو المنهج التكاملي la méthode mixte، ويسمى أيضا المنهج التوليفي أو المنهج التوفيقي، وقد وقع اختياري عليه نظرا للاعتبارات التالية:

أولا، إن تأملي في التسميات الثلاث "التكامل، التوليف، التوفيق" جعلني أرى أبعادا إيجابية في دلالتها، فمصطلح "التكامل" يحيل على التضامن العضوي وموازنة النقائص. أما مصطلح "التوليف"، فيحمل معنى التأليف والإبداع الناتجين عن عملية البناء وإعادة البناء، مما يسهل انتقاء نقاط القوة من كل نموذج بحثي. في حين، تفترض دلالة "التوفيق" وجود صراع تولّد عنه وضع جديد، ما يذكر بالنموذج الهيجلي حول الأطروحة والأطروحة النقيض ثم التركيب la thèse l'antithèse et la synthèse، ويتعلق الأمر هنا بصراع المناهج والنظريات في العلوم الاجتماعية، وهو الجدل الذي أرى فيه تنوعا خلّاقا للإبداع والديناميات والتطور.

ثانيا، لاحظتُ أن عددا من النظريات الاجتماعية تركز في دراستها للواقع المجتمعي على منظور واحد، فمنها من ركزت على البعد الوظيفي، ومنها من ركزت على الصراع، أو على البنية، أو على الفعل أو على التفاعل، الخ، علما أن كل نظرية لا تخلو من عيوب وثغرات. وحيث أن الوجود الاجتماعي مركب من عدة أبعاد ويتميز بخاصية التعقيد، فقد ارتأيت أن الخيار الأنجع هو الاستفادة من المنظورات والأبعاد التي جاءت بها كل نظرية، عوض الاعتماد على مقاربة نظرية بذاتها، كمن يحاول تفسير ظاهرة ما بسبب وحيد دون اللجوء لتحليل متعدد العوامل analyse multifactorielle. وجدير بالذكر أن التوجهات العلمية المعاصرة أصبحت تتجاوز صراع المناهج والنظريات نحو التكامل والتلاقح، وهو ما يتمظهر في تشكيل فرق البحث التي أصبحت تتميز بتعدد التخصصات la multidisciplinarité.

بالمقابل، فإن الإطار النظري الوحيد (الذي غالبا ما يكون أقرب إلى إيديولوجية الباحث) قد يميل بهذا الأخير إلى التحيزات الفكرية وإلى الدغمائية، وبهذا يصبح الباحث دائم

البحث عما يسنده من خلال إطاره النظري، مما قد يقوده إلى الانسياق وراء الالتفافات لتأكيد موقفه وصحة إطاره النظري. بمعنى آخر، تصبح الممارسة البحثية شكلا من أشكال العصبية الفكرية، في حين أن الواقع معقد بتعدد وتداخل الأبعاد وكل بعد يستدعي مفهوما له حمولة نظرية معينة. في هذا السياق، تبدو رؤية السوسيولوجي الأمريكي روبرت ميرتون كينغ أقرب إلى الصواب، حيث دعا إلى اعتماد النظريات المتوسطة المدى عوض الارتكان إلى النظريات الكبرى ذات النزعة الشمولية.

ثالثا، يتيح المنهج التكاملي الانفتاح على مقاربتي البنية والفعل على السواء والاستفادة من مزايا كل منهما، على غرار ما قام به بيير بورديو المعروف بتوفيقيته. وأعتقد أن الجمع بين هاتين المقاربتين مناسب جدا لدراسة المجتمعات التقليدية المنخرطة في تجربة التحديث مثل نموذج المجتمع المغربي، ذلك أن تأثير البنى التقليدية مازال صلبا وينزل بثقله القوي في التأثير على الواقع الاجتماعي.

لكن بالمقابل، ومع تزايد عولمة النمط الليبرالي، يدفع الذيوع المطرد لقيمة الحرية الأفراد إلى المحاولات الدائمة لمقاومة إكراهات البنى التقليدية من أجل التحرر منها بشكل كلي أو التحايل عليها حسب الظروف أو التكيف معها للتخفيف من وطأتها، ويترتب عن ذلك مجموعة من الاستراتيجيات المتضاربة (حاولتُ تسليط بعض الضوء عليها بتخصيص مبحث خاص بها)، وهو ما يفرز مجتمعات نزاعاتية conflictuelles أو بمعنى آخر مجتمعات الثنائيات الضدية des sociétés dualistes.

في إطار هذا التوفيق بين مقاربتي البنية والفعل، أخذتُ من جهة أولى بنظرية بيير بورديو وجيرار موجي، وأخذت من جهة ثانية بنظرية الفردانيين من أمثال برنار لاهير Bernard Lahire وفيليب كولانجون Philippe Coulangeon اللذان ركزا على البعد التعددي للذات الفاعلة. وقد ركزت في التحليل بشكل مهم على السياق الاجتماعي، سواء خارج الجمعية أو داخلها من حيث أنها هي ذاتها سياق للفعل، وتبين لي من خلال البحث الميداني كيف أن السياق يمكن أن يعدّل من الهابيتوس، ومن الأمثلة على ذلك أن فئة من الشباب الخجولين تغيرت شخصياتهم، وهو ما انطبق على جوانب ثقافية أخرى.

رابعا، يمكن أن يتيح لي المنهج التكاملي إمكانية الاشتغال على ثلاثة أبعاد حددتها طبيعة الموضوع، وهي: سوسيولوجيا الثقافة من حيث أنني تطرقت إلى منطق الفعل السوسيوثقافي؛ ومن جانب آخر سوسيولوجيا التنظيمات على اعتبار أن الجمعيات كتنظيمات اجتماعية هي بيئة حاضنة لهذا الفعل السوسيوثقافي؛ وكذلك سوسيولوجيا الشباب باعتبار مجتمع الدراسة.

خامسا، انعكس هذا التكامل المنهجي أيضا على مستوى مقاربات البحث وأدواته من خلال الجمع بين المقاربة الكمية والكيفية، وبالتالي الجمع بين أدوات البحث التي عُرفت بها كل منهما. هكذا وظفتُ في جمع المعطيات كلا من الاستمارة؛ المقابلة؛ السيرة الذاتية؛ الملاحظة؛ الملاحظة بالمشاركة (تجلت هذه الأخيرة في من الحضور إلى الأنشطة الثقافية الإشعاعية والأنشطة الجمعوية الداخلية).

يراهن المنهج التكاملي على التوفيق بين المقاربتين الكمية والكيفية بعد الصراع التاريخي الذي لازمهما منذ بداية إرساء دعائم علم الاجتماع، وهو بذلك يسعى إلى الاستفادة من مزايا هاتين المقاربتين وتجاوز حدودهما. فمن جهة أولى، تعمل المقاربة الكمية على دراسة الظاهرة عبر أكبر امتداد ممكن لها، مما يساعد على تصور حجمها. بهذا، تروم المقاربة الكمية التوصل إلى قوانين اجتماعية قابلة للتعميم.

بالمقابل، يعيب النقاد على المقاربة الكمية عددا من نقاط الضعف، من قبيل:

- ❖ طابع السطحية وعدم القدرة على النفاذ إلى عمق تحليل الموضوع؛
- ❖ ضعف صدقية الأجوبة في البحث بالاستمارة نظرا لمجموعة من العوامل: عدم فهم السؤال جيدا أو التأويل الذي قد تحتمله بعض الأسئلة؛ نزوع بعض المشاركين في البحث إلى الإجابة بما يفترض أن يكون عوض الإجابة بما هو كائن، وهو ما قد يعتبر نوعا من النفاق العلمي. ويمكن أن يحدث هذا السلوك بسبب الشعور بالإحراج من بعض الأسئلة أو بسبب التخوف من الإجابة، نظرا لوجود تمثلات معينة حول وظيفة الباحث الاجتماعي.

- ❖ لا يسمح البحث بالاستمارة من رصد التواصل غير اللفظي الذي قد يصدر عن المشارك في البحث مثل الايماءات والترددات، علما أن هذا التعبير الجسدي هو في حد ذاته نوع من الأجوبة حتى إن لم يتم الإدلاء بها بمنطوق صريح.
- ❖ الميل اللاشعوري أو ربما بشكل واع لتكييف منطق البحث مع الأطر النظرية والإديولوجية، كمن يقوم بليّ عنق الواقع استجابة للأعراف النظرية والنتائج البحثية المحددة والمعممة سلفا، وهو ما شأنه توجيه نتائج الدراسة بشكل يؤثر في مصداقيتها.

ومن جهة ثانية، تسمح تقنيات البحث الكيفي بدراسة الموضوع باتجاه عمودي نحو العمق، وتكشف للباحث واقعا ميدانيا قد لا يكون متوقعا في الفرضيات أو متناولا في الدراسات السابقة، وهو ما ركزت عليه مثلا النظرية المجذّرة Grounded Theory التي لاقت استخداما واسعا في السوسيولوجيا الأنجلوساكسونية، حيث أنها تدعو الباحث إلى استبعاد أي تصوّر عن الموضوع وترك الميدان يتحدث عن نفسه ويوجه منطق البحث وخطته.

في هذا الاتجاه، يشار إلى أن بعض الاتجاهات المنهجية أصبحت تدعو إلى إلغاء فرضيات البحث في البحث السوسيولوجي والاكتفاء بالسؤال الإشكالي والأسئلة الكبرى، إذ تصبح الفرضية دون وظيفة تذكر بما أن الميدان سيفرز واقعا جديدا. من جهة أخرى ومن حيث أن الفرضيات هي أجوبة قبلية، فقد يكون لها أثر سلبي على الباحث عبر توجيه رؤيته وحصرها في إطار محدود ومنغلق. مع هذه الاستراتيجيات البحثية، يُمسي من الطبيعي إعادة البناء الإشكالي للموضوع بشكل متكرر تماشيا مع مستجدات الميدان ومع تطور رؤية الباحث لكيفية معالجة موضوعه.

بالمقابل أيضا، تعرف المقاربة الكيفية حدودا، لاسيما على مستوى العينة التي يظل حجمها محدودا مقارنة مع عينة البحث الكمي. وجدير بالذكر أن هذا الفرق يرجع أيضا إلى مراحل تأسس العلوم الاجتماعية، فعلى خلاف استخدام الاستمارة على نطاق واسع في بحوث السوسيولوجيا الوضعية بفرنسا، ارتبط البحث الكيفي بعلم الأنثروبولوجيا (قبل أن ينتقل إلى السوسيولوجيا الأمريكية) التي كانت تدرس مجتمعات محلية في مجال جغرافي

محدود، كما أسس لذلك الانثروبولوجي البولوني برونيسلاف مالينوفسكي. هكذا، فمحدودية عينة البحث الكيفي تبقي نتائجه نسبية ومن الصعب تعميمها على مستوى الماكرو.

تأسيسا على كل ما سبق، أرى أن المنهج التكاملي ليس منهجا لقيطا أو أنه منهج من لا منهج له كما يشاع عنه، بل هو في حد ذاته منهج ونموذج بحثي يراهن على التقائية نقاط القوة في كل منهج، كما يسعى إلى تجاوز الصراعات المنهجية التي لا تخدم البحث الاجتماعي بل تصنع العصبيات الابستيمولوجية بين الباحثين.

5- عينة البحث

5-1 بناء العينة وتمثيليتها

تمثل منطلقي خلال بداية هذا البحث في دراسة الثقافة الجيلية للشباب من مختلف أبعادها. وأثناء قيامي بالأبحاث البيبليوغرافية، اهتديتُ إلى توصية السوسيولوجي الفرنسي المختص في دراسة الشباب جيرار موجي الذي أوصى بضرورة تحديد عينة مركّزة لتناول مفهوم الجيل نظرا لطبيعته الفضفاضة. بناء على ذلك، قررت الاشتغال على عينة شباب الجمعيات الثقافية للكشف عما إذا كان الانخراط في هذه التنظيمات الثقافية يقدم قيمة مضافة لثقافة الشباب. وقد تميز بناء عينة البحث بمجموعة من الخصائص، أوردها فيما يلي:

- ❖ تكونت عينة الدراسة الميدانية من 4 مجموعات بحثية، حيث تم إجراء بحث كمّي عن طريق الاستمارة مع 403 من الشباب الجمعوي و80 جمعية. بعد ذلك، تم القيام ببحث كيفي عن طريق المقابلة وهمّ 22 من الشباب الجمعوي و20 تنظيما جمعويا. جدير بالذكر أن البحث الكيفي تم إجراؤه بالدارجة المغربية من أجل تسهيل التواصل مع المشاركين في البحث والحرص على تلقائيته، ثم قمتُ بترجمة المقاطع إلى اللغة العربية الفصحى أثناء عملية التحرير.
- ❖ ميزتُ في عينة البحث بين فئتين بحثيتين هما: فئة الجمعيات الثقافية وفئة الشباب الجمعوي، وهو تمييز منهجي فقط أملته العوامل التالية:

أولا، هناك شباب يمارس أنشطة ثقافية في الحقل الجمعوي دون أن ينتمي إلى أي جمعية بل ينشط مع عدة جمعيات. لذلك، وجب التمييز بين الجمعيات والشباب لهذا السبب؛

ثانيا: في عدد من الجمعيات كان المكتب المسيّر مكوّنا بشكل كلي من الشباب، لكن في حالات أخرى وهي الأكثر حضورا، تتمازج فئة الشباب مع فئة الكبار داخل التنظيم الجمعوي، مما يخلق رؤيتين مختلفتين تنبغي دراسة كل منهما لرصد أوجه الائتلاف والاختلاف بينهما. على إثر ذلك، قمتُ بهذا التمييز المنهجي من أجل دراسة منطق كل فئة عمرية.

- أثناء تحديد الفئة العمرية التي سأشتغل عليها، قابلتُ تنوعا كبيرا بخصوص تعريفات سن الشباب. وقد خلُصت إلى أن اعتماد فئة عمرية ممتدة سيتيح إمكانية المقارنة بين الاختلافات بين الشباب من حيث منطق الفعل؛ الممارسات الثقافية؛ الإكراهات الاجتماعية؛ الخ، فالظروف الحياتية لمنخرط جمعوي لايزال طالبا تختلف عن ظروف الشاب الحاصل على العمل أو الذي أصبح رب أسرة، ونفس الشيء عند اعتماد مقاربة النوع. هكذا، تكونت العينة من الفئة الشبابية الممتدة من 18 إلى 40 سنة، على اعتبار أن 18 سنة هو السن القانوني بالمغرب التي يتيح إمكانية الحصول على صفة العضوية بالمكاتب المسيرة للتنظيمات الجمعوية، وأن 40 سنة هو الحد الأقصى لسن الشباب.
- نظرا لمجموعة من الإكراهات التي أملتها ظروف الميدان، تم اختيار عينة الجمعيات بشكل عشوائي على طريقة كرة الثلج la boule de neige، إذ كنتُ اطلب من كل جمعية أن تحيلني على شبكة علاقاتها من الجمعيات الأخرى، وحينذاك أقوم بعملية الانتقاء بناء على معيار التنوع من أجل تحقيق تمثيلية جيدة للعينة وسعيا وتطبيقا لمبدأ المقارنة بين عناصر العينة. هكذا، شملت هذه الأخيرة جمعيات وطنية وأخرى محلية؛ جمعيات توصف ب"الكبرى" وأخرى تعتبر من الجمعيات "الصغيرة"؛ جمعيات "ذات ارتباط بالحقل الحزبي" وأخرى توصف ب"المستقلة"؛ جمعيات تشتغل بدور الشباب وأخرى تنشط في فضاءات أخرى أو تتوفر على مقرات خاصة؛ جمعيات غير متخصصة في الفعل الثقافي لكنها تدمجه ضمن استراتيجياتها وأخرى متخصصة في الفعل ثقافي، ويمكن التمييز في هذه الفئة الأخيرة بين جمعيات تتخصص في فعل ثقافي بعينه وأخرى تشتغل على أنماط متنوعة من الفعل الثقافي.

بخصوص هذا المعيار الأخير المتمثل في التخصص أو عدم التخصص، أشير إلى وجود تناسب مع تعريف مفهوم الثقافة التي اعتمدتُه، فالجمعيات غير المتخصصة تتناسب مع المعنى الشمولي لمفهوم الثقافة أما الجمعيات المتخصصة فتمثّل معناه التخصيصي. وقد ارتايتُ أن إدماج الجمعيات غير المتخصصة في الفعل الثقافي (والتي تعتمده مع ذلك ضمن برامجها) سيجلب إثراء للموضوع، فهذا النمط من

التنظيمات الجمعوية يؤثّث الحقل الجمعوي بحضور وازن من منظور كمي (يتجاوز الحضور العددي للجمعيات الثقافية المتخصصة)، وهو ما يطرح ضرورة دراسة الفعل الثقافي لهذه الفئة من الجمعيات، لاسيما أنها تنافس الجمعيات المتخصصة في الدعم المالي المرصود للفعل الثقافي.

- ❖ بعد تفريغ نتائج البحث بالاستمارة، تبين لي من خلال مؤشرات الممارسات الثقافية أن هناك قدرا من الاستيلاب في ثقافة الشباب، وهو ما حذا بي إلى تعديل الرؤية البحثية، حيث أدرجت عينة شبابية جديدة سميتها عينة "الشباب الفاعل جمعويا". كما يدل عليها اسمها، تشكلت هذه الأخيرة من الشباب ذوي الإسهام الجمعوي الفاعل من حيث نوعية الفعل الثقافي أو المشاركة في التدبير، إلخ. وقد كان الهدف من دراسة هذه العينة هو دراسة منطق فعلها والكشف عما إن كان الاستيلاب المرصود سابقا يشملها أيضا.
- ❖ لم أقتصر في الدراسة على إجراء الاستمارات والمقابلات مع النخب المسيرة للتنظيمات الجمعوية فئة، بل شمل ذلك المنخرطين المستفيدين من خدمات الجمعيات أخذا بتوصية ألان تورين القائلة أن دراسة الحركات الاجتماعية لا يجب أن تنحصر على قادتها.
- ❖ من بين المعايير التي اعتمدتها في المقابلات لاختيار عينة الشباب معيار عدم الاستقرار الجمعوي، حيث أن هناك شبابا يمارس العمل الجمعوي مع عدة جمعيات دون أن ينتمي بشكل رسمي لإحداها، تتمثل أهمية إدراج هذه الحالات في الكشف عن منطق الفعل الذي يدفع إلى هذه الرابطة من عدم الاندماج وعدم الالتزام.
- ❖ من بين السمات التي يمكن أن أصف بها العينة التي أجريت معها المقابلة ما يمكن أن أسمّيه ب"التمثيلية الفائضة"، فعدد مهم من المشاركين في البحث لم يتطرقوا فقط إلى واقع الجمعيات التي شكلت عينة البحث، بل تجاوزوا ذلك إلى استحضار تجاربهم السابقة مع جمعيات أخرى. زيادة على ذلك، لم يكتف هؤلاء بتناول تجاربهم الفردية، بل أغنوا المقابلات بتجارب نظرائهم في نفس الجمعية أو في جمعيات أخرى خارج

العينة. بهذا، ساهمت هذه "التمثيلية الفائضة" في تسليط المزيد من الضوء على الحقل الجمعوي الثقافي.

- ❖ فيما يخص مجالات الدراسة، فقد عملتُ على اختيار مجالات حضرية متنوعة تتوزع على مستوى الجهة المدروسة. وقد حرصتُ على انتقاء جمعيات ثقافية تنشط في مجالات عمرانية من مختلف المستويات الاجتماعية، مع إيلاء أهمية خاصة بالمناطق المعروفة بهشاشتها الاجتماعية. وقد عاينت من خلال البحث الميداني كيف أن مجالات الهامش الاجتماعي هي فعلا مختبر خصب للبحث السوسيولوجي، فمن خلالها يمكن رصد أثر التفاوتات الاجتماعية، وفي بيئتها الاجتماعية تعج مشاكل كبرى ومعقدة.

2-5 أدوات البحث وخصائصها

مثلما تمظهر التكامل المنهجي على مستوى المقاربات، فقد تجسد أيضا على مستوى أدوات البحث، حيث وظفت الاستمارة بهدف تشخيص بعض العناصر وبناء صورة عامة عن الواقع الميداني للعينة، ثم استخدمت بعد ذلك أداة المقابلة من أجل التعمق في النتائج المتوصل إليها والتوسع في محاور أخرى ذات طبيعة كيفية لم يكن بالإمكان التعمق فيها عن طريق الاستمارة.

فيما يخص استخدام هذه الأخيرة، فقد وظفت النسخة العشرين من البرنامج المعلوماتي SPSS للمعالجة الإحصائية واستخراج الجداول. تعد هذه النسخة من أحدث الإصدارات علما أنه ليس هناك فرق كبير بين النسخ المتأخرة، لاسيما أن طبيعة المعالجة التي قمت بها لا تستدعي من هذا البرنامج وظائفه المعقدة والمتقدمة. يتميز برنامج SPSS باحترافيته ومصداقيته في الأوساط العلمية، كما أنه أكثر توافقا مع طبيعة بحثي ولا يتطلب حاسوبا ضخما لاستخدامه.

تجدر الإشارة إلى وجود عدة برمجيات إحصائية، لكل منها خصائصها وظروف استخدامها، أذكر منها برنامج SAS؛ برنامج SPHINX؛ برنامج STATA؛ برنامج R، إلخ. على سبيل المثال، فبرنامج STATA معقد وأي خطأ بسيط يمكن أن يغلّط المعطيات،

وعلى غراره توجد برامج معلوماتية أخرى موجهة لقواعد البيانات الضخمة BIG DATA، مثل البرامج المعلوماتية التي تستخدم في البورصات وفي الخوادم les serveursالمعلوماتية المتطورة.

بالنسبة لأدوات البحث الكيفي، استخدمت تقنية الملاحظة والملاحظة بالمشاركة أثناء الحضور للأنشطة الجمعوية الثقافية، وقد كنت ألاحظ ما يجري خلال هذه الأنشطة من حيث أعداد الحاضرين وخصائصهم العمرية والجنسية؛ من حيث سلوكاتهم وردود أفعالهم؛ وكذلك من حيث أزيائهم وتوظيفاتهم للجسد؛ تفاعلهم مع الفعل الثقافي؛ مظاهر علاقاتهم الاجتماعية، إلخ. في كثير من الأحيان، كنت أرخي السمع للحوارات الصادرة عن الشباب حينما تجرى جهرا على هامش الأنشطة الثقافية، وفي أحيان أخرى كنت أشاركهم دردشاتهم حول مختلف المواضيع، خاصة إن كانت تهم ثقافة الشباب أو تهم مواضيع العمل الجمعوي. أثناء هذه المشاركة، لم أكن أعلن عن هويتي كباحث ما لم أكن مضطرا لذلك، حتى لا أؤثر على تلقائيتهم، موظفا بذلك مبدأ السوسيولوجي الأمريكي إيرفين جوفمان Erving Goffman حينما كان يخفي هويته كباحث أثناء استخدامه لتقنية الملاحظة بالمشاركة.

فيما يتعلق باستخدام تقنية المقابلة وبعد أن كانت أسئلتها مفتوحة خلال البحث الاستكشافي، فقد أصبحت نصف موجهة فيما بعد. في كلتا الحالتين، كنت أحاول أن أترك حرية للمشارك في البحث حتى أتمكن من النفاذ إلى منطق فعله وتمثلاته الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، فقد عززت الأسئلة شبه الموجهة ب"استثارات"، وهي أسئلة تدقيقية أطرحها كنوع من التوجيه في حال عدم تطرق المشارك في البحث إلى عناصر معينة أو كشكل من أشكال إثراء الحوار. وفي أحيان أخرى، أُدرج السؤال المركزي ضمن أسئلة الاستثارات حينما يتطلب السياق التمهيد بتناول نقاط مسبقة قبل الدخول في الموضوع الرئيسي.

هذا من حيث المضمون، أما على مستوى الشكل فقد جعلتُ السؤال المركزي بلون معيّن وأسئلة الاستثارات بلون مغاير تجنبا للارتباك الذي قد ينتج بسبب الخلط بينهما. لنفس

الغاية، لم أجعل الاستثارات على نفس الخط العمودي مع خط السؤال الأساسي درءا للتداخل البصري بين الأسئلة.

لا يفوتني أن أشير إلى تلك الحوارات الهامشية التي تبلورت بشكل تلقائي بعد نهاية عدد من المقابلات، والتي لم تكن أقل أهمية مما تم تناوله أثناء المقابلة، بل إن أغلبها كان أكثر جرأة وأكثر عمقا نظرا للمصداقية الناتجة عن التلقائية. في هذا الإطار، تنبغي الإشارة أيضا إلى أن هذا النوع من الحوارات يساهم في صعوبة تكميم المقابلات نظرا لتضمنه عناصر متفردة لم تكن مبرمجة ولا ترد في أجوبة أخرى كي يتم احتسابها معها. لا تقتصر هذه الإشارة على الحوارات البعدية فقط، بل إنها تشمل حتى النقاط المبرمجة التي ترد فيها أيضا هذه العناصر المتفردة، فلا يمكن التوقع أن جميع المشاركين في البحث سيتطرقون لنفس العناصر في أجوبتهم وأن مواقفهم ستنحو في نفس الاتجاه. لذلك، فالباحث يعمل على رصد التوجهات العامة، السائدة والمتكررة les régularités sociales.

في إطار بناء دليل المقابلة، وإضافة إلى الأسئلة التي تطرقت إلى مسار الحياة أو التي هدفت إلى دراسة التمثلات والكشف عن منطق الفعل، فقد وردت أسئلة ذات طابع تقييمي، طلبتُ عبرها من الشباب والجمعيات الثقافية تقييم كل منهما لأداء الآخر سواء داخل التنظيم أو خارجه. تبرز أهمية هذا التقييم المتبادل في المقارنة بين أجوبة الطرفين، ففي حالة عدم القيام بذلك سيظل هامش الذاتية والتحيز مرتفعا في الأجوبة، لكن المقارنة بين أجوبة الفئتين تضفي موضوعية أكبر.

نظرا لهذا الدور الايجابي الذي تمظهر في وظيفة التقييم هاته، فقد حرصتُ دائما في تحرير هذا العمل على استعمال عبارة "المشارك في البحث" عوض صفة "المبحوث"، إذ يبدو لي أن هذه الصفة الأخيرة تحيل على سلبية الفرد أو على الأقل تبخسه قيمته، في حين أن عبارة "المشارك في البحث" تدل على كونه فاعلا مساهما في تبلور البحث إلى جانب الباحث.

ويمكن القول إن صفة المشارك في البحث تقترب من وظيفة الإخباري l'informateur في علم الأنثروبولوجيا أو قد تكون هي ذاتها في بعض الحالات. ويبرز

دور الإخباري في توفره على رأسمال معرفي معمق بخصوص موضوع الدراسة، وهو أيضا يشارك في البحث ولو بشكل غير رسمي، بل إنه قد يمارس سلطة معرفية على الباحث تؤثر فيه بشكل غير واع في توجيه مساره البحثي. وقد يحدث أن يكون المشارك في البحث أو الإخباري موضوع دراسة حالة إذا كان له من غنى المعرفة والتجربة، ما يؤهله كفرد لإطلاع الباحث عن تفاصيل حقل بأكمله.

أضيف أيضا أنه من بين خصائص أجوبة المقابلة، الحفاظ على مجهولية المشاركين في البحث بناء على طلبهم، وقد ساعد الوعد بهذا الالتزام في بناء الثقة وتوفير مناخ التلقائية، وهي الثقة التي سعيتُ إلى الحفاظ عليها طيلة فترة البحث الميداني نظرا لما توفره من مصداقية وعلمية أثناء جمع المعطيات. تجسيدا لهذا الالتزام، فقد عبّرت عن هوية المشاركين في البحث الكيفي (سواء بالنسبة إلى الشباب الجمعوي أو بالنسبة إلى الجمعيات الثقافية) بأسماء مستعارة مع تجنب ذكر المجال الحضري.

إن آخر ما أختم به هذا المحور هو الإشارة لاستخدام تقنية النمذجة خلال تحليل المعطيات المجمّعة، وهو التنميط المنهجي الذي استقيته من "النموذج المثال" الذي اشتهر به ماكس فيبر في دراسته لموضوع المدينة. مكنت هذه الأداة التحليلية من إبراز القاسم المشترك بين عناصر تبدو متناثرة، كما ساهمت في توضيح الصورة حول مجموعة من النقاط التي لم تكن بارزة.

6- صعوبات البحث وحدوده

على شاكلة أغلب الباحثين، صادفتُ أثناء المرحلة الميدانية من هذا العمل بعض العوائق التي صعبّت مهمة البحث، ويمكن تلخيصها في ثلاث نقط أساسية:

- **قلة الجمعيات الثقافية مقارنة بالأنماط الأخرى من الجمعيات:** في البداية، كان المجال الجغرافي الذي حددتُه لإقامة هذا البحث هو مدينة الرباط، لكن ضعف عدد الجمعيات الثقافية مقارنة بالجمعيات المتعددة التدخلات أو جمعيات العمل الاجتماعي جعلني أمدّد المجال الجغرافي ليشمل مناطق حضرية أخرى من جهة الرباط سلا القنيطرة، وهو ما تطلب مني مجهودات إضافية من قبيل التنقل وإنفاق الوقت. رغم ذلك، كان لهذه الصعوبة جوانب إيجابية تمثلت في التعرف على عوالم جديدة من هذا المجال العمراني بما يكتنزه من تنوع في السياقات الاجتماعية.
- **صعوبة اختراق البحث المؤسساتي:** يتصف البحث الميداني الذي يتخذ من التنظيمات أو المؤسسات موضوعا له بصعوبة النفاذ إلى واقع هذه البنيات، فالباحث قد يتعرض في كثير من الأحيان للصد والاستبعاد، مما يحتم عليه تعديل أو تغيير استراتيجيات اختراق الميدان، وهو ما لجأت إليه مثلا في بناء العينة من خلال الاعتماد على تقنية كرة الثلج وأيضا من خلال استثمار العلاقات الشخصية. هكذا، كان بالإمكان أن يصبح البحث الميداني أسهل لو أنني اخترت مثلا موضوع الممارسات الثقافية لدى الشباب الجامعي، حينها كنت سأجري البحث الميداني في أحواز الجامعات وخلال فترة زمنية أيسر، على عكس الحيز الزمني الكبير الذي يفرضه البحث المؤسساتي. لكن بالمقابل، مكنتني هذه الصعوبات من اكتشاف جوانب مختلفة من منطق التفكير لدى الشباب والتنظيمات الجمعوية، ومن تطوير قدراتي في البحث الميداني.

تعد التمثلات الاجتماعية السلبية حول الباحث من أبرز العوامل التي تصعّب من مسار هذا الأخير، وأذكر على سبيل المثال أنه ينظر إليه في بعض الحالات "كعميل" مرسل بشكل ممنهج من طرف جهات منافسة، أو أن هذا الباحث قد يفشي بشكل مقصود أو غير مقصود معلومات أو واقعا يراد لهما أن يظلا في طي الكتمان، لاسيما

حينما نعلم أن الحقل الجمعوي مخترق بشكل كبير من الفاعل السياسي. من بين التمثلات السلبية حول الباحث التي أتذكرها أن إحدى مراحل البحث الميداني تصادفت مع فترة انتشار أخبار عن بدء عملية التجنيد الإجباري، وهو ما جعل بعض الشباب يتوجس مني وينظر اليّ نظرة شك وريبة، كما لو أنني مرسل من الأجهزة الأمنية لجمع المعلومات حول من سيتم استدعاؤهم للتجنيد.

- **ضعف التزام بعض الجمعيات بالمشاركة في البحث:** تسبب هذا العائق في كثير من الحالات في تأجيل اللقاءات دون سابق إخبار أو إلغائها بالمرة وعدم الاستمرار في المشاركة في البحث، وأعتقد أن الأمر سيكون مختلفا لو اشترطت الجهة المانحة للدعم ضرورة التزام الجمعيات بالمشاركة الفعالة في الأبحاث. لكن بالمقابل، هناك جمعيات تعاملت معي بالتزام وسخاء في تقديم المعطيات، وقدمت لي مجموعة من المساعدات كتوفير الفضاء الجمعوي لإجراء المقابلة والتنسيق مع المنخرطين من أجل إجراء البحث الميداني معهم. هكذا، في إطار التجاوب مع مهمة الباحث، تحضر مسألة القيم الجمعوية والالتزام والوعي بأهمية البحث العلمي.

أما من حيث حدود هذا البحث، فتتمثل أبرزها في اقتصار نتائجه على مجتمع العينة. بشكل عام، تتميز البحوث الفردية بطابع النسبية والمحدودية، بخلاف الدراسات البحثية الكبرى المنجزة من طرف مؤسسات الدولة أو الهيئات الكبرى حيث تتوفر الإمكانيات والموارد البشرية لتحقيق امتداد مهم على مستوى المسح الأفقي والتعمق العمودي. تأسيسا على ذلك، لا تدعي هذه الدراسة الإحاطة بمجموع الإشكاليات التي يعرفها هذا الحقل ولا الإجابة عن جميع التساؤلات، بل هي محاولة متواضعة لتسليط بعض الضوء على بعض العناصر من الواقع المجتمعي المدروس.

القسم النظري

الفصل الأول:

من المعنى الشمولي لمفهوم الثقافة

إلى المعنى التخصيصي للممارسات الثقافية

المبحث الأول: مفهوم الثقافة

بالمعنى الشمولي

1- المقابلة بين مفهوم الثقافة و مفهوم الحضارة

ظهرت بأوربا خلال نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر حركتان فكريتان هما الحركة التنويرية والحركة الرومانسية، وقد أثرتا بشكل جلي على مسارات العلوم الاجتماعية. تبلورت الحركة التنويرية على يد مجموعة من المفكرين الفرنسيين الذين واجهوا ما سموه بالفكر الظلامي، فرفعوا شعار العلمية والعقلانية وأعلوا من شأن مفهوم الحضارة. بالمقابل، برزت الحركة الرومانسية من خلال مفكرين ألمان تأثروا بالفلسفة المثالية وانتقدوا تحول المجتمع نحو ما اعتبروه مادية وسطحية، فركزوا بذلك على مفهوم الثقافة كنموذج يمثل البعد الروحي والخيال الفني.

هكذا، مثلت الحركتان رؤيتين متقابلتين للعالم، وكان للصراع بينهما أبعاد مختلفة مثلما كان له انعكاسات على العلوم الاجتماعية، فالحركة التنويرية تماهت مع الفلسفة الوضعية والعلوم التجريبية، وهو ما أفرز لاحقا سوسيولوجيا وضعية تعتمد على التفسير بالمناهج الكمية. خلافا لذلك، تناسبت الحركة الرومانسية مع مجالات أخرى مثل فلسفة التأويل والنقد الأدبي، وهو ما أدى إلى تشكل الطابع التفهمي والتأويلي في السوسيولوجيا الكيفية وفي الأنثروبولوجيا.

2- الثقافة عند إدوارد تايلور

يعتبر إدوارد تايلور (1832-1917) من مؤسسي علم الأنثروبولوجيا في بريطانيا الذين ساهموا بشكل كبير في التبلور العلمي لمفهوم الثقافة. بحكم انتمائه إلى المذهب التطوري، إهتم تايلور بالبحث في أصول الثقافة وآليات تطورها معتمدا في ذلك على المنهج المقارن، فاعتبر ثقافة الشعوب المسماة بالبدائية بمثابة الثقافة الأصلية الخاصة بالإنسانية، كما قاوم الأطروحة القائلة أن "البدائيين" ليسوا كائنات بشرية، بل إن الفرق معهم يوجد في مستوى التقدم فقط[30].

[30] DELIEGE. Robert, (2006), Une histoire de l'anthropologie: écoles, auteurs, théories, 1ère édition, Seuil, Paris, p. 21.

يعتبر تعريف إدوارد تايلور لمفهوم الثقافة من أشهر التعريفات التي لاقت نجاحا وانتشارا واسعين، فهو يعرف الثقافة في كتابه "الثقافة البدائية" على أنها كل مركب يشتمل على المعارف، المعتقدات، الفنون، الأخلاق، القوانين، الأعراف وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين[31].

إن لهذا التعريف أبعادا متنوعة، فهو فمن ناحية، يوسع من معنى الثقافة الذي كان محصورا في الجانب المعرفي للفرد إلى المعنى الذي يضفي عليها طابعا اجتماعيا لتصبح بذلك عنصرا مشتركا بين مكونات المجتمع يعمل على الإدماج الاجتماعي للفرد[32]. من ناحية أخرى، يعبر هذا التعريف عن شمولية الحياة الاجتماعية باحتوائها على عناصر مادية وعناصر غير مادية، كما أنه يجعل من تنوع الثقافات وسيلة لإثبات الوحدة النفسية للإنسانية، مما يؤكد تأثره بالمذهب التطوري وفلسفة عصر الأنوار الكونية.

3- النسبية الثقافية عند بواز

على عكس المذهب التطوري القائل بتشابه الثقافات وتطورها وفق خط تصاعدي وحيد، استخلص فرانز بواز من الدراسات الميدانية التي أجراها أن كل ثقافة مستقلة بذاتها من حيث الأصل والتطور، وقد شملت أبحاثه مناطق واسعة تتميز بنفس الخصائص المادية لكنها كانت تعرف ثقافات مختلفة.

اهتم بواز بدراسة انتشار العناصر الثقافية بين الشعوب وما ينتج عن ذلك من تثاقف وتحول ثقافي[33]، فاستخدم في دراساته مفهوم "المناطق الثقافية" كتصنيف وصفي وتحليلي يسهل المقارنات والوصول إلى تعميمات، ويشير هذا المفهوم إلى مجموعات من المناطق الجغرافية التي تتصف كل منها بنمط ثقافي ما نتيجة لدرجة معينة من الاتصال والتفاعل[34].

---

[31] BAYILI. Blaise, (2008), Culture et inculturation: Approche théorique et méthodologique, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 19.

[32] Idem, p. 19.

[33] HERSKOVITS. J. Melville, (1967), Les bases de l'anthropologie culturelle, 1ère édition, François Maspero Éditeur, Paris, p. 196

[34] فهيم. حسين، (1986)، قصة الانثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، عدد 98، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص. 161

كان بواز من المؤسسين الأوائل لمفهوم النسبية الثقافية الذي تكمن أهميته في التأكيد على أن كل ثقافة تعمل وتتطور وفق ظروفها الخاصة[35]، وهو ما يفرض على الباحثين ضرورة تجنب الأحكام المسبقة. أضاف بواز الشيء الكثير لتقنيات البحث في علم الأنثروبولوجيا بفضل غزارة أبحاثه الميدانية خاصة بين قبائل الهنود الأمريكيين، كما أنه ألهم الكثير من علماء السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا الذين جاؤوا بعده، لاسيما الأمريكيين منهم.

4- التنوع الثقافي والبني العقلية الكونية عند كلود ليفي ستروس

عرفت الدراسات حول مفهوم الثقافة تطورا ملحوظا بفضل الدينامية التي ولّدتها إسهامات عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي ستروس، حيث جمع بين الجانب الفكري والبحث الميداني (لاسيما أبحاثه حول القبائل التقليدية بالبرازيل)، وهو ما أعطى لتياره البنيوي صيتا ذائعا، لاسيما في فرسا.

يلقب ستروس برائد الأنثروبولوجيا البنيوية، فبعد تأثره بالمنهج البنيوي في لسانيات فرديناند دي سوسير قام بتطبيقه على العلاقات الاجتماعية والإنتاجات الرمزية. وهو بذلك يرى أن الثقافة لها هندسة مماثلة لهندسة اللغة، فكلاهما ترتكزان على عناصر مترابطة وقواعد منظمة ومنطقية، ويظهر ذلك جليا عند القيام بتحليل الأساطير وعلاقات القرابة[36].

يحتل مفهوم التبادل موقعا متميزا ضمن المنظومة الفكرية لكلود ليفي ستروس، نظرا لحضوره في عدة جوانب من الحياة الاجتماعية. فاللغة على سبيل المثال قناة من قنوات التبادل الرمزي بين أفراد المجتمع (قائمة على تبادل الرسائل بين المرسل والمرسل إليه)، والاقتصاد شكل من أشكال التبادل المادي بين الناس، كما أن الزواج مظهر من مظاهر التبادل الاجتماعي (يؤدي وظائف متنوعة، مثل تأمين التحالفات الاجتماعية وإقرار السلم الاجتماعي وغير ذلك).

---

[35] MVE. MINKO. Bernardin, (2012), L'anthropologie, pour Comprendre, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 16.

[36] ستروس. ليفي. كلود، (1995)، الإناسة البنيانية، ترجمة حسين قبيسي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص. 90.

بالإضافة إلى اللسانيات البنيوية، نهل كلود ليفي ستروس من الأبحاث الأنثروبولوجية للمدرسة الثقافوية الأمريكية وعمل على تجاوزها، إذ لم يقف عند مبدأ تنوع الثقافات فحسب، بل سعى للانطلاق من الاختلاف الثقافي على المستوى المحلي للوصول إلى ما هو ثابت ومشترك على المستوى الكوني. زيادة على ذلك، اعتقد ستروس بوجود بنيات عقلية لاواعية في الثقافة البشرية ينبغي على الباحث الأنثروبولوجي اكتشافها. هكذا، يلتقي مع مفكري عصر الأنوار ومع إدوارد تايلور وغيرهم في الفكرة القائلة بوحدة النفس الإنسانية.

يعرف ستروس مفهوم الثقافة كالتالي: "يمكن اعتبار كل ثقافة مجموع أنساق رمزية تتصدرها اللغة وقواعد التزاوج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين. كل هذه الأنساق تهدف إلى التعبير عن بعض أوجه الحقيقة الطبيعية والحقيقة الاجتماعية، وأكثر من ذلك إلى التعبير عن العلاقات التي ترتبط بها كل من هاتين الحقيقتين بالثانية، وتلك التي ترتبط بها الأنساق الرمزية ذاتها بعضها ببعض"[37].

حظيت إنتاجات ليفي ستروس حول التنوع الثقافي ونسبية مفهوم التقدم باهتمام بالغ من مختلف الجهات والمنظمات الدولية لما لها من أبعاد على عدة مستويات فكرية، سياسية واجتماعية، وهو ما جعل منظمة اليونسكو تنشر له كتاب "العرق والتاريخ" الذي تناول فيه موضوع المركزية الإثنية الغربية وأعاد من خلاله الاعتبار للثقافات التقليدية، مؤكدا على مبدأ النسبية الثقافية وعدم التفاضل بين الثقافات[38].

5- مفهوم الثقافة عند مالينوفسكي

ردا على أفكار ومناهج كل من المذهب التطوري والمذهب الانتشاري، وضع برونسلاو كاسبر مالينوفسكي الركائز الأولى للمذهب الوظيفي، مؤسسا بذلك مدرسة جديدة في علم الأنثروبولوجيا، سيتم تبنيها وتطويرها فيما بعد من طرف مجموعة من الباحثين في علم الاجتماع، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. متأثرا بالعلوم الطبيعية ومشبها

[37] كوش. دنيس، (2007) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

[38] LEVI-STRAUSS. Claude, (1987), Race et Histoire, 1ère édition, N° 58, Folio Essais, Paris, p. 70.

المجتمع بالكائن العضوي، ربط مالينوفسكي بين الثقافة والحاجيات البشرية بحيث تعتبر الأولى بمثابة استجابة للثانية، ويتم ذلك من خلال مجموعة من المؤسسات الاجتماعية المتكاملة الوظائف فيما بينها.

بتعبير آخر، فالثقافة إذن هي نظام شمولي غير قابل للتجزيء، يتكون من عدة عناصر (نظم اجتماعية) مترابطة من أجل إشباع الحاجات العضوية والنفسية للإنسان، وكل تعديل يقع على أحد هذه الأنظمة ينعكس على النسق بأكمله[39]. هكذا، نجد نظما مثل النظام الأسري، نظام التربية، النظام الديني، النظام الاقتصادي، النظام السياسي، وغيرهم، وينقسم كل نظام بدوره إلى أنظمة فرعية. تنشأ هذه المؤسسات (النظم) بشكل قصدي أو تلقائي متأثرة في ذلك بالوسط البيئي، وتستخدم آليات توجه سلوك الأفراد مثل التنشئة الاجتماعية والقوانين والتنظيمات بهدف ضمان الحفاظ على توازن النسق الشمولي وعدم تعرضه للاضطراب والفوضى.

عُرف عن مالينوفسكي كثرة اهتمامه بالجانب التجريبي، وهو ما أهله لتطوير مناهج البحث الميداني، إذ لم يكتف بالملاحظة المباشرة بل عمد إلى الملاحظة بالمشاركة، مما جعله يتعلم اللغات المحلية للشعوب المدروسة ويقيم بين ظهرانيها لسنوات طويلة. بالإضافة إلى ذلك، فقد رفض الاستعانة بالمنهج التاريخي (الدياكروني) في التحليل واقتصر على المنهج التزامني (السانكروني) الذي يكتفي بدراسة الظواهر في راهنيتها فقط.

تعرضت وظيفية مالنوفسكي لانتقادات لاذعة من مختلف المفكرين، لعل أبرزها تركيزه على استمرارية التوازن الداخلي للمجتمعات وعدم ايلائه الأهمية اللازمة لدور الديناميات والتناقضات الداخلية في التغيرات الاجتماعية، فمصدر التغيير بالنسبة إليه يكون غالبا من خارج النسق، وهو ما جعل أفكاره تُنعت بالفكر المحافظ الداعم لإديولوجية القوى الإمبريالية، كما شكل إقصاؤه للعامل التاريخي في التحليل نقطة خلاف مع الكثيرين.

[39] BAYILI. Blaise, (2008), Culture et inculturation: Approche théorique et méthodologique, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 20.

6- الثقافة والشخصية عند الاتجاه الثقافوي

يقصد بالثقافوية التيار الأنثروبولوجي الذي ظهر خلال النصف الأول من القرن العشرين على يد أتباع فرانز بواز بأمريكا، خاصة طلابه القدماء بجامعة كولومبيا. اهتم هذا الاتجاه بدراسة الثقافة على غرار باقي المذاهب الأنثروبولوجية، ونظرا لتأثره بعلم النفس، فقد قام بالتركيز على دراسة العلاقة التي تجمع بين كل من الثقافة، الشخصية والتنشئة الاجتماعية، حيث اعتبر أن كل ثقافة مستقلة بذاتها ولها تماسكها الخاص بها، وهو ما يعطيها سمتها (أو نموذجها) القومي والذاتي.

تميزت الثقافوية إذن باعتمادها على الثقافة في دراستها للظواهر الاجتماعية، وهذا ما يفسر سبب تسميتها، وذلك على النقيض من عدد من المذاهب التي جعلت من الثقافة نتيجة لعوامل أخرى، مثل الماركسية التي تفسرها بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية ومثل إيميل دوركايم الذي ركز على تقسيم العمل وعلى العلاقات الاجتماعية. وهناك من ينظر إلى الثقافوية على أنها لا تشكل نظرية متماسكة ذات فكر متجانس ومترابط، بل مجموعة من الأبحاث التي تربط بينها بمواضيع مشتركة[40].

أحصى ألفرد كروبر (1876-1960)، رفقة كلايد كلوكهون، أكثر من مائة وخمسين تعريفا يضمون رؤى مختلفة لمفهوم الثقافة. وبالنسبة إليه، فالثقافة نمط تجريدي تمثل الأشياء التي تتردد كثيرا في المجموعات البشرية. ويتفق كروبر مع أنصار المذهب الانتشاري في أهمية استخدام المنهج التاريخي (لاسيما علم الآثار) من أجل دراسة الثقافات والتمييز بين نماذجها بالاعتماد على منهج المقارنة، وهو ما قام بتطبيقه في أبحاثه حول قبائل الهنود في الولايات المتحد الأمريكية.

اعتبرت روث بيندكت أن اعتماد المنهج التاريخي من قبل الفرد كروبر غير كاف، لذلك، إذ يجب إيلاء أهمية أيضا للمنهج النفسي من أجل الكشف عن النمط (pattern) المحوري المميز لكل ثقافة، وهو ما وظفته في عدة أبحاث ميدانية كدراستها المنشورة سنة

[40] SIMON. Pierre-Jean, (1991), Histoire de la sociologie, 1ère édition, Presses Universitaires de France, Paris, p. 495.

1946 تحت عنوان "زهرة الكريزانتم والسيف"، حيث قامت من خلالها بدراسة الشخصية القومية اليابانية وأظهرت تمحورها حول قدسية شخص الإمبراطور، الشيء الذي ساعد الولايات المتحدة في هزيمة اليابان خلال الحرب العالمية الثانية.

بالإضافة إلى ذلك، قامت بيندكت بدراسة نمطين ثقافيين متناقضين في المكسيك الجديد: نموذج هنود البويبلو pueblo (المسالمين، الاجتماعيين والمتضامنين) ونموذج هنود الكواكيوتل Kwakiutl (الفردانيين، العدوانيين)، فوصفت النموذج الأول بالنموذج "الأبولوني" والنموذج الثاني بالنموذج "الديونيزوسي"، مستعيرة هذين النمطين من نيتش ومعتبرة أنه يمكن أن يوافقا ثقافات أخرى.

تعتبر روث بيندكت أيضا أن ما يميز كل ثقافة ليس هو فقط مجموع الخصائص التي تسمها بل عمل هذه الثقافة على تحقيق أهداف معينة ترتبط بالاختيارات التي حددتها، ويتم تحقيق هذه الأهداف بآليات قد تكون لاشعورية من خلال المؤسسات الاجتماعية وعملية التنشئة الاجتماعية. تعد هذه الأخيرة، إلى جانب عملية النقل الثقافي، أحد المواضيع التي ركزت عليها مارغريت ميد في أبحاثها الميدانية بغينيا الجديدة، حيث توصلت إلى أن مسالة الذكورة والأنوثة تتعلق بالتربية وليس بالجانب البيولوجي.

توصلت ميد إلى أنه في قبيلة الأرابيش يربى الأولاد والبنات دون تمييز على أن يصيروا أشخاصا هادئين ومرهفين، بخلاف نمط التربية في قبيلة المونداوغومور حيث تنتج الشدة في التربية أفرادا عدوانيين. أما فيما يخص قبيلة الشامبولي، فالنساء هن من يملكن زمام الأمور ويتحملن المسؤوليات ويتميزن بالحركية، في حين يكون الرجال أقل ثقة بالنفس وينشغلون بأمور الترفيه والجمال.

في نفس الاتجاه المهتم بالعلاقة بين الثقافة والشخصية، صاغ كل من رالف لنتون وأبراهام كاردنر مفهوم "الشخصية الأساسية"، وهي مركب الصفات والسلوكات المشتركة التي يعمل المجتمع على تثبيتها في الفرد بهدف الحفاظ على الثقافة. يتم تشكيل هذه الشخصية الأساسية بفعل التربية الممارسة من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، تنقسم هذه المؤسسات إلى "مؤسسات أولية" (العائلة على وجه التحديد) ومؤسسات ثانوية (كالمؤسسات

التعليمية، المؤسسات الدينية، الإدارة، الجيش)[41]، غير أن هذا التشكيل لا يعد حسب لنتون تحديدا حتميا للشخصية ولأفعالها، إذ يتوفر الفرد على مجموعة من الاختيارات المتاحة، على اعتبار أن الثقافة تتكون من مجموعة متنوعة من أنظمة القيم[42].

7- مفهوم الثقافة عند بيير بورديو

تعد أبحاث بورديو وأفكاره من أهم المساهمات في دراسة الثقافة، فقد اهتم بدراسة هذه الأخيرة على المستوى الشمولي (من خلال أبحاثه حول التنشئة الاجتماعية، التمايز الاجتماعي وغير ذلك)، كما اهتم أيضا بالمستوى التخصيصي لمفهوم الثقافة من خلال دراسة الممارسات الثقافية في مجال الفنون.

سأتناول فيما يلي أفكار بورديو المتعلقة بالمستوى الأول، وسأعود إلى دراساته حول الممارسات الثقافية أثناء التطرق لهذا الموضوع فيما بعد. توصل بورديو من خلال أبحاثه الميدانية إلى خلاصات كان لها وقع كبير على علم الاجتماع، من جملتها بحثه الشهير في حقل التعليم كواحد من أهم وسائل نقل الثقافة ودعم استمراريتها. استنتج هذا السوسيولوجي أن النظام التعليمي في فرنسا، رغم خطابه حول مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص، فإنه يكرس الفوارق الطبقية ويرسخ ما يسميه "الثقافة الشرعية"، أي ثقافة الطبقة العليا المهيمنة، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج النظام الاجتماعي.

لاحظ بورديو أن التنشئة الاجتماعية للتلاميذ ومستواهم الاجتماعي (وما يتضمن ذلك من عادات، أفكار، ممارسات وموارد مادية) يرتبط بشكل كبير بالنجاح الدراسي ويؤثر سلبا او إيجابا على آفاق ما بعد الدراسة، وهو ما ساعده في نحت مفهوم "الهابيتوس" والذي يعرفه على أنه: نظام مخططات لتوليد الممارسات التي تعبر بأسلوب منهجي عن الحاجة الملحة والحرية الكامنة في ظروف الحياة الكلية لمجموعة ما. يتوسط هذا التعريف بين نظريات الحتمية التي تؤكد على قوة البنية ونظريات الفعل التي تركز على حرية الفاعلين. يضيف

[41] MARIETTE. José, (2004), Introduction à la sociologie, 1ère édition, Editions Le Manuscrit, Paris, p. 97

[42] GAUDIO. Attilio, (2010), Connaissances actuelles et méthodes de recherche en anthropologie: un voyage sans fin, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 31.

بورديو أن للهابيتوس منطقة وعي ومنطقة لاوعي، ليخلص إلى نتيجة مفادها أن الفاعل يتأثر بالنظام وإعداداته لكنه قادر على توليد ممارسات وأفعال جديدة.

في إطار دراسته للتمايزات الثقافية والاجتماعية، قام بورديو بتشكيل عُدة مفاهيمية من أبرزها: مفهوم الحقل، الرأسمال، الرهان، اللعب. وقد وظف بورديو مفهوم الحقل تعبيرا عن تفضيله تحليل عوالم اجتماعية صغيرة عوض اعتبار المجتمع وحدة للتحليل. يضم الحقل مجموعة من الفاعلين (أعوان) يتنافسون من أجل المحافظة على مواقع معينة أو من أجل تغييرها، على اعتبار أنها تضمن لهم تحقيق رهانات (مصالح) معينة.

خلال هذا التنافس، يتم توظيف مجموعة من الرساميل، منها ما هو مادي ومنها ما هو اجتماعي (مثل شبكة العلاقات الاجتماعية)، ومنها ما هو ثقافي (مثل الرصيد المعرفي والشواهد التعليمية)، وتعد مختلف هذه الرساميل شكلا من أشكال السلطة. يتميز الحقل عند بورديو بمجموعة من الخصائص، فهو مجال للصراع، مستقل نسبيا، يشتمل على لعبة من العلاقات الموضوعية المنظمة في قواعد وأعراف، يقوم بالتوليد المستمر للتمايز، والذي غالبا ما تبقى كفته راجحة لصالح الفئات المهيمنة بفضل توفرها على هابيتوس ورساميل يسمحان لها بذلك.

حاولت سوسيولوجيا بورديو التوليف بين ثنائيات ضدية على المستويين النظري والمنهجي، فسعى مثلا للتوفيق بين الذاتية والموضوعية، وبين المناهج الكمية والمناهج الكيفية، وهو ما جعله ينهل من مجموعة من الروافد الفكرية خاصة الأفكار الماركسية (فكرة الصراع والطبقية)، السيميائية (الرأسمال الرمزي)، أفكار إيميل دوركايم (تأثير البنية والتنشئة الاجتماعية)، أفكار ماكس فيبر (نظرية الألعاب) وغيرها.

المبحث الثاني:

سوسيولوجيا الممارسات الثقافية،

من الإرهاصات إلى التطور

عند دراسة الأدبيات المهتمة بنشأة علم اجتماع الثقافة، وجدتُ اختلافا في طريقة تناولها لهذا الموضوع. فمنها من تنطلق من مؤسسي علم الاجتماع الغربي، ومنها من تتناول إسهام حقول فكرية أخرى ساهمت في تأسيس هذا الفرع من علم الاجتماع (خاصة فيما يتعلق بسوسيولوجيا الفن)، ومنها أيضا من اختارت الانطلاق من محطات أخرى. في نهاية المطاف، يضفي هذا التنوع غنى على هذا الموضوع، وهو ما يدعوني إلى تركيبه وفق المحاور التالية:

1- إرهاصات فلاسفة الجماليات ومؤرخي الفن

من بين المؤلفين الذين كتبوا حول تأسيس سوسيولوجيا الثقافة، تبرز عالمة الاجتماع الفرنسية ناتالي إينيك Nathalie Heinich المتخصصة في الحقل الفني، وقد اعتبرت في كتابها "سوسيولوجيا الفن" أن تأسيس هذا الفرع من علم الاجتماع قد مر بثلاثة أجيال يتناسب كل واحد منها مع باراديغم معين، وهم: الفن والمجتمع عند جيل "الجمالية السوسيولوجية"، الفن في المجتمع عند "جيل التاريخ الاجتماعي للفن"، ثم الفن كمجتمع عند "جيل سوسيولوجيا التحقيق والتحري".

سأورد فيما يلي دور فلاسفة الجماليات ومؤرخي الفن في نشأة علم اجتماع الفن من خلال التطرق إلى إسهام ما اعتبرته ناتالي إينيك الجيلين الأول والثاني من هذا الاتجاه، على أن أعود بعد ذلك إلى إسهام الجيل الثالث أثناء تناولي للأعمال السوسيولوجية والأنثروبولوجية في هذا الاتجاه.

عرفت دراسة التاريخ الثقافي مجموعة من التراكمات يمكن اعتبارها بمثابة التباشير الأولى لنشأة سوسيولوجيا الفن، وترجع ناتالي إيتيك ظهور هذا التيار المهتم بالتاريخ الثقافي إلى القرن التاسع عشر بأوربا. غير أنه بالعودة إلى المعرفة التاريخية، أجد أن التاريخ الثقافي للفن قد انطلق منذ قرون عديدة وعند حضارات قديمة (مثل الحضارة الصينية، الحضارة الرومانية والحضارة الإسلامية)، ولعل ذلك من مظاهر الاثنومركزية الأوربية التي تحاول إرجاع كل العلوم إلى القارة الأوربية.

لم يخل هذا التاريخ الثقافي من اهتمام بالجانب الاجتماعي خاصة في كتابات الإنجليز والفرنسيين، بل إن من أعلامه من تم إلحاقهم بسوسيولوجيا الفن، وهو الأمر الذي قام به بيير بورديو مع المؤرخ الألماني إرفين بانوفسكي. تجلى إسهام هذا الأخير في إبراز أنه لا يمكن إقامة حد فاصل بين تاريخ الفن وعلم الاجتماع. بالإضافة إلى ذلك، فقد ميز في تحليل الصورة بين المستوى الايقوني (التشكيلي)، المستوى الإيقونوغرافي المرتبط بالمصطلحات التصويرية التي تسمح بالتعرف إلى الصورة وتحديد صفاتها، ثم المستوى الإيقونولوجي الذي يتم فيه الربط بين العمل الفني والسياق الثقافي والاجتماعي[43].

مثلما تأثرت نشأة سوسيولوجيا الفن بالتاريخ الثقافي، فقد تأثرت أيضا بعلم الجماليات، وقد كان هذا الأخير فرعا من فروع الفلسفة إلى أن حقق استقلالا بذاته. تمحورت أهم أغراض علم الجماليات حول دراسة العلاقة بين الأعمال الفنية ومؤلفيها، وتحتل مسألة القيمة الجمالية للعمل الفني في هذه العلاقة مكانة خاصة. غير أن هذه المقاربة بدأت تتغير مع إدخال عدد من مفكري الجماليات بعدا آخر في التفكير في الفن، ألا وهو بعد "المجتمع". مع هذه الإضافة، تحقق قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها تمييز بين ما يمكن تسميته ب"الجماليات الكلاسيكية" و"الجماليات السوسيولوجية"، وهو الجيل الأول الذي تحدثت عنه ناتالي إينيك[44].

كان لهذا التغير جذور فكرية في السابق، من بينها محاضرة ألقاها نوربرت إلياس أظهر من خلالها أن تطور الهندسة المعمارية القوطية l'architecture gothique (التي تميزت بارتفاع كنائسها) لم يكن نابعا من حوافز روحية، بل كان بفعل التنافس بين المدن من أجل التميز وجعل كنائسها ظاهرة من مسافات بعيدة. هكذا، لم يعد التأويل مرتبطا بعوامل داخلية في الفن أو بعوامل دينية، بل امتد هذا التفكير إلى عوامل خارجية عن الفن (الجوانب المادية والدنيوية)[45].

---

[43] اينيك. ناتالي، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 31

[44] المرجع السابق، ص. 34

[45] المرجع السابق، ص. 39

بالإضافة إلى ذلك، أكد الفيلسوف الفرنسي هيبوليت تاين Hyppolite Taine أن الفن والأدب يتغيران حسب العرق، البيئة والعصر. وفي نفس الاتجاه، ساهم شارل لالو Charles Laloفي وضع أسس الجمالية السوسيولوجية مميزا في الوعي الجمالي بين الوقائع غير الجمالية (كموضوع العمل الفني) والوقائع الجمالية (الخصائص التشكيلية للعمل الفني)، وقد ترك لالو أثرا قويا بقوله: "إننا لا نعجب بلوحة فينوس vénus للفنان ميلو Milo لأنها لوحة جميلة، بل هي لوحة جميلة لأننا نعجب بها"، وهو نفس المنطق الذي ساقه مرسيل موس حينما جعل فاعلية العمل السحري نتيجة إيمان السكان المحليين بقدرات الساحر وليس نتيجة العكس[46].

تبلورت هذه الجمالية السوسيولوجية بشكل جلي في الفكر الماركسي المعروف باعتماده على التحليل المادي، خاصة مع المفكر الروسي جورجي بليخانوف الذي اعتبر أن مهمة النقد الأدبي تتمثل في ترجمة علاقات نفسية بين شخصيات القصص والمسرحيات إلى علاقاتها الاجتماعية الطبقية المقابلة، أو ما دعاه "معادلها السوسيولوجي"[47].

انعكست هذه المقاربة في الدراسات النقدية للأدب، إذ تحدث المفكر المجري جورج لوكاتش Georg Lukács عن مظاهر الصراع بين البروليتاريا والبورجوازية في الأعمال الأدبية. في حين، تطرق عالم اجتماع الأدب لوسيان غولدمان Lucien Goldman في كتابه "الإله الخفي" إلى هذه العلاقة الصراعية من خلال مفهوم استُعمل من قبل من طرف المفكر الألماني فيلهلم ديلثي Wilhelm Dilthey، ويتعلق الأمر بمفهوم " الرؤية للعالم" التي تحضر في أعمال الأدب والفلسفة، حيث يصوغها الفرد (المؤلف)، لكنها في واقع الأمر بناء يعبر عن نمط من تفكير جماعي يحكم مجتمعا ما في ظرفية معينة[48]. بعبارة أخرى، هناك تماثل في البنية بين التنظيم الداخلي للعمل الأدبي وبنية العلاقات الاجتماعية. هكذا،

---

[46] TRIPIER-MONDANCIN. Odile et SARRAIL. Jean-Noël, (1996), « Éducation musicale et Créativité ». in: Actes de congrès national, Association des Professeurs d'Education Musicale en Haute-Garonne, Toulouse, p. 49.

[47] هارينتغتون. أوستن، (2014)، الفن والنظرية الاجتماعية، نقاشات سوسيولوجية في فلسفة الجماليات، ترجمة حيدر إسماعيل، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 112.

[48] HEYNDELS. Rudolph, (1977), « Étude du concept de vision du monde : sa portée en théorie de la littérature ». (133-140), In: L'Homme et la société, N. 43-44, L'Harmattan, Paris, p.134

أظهر المفكرون الاشتراكيون كيف أن الحياة اليومية في المجتمع الفرداني الموجه نحو الاستهلاك يتم إسقاطها على الشكل الروائي. بهذا، تكون الرواية التقاء بين الفرد والجماعة، كما تكون في الوقت ذاته بمثابة وصف يجسد الوقائع الاجتماعية[49].

بالإضافة إلى هذا التيار الماركسي، ظهر خلال عقد الثلاثينات اتجاه آخر في إطار هذه الجمالية السوسيولوجية، لكنه يحمل روحا مختلفة عن الماركسية التقليدية، فسمي بالماركسية الجديدة le néo-marxisme، ويتعلق الأمر بالمفكرين الألمان لمدرسة فرانكفورت. من بين ما انشغل به هؤلاء المفكرون هو علاقة المجتمع والفن، وقد تميزوا بتركيزهم على البعد السياسي في المجتمع. كما رأوا أيضا أن الفن يخضع فعلا لمؤثرات خارجة عنه، لكنه بالمقابل يمتلك قوة تحريرية من الاستيلاب l'aliénation، الجمهرة la massification والشعبوية le populisme، وهي الأفكار التي عبّر عنها كل من أدورنو Adorno ووالتر بنيامين Walter Benjamin[50].

أما بخصوص الجيل الثاني، أي جيل التاريخ الاجتماعي، فقد ظهر مع بداية سنوات الخمسينات، وتعتبر ناتالي إينيك أن اعتماد هذا التيار لمناهج التاريخ لدراسة الفن في المجتمع تم باللجوء إلى التحقيق الميداني الذي لا ينطلق من الفكر الإديولوجي النظري كما كان يحدث في السابق. وقد أبرز مؤرخ الفن الإنجليزي فرانسيس هاسكل Francis Haskell كيف تتشكل أسعار اللوحات الموجهة إلى طبقة الأثرياء، وأكد أن الميل إلى الواقعية يتزايد مع دمقرطة الجمهور.

في نفس السياق، درس كل من برنار تايسدر Bernard Teyssèdre والزوجان هاريسون وايت وسينثيا وايت كيفية تأثير التنظيم الإداري وثقافة المؤسسة على الأساليب والاتجاهات الفنية لفن الرسم في فرنسا. بالإضافة إلى العوامل المؤسساتية، ركز آخرون على السياق الاجتماعي، إذ أوضح الأمريكي ميلارد ميس Milard Meiss أن وباء الطاعون الذي انتشر في القرن الرابع عشر كان سببا في إنتاج الرسم في منطقة " توسكانا "

[49] PEQUIGNOT. Bruno, (2007), La question des œuvres en sociologie des arts et de la culture, coll. Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.128.

[50] اينيك. ناتالي، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 47

الايطالية، مشيرا إلى عودة الإيمان الديني الذي رافق موجة الوباء واستغلال التيار المحافظ لنزعة التدين هذه من أجل محاربة الفن الإنسي[51].

2- سوسيولوجيا الفن عند مؤسسي علم الاجتماع الغربي: دوركايم، فيبر وسيمل

لم تكن البدايات الأولى لتشكل الحقل السوسيولوجي حافلة بكثير من الاهتمام حول المعنى التخصيصي لمفهوم الثقافة مقارنة بالعناية الذي تم ايلاؤها لمعناه الشمولي وما يحتويه من عناصر من قبيل التمثلات، القيم، العلاقات الدينية، الخ. وقد تفاوتت درجة هذه الأهمية بين هؤلاء الرواد الأوائل وتم الاختلاف بشأنها بين كتّاب سوسيولوجيا الفن. ففي حين تصف ناتالي إينيك (في كتابها السالف الذكر) إسهام الرواد بالهزيل، ينتقدها برونو بيكينيو Bruno Péquignot في مقال له معلنا أن هذا الفقر في تناول موضوع الفن لم يكن بالتواضع الذي وصفته اينيك[52].

يورد لوران فلوري Laurent Fleury في كتابه "علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية"[53] أن ما يمكن ذكره بالنسبة إلى دوركايم هو بضع صفحات تشير إلى فائدة التربية الفنية في كتابه "التربية الأخلاقية" [54]، ثم إشارته إلى طبيعة الفن "المستعصية إطلاقا على كل ما يشبه الإلزام" (طبيعة مقاومة وتحررية) من خلال مقارنته بالأخلاق la morale في كتاب "تقسيم العمل الاجتماعي"[55].

يبدو أن علاقة إيميل دوركايم بالمسالة الجمالية بشكل عام وبالفن بشكل خاص قد اتسمت بشيء من النفور، يظهر ذلك من خلال بعض مواقفه، إذ يقول في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي" أن تطورا غير معتدل للملكات الجمالية هو من الأعراض الخطيرة من الناحية

---

[51] اينيك. ناتالي، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 58

[52] PEQUIGNOT. Bruno, (2004), «Un débat autour du livre de Nathalie Heinich: Sociologie de l'art, La Découverte Coll. Repères, Paris, 2001», (147-193), in: Sociologie de l'Art, OPuS 3, L'Harmattan, Paris, p.183.

[53] فلوري. لوران، (2014)، علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية، ترجمة علي نجيب إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ص.15.

[54] دوركايم. ايميل، (2015)، التربية الأخلاقية، ترجمة السيد محمد بدوي، سلسلة ميراث الترجمة، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص.261

[55] دوركايم. اميل، (1982)، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة حافظ الجمالي، الطبعة الأولى، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ص.66.

الأخلاقية، ويعيد نفس الفكرة في كتابه حول "التربية الأخلاقية" حين يعلن عن وجود تضاد antagonismeبين الفن والأخلاق.

لم يقتصر هذا الفتور في العلاقة بالفن على دوركايم لوحده، بل خص أيضا أتباعه الدوركايميين، فمساهمة كل من مارسيل موس Marcel Mauss وهنري هوبير Henri Hubert في قسم "السوسيولوجيا الجمالية" sociologie esthétique ضمن مجلة "حولية علم الاجتماع" L'Année sociologique لم تكن غزيرة بما يكفي رغم أن هوبير كتب لاحقا أن الفن يجب أن يحتل موقعا مهما في إطار نظرية عامة للتمثلات الجماعية[56].

في نفس الاتجاه، نجد في كتاب مارسيل موس Manuel d'ethnographie (ضمن الفصل الخامس الذي يحمل عنوان "جمالية" Esthétique)، تناولا لموضوع الجماليات لكن في إطار دراسته لتقنيات الجسد. ويتطرق موس من خلال هذا الفصل إلى مسألة تعريف حدود الفن مؤكدا على صعوبة التمييز بين تقنية الفنون والدين، علما أن إطار أبحاثه تركز حول المجتمعات التقليدية التي تتميز بارتباط وثيق بالدين. كما أن موس كان يوصي بدراسة السياقات التي تحيط بالأشياء الاثنوغرافية les objets ethnographiques، بما في ذلك السؤال حول ما الذي يجعل شيئا ما يعتبر فنا في مجتمع معين[57].

أما ماكس فيبر، فقد تناول سوسيولوجيا الفن بشكل يغلب عليه طابع التشظي والتشتت عبر إشارات عديدة لم يتم التعمق فيها، وذاك في إطار التفكير في المواضيع التي اشتهر بها مثل العقلانية والدين. بخصوص الموضوع الأول، تطرق فيبر إلى الموسيقى من حيث تطور لغتها وتقنيات آلاتها، كمظهر من مظاهر التطور والعقلانية في أوربا. أما فيما يتعلق بالموضوع الثاني، فقد تناول فيبر العلاقة التي تجمع بين الفن والدين، سواء تعلق الأمر

[56] PEQUIGNOT. Bruno, (2004), «Un débat autour du livre de Nathalie Heinich: Sociologie de l'art, La Découverte Coll. Repères, Paris, 2001», (147-193), in : Sociologie de l'Art, OPuS3, L'Harmattan, Paris, p.183.
[57] Idem, p.184

بعلاقات التوتر أو بعلاقات التقاطع. في هذا الإطار، يتحدث فيبر عن الارتباط الذي أقامه المذهب البروتستانتي مع الموسيقى ليجعل منها جزءا من الصلاة في الكنيسة[58].

في دراسته لهذه الارتباطات بين الفن والمجتمع، يعبر فيبر عن عدم اتفاقه مع الحتمية التي يفسر بها الماركسيون هذه العلاقة. وفي مقال له حول موضوع الحياد القيمي في العلوم الاجتماعية والاقتصادية، يعالج فيبر موضوع القيم ويوضح ضرورة تجنب التركيز على الجانب الجمالي فقط خلال دراسة موضوع الفن، ملتقيا في هذه النقطة مع المذهب البراغماتي الذي دعا إليه الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس.

فيما يخص جورج سيمل، فقد أنجز هو الآخر مجموعة من الدراسات حول الموسيقى والموضة والنحت والرسم. من بين هذه الكتابات هناك مقال له يحمل عنوان " دراسات نفسية وإثنولوجية حول الموسيقى"، يعتبر فيه هذه الأخيرة تعبيرا عن طبيعة المجتمع وعن شكل العلاقات بين الأفراد وأنماط التواصل[59]. زيادة على ذلك، يعتبر جورج سيمل الفن أداة للفرد في تشكيل ثقافته الذاتية وتحرير وعيه من " مأساة " الحداثة وتناقضاتها[60].

بخصوص ماكس فيبر وجورج سيمل، أعتقد أن هناك عوامل ذاتية وموضوعية ساعدت على تناولهما لموضوع الفن وإن بشكل غير موسع، فكلاهما كانت له ثقافة فنية كبيرة وكلاهما ينتميان إلى الحضارة الألمانية المعروفة تاريخيا بالتقليد المثالي والرومانسي الذي يعلي من شأن الفنانين والأدباء.

3- إسهام فرانكاستل، باستيد، ودوفينيو

باستثناء بيار فرانكاستل Pierre Francastel الذي راج حوله اختلاف بخصوص انتمائه إلى سوسيولوجيا الفن أو إلى التاريخ الاجتماعي للفن، يمكن القول إن الانطلاقة

---

[58] فيبر. ماكس، (2013)، "الأسس العقلانية والسوسيولوجية للموسيقى"، ترجمة حسن صقر، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص.14.

[59] SILBERMANN. Alphons, (1968), « Situations et vocation de la sociologie de l'art », (617-639), in : Revue Internationale des sciences sociales, Vol XX, N°4, UNESCO, Paris, p. 626.

[60] PEDLER, Emmanuel. (2010), «Les sociologies de la musique de Max Weber et Georg Simmel: une théorie relationnelle des pratiques musiciennes», (305-330), in : L'Année sociologique, vol. 60, no. 2, Presses Universitaires de France, p.319.

الحقيقية لسوسيولوجيا الفن حدثت مع جيل روجي باستيد Roger Bastide وجان دوفينيو Jean Duvignaud وبعض معاصريهم، وهو الاتجاه الذي اهتم به السوسيولوجي برونو بيكينيو وناتالي إينيك، وسمته هذه الأخيرة بالجيل الثالث الذي يعتمد باراديغم الفن كمجتمع، كما أنه ارتكز على البحث الميداني في بعده السانكروني (وليس على التحليل الاجتماعي في الماضي كما حدث مع التاريخ الاجتماعي للفن)، مستفيدا أيضا من التقدم الذي بلغه علم الاجتماع وباقي حقول العلوم الاجتماعية، سواء فيما يخص الجانب المنهجي أو من ناحية التطور المعرفي الذي عرفته مختلف التخصصات.

بهذا، أصبح علم اجتماع الفن تخصصا قائما بذاته ومستقلا عن الحقول التي انبثق منها. لكن مع ذلك، أشير إلى أن هذا الجيل أو غيره ما كان له أن يظهر ويدلي بدلوه في تطور علم اجتماع الفن لولا التراكم والجدلية الذيْن سبقاه من قبل (سواء في حقلي الفلسفة أو التاريخ أو حقول أخرى)، وهو المبدأ (التراكم والجدلية) الذي ينسحب على تاريخ العلوم في مجمله.

برز إسهام المؤرخ الفرنسي بيار فرانكاستل بشكل مهم في بلورة علم اجتماع الفن، ورغم أن مجال اشتغاله الأول هو علم التاريخ، فإنه لم ينحصر في التاريخ التشكيلي والأسلوبي للفن. وبتركيزه على الجانب الاجتماعي من تاريخ الفن، أصبح فرانكاستل أقرب إلى المدرسة التاريخية الفرنسية "الحوليات" les Annales التي كانت تعتني أيضا بتاريخ الأحداث الصغرى والأحداث المحلية (الميكرو- تاريخ la micro-Histoire).

رأى فرانكاستل أن الفن ليس مجرد انعكاس للمجتمع مثلما يقول الماركسيون التقليديون، بل هو بناء يؤثر في الواقع و يصنع الرؤية إلى العالم. وجدير بالذكر، أنه وقع اختلاف حول سوسيولوجية فرانكاستل، فبالنسبة إليه، فقد ألحق نظريته بعلم الاجتماع وسماها باسم "السوسيولوجيا التاريخية المقارنة"، كما أنه كان أول من شغل كرسي

سوسيولوجيا الفنون بالمدرسة العملية للدراسات العليا بفرنسا، بل وأثر بشكل قوي على عدد من السوسيولوجيين مثل جان دوفينيو Jean Duvignaud وغيره[61].

بالمقابل، ورغم هذا التركيز على الجانب الاجتماعي، إلا أن ناتالي إينيك تعتبر أن أبحاث بيير فرانكاستل تعوزها منهجية البحث السوسيولوجي والمفاهيم الأساسية الخاصة بهذا الفرع المعرفي. وتلك أيضا حال الاتجاهات الأساسية التي ظهرت من قبل، حيث كانت تتجاهل مفهوم تقسيم المجتمع إلى فئات وطبقات، فالمجتمع لا يكون كلا واحدا بل مركبا من جماعات وأوساط مختلفة. ومن دون تلك المفاهيم السوسيولوجية الأساسية، تصبح الوقائع التي يقال إن الفن يحيلنا إليها وقائع ذات طبيعة ثقافية بالمعنى الواسع للكلمة، أكثر مما هي وقائع اجتماعية بالمعنى السوسيولوجي[62].

فيما يخص روجيه باستيد Roger Bastide، فقد استفاد من مزاوجته بين البحث في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، لاسيما أبحاثه في أمريكا اللاتينية حيث قضى فترة مهمة في البرازيل. ويعتبر كتابه "الفن والمجتمع" محطة بارزة في تأسيس سوسيولوجيا الفن من خلال تمييزه بين ثلاث مباحث أساسية في هذا الميدان، والتي يمكن أن أرتكز عليها في تعريف علم اجتماع الفن بكونه: ذلك الفرع من علم الاجتماع الذي يبحث في إنتاج الأعمال الفنية، في الوساطات التي تنقلها وفي تلقي هذه الأعمال وما ينتج عن ذلك من آثار وتفاعلات.

من بين المبادئ التي شدد عليها باستيد لترسيخ علمية سوسيولوجيا الفن هو تجنب النزعة المعيارية التي عُرفت بها الجماليات. يقول باستيد في هذا الكتاب إن "السوسيولوجيا علم وصفي وليس له أن يشرع القوانين"، أي أن يضع المعايير الجمالية[63]. كما دعا أيضا إلى تجنب الأحكام المسبقة وعدم الخلط بين وجهة النظر السوسيولوجية (وهي علمية محضة وتنطلق من الوقائع الميدانية) ووجهة النظر الفلسفية المؤسسة قبلا.

---

[61] BERA. Matthieu et LAMY. Yvon, (2008), Sociologie de la culture, 2ème édition, Armand Colin, Paris, p. 19.

[62] اينيك. ناتالي، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 53

[63] BASTIDE. Roger, (1997), Art et société, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.129.

إن هذا التمييز بين المنظور السوسيولوجي والمنظور الفلسفي يجب أن يكون حاضرا في وعي الباحث، فقد يتم المرور بين هذا المستوى وذاك بشكل غير واع ويتم الاعتقاد بالقيام بالعلم، في حين أن الأمر لا يعدو أن يكون طرحا لتصورات حول الفن. يسوق روجي باستيد مثالا على هذا الأمر، وهو كتاب المفكر الكندي جان ماري كويو Jean-Marie Guyau الذي يحمل عنوان "الفن من منظور سوسيولوجي"، لكنه في واقع الأمر يعالج موضوع الفن من وجهة نظر الفلسفة الاجتماعية[64].

يتبنى روجيه باستيد نظرية قريبة إلى نظرية جان دوفينيو Jean Duvignaud مفادها أن الفرد المبدع يتوجه بطريقة مطردة نحو الاستقلالية والتحرر من تأثير الجماعة التي ينتمي إليها، إن هذه الاستقلالية المتزايدة للفرد توازيها استقلالية أخرى للفن عن حاجات المجتمع ورغباته، فما دام الفن خاضعا لسلطة الحاجات والشغف فلن يكون هناك فن بمعنى الكلمة. ومن دون شك، فهناك حاليا وجود للجمال غير أنه ليس كافيا بحد ذاته، إذ أنه خاضع لأهداف خارجية عنه (المجتمع). وعليه، فلن يولد الفن حقا إلا إذا كان مكتفيا بذاته، فكما يقول بالدوين Baldwin فالفن نشاط ذاتي الغائية والتحقق autotélique. تشكل هذه المسألة نقطة الاختلاف بين روجيه باستيد وعدد كبير من السوسيولوجيين المختصين في حقل للفن أو الذين تناولوا موضوع الفن في إطار مواضيع أخرى[65].

تقودني هذه الأطروحة إلى مساءلة ونقد هذه الفكرة التي طرحها روجيه باستيد والمرتبطة بفرضية استقلالية الفن عن المجتمع، وهو ما يدفعني أيضا إلى التفكير حول ماهية الفن وحول طبيعته. والنتيجة، أنني أعتقد أن هذا الأخير لا يمكن أن تقوم له قائمة وأن يتحقق له وجود في معزل عن المجتمع. فالفرد كمنتج للفن وكمبدع له، مهما بلغ من الاستقلالية والتحرر من الجماعة، يظل بشكل واع أو غير واع متأثرا نسبيا بمحيطه الاجتماعي وبآثار تجربته الذاتية.

---

[64] BASTIDE. Roger, (1997), Art et société, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.180.

[65] PEQUIGNOT. Bruno, (2007), La question des œuvres en sociologie des arts et de la culture, coll. Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.132

أرى أيضا أن هذه النسبية في التأثر تختلف من فرد إلى آخر دون أن تنفي مساحة الحرية الفردية، من هنا برزت واحدة من أهم الإشكاليات في السوسيولوجيا، إن لم نقل أهمها على الإطلاق، وهي إشكالية علاقة الفعل (الفرد) بالبنية (المجتمع). وعليه، أرى أن افتراض هذه الحالة أو الدعوة إليها هو أقرب إلى منطق علم الجماليات منه إلى علم الاجتماع، كما أنه ضرب من ضروب المثالية غير القابلة للتحقق على أرض الواقع.

من بين الانتقادات الأخرى التي جاء بها روجيه باستيد، هو تمييزه بين إسهام كارل ماركس في تناوله للفن وإسهام غيره من الماركسيين. فإذا كان ماركس يرى أن الفن هو انعكاس للبنية الاقتصادية، فإن جورج لوكاتش قد انحرف عن ذلك بإدخاله لمفهوم وسيط بين الفن والبنية الاقتصادية وهو مفهوم الرؤية للعالم، الذي حوره لوسيان كولدمان إلى مفهوم البنية.

أما جان دوفنيو، فقد ساهم في تطور حقل علم اجتماع الفن باشتغاله على حقل المسرح وطقوس الحفلات، كما اشتهر في نفس الوقت بنشاطه في الميدان الأكاديمي من خلال تأسيس شعبة متخصصة في سوسيولوجيا الثقافة بجامعة باريس الرابعة. وهي البنية المؤسساتية التي تخرج منها العديد من الفاعلين الثقافيين الذين تركوا أثرا في تطور الشأن الثقافي بفرنسا، خاصة فيما يتعلق بالسياسات الثقافية بهذا البلد.

أصدر دوفنيو كتابا سنة 1967 عنونه ب"سوسيولوجيا الفن"، وقد ضمنه تركيبا لأهم أفكاره واسترجع فيه بعض المفاهيم الكلاسيكية مثل مفهوم الأنومي عند دوركايم. يعلن دوفينيو في هذا المؤلف أن توجس الفنانين من علماء اجتماع الفن أمر مشروع ويمكن تفهمه. فبالنسبة إليه، كما بالنسبة إلى بيير فرانكاستل، يفوت أغلب السوسيولوجيين الوقوف على ما يشكل جوهر وخصوصية كلا من الأعمال الفنية والفنانين عبر تركيزهم على ربط التجربة الشخصية للإبداع بتحليل البعد الجماعي في المجتمع.

لذلك، يدعو جان دوفنيو إلى سوسيولوجيا تأخذ بعين الاعتبار تجربة الإبداع لكن مع وضعها في سياق الديناميات الاجتماعية، وهي سوسيولوجيا تحاول أن تبحث في أشكال

تجذر المخيال في التجربة الجماعية دون دوغمائية أو حذلقة، وهو ما يتطلب وعيا ابستيمولوجيا لدى الباحثين في هذا المجال[66].

يتكشف التأثير الابستيمولوجي للفيلسوف الفرنسي جاستون باشلار Gaston Bachelard على أعمال جان دوفينيو من خلال نقد هذا الأخير لأربع نزعات فكرية. يتجلى الموقف الأول عبر نقده للمثاليين في كون العمل الفني ليس نتاجا للجمال المطلق، حيث أن ذلك من شأنه أن يعزل هذا المنتوج الفني عن سياق إنتاجه الاجتماعي. أما النقد الثاني، فقد خص التطورية التي تقع في المفارقات التاريخية l'anachronisme بإسقاط منطق التحليل والفكر المعاصر على الماضي.

في حين، وجه نقده الثالث إلى الطبيعية le naturalisme التي ترى في الفن محاكاة للطبيعة، وهي المحاكاة التي تؤول بشكل مزدوج من جهة المؤلف ومن جهة المجتمع أيضا. أما نقده الرابع، فيُبعد الارتباط الكلاسيكي بين الدين والفن الذي يشكل هو الآخر عائقا ابستيمولوجيا في إدراك اندماج العمل الفني في تجربته الجماعية[67].

4- السياسات الثقافية بفرنسا وعلاقتها بعلم اجتماع الثقافة

4-1 إسهام السياسات الثقافية بفرنسا في استكمال تأسيس علم اجتماع الثقافة وتطوره

عرفت سوسيولوجيا الممارسات الثقافية دفعة قوية بفضل تأثير السياسات الثقافية الفرنسية، وتشكل هذه الحالة تفردا فرنسيا بارزا يعبر من جهة أولى عن الأدوار البناءة التي يمكن أن يلعبها الفعل السياسي في تطور العلوم الاجتماعية، ويعبر من جهة ثانية عن الدور التي يمكن أن يلعبه البحث العلمي بشكل عام وعلم الاجتماع بشكل خاص في بناء السياسات واتخاذ القرارات. ولطالما كانت العلاقة بين الأنظمة السياسية والحقل السوسيولوجي مشوبة بالتنافر والانفصال، وقد يكون مرد ذلك إلى الطبيعة النقدية لهذا الفرع من العلوم الاجتماعية. وكمثال على هذه العلاقة، شبه المخرج الفرنسي بيير كارل Pierre Carles السوسيولوجيا

[66] PEQUIGNOT. Bruno, (2007), La question des œuvres en sociologie des arts et de la culture, coll. Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.135.
[67] Idem, p.136

في فيلمه الوثائقي الصادر سنة 2001 بالرياضة القتالية « La sociologie est un sport de combat »[68].

تشكل بداية السياسات الثقافية في فرنسا مثار اختلاف بين السوسيولوجيين، فبالنسبة إلى فانسو دوبوا Vincent Dubois، فقد تأسست هذه السياسات منذ نهاية القرن التاسع عشر حيث عمدت الجمهورية الثالثة في بداياتها إلى إقرار إدارة مستقلة كانت هي الأساس الذي قامت عليه لاحقا السلطات الحكومية المكلفة بتدبير الشأن الثقافي. أما بالنسبة إلى فيليب اورفالينو Philippes Urfalino، فهي تنطلق سنة 1959 الموافقة لتأسيس وزارة الشؤون الثقافية الفرنسية برئاسة الوزير اندري مالرو André Malraux[69]. في حين أن هناك من قد يعتبر أن اهتمام الدولة الفرنسية الحديثة بالثقافة والفنون أقدم من ذلك، نظرا للطبيعة العلمانية للدولة التي يصبح فيها للفن وللفنانين منزلة تساوي أو تفوق منزلة الدين ورجاله.

رغم هذا الاختلاف، فغالبا ما تعود الأدبيات إلى سنة 1959 حينما تريد تناول العلاقة بين السياسات الثقافية وعلم اجتماع الثقافة. كانت فرنسا تعرف خلال هذه المرحلة ضعفا فيما يخص وضعية التنمية الثقافية، تجلى ذلك في ضعف المرافق الثقافية وقلة ارتيادها من طرف الجمهور (وهو ضعف نسبي بطبيعة الحال إذا ما قورن بدول أخرى مثل مستعمراتها آنذاك)، فقد كان هناك مسرح فرنسي واحد يسمى لاكوميدي فرانصيز la Comédie Française، وخمس مراكز درامية وطنية، وكان مبنى اللوفر le Louvre يضم بداخله وزارة المالية، فيما كان قصر فيرساي Versailles عبارة عن فندق. في الجانب الإعلامي، لم تكن هناك إلا محطة تلفزية واحدة[70]، وينضاف إلى ذلك وجود تفاوتات طبقية من ناحية الإقبال على الممارسات الثقافية.

[68] TRUC. Gérôme, (2002), «La sociologie est-elle un sport de combat ? L'image du sociologue en Pierre Bourdieu», (63-88.), in: Terrains et travaux, n°3, Ed ENS Paris-Saclay, Paris, 2002/1. p.63.
[69] PEQUINOT. Bruno, (2009), Sociologie des arts, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p. 16
[70] DETREZ. Christine, (2014), Sociologie de la culture, coll. Cursus sociologie, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p. 14.

بالموازاة مع هذه المشاكل، كانت الظرفية السوسيواقتصادية تعرف انتعاشا مهما لم يقتصر فقط على فرنسا بل شمل عددا من الدول المتقدمة[71]، وهو ما سمي بسنوات les Trente Glorieuses التي امتدت من سنة 1945 إلى سنة 1973. خلال هذه الفترة عرفت فرنسا تمددا في الوقت الحر لمواطنيها وارتفاع كل من مستوى الدخل والتعليم، وهو ما كان مناسبا لجعل الفرد يحقق ذاته من خلال الهوايات والممارسات الثقافية في إطار المؤسسات والمرافق الثقافية[72].

أمام هذه الظروف، وضعت وزارة الثقافة الفرنسية سياسية ثقافية قائمة على دمقرطة الثقافة بهدف تشجيع ولوج أكبر عدد من المواطنين للأعمال الثقافية الكبرى حتى يتسنى تقليص الفوارق الثقافية وتشجيع الإبداع ونشر الثقافة. تم الشروع في تنزيل هذه الاستراتيجية بتشكيل "لجنة التجهيزات الثقافية والتراث الفني" سنة 1961، حيث دعت هذه الأخيرة إلى القيام بإحصائيات ثقافية بغية توفير المعطيات اللازمة لبناء المخططات الثقافية.

في سنة 1963 تم خلق "مصلحة الدراسات والأبحاث" بهدف دراسة جماهير الثقافة والتعرف على خصائصها الاجتماعية حسب إحصائيات علمية، وذلك تحت إشراف جيرار اوغستان Girard Augustin الذي كان دائما يؤكد على دور العلوم الاجتماعية في تأسيس السياسات الثقافية[73]. بمجرد تأسيسها، طلبت مصلحة الدراسات والأبحاث من بيير بورديو وألان داربل Alain Darbel القيام ببحث ميداني حول ارتياد المتاحف في أوربا، وهو البحث الذي أسفر سنة 1966 عن إصدار المؤلفين لكتاب حمل عنوان "حب الفن" « L'amour de l'art »[74].

---

[71] COULANGEON. Philippe, (2005), Sociologie des pratiques culturelles, 1ère édition, La Découverte, Paris, p.3.

[72] DETREZ. Christine, (2014), Sociologie de la culture, coll. Cursus sociologie, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p. 14

[73] DONNAT. Olivier, (2003), présentation, (9-37), in : Regards croisés sur les pratiques culturelles, sous la direction de DONNAT Olivier, La Documentation française, Paris, p. 10.

[74] FLEURY. Laurent, (2007), « Le discours d'échec de la démocratisation de la culture : constat sociologique ou assertion idéologique ? », (75-99), in : Les usages de la sociologie de l'art, construction théoriques, cas pratiques, sous la direction de Sylvia Girel et Serge Proust, L'Harmattan, Paris, p.76.

ساعدت هذه الظروف السالفة الذكر على استكمال تأسيس سوسيولوجيا الثقافة في فرنسا على مستويين. فقد تجلى المستوى الأول في البناء المؤسساتي، حيث ارتبط تقدم علم اجتماع الثقافة بالتطور الذي عرفته هياكل وزارة الثقافة الفرنسية، وتجلى المستوى الثاني في التأسيس الفكري لعلم اجتماع الثقافة مع تبلور خطاب سوسيولوجيا بيير بورديو، وذلك بالتقاطع مع الأبحاث التي أجراها هذا الأخير مع كلود باسرون Claude Passeron حول موضوع التربية[75].

بالموازاة مع ذلك، استفادت سوسيولوجيا الثقافة في فرنسا من إسهامات البحث العلمي في دول أخرى، لاسيما الأبحاث الإحصائية الكبرى التي أقيمت على النمط الأمريكي مثل أبحاث بول لازارسفيلد Paul Lazarsfeld حول الآراء والمواقف[76]. بالإضافة إلى ذلك، تمت الاستفادة أيضا من مناهج البحث في العلوم الاقتصادية، إذ أضفت المناهج الكمية صفة العلمية على علم الاجتماع بعد أن كان متأثرا بتقليد علم الجماليات.

بالنسبة إلى عدد من السوسيولوجيين المهتمين بالممارسات الثقافية آنذاك مثل جوفر دومازوديي Joffre Dumazedier، فإن هذا التداخل بين العلوم الاقتصادية وعلم الاجتماع من أجل التنمية الثقافية قد أكسب هذا الأخير بعض "التحرر" مما اعتبره نظرة "تشاؤمية" لعلم الاجتماع، خاصة سوسيولوجيا بيير بورديو التي رأى أنها تركز على جوانب "سلبية" مثل الهيمنة والفوراق الاجتماعية، وذلك في مقابل الرؤية "التفاؤلية" لعلم الاقتصاد الذي يركز على التنمية، الإنتاج، الاستهلاك وتصنيف الموارد[77]. ويبقى أن أبرز ما قدمته السياسيات الثقافية الفرنسية إلى تطور علم اجتماع الثقافة هو نتائج الأبحاث الميدانية حول "الممارسات الثقافية للفرنسيين" les Pratiques Culturelles des Français.

---

[75] Fleury. Laurent, (2011), « Mesurer les pratiques culturelles : les enjeux épistémologiques et idéologiques des choix méthodologiques », (23-44), in: Nouveaux regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p. 25.

[76] Idem, p. 26

[77] Collectif, (1993), « Sciences sociales et politiques culturelles. entretiens avec Joffre Dumazedier et Augustin Girard », (57-77), in: Politix, vol. 6, n°24, Quatrième trimestre, Ed. De Boeck Supérieur, Paris. p.65.

2-4 خلاصات وحدود الأبحاث الميدانية حول "الممارسات الثقافية للفرنسيين"

من خلال سلسة الأبحاث الميدانية حول الممارسات الثقافية للمواطنين الفرنسيين سعت وزارة الثقافة الفرنسية إلى تحقيق هدف مزدوج: فمن جهة أولى، يسمح هذا الفعل بدراسة الجمهور لمعرفة كيفية التعاطي معه وإشباع حاجياته. ومن جهة ثانية، سيمكن ذلك من تتبع، تقييم وتعديل السياسات الثقافية التي تم بناؤها[78]. بعد أن انطلقت هذه السلسلة من الأبحاث منذ بداية السبعينات، جرى تنظيمها كل ثمان أو عشر سنوات بحيث تتطرق إلى مواضيع متنوعة لكن المحاور الأساسية تظل مركزة حول دراسة كيفية استعمال الوقت وحجم وكيفية الإنفاق على الممارسات الثقافية وأهمية التردد عليها.

هكذا جرى تنظيم هذه الحملات البحثية خلال السنوات: 1973؛ 1981؛ 1988؛ 1997؛ 2008، حيث كانت الحملتان الأولتان لسنة 1973 و1981 تحت إشراف أوغستان جيرار، بعد ذلك تولى الإشراف مساعده أوليفيي دونا Olivier Donnat[79]. بعد سنة 2008، تم الاستمرار في أبحاث ميدانية متخصصة لكن بشكل أقل حجما من النسخ الخمس السالفة. يشار إلى سنة 2018 عرفت تنظيم النسخة السادسة من هذه الأبحاث بهدف نشرها في إصدارات فردية وجماعية[80].

من بين ميزات هذه السلسلة من الأبحاث حرصها على الاحتفاظ بنفس الأسئلة الأساسية لتوفير الشروط والظروف اللازمة لعقد مقارنات عبر الزمن، مع العمل على التنقيح بأسئلة جديدة لرصد التغيرات الاجتماعية ومواكبتها، مثل التغيرات الناتجة عن ظهور الثقافة

---

[78] DUCRET. André et MOESCHLER. Olivier, (2011), « La sociologie à l'épreuve des pratiques culturelles et vice-versa », in: Nouveaux Regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p.14.

[79] DONNAT. Olivier, (2011), «Pratiques culturelles des Français »: une enquête de marginal-sécant, au croisement de la sociologie de la culture, des médias et des loisirs, (93-111), in: Le fil de l'esprit. Augustin Girard, un parcours entre recherche et action, Comité d'histoire du Ministère de la Culture et de la Communication, Paris, p. 93.

[80] Sur le site : https://www.cnis.fr/wp-content/uploads/2017/10/DC_2016_2e_reunion_DQS_AO_Pratiques-culturelles.pdf

الرقمية وتغير أنماط ممارسات الوقت الحر وتدبيره[81]. وقد مكنت مقارنة حملة سنة 1988-1989 مع الحملتين السابقتين من الوقوف على عدد من النتائج، من بينها :

- ❖ تاثير التحولات التكنولوجية في الحقل الاتصال السمعي البصري على الممارسات الثقافية، وتجلى ذلك على وجه الخصوص في الإقبال الكبير على الموسيقى ومشاهدة التلفاز (خاصة بعد سنة 1981)، مما أعاد طرح إشكاليات الثقافة الجماهيرية التي تم التطرق إليها مع مدرسة فرانكفورت ومع إدغار موران Edgar Morin لاحقا سنة 1960[82]؛
- ❖ رغم استمرار "ثقافة المنزل" إلا أن الفرنسيين أصبحوا أكثر حركية في ممارساتهم الثقافية عبر القيام بها في الفضاء العام، وهو ما فند الفرضية التي تنبأت أن انتشار التلفاز سيؤدي إلى انغلاق المواطنين في الفضاء الخاص؛
- ❖ تزايد إقبال الفرنسيين على الثقافة مع تغير في مراكز اهتماماتهم الثقافية، فلم تعد الممارسات الثقافية تتسم بالطابع "الكلاسيكي" فقط، بل تنوعت بممارسات جديدة بعد تطور الوسائل السمعية البصرية؛
- ❖ استمرار العوامل المادية والرمزية في الحفاظ على الفوارق الاجتماعية في الإقبال على الممارسات الثقافية، وهي النتيجة التي ترتب عنها تطورات فكرية، خاصة مع نظرية بيير بورديو التي تعرضت هي أيضا للنقد فيما بعد [83]؛

بعد إصدار نتائج بحث سنة 2008، تمحورت إشكاليات الباحثين حول أبرز التغيرات التي طرأت على الممارسات الثقافية بفعل الثورة الرقمية، فكانت النتائج العامة كالتالي[84]:

---

[81] DONNAT. OLIVIER et COGNEAU. Denis, (1990), Les pratiques culturelles des français 1973-1989, 1ère édition, La Découverte, Paris, p.5.

[82] DONNAT. OLIVIER, (2003), Regards croisés sur les pratiques culturelles, 1ère édition, La Documentation Française, Paris, p.20.

[83] DONNAT. OLIVIER et COGNEAU. Denis, (1990), p. 6-7.

[84] DONNAT. Olivier, (2009), Les pratiques culturelles des Français à l'ère numérique. Éléments de synthèse 1997-2008, Coll. Etudes, Département des études, de la prospective et des statistiques, Paris, sur le site: http://www.pratiquesculturelles.culture.gouv.fr/08synthese.php

- ❖ إتاحة الثقافة الرقمية لآفاق غير محدودة كإمكانية القيام بممارسات ثقافية عبر الشاشات الرقمية، وهو ما يسجل أكثر لدى فئة الشباب وعند الطبقات الاجتماعية الميسورة؛
- ❖ تراجع نسبة الإقبال على التلفاز والمذياع خاصة من طرف الشباب، في حين أن هذا التراجع تتم موازنته عند الفئات العمرية التي تفوق 45 سنة؛
- ❖ تزايد نسبة الإقبال على الموسيقى والأفلام لدى الشباب، علما أن هذا الارتفاع في النسبة يرافقه تغير في الأذواق حسب الفئات العمرية؛
- ❖ استقرار في نسبة الإقبال عل المرافق الثقافية، وقد تم التوصل إلى هذه النتيجة من خلال مقارنة معدلات الممارسات مع نتائج البحث الميداني السابق؛
- ❖ بروز الطبيعة التعبيرية للممارسات الثقافية، ويتجلى ذلك على وجه الخصوص من خلال ما يسمى ب"ممارسات الهواة" les pratiques en amateur التي يتم القيام بها خلال الوقت الحر؛
- ❖ بروز طبيعة أخرى لهذه الممارسات الثقافية تجلت في سيرورتها التهجينية l'hybridation de la culture.[85]

إهتم عدد من الباحثين بدراسة الجانب المنهجي والابستيمولوجي لهذه السلسلة من الأبحاث حول الممارسات الثقافية للفرنسيين، لاسيما أن هذين الجانبين غالبا ما يحظيان باهتمام أقل من الاهتمام الذي تحظى به النتائج، علما أنهما قد يكونا حاملين لخلفيات إيديولوجية وآليات منهجية من شأنها أن تؤثر في النتائج. وكمعظم الحالات، فقد اتصفت منهجية هذه الأبحاث "بنقاط قوة"، وتعرضت في نفس الوقت إلى انتقادات حول ما اعتبر "نقاط ضعف". من بين المميزات المنهجية لهذه الأبحاث:

- ❖ الطبيعة العرضانية transversale لهذه الحملات، إذ شملت أغلب الحقول الثقافية والفنية. وبهذا وفرت معطيات مستفيضة عن الجماهير، كما قدمت معلومات تأطيرية

[85] DONNAT. OLIVIER, (2003), Regards croisés sur les pratiques culturelles, 1ère édition, La Documentation Française, Paris, p. 22.

des données de cadrage يمكن أن تكون مرجعا في بحوث متخصصة أخرى في حقول ثقافية[86].

- ❖ استناد بنائها على أبحاث سابقة مثل استطلاع الرأي الذي تم انجازه سنة 1999 من طرف المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية INSEE، البحث حول التشغيل لسنة 2005 l'enquête Emploi والحصيلة الديمغرافية لسنة 2006 le bilan démographique.
- ❖ اختيار عينة من 21 جهة من البلاد، ومن أجل الرفع من تمثيليتها، أُخذت بعين الاعتبار مجموعة من المتغيرات، منها: جنس المبحوثين، عمره، الفئة السوسيومهنية لرب الأسرة، عدد الأفراد في الأسرة، طبيعة نشاط الأم[87].

من جهة أخرى، كانت هذه الأبحاث موضوع انتقادات، من بينها:

- ❖ كون هذه الأبحاث ذات منظور دوركايمي وضعي يعتمد البحث عن قوانين اجتماعية وعلى مفهوم الواقعة الاجتماعية التي ينبغي تفسيرها، وليس بناء على باراديغم فيبري تفهمي أو تفاعلي حسب منظور سيمل، وهو ما قد يكون غير كاف للنفاذ إلى العمق السوسيولوجي لهذه الظاهرة الثقافية[88].
- ❖ نتجت عن هذا الباراديغم الوضعي الدوركايمي مقاربة استهلاكية consumériste تسعى إلى دراسة استهلاك الممارسات الثقافية أكثر من السعي إلى فهم الدلالات، وهو ما يؤثر في إعادة بناء وتعديل الإشكاليات، بل ويؤثر حتى في النتائج وكيفية استثمارها[89]. أدت هذه المقاربة الاستهلاكية إلى توظيف أداة استطلاع الآراء ذات الطبيعة الكمية والتي تركز على ما يصرح به المبحوثون، لكنها لا يمكن أن تصل إلى

[86] DONNAT. OLIVIER et COGNEAU. Denis, (1990), Les pratiques culturelles des français 1973-1989, 1ère édition, La Découverte, Paris, p.6

[87] Sur le site : http://www.pratiquesculturelles.culture.gouv.fr/08methodologie.php

[88] Fleury. Laurent, (2011), « Mesurer les pratiques culturelles : les enjeux épistémologiques et idéologiques des choix méthodologiques », (23-44), in: Nouveaux regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p. 28

[89] Idem, p. 23.

المسكوت عنه الذي لم يتم تضمينه في الاستمارات، كما أنها لا تلاحظ الممارسات على أرض الواقع، مما قد يحدث فرقا بين ما يتم التصريح به وما يحدث فعلا على مستوى الممارسة، مما ينعكس أيضا على الاستنتاجات والتأويلات[90].

- ❖ توظيف بُعد الحتمية، من خلال إبراز دور المحددات الاجتماعية، وهو ما يرتبط بالخطاب حول فشل مشروع الدمقرطة الثقافية واستمرار التفاوتات الاجتماعية في الممارسات الثقافية كإحدى نتائج البحث[91].

لكن رغم هذه الانتقادات لا يمكن إنكار مساهمة هذه البحوث في تطور سوسيولوجيا الثقافة إن على مستوى مناهج البحث وتقنياته أو على المستوى الفكري والنظري.

[90] DONNAT. Olivier, (2011), «Pratiques culturelles des Français »: une enquête de marginal-sécant, au croisement de la sociologie de la culture, des médias et des loisirs, (93-111), in: Le fil de l'esprit. Augustin Girard, un parcours entre recherche et action, Comité d'histoire du Ministère de la Culture et de la Communication, Paris, p.12

[91] Fleury. Laurent, (2011), « Mesurer les pratiques culturelles : les enjeux épistémologiques et idéologiques des choix méthodologiques », (23-44), in: Nouveaux regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p.30

المبحث الثالث:

وضعية الممارسات الثقافية بالمغرب

1- الحضور القوي للثقافة الرقمية عند الشباب كأحد محركات الديناميات السوسيوثقافية

نتج عن التقدم التقني الذي عرفته تكنولوجيا الاتصال ديناميات سوسيوثقافية مهمة سواء من حيث تسارع إيقاعها أو من حيث مدى ارتباطها بعوامل وحقول اجتماعية أخرى، وقد اتسع تأثير هذه الديناميات لدرجة أن إيقاع التغير الاجتماعي الذي عرفته المجتمعات الإنسانية في العقود الأخيرة يتجاوز بكثير ما حققه البشرية مند قرون. ومن بين ما شملته هذه الديناميات حقل الممارسات الثقافية بشكل عام، ولدى فئة الشباب بشكل خاص.

تولدت عن هذه المستحدثات مفاهيم جديدة ينبغي تعريفها نظرا لارتباطها بثقافة الشباب، أولى هذه المفاهيم مفهوم الثقافة الرقمية المحيل على مجموعة من العمليات ذات الطابع الثقافي (من إنتاج وتوزيع وتلقي وتمثلات وعلاقات اجتماعية وغيرها)، والتي تتم عبر شبكة الانترنت على وجه الخصوص. وهي جيل جديد من التقنية يعتمد على الإشارة الرقمية le signal numérique بعد أن كان الاعتماد في الوسائط الإعلامية السابقة (مثل القنوات الفضائية) على الإشارة التناظرية le signal analogique [92].

في ظل التحولات التي تعرفها المجتمعات الحديثة، تولد عن الثقافة الرقمية ظهور روابط اجتماعية جديدة، فأصبح الحديث عن "المجتمعات الافتراضية" التي تطورت بالموازاة مع تراجع العلاقات التقليدية والمجتمعات المحلية. وقد كان عالم الاجتماع الأمريكي والناقد الأدبي هوارد راينجولد Howard Rheingold أول من صاغ مصطلح "المجتمع الافتراضي" بعد أن لاحظ تراجع "الفضاء الثالث" كعنصر مهم لتشكل المجتمعات المحلية في المجتمع الأمريكي، ويقصد بهذا الفضاء الثالث الأمكنة الاجتماعية التي يرتاح فيها الناس من أعباء اليومي، فيتحدثون بارتياح في أمورهم الخاصة ويتخلصون من قيود العمل والشكليات الرسمية مثل الأندية الشعبية والاستراحات العامة أو الخاصة بمجموعات معينة[93].

---

[92] RIEFFEL. Rémy, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris, p. 29.

[93] رحومة. علي. محمد، (2008)، علم الاجتماع الآلي، مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد 347، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت. ص. 69

إذا أثرت تكنولوجيا الاتصال الرقمية على جوانب الثقافة بالمعنى الشمولي من قيم وهوية وعلاقات اجتماعية الخ، فقد أثرت أيضا على البعد الثقافي بالمعنى التخصيصي. ففي الوقت الذي شكلت فيه هذه التقنية سياقا (وليس سببا) لتراجع ممارسات ثقافية توصف بالتقليدية (مثل المسرح، القراءة الورقية)، فقد شجعت من جهة أخرى على ظهور أو تطور ممارسات ثقافية تتوافق معها (ممارسة التدوين الالكتروني، القراءة الرقمية، التصوير الفوتوغرافي أو السمعي-البصري، فن التصميم، الخ).

من بين ما يميز استعمال الثقافة الرقمية أن مرتاديها هم في نفس الوقت متلقين (يستهلكون موادها)، ومنتجين (يخلقون ويبدعون مضامين جديدة) ووسطاء موزعين (يتداولون ويتشاركون المحتوى فيما بينهم)[94]. ويرى ريمي ريفل RIEFFEL Rémy في كتابه "الثورة الثقافية، ثورة رقمية ؟" أن عددا من علماء الاجتماع اعتبروا التكنولوجيات الرقمية مصدر نشاط حقيقي ومنطقي ليس بجديد لكنها تفسح المجال لتركيبات أصيلة. على سبيل المثال، قدم كل من فرانسيس جوريجيبيري Francis Jauréguiberry وسيرج برو Serge Proulx ثلاث تركيبات: منطق الاندماج، المنطق الاستراتيجي ومنطق الذاتية.

فمنطق الاندماج يتعلق بالحاجة إلى الارتباط بالشبكة المناسبة في الوقت المناسب، وهو يعكس الشعور بالاعتراف بالذات من خلال الحضور على الشبكة. أما المنطق الاستراتيجي فهو منطق الربح، الفعالية والمردودية، وهو ما يمكن أن يتحقق مثلا من خلال ربط علاقات تخدم المسار المهني أو تتعلق بالحياة العاطفية أو القيام ببعض المعارف في الحقل الثقافي كالموسيقى. في حين، يحيلنا منطق الذاتية على مفعول الفاعل والمفعول، فالفرد المعاصر لا يتم اختزاله في الوضع الاجتماعي فقط، فهو يبحث عن معنى لوجوده، وهو ما يتمظهر من خلال مضامين المدونات وصفحات وحسابات مواقع التواصل الاجتماعي كأشكال جديدة للتعبير عن الذات والفعل[95].

---

[94] RIEFFEL. Rémy, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris, p.44

[95] ريفيل. ريمي، (2018)، الثورة الرقمية، ثورة ثقافية؟، ترجمة سعيد بلمبخوت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 462، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص. 37.

هكذا، وعلى غرار الممارسات الثقافية التي تمارس في الحياة الواقعية، يمكن التمييز في الثقافة الرقمية التي تمارس في العالم الافتراضي بين ثقافة المعرفة، الفكر، التقنية والعلم من جهة، وثقافة الترفيه والتعبير الانفعالي من جهة أخرى، علما أن هناك اختلافات بين هذين النمطين الثقافيين من حيث المضمون، مدى انتشاره، نوعية الجمهور وحجمه.

فتحت الانترنت آفاقا واسعة أمام الفاعلين الواعين بأهمية المعرفة والفكر في التقدم، وذلك من خلال استثمار المعرفة في تطوير مسار حياتهم على المستوى الفردي أو من خلال توظيفها لإحداث تغيير اجتماعي، لاسيما أن التكنولوجيا والمعرفة قد أصبحتا من وسائل خلق الثروة وأداة للسلطة في مختلف مناحي الحياة. هذا ما أبرزه عالم الاجتماع الأمريكي وعالم المستقبليات ألفن توفلر في كتابه "حضارة الموجة الثالثة" بعد أن أوضح أن البشرية عرفت إلى حد الآن ثلاث "موجات": موجة ما بعد الثورة الزراعية وموجة الثورة الصناعية ثم "مجتمع الموجة الثالثة" الذي تلعبه فيه المعرفة والتكنولوجيا دورا طلائعيا[96].

بهذا، أصبح الحديث رائجا عن مجتمع المعلومات كمجتمع قائم على ثلاثة عناصر رئيسية: المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا. وحسب إعلان المبادئ الخاصة بالقمة العالمية لمجتمع المعلومات العالمي المنعقدة في جنيف سنة 2003، يستطيع كل فرد في مجتمع المعلومات استحداث المعلومات والمعارف والنفاذ إليها واستخدامها وتقاسمها، هو إذن مجتمع يتمكن فيه الأفراد والمجتمعات من تسخير إمكاناتهم كاملة للنهوض بتنميتهم المستدامة ولتحسين نوعية حياتهم[97].

أصبح هذا السياق الرقمي يتيح للشباب مجموعة من الإمكانات في إطار ممارساتهم الثقافية، ومن بين الأمثلة على ذلك مبدأ "المصادر المفتوحة" open sources التي ارتبطت بشكل خاص بمجال البرامج المعلوماتية، إذ يمكن الولوج إلى شيفرات هذه الاخيرة وتعديلها لتكييف استخدامها واستثمارها بدون قيود الملكية الفكرية. في إطار مبدأ المصدر المفتوح، يمكن إدراج الكتب الالكترونية التي أصبحت ترقمن بشكل قانوني أو غير قانوني وأصبح

[96] توفلر. ألفن، (1990)، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ص. 12.

[97] عبود. رامي، (2013)، المحتوى الرقمي العربي على الانترنت نظرة على التخطيط الاستراتيجي العربي والعالمي، الطبعة الأولى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص.23.

باستطاعة المستخدم تكوين مكتبة الكترونية بشكل مجاني يتيح نقلها بكل سهولة أو الولوج إليها من أماكن مختلفة. وقد أصبح الطلبة المغاربة يقبلون بشكل كبير على هذه التقنيات، نظرا لضعف القدرة الشرائية وقلة توفر المكتبات العمومية وعدم توفر هذه الأخيرة على الميزانيات الكافية لاقتناء المنشورات الحديثة.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، يستفيد الطلبة أيضا من أحدث المنشورات الثقافية والعلمية بفضل انخراطهم أو انخراط جامعاتهم في شبكات الكترونية متخصصة في حقل التعليم، كما أصبح بالإمكان متابعة الدراسة عن بعد والحصول على شواهد أكاديمية. وقد أصبح ملاحظا أن استثمار الطلبة المغاربة للتكنولوجيا الرقمية في مجال التعليم يسير بإيقاع أسرع من إيقاع المؤسسات التعليمية التي مازال أغلبها يعتمد على الوسائل والمناهج التقليدية، في وقت أصبحت فيه الدول المتقدمة تدمج الأداة الرقمية بشكل مركزي في أنظمتها التعليمية منذ المراحل الأساسية لمسار التلاميذ.

ليست الحكومات وحدها من اصبحت تمج الوسائط الرقمية في التعليم، بل حتى أفراد المجتمع أصبحوا يساهمون في بناء مجتمع المعرفة، من الأمثلة على ذلك الموقع الشهير "ويكيبيديا" wikipedia المخصص لتشارك المعرفة والذي يصنف ضمن المواقع العشرة الأولى في العالم من حيث عدد الزوار[98]. عند المقارنة بين نسخ هذا الموقع من حيث اللغة يتبين أن المستخدمين في الدول الغربية قد يعنون محتوى هذه الشبكة بشكل غزير جدا، في حين أن هناك الكثير من المقالات الفارغة أو المتواضعة في نسخته العربية. رغم ذلك، يعد هذا الموقع، سواء في نسخته العربية أو الفرنسية، منطلقا للطلبة المغاربة للقيام بأبحاثهم إذ يقدم لهم المعرفة بشكل مبسط ومركز.

بالإضافة إلى ذلك، تقدم التكنولوجيا الرقمية آفاقا أخرى للشباب في مجال المعرفة من خلال التشبيك الثقافي والمعرفي، فمواقع التواصل الاجتماعي تتوفر على شبكات ومجموعات موضوعاتية تتناول حقولا متخصصة، ما يسمح للمستخدم بأن يجد في نفس

[98] FLICHY. Patrice, (2010), Le sacré de l'amateur, sociologie des passions ordinaires à l'ère numérique, 1ère édition, La République des Idées et Seuil, Paris, p. 68.

الفضاء مستخدمين آخرين يهتمون بنفس التخصص، فيتفاعل معهم ويتبادل معهم المعلومات والملفات ويربط علاقات اجتماعية معهم[99].

مع التضخم الكبير الذي عرفته سوق تكنولوجيا المعلومات بفعل الانتشار الكبير للأجهزة الالكترونية والانخفاض النسبي لتكلفة الارتباط بالانترنت، أخذت الثقافة الرقمية ترتبط بشكل متزايد بممارسات الترفيه، وهي في ذلك تشكل استمرارية وتطورا للثقافة الجماهيرية التي بدأ انتشارها مع وسائل الاتصال التي أصبحت تنعت بالتقليدية (مثل التلفاز والمذياع). بهذا، أصبح الترفيه الرقمي ينافس الممارسات الثقافية التي توصف بالتثقيفية. ترتب عن هذا الواقع الجديد موقفين متعارضين: موقف يرى أن الثقافة الرقمية قد أدت إلى حد كبير إلى الاستيلاب في ثقافة الشباب، وموقف آخر يرى أن توظيف الثقافة الرقمية يبعث على التفاؤل.

يعتقد أنصار الموقف الأول أن فئة الشباب لا تستفيد كثيرا من الجوانب "الايجابية" لوسائل الاتصال، بل إنها تقضي حيزا زمنيا أكبر من اللازم في ممارسات رقمية "ليست ذات جدوى" على حساب ممارسات أخرى ينبغي القيام بها. وتطرح دوافع قضاء هذا الوقت إشكالية القدرة على التحكم في الذات إزاء الجذب الذي تمارسه الثقافية الرقمية على مرتاديها، إذ أصبح الحديث عن نوع جديد من الإدمان هو الإدمان على الانترنت وما يرافقه من أعراض لا تتوقف فقط عند المستوى النفسي بل تتعداه إلى المستوى العضوي[100].

بالإضافة إلى ذلك، يرى هذا الفريق أن أغلب محتوى الانترنت (خاصة من المواد السمعية البصرية التي يتم إنتاجها من طرف الهواة) يعبر عن ثقافة شعبية تعج بالطابع اليومي ذي المستوى السطحي. وحيث أن تأثير هذه الفئة من "العامة" أصبح قويا، فقد تراجع حضور النخبة المثقفة في الفضاء الرقمي بسبب المنافسة وبفعل ضعف اهتمام الجمهور بمواضيع التثقيف، بالتالي، أصبحت تطرح الإشكالية: هل نسير نحو ثقافة افتراضية بلا

[99] عماد. عبد الغني، (2012)، الثقافة وتكنولوجيا الاتصال التغيرات والتحولات في عصر العولمة... والربيع العربي، سلسلة طريق المعرفة، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص. 68.

[100] JUNEAU. Sandra et MARTEL. Joane, (2014), « La cyberdépendance, un phénomène en construction », (285- 310), in : Déviance et Société, (Vol. 38), revue Médecine & Hygiène, p.289. sur le lien : https://www.cairn.info/revue-deviance-et-societe-2014-3-page-285.htm?contenu=article

مثقفين ؟[101]. أما الموقف الثاني فيتصف بالتفاؤل إذ يستبشر مناصروه بالآفاق الواعدة التي فتحها الفضاء الرقمي أمام الشباب من أجل تأكيد وتطوير وجودهم الاجتماعي على مستويات مختلفة بما فيها البعد الثقافي، سواء تعلق الأمر بالاستهلاك أو بالإنتاج.

من بين الخصائص التي أصبحت تميز الثقافة الرقمية الشبابية حضور ثقافة الهواة la culture des amateurs، وهي الإنتاجات الثقافية التي تصدر عن أفراد هواة لا يحترفون المهن الثقافية، إذ أصبح بإمكان الأفراد نشر ومشاركة إبداعاتهم الثقافية باستعمال أجهزة جد متاحة قد تقتصر على هاتف ذكي فقط. يؤشر ذلك على إعطاء القيمة لخبرة وتجربة يمكن نعتها بالترميق le bricolage، والتي تؤدي في عدد من الحالات إلى إبداعات أصيلة تعبر عن قدرات الأفراد على العطاء والابداع، ويتحقق ذلك في إطار ممارسات بسيطة بهدف الترفيه والمتعة أو في إطار الفعل الملتزم بقضايا معينة[102].

يرى باتريس فليشي Patrice Flichy أن صعود الهواة ينخرط في إطار ثلاث تطورات أساسية تعرفها المجتمعات المعاصرة: أولها التوجه العام نحو الفردانية الذي يشجع الفرد على التفتح l'épanouissement وإشباع الذات والاهتمام بها مع البحث عن الاعتراف والتقدير من طرف الغير؛ وثانيها انتشار المعارف وتطوير الكفاءات عبر التعلم الذاتي، فبخلاف التراتبيات في المؤسسات التعليمية لا يتطلب القيام بذلك التوفر على شهادات معترف بها. أما التطور الثالث، فيتجلى في دمقرطة القدرات من حيث أن لكل فرد كفاءة معينة يمكنه الاشتغال عليها وتشاركها أمام الآخرين[103].

يذكّر انتماء الهواة إلى جماعات التفضيلات المشتركة بالتمييز الذي أقامه فيردناند تونيز بين الجماعة والمجتمع. وفي هذا السياق، يمكن القول أن هذه المجموعات من الجماهير يمكن وصفها بالجماعة إذ تتشارك في الإعجاب بنفس الوجوه ويفضل أفرادها أن

---

[101] حقي. عبده، (مارس 2017)، "هل نسير نحو ثقافة افتراضية بلا مثقفين ؟، (117-120)، في: باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 1، تازة، يناير، ص. 119.

[102] RIEFFEL. Rémy, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris, p. 126

[103] Idem, p.12 .

يلتقوا فيما بينهم لتقاسم نفس الأذواق ونفس المتع، كما أنهم يقضون أوقاتهم في الحديث عن حياة وإنتاجات الأيقونات التي أعجبوا بها[104].

2- الموسيقى

تتميز الموسيقى بكونها من أكثر الحقول الثقافية التي تعكس التنوع الثقافي للمجتمع المغربي، كما أن خطاباتها تعكس التمثلات والديناميات الاجتماعية ومختلف أشكال الصراع التي تخترق البنية الاجتماعية. زيادة على ذلك، تتميز الموسيقى بكونها أكثر الممارسات الثقافية حضورا عند فئة الشباب، فهم يوظفونها بأشكال مختلفة (استهلاكا أو إنتاجا) للتعبير عن هوياتهم وقيمهم واختلافاتهم.

عرفت الثقافة المغربية الموسيقى على مر العصور، لكن منذ فترة الحماية سيعرف هذا الفن ملامح من التحديث بعد أن انضافت إلى الأنماط التقليدية المحلية أنماط موسيقية جديدة تمثلت في بروز كل من: النمط المشرقي العربي خاصة أن الحركة الوطنية ربطت جسورا ثقافية وسياسية مع دول المشرق؛ النمط الغربي الذي تم استجلابه بفعل الاحتكاك المباشر مع الأجنبي؛ ثم شكل جديد للموسيقى المغربية استلهم من النمط المشرقي وسمي "بالموسيقى المغربية العصرية" لكن اسمه سيتغير لاحقا بعد عقود ليتحول هو ذاته إلى "الموسيقى المغربية الكلاسيكية". وقد بدأت تظهر ملامح هذه الموسيقى العصرية في الثلاثينات بتأسيس "الجوق الملكي"[105].

خلال السنوات الأولى للاستقلال طرحت الإشكالية بين الحداثة والتراث على مستوى الموسيقى من خلال التمايز في القيمة الفنية بين الأنماط الموسيقية (وهو ما يذكر بإشكالية الفن الشرعي والفن غير الشرعي التي طرحها بيير بورديو في السياق الغربي). تجسد ذلك في القيمة الجمالية والاجتماعية التي أعطيت لنمط "الموسيقى المغربية العصرية" بعد أن

[104] RIEFFEL. Rémy, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris, p. 129

[105] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص.85

حظيت بدعم مختلف الفاعلين، في حين ظلت الأنماط التقليدية (العربية والأمازيغية) في تلك الفترة في عداد الفلكلور، وهي الوضعية التي ستتغير لاحقا بعد عقود من الزمن[106].

في نفس الاتجاه، برزت الأغاني الوطنية خلال سنوات السبعينات ولقيت هي الأخرى دعما من المؤسسات العمومية حيث كانت آلية من اليات تدعيم شرعية الدولة، في سياق اتسم آنذاك بتصاعد خطاب الحركات الثقافية المعارضة للثقافة الرسمية[107]. بالموازاة مع ذلك، برز فعل شبابي راهن على تحقيق التجديد الثقافي من خلال التوليف بين مختلف الأنماط الموسيقية، وهو ما تمظهر مثلا مع موسيقى "الإخوان ميكري" الذين زاوجوا في إنتاجاتهم الفنية بين الألحان والإيقاعات الغربية من جهة وبين اللغة والمواضيع المحلية من جهة أخرى.

تجسد هذا الفعل أيضا مع مجموعة "ناس الغيوان" التي عملت على المزاوجة بين روافد فنية متنوعة مثل: التراث الصوفي؛ موسيقى كناوة؛ الثقافة الأمازيغية؛ الإتجاه المسرحي للفنان الطيب الصديقي؛ الزجل المغربي؛ الخ. ومن العناصر التي ساهمت في إنجاح تجربة هذه المجموعة الشبابية تقديم اللغة الدارجة المغربية بشكل يجمع بين البساطة والبلاغة، كما أن إنتاجاتهم الفنية كانت تحمل خطابات مؤثرة في الشباب: خطاب احتجاجي حول الأوضاع الاجتماعية؛ خطاب قومي وقاري حول القضايا العربية والإفريقية؛ خطاب كوني حول القضايا الإنسانية.

كل ذلك كان يتوازى مع الأحداث والحركات الثقافية الشبابية التي انتشرت آنذاك عبر أرجاء العالم (مثل حركة "الهيبي"، أحداث ماي 1968 في فرنسا)، وهو ما حذا بمختلف الحركات الاحتجاجية (خاصة اليسارية) إلى تبني أغاني ناس الغيوان (إلى جانب ألوان موسيقية أخرى مثل أغاني الشيخ إمام؛ فيروز؛ سعيد المغربي) كرمز معبر عن الهوية السياسية والثقافية. بهذا، شكل هؤلاء الشباب نموذجا ألهم شبابا آخرين من أجل الإبداع

[106] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 38.
[107] Idem, p. 60

الثقافي عن طريق الموسيقى، وبذلك تعززت ظاهرة المجموعات الغنائية الشبابية (مجموعة لمشاهب؛ مجموعة جيل جيلالة؛ مجموعة لرصاد، مجموعة السهام، الخ).

خلال عقد الثمانينات، استمرت بعض الظواهر الموسيقية وتراجعت أخرى، إذ تراجع ما كان يسمى من قبل بالموسيقى المغربية العصرية بسبب عدم تجديد نفسها وتراجع دعم الدولة لها[108]. في نفس الوقت أفرزت الديناميات الثقافية انتشار "موسيقى الراي" الشبابية في مختلف أرجاء المغرب بعد تثاقف مناطقه الشرقية مع الثقافة الوافدة من المجتمع الجزائري حيث كان منشأ هذا النمط الموسيقي. في نفس الفترة، بدأت تنتشر أيضا الموسيقى الخليجية بعد أن انفتحت على التحديث وتجاوزت طابعها التقليدي[109].

عرفت نهاية سنوات التسعينات بروز ظاهرة المهرجانات الموسيقية، وقد أدى هذا الفعل الثقافي (الذي ينظم عادة من طرف مؤسسات الدولة أو الجمعيات الثقافية أو بشراكة بينهما) إلى عودة الأنماط الموسيقية المحلية إلى الواجهة، ومن بينها ما يسمى بموسيقى "الشعبي"؛ موسيقى "الركادة" بالمناطق الشرقية؛ "عبيدات الرمى" بمنطقة خريبكة؛ "الكدرة" بالمناطق الجنوبية؛ موسيقى "كناوة" بمدينة الصويرة؛ أحيدوس بالمناطق الأطلسية؛ أحواش بمناطق الجنوب، الخ.

ومن بين العوامل التي ساهمت في انبثاق هذه الظاهرة تركيز الدولة في تلك الفترة على نموذج التنمية المحلية والذي مهد لنموذج الجهوية، وقد جاء ذلك استجابة إلى مجموعة من المشاكل والرهانات الداخلية مثل مساندة القطاع السياحي وترويج القطاع الثقافي (إذ أن الفعل الثقافي في أغلب هذه المهرجانات يوجه لجماهير عريضة بشكل مجاني). أما على المستوى الخارجي، فقد ترافق ذلك مع سياق عالمي ركز فيه خطاب العولمة على مفهوم التنمية المحلية ومفهوم المجتمع المدني كأبرز الفاعلين في هذه الأخيرة[110].

---

[108] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي، الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 89.

[109] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 87

[110] BAYAHYA. Nabil, (2015), Politiques culturelles à l'âge du numérique, l'exemple du Maroc, Coll. Essais, 1ère édition, Ed. Descartes et Cie, Paris, P.193

أدى انتشار تنظيم المهرجانات الموسيقية إلى ردود فعل متضاربة من طرف مختلف الفاعلين في المجتمع المغربي، بل تحول الأمر إلى صراع اجتماعي تجلى على وجه الخصوص عبر مواقع التواصل الاجتماعي. فمن جهة أولى، يطالب موقف من المحتجين بإلغاء هذه المهرجانات كي لا يتم تبذير ميزانياتها في برامج تصنف في إطار الترفيه حسب رأيهم، في حين أن هناك تحديات اجتماعية شائكة ينبغي أن تحظى بالأولوية، مثل مشاكل الصحة والتعليم وباقي جوانب الهشاشة الاجتماعية.

من جهة ثانية، يرى موقف آخر أن لهذه المهرجانات أدوارا تنموية، لكن ينبغي إعادة النظر في آليات تدبيرها. ومن جهة ثالثة، يدافع آخرون عن هذا الفعل على أساس أنه خالق لديناميات تنموية على المستويين الماكرو والميكرو. ومن الأمثلة التي تساق على ذلك ما تحققه مهرجانات كبرى انتقلت إلى مستوى العالمية مثل مهرجان موازين ومهرجان موسيقى كناوة. من الأمثلة على هذا الدور التنموي أن مهرجان "روافد أزاون" الذي تنظمه جمعية "سينرجي الساقية الحمراء" أدى إلى حركية سوسيواقتصادية تمثلت في خلق مقاولات صغيرة لتنظيم دورات هذه الحدث؛ تسويق منتوجات الجمعيات والتعاونيات المحلية؛ وتشغيل 100 شاب طيلة فترة تنظيم المهرجان[111].

بالنسبة للممارسات الشبابية، يلاحظ أن هناك مهرجانات تجذب الشباب بشكل أكبر ومن مختلف المستويات الاجتماعية (مثل مهرجان موازين ومهرجان تيميتار) في حين أن هناك مهرجانات يمكن وصفها بالنخبوية. زيادة على ذلك، يوجد نمط ثالث يزاوج بين النمطين مثل مهرجان موازين، حيث أن هناك فضاءات موجهة للعموم في الساحات العمومية وفضاءات مغلقة يتم الولوج إليها بتذاكر باهضة ليست في متناول جميع الفئات الاجتماعية. وقد لا تتمثل النخبوية في المستوى الاقتصادي بل في طبيعة اهتماماتها الثقافية مثل مهرجان الموسيقى الروحية؛ المهرجانات التراثية؛ الموسيقى الأندلسية.

رغم الحركية التي خلقتها المهرجانات الموسيقية إلا أنها مازالت تعاني من جملة من المشاكل، من أهمها: تعدد المتدخلين وضعف التنسيق فيما بينهم؛ مشكل استقرار هذه

[111] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 46.

المهرجانات وضمان استمراريتها؛ ضعف الإبداع في عدد من هذه المهرجانات وتشابهها؛ ضعف الدراسات الميدانية حول التأثير الاقتصادي والاجتماعي لهذه التنظيمات؛ ضعف تكوين التقنيين المغاربة المتخصصين في التنظيم واللوجستيك؛ مشكلة حكامة المهرجانات وشخصنة العديد منها[112].

إلى جانب هذه المشاكل، يعرف حقل الموسيقى عوائق أخرى ترتبط بالشباب، من بينها مشاكل التكوين. فالتربية الموسيقية غير حاضرة في المناهج التعليمية، أما المعاهد الموسيقية فعددها لا يتجاوز 53 معهدا موزعين في المدن الكبرى[113]. للمساهمة في تدارك هذا النقص، يقوم فاعلون آخرون بتقديم تكوينات للشباب مثل الجمعيات الموسيقية؛ المعاهد الأجنبية، بعض المهرجانات والبرامج الإعلامية (موازين، مهرجان لبولفار بالدار البيضاء)[114]. على مستوى البنيات أيضا، يسجل تأخر كبير في إنجاز المعهد العالي للموسيقى الذي لم يكتمل بناؤه منذ سنوات عديدة، وهو أحد الأسباب التي تجعل البحوث العلمية في مجال الموسيقى la musicologie تبقى ضئيلة العدد[115].

على الرغم من الحركية التي عرفها الحقل الموسيقي إلا أنها لم تتبلور إلى صناعة ثقافية متطورة بسبب مجموعة من العوامل، من بينها: الإطار القانوني وهشاشة البنيات التحتية؛ ضعف الميزانيات العمومية المخصصة للعمل الثقافي ولدعم الإنتاج الموسيقي؛ اتساع نطاق القرصنة[116]، وهو ما يفسر مجموعة من الأوضاع كارتفاع تكاليف الإنتاج وعدم استمرارية العديد من الفرق الموسيقية الشبابية التي تطمح إلى العمل الاحترافي[117].

نظرا لهذه الأسباب، يقوم الكثير من الشباب الذين لم يستطيعوا أن يشقوا طريقهم في هذا الحقل إلى الاعتماد على قدراتهم الذاتية لإنتاج إبداعاتهم حتى لو لم تكن بالضرورة

---

[112] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 42

[113] وزارة الثقافة، (2016)، مجلة الإحصائيات الثقافية 2013-2015، نشر لوزارة الثقافة، الرباط، ص. 78

[114] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 95

[115] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط. ص. 95.

[116] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، ص. 37

[117] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، ص.37

بجودة تكنولوجية عالية، وهو ما أصبح يلاحظ عند عدد منهم إذ يعمدون إلى التصوير السمعي البصري لأغانيهم باستخدام جهاز الهاتف فقط ثم ترويجها عبر الانترنت. أما الشباب الذين توفرت لهم الظروف لإبراز إنتاجاتهم، فيستفيدون من ترويج جيد عبر القنوات الإعلامية. لهذا، يمكن القول إن المشكل يكمن في العوامل التنظيمية للحقل وليس في ضعف إبداع الشباب[118].

3- المسرح

لعبت فئة الشباب دورا هاما في تطور فن المسرح منذ ظهوره بالمجتمع المغربي وإلى اليوم. لإبراز هذا الدور الشبابي، سأقوم باستحضار هذه العلاقة من خلال مقاربتين دياكرونية وسانكرونية. سأنطلق في ذلك من سنة 1924 بعدما أسس تلاميذ ثانوية مولاي إدريس بفاس أول فرقة مسرحية بالمغرب[119]، وهو ما ألهم شباب عدة مدن لتأسيس فرق مسرحية أخرى مثل جمعية "مدرسة العاصمة الرباطية" في الرباط و"جوق التمثيل" بسلا وجمعية "الهلال" بطنجة[120].

وقد انطلقت هذه الحركية الثقافية نتيجة التأثر بالزيارات التي قامت بها فرق مسرحية مشرقية إلى المغرب منذ سنة 1923 (مثل فرقة محمد عز الدين)، تم ذلك في إطار التثاقف الذي كان حاصلا بين الحركات الثقافية/السياسية في المغرب ومثيلاتها في المشرق العربي بهدف مقاومتها المستعمر الأجنبي، كما ساعد في هذه الحركية المسرحية كون الثقافة المغربية زاخرة بأشكال فرجوية تقليدية مثل "الحلقة"، "لبساط"، "بوجلود"، "سيدي الكتفي"، "سلطان الطلبة"، وغيرها[121].

منذ سنة 1950، نظمت الوزارة الوصية على قطاع الشباب داخل الجمعيات الشبابية دورات تكوينية في مجال المسرح تحت إشراف مسرحيين فرنسيين مثل أندري فوازان

[118] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص. 86.
[119] الوعرابي. إسماعيل، (2015)، زوايا من المسرح المغربي، تركيب وخلاصات، الطبعة الأولى، منشورات مهرجان أماناي، ورزازات، ص. 61
[120] الراعي. علي، (1999)، المسرح في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 248، الطبعة الثانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص. 483
[121] الوعرابي. إسماعيل، (2015)، ص. 31

André Voisin، وهو كوميدي وكاتب ورجل إعلام فرنسي. أسفرت هذه التكوينات عن تخرج جيل من الشباب أعطى دفعة قوية للفعل المسرحي بالمغرب، من بينهم "الطيب الصديقي"، "محمد عفيفي"، "أحمد الطيب لعلج"، "العربي الدغمي"، "عبد الصمد الكنفاوي"، وغيرهم[122]. هكذا، انتقل الشباب المغربي من التأثر بالمسرح المشرقي ذي الطابع المحافظ الذي ساد قبل الاستقلال إلى التأثر بالمسرح الفرنسي بعيد الاستقلال، فأصبح هذا الفعل الثقافي آلية من آليات"التحديث" الثقافي[123].

استمر النشاط المسرحي في التطور من خلال عدد من مراكز التكوين التابعة لقسم الشباب والرياضة بوزارة التربية الوطنية، مثل "المركز الوطني للبحوث الدرامية" الذي أنشئ سنة 1953 و"مركز الفن الدرامي" الذي تأسس سنة 1959، وهما المركزان اللذان وضعا تحت مسؤولية "مكتب التربية الشعبية" بهدف التنمية الثقافية عن طريق المسرح، وهذا ما تجلى في تنظيم دورات لصالح الشباب في كل جهات المملكة وخلق مهرجانات مسرحية[124].

تطور المسرح المغربي على مدى العقود التي تلت، حيث تأسست عدة فرق وجمعيات مسرحية قدمت أعمالا مهمة كمّا ونوعا، كما عرفت هذه المرحلة تمايزا بين مذاهب مسرحية عبّر كل منها عن اتجاه ثقافي وسياسي معين. فقد انبثقت حركة "مسرح الهواة" من رحم التداريب التي كانت تقوم بها وزارة الشبيبة والرياضة لصالح الجمعيات بعد أن طالبت هذه الأخيرة بتأطير الشباب الهواة، في المقابل تشكل "المسرح الاحترافي" الذي ضم مهنيي المسرح.

وقد كان التمثل الذي ينظر به إلى "المسرح الاحترافي" على أنه يسوّق للخطاب الرسمي للدولة خاصة أن أعضاءه يتقاضون أجورهم منها، في حين كان ينظر لمسرح الهواة كمعبر عن خطاب نقدي ينقل صوت الفئات الشعبية لاسيما أن عددا مهما من الشباب المثقف

---

[122] BAYAHYA. Nabil, (2015), Politiques culturelles à l'âge du numérique, l’exemple du Maroc, Coll. Essais, 1ère édition, Ed. Descartes et Cie, Paris, p. 186

[123] بونيت. عز الدين، (2010)، المسرح والدولة، سلسلة دراسات الفرجة، رقم 9، الطبعة الأولى، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة، ص. 45

[124] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 64

في هذا التيار كان يؤمن بالفكر اليساري وينشط ضمن الحركات الطلابية[125]. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان هذا المسرح يحظى بدعم النقابات والأحزاب المعارضة[126].

من بين الوسائل التي كان يوظفها هذا الاتجاه المسرحي لتصعيد رساميله الرمزية اعتماده على الندوات المسرحية بهدف التأكيد على طابعه المثقف وطمس الهوة بين تصنيفي الهواية والاحتراف[127]. ويرى عدد من الباحثين في قطاع المسرح أن حركة مسرح الهواة قد انتهت إلى مزيد من الضمور والتقهقر، في مقابل تقدم المسرح الاحترافي نتيجة تلقيه دعما تنظيميا وإعلاميا[128].

إلى جانب الاختلاف في التوجهات السياسية، توجد اختلافات أخرى ذات طابع ثقافي محض، فهناك مذاهب فضلت التركيز على الثقافة الشعبية المغربية في بعدها الفلكلوري التقليدي، في حين قدمت تيارات أخرى أعمالا تنهل من الفكر الحداثي عن طريق ترجمة المسرحيات الغربية أو من خلال تبيئتها مع الثقافة المغربية، وكمثال على ذلك نذكر مسرح الطيب الصديقي الذي اتجه نحو "المسرح العبثي" بعدما عرف من قبل ب"المسرح العمالي"[129].

تعد المناظرة الأولى للثقافة المغربية التي انعقدت بتارودانت سنة 1986 من أهم الأحداث التي طبعت الحقل الثقافي المغربي بشكل عام والحقل المسرحي بشكل خاص، وقد كانت مناسبة مهمة للحوار بين الفاعلين الحكوميين وبين الفعاليات اليسارية المهيمنة على الساحة الثقافية آنذاك، من أبرزها "اتحاد كتاب المغرب". من نتائج توصيات هذه المناظرة التي خرجت إلى حيز الوجود تأسيس "المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي"، وهي

---

[125] شكير. عبد المجيد، (2012)، المسرح المغربي بين المضمون الفكري والبعد الاديولوجي، الطبعة الأولى، منشورات ومضة، طنجة، ص.23

[126] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 33

[127] بونيت. عز الدين، (1999)، ملامح من تاريخ الخطاب التنظيري في المسرح المغربي، (34-47)، في: مجلة الثقافة المغربية، عدد 8، وزارة الثقافة، الرباط. ص. 44

[128] بونيت. عز الدين، (2010)، المسرح والدولة، سلسلة دراسات الفرجة، رقم 9، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة، ص. 70.

[129] المنيعي. حسن، (2001)، أبحاث في المسرح المغربي، سلسلة شرفات، عدد 1، الطبعة الأولى، الطبعة الثانية، منشورات الزمن، الرباط. ص.120

التوصية التي كان يتم المناداة بها منذ سنة 1973 تاريخ انعقاد أول ندوة رسمية حول المسرح المغربي في عهد الوزير محمد المكي الناصري[130].

أعطى المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي دفعة نوعية للحقل المسرحي بالمغرب من خلال تطعيمه بشباب ذي تكوين أكاديمي أسس لجيل جديد من الفرق والجمعيات المسرحية، لكن مع ذلك لازالت هناك نقائص في التكوين تتمثل على وجه الخصوص في ضعف التوازن بين التكوينات النظرية والتكوينات التطبيقية[131]. إلى جانب هذا المعهد، يستفيد الشباب من المحترفات التحسيسية للفن المسرحي التي أقامتها وزارة الثقافة بعدد من المدن (الرباط، مراكش، فاس، تطوان، الدار البيضاء ومكناس) والتي يؤطرها خريجو المعهد المذكور.

تنضاف إلى هذه التكوينات تدريبات تقوم بها المراكز الثقافية الأجنبية داخل المغرب وخارجه، بالإضافة إلى التكوين الذي تقوم به المدارس الخاصة والجمعيات الثقافية لفائدة منخرطيها[132]، دون نسيان الدراسات المسرحية التي يتابعها الشباب الجامعي والمندرجة في إطار الدراسات الأدبية بكليات الآداب والعلوم الإنسانية. جدير بالذكر أنه يسجل ضعف كبير في الحضور المسرحي على مستوى مؤسسات التعليم، بدءا بمسرح الطفل والمسرح المدرسي ووصولا إلى المسرح الجامعي، الذي تراجع كثيرا بعد أن كان أكثر نشاطا في السابق[133].

4- السينما

تجسد السينما، على غرار باقي الحقول الثقافية، حالات المجتمع ومختلف ظواهره وديناميات. نظرا لسهولة استهلاكها وجاذبيتها، فقد كانت من بين أكثر الممارسات الثقافية

---

[130] بونيت. عز الدين، (2010)، المسرح والدولة، سلسلة دراسات الفرجة، رقم 9، الطبعة الأولى، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة، ص.69

[131] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط. ص.39

[132] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 73

[133] المنيعي. حسن، (2015)، عن المسرح المغربي، المسار والهوية، السلسلة المسرحية، رقم 36، الطبعة الأولى، إصدارات أمنية للإبداع والتواصل، الدار البيضاء، ص. 95

ذيوعا ونشرا للمشروع التحديثي[134]. وقد عرف المجتمع المغربي هذا الفن في فترة الحماية حيث كان أول فيلم تم تصويره بالمغرب هو فيلم « le chevrier marocain » للمخرج الفرنسي لويس لوميير Louis Lumière سنة 1897 والذي دشن لسلسلة من الأفلام الكولونيالية مثل فيلم "مكتوب" سنة 1919.

عرفت هذه الفترة أيضا تأسيس عدد من البنيات السينمائية مثل: القاعات السينمائية (كانت أولها "سينما فوكس" بالدار البيضاء سنة 1935)؛ مركبا لمعالجة الأفلام بنفس المدينة سنة 1939؛ المركز السينمائي المغربي واستوديوهات السويسي بالرباط سنة 1944[135]. ويعود السبق للمستعمر الفرنسي أيضا في ترسيخ الثقافة السينمائية داخل الأوساط المتعلمة عبر شبكة من الأندية والجمعيات السينمائية كان يؤطرها فرنسيون بالأساس وتعززها أدبيات سينمائية تأتي من الميتروبول[136].

بعد الاستقلال، كانت هناك محاولات لإنتاج الأفلام السينمائية لكنها كانت محدودة جدا، فكانت أولى المحاولات سنة 1958 مع المخرج محمد عصفور وكانت ثانيها سنة 1966 مع المخرج محمد عبد الواحد التازي، ثم بلغ عدد الإنتاجات 19 فيلما بين سنتي 1968 و1979، ليتأسس بهذا الجيل الأول من السينمائيين المغاربة. في ظل غياب سياسة للدعم آنذاك، اعتمد هؤلاء المثقفون على إمكانياتهم الذاتية وعلاقاتهم الشخصية، لاسيما أنهم كانوا على ارتباط وثيق مع الحركة السياسية والثقافية التي كان يشهدها المغرب آنذاك.

ما يلاحظ في تجربة هؤلاء السينمائيين اهتمامهم بالقضايا السياسية والجماليات السينمائية وتقليد التيارات الغربية أكثر من اهتمامهم بقضايا الجمهور المغربي، وهو ما جعلها تبدو إنتاجات نخبوية أو موجهة للمهرجانات الدولية لا غير. على غرار ذلك، اتجه الجيل الثاني إلى خلق "سينما جماهيرية" من خلال التركيز على قضايا ذات بعد اجتماعي، وقد شجع على ذلك إحداث الدولة لصندوق دعم الإنتاج السينمائي المغربي سنة 1979 والذي

---

[134] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص.75

[135] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 39

[136] سيجلماسي. أحمد، (2016)، "المجتمع المغربي والسينما: اتصال أم انفصال؟"، (25-28)، في: "السينما والمجتمع"، أعمال ندوة المهرجان الدولي العاشر للسينما الامازيغية يومي 30 و31 أكتوبر 2016، تنسيق: محمد اشويكة ورشيد بوقسيم، منشورات أسني ن وورغ، ايت ملول، ص. 26

ارتفعت معه وتيرة الإنتاج[137]. أدى هذا الانتعاش إلى ارتفاع إقبال الجمهور على السينما حيث وصل عدد التذاكر إلى نحو 45 مليون تذكرة في 250 قاعة سينمائية سنة 1985، كما أدى ذلك إلى بروز أجيال لاحقة من السينمائيين[138].

على المستوى المؤسساتي، يرجع تنظيم وتنمية الصناعة السينمائية بالمغرب إلى المركز السينمائي المغربي التابع لوزارة الاتصال، والذي تمت إعادة تنظيمه سنة 1977. منذ سنة 2000 استفاد قطاع السينما من مجموعة من الإجراءات التنظيمية منها[139]:

- ❖ تعزيز وتغيير أسلوب تقديم الدعم للمشاريع السينمائية، إذ بلغ حجم الدعم 60 مليون درهما؛
- ❖ تنويع مصادر الدعم بإلزام القناتين الأولى والثانية بوظيفة الإنتاج أو المساهمة فيها بمقتضى التزامات دفتر التحملات؛
- ❖ إنشاء صندوق لدعم الإنتاج السمعي البصري الوطني، وهو ما ترتب عنه الانتقال إلى إنتاج 15 فيلما في السنة ثم 20 فيلما سنة 2013؛
- ❖ ارتفاع عدد المهرجانات السينمائية إلى 57 مهرجانا، وهي متنوعة من حيث قضاياها ومجالات امتدادها، فمنها مهرجانات قارية (مثل مهرجان خريبكة للسينما الإفريقية)، وإقليمية (مهرجان تطوان للسينما المتوسطية) ودولية (مهرجان مراكش الدولي؛
- ❖ وضع قواعد جديدة لتشجيع الشركات العالمية على تصوير أفلامها بالمغرب، حيث تم إنتاج ما يقرب من 205 فيلما أجنبيا بين أفلام وثائقية وقصيرة وطويلة باستثمار بلغ 3 مليار و312 مليون درهم؛
- ❖ إحداث الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري سنة 2002 ودسترتها سنة 2011، وهي مؤسسة مستقلة تناط بها وظيفة تقنين وضبط مجال الاتصال السمعي البصري من خلال ضمان حرية الممارسة واحترام التعددية اللغوية والثقافية[140].

---

[137] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 41

[138] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 33

[139] المرجع نفسه، 33-34

رغم تسجيل هذه التطورات بالحقل السينمائي المغربي، تظل هناك مجموعة من المشاكل والاكراهات التي تعترض هذا القطاع. يعد عنصر الدعم من أهم هذه المحددات، فصحيح أنه مكن من تطوير هذا القطاع ومن توفير ظروف تطوره على المستوى العربي والإفريقي، لكنه ما يزال لحد الآن يعتمد على دور الفاعل العمومي، علما أن مساهمة هذا الأخير لا يمكن أن تغطي الحاجيات في ظل الارتفاع الكبير لتكاليف الإنتاج وما يليها من مراحل.

رافق هذا الوضع محدودية تدخل القطاع الخاص بسبب ضعف الصناعة السينمائية المغربية وتنامي ظاهرة القرصنة[141]،وتعد فئة المخرجين من بين الفاعلين الذين برزوا في القطاع الخاص بالمغرب بعد أن اضطلع العديد منهم بدور الإنتاج أيضا. لكن تبقى هذه التجربة مغامرة مجهولة النتائج بالنسبة لهذه الفئة، فقد سبق وأن سجن المخرج محمد الركاب بسبب عدم قدرته على تسديد ديون إنتاج فيلمه "حلاق درب الفقراء" الذي صدر سنة 1982، مما جعله يشبه إخراج فيلم بالمغرب ب"فعل إجرامي"، مستعملا عبارة "اقتراف فيلم" (commettre un film)[142]. وفي نفس السياق، يسجل تاريخ السينما المغربية بيع الفنان العربي الدغمي لمنزله من أجل المساهمة في إنتاج فيلم "إبراهيم باش" لمخرجه نبيل لحلو سنة 1982[143].

لا يتوقف مشكل الإنتاج السينمائي على محددات كمية فقط، بل يتجاوزها إلى عوامل كيفية تتمثل في ضعف كتابة السيناريو التي تصدر هي نفسها عن عوامل مختلفة، من بينها انتشار ظاهرة "المخرج-السينارست" التي أدت إلى تراجع عدد الكتاب المتخصصين، كما

---

[140] Sur le lien :
https://www.haca.ma/ar/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%8A%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%8A%D8%A7

[141] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط. ص.47

[142] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 194

[143] اشويكة. محمد، (2015)، التفكير في السينما / التفكير بالسينما، الطبعة الأولى، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ص.129

أن الجامعات المغربية لم تهتم بما يكفي بهذا الاختصاص الذي يتطلب تأطيرا أكاديميا وتنظيم أوراش تطبيقية للكتابة، مما ينعكس على تلقي الجمهور للأفلام المغربية[144].

بالإضافة إلى مشاكل الإنتاج، تبرز أيضا مشاكل التوزيع، فقد تراجع عدد شركات التوزيع من ستين شركة إلى أربع أو خمس شركات، وهو ما أدى إلى تركز عملية التوزيع في يد عدد محدود من الشركات[145]. في هذا الصدد، تراجع عدد القاعات السينمائية من 350 قاعة في السبعينات إلى 31 قاعة سنة 2015[146]، وأصبح من المألوف رؤية دور السينما وقد تحولت إلى مراكز تجارية (قيساريات) لاسيما وأنها تقع في مواقع عمرانية استراتيجية بالمجال الحضري[147].

فيما يخص جانب التكوين، فقد تكون أغلب السينمائيين المغاربة الأوائل في دول عربية وأوربية وظل الحقل السينمائي المغربي بحاجة إلى مؤسسات أكاديمية لمدة طويلة، غير أن الدولة أصبحت تتدارك هذا النقص بتأسيس مدارس متخصصة، وكمثال على ذلك نذكر: المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي؛ الكلية المتعددة التخصصات عبد المالك السعدي بتطوان (التي تقدم دروسا في الفن والمهن السينمائية والتنشيط الثقافي)؛ الكلية المتعددة التخصصات بورزازات (التكوين في حرف السينما والإنتاج)؛ كلية بنمسيك سيدي عثمان (الإجازة في السينما)؛ المعهد العالي لمهن السمعي البصري بالدار البيضاء (ISMAC).

بالموازاة مع ذلك، شجعت الدولة القطاع الخاص على الاستثمار في تكوين الشباب، ومن بين المعاهد التي تعني بذلك: مدرسة الصحافة بالدار البيضاء؛ المعهد المتخصص للسينما والسمعي البصري (ISCA) ؛ معهد IHB art media بالدار البيضاء، المدرسة العليا للفنون البصرية بمراكش (ESAV). إلى جانب التكوين العمومي والخصوصي يستفيد الشباب من تكوينات على شكل تداريب تطبيقية تنظمها بعض الجمعيات الثقافية أو التمثيليات

---

[144] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص. 77

[145] المرجع نفسه، ص.76.

[146] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 33

[147] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، ص. 76

المهنية، أو تلك التي تنظم على هامش بعض المهرجانات السينمائية (مثل المهرجان الدولي بمراكش الذي ينظم جوائز للشباب)[148].

تعوق هذا التكوين السينمائي بعض المشاكل المتمثلة في قلة الدروس التطبيقية في عدد من المدارس؛ نقص الاحترافية مقارنة مع التطور التقني الحاصل في الميدان، كما أن هيمنة القطاع الخاص يفرض تكاليف مرتفعة تجعل التكوين بعيدا عن متناول شريحة مهمة من الشباب، بالإضافة إلى تركز هذه المؤسسات في عدد محدود من المدن الكبرى[149].

تنعكس كل هذه المحددات والمشاكل على فئة الجمهور المغربي، خاصة في أوساط الشباب، فرغم تحقيق التطورات المذكورة إلا أن فئة عريضة من الجمهور تهجر الممارسة السينمائية الجماعية (سواء في دور السينما أو في الجمعيات والنوادي السينمائية) وتفضل الممارسة الفردانية، لاسيما بعد انتشار وسائل الاتصال الرقمية. ويتأكد ذلك من خلال الدراسات الميدانية التي أجريت في هذا السياق (مثل البحث الوطني حول السينما والجمهور الذي أنجز على هامش المهرجان الوطني الثالث للفيلم سنة 1991[150].

من أهم الإشكاليات التي أصبحت تطرح كذلك على مستوى الممارسة السينمائية، الجدل حول كيفية استهلاك الإنتاجات، وهو ما يتجلى في المفارقة بين ما يوصف بالإنتاجات ذات "القيمة الثقافية" المحفزة على التثقيف وبين ما يصنف كإنتاجات "تجارية مبتذلة" مولدة للتتفيه والتسطيح[151]. ويمكن وصف هذا الجدل بالنقاش القديم المتجدد والذي اشتهرت به مدرسة فرانكفورت بعد نقدها ل"التنميط" و"البرمجة" اللذان تمارسهما الثقافة الجماهيرية وما تحمله من إيديولوجيا وتأثير على القيم والمؤسسات الاجتماعية.

---

[148] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 48

[149] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط. ص.49

[150] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 209

[151] فرقزيد. بوشتى، (2016)، "الدلالة الاجتماعية للسينما"، (11-23)، في: "السينما والمجتمع"، أعمال ندوة المهرجان الدولي العاشر للسينما الامازيغية يومي 30 و31 أكتوبر 2016، تنسيق: محمد اشويكة ورشيد بوقسيم، منشورات أسني ن وورغ، ايت ملول، ص. 17.

يلاحظ أيضا أن أغلب الجمهور لازال يتابع الأفلام الأجنبية (خاصة السينما الأمريكية) ويقبل بشكل أقل على السينما المغربية، مع وجود بعض الديناميات في التلقي السينمائي، مثل تحول اتجاه التفضيلات من الأفلام المصرية والسورية إلى الأفلام والمسلسلات التركية، وهو التحول الذي يهم فئة النساء بشكل خاص. وقد أدى هذا الاتجاه الحديث من التثاقف إلى بروز عدد من الظواهر الاجتماعية لدى الشابات، مثل: تزايد السفر إلى دولة تركيا لقضاء العطل؛ الإقبال على تعلم اللغة التركية أو عبارات منها؛ البحث عن الزواج من الأتراك. كل ذلك، يؤشر على التأثير الكبير للممارسات الثقافية على المجتمع والذي لم يعد يتطلب إلا سنوات معدودة من التراكم، خاصة عندما يتعلق الأمر بالممارسات الإعلامية.

5- القراءة

تعد القراءة واحدة من أكثر الممارسات الثقافية إثارة للنقاش خلال العقود الأخيرة، سواء على المستوى العالمي والعربي والوطني، وذلك بسبب التراجع الذي شهدته بتزامن مع انتشار وسائل الاتصال الرقمية. وحري بالذكر أن تراجع الفعل القرائي يتصف بطابع التفاوت بين مختلف المجتمعات، بل وبين مختلف الأوساط الاجتماعية داخل نفس المجتمع.

بالنسبة للمجتمع المغربي، تجمع مجمل الدراسات - على قلتها- ومجمل مواقف الفاعلين في هذا الحقل (رجال التعليم على وجه الخصوص) على أن ممارسة القراءة قد تراجعت وبشكل حاد، وهذا ما أكدته البحوث الميدانية منذ البحث الذي قام به محمد بنيس وأحمد الرضاوني والمنشور بمجلة الكرمل[152] وحتى آخر دراسة قام بها المجلس الاقتصادي والاجتماعي والتي نشرت بالجريدة الرسمية في دجنبر 2019[153].

تأتي إشكالية الأمية في طليعة العوامل المؤثرة في فعل القراءة بالمغرب بعد أن لازمت المجتمع المغربي على مر تاريخه، فقد كان معدل الأمية يصل إلى 95% في فترة الاستعمار

[152] بنيس. محمد والرضاوني. أحمد، (1984)، "القراءة والقراء في المغرب"، (238-271)، في: مجلة الكرمل، العدد 11، قبرص، ص. 239

[153] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، (2019)، "النهوض بالقراءة، ضرورة ملحّة"، (1109-11018)، رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، في: الجريدة الرسمية، إعلانات وبلاغات، عدد 6836، 8 ربيع الآخر 1441 (6 ديسمبر 2019)، ص. 1109.

الفرنسي وانتقل إلى 65% سنة 1982 ثم انخفض إلى 55% سنة 1994[154]. ولازالت الجهود مبذولة لحد الآن للتخفيف من وطأة الأمية، لاسيما في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي حققت عددا من الانجازات على مستوى المجال الحضري. وتظل الأمية مستشرية بشكل أكبر في المجال القروي والمدن الصغرى، في الوقت الذي احتفلت به عدة دول منذ سنوات خلت بتعلم آخر الأميين فيها.

يحضر مستوى المعيشة كمتغير مؤثر في الاعتياد على القراءة، ففي ظل الارتفاع المتزايد لتكلفة المعيشة وتراجع القدرة الشرائية للمواطنين تطرح صعوبة اقتناء الحوامل المقروءة، خاصة لدى الفئات الشعبية. وقد بين البحث الوطني حول الاستهلاك ونفقات الأسر 2001-2000 المنجز من طرف المندوبية السامية للتخطيط أن حجم النفقات الموجهة نحو التعليم، الترفيه والثقافة يبلغ فقط % 3.6 (بعد أن كان يصل إلى 5.8% في 1989-1990)، وذلك في مقابل نسبة الإنفاق على التغذية التي بلغت 41.3%، ونسبة الإنفاق على التنقل والاتصال التي وصلت إلى 7.5% ثم نسبة الإنفاق على المظهر التي بلغت 4.8%. وحسب إحصائيات 1990-1991، فقد بلغت نسبة اقتناء الكتب غير المدرسية والجرائد 3% من النفقات المرتبطة بالترفيه والثقافة، أي ما يمثل 0.2% من مجموع نفقات الفرد[155].

إن المقارنة بين معدل اقتناء الكتب والجرائد ومعدل المصاريف حول المظهر تؤكد أن الاهتمام بالقراءة لا يدخل ضمن الاهتمامات الأولى للمجتمع المغربي[156]، فعدد كبير من المغاربة لا يوجهون نفقاتهم نحو القراءة حتى لو توفرت لديهم الإمكانيات الكافية لذلك، مما يعني أن المحددات الثقافية (كالتمثلات الاجتماعية والقيم والعادات) قد تكون أكثر توجيها من المحددات السوسيواقتصادية.

---

[154] EL OUAZZANI. Hassan, (2009), Le secteur du livre au Maroc, état des lieux et perspectives, Etude réalisée en 2006 dans le cadre d'un partenariat entre le bureau de l'UNESCO à Rabat et le Ministère de la Culture, 1ère édition, publications du Ministère de la Culture, Rabat, p. 106

[155] Idem, p.107.

[156] ALAOUI. BELGHITI. Abdallah, (2015), Propos sur l'éducation et la culture au Maroc, 1ère édition, publication à compte d'auteur avec le soutien du Ministère de la Culture, Rabat, p. 148

من مظاهر هذه المحددات الثقافية أن فئات عريضة من الأطفال لا تعتاد خلال مختلف أطوار التنشئة الاجتماعية استبطان صورة الآباء وهو يمارسون الفعل القرائي، كما أن عددا كبيرا من هؤلاء الآباء لا يحفزون أبناءهم على ممارسة القراءة. يتجلى ذلك أيضا في النظرة النفعية التي يُنظر بها إلى فعل القراءة عند فئات واسعة، والتي لا ترى في القراءة إلا وسيلة للحصول على الشهادة، بل إن أسلاك التعليم ذاتها تعتبر قنطرة عبور لولوج سوق الشغل وليس كوسيلة للتثقيف وتوسيع مدارك الفكر. بسبب ذلك، يلاحظ أن عددا من العائلات "تشجع" أبنائها على الهدر المدرسي، بعد بلوغ مستوى من التعليم بهدف الالتحاق بالنشاط الاقتصادي للأسرة الذي غالبا ما يكون الفلاحة في العالم القروي أو التجارة في المجال الحضري، ومن التبريرات التي يسوقونها لذلك أن آلافا من الشباب يقضون سنوات طويلة في التعليم ليجدوا أنفسهم في وضعية البطالة، فلا هم يستطيعون الحصول على العمل ولا هم قد تربوا وتمرسوا على نشاط اقتصادي معين.

بالإضافة إلى ما تقدم، تكتسي جودة التعليم أهمية خاصة في ترسيخ الاعتياد على القراءة. وكما أصبح ملحوظا، تشهد جودة التعليم بالمغرب مشاكل بنيوية عديدة ومعقدة تؤثر في مختلف جوانب التحصيل الدراسي. ويعد ضعف مستوى اللغات الأجنبية لدى كثير من التلاميذ والطلبة من العوامل التي تجعلهم يحصرون قراءاتهم في المؤلفات المنشورة بالعربية، وهو ما أكده المجلس الوطني للشباب والمستقبل في بحث وطني بالإعلان أن 49% من الشباب المغربي يجهلون اللغة الفرنسية[157].

زيادة على ذلك، تبرز ظاهرة الغش كإحدى المؤشرات الدالة على الوضعية التي يتخبط فيها النظام التعليمي بالمغرب والتي يشترك فيها مختلف الفاعلين بمن فيهم الأسرة. ففي السنوات الأخيرة، لوحظ عزوف الكثير من التلاميذ عن القراءة حتى من أجل تحضير واجباتهم المدرسية، وأصبح يلاحظ أنهم يطلبون من أصحاب مقاهي الانترنت تحضير العروض المدرسية عوضا عنهم، بل بات من المعتاد معاينة تواطؤ الآباء وتوجههم إلى هذه الفضاءات للقيام بذلك عوضا عن أبنائهم. نفس الظاهرة أصبحت تلاحظ لدى طلبة التعليم

[157] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 106.

العالي الذين يعمدون إلى استنساخ ما ورد في أبحاث سابقة، لاسيما في سلك الإجازة حيث الفترة الزمنية الممنوحة لإنجاز الأبحاث الميدانية لا تتجاوز شهرا، فضلا عن كثرة العروض النظرية والاختبارات.

هذا، في الوقت الذي أصبحت فيه الدول المتقدمة تعمل على تخفيف الضغوط على الطلبة (ضغط الكم النظري، الضغط الزمني، الضغط النفسي للامتحانات) في مقابل الرفع من جودة الأعمال التطبيقية والعمل على تطوير المهارات الإبداعية. هكذا، فالمنظومة التعليمية الحالية في المدرسة العمومية بالمغرب لا تشجع على القراءة الحرة فقط، بل لا تشجع أيضا على تحصيل ما هو مبرمج في المقررات التعليمية، مما يقتضي إعادة النظر في المنظومة التعليمية ككل.

6- الفن التشكيلي

عرف المجتمع المغربي عبر تاريخه الثقافي الفنون البصرية والتشكيلية لكن بشكل تقليدي (مثل الصناعات التقليدية والهندسة المعمارية)، أما في نسختها الحديثة (اللوحة، توقيع الفنان، الخ)، فقد عرفها عبر التثاقف مع المستعمر منذ بداية القرن العشرين[158]. ويجمع الباحثون على أن محمد بنعلي الرباطي هو أول مغربي استخدم صباغة الحامل واشتغل على اللوحة الفنية كفنان مبدع وليس كصانع تقليدي، كما أنه أول من أنجز معارض فنية على منوال الفنانين المحدثين ابتداء من سنة 1916[159]. ومثلما احترف هذا الأخير الفن على يد أحد الفنانين الانجليز الذين أقاموا بالمغرب، فقد تتلمذ أغلب الفنانين المغاربة في هذه الفترة على يد الأجانب سواء بالمغرب أو بالخارج[160].

في هذا الإطار، كلفت السلطات الاسبانية في الشمال الرسام الاسباني "ماريانو برتوتشي" Mariano Bertuchi بالسهر على الآثار والفنون التقليدية والجميلة وأسس

[158] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 112

[159] الشيكر. محمد، (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط، ص. 11

[160] ABOU EL AZM. Amel et KHROUZ. Myriem, (7 Février 2010), «En quête d'économie de la culture », (68-114), Revue Economia, N8, Editions : HEM Research Center, Rabat, p. 100.

مدرسة الفنون الجميلة بتطوان سنة 1945 (المعهد الوطني للفنون الجميلة حاليا)، ومنها تخرجت أجيال من الفنانين الشباب. أما في الجنوب، فقد قام الرسام الفرنسي "جاك ماجوريل" Jacques Majorelle بإعداد جملة من الرسامين المغاربة الذين شكلوا فيما بعد الاتجاه "الساذج" في المغرب، وبعد ذلك تم تأسيس مدرسة الدار البيضاء بصبغة أكاديمية متأثرة بمدرسة باريس الفرنسية[161].

عبر هاتين المدرستين، قام الأجانب بفرض تقاليدهم ومعاييرهم الفنية في البرامج الأكاديمية وجعلوا منها أفقا استيتيقيا لا يمكن تجاوزه[162]. تجلت هذه الوصاية مع النقاد الأجانب الذين نصبوا أنفسهم بمثابة الموقعين على شهادة ميلاد الصباغة المغربية والقيمين على تجارب التشكيليين المغاربة الأوائل[163]. وفي الجانب المؤسساتي أيضا، عرفت فترة الحماية تأسيس "مصلحة التحف والفنون الجميلة"[164]. وقد شهد الفن التشكيلي المغربي انطلاقة ملحوظة خلال بداية الأربعينيات مع "الاتجاه العفوي والفطري" الذين برزت فيه أسماء من قبيل أحمد الورديغي ومحمد بنعلال واليعقوبي وغيرهم[165].

بعد الاستقلال تم تنظيم تداريب لصالح منشطي دور الثقافة والنوادي الثقافية في "المركز الوطني للثقافة الشعبية"، وتم إرسال عدد من الشباب إلى الخارج لتلقي المزيد من التكوين الأكاديمي، مما أسفر عن تكون جيل ثان من الشباب بعد جيل الحماية. ومن ضمن هؤلاء شباب جماعة وضعت التراث الكولونيالي لمدرسة الدار البيضاء موضع مساءلة وأسسوا "مجموعة 65 أو مجموعة الدار البيضاء"، وقد وضعت على عاتقها مسؤولية التأسيس للوعي البصري الحديث بالمغرب[166].

---

[161] السلاوي. أديب. محمد، (2015)، "الحركة التشكيلية المغربية، البداية والامتداد"، (30-37)، في: آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد 88-89، الرباط، ص. 31

[162] الشيكر. محمد، (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط، ص. 15

[163] المرجع نفسه، ص. 12

[164] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 112

[165] الشيكر. محمد، (2014)، ص. 11

[166] المرجع نفسه، ص 61.

من هؤلاء الشباب يوجد الجيلالي الغرباوي، أحمد الشرقاوي، فريد بلكاهية، محمد المليحي، محمد شبعة وآخرون[167]. وقد تجسد هذا الخطاب الثقافي بالعودة إلى التراث واستعمال الأرابيسك والرموز الأمازيغية وعناصر الزليج والوشم في اللوحات، مع الثورة على الفن الرسمي[168]. ويعد الغرباوي أول مغربي اتخذ سبيل التجريد كتوجه حداثي من أجل خلخلة النسق البصري الأكاديمي ومحاولة خلق مدرسة مغربية[169]. من هؤلاء الشباب المجدد فئة مارست نقدا ذاتيا حول التوجه الحداثي للمجموعة ووعت بانحسار مشروع هذه التجربة. في هذا الإطار، يعتبر محمد القاسمي أن محمد شبعة المعروف بتوجهه اليساري هو أول من أسس للتوجه ما بعد الحداثي في التشكيل المغربي من خلال أعماله التي أنجزها بين الثمانينات والتسعينات[170].

طرح الفن التشكيلي ومازال يطرح لحد الآن إشكالية ضخمة تتمثل في الصراع بين طابعه النخبوي والمحاولات الرامية إلى دمقرطته، ولا تنحصر هذه الإشكالية في الحقل الثقافي المغربي بل تنسحب على باقي المجتمعات الأخرى، وغالبا ما يتم تمثل هذا الصراع على أنه طبقي. وإن كان الأمر صحيحا من منظور ما (وجود ارتباط بين ممارسة هذا الفن والمستوى الاجتماعي)، إلا أنني اعتقد أنه صراع فئوي وإيديولوجي وليس طبقيا. ولعل ما يعزز هذا الطرح ما قام/يقوم به فاعلون ثقافيون (فنانون شباب، أرباب الأروقة وجمعيات ثقافية) من مبادرات لدمقرطة هذا الفن رغم تموقع عدد منهم ضمن مستويات اجتماعية عليا. وهناك أمثلة متعددة على هذا الرهان الثقافي، نذكر من بينها:

[167] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 36

[168] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 113

[169] الشيكر. محمد، (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط، ص. 16

[170] المرجع نفسه، ص. 125

- ❖ قيام فنانين شباب بمعرض تشكيلي بساحة جامع الفنا بمراكش سنة 1969 بغية الخروج بهذا النمط الفني من فضاء الأروقة والمتاحف إلى الفضاء العام في الحياة اليومية[171]؛
- ❖ تنظيم الفاعلين في القطاع الخاص سنة 2008 لحدثين هامين بمراكش، تجلى الحدث الأول في معرض دولي للفنون المعاصرة، فيما تمثل الحدث الثاني في بيينال biennale حمل اسم مدينة مراكش وعرف تنظيم ندوة على شرف المفكر عبد الكبير الخطيبي، واختتم بتنظيم معارض لأعمال الفنية أنجزها شباب معهد تطوان ومعهد الدار البيضاء[172]؛
- ❖ إيلاء الاهتمام بهذا الفن من طرف الجمعيات والمجلات الثقافية، مثل مجلة "أنفاس" التي انفتح عليها فنانو تيار ما بعد الحداثة وسعوا إلى تمازج أعمالهم التشكيلية بأعمال أدباء وشعراء هذه المجلة، وقد رأوا في هؤلاء فئة من الجمهور قادرة على التفاعل مع خطاباتهم الخارجة عن المألوف[173]؛
- ❖ إدماج الفن التشكيلي ضمن العمل المواطناتي مثل تجربة جداريات الفضاء العام بمدينة أصيلا[174].

من جانبها، قامت الدولة بفعل ثقافي يسير في الاتجاه الساعي للدمقرطة، وتمثل ذلك في مجموعة من المهام من قبيل: خلق قسم للفنون التشكيلية بمديرية الفنون التابعة لوزارة الثقافة؛ تنظيم معارض على المستوى المركزي والجهوي؛ بناء وتجديد الأروقة؛ إنشاء "متحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر"؛ دعم الفنانين واقتناء منجزاتهم؛ تنظيم

[171] ABOU EL AZM. Amel et KHROUZ. Myriem, (7 Février 2010), «En quête d'économie de la culture », (68-114), Revue Economia, N8, Editions HEM Research Center, Rabat, p. 100.
[172] ALAOUI. BELGHITI. Abdallah, (2015), Propos sur l'éducation et la culture au Maroc, 1ère édition, publication à compte d'auteur avec le soutien du Ministère de la Culture, Rabat, p.144
[173] الشيكر. محمد، (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط، ص. 117
[174] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي، الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 114

التقليد السنوي "ليلة الأروقة" في مدن مختلفة؛ إلخ. إلى جانب ذلك، يبرز الفعل الثقافي للمراكز الثقافية الأجنبية في هذا الحقل الثقافي[175].

ترتب عن الديناميات الثقافية التي أطلقها مختلف الفاعلين في حقل الفن التشكيلي أن استطاع هذا الفن إيجاد موطئ قدم رغم حداثة تاريخه في الثقافة المغربية ورغم ضعف الاهتمام به من طرف أغلب شرائح المجتمع، ومن بين العوامل التي ساعدته على ذلك قوة رساميل جمهوره (رأسمال مادي، اجتماع ورمزي)[176]. وقد ساعده في ذلك أيضا أنه لم يكن لهذا الفن مواجهات سياسية مع الدولة مثلما هو الشأن مع المسرح مثلا[177]. وأكثر من ذلك، استطاع التشكيل المغربي تحقيق مكانة مرموقة على المستوى العربي والغربي بعد أن شكل لنفسه هوية مغربية خاصة به من خلال إسهامات جماعية (في إطار المدارس الفنية) أو من خلال إسهامات فردية. لكن، رغم ذلك، مازال حقل التشكيل في المغرب يعاني من جملة من المشاكل، من أهمها:

- ضعف القانون المنظم للحقل التشكيلي على مستوى الممارسة والترويج وضمان حقوق الفنان؛
- هيمنة علاقات الزبونية على بعض الأروقة ومؤسسات الرعاية وبعض المجلات الثقافية؛
- نقص مؤسسات التكوين الأكاديمي والاقتصار على معهدين أنشأهما المستعمر الأجنبي؛
- وجود تفاوتات في الحضور بين مختلف أنماط الفن التشكيلي: هناك حضور قوي لفن الرسم (يسمى أيضا فن التصوير) مقارنة مثلا مع فن النحت، الكاريكاتير[178]؛

---

[175] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p.83

[176] ALAOUI. BELGHITI. Abdallah, (2015), Propos sur l'éducation et la culture au Maroc, 1ère édition, publication à compte d'auteur avec le soutien du Ministère de la Culture, Rabat, p. 140.

[177] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي، الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 119.

[178] عميروش. بنيونس، (2015)، "النحت المعاصر في المغرب، مقاربة أولية"، (43-58)، في: مجلة افاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد 88-89، الرباط، ص. 43.

- ❖ إشكالية النقد الفني وعلميته؛
- ❖ مشكل إجراء الخبرة الفنية والتقنية التي تؤدي إلى ممارسات غير مشروعة، مثل: قرصنة وتزييف لوحات الفنانين الراحلين؛ غياب المعايير الموضوعية لتحديد القيمة التداولية للقطع الفنية خاصة في مؤسسات البيع بالمزاد العلني؛
- ❖ فبركة أسماء مفتعلة لا ترقى إلى المستوى الإبداعي المطلوب والترويج لها إعلاميا وتجاريا[179].

7- التراث الثقافي

يمكن تعريف التراث بأنه مجمل الإنتاجات التي تثمنها المجتمعات بقيمة ثقافية وتتوارثها عبر الأجيال، وحيث أن فعل التوارث يحيل على العتاقة والقدم، فقد ارتبط مفهوم التراث في حقل تدبير الشأن الثقافي بما هو تقليدي ومحلي. هكذا، تم تصنيف التراث إلى: تراث مادي منقول (مثل المجموعات المتحفية، المخطوطات) وتراث مادي غير منقول (مثل البنايات ذات القيمة التاريخية أو الفنية، البقايا الأثرية، المدن العتيقة).

بعد ذلك، تطور هذا المفهوم ليشمل أنماطا أخرى من الإنتاجات الثقافية المتوارثة مثل التراث اللامادي؛ التراث الايكولوجي؛ التراث المغمور بالماء؛ بل واغتنى المفهوم أيضا ببعد الراهنية ليشمل التراث المعاصر؛ التراث الصناعي؛ التراث الرقمي؛ الخ. ولئن كان هذا البعد الحداثي حاضرا بشكل اكبر في المجتمعات ما بعد الصناعية، فإن مفهوم التراث الثقافي في مجتمعات دول العالم الثالث مثل المغرب لازال يحيل على ما هو تقليدي وعتيق.

بدأت عملية تدبير وتثمين التراث الثقافي بالشكل الحديث مع سلطات الاستعمار الفرنسي. فإلى جانب مختلف الأسس التي وضعتها لهذا الغرض، فقد أسست "معهد الدراسات العليا المغربية" Institut des Hautes Etudes Marocaines الذي أشرف

[179] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص.81

على أبحاث أنثروبولوجية وسوسيولوجية قامت من بين ما قامت به بأبحاث وتحريات ميدانية هدفت إلى جرد عناصر التراث ودراستها[180].

استفادت فرنسا من أخطاء تجاربها بالمستعمرات الشرقية خاصة في الجزائر، فحاولت نهج سياسية مغايرة تعتمد على تثمين التراث ومتحفة المدن العتيقة[181]. هكذا، أسست السلطات الفرنسية لأولى الأطر التشريعية في هذا الشأن ويتعلق الأمر بالظهير الشريف المؤرخ ب 29 نونبر 1912 المتعلق بالمحافظة على المواقع والنقائش التاريخية[182]، والذي تلاه فيما بعد الظهير الشريف المؤرخ ب 13 فبراير 1914 والمتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والنقائش والتحف الفنية والعاديات وحماية الأماكن المحيطة بالمآثر والمواقع والمعالم الطبيعية، ثم الظهير الشريف المؤرخ ب 21 يوليوز 1945 الذي أضاف إلى ذلك حماية المدن العتيقة والمعمار الجهوي.

بالإضافة إلى ذلك، تم إحداث عدد من المؤسسات مثل مصلحة الفنون الجميلة التي تم تعويضها سنة 1935 بمفتشية المباني التاريخية والمدن العتيقة والمواقع المقيدة[183]. وقد قامت سياسة ليوطي في تدبير التراث المغربي على أربع محاور تمثلت في حماية المدن العتيقة وخلق مدن حديثة إلى جانبها؛ تسجيل وتقييد المواقع الأثرية والمباني التاريخية؛ إجراء الأبحاث الأركيولوجية؛ خلق متاحف أثرية وإثنوغرافية (بلغ عددها سبعة خلال فترة الحماية) واقتناء مجموعات متحفية جديدة[184].

بعد الاستقلال، سعت الدولة إلى الاهتمام بالتراث في إطار مرجعيتها الفكرية المحافظة والتي تقاطعت في هذه النقطة مع مرجعيات بعض القوى السياسية بداخلها، فكان التراث الثقافي يخدم بذلك هذا التوجه[185]، مثلما خدم سابقا السياسة الثقافية المحافظة التي سارت

---

[180] Salih. Abdallah, (2008), L'inventaire du patrimoine culturel et naturel au Maroc, Les Cahiers du Patrimoine, 1ère édition, publié avec le soutien de l'ISESCO, N°2, Rabat, p. 21.

[181] المهداوي. عبد الواحد، (2013)، حماية التراث بالمغرب، مقاربة تاريخية وقانونية، المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، الرباط، ص. 44

[182] BAYAHYA. Nabil, (2015), Politiques culturelles à l'âge du numérique, l'exemple du Maroc, Coll. Essais, 1ère édition, Ed. Descartes et Cie, Paris, p. 81

[183] المهداوي. عبد الواحد، (2013)، ص.101

[184] بهضوض. محمد، (2014)، المغرب الثقافي، نحو مشروع وطني للثقافة، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط. ص. 133.

[185] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 31

عليها سلطات الحماية. هكذا، فمن الناحية المؤسساتية، أحدث سنة 1974 مركز لجرد التراث بعد أن طلبت الدولة من منظمة اليونسكو مدها بالخبرة اللازمة لهذا الغرض[186]، وفي سنة 1985 تم بوزارة الثقافة إنشاء مديرية التراث الثقافي. في حين، عرفت السنة الموالية تأسيس المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث بالرباط لتكوين الشباب والقيام بالبحث العلمي في هذا الميدان.

عرفت أيضا فترة الثمانينات إحداث الصندوق الوطني للعمل الثقافي لتحصيل مداخيل المواقع الأثرية والمتاحف بهدف تنمية الموارد المادية. مكن هذا الإطار المؤسساتي من القيام بمجموعة من المجهودات في مختلف الحقول التراثية، لكن، بالموازاة مع ذلك تظل هناك الكثير من النقائص. وفيما يلي سأعرض بعض الأمثلة عن المجهودات المبذولة وعن مشاكل أهم المجالات التراثية.

ففي مجال التراث المادي غير المنقول تم تسجيل وترتيب 458 من المواقع التاريخية والأركيولوجية (منها 161 مسجلة و297 مرتبة ضمن لائحة التراث الوطني)[187]؛ جرد ما يزيد عن 8258 من المواقع الأثرية والبنايات التاريخية[188]؛ تسجيل 9 ممتلكات ثقافية على قائمة التراث العالمي.

غير أن هذا الصنف من التراث يعاني من مجموعة من المشاكل منها: ضعف تأمين الوسائل اللازمة للمحافظة عليه، بل وانعدامها في الكثير من الحالات لاسيما أن عدد هذه المواقع يقدر بالآلاف وهو ما يتجاوز الإمكانيات؛ التدهور الحاصل بسبب الممارسات غير المسؤولة أو غير الواعية لفئة من السياح؛ التعرض للنهب وللاتجار غير المشروع؛ ضعف التحسيس لدى المسؤولين والساكنة المحلية المجاورة لها[189]؛ كما أنها تعاني من الانفصال

[186] Salih. Abdallah, (2008), L'inventaire du patrimoine culturel et naturel au Maroc, Les Cahiers du Patrimoine, publié avec le soutien de l'ISESCO, N°2, Rabat, p. 23

[187] وزارة الثقافة، (2016)، مجلة الإحصائيات الثقافية 2013-2015، نشر لوزارة الثقافة، الرباط، ص. 27

[188] المرجع نفسه، ص. 26

[189] MINISTERE DE LA CULTURE, Direction du Patrimoine Culturel, projet de stratégie patrimoine 2020, Ministère de la Culture, Rabat, p. 8.

عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية أي الاقتصاد الثقافي المرتبط بالسياحة المحلية والأنشطة الثقافية والفنية[190].

تندرج المدن العتيقة في هذا الصنف من التراث الثقافي، ويتوفر المغرب على 31 مدينة عتيقة، 7 منها مدرجة ضمن قائمة التراث العالمي لدى منظمة اليونسكو وهي: مدينة فاس (1981)؛ مدينة مراكش (1985)؛ مدينة مكناس (1996)؛ مدينة تطوان؛ مدينة الصويرة (2001)؛ المدينة البرتغالية مازاغان بالجديدة (2004) ومدينة الرباط (2012).

تضم المدن العتيقة 2,5% من مجموع السكان حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 (أي ما يمثل 740.000 نسمة)، وهم يعيشون في واقع يعرف الكثير من الفقر والهشاشة والجريمة، وذلك بعد أن عرفت هذه المجالات الحضرية تحولات ديمغرافية من بينها ظاهرة التريّف؛ هجرة العائلات العريقة؛ الكثافة السكانية، تدهور النسيج العمراني والتراثي. لكن، منذ سنة 1990 عرف عدد من المدن العتيقة بعض الانتعاش مع تزايد برامج التأهيل الحضري وتنامي ظاهرة دور الرياض من أجل إيواء السياح الأجانب (وهي ظاهرة لا تخلو من إشكاليات حول إمكانية تحريف وتشويه معالم الهويات العمرانية)[191].

على غرار المدن العتيقة، يزخر المغرب بتراث عمراني مبني بالطين، يتمثل في القصور والقصبات المعبرة عن انسجام الثقافة والطبيعة، ومن أهم هذه المعالم "قصر ايت بنحدو" المصنف من طرف منظمة اليونسكو. ويتركز هذا التراث في المناطق الأطلسية والجنوبية على وجه الخصوص، إذ تضم منطقة سوس درعة مثلا أكثر من 86 قصر و300 قصبة (200 منها في حالة تدهور كبير)[192]، كما تضم منطقة تافيلالت أكثر من 100 قصر. ومن أهم المشاكل التي تعترض هذا التراث ارتفاع تكلفة الصيانة والترميم بعد تعرض هذه الوحدات العمرانية إلى الهجرة بعد أن كان شبابها يداومون على صيانتها وترميمها.

[190] بهضوض. محمد، (2015)، التنمية الثقافية، الصناعات الثقافية والإبداعية في المغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص.122

[191] MINISTERE DE LA CULTURE, Direction du Patrimoine Culturel, projet de stratégie patrimoine 2020, Ministère de la Culture, Rabat, p. 9

[192] Idem, p. 9.

على خلاف التراث المادي، لم يلق التراث اللامادي نفس الاهتمام من المؤسسات الثقافية العمومية رغم أن هذا الأخير زاخر بالانتاجات الثقافية، وقد تجلى هذا التفاوت على المستوى المؤسساتي وعلى مستوى البحث الميداني أيضا. لكن، ومع بداية التسعينات، بدأ الاهتمام بهذا التراث في الاطراد[193]، خاصة بعد مصادقة المغرب سنة 2006 على اتفاقية اليونسكو لحماية التراث الثقافي اللامادي والتي تم تبنيها سنة 2003[194]. وحسب المادة الثانية من هذه الاتفاقية، يتجلى "التراث الثقافي غير المادي" بصفة خاصة في المجالات التالية : التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي؛ فنون وتقاليد أداء العروض؛ الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات؛ المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون؛ المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية[195].

ومن بين الآليات التي اعتمدها المغرب من أجل المحافظة على التراث اللامادي الاهتمام بما يسمى ب"الكنوز الإنسانية الحية"، ويقصد بالكنز الإنساني الحي كل شخص معترف له بامتلاكه مستوى عال جدا للمعارف والخبرات والمهارات اليدوية والكفاءات المتعلقة بالتراث الثقافي غير المادي، وتتجلى أهمية هذه المحافظة وهذا النقل في كون هذه المعارف والخبرات مهددة بالانقراض في حال وفاة هؤلاء الأشخاص. وفي هذا الصدد، تعمل وزارة الثقافة على إعداد مشروع قانون يتعلق بهذه المنظومة[196].

يتدخل في هذا الحقل فاعلون آخرون مثل الوزارة المكلفة بالصناعة التقليدية حيث تم توقيع اتفاقية تعاون بين وزارة السياحة والنقل الجوي والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي ومنظمة اليونيسكو، وذلك يوم 17 أكتوبر 2017 بمقر هذه المنظمة بباريس. زيادة على الاعتراف بالصناع التقليديين ودعمهم، تهدف هذه الاتفاقية إلى تكوين الشباب

[193] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. p.232

[194] Salih. Abdallah, (2008), L'inventaire du patrimoine culturel et naturel au Maroc, Les Cahiers du Patrimoine, publié avec le soutien de l'ISESCO, N°2, Rabat, p. 34

[195] Sur le site : https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000132540_ara

[196] MINISTERE DE LA CULTURE, Direction du Patrimoine Culturel, projet de stratégie patrimoine 2020, Ministère de la Culture, Rabat, p. 12.

وتشجيعهم على تعلم ونقل هذه المعارف والخبرات[197]. كما أسفر الفعل العمومي لوزارة الثقافة عن تنظيم 22 مهرجان تراثي تتم إقامتها بشكل سنوي[198]، وهي بذلك تجسد التنوع الثقافي للتراث المغربي، والذي يتوفر على ما يقارب 50 صنفا من الموسيقى التراثية، وفي فن الملحون وحده تم جمع 5000 قصيدة[199].

بالنسبة للتراث المادي المنقول، فيتكون من مجموعات غنية جدا ومتنوعة مثل اللقى الأثرية، القطع الاثنوغرافية، منتوجات الصناعة التقليدية، الوثائق والمخطوطات، الخ، وتوجد أغلب القطع المنقولة ذات الأهمية التراثية في المتاحف، وهي مؤسسات لها دور كبير في نقل التراث إلى الشباب. وتطرح المتاحف بالمغرب الكثير من الإشكاليات، فمن الناحية العددية، فعددها محدود وتتركز في بعض المدن[200]. أما من حيث التجهيز، فعدد كبير منها يوجد في بنايات تاريخية تم تحويلها إلى متاحف (في إطار ما يسمى بإعادة التوظيف la réhabilitation des monuments historiques) رغم أنها لا تتناسب ومعايير المعمار المتحفي[201]. أما من حيث التدبير، فهي تعرف قصورا في أغلب وظائفها المتمثلة في الاقتناء؛ الجرد؛ المحافظة؛ الترميم؛ البحث العلمي. فيما يخص وظيفة التواصل مع الجمهور، فقد اتصفت منذ عقود بطابعها المحافظ الذي جعلها أقرب إلى بنايات للتخزين أو "مقابر" منها إلى مؤسسات للوساطة الثقافية تقوم بوظائف بيداغوجية بشكل منفتح على

---

[197] Sur le site : https://www.artisanat.gov.ma/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%81/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%86%D9%88%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A9/

[198] وزارة الثقافة، (2016)، مجلة الإحصائيات الثقافية 2013-2015، وزارة الثقافة، الرباط. ص. 35

[199] BELATIK. Mohamed, (2003), «Le patrimoine culturel marocain, richesse et diversité », (17-37), in: Patrimoine culturel Marocain, sous la direction de Gaultier-Kurhan. Caroline, Maisonneuve et Larose, Paris, p. 33.

[200] وزارة الثقافة، (2016)، ص. 30

[201] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 259

المحيط المجتمعي (لاسيما المؤسسات التعليمية)[202]. ولعل أبرز مؤشر يدل على انفصال المؤسسة المتحفية عن المجتمع هو نسبة الزوار، إذ تقدر نسبة المغاربة الذين يزورون المتاحف بأقل من 1%[203]. بالإضافة إلى ذلك، فالمجالس الجماعية المنتخبة لا تدرج هذه الفضاءات ضمن برامجها التنموية، حيث يسجل وجود متحف وحيد بالمغرب في ملكية جماعة حضرية (بمدينة أكادير).

أمام قوة المشاكل التي يعاني منها الحقل المتحفي وضعف إمكانيات وزارة الثقافة، قررت الدولة سنة 2011 إنشاء "المؤسسة الوطنية للمتاحف" وفوتت إليها جزءا مهما من المؤسسات المتحفية التابعة لوزارة الثقافة (بلغ عددها 14 متحفا). ويعكس هذا التغيير رغبة الدولة في القيام بتدبير مختلف لهذا القطاع، كما ورد في ديباجة قرار إحداث هذه المؤسسة[204].

فيما يتعلق بتكوين الشباب وتأهيلهم للفعل في حقل التراث، نجد المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث (INSAP) بالرباط، وهو المعهد الوحيد المتخصص في مجال الآثار، كما أنه يتوفر على شعب أخرى مثل الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية؛ التحافة؛ المخطوطات. وتعاني هذه المؤسسة الأكاديمية بدورها من نقص في الإمكانيات (لاسيما أن الأبحاث الأثرية الميدانية تتطلب تكاليف مادية هامة) ومن انعدام مختبرات التحليل والتأريخ.

وقعت المؤسسة الوطنية للمتاحف خلال السنوات الأولى لانطلاقتها اتفاقية مع جامعة محمد الخامس بالرباط من أجل تكوين الشباب في مجال التحافة والوساطة الثقافية. بالإضافة إلى ذلك، تأسست أكاديمية الفنون التقليدية التابعة لمؤسسة مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء سنة 2012 بهدف تكوين الشباب في مجال الصناعة والفنون التقليدية وتلقينهم تقنيات هذا القطاع للمحافظة عليها من الاندثار وإعادة تثمينها.

---

[202] KAFAS. Samir, (2003), « De l'origine de l'idée de musée au Maroc », (39-57), in: Patrimoine culturel Marocain, sous la direction de Gaultier-Kurhan, Maisonneuve et Larose, Paris, p. 55.

[203] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 48

[204] المرجع نفسه، ص. 48.

تقديم عام

إن اختياري لموضوع: "ثقافة الشباب وممارساتهم الثقافية، مقاربة سوسيوأنثروبولوجية للشباب الجمعوي وللتنظيمات الجمعوية بجهة الرباط سلا القنيطرة" راجع لدافعين أساسيين، أحدهما ذاتي والآخر موضوعي. يتمثل الدافع الأول من جهة في شغفي الدائم للمشاركة في أنشطة الجمعيات الثقافية فعلا وحضورا، ويتجلى من جهة ثانية في إيماني بالأثر القوي لدور النخب في تسريع وتجويد سيرورة التغيير نحو الإصلاح والتنمية. أما الدافع الموضوعي وهو الأهم، فيرتكز على الأهمية التي تكتسيها دراسة هذا الموضوع نظرا لاعتبارات عديدة، من بينها:

أولا، من الناحية العلمية والأكاديمية، تعد كل من حقول الثقافة والعمل الجمعوي والشباب ظاهرة اجتماعية شمولية un fait social total حسب مفهوم الأثروبولوجي الفرنسي مارسيل موس Marcel Mauss، وبالتالي فهي محلّل analyseur من شأنه الكشف عن الديناميات والصراعات التي تعتمل في المجتمع وكذا مختلف الرهانات والتحديات التي يسعى الفاعلون إلى تحقيقها. لذلك، فإن الجمع بين هذه الحقول الثلاثة الكبرى في إشكالية واحدة يضفي تركيبا وتعقيدا على الموضوع، ويمنح لهذا الاتجاه البحثي خصوبة وتنوعا في الأبعاد والآفاق.

ثانيا، تبرز أيضا أهمية دراسة الشباب من منظور سوسيولوجي في كون معظم الظواهر والمشاكل المجتمعية تعرف انتشارا في أوساط هذه الفئة العمرية على وجه الخصوص. في هذا الاتجاه، يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر مشاكل من قبيل التطرف الفكري والديني والمشاكل الصحية كالأمراض المنتقلة جنسيا والجريمة ومختلف أشكال العنف والإدمان والانتحار والبطالة، الخ. ونظرا لكون البعد الثقافي من أبرز محددات هذه المشاكل المجتمعية، فإن المساهمة في حلحلتها ومعالجتها يمكن أن تمر عبر مدخل الفعل الجمعوي الثقافي.

ثالثا، تعتبر فئة الشباب الأكثر نشاطا وتأثيرا في الديناميات المجتمعية، فهي من تؤثر بشكل أكبر في الواقع الراهن، وهي من تشكّل ملامح مجتمعات المستقبل. لأجل ذلك، تركز

مختلف الدراسات والأبحاث، خاصة المهتمة منها بحقول التنمية، على هذه الشريحة الاجتماعية وتعتمدها ضمن أبرز المؤشرات البحثية. نظرا لذات الأهمية، تركز مختلف المؤسسات والتنظيمات على خطابات الشباب ضمن سياساتها وبرامجها.

رابعا، لا تعدّ فئة الشباب عنصرا فاعلا على المستوى الماكرو في المجتمع فحسب، بل تظهر فاعليتها أيضا على مستوى التنظيمات الجمعوية، فهي من تخلق الدينامية في الفعل الجماعي المنظم لهذه الكيانات الاجتماعية، وهي في الآن نفسه من تشكّل فئاتها المستهدفة لضمان انتشارها ونجاح أدائها، سواء كان هذا النجاح مؤسسا على نجاعة في التدخل والأداء أم كان نجاحا صوريا.

خامسا، أصبحت الجمعيات فاعلا اجتماعيا معوّلا عليه في المساعدة على تدبير المشاكل المجتمعية وفي بناء التنمية، لاسيما بعد تراجع شعبية فاعلين اجتماعيين آخرين مثل الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والمنتخبين السياسيين. نظرا لهذه الأسباب ولغيرها، أصبحت الحكومات والهيئات الدولية تركز في سياساتها على التنظيمات الجمعوية كمخاطب مجتمعي يتسم بالقرب من المواطن وبالاندماج في حركية المعيش اليومي، وهو ما يدعو إلى البحث والتساؤل حول القيم المضافة التي تخلقها الجمعيات في الحقل الثقافي. جدير بالذكر أن الفعل الثقافي لا يُفترض به الاقتصار على طابع المتعة والترفيه، بل إن وظيفته الأساسية تكمن في نشر الوعي وتحقيق الارتقاء الفكري مع تأهيل المواطن للمشاركة في التنمية وفي الحياة العامة.

خلال تناولي لهذا الموضوع، سأقوم بتقسيم هذا المنجز إلى قسمين، أحدهما نظري والآخر ميداني. سيتفرع عن القسم النظري ثلاثة فصول، في الفصل الأول سأميز في مفهوم الثقافة بين معنى شمولي ومعنى تخصيصي يتعلق بالممارسات الثقافية والفعل الثقافي، ثم سأتطرق إلى وضعية الممارسات الثقافية بالمغرب. وفي الفصل الثاني سأتناول أهم الإشكاليات التي تمس فئة الشباب وثقافتهم في ظل التغيرات الاجتماعية المعولمة. في حين، سأتطرق في الفصل الثالث إلى التنظيمات الجمعوية وما تعرفه من تطور ورهانات وخصائص.

أما القسم الميداني فانقسم إلى ثلاثة فصول، حيث سأتناول في الفصل الأول إشكالية ولوج الشباب إلى التنظيمات الجمعوية وما يرافق ذلك من رهانات ذاتية، وسيتضمن الفصل الثاني استراتيجيات الشباب والجمعيات الثقافية لتحقيق الرهانات المجتمعية. وختاما، سأتطرق في الفصل الثالث إلى الموارد البشرية والمادية كأهم رأسمالين لتحقيق رهانات الفعل الثقافي وتنزيل استراتيجياته.

فصل تمهيدي

1- الدراسات السابقة

بعد اختيار هذا الموضوع بناء على العوامل السالفة الذكر، قمتُ باستكشاف ما أنجز حوله من أدبيات علمية، فاطلعتُ على أهم الكتب والمقالات التي نشرت حوله ثم على أهم الدراسات السابقة، مما ساعدني على تدقيق الزاوية التي سأتناوله منها. بداية، اطلعتُ على أولى الدراسات بالمغرب، ويمكن القول إن الأبحاث الاجتماعية المهتمة بفئة الشباب ظلت محدودة خلال العقود الأولى التي تلت فترة الاستقلال، وأبرز ما يمكن أن يُذكر منها:

- **دراسة أندري ادم André Adam** سنة 1962 بمدينتي الدار البيضاء وفاس، شملت 418 شاب في طور التعليم الثانوي (61% منهم ذكور و39% منهم إناث) وأظهرت اهتماما مهما للشباب بالسياسة. بعدما أطلقت الحركة الطلابية بفرنسا شرارة احتجاجات عارمة في ماي-يونيو 1968 (تعرف اختصارا بأحداث ماي 68)، انتقل صداها إلى مجتمعات أخرى وانعكس أثرها على الدراسات الاجتماعية التي أصبحت تهتم بموضوع الشباب. من هذه الدراسات تلك التي قام بها بول باسكون والمكي بنطاهر سنة 1969 والتي همت 296 شابا قرويا. مع سنوات التسعينات تزايد الاهتمام الأكاديمي بموضوع الشباب، خاصة مع تأسيس المجلس الوطني للشباب والمستقبل الذي نشر العديد من الدراسات.

أما بخصوص الدراسات الحديثة، فقد اخترت منها ما ارتبط بشكل مباشر مع موضوع بحثي، وحيث أن هذا الأخير تتداخل فيه ثلاث حقول أساسية، فقد صنفت الدراسات التي سأقدمها حسب التبويبات التالية: دراسات حول العمل الجمعوي؛ دراسات حول ثقافة الشباب بالمعنى الشمولي لمفهوم الثقافة؛ دراسات حول الممارسات الثقافية بالمعنى التخصيصي لمفهوم الثقافة.

1-1 دراسات حول العمل الجمعوي

❖ **أطروحة: "الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية: دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير"[1]**

أنجزت هذه الأطروحة السوسيولوجية هناء شريكي سنة 2010، وقبل الوصول إلى مرحلة التحديد الإشكالي، تساءلت الباحثة حول طبيعة الانتقال من منطق اشتغال التنظيمات الجماعية التقليدية إلى التنظيمات الجمعوية الحديثة، أي بعبارة أخرى: هل الجمعية تنظيم ناشئ وفق نصوص قانون الحريات العامة المستلهم في جزء كبير منه من القانون الفرنسي لسنة 1901، أم أن الجمعية تندرج داخل سيرورة التطور السوسيولوجي للتنظيم الجماعي التقليدي؟، يقود ذلك إلى البحث في ما تنقله الجمعيات من منظومة قيمية إلى الشباب.

على هذا الأساس، تبلورت إشكالية الأطروحة على الشكل التالي:

- الشباب والجمعيات التنموية، أي تفاعل بين الفاعل والنسق؟ وأية منظومة قيمية تنتجها هذه العلاقة؟

من خلال هذه الإشكالية المركزية تفرعت الإشكاليات الفرعية التالية:

- ما هي مسارات وسيرورات جمعيات التنمية وما هي فلسفتها وقيمها، وكيف تنقل هذه القيم إلى الشباب المنخرط فيها؟
- ما هي القيم التي يتشكل منها هابيتوس الشاب المغربي والتي يتفاعل بها وينخرط من خلالها في العمل الجمعوي؟
- هل الجمعية مجال لإنتاج منظومة قيمية خاصة بها أم هي مجرد آلية تكرس القيم الاجتماعية السائدة والغالبة؟
- إلى أي حد تنسجم أو تتباعد القيم الجمعوية مع القيم المرجعية؟

[1] شريكي. هناء، (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط.

- ما هو موقع الشباب المنخرط داخل الجمعية؟ وما هي مكانة الشباب داخل استراتيجيات واهتمامات التنظيمات الجمعوية التي تشتغل في مجال التنمية؟

تمحورت الفرضية المركزية لهذا البحث حول ما يلي:

- كلما اتسع مجال شراكات وبرامج الجمعية، كلما أنتجت منظومة قيمية خاصة بها لا تنسجم بالضرورة مع القيم الغالبة بالمجتمع المغربي.

من أهم الخلاصات التي يمكن استنتاجها من هذه الدراسة:

- شباب العينة كفئة عمرية تفتقد للاستقلالية وتوجد في حالة مستمرة من البحث عن الذات.
- هناك عدم تجانس (يصل حد التناقض أحيانا) في التمثلات حول الشباب المغربي، ومن ضمن هذه التمثلات النظر إلى الشباب بمنظور إعادة الإنتاج من خلال المنظومة القيمية المرجعية التي تحدد قبليا خصائص مفترضة لهذه الفئة (عدم التجربة والخبرة، الطيش، الاستهتار، الخ)، مما يجعل من تكريس كل من سلطة الكبار وسلطة الرجال على النساء بمثابة مسلمات اجتماعية ومبادئ عامة للعمل الجمعوي، سواء على مستوى الهيكلة والتنظيم وآليات اتخاذ القرار.

  على هذا المستوى، مازالت القيم المرجعية تلعب دورا وازنا داخل جل منظمات المجتمع المدني المدروسة وتضفي صفة المشروعية على قيم وممارسات تتنافى مع قيم التنمية والتحديث المؤسسة لفكرة المجتمع المدني ذاته.
- الجمعية مازالت، بدرجات متفاوتة، تعمل على إعادة إنتاج نفس المنظومة القيمية التي تشتغل وفقها الأسرة، الجماعة، القبيلة، على الرغم من التحولات التي عرفتها على مستوى القوانين والهياكل التنظيمية. وقد استطاعت الجمعية مواكبة فلسفة التنمية التي سطرتها الدينامية الجمعوية، غير أن استيعابها لهذه الفلسفة اقتصر إلى حد كبير على عصرنة وتحديث البنيات والتنظيمات المادية، دون أن يشمل ذلك بشكل وازن القيم والعلاقات التي تعتبر جوهر مشروعيتها.

- لا يتم إشراك مختلف الفئات (الإناث، الصغار، الشباب) بالشكل الكافي في اتخاذ القرار.
- يؤدي هذا الوضع إلى توسيع الهوة بين التنظيمات المدروسة وفئة الشباب، مما ينعكس على مشاركتهم الجمعوية، وهو ما يؤدي إلى "هروب قيمي" نحو ممارسات وتنظيمات أخرى.

❖ **دراسة: "البحث الوطني حول المؤسسات غير الهادفة للربح"[2]**

تحت عنوان Enquête Nationale auprès des Institutions Sans But Lucratif، نشرت المندوبية السامية للتخطيط هذا البحث باللغة الفرنسية سنة 2011 (2007 هي السنة المرجعية)، بعد أن قامت بدراسة عينة مكونة من 7274 جمعية، وقد تم السحب وفق طريقة عشوائية بسيطة من قاعدة معاينة تشتمل على 51.637 جمعية، وتم تسجيل أن 634 وحدة أوقفت نشاطها، في حين اعتبرت 389 وحدة خارج مجال البحث، مما يمثل نسبة 14,6٪، وقد أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- قُدّر عدد الجمعيات العادية النشيطة فعليا في سنة 2007 ب 44.614 جمعية، وبعد إضافة الجمعيات ذات المنفعة العامة التي خضعت كلها للبحث، يصبح العدد الإجمالي للجمعيات النشيطة هو 44.771 جمعية، وهو ما يسفر عن معدل 145 جمعية لكل 100.000 نسمة (مقابل 1.749 في فرنسا لسنة 2005 و508 في كندا سنة 2003).
- بمراعاة سنة تأسيس الجمعية، يلاحظ أن أغلبية الجمعيات النشيطة خلال سنة 2007 هي وحدات حديثة التأسيس، ذلك أن 8 جمعيات من أصل 10 أنشأت خلال الفترة الممتدة من 1997 إلى 2007، و 4 من أصل 10 تأسست منذ إعلان المبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2005. وبصفة عامة، فإن متوسط العمر للجمعيات النشيطة سنة 2007 في المغرب يبلغ 4 سنوات.
- أما بالنسبة للانتشار الجغرافي لهذه الجمعيات، فقد أبانت نتائج البحث أنها تتواجد بمختلف الجهات لكن بنسبة أكبر بجهتي الرباط- سلا- زمور- زعير و سوس- ماسة-

[2] Haut-Commissariat au Plan (Direction de la Statistique), (2011), Rapport de synthèse, Enquête Nationale auprès des Institutions Sans But Lucratif (ISBL), Rabat.

درعة (3 جمعيات من أصل كل 10). وأظهرت النتائج أن ثلاثة أرباع الجمعيات هي ذات إشعاع محلي، وتمارس أنشطتها على صعيد الحي أو الدوار أو الجماعة الحضرية أو القروية أو مجموعة من الجماعات.

- رغم تعدد مستويات تدخلها، فإن هذه الجمعيات تشتغل في مجالات متباينة (كالتربية والصحة والثقافة والرياضة والترفيه والدفاع عن الحقوق والتنمية والسكن، الخ). رغم هذا التنوع، فإن أنشطة العمل الجمعوي تتركز أساسا في مجالي "التنمية والسكن" (35,2٪ من مجموع الجمعيات) و" الثقافة والرياضة والترفيه" (27,1٪).
- تقدم أغلب الجمعيات (70,5٪) من خدماتها للأشخاص المنخرطين وغير المنخرطين، وقد سجل النسيج الجمعوي في سنة 2007 أكثر من 15 مليون انخراطا، وثلثهم نساء. وتجدر الإشارة إلى أن 57,3٪ من الجمعيات لا يتعدى عدد الإنخراطات بها 100 منخرط.
- رغم النمو الذي عرفه النسيج الجمعوي في المغرب خلال السنوات الأخيرة، يلاحظ أن ظروف العمل غالبا ما تكون غير ملائمة للقيام بأنشطته بطريقة جيدة ولضمان حسن تتبعها. ومن بين المؤشرات المنبثقة عن البحث في هذا المجال، نجد أن أكثر من نصف الجمعيات لا تتوفر على مقر، في حين أن 29,6٪ من الجمعيات تتوفر على مقر منح لها بالمجان (58٪ منها من طرف المؤسسات العمومية والخاصة و29٪ من طرف أحد أعضاء الجمعية)، و11٪ تكتري مقرها و8,4٪ تتوفر على مقر في ملكها الخاص.
- أما بخصوص التسيير المالي، فقد كشف البحث أن أغلبية الجمعيات (94,7٪) لا تتوفر على محاسبة وفق المعايير الجاري بها العمل.
- بالرغم من ظروف العمل هذه، لا تستفيد غالبية الجمعيات من الفرص التي قد يمنحها التعاون فيما بينها، إذ أن 78,1٪ من مجموع الجمعيات لا تنتمي إلى أي شبكة للتعاون. أما فيما يتعلق بالشراكة، فنجد أن 87,7٪ من الجمعيات تعمل لوحدها مقابل 7,9٪ تعمل في شراكة مع الدولة أو مع المؤسسات العمومية، و 2,7٪ مع الجماعات المحلية فيما 1,5٪ فقط لها شراكة مع جهات أجنبية.

- بخصوص التأطير والتسيير الإداري، أبانت نتائج البحث أن 95,9٪ من الجمعيات مسيرة من طرف مكتب تنفيذي فقط و1,1٪ من طرف مجلس إداري فقط، و 3٪ من طرف مكتب تنفيذي ومجلس إداري معا. بالنسبة للجمعيات التي يسهر على تسييرها مكتب تنفيذي فقط، يبلغ متوسط عدد أعضاء هذا الأخير 9 أشخاص. أما فيما يخص الجمعيات المسيرة من طرف مكتب تنفيذي ومجلس إدارة، فمتوسط عدد أعضاء المكتب التنفيذي هو 10 أشخاص، في حين يبلغ متوسط عدد أعضاء المجلس الإداري 27 شخصا، و تشكل النساء 12,7٪ من مجموع الأعضاء المسيرين للجمعيات.
- أما فيما يخص توزيع الهيئة المسيرة حسب المهنة، فنجد أن 16,9٪ من هؤلاء الأعضاء هم أطر عليا أو يمارسون مهنا حرة، 14,8٪ أطر متوسطة، 14,6٪ مستخدمون، 9,6٪ أعضاء هيئات تشريعية أو منتخبون محليون أو مسؤولون و8,2٪ حرفيون وعمال مؤهلون في المهن التقليدية.
- يعتبر العمل التطوعي الركيزة الرئيسية للعمل الجمعوي، حيث أن 7 جمعيات من أصل 10 تعتمد كليا على هذه الفئة من الموارد البشرية. ففي سنة 2007، استخدم القطاع الجمعوي ما يقارب 352.000 متطوعا، ساهموا بما يقرب من 96 مليون ساعة عمل، وهو ما يعادل 56.524 منصب شغل بدوام كامل. والملاحظ هنا أن معظم الجمعيات المشغلة للمأجورين هي وحدات صغيرة، بحيث نجد أن 80٪ منها تشغل عاملين على الأكثر.
- استطاع النسيج الجمعوي بالمغرب سنة 2007 تحقيق موارد مالية بلغت حوالي 8,8 مليار درهم، إلا أن هذه الموارد تبقى ضعيفة نظرا لحجم النسيج الجمعوي (حوالي 45.000 جمعية). هكذا، أبانت نتائج البحث أن جمعية واحدة من أصل خمسة تشتغل بميزانية سنوية لا تتعدى 5000 درهم، وجمعية من أصل ثلاثة تشتغل بميزانية سنوية تقل عن 10.000 درهم، في حين نجد أن 5,4٪ من الجمعيات فقط تتوفر على ميزانية سنوية تفوق 500.000 درهما. أما الجمعيات التي تتجاوز ميزانيتها مليون درهم فهي لا تمثل إلا 2,5٪ من مجموع الجمعيات. بالمقابل فالجمعيات التي تتوفر على موارد سنوية لا تتجاوز 100.000 درهما تمثل 80٪ من مجموع الجمعيات.

يتراوح المبلغ الوسيط للموارد السنوية بين 7600 درهما لدى "الجمعيات الاقتصادية والمهنية" و 326.898 درهم بالنسبة للجمعيات التي تمارس "الأنشطة الدولية".

- رغم النمو الذي عرفه النسيج الجمعوي في السنوات الأخيرة، فإن أغلبية الجمعيات تواجه عدة معيقات في إنجاز مهامها، نذكر منها على الخصوص غياب تجهيزات التسيير والحصول على التمويل. وقد صرحت 8 جمعيات من أصل 10 بمعاناتها من النقص في التجهيزات الضرورية، ونفس النسبة صرحت بمعاناتها من صعوبات في الحصول على التمويل.
- أما فيما يخص العمل التطوعي، فإن أكثر من نصف الجمعيات صرحت بصعوبة إيجاد المتطوعين أو إقناعهم بالاستمرار في العمل الجمعوي.

❖ **محور "العمل الجمعوي"، ضمن دراسة: "البحث الوطني حول الشباب"[3]**

- يتضمن "البحث الوطني حول الشباب" الذي نشره باللغة الفرنسية المجلس الوطني للشباب والمستقبل محورا حول العمل الجمعوي تحت عنوان "الأنشطة السوسيوثقافية للشباب"، يندرج هذا الأخير ضمن الجزء الثالث من هذه الدراسة، وقد تم إنجاز البحث ككل سنة 1993.
- تشكلت العينة من شباب بين 15 و34 سنة، وتم التمييز بين فئتين: الشباب المراهق (15-24)، والشباب الأكبر سنا (25-34).
- تمحورت مواضيع البحث حول: الوقت الحر؛ أنشطة العطل؛ الإعلام؛ العمل الجمعوي؛ بنيات التأطير؛ الصحة.

من نتائج هذا البحث:

- تقريبا لا ينخرط الشباب القروي في العمل الجمعوي؛
- أكثر الشباب انخراطا في العمل الجمعوي هم شباب الشمال الغربي، يليه الجنوب ثم الوسط؛

[3] Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir, (1993), Enquête Nationale sur les Jeunes, Activités socioculturelles des jeunes, Volume 3, chapitre intitulé : jeunes et vie associative, (51-65), Rabat.

- الانخراط الجمعوي يرتفع أكثر مع المستوى التعليمي، فالطلبة الجامعيون هم الأكثر انخراطا؛
- ينخرط الشباب في الجمعيات الثقافية والرياضية أكثر من انخراطه في الجمعيات الحقوقية؛
- الذكور أكثر انخراطا في العمل الجمعوي من النساء؛
- تتلخص أسباب العزوف عن العمل الجمعوي في عدم الرغبة ثم في قلة الوقت، كما يشكل بعد المسافة عن الجمعية عائقا مهما في المجال القروي، في حين لا يُطرح هذا المشكل بشكل كبير في المجال الحضري؛
- أغلب الشباب في المجال القروي يجهلون معنى دار الشباب؛
- يرتاد الذكور، خاصة العاطلون عن العمل، دور الشباب أكثر من الإناث. وترتفع هذه النسبة مع ارتفاع المستوى التعليمي.

❖ **محور "المشاركة السياسية والجمعوية" ضمن دراسة: "البحث الوطني حول القيم"[4]**

تم إنجاز البحث في إطار التحضير لتقرير "خمسين عاما من التنمية البشرية بالمغرب"، والمسمى أيضا "تقرير الخمسينية"، وقد صدر سنة 2006 بمناسبة مرور خمسين سنة على استقلال المغرب. اطلعتُ على هذا التقرير في نسخته الفرنسية تحت عنوان Rapport de synthèse de L'enquête nationale sur les valeurs. من أجل دراسة القيم، تم التركيز على عدد من المجالات، هي: الأسرة والتقاليد والدين والسياسة والعمل والترفيه، واهتمت الدراسة بالوصول إلى مجموعة من الأهداف، هي:

- تحديد القيم المركزية عند المغاربة؛ القيم الأقل أهمية ثم القيم الصاعدة؛
- دراسة تأثير بعض المحددات المجتمعية على دينامية القيم.

[4] Haut-Commissariat au Plan, (Centre d'Etudes et de Recherches Démographiques), (2005), 50 ans de développement humain et perspectives au Maroc 2025, Rapport thématique: Cinquantenaire de l'indépendance du Royaume du Maroc, chapitre 3, valeurs politiques, (49-63), Rabat.

تم الاعتماد على عينة قصدية بحيث تكون بنيتها مشابهة لبنية المجتمع المغربي، ومن معايير هذه البنية: محيط السكن (مجال حضري/قروي)؛ الجنس؛ السن؛ الحالة العائلية؛ المستوى الدراسي؛ الشغل. بلغ حجم العينة 1000 مشارك في البحث، كما تم الاعتماد على عينة البحث الذي أجرته المندوبية السامية للتخطيط سنة 2002 بخصوص البحث الوطني حول الشغل. استخدم البحث الوطني حول القيم تقنية الاستمارة المحررة بالدارجة المغربية، وفي المناطق الأمازيغية تم اعتماد ثلاث لهجات أمازيغية. وقد كانت الأسئلة المفتوحة قليلة العدد.

بخصوص موضوع المشاركة السياسية والجمعوية، توصل البحث إلى النتائج التالية:

- نسبة الانخراط في التنظيمات السياسية، النقابية والجمعوية تظل ضعيفة جدا، غير أن العمل الجمعوي يظل أكثر جذبا من الأنماط الأخرى للمشاركة السياسية؛
- عدم قدرة شريحة هامة من الساكنة على تقييم المحيط السياسي والمؤسساتي؛
- على العموم، هناك موقف ايجابي من مشاركة النساء في الحياة العامة، لكن هناك اختلاف حسب الحقول؛
- هناك حضور مهم للتنوع الثقافي واللغوي.

❖ **أطروحة: "الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني"[5]**

أنجزت هذه الأطروحة السوسيولوجية العمراني حسناء، وقد تركزت محاور البحث حول الأسئلة التالية:

- ما طبيعة العلاقة بين الجمعيات والديمقراطية؟ أي منهما تابع للآخر؟
- ما مدى احترام الجمعيات لمبدأ الديمقراطية في علاقتها مع أعضائها ومنخرطيها؟ فإذا كانت الديمقراطية مطلبا عاما، فكيف يمكن للجمعيات أن تلتزم بتحقيقه على المستوى المحلي بإعداد استراتيجيات للتنمية المحلية لفائدة الساكنة؟
- هل الجمعيات قادرة على تحقيق الديمقراطية من خلال الاهتمام بالشأن المحلي؟

[5] العمراني. حسناء، (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، سلسلة دراسات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس.

- هل المواطن هو الذي يبحث عن ممارسة الديمقراطية المحلية والمساهمة في تدبير الشأن المحلي عبر الجمعيات، أم أن وجود الجمعيات هو الذي يخلق الديمقراطية المحلية؟
- هل للجمعيات قوة اقتراحية، وهل صوتها مسموع ويؤخذ به؟
- كيف تتدخل السلطات العمومية لمراقبتها؟
- هل يدل ارتفاع عدد الجمعيات على قدرة المجتمع على الانتظام من الأسفل لتحقيق الديمقراطية انطلاقا من المحلي؟

تمت صياغة الفرضية المركزية على الشكل التالي:

- الديمقراطية المحلية هي الإطار المناسب لفهم العمل الجمعوي وللاشتغال في إطاره لأنه يقوم على مبادئ وقيم إنسانية.

أما الفرضيات الفرعية فكانت كما يلي:

- تشكل الجمعيات المحلية من خلال العمل عن قرب مؤسسات لتفعيل الديمقراطية المحلية، لأنها جزء من الفضاء العام الذي يساهم في ترسيخ وتربية المواطن على قيم إنسانية عن طريق الديمقراطية وإشراك المواطن في تدبير الشأن المحلي؛
- لا تهدف الجمعية إلى الربح لأنها مؤسسة تقوم على الممارسة والإرادة الطوعية للمواطنين؛
- الجمعية مجال لبناء علاقات اجتماعية وتحقيق الذات والدفاع عن قيم مشتركة ومأسسة الوظيفة الديمقراطية في المجتمع؛
- لا يمكن فصل التنمية والديمقراطية لأن قضية التنمية في العمق هي قضية ديمقراطية
- إن الفضاء الجمعوي تقتحمه أساسا الفئة المثقفة، فالوعي الثقافي والسياسي هو الذي يؤدي إلى تأسيس الجمعيات والانخراط فيها؛

- هناك مجموعة من العوامل تساعد على الانخراط في العمل الجمعوي من بينها اكتساب تجارب وخبرات والبحث عن المكانة ونسج علاقات اجتماعية، إضافة إلى البحث عن حلول مشتركة لمشاكل اجتماعية؛
- العمل الجمعوي يتأرجح بين حرية الجمعية كقاعدة للتنظيم الذاتي للأفراد والقيود القانونية المحددة لتأسيس الجمعيات؛
- يبين التطور الكمي للجمعيات قدرة المجتمع على تحقيق الديمقراطية انطلاقا من العمل المحلي والعمل عن قرب.

ارتكزت تقنيات هذا البحث الذي أنجز بالمجال العمراني لمدينة فاس على الاستمارة مع المنخرطين، والمقابلة نصف الموجهة مع أعضاء ورؤساء الجمعيات، وقد جاءت النتائج كالتالي:

- تتنوع الإدارات المكلفة بإحصاء الجمعيات مما يفرض على الباحث التنقل بينها، إضافة إلى كون المعلومات التي تتوفر عليها كل مؤسسة تختلف عن الأخرى؛
- هناك ارتفاع في عدد السكان، خاصة فئة الشباب. في مقابل ذلك، يظل عدد دور الشباب غير كاف؛
- تأسيس الجمعيات نابع من رغبة لحل المشاكل المحلية إضافة إلى كونها مدراس للتربية على الديمقراطية؛
- هناك جدل ومفارقة بين القانون والواقع، ففي نفس الوقت الذي تشجع فيه القوانين على تأسيس الجمعيات تعمل السلطات على مراقبة وضبط الفعل الجمعوي؛
- الرجال أكثر تطوعا في الجمعيات من النساء، كما تشكل فئة الشباب الفئة الأكثر حضورا، وكلما انخفض سن المنخرطين كلما كانوا أكثر نشاطا؛
- كلما ارتفع المستوى التعليمي ارتفع النشاط والانخراط في هذه الجمعيات؛
- الجمعيات المحلية بفاس تتشكل من الطلبة والتلاميذ لأنها تعتبر مدارس لتعلم قيم الديمقراطية والمواطنة؛

- يتشكل أغلب المنخرطين من فئة العازبين والعازبات لأن سنهم ووضعيتهم المهنية يسمحان أكثر بالانخراط في الفعل الجمعوي؛
- هناك مشاكل تتعلق بضعف الديمقراطية المحلية، كالانفراد في اتخاذ القرارات واستغلال العمل الجمعوي لغايات أخرى قد تكون سياسية أو شخصية.
- الجمعيات مطالبة بإعادة النظر في طرق اشتغالها.

❖ **أطروحة: "الجمعيات النسائية بالمغرب"[6]**

أنجزت هذه الأطروحة السوسيولوجية حبيبة حفصاوي سنة 2006، وتمحورت حول الأسئلة التالية:

- ما مدى اهتمام الجمعيات النسائية بالأدوات التنظيمية؟ هل ثمة تفكير في الجمعية كتنظيم؟ هل ثمة اختيارات تنظيمية واعية لذاتها؟ هل التوجه نحو التخصص والمهنية وما يستتبعه من انشغال بالمردودية هو انفتاح للجمعية بشكل أكبر على منطق المقاولة وانزياح عن منطق الجمعية، أم أنها لحظة في تاريخ الجمعيات في نطاق بحثها المستمر عن خصوصية الوجود؟
- هل غياب الذكور عن مراكز القرار في الجمعيات النسائية هو سلوك سياسي يعبر عن اختيار واع لضرورة تعلم النساء للسلطة؟ أم أنه واقع غير مساءل أملته تراكمات تقسيم الاهتمامات بين الجنسين مدنيا وسياسيا؟
- إذا كانت هذه الجمعيات تقوم في مجملها بتقديم خدمات للنساء في مختلف المجالات، فما هو نوع العلاقة المنتجة مع الوافدات؟ هل ثمة استراتيجيات المسافة بين أطر تمنح الخدمة ووافدات تتلقاها؟ هل ثمة تواصل ومحاولة تأسيس علاقة خارج العلاقة المحض خدماتية؟
- هل يمكن النظر من زاوية أحادية تركز على منتوج الجمعيات والذي أبرزها ولاشك على الساحة، دون الالتفات إلى زاوية البناء الداخلي ومدى حضور الحسابات في

[6] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

علاقة بالاستثمار على مستوى بناء وتكوين الأطر ومن ثم خلق الخلف وإمكانات الاستمرار؟

- هل وجود المهنية جعل الهرمية تدخل الفضاء الجمعوي؟ وهل أدى تعدد الفاعلات إلى تباين المواقع والى إنتاج استراتيجيات مختلفة في علاقة بامتلاك السلطة؟ هل توجهت الجمعيات إلى فصل واضح بين فئة المناضلات التي تفكر وتنتج المعرفة وتقود المعارك وفئة تنفذ القرارات وتسهر على العمل اليومي د-ونما تدخل يذكر؟
- هل صحيح أن تاريخ الجمعيات مرتبط بمأسسة مهن اجتماعية؟ هل غياب الدولة في عدد من المجالات جعل الجمعيات مضطرة لملء الفراغ، الأمر الذي تطلب تكيفا تنظيميا من طرف الجمعيات لتحسين التدخل ونوع المردودية، تكيف تنظيمي هو بالذات مأسسة لمهن اجتماعية ظلت خارج تدخل الدولة؟

وقد جاءت فرضيات هذا البحث كالتالي:

- من خلال مراكز الاستماع للنساء ضحايا العنف، مأسست الجمعيات النسائية مهنة اجتماعية متمحورة حول حماية النساء وهي "مهنة الاستماع"؛
- الاختيار التنظيمي المبني على المهنية يؤدي إلى تقسيم العمل بين فئة تفكر وتنتج المعرفة والقرار وتقود المعارك، وفئة تنفذ القرارات وتسهر على العمل الخدماتي اليومي لصالح الوافدات؛
- الاختيار التنظيمي المبني على التخصص والمهنية يضعف المنطق التشاركي والإدماجي ويطرح من ثم مشكل الانفتاح والاستمرارية؛
- الاختيار التنظيمي المبني على المهنية وتقديم الخدمات يؤدي إلى تقديم واضح للمواقع بين فئة تقدم الخدمة وفئة تتلقاها.

تكونت العينة من 8 جمعيات، وتم إنجاز البحث الميداني مع ثلاث فئات:

- فئة الأطر النسائية؛
- فئة المداومات المتحملة لمسؤولية مهنية داخل إدارة الجمعية؛

- فئة الوافدات على الجمعية من أجل الاستفادة من خدماتها.

أسفر هذا البحث على النتائج التالية:

- تمثل كل جمعية تجربة تنظيمية متميزة؛
- ليس ثمة تلازم ضروري بين المواقع الرسمية والمواقع الفعلية للأطر، فسلطة الفرد قوية داخل الجمعية وتوزيع المهام لا يعني توزيع الصلاحيات بالضرورة؛
- ليس ثمة تناسب ضروري بين الخطاب والممارسة، فقد تعتبر جمعية نفسها جماهيرية دون أن تستطيع تأطير أي عضوة جديدة، بينما قد تؤثر جمعية تعتبر نخبوية في العديد من النساء المنخرطات أو الوافدات؛
- مستوى تكوين الأطر داخل الجمعية سواء ما يخص العضوات أو المداومات يؤثر بشكل واضح على موقعهن، بغض النظر عن نوع الاختيار التنظيمي، مما يحيل إلى أن مستوى التكوين يشكل رصيد سلطة أساسية داخل الجمعيات؛
- ثمة مشاكل تعيشها الجمعيات داخليا بفعل تأثير المحيط، فالتحولات السياقية العامة تؤثر بشكل ملحوظ على حجم وطبيعة حضور النساء في الجمعيات وعلى مستوى انخراطهن، ومن ثم درجة التعلم والتحول، كما يؤثر على مستوى البعد الإدماجي للوافدات.

❖ **أطروحة: "آليات تنظيم واشتغال المنظمات غير الحكومية بالمغرب"[7]**

أنجز هذه الأطروحة السوسيولوجي محمد شرايمي سنة 2006، وقد حاول الإجابة من خلالها عن التساؤلات المطروحة التي تهم تنظيم واشتغال المنظمات غير الحكومية بالمغرب، فارتكز في ذلك على الأسئلة التالية:

- ما هو الإطار التنظيمي الذي يحكم أعمال المنظمات / الجمعيات غير الحكومية بالمغرب؟
- ما هي الأساليب التي تتبعها الجمعيات من أجل تلبية بعض من حاجيات مستهدفيها؟

[7] شرايمي. محمد، (2006)، آليات تنظيم واشتغال المنظمات غير الحكومية بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

- ما هو اثر القطاع اللاربحي على سلوكيات مستعمليه؟
- وما هي علاقة تلك المنظمات بمحيطها الاجتماعي؟

وقد طرح هذا البحث الفرضيات الآتية:

- النمط التنظيمي للجمعية يؤدي إلى توحيد المواقف والرؤى واتخاذ القرارات السريعة؛
- طريقة عمل الجمعيات التنموية تؤدي إلى رضى المستهدفين من المشروع التنموي؛
- الاشتغال الجمعوي يؤدي إلى اكتساب قيم اجتماعية جديدة وإعادة تجديد أخرى بطرق مغايرة؛
- ما تحققه الجمعيات من إنجازات يؤدي إلى توطيد علاقاتها مع محيطها الخارجي.

تشكلت العينة من جمعيتين هما "جمعية أدرار" و"جمعية أماب" نظرا لاشتراكهما في بعض الأهداف واشتغالهما في المجال التنموي. وقد تم اختيار العينة بشكل عشوائي فيما يخص المنخرطين، أما الفاعلين الذين يعتقد أنهم سيوفرون معلومات قيمة فتم اختيارهم بالعينة القصدية، اعتمدت تقنية البحث على استخدام المقابلة والملاحظة وتحليل مضمون السجلات والوثائق.

هكذا، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج:

- أكدت الجمعيات غير الحكومية تواجدها الفعلي في ميدان التنمية وتلبية حاجيات المواطنين، وهو ما أكسبها ثقة المواطن وتقدير الدولة؛
- حفزت الجمعيات جهات فاعلة على إعادة تقييم سياساتها، بل إنها أقدمت على تدابير مختلفة لكي تجري تغييرات حقيقية، وبهذا تكون قد أبانت عن إظهار نماذج قائمة على المشاركة التي يمكن للدولة أن تتبعها؛
- ما يميز عمل هذه التنظيمات هو المرونة والتلاؤم مع الديناميات الاجتماعية، كما أن لها القدرة على التمأسس وربط علاقاتها الخارجية بتلك الرؤى التي تخدم التنمية المستدامة ذات المدى البعيد؛

- رغم المكانة التي حققتها الجمعيات إلا أنها تعاني من عدم الاتفاق بين كافة المتدخلين حول رؤية تنموية واضحة يتم من خلالها الفصل بين ما هو آني ومستعجل، وبين ما هو متوسط أو طويل المدى؛
- تعاني هذه الجمعيات من الانتشار غير المتكافئ على كافة التراب الوطني، فهي تكثر في مناطق ويقل عددها في أخرى، رغم أن هذه المناطق تعاني من العوز الاجتماعي.
- أصبحت المنظمات غير الحكومة تريد من مستهدفيها تحمل المسؤولية ليصبحوا منتجين بدل نموذج الهبات والهدايا الذي يجعل منهم مستهلكين فقط؛
- لم يعد التطوع وحده سمة مميزة للجمعيات وإنما هناك سمة الاحترافية، وهو ما يؤدي إلى تشكل مجموعة من القواعد التنظيمية، مما يعني أن الجمعية ليست تنظيما جامدا بل دائم التغير والحركية؛
- الحجم الصغير للجمعية والاستقلالية في التدبير وتنوع الأنشطة يجعلها بعيدة عن التعقيدات الإدارية الروتينية التي تعد من بين الأوجه السلبية للبيروقراطية، ورغم وجود المكاتب والمأجورين كعلامة على البيروقراطية إلا أنها وسائل ضرورية للتسيير الجيد للأنشطة الجمعوية؛
- القيم الأساسية للجمعية تمنح الفرد إطارا يمارس من خلاله القدرة على التنظيم الذاتي، وبهذا تؤكد على تصور آخر للعلاقات الاجتماعية من خلال بلورة ثقافة خاصة بها ذات مميزات حداثية موسومة بطبائع المؤسسة. فهي تسعى بالأساس إلى جعل كل فرد فاعلا حرا يتحلى بالمسؤولية وروح التضامن؛
- الجمعية نظام مفتوح لا يرتبط بشروط داخلية مثل الهيكل التنظيمي وحسب، وإنما بمبادلات التنظيم مع البيئة الخارجية؛

❖ **أطروحة: "مساهمة الجمعيات في التشغيل، حالة إقليم الرشيدية"[8]**

أنجز هذه الأطروحة السوسيولوجي فوزي بوخريص سنة 2010، وقد تركزت محاورها حول الإشكاليات التالية:

- كيف قارب علماء الاجتماع الظاهرة الجمعوية؟ ما الذي أضافته سوسيولوجيا التنظيمات على مستوى فهم الظاهرة؟ ثم ما مشروعية الحديث عن سوسيولوجيا الجمعيات، أو بأي معنى يمكن الحديث عن سوسيولوجيا الجمعيات؟
- ما الذي يميز الجمعيات عن باقي التنظيمات الأخرى؟ هل يمكن الحديث عن هوية خاصة بالجمعية، متميزة عن هويات التنظيمات الأخرى مثل المقاولة والإدارة وغيرهما؟
- هل يمكن الحديث عن الشغل المأجور داخل سياق جمعوي، يقوم بالأساس على التطوع؟ هل يتعلق الأمر بشغل أو بفعل أو بنشاط؟ ما الفرق بين هذه المفاهيم؟
- هل هذا البروز المتنامي والمتسارع للجمعيات مؤشر على التغيرات الاجتماعية التي شهدها المجتمع المغربي خلال العقود التي أعقبت استقلال البلاد، وخصوصا بعد عقد التسعينات، أم أنه لا يعدو أن يكون استمرارا لظاهرة قديمة لازمت تطور المجتمع، ألا وهي ظاهرة "الجماعة"؟
- ما هي خصوصيات الظاهرة الجمعوية ببلادنا؟ هل ما تزال الجمعيات ظاهرة حضرية كما كان الحال طوال العقود التي أعقبت الاستقلال، أم أنها أضحت بفعل التغيرات الاجتماعية المستجدة ظاهرة مميزة لمجموع تراب المملكة؟ بماذا نفسر أنه عندما يتم تأسيس الجمعيات في القرى النائية يكون وراء مبادرة التأسيس "نخب مثقفة" تشكل وعيُها في المدينة؟ ما حجم الديمغرافيا الجمعوية ببلادنا؟ وكيف تتوزع هذه الديمغرافيا على مستوى الجغرافيا وعلى مستوى التخصص أو مجال الاهتمام؟

[8] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

- هل يمكن الحديث عن تحول في أدوار الجمعيات خلال العقدين المنصرمين؟ وإذا سلمنا بتنوع أدوار الجمعيات وتحولها، نتيجة التغيرات التي شهدها المجتمع المغربي، فهل يمكن اعتبار "الجمعيات التنموية المحلية" بمثابة الجيل الجديد من الجمعيات؟
- ما هي طبيعة مساهمة الجمعيات في خلق فرص الشغل؟ ما حجم هذه المساهمة، ما أهميتها؟ وما حدودها؟

وقد كانت الفرضية المركزية للبحث كالتالي:

- شهدت الجمعيات ببلادنا، كما في بلدان العالم، تحولا كبيرا خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، لعل من أبرز سماته بروز الدور السوسيواقتصادي للجمعيات، حيث بدأت الجمعيات اليوم تساهم في خلق فرص الشغل المأجور، وهذا ما يعني أن الجمعيات لم تعد تتميز بسيادة العمل التطوعي فقط، بل أضحت تشهد اليوم تناميا ملحوظا للشغل المأجور، وإن كانت ما تزال في الغالب بعيدة عن احترام مقتضيات الشغل فيما يخص شروط العمل الجمعوي المأجور. ولعل هذا من الاعتبارات القوية التي تجعل الجمعيات اليوم فاعلا مهما في الاقتصاد الاجتماعي، وبذلك يمكن افتراض أن الجمعيات تعتبر اليوم تنظيمات تقوم بسد الخصاص الذي تتركه تدخلات الدولة.

أما الفرضيات الفرعية فكانت كالتالي:

- اهتمام علماء الاجتماع بالظاهرة الجمعوية قديم قدم علم الاجتماع نفسه (فقد بدأ مع رواد هذا العلم: أليكسيس دو توكفيل، فيردناند تونيز، ماكس فيبر، دوركايم)، لكن الاهتمام الفعلي سيبدأ مع تطور سوسيولوجيا الشغل وبروز سوسيولوجيا التنظيمات، لدرجة أنه بدأ الحديث اليوم عن سوسيولوجيا الجمعيات على غرار سوسيولوجيا المقاولة مثلا.
- يجد الحديث عن سوسيولوجيا الجمعيات مبرره في ما تتميز به التنظيمات الجمعوية من خصوصيات على مستوى الهوية، التسيير، القيم والغايات، مقارنة مع باقي التنظيمات الأخرى.

- تشهد الجمعية اليوم ظهور العمل المأجور إلى جانب أشكال العمل التطوعي التي تميزت بها تاريخيا.
- إن البروز المتنامي والمتسارع لعدد الجمعيات بالمغرب، ليس استمرارا لتلك الظاهرة التنظيمية القديمة التي لازمت تطور مجتمعنا (ظاهرة "اجماعة")، بل يتعلق الأمر بظاهرة مستجدة تعبر عن التغيرات الاجتماعية التي شهدها المجتمع المغربي خلال العقود التي أعقبت الاستقلال، وخصوصا بعد سنوات التسعينات.
- عرفت الديمغرافيا الجمعوية ببلادنا تزايدا كبيرا منذ بداية التسعينات وتنوعا على مستوى مجالات اهتمامها وإن كان الغالب عليها هو الاهتمام بالتنمية، كما شهدت تغيرا على مستوى توزيعها الجغرافي، حيث لم تعد متمركزة في المدن الكبرى في الشمال الغربي. رغم ذلك، ما يزال اللاتكافؤ في التوزيع بين المدن الكبرى وبين المدينة والقرية هو الغالب.
- شهدت أدوار الجمعيات تحولا كبيرا خلال العقدين المنصرمين، من أبرز سماته ظهور الجمعيات التنموية المحلية باعتبارها الشكل الجمعوي الأكثر انتشارا اليوم والذي يمثل جيلا جديدا من الجمعيات، يتميز بتصور جديد للعمل الجمعوي مبني على الفعل أكثر من النظرية، ويؤمن بضرورة التدخل عبر مشاريع سوسيواقتصادية ملموسة وذات تأثير مباشر على واقع الفئات المستهدفة، التي تتشكل في الغالب من المهمشين والمقصيين.
- تساهم الجمعيات في خلق فرص الشغل وإن كانت في الغالب بعيدة عن احترام مقتضيات قانون الشغل فيما يخص شروط العمل الجمعوي المأجور. ويبقى من بين أهم نتائج تطور العمل الجمعوي ببلادنا ظهور مهن جمعوية جديدة، ومأسسة متدرجة لهذه المهن في أفق خلق إطار قانوني رسمي لها.

تكونت العينة التي تم بناؤها بطريقة عشوائية من 200 جمعية، ولم يكتف الباحث في منهجيته بالاستمارة بل أضاف إليها أداة المقابلة، ثم الملاحظة بالمشاركة.

أما بالنسبة لنتائج البحث، فقد كانت كالتالي:

- إن كان اهتمام السوسيولوجيا بالجمعيات يعود إلى بدايات ظهور هذا العلم، فإن الملاحظ هو أن هؤلاء الرواد تناولوا موضوع الجمعية ولم يحللوها باعتبارها كذلك، فالجمعية بدت لهم كإجابة (من بين إجابات أخرى ممكنة) على أسئلة شغلتهم. فيما بعد، ومن خلال دراسة مشاركة الأفراد في هذه البنيات، سيصير العالم الجمعوي موضوع تحليل سوسيولوجي. بالتالي، يمكن التمييز بين ثلاث مراحل أساسية من الناحية التاريخية: مرحلة الإرهاصات مع الرواد، ثم مرحلة الوعي الضمني التي ركزت على الجانب القيمي، الثقافي والنضالي، وأخيرا مرحلة الوعي بالذات والتي ارتبطت بمحاولات فهم أشكال سير التنظيم الجمعوي؛
- تتمظهر الهوية الجمعوية في إسمها وفي الهوية البصرية وفي قوانينها وفي ثقافتها (قيم، رموز، الإيديولوجيات، طرق التفكير، الخ)؛
- يتميز العمل المأجور بأنه يحيل على المشروع الجمعوي المحكوم بالمنفعة الاجتماعية، كما أنه يتطلب احترام قانون الشغل ونوعا من المسؤولية والانخراط الشخصي. يسمح تحليل كل ذلك بالتفكير من جديد في مسألة الحدود بين العمل وخارج العمل، وفي العلاقات بين العمل المأجور والعمل التطوعي؛
- إن ظاهرة العمل الجمعوي بالمغرب ظاهرة حديثة ارتبطت بسيرورة التمدين وبروز الطبقة الوسطى، وهي تحيل على حداثة مغايرة، حداثة تضامنية وتشاركية، وليس حداثة العقلانية الحسابية والفردانية؛
- عرفت الديمغرافيا الجمعوية ببلادنا تزايدا كبيرا منذ التسعينات وتنوعا في الاهتمامات والميل إلى التنمية والأهداف التي تحظى أكثر بالتمويل، كما شهدت تغيرا على مستوى التوزيع الجغرافي، إذ لم تعد متمركزة في المدن الكبرى؛
- أصبح من الممكن الحديث عن اقتصاد اجتماعي للجمعيات على غرار الاقتصاد الاجتماعي التعاوني دون التخلي عن العمل التطوعي مع ظهور مهن جمعوية جديدة، وبالتالي لم تعد تتحدد بقانون الجمعيات بل بمدونة الشغل أيضا. وعليه، تحولت الجمعيات إلى ملاذ أخير للشباب لضمان منصب شغل؛

- الفعل الجمعوي يعاني من اختلالات: قلة التجربة والخبرة، غياب رؤية شمولية للعمل الجمعوي ولسياسة التنمية، ضعف التنسيق والتشاور بين الجمعيات فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين باقي الفاعلين التنمويين من جهة أخرى، تغليب المصالح الشخصية، الفئوية، الاقتصادية والسياسية، الطابع الهجين لمالية الجمعيات ولطبيعة تنظيمها، الخ؛
- السياسات العمومية التي هي من حيث المبدأ مسؤولية الدولة، تنزع إلى التحول إلى نوع من الأشغال الباطنية أو المناولة sous traitance لفائدة الجمعيات، بفعل تخلي الدولة التدريجي عن جزء من مسؤوليتاها، في هذه الحالة تصبح الجمعيات تابعة أكثر فأكثر للطلب العمومي، أي أنها تتحول إلى أداة في يد الدولة ووسيلة للضبط الاجتماعي.

2-1 دراسات حول الممارسات الثقافية بالمعنى التخصيصي

❖ **دراسة "سوسيولوجيا الجمعيات الثقافية، أي باراديغم للعمل الثقافي"[9]**

أنجز هذه الدراسة السوسيولوجي أحمد شراك، وارتكزت محاورها حول الأسئلة التالية:

- إلى أي حد ساهمت الجمعيات الثقافية، إلى جانب مؤسسات ثقافية أخرى، في إخصاب الحقل الثقافي؟
- هل ظلت براديغمات العمل الثقافي (والعمل الجمعوي خصوصا) تابثة على امتداد تاريخ المشهد الجمعوي في المغرب؟ بعبارة أخرى، هل ظل العمل الجمعوي الثقافي معزولا عن السياقات السياسية والاجتماعية، أم على العكس ظل جزءا من صميم هذه السياقات؟
- ما هي علاقة السياق بالجمعيات؟ هل هي علاقة تواصل أم تفاصل؟ أي تواصل؟ ما طبيعته؟ ما دوره؟ ونفس الأسئلة بالنسبة للتفاصل؟ أي تفاصل يمكن الحديث عنه؟

[9] شراك. أحمد، (2015)، سوسيولوجيا الجمعيات الثقافية، أي براديغم للعمل الثقافي؟، الطبعة الأولى، منشورات مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

اختار السوسيولوجي أحمد شراك عينة غرضية، حيث أخذ نسبة 10% من مجتمع الدراسة والذي يبلغ عدده 1000 عضو يكونون 25 تنظيما اجتماعيا، بالتالي كان حجم العينة 100 عضو، تم إجراء البحث معهم باستمارة تضمنت 40 سؤالا مغلقا. وقد سبقت هذه العملية طريقة المقابلة الشخصية مع أغلب مسؤولي التنظيمات الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، تم توظيف الملاحظة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة. أما من حيث الإطار النظري، فتم الاستناد على فكر صراعي ماركسي.

وقد طرحت الدراسة الفرضيات التالية:

- كلما تهاون العاملون في التنظيمات الاجتماعية عن ممارسة مسؤوليتهم الثقافية ساد الفراغ الثقافي؛
- الأنشطة الفنية تحتاج إلى تكاليف مادية وإعلامية أكثر من الأنشطة الثقافية العامة؛
- العمل الجماعي داخل التنظيمات الاجتماعية وفيما بينها يؤدي إلى تصعيد النشاط الثقافي؛
- كلما انعدمت الوسائل المادية للتنظيمات الاجتماعية كلما ساد الجمود الثقافي؛
- غياب الحرية الثقافية في التنظيمات الاجتماعية يساهم في الجمود الثقافي؛
- كلما غابت اللغة الشعبية غابت الثقافة الشعبية؛
- نوعية وحجم الجمهور الذي يحضر الأنشطة الثقافية يتحدد على حسب نوعية هذه الأنشطة الثقافية؛
- لكل تنظيم اجتماعي نمط وعي سياسي يحرك نشاطه الثقافي؛
- النقص في المهارات الفنية والتكوين الثقافي لدى العاملين في التنظيمات الاجتماعية له انعكاس سلبي على التنمية الفكرية والثقافية؛

أسفر هذا البحث الميداني على النتائج الآتية:

- أبرز التركيب الداخلي للتنظيمات الاجتماعية أن فئة العمر المركزية تستقر في فئة 20-30 سنة والتي تشكل أعلى نسبة؛

- هناك حضور قوي للرجل في مقابل غياب كبير للعنصر النسوي؛
- أغلبية المهن والوظائف المكونة في عينة البحث تتكون من فئة الطلبة والتلاميذ كأعلى نسبة، تليها نسبة المعلمين والأساتذة، ثم فئة الموظفين الصغار، مع نسبة لا بأس بها من الحرفيين. يدل وجود هذه الفئة الأخيرة على أن العمل الجمعوي بفاس في تلك الفترة لم يكن يقتصر على فئة المثقفين فقط؛
- فيما يتعلق بمفهوم العمل الثقافي، احتلت الإجابات " التوعية الاجتماعية " المرتبة الأولى، تليها إجابة "تصعيد العمل الثقافي"، ثم "الترفيه والتسلية"، ثم "الشهرة" وأخيرا "الملء وقت الفراغ"؛
- تنوعت الأنشطة الثقافية التي أجري حولها البحث، فحل المسرح في الرتبة الأولى من حيث الانتشار، ثم الأنشطة الثقافية المتنوعة، ثم الغناء والمحاضرات الثقافية، تليهما السينما، وأخيرا الرسم والنحت؛
- عبرت 58% من الجمعيات أن ممارسة العمل الجمعوي مع جمعيات أخرى يتم من أجل تصعيد العمل الثقافي، في حين عبرت 27% من الجمعيات أن ذلك بسبب الانسجام الفكري، أما 14% منها فعبرت أنه بسبب وجود صداقات مع الجمعيات الأخرى؛
- 34% من الجمعيات لم تكن تتوصل بأي منحة سنوية؛
- 44% من الجمعيات أجابت أن هناك شروط تقنن بها السلطة العمل الثقافي؛
- 85% من الجمهور هم طلبة وأساتذة ومعلمون وموظفون؛
- 72% من الفاعلين الجمعويين ليس لديهم انتماء سياسي؛
- عدد مهم من الفاعلين الجمعويين يتوفرون على مستوى تعليمي ثقافي يساعدهم على ممارسة النشاط الثقافي؛
- الوضعية الثقافية بمدينة فاس لا تعبر عن الصورة التي يقدمها الخطاب الرسمي على أنها مدينة العلم والثقافة؛
- التراكمات الكمية للتنظيمات الجمعوية ليست علامة ملموسة على حركة ثقافية متنامية، بل يجب قياسها من الناحية الكيفية.

❖ **دراسة: "بحث حول القراءة بالمغرب"[10]**

أنجز هذه الدراسة الباحث عبد العالي اليزمي خلال سنتي 1997 و 1998 وأصدرها في كتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان Enquête sur la lecture au Maroc، وقد همت 1500 مشارك في البحث، موزعين على خمس مناطق من المغرب (بما معدله 300 مشارك في كل منطقة)، وهي: محور طنجة-تطوان؛ محور مراكش-أكادير؛ محور وجدة-تازة؛ محور الرباط-الدار البيضاء؛ محور فاس-مكناس.

أقيم هذا البحث الميداني في الفضاءات التالية: الخزانات؛ المكتبات التجارية؛ المؤسسات التعليمية، وقد اعتمد على تقنية المقابلة والاستمارة (تكونت هذه الأخيرة من 60 سؤالا). و شكل الشباب (أقل من 30 سنة) نسبة 56% من العينة، أما الكبار من فئة 30-45 فشكلوا نسبة 37% بالمئة، في حين شكلت فئة 45 سنة فما فوق نسبة 6%، وكان أغلبية المبحوثين من الأساتذة والطلبة.

أسفر هذا البحث عن نتائج تتعلق بحجم الممارسات الثقافية وبخصائص الممارسين:

- تبين أن إقبال مجتمع العينة على الممارسات الثقافية يتوزع من حيث الأهمية حسب الترتيب التالي: القراءة؛ مشاهدة التلفاز؛ الموسيقى؛ العلاقات مع الأسرة والأصدقاء؛ الخرجات؛ الذهاب للسينما؛ التوجه للمقهى؛ البقاء في المنزل؛
- المهتمون بالثقافة بشكل دائم يشكلون نسبة 6%، والذين يهتمون بشكل متوسط يشكلون نسبة 18%، أما نسبة 48% فلا تهتم إلا من حين لآخر؛
- 78% لا ينتمون إلى جمعيات ثقافية، لكن الذين يهتمون بالممارسات الثقافية هم غالبا أعضاء في الجمعيات الثقافية؛
- أماكن القراءة هي البيت بالدرجة الأولى، ثم المقهى ثم الخزانات؛
- الأوقات المفضلة للقراءة هي الليل عند أكثر من نصف العينة؛
- مدة القراءة تمتد لأكثر من ساعة عند أكثر من نصف العينة؛

[10] El YAZAMI. Abdelali, (1998), Enquête sur la lecture au Maroc, 1ère édition, Association marocaine des professionnels du livre, Rabat.

- مكتبات المركز الثقافي الفرنسي تجذب القراء أكثر من المكتبات العمومية المغربية وذلك بسبب عدد من المميزات: الولوج المفتوح للكتب؛ التنوع، والثراء؛
- ثمن الكتب يبقى مرتفعا بالنسبة لأغلبية المشاركين في البحث؛
- 60% من المبحوثين لا يذهبون إلى السينما إلا نادرا؛
- 60% من المبحوثين يشاهدون التلفاز يوميا؛
- 61% لا يقومون بالكتابة؛
- أكثر من نصف المبحوثين يفضلون الروايات في قراءاتهم بالدرجة الأولى؛
- حوالي 70% من المشاركين في البحث أخبروا أنهم لا يتلقون الكتب في شكل هدايا.

❖ **محور "الأنشطة السوسيوثقافية للشباب"، ضمن دراسة: "البحث الوطني حول الشباب"[11]**

سأعرض فيما يلي دراسة حول الأنشطة السوسيوثقافية للشباب، وتشكل الجزء الثالث من "البحث الوطني حول الشباب" الذي أنجزه باللغة الفرنسية المجلس الوطني للشباب والمستقبل سنة 1993. تمحورت مواضيع هذا البحث ككل حول: الوقت الحر؛ أنشطة العطل؛ الإعلام؛ العمل الجمعوي؛ بنيات التأطير؛ الصحة. شملت عينة البحث 3500 من الشباب والمراهقين؛ وتم التمييز بين فئتين: الشباب المراهق (15-24) والشباب الأكبر سنا (25-34)، وقد جاءت نتائج هذه الدراسة كالتالي:

- مشاهدة التلفاز هي الهواية الأولى للشباب خاصة الشباب الحضري، وهي أكثر حضورا لدى الإناث؛
- يحتل الاستماع إلى المذياع المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وهو منتشر عند الشباب القروي أكثر من الشباب الحضري؛
- تخصص الشابات من مختلف الأعمار وقتا مهما للأعمال المنزلية، ويتضاءل هذا الوقت كلما ارتفع المستوى التعليمي للفتاة؛

[11] Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir, (1993), Enquête Nationale sur les Jeunes, Activités socioculturelles des jeunes, Volume 3, chapitre intitulé : jeunes et vie associative, (51-65), Rabat.

- الهوايات الممارسة مع الأصدقاء تحتل وقتا أطول من الوقت الذي يتم قضاؤه مع أقارب العائلة؛
- الممارسات الثقافية للشباب تظل مرتبطة بمستواهم التعليمي؛
- ارتياد النوادي السينمائية ودور الشباب يظل ضعيفا عند الفئات الشابة؛
- احتلت القراءة المرتبة السادسة من حيث الاهتمام، وتبين أن 68% من الشباب لا يقرؤون الجرائد؛
- يفضل الذكور قراءة الأخبار الرياضية؛ السياسة الوطنية والدولية؛ في حين تفضل الإناث المقالات الثقافية والفنية؛ الأخبار الاجتماعية؛ أخبار الشباب والأخبار المحلية؛
- احتلت الرياضة المرتبة السابعة، وهي تمارس أكثر من طرف الذكور؛
- يشكل ارتياد دور السينما متنفسا للشباب للهروب من ضغوطات الحياة، وأمام ضعف البنيات وتزايد حضور التلفاز، لم تعد هذه الممارسة تشكل حضورا قويا؛
- يعتبر السفر بالنسبة إلى 61% من الشباب فرصة لزيارة العائلة، ويقل هذا النوع من السفر كلما ارتفع مستوى التعليم، ويظل السفر عبر التخييم أقل حضورا عند الشباب.

❖ **محور "الممارسات الثقافية"، ضمن دراسة: "المؤشرات الاجتماعية بالمغرب لسنة 2018[12]**

أنجزت هذه الدراسة المندوبية السامية للتخطيط سنة 2018 باللغة الفرنسية تحت عنوانLes Indicateurs sociaux du Maroc، وقد جاءت بالنتائج الآتية:

- يتبين من خلال بحث حول استعمال الزمن تم إجراؤه سنة 2012 أن الوقت الحر للمغاربة يتوزع بين أنشطة الترفيه، العلاقات الاجتماعية والممارسات الدينية، وأن مشاهدة التلفاز تحتل نسبة 43.6 % في حين تحتل القراءة نسبة 0.3%. يختلف هذا التوزيع حسب الفئات العمرية، إذ يقضي المراهق معدل ساعتين وربع أمام التلفاز، في مقابل معدل دقيقتين في اليوم لكل من القراءة وممارسة الرياضة؛

[12] Haut-Commissariat au Plan, (2018), Les indicateurs sociaux du Maroc, Rabat.

- يعتبر الشباب التلفاز، الراديو والأنترنت وسائلهم المفضلة للانفتاح على محيطهم وعلى العالم؛
- خلال سنة 2012، ارتفع عدد دور الشباب ليبلغ 557 مؤسسة، واستقبلت 5 ملايين من الشباب، أي بارتفاع يصل إلى 145 ألفا بالمقارنة مع سنة 2011، وتحتل جهة فاس مكناس المرتبة الأولى من حيث التوفر على هذه الفضاءات (56 مؤسسة)؛
- برسم سنة 2012، ارتفع عدد المشاركين من الشباب والمراهقين في أنشطة التخييم بنسبة 7% مقارنة مع السنة الفارطة، ليرتفع العدد من 125 ألفا سنة 2011 إلى 135 ألفا سنة 2012؛
- فيما يتعلق بالبنيات الرياضة تشير إحصائيات سنة 2011 إلى توفر المغرب على 1140 بنية رياضية، منها 455 ملعب لكرة القدم، 181 ملعب لكرة السلة، 103 قاعة مغطاة، وتتوفر جهة الرباط سلا زمور زعير على 11% منها؛
- تراجعت دور السينما بشكل كبير حيث انخفض عددها من 70 سنة 2010 إلى 36 سنة 2012، ليصل إلى 31 سنة 2015. لا يهم هذا الانخفاض عدد دور السينما، بل يخص عدد المقاعد أيضا. وتعد جهة الدار البيضاء أكثر المناطق استفادة من هذه البنيات.

❖ **دراسة: البحث الوطني حول السينما وجمهورها بالمغرب[13]**

ورد هذا البحث في الصفحة 209 من كتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان "الثقافة والسياسات الثقافية بالمغرب" لمؤلفته أمينة التوزاني، وقد تم إنجازه سنة 1991 في إطار التحضير لمناظرة "من أجل الترويج للسينما المغربية". شملت هذه الدراسة 1200 مشارك في البحث موزعين على مختلف مناطق المغرب، وأسفر الشق الكمي من هذه الدراسة على النتائج التالية:

- 37% من الساكنة المغربية لا تهتم بالسينما ولا تدرجها ضمن اهتماماتها الثقافية؛

[13] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 209.

- 24.4% من مجتمع العينة هم بمثابة جمهور غير تابث و61.5% لا يذهبون إلى السينما إلا نادرا؛
- 30% من المستجوبين لم يسبق لهم أن رأوا فيلما مغربيا، ونصف الجمهور الذي رأى فيلما مغربيا قد رآه عبر التلفاز وليس في دار السينما؛
- أغلب المستجوبين الذي يذهبون للسينما هم حضريون وأغلبهم من الشباب الذكور؛

أما الشق الكيفي من هذا البحث فقد خلص إلى أن:

- المستجوبين الذين يتوفرون على المستوى الكافي من التعليم الذي يجعلهم يكونون رأيا مبنيا يصنفون السينما المغربية في مستوى متوسط، ضعيف أو ضعيف جدا. كما استنتجت الدراسة أن فئة من الجمهور مازالت حاضرة لكنها تنتظر أعمالا قيمة، في حين أن فئة أخرى تعبت من الانتظار وعبرت عن استيائها.

3-1 دراسات حول ثقافة الشباب بالمعنى الشمولي

❖ **أطروحة: "الشباب وتحول القيم والاتجاهات والممارسات الدينية. دراسة سوسيولوجية بمدينة سلا"[14]**

أنجز هذه الأطروحة السوسيولوجي رشيد جرموني سنة 2013، تكونت العينة من 459 شابا وشابة ينتمون للوسط الحضري والقروي وتتراوح أعمارهم بين 15 و35 سنة من كلا الجنسين، وقد تم اختيار العينة بشكل عشوائي مع تفادي الشباب المنتمين للحركات الإسلامية. توزعت مجالات الدراسة حول ستة مداخل: دراسة المعتقد؛ الشعائر؛ المعرفة الدينية؛ الأخلاق؛ الانتماء؛ الفاعلون الدينيون. تم الاعتماد في تقنية البحث على الاستمارة والمجموعات البؤرية والمقابلات الفردية الموجهة.

[14] جرموني. رشيد، (2013)، الشباب وتحول القيم والاتجاهات والممارسات الدينية. دراسة سوسيولوجية بمدينة سلا، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط.

يتمحور جوهر هذه الدراسة حول السؤال الإشكالي التالي: كيف نفسر ارتفاع مؤشرات التدين في شقي المعتقدات والممارسات، ووجود توتر على مستوى الأخلاق والمعارف؟ تفرع عن هذا السؤال إشكاليات فرعية هي:

- بماذا يمكن أن نفسر وجود توترات في المنظومة القيمية/الدينية عند الشباب في مدينة سلا؟؛
- كيف نفسر ضعف ثقة الشباب بالمؤسسات الدينية الرسمية واللارسمية؟ وهل الأمر مرتبط بضعف التأطير أم بغياب الرؤية المجتمعية المنسجمة؟؛
- هل هناك علاقة تفسيرية ما بين تعدد المتدخلين في الحقل الديني وضعف القيم الدينية عند الشباب في شقي الأخلاق والمعارف؟ وما هي التفسيرات التي يمكن أن نخلص إليها؟؛
- هل للإعلام الديني دور إيجابي في تقوية القيم الدينية، أم أنه على العكس من ذلك يقوم بأدوار مشوشة على فئة الشباب؟ وإذا وجدت هذه الإيجابيات، فما هي مظاهرها ومؤشراتها، وبالمثل إذا كانت هناك سلبيات.

على إثر ذلك، صيغت الفرضيات الآتية:

- وجود أزمة في نقل وإنتاج وإعادة إنتاج القيم الدينية عند فئة الشباب مرده وجود أزمة في المرجعية المؤطرة، ومستوى تنزيلها في الحياة المجتمعية؛
- غياب الرؤية المجتمعية في الحقل الديني يؤدي إلى ظهور تصدعات على مستوى التمثل والممارسة عند الشباب؛
- وجود ضبابية في الرؤية المرجعية المؤطرة للحقل الديني يؤدي إلى إنتاج سلوكات متناقضة ومتضاربة؛
- هناك وجود لرؤية مجتمعية، إلا أن مستوى تنزيل القيم الدينية فيه ضعف كبير، مما يفقد الشباب تفاعلهم مع هذه المرجعية؛
- وجود أزمة وتناقض بين الرؤية المؤطرة والسياسات العمومية ينعكس على سلوكات وتصرفات شباب المنطقة بشكل سلبي؛

- تعدد رهانات الفاعلين الدينيين يؤدي إلى فقدان الثقة في أدوارهم ووظائفهم من طرف الشباب؛
- ظهور الوسائط الإعلامية الحديثة فتح مجالا واسعا لتعدد التوجهات الدينية وميلها نحو التشظي والتشتت وإلى بروز التدين الفردي؛
- انحسار المؤسسات الرسمية في عملية التأطير الديني راجع بالأساس إلى تمثلات سلبية اتجاه هذه الأخيرة من طرف الشباب.

أسفرت هذه الدراسة عن النتائج التالية:

- وجود توجه هام نحو تعزيز الهوية الدينية ودور قوي لأهمية الدين في مخيال الشباب؛
- الإجابات حول المواضيع العقائدية بقيت متأثرة بالحس المشترك؛
- ضعف المعرفة بباقي الديانات التوحيدية؛
- بقدر ما تبرز قيمة المعتقد الديني عند الشباب، فالتمثلات حول علاقة الإسلام بالاقتصاد والسياسة والفن تحمل مجموعة من المفارقات؛
- وجود تدين حضري مرتبط بشروط سوسيوثقافية وبنيوية وسوسيوتاريخية، ومن ظاهر ذلك أن عملت الحركات الدينية على تقديم نموذج من التدين يستفيد من خدمة التعليم وباقي الفضاءات العمومية لتوصيل خطابها. وقد انعكس ذلك بمثل "إيجابي" في بعض الممارسات الدينية مثل الصلاة؛
- تفوق الفتيات على الذكور في الممارسات الدينية نظرا لطبيعة التنشئة الاجتماعية؛
- طقسي قراءة القرآن وصيام التطوع يسجلان نسبا جد ضعيفة رغم كون عدد من المستجوبين عبروا عن الاستماع للقرآن من خلال الوسائط الحديثة. كما أن طقس الحج لم يعد ملتصقا بالشيوخ والكبار بل تحول إلى مطلب شبابي؛
- ارتفاع الاتجاهات المؤيدة للحجاب؛
- ضعف المعرفة الدينية، نسبة هامة من الشباب لا تتعرف على المذهب المتبع في المملكة، كما لا تفرق بين الشيعة وبقية المذاهب الفقهية الأخرى؛

- الحقل المعرفي الديني لم يبق معزولا عن التحولات في باقي الحقول، خاصة مع الانفتاح الإعلامي مما أدى إلى نوع من التشظي المعرفي الذي عقّد مهمة مختلف الفاعلين والمتدخلين، مما يطرح مفهوم الأمن المعرفي الديني؛
- هناك ارتفاع في المعتقدات واعتزاز بالهوية الدينية، وبالمقابل هناك توتر في السلوكات والقيم الأخلاقية؛
- يحاول الفاعل الرسمي ضبط الحقل الديني، لكن فعله كان غير كاف وهو ما تجلى في أحداث 16 ماي 2003 وفي الحركات الاجتماعية الشبابية، مما دفعه إلى اللجوء إلى استراتيجية جديدة لتدبير الحقل الديني تشمل جوانب أوسع مثل: البعد التنموي؛ البعد الاجتماعي؛ البعد الإعلامي؛ تشجيع التيار الصوفي لإضعاف التيار السلفي. رغم هذه المجهودات، فإن أثرها يظل محتشما وسط شباب المنطقة المدروسة، وقد يعزى ذلك إلى ضعف السياسة التواصلية مع الفاعلين من مؤسسات المجتمع المدني وضعف التنسيق بين السياسات العمومية؛
- انحصار دور العلماء عند فئة الشباب؛
- ضعف ثقة الشباب في الفاعلين المدنيين وعدم معرفتهم بهذه الحركات وأحيانا التشكيك فيها؛
- التيار السلفي يقدم نفسه كدعوة أقرب إلى الوحي من غيرها؛
- هناك صراع للإرادات بين الفاعلين الدينيين الرسميين وغير الرسميين؛
- اهتمام فئة الشباب بالقناة الدينية "محمد السادس" وبالقناة المشرقية "الناس"، وهي بعض نتائج إصلاح الحقل الديني. لكن بالموازاة، هناك تماه مع خطاب "الدعاة الجدد"، مثل محمد حسان وعمرو خالد، مع انحسار الاهتمام بالدعاة المغاربة وهو ما يعكس أزمة نماذج في منطقة الدراسة وفي المجتمع المغربي؛
- الإعلام الديني، خاصة في شقه الافتراضي، ولّد ما يسمى بالتدين الفردي؛
- مقولة أن التقنية تقتل الدين غير صالحة لتفسير التحولات، فرغم كون الانترنت يذكر بالقيم المادية إلا أن الدين شكل أحد الجوانب الجديدة في علاقته بالعالم الافتراضي.

وقد خلق هذا الأخير هوة بين الفرد والجماعة، وبالتالي يمكن الحديث عن "شخصنة الدين".

❖ **دراسة: «Generation what, arabic countries, Maroc»** [15]

أُنجزت هذه الدراسة باللغة الفرنسية سنة 2019 من طرف الأنثروبولوجي حسن رشيق بتنسيق مع السوسيولوجية Anne Muxel والمتخصصة في علم الإحصاء Céline Mardon، وذلك في إطار برنامج مشترك بين اتحادات إذاعية على المستوى الدولي. تكونت العينة من 1890 من الشباب المتراوحة أعمارهم بين 18 و34 سنة، وقد شكلت الإناث نسبة 54.8% في حين شكل الذكور 45.2%، ويعيش 68.3% من هؤلاء الشباب مع آبائهم، و55.7% منهم مازالوا في طور الحياة الطلابية.

تطرقت هذه الدراسة إلى عدد من المواضيع: التمثلات (حول حياة الكبار؛ المجتمع؛ المستقبل؛ السعادة)؛ المواقف (حول المؤسسات السياسية؛ الحياة الجنسية؛ المساواة بين الرجل والمرأة؛ التحرش)؛ الانخراط السياسي والمدني، وتوصلت إلى النتائج التالية:

- الشباب يتمسكون باستقلاليتهم، سواء حول حرية التفكير؛ حرية العقيدة؛ اختيار الشريك في الحياة الزوجية؛
- الشباب يتميزون من الناحية الاجتماعية والثقافية عن أجيال الكبار، فهم أكثر توجها إلى المستقبل منه إلى الماضي، لديهم ميول نحو تجاوز المعايير والعادات الاجتماعية، وهم أقل محافظة وأقل ارتباطا بقيم الماضي. وترتسم حول الشباب فكرة أنهم يستطيعون أن يكونوا سعداء بدون عائلة، والنجاح في الحياة دون عمل ودون ارتباط عائلي؛
- الشباب متفائلون بخصوص المستقبل، يعتبرون أن حياتهم أفضل من حياة آبائهم وأن حياة الأجيال اللاحقة ستكون أفضل من حياتهم، لكنهم يظلون متشائمين ومتشككين بخصوص بعض القضايا، لاسيما الحقل السياسي الذي يبدو أكثر الميادين إحباطا لهم.

[15] RACHIK. Hassan et MARDON. Céline et MUXEL. Anne, (2019), Generation What? Arabic Countries MAROC, Rapport national, sur le site ; https://ma.generation-what.org/ebook/domains/ma/fr.pdf

وترتبط إحباطات الشباب بأسباب قيمية أكثر منها مادية، لذلك، فالتوترات والنزاعات ستكون قيمية أكثر منها مادية، وكلما تقدم المجتمع ماديا وفكريا كلما ارتفعت نسبة الشباب المحبط التي سيصطدم بها رجال السياسة؛

- بشكل عام هناك ثلاث حقول لدراسة التدين في علاقته مع الشباب: التوظيف السياسي للمرجعيات الدينية؛ ممارسات التدين؛ التمظهرات الجماعية والمنظمة للتدين مثل الجمعيات والطوائف الطرقية الدينية؛
- يحتل المعتقد الديني أهمية وازنة عند الشباب حتى لو لم يكونوا ممارسين، ويعتقد 72% من الشباب كثيرا في دور الدين في تحقيق السعادة. وقد أظهر البحث الوطني حول القيم أن حوالي نصف الشباب يمارسون طقس الصلاة؛
- لم يكن الهدف هو قياس مستوى التدين فقط، بل البحث فيما إذا كان التدين يتم فرضه أم لا، وقد أبرز 80% من الشباب أن ارتداء الحجاب فعل حر وإرادي ولا يجب فرضه، ويعد ذلك مؤشرا على توجه المجتمع نحو الفردانية وشكل من أشكال العلمانية؛
- هناك توجهين للشباب يعبران عن تميز هذه الفئة فيما يخص التدين: التحلل من المعايير (عدم ممارسة الصلاة أو الصوم) وتأويل الدين بشكل مختلف؛
- بالنسبة للشابات المتدينات المثقفات، فارتداء الحجاب يعتبر وسيلة للتميز عن الأمهات والأجيال السابقة اللواتي ترتدين الزي التقليدي المحلي (النكاب أو الملحف)؛
- بالنسبة للشابات اللواتي لا ترتدين الحجاب، فاللباس لا يعبر عن الإيمان؛
- في المغرب، هناك ارتباط عند الشباب بين ثلاث أنماط من الأزياء: النمط التقليدي؛ النمط الديني؛ النمط الغربي. ففي الحياة اليومية مثلا، يمكن أن يلبس الحجاب مع سروال "الجينز" الغربي، وفي المناسبات العائلية يمكن أن يلبس مع "القفطان" التقليدي؛
- نصف الشباب يعبرون أنه يجب فصل الدين عن السياسة؛
- بالنسبة لمصادر المعرفة الدينية، تورد دراسة l'Islam au quotidien أن 68% من الشباب يعتبرون الفضائيات الدينية مصدرا للمعرفة؛

- تم سؤال الشباب عن الأمور التي لا يمكن أن يكونوا سعداء بدونها، فاحتل العمل المرتبة الأولى، إذ عبر الشباب أن العمل يعد أكثر أهمية بالنسبة إليهم من الدين ومن تأسيس الأسرة. كما احتلت ممارسة الجنس أهمية بعد العمل وكانت أهم من علاقات الصداقة والحب، علما أن هذه العلاقات تحتل مرتبة لا بأس بها؛
- عبرت الأغلبية الساحقة من الشباب (87%) أن المجتمع لا يمنحهم ما يحتاجونه لإبراز قدراتهم وإمكانياتهم، وهذا لا يعني أنهم ينتظرون كل شيء من المجتمع، بل على العكس فأغلبهم يعتقدون أن الشباب يجب أن يعتمد على نفسه، إذ عبر 81% منهم على تبنيه للفكرة القائلة: حينما نريد نستطيع quand on veut on peut. مع ذلك، يجب الإشارة إلى أن الشباب يولي أهمية كبيرة لمؤسسة الأسرة؛
- 69% من الشباب يعتقدون أن النظام التعليمي لا يوفر تساوي الفرص، إنما يكرس الفوارق. وقد عبر نصف المستجوبين عن مشاعر سلبية تجاه النظام التعليمي مثل الإحساس بالاحتقار؛
- عبر 78% من الشباب أن كل فرد حر في علاقاته الحميمية إذا كانت بالتراضي؛
- عبرت الدراسة أيضا أن الزواج لا يحتل قيمة كبيرة لدى الشباب، إذ عبر فقط 28 % أنه يعتبر خير دليل على علاقة الحب، في حين عبر 37 % أنه مجرد ضرورة اجتماعية، أما 17 % فعبرت أنه مجرد وثيقة لا تعني شيئا؛
- بخصوص الانتماء إلى الثقافة العربية، عبر 71% عن موقف إيجابي إزاء هذا الانتماء؛
- فيما يتعلق بالسياسة والمؤسسات، عبر فقط 8% عن ثقتهم في السياسة والمؤسسات. كما عبر 89% أن المال هو من يفرض سلطته على السياسة، و أن 47% من رجال السياسة فاسدون، في حين عبر 39% أن رجال السياسة لا يملكون استقلالية في اتخاذ القرار.

❖ **محور "العلاقات الأسرية والتكوين الأكاديمي"، ضمن دراسة: "البحث الوطني حول الشباب"[16]**

- اهتم الجزء الأول من "البحث الوطني حول الشباب" (المشار إليه سابقا والمنجز من طرف المجلس الوطني للشباب والمستقبل سنة 1993) بدراسة العلاقات الأسرية للفئات الشابة، وقد خلص إلى النتائج التالية:
- أبرزت الدراسة أهمية الدور الذي يلعبه تعليم المرأة في نجاح السياسات الديمغرافية بشكل عام وتقليص حجم العائلات بشكل خاص، بالإضافة إلى تطور المستوى الثقافي والتعليمي للأطفال؛
- أهمية الدور الذي تلعبه إقامة الشباب مع آبائهم في تأطيرهم ونقل القيم الروحية والاجتماعية والثقافية بين الأجيال. وفي هذا الصدد، فإن إيجابيات العيش مع الوالدين كمؤشر على متانة الروابط الاجتماعية تتجاوز التأثيرات السلبية لذلك؛
- أهمية مساهمة الشباب في توفير الحماية الاجتماعية لأسرهم بعد التوفر على العمل؛
- الحضور الدائم للعائلة ضمن اهتمامات وانشغالات الشباب.

وقد ركز الجزء الثاني من هذا البحث على دراسة الجانب الأكاديمي، ومن أهم نتائجه:

- ولوج الشباب إلى التعليم ضعيف جدا في العالم القروي، أما في المجال الحضري فصعوبة الولوج تخص الفتيات بشكل أكبر، وذلك بسبب الفقر ومحددات سوسيوثقافية ترتبط بوضعية النساء في المجتمع؛
- 69% من الشباب يعتبرون أن الهدف الأساسي من التعليم هو تعلم الكتابة والقراءة؛ 54% منهم يعتبرون أن الهدف هو الولوج إلى سوق الشغل؛ 43% يعتبرون الهدف هو الولوج إلى المعرفة؛ كما تركز نسبة 34% على تأمين المستقبل؛ أما نسبة 16% فهمّها هو الحصول على دبلوم؛ في حين تسعى نسبة 9% إلى تطوير الوضعية الاجتماعية؛
- 58% من الشباب القروي يغادرون المدرسة قبل الحصول على دبلوم؛

[16] Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir, (1993), Enquête Nationale sur les Jeunes, Volume 1, Relations familiales des jeunes, Rabat.

- نصف الشباب يفضلون الحصول على دبلوم مهني على الحصول على دبلوم الدراسات الأساسية؛
- 42% من الشباب يتجهون نحو الدراسات الأدبية، و37% يتجهون نحو الدراسات العلمية، فيما يتجه 12% منهم نحو القانون والتدبير؛
- المقارنة بين مستوى تعليم الآباء ومستوى تعليم الأبناء يسفر عن توجه واضح نحو التطور في هذا المستوى؛
- 24% فقط يعبرون عن إتقانهم كتابة وقراءة اللغة العربية الفصحى بشكل جيد، 49% يجهلون اللغة الفرنسية؛ فيما 5% منهم فقط يتقنون اللغة الانجليزية؛
- بالنسبة لمعايير اختيار التوجه الدراسي، فنسبة 62% تختار توجهها بسبب الاهتمام بالحقل المعرفي؛ و63% بسبب النقط المحصل عليها؛ أما 17% فبتوجيه من الأطر التعليمية؛ و6% بإكراه من الآباء؛
- نضف الشباب الذين يندمون على اختيارهم الدراسي يبررون هذا الموقف بانسداد الآفاق أمام باقي الشباب من نفس الحقل؛
- المكتبة هي فضاء ضعيف الارتياد من لدن الطلبة؛
- نصف الشباب يعلنون أن أساتذتهم يتميزن بالسلطوية؛
- التأطير الدراسي خارج المدرسة يتم من طرف الأسرة، الأصدقاء، دروس الدعم والتقوية؛
- المشاكل التي يواجهها الشباب خلال حياتهم الدراسية تتمثل غالبا في: شراء الكتب؛ ضعف مصروف الجيب واقتناء الملابس؛ مشكل النقل؛ ضعف المنح المدرسية؛ مشاكل الإيواء والتغذية؛
- ضعف المعلومات وندرة فرص التواصل مع الحقل المهني تجعل الشباب لا يأخذون سوق الشغل بعين الاعتبار خلال فترة تكوينهم؛
- 61% من الشباب المتمدرس يعبرون عن حاجتهم للتكوين التكميلي؛
- من بين الذكريات التي يتم الاحتفاظ بها من الحياة الطلابية: علاقة الصداقة وضغط الدراسة.

❖ **أطروحة: الشباب والقيم، مساهمة في بناء تصنيف لقيم الشباب بمدينة الدار البيضاء[17]**

أنجزت هذه الأطروحة باللغة الفرنسية من طرف الباحث عزيز مشواط سنة 2017 تحت عنوان jeunes et valeurs, essai de construction d'une typologie des valeurs des jeunes casablancais، وسعت إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- الهدف الأول هو الإحاطة بنظام قيم الشباب المتمدرس في مدينة الدار البيضاء والمتراوحة أعمارهم بين 15 و24 سنة.
- الهدف الثاني: هو فهم منطق انخراط الشباب في نظام معين للقيم.
- الهدف الثالث: هو الوقوف عند التوجهات الغالبة في نظام القيم مع تحليل اختيارات الشباب ورؤيتهم للأشياء التي يولونها أهمية كبرى، بحيث تم التركيز على المضمون وعلى بنية أنظمة القيم وليس على سيرورة تشكل القيم.

انبنت هذه الدراسة على فرضيتين أساسيتين:

- الفرضية الأولى: تفترض أن الوضع الحالي لنظام القيم لدى الشباب بمدينة الدار البيضاء يندرج في إطار سيرورة لبروز الشباب المستقل، غير أن ذلك لا يتم بالتحلل من الأطر التقليدية لكن يتم في إطار الاستمرارية، وهو ما يجعل الشباب يوظفون عدة استراتيجيات لتجاوز إكراهات الصراع بين الحداثة والتقليد في حياتهم المجتمعية، مع حرصهم على بناء هذه الأخيرة وفق نمطهم الخاص؛
- الفرضية الثانية: تفترض أن نظام قيم الشباب بمدينة الدار البيضاء لا يجب التعاطي معها حسب التقابل الكلاسيكي بين الشباب الحداثي والشباب التقليدي والشباب المزاوج بين الحداثة والتقليد، ولكن استنادا على خطاطة جديدة تميز داخل كل نظام بين التوجه نحو الذات، التوجه نحو الآخر، التوجه نحو الماضي، ونحو المستقبل. وحسب هذه الخطاطة، تم افتراض أن نظام القيم لدى شباب العينة هو في طور

[17] MECHOUAT. Aziz, (2017), Jeunes et valeurs, essai de construction d'une typologie des valeurs de jeunes casablancais, thèse de doctorat en sociologie, Université Hassan II, Casablanca.

التحول نحو فردانية ترتكز على التفتح في الشخصية وبروز الاستقلالية مع احترام القيم العائلية، الاجتماعية والدينية، وهو ما يقود إلى التنبؤ باتجاه المجتمع نحو بناء حداثته الخاصة.

بناء على هاتين الفرضيتين تمت صياغة الفرضيات الفرعية الآتية:

- كلما تقدم الشاب في السن كلما تزايد توجهه نحو الذات واهتمامه بها؛
- تولي الإناث أهمية أكبر من الذكور للقيم الموجهة نحو الآخر (الأسرة، الأطفال)؛
- يقبل شباب الأحياء الهامشية بشكل أكبر على القيم الجماعية؛
- كلما ارتفع المستوى التعليمي للآباء كلما انخرط الشباب في نظام قيم موجه نحو الإبداع.

وقد جاءت نتائج هذا البحث كالتالي:

- يعتبر أغلب الشباب أن الدين هو القيمة الأكثر أهمية، متبوعا بالأسرة ثم العمل. أما قيم الحرية والصداقة والترفيه فاحتلت موقعا متأخرا؛
- يستنكر الشباب التساهل ويتأسفون على عصر السلطوية؛
- يتأكد الدين كقيمة مهيكلة ومولدة لقيم الشباب؛
- رغم وجود رغبة قوية للفردانية، إلا أنها تصطدم بعوائق أمام تحقيقها، مما يدفع الشباب إلى اللجوء إلى الماضي أو إلى القيم الجماعية، مستخدمين في ذلك القيم الأسرية والدينية.
- يتأرجح نظام القيم لدى الشباب بين إرادة التخلص من القيم التي تحد من استقلاليتهم وتفتحهم والحضور القوى للتنشئة الاجتماعية وقيمها التقليدية؛
- رغم انخراط الشباب في نظام قيم موجه بالدين والتمثلات الميتافيزيفية إلا أن الحداثة والفردانية تظل حاضرة؛
- يوظف الشباب عدة استراتيجيات للتفاوض بشأن فردانيتهم مع تأويل الدين حسب مصالحهم الخاصة؛

- يخضع الشباب لتجاذبات قوية بين الرغبة في الحداثة وبين تمثل مثالي للماضي، وهو ما يؤدي إلى أزمة هوية تؤثر على قيمهم. أمام هذه الأزمة يبحث الشباب عن عدة استراتيجيات، لكن الرابط المشترك بينها هو البحث عن حلول في السفر والحركية.
- يشكل الحاضر الذي يبدو ناقصا ومعيبا قاعدة لإدانة الآخر الذي يسعى إلى تدمير قيمنا عبر نشر قيم مخالفة للحياء؛
- يتم تمثل المستقبل بشكل إيجابي إذا تم التمسك بنموذج الماضي؛
- تواجه الفتيات صعوبة في التخلص من الأشكال التقليدية للفعل، وهو ما يترجم بشعور بالاستيلاب والتقيد بالعادات والتقاليد، من هنا، كان العمل وسيلة من وسائل تحقيق الذات والتفتح. وقد عبرت عدة فتيات أن الزواج لا يشكل لهن أهمية قصوى، كما أنهن يعتبرن أن العذرية مازالت تعتبر ضرورية وأن السلطة يجب أن تكون في يد الرجل؛
- الاتجاهات الأربع للقيم التي تم اقتراحها في الخطاطة تتداخل فيما بينها.

2- تحديدات مفاهيمية

أفضى التراكم السوسيولوجي الذي اطلعتُ على نصيب منه إلى حصر المفاهيم المركزية المؤسسة للنواة الصلبة التي انبنى عليها هذا البحث. وفيما يلي أقدم تحديدات لهذه المفاهيم بشكل مركّز، على أن أتناولها لاحقا في مواقع أخرى من هذا العمل بشكل مفصّل كما وردت عند مختلف الباحثين الاجتماعيين.

2-1 مفهوم الثقافة

تُميّز معاجم الكثير من اللغات في تعريفها لمفهوم الثقافة بين بعدين: الثقافة الفردية كبناء يرتبط غالبا بالجانب المعرفي والفكري للشخص، والثقافة الجماعية كعناصر مشتركة تميّز مجموعة بشرية عن أخرى. يشكل هذا البعد الجماعي لمفهوم الثقافة موضوع علم الاجتماع، على اعتبار أن هذا العلم يهتم أساسا بما هو جماعي ومشترك. وحينما يهتم البحث السوسيولوجي بالبعد الشخصي، فإن ذلك يندرج في إطار دراسته في سياق مجتمعي sociétal.

في إطار هذا المعنى الجماعي، من المهم جدا أن أميز في مفهوم الثقافة بين مستويين أساسيين: مستوى شمولي ومستوى تخصيصي، وترجع أهمية هذا التمييز في كونه عنصرا بنيويا يخترق مجمل محاور هذا البحث. يتصف المستوى الأول بطابعه الفضفاض، الملتبس والمعقد، فلا غرابة إذن إن أحصى الانثروبولوجيان ألفرد لويس كروبر Alfred Louis Kroeber وكلايد كلوكهون Clyde Kluckhohn سنة 1952 أكثر من 150 تعريفا للثقافة.

لذلك، سأعتمد في هذا البعد على التعريف الشهير للأنثروبولوجي الإنجليزي إدوارد بورنيت تايلور Edward Burnett Tylor والذي يتقاطع في شموليته مع التعريف الفلسفي لمفهوم الثقافة (أي كل ما هو مختلف عن الطبيعة). يعرّف تايلور الثقافة على أنها: "كل مركب يشتمل على المعارف، المعتقدات، الفنون، الأخلاق، القوانين، الأعراف وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين".

صاغت منظمة اليونسكو تعريفا يقترب من تعريف تايلور واعتبرت أن الثقافة هي: "جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته وتجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة بالعقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها يهتدي إلى القيم ويمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته (كمشروع غير مكتمل) وإعادة النظر في إنجازاته والبحث عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه".

إن هذا الكل المركب الذي تحدث عنه تايلور يؤثر بشكل عميق في حياة الأفراد والتنظيمات والمجتمعات، لذلك يصفه الأنثروبولوجي وعالم النفس الاجتماعي الهولندي جيرت هوفستيد Geert Hofstede بكونه برمجة ذهنية جماعية خاصة بمجموعة بشرية معينة. من هذا التعريف العام التايلوري الذي يحتوي مجموع مناحي الحياة المجتمعية يتفرع البعد التخصيصي لمفهوم الثقافة والذي يشمل على وجه الخصوص الفنون والآداب والتراث الثقافي.

2-2 بين مفهومي الممارسة الثقافية والفعل الثقافي

تعددت المقاربات حول مفهوم "الممارسة الاجتماعية" في التراث السوسيولوجي وتنوعت حسب المشارب الفكرية. لذلك، اخترتُ التركيز على إسهام السوسيولوجي الفرنسي بيير بورديو الذي اشتهر بهذا المفهوم مثلما اشتهر بباقي عناصر جهازه المفاهيمي. لكن قبل بورديو، تناول ماركس هذا المفهوم في إطار فلسفة البراكسيس Praxis التي تروم فهم المجتمع وتحويل بنيته تحقيقا لرهانات المشروع الشيوعي، وهي فلسفة البراكسيس ذاتها التي تبناها المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي لكن على طريقته.

سعت نظرية الممارسة عند بيير بورديو لإرجاع القيمة لدور الفاعل الاجتماعي بعد أن همشته النظرية البنيوية واختزلته في كونه مجرد نتاج للبناء الاجتماعي خاضع لمبدأ الحتمية الاجتماعية ومجرد من الوعي والفعل القصدي. يركز هذا السوسيولوجي الفرنسي على

علاقة البناء الاجتماعي بالفاعل، ورغم أن هذا الأخير خرج من رحم البنية إلا أنه يشارك باستمرار في إعادة إنتاج بنائها، مع احتمال قدرته على تغيير هذا البناء إن توفرت الشروط اللازمة لذلك.

إن نتيجة الممارسات التي يقوم بها الفاعل تتحدد بالنظر إلى مجموعة من العوامل أهمها الحقل الاجتماعي والموقع فيه، بالإضافة إلى ما استدمجه الفاعل من هابيتوس وما يتوفر عليه من رساميل. هكذا، وفي سياق علم دراسة الممارسة praxéologie، تتمظهر توفيقية بورديو في تجاوز التقابل الذي يعتبره زائفا بين الذاتية والموضوعية. ومثلما قارن دوركايم بين المجتمعات التقليدية القائمة على التضامن الآلي والمجتمعات الحداثية القائمة على التضامن العضوي، كذلك ميّز بورديو من جهة أولى بين مجتمعات "تقليدية" تتصف برتابة الممارسات السوسيوثقافية وضعف تنوعها مع إنتاج بنى عقلية قائمة على عقيدة "الدوكسا" Doxa، ومن جهة ثانية ميّز مجتمعات "متطورة" تختص بتنوع الممارسات الاجتماعية والثقافية وسرعة تغيرها كنتيجة لديناميات البنى العقلية.

استنادا إلى إسهام بورديو وأنتوني جيدنز Anthony Giddens وبرونو لاتور Bruno Latour وآخرون، تناولتْ نظريات اجتماعية أخرى (مثل "نظرية الممارسات" التي تطورت منذ نهاية سنوات التسعينات بالدول الاسكندنافية والانكلوساكسونية) مفهوم الممارسة السوسيوثقافية من منظور آخر يركز على الاستهلاك والاعتياد الروتيني على أنشطة معينة كالممارسات الغذائية؛ الممارسات الرياضية؛ ممارسات الموضة؛ وكذلك الممارسات الثقافية المتمثلة على وجه الخصوص في الممارسات الفنية والأدبية والتراثية، والتي تتناسب والمعنى التخصيصي لمفهوم الثقافة في هذا البحث.

في سنة 2002، عرّف الباحث الثقافوي الألماني أندرياس ريكفيتز Andreas Reckwitz مفهوم الممارسة بكونها نمطا من السلوك الروتيني الذي يتشكل من مجموعة من العناصر المترابطة فيما بينها والتي تتكون من: أشكال من الأنشطة الجسدية؛ أشكال من

الأنشطة الفكرية؛ مجموعة من الأشياء واستخداماتها؛ معارف أساسية مكونة من إدراكات وخبرات وحالات عاطفية ومحفزات[18].

تأسيسا على كل ما تقدم، يتبين التداخل بين مفهومي الممارسة والفعل الاجتماعيين، فإذا كان مفهوم الفعل عند ماركس يحيل على رهان تغيير الواقع، فإن بورديو يتناول كلا من الممارسة كاستهلاك وأنشطة اعتيادية وفي نفس الوقت قد تتحول الممارسة إلى فعل اجتماعي يروم تغيير الواقع إن تحققت الظروف المناسبة للفاعل الاجتماعي. في حين، تركز نظرية الممارسة (التي ذكرت أنها تبلورت بالدول الاسكندنافية والانكلوساكسونية) على مفهوم الاستهلاك والاعتياد كمحلّل analyseur لفهم الواقع الاجتماعي.

أما بالنسبة لي، فالتحديد الإجرائي الذي أتبناه في هذا البحث هو اعتماد مفهوم "الممارسة" حينما يتعلق الأمر بالاستهلاك والاعتياد على أنشطة ثقافية معينة تمارس في الحياة اليومية، وهو التردد الذي يؤدي إلى عمليات للبرمجة الثقافية بالمعنى الشمولي (كقيم ومعايير ومنطق للتفكير وغير ذلك)، وهنا يبرز التداخل بين هذين المستويين من مفهوم الثقافة. في هذا الإطار، تندرج أيضا عناصر الحقل الثقافي بالمعنى التخصيصي والمشكّلة من: المؤسسات والتنظيمات الثقافية وما تقدمه من عرض الثقافي l'offre culturelle؛ تجهيزات الثقافية؛ سياسات ثقافية، اقتصاديات الثقافة؛ الخ.

في مقابل ذلك، أعمد إلى توظيف مفهوم "الفعل السوسيوثقافي" عندما يرتبط السياق بعملية التدخل من أجل المشاركة في البناء أو المقاومة أو التأثير في الواقع سعيا لإحداث التغيير. بعبارة أخرى، فإنني أحمّل مفهوم "الفعل" دلالة أكثر إيجابية من تلك التي ينطوي عليها المعنى الاستهلاكي لمفهوم الممارسة.

[18] DUBUISSON-QUELLIER. Sophie et PLESSZ. Marie, « La théorie des pratiques », *Sociologie* [En ligne], N°4, vol. 4 | 2013, mis en ligne le 28 janvier 2014, URL : http://journals.openedition.org/sociologie/2030

3-2 مفهوم التنظيمات الجمعوية

إستلهم المشرع المغربي تعريف الجمعية من القانون الفرنسي لسنة 1901، وقد ورد في الفصل الأول من الظهير الشريف رقم 1.58.376 الصادر بتاريخ 16 جمادى الأولى 1378 (27 نونبر 1958) والمنشور بالجريدة الرسمية عدد 2404 مكرر أن الجمعية هي: "اتفاق لتحقيق تعاون مستمر بين شخصين أو عدة أشخاص لاستخدام معلوماتهم أو نشاطهم لغاية غير توزيع الأرباح فيما بينهم. وتجرى عليها فيما يرجع لصحتها القواعد القانونية العامة المطبقة على العقود والالتزامات"[19]. بهذا الطابع غير الربحي وبهذا التركيز على المصلحة العامة، تختلف الجمعية عن المقاولة والتعاونية.

إن الكشف عن مرجعيات مفهوم الجمعية يتطلب تعزيز هذا التعريف القانوني بتأصيل سوسيولوجي وفلسفي، فقد اعتبر الفلاسفة منذ أرسطو وحتى فلاسفة العقد الاجتماعي عملية التجمع أو الاجتماع أو الجمعية أصلا للمجتمع المدني (الذي كان يقصد به المجتمع السياسي)، وتعد هذه العملية سيرورة تاريخية للانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة التمدن[20].

بعد أن نظر هيجل إلى المجتمع المدني كحيّز مستقل يستوعب مصالح الأفراد وتلتقي فيه مصالحهم من خلال علاقات السوق، ربط أليكسيس دوتوكفيل مفهوم الجمعية بالديمقراطية وعرّفها بكونها "تعاون بين مجموعة من الناس رغم اختلافهم في السن والعقلية والثروة، إنها تقرّب بينهم وتخلق اتصالا بينهم، وتعلمهم كيف يجعلون إرادتهم في خدمة إرادة الآخرين، وعلى جعل جهودهم الخاصة في خدمة الصالح العام"[21].

وقد اعتبر صاحب كتاب "الديمقراطية في أمريكا" أن كثرة الجمعيات دليل على عافية المجتمع من حيث أنها فضاء لتطوير الممارسة الاجتماعية ولتحمل المسؤوليات والوعي بالارتباطات الاجتماعية المتبادلة التي هي ليست فقط أفضل حماية ضد تعسفات السلطة،

---

[19] Sur le site : http://adala.justice.gov.ma/production/html/Ar/159643.htm

[20] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس. ص. 143

[21] المرجع نفسه، ص. 142

وإنما أداة لتحقيق التنمية ما دامت أهمية الحكم الديمقراطي لا تكمن فيما يقوم به بقدر ما تكمن في ما يدفع إلى القيام به[22].

فيما يخص دوركايم، فقد اعتبر الجمعية نتاج سيرورة اندماج متوال للأفراد داخل هذا التنظيم، وذلك في إطار تطور المجتمعات من بنية "تقليدية" إلى بنية "حداثية" قائمة على التضامن العضوي. لم يقصد دوركايم من خلال تعريفه للجمعية ما نقصده بها في الوقت الراهن، بل كان يعني أشكال مستحدثة من التنظيم ينخرط فيها أفراد ذوي توجهات جديدة تختلف عن التوجهات الاجتماعية أو السياسية التقليدية، من بينها النقابات والتعاضديات[23]، في حين أن التصور الأقرب لما نقصده حاليا بالجمعيات هو الذي ورد عند توكفيل في نموذج الجمعيات الأمريكية.

يتجلى الحضور الفيبري في تحديد مفهوم الجمعية في اعتبارها كتنظيم اجتماعي، ويعرف دنيس سغرستن Denis Segrestin هذا التنظيم بكونه تجمع مستقل خُلق بشكل إرادي للتنسيق بين مجموعة من الأدوات بالشكل الأفضل لتحقيق هدف معين. ويرد في تعريف بارسونز أن التنظيمات لها أيضا حاجات معينة ومتطلبات وظيفية إلى جانب ضرورة امتلاكها أبنية توافقية تمنحها إمكانية التكيف مع المحيط الخارجي[24]. ويعتبر روبرت فورد Robert Ford أن الإجابة عن ثلاثة أسئلة تخص التنظيم كفيلة بالكشف عن أهم خصائصه، وهي: من هي الجماعة الإنسانية التي تشكل التنظيم؟ كيف ولماذا اتصل أعضاء هذه الجماعة ببعضهم البعض؟ وما الهدف الذي يرغبون في تحقيقه؟[25].

يرى السوسيولوجي فوزي بوخريص أن وجود الجمعيات لم يمثّل في الماضي ضرورة ملحة بالنسبة للمجتمع قياسا مع التنظيمات الاستراتيجية الأخرى. لكن مع تعقد المجتمعات الحديثة، أصبح إنشاء الجمعيات يعبّر عن هذا التعقد ويستهدف تجاوز الاختلالات التي

---

[22] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس. ، ص. 141

[23] شريكي. هناء، (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط. ص. 263.

[24] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس. ص. 49

[25] طلعت. إبراهيم. لطفي، (2007)، علم اجتماع التنظيم، الطبعة الأولى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص.23

يطرحها بالنسبة للمواطنين. بعبارة أخرى، لم يعد يمثّل تأسيس الجمعيات ترفا، بل ضرورة اجتماعية تطمح إلى ملء الفراغ الذي تتركه تدخلات الفاعلين العموميين أو نتيجة لمحدودية تلك التدخلات.

مثلما أشار إلى ذلك السوسيولوجي محمد جسوس عند تناوله للمجتمع المغربي، فإن أهمية الجمعيات اليوم تبرز بشكل جلي في ظل الظروف "الباتولوجية" التي تعرفها البلاد نتيجة لبرنامج التقويم الهيكلي، وفي ظل العجز العام الذي بدأت تعرفه العديد من المؤسسات الاجتماعية العمومية في تغطية الحاجات الأساسية للمواطنين. ذات الفكرة تؤكد عليها السوسيولوجية فاطمة المرنيسي التي اعتبرت أن أجيال ما بعد التقويم الهيكلي وجدت نفسها مطالبة أكثر من غيرها بتحمل مسؤولياتها كاملة في الانخراط في تدبير الشأن العام عبر تأسيس جمعيات حكومية، والأكثر من ذلك أن هذه الأجيال مطالبة بالخلق والإبداع. وتعتقد الباحثة أنه لا ينبغي أن ينصب النقد دائما على أداء الدولة لوحدها، بل إن المواطن يتحمل أيضا مسؤوليته فيما يحدث لأنه أصبح اتكاليا و"بكائيا" حسب تعبيرها ويراهن بشكل مطلق على الدولة، في حين أن أسلافنا كانوا يتعبؤون ويبادرون في استقلال عن الدولة[26].

تختلف أهداف الجمعيات بحسب توجهاتها، إذ تعتبر ميشيل كاسرييل Michèle Kasriel أن الجمعية قد تشير إلى ما هو عام أو على العكس إلى ما هو خاص ونوعي مثل جمعيات الأحياء[27]، وهناك جمعيات تتشكل حول هوية ثقافية أو هواية معينة ولا تعبر صراحة عن إرادة التأثير[28]. ولعل تنوع مستويات التدخل جعل الباحث برنار أنجولرا يتحدث عن تعدد منطق الفعل الجمعوي، حيث يقول إنه يمكن إدراك الجمعية كشكل مؤسسي قائم على التوفيق بين عدة أشكال من منطق الفعل، يمكن تحديدها كما يلي: منطق تجاري مرتبط

[26] MERNISSI. Fatema, (2003), Les Ait Débrouille – ONG Rurales du Haut Atlas, 3ème édition, Edition de Poche, Marsam, Rabat, p. 56.

[27] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.ص. 142

[28] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس. ص. 7

بالسوق كآلية تضمن استقرار وتوازن المصالح المتضاربة، ومنطق منزلي يقوم على الثقة، ومنطق تضامني يتأسس على مبدأ التبادل، ومنطق إداري يحيل على مبادئ الصالح العام[29].

4-2 مفهوم الشباب وثقافة الشباب

طُرحت إشكاليات جمّة بين العلوم الاجتماعية في محاولة لتعريف مفهوم الشباب، وقد رفع بيير بورديو من سقف هذا الجدل بإعلانه أن الشباب ليس سوى كلمة la jeunesse n'est qu'un mot، مما أسال الكثير من المداد بين تحليل وتأييد ونقد. استند بورديو في أطروحته هاته على صعوبات التحديد العمري لمرحلة الشباب، نظرا لطابع النسبية الاجتماعية الذي تتميز به هذه المحطة من حياة الفرد. نتيجة لذلك، فالحدود بين الفئات العمرية هي ذات طبيعة اعتباطية، إذ لا تدقّق أين تبدأ مرحلة الشباب وأين تنتهي، نظرا لكونها نتاجات اجتماعية ترتبط بالسياق الزمكاني المتغير من مجتمع إلى آخر. هكذا، يُنتج كل مجتمع تعريفه الخاص بالشباب وتمثلات اجتماعية متفرّدة. لنفس السبب، تظل الإشكاليات المرتبطة بالشباب متباينة بين السياقات المجتمعية.

رغم هذه الصعوبة، يقترح السوسيولوجي الفرنسي جيرار موجي Gérard Mauger تعريف الشباب بكونه المرحلة العمرية التي يتم فيها الانتقال المزدوج من الحياة الطلابية إلى الحياة المهنية ومن العيش في ظل المنشأ الأسري إلى بناء أسرة جديدة، وهو ما يسمى من طرف بعض الباحثين ب"الدخول في الحياة". من جهتي، أختلف مع هذا التوصيف على اعتبار أن الحياة المجتمعية لا تبدأ إلا حينما يصير الفرد منتجا من الناحية الاقتصادية ومستقلا من الناحية الأسرية، بل إن الفرد يندمج في سياقه الاجتماعي (وقد يؤثر فيه بشكل رئيسي) قبل هذه المرحلة الانتقالية بوقت طويل.

في خضم أبحاثه حول سوسيولوجيا الشباب وتناوله لموضوع الأجيال، حدد جيرار موجي ست خصائص لوضعية الشباب، وهي:

- مراكمة مختلف أنماط الرساميل الاقتصادية؛ الثقافية؛ الاجتماعية، الخ؛

[29] بوخريص. فوزي، (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، ص. 142

- ❖ اكتساب استقلالية نسبية في العلاقة بالعائلة مع استمرارية الارتباط المادي بها؛
- ❖ عدم استقرار المكانة الاجتماعية نتيجة التوسط بين وضعية الطفولة ووضعية النضج؛
- ❖ التذبذب بين وضعية النشأة الاجتماعية الأصلية والوضعية الاجتماعية اللاحقة؛
- ❖ التعرض للتصنيف الاجتماعي والوصم في حالة عدم التموقع ضمن وضعية اقتصادية قارة ووضعية زواجية مستقرة؛
- ❖ تبلور أشكال الهابيتوس بعد الاندماج في سوق الشغل وتأسيس أسرة، وهو ما يفرض تعديل بعض الاستعدادات والتكيف مع الوضعيات الجديدة.

فيما يخص التعريف الإجرائي الذي أصوغه حول ثقافة الشباب، فإنني أستند على التمييز الذي قدمتُه سابقا حول مفهوم الثقافة لأفرق بين ثقافة الشباب حسب المعنى الشمولي لمفهوم الثقافة (أي ما تحمله من قيم؛ تمثلات؛ أعراف؛ معايير؛ منطقيات للفعل؛ الخ) وبين ثقافة الشباب حسب المعنى التخصيصي (كالأنماط الموسيقية للشباب ومختلف إبداعاتهم وممارساتهم). على هذا النحو، يمكنني التمييز بين ثقافة الشباب والشباب في الثقافة.

3- إشكالية البحث، الأسئلة الكبرى، الفرضيات والأهداف

بعد تحديد المفاهيم المركزية، تشكّل لديّ سؤال الانطلاق على النحو التالي: "هل يمكن الحديث عن ثقافة خاصة لدى الشباب المغربي داخل التنظيمات الجمعوية ؟". على إثر القيام ببحث استكشافي والتقدم في المراحل اللاحقة للبحث، تبلور السؤال الإشكالي على الشكل التالي: "ما هو منطق الفعل المتحكم في الممارسات السوسيوثقافية لكل من الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية؟ وهل تتميز ثقافة هذه الفئة الاجتماعية بمنطق القطيعة والإبداع أم بمنطق الاستمرارية والإتباع؟". عن هذا السؤال المركزي، تفرعت الأسئلة الكبرى التالية:

1- ما هي أبرز خصائص ولوج الشباب للتنظيمات الجمعوية؟ وأي رهانات ذاتية يحققها الشباب من خلال الفعل الجمعوي؟

2- ما هي الرهانات الثقافية التي يستهدفها كل من الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية؟ وكيف يتم استثمار الفعل الثقافي للمساهمة في تنمية حقول مجتمعية أخرى؟

3- كيف تعمل التنظيمات الجمعوية على توفير الرساميل البشرية والمادية اللازمة لتحقيق رهاناتها؟ وما هي استراتيجياتها في تجاوز نقص هذه الموارد؟

كإجابة مؤقتة عن الأسئلة السابقة، قمت بصياغة الفرضية العامة التالية: "أفترض أن الفعل السوسيوثقافي للشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية يرمي إلى التجديد الثقافي ويسعى إلى المساهمة في بناء مشروع مجتمعي حداثي في ظل سياق يتسم بمقاومة الإكراهات عبر مجموعة من الاستراتيجيات وآليات التكيف. يعبر منطق الفعل هذا عن ثقافة جيلية خاصة تمتحّ من الحداثة والإبداع، لكن ذلك لا ينفي استمرارية منطق التقليد والإتباع".

من هذه الفرضية المركزية، انطلقت ثلاث فرضيات فرعية بحيث تتناسب كل واحدة منها بالترتيب مع الأسئلة الكبرى للبحث:

1- أفترض أن تأثير الأقران (كأحد مميزات الثقافة الجيلية) يساهم بشكل رئيسي في ولوج الشباب للتنظيمات الجمعوية، وأن الهشاشة الاجتماعية للشباب تدفعهم للسعي إلى تحقيق رهانات مادية؛

2- أفترض أن الرهانات الثقافية للشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية تصب باتجاه تصعيد الفعل الثقافي. موازاة مع ذلك، يتم استثمار هذا الأخير عبر آليات أخرى: الخدمة الاجتماعية، المقاومة السياسية والتنشئة على قيم الديمقراطية؛

3- أفترض أن الفعل السوسيوثقافي للتنظيمات الجمعوية يرتكز على موردين أساسيين: التطوع والدعم العمومي. وموازنة لنقص الموارد، يتم الاعتماد على تقسيم العمل وعلى استحداث مصادر بديلة للتمويل.

يراهن هذا البحث على بلوغ أهداف متعددة، ويمكن إجمال بعضها في النقاط التالية:

- ❖ دراسة تأثير العوامل المؤثرة في ولوج الشباب للتنظيمات الجمعوية والرهانات الذاتية التي تخالجهم في إطار هذا الفعل الاجتماعي؛
- ❖ الوقوف على مختلف أنماط الفعل التي يقوم بها الشباب من أجل البحث عن حضور مجتمعي، ومن بينها: الفعل الاحتجاجي ووسائل المقاومة، آليات البحث عن الاعتراف والتميز، وسائل التعبير، الخ، فلطالما تم التعامل مع هذه الفئة بأسلوب الإقصاء ولطالما نُظر إليها على أنها تفتقر للخبرة والنضج، سواء كان ذلك من طرف المحيط العائلي أو من طرف باقي المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية، مما يؤدي بها إلى ردود أفعال تختلف بين السلبية والايجابية؛
- ❖ دراسة أنماط الحداثة وأشكال التقليد عند فئة الشباب، خاصة أنها أكثر الفئات انفتاحا من الناحية الثقافية وأكثر نزوعا نحو الإبداع والتجديد الفكر النقدي؛
- ❖ تناول الرهانات المجتمعية التي يرمي إليها كل من الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية في سبيل المساهمة في تحقيق التغيير المبتغى؛
- ❖ الكشف عن كيفية تأهيل التنظيمات الجمعوية للشباب برساميل وتجارب حياتية لا تكتسب عادة في مؤسسات اجتماعية أخرى كالمدرسة أو الأسرة؛
- ❖ التطرق إلى وضعية الممارسات الثقافية والحقل الثقافي بالمغرب وما يكتنفها من إشكاليات؛

❖ التطرق إلى سياقات إنتاج الفعل الثقافي ضمن إطار العينة والوقوف على الاستراتيجيات والرساميل والإكراهات.

4- الإطار المنهجي

إن الإطار المنهجي الذي اخترته لإنجاز هذه الدراسة هو المنهج التكاملي la méthode mixte، ويسمى أيضا المنهج التوليفي أو المنهج التوفيقي، وقد وقع اختياري عليه نظرا للاعتبارات التالية:

أولا، إن تأملي في التسميات الثلاث "التكامل، التوليف، التوفيق" جعلني أرى أبعادا إيجابية في دلالتها، فمصطلح "التكامل" يحيل على التضامن العضوي وموازنة النقائص. أما مصطلح "التوليف"، فيحمل معنى التأليف والإبداع الناتجين عن عملية البناء وإعادة البناء، مما يسهل انتقاء نقاط القوة من كل نموذج بحثي. في حين، تفترض دلالة "التوفيق" وجود صراع تولّد عنه وضع جديد، ما يذكر بالنموذج الهيجلي حول الأطروحة والأطروحة النقيض ثم التركيب la thèse l'antithèse et la synthèse، ويتعلق الأمر هنا بصراع المناهج والنظريات في العلوم الاجتماعية، وهو الجدل الذي أرى فيه تنوعا خلّاقا للإبداع والديناميات والتطور.

ثانيا، لاحظتُ أن عددا من النظريات الاجتماعية تركز في دراستها للواقع المجتمعي على منظور واحد، فمنها من ركزت على البعد الوظيفي، ومنها من ركزت على الصراع، أو على البنية، أو على الفعل أو على التفاعل، الخ، علما أن كل نظرية لا تخلو من عيوب وثغرات. وحيث أن الوجود الاجتماعي مركب من عدة أبعاد ويتميز بخاصية التعقيد، فقد ارتأيت أن الخيار الأنجع هو الاستفادة من المنظورات والأبعاد التي جاءت بها كل نظرية، عوض الاعتماد على مقاربة نظرية بذاتها، كمن يحاول تفسير ظاهرة ما بسبب وحيد دون اللجوء لتحليل متعدد العوامل analyse multifactorielle. وجدير بالذكر أن التوجهات العلمية المعاصرة أصبحت تتجاوز صراع المناهج والنظريات نحو التكامل والتلاقح، وهو ما يتمظهر في تشكيل فرق البحث التي أصبحت تتميز بتعدد التخصصات la multidisciplinarité.

بالمقابل، فإن الإطار النظري الوحيد (الذي غالبا ما يكون أقرب إلى إيديولوجية الباحث) قد يميل بهذا الأخير إلى التحيزات الفكرية وإلى الدغمائية، وبهذا يصبح الباحث دائم

البحث عما يسنده من خلال إطاره النظري، مما قد يقوده إلى الانسياق وراء الالتفافات لتأكيد موقفه وصحة إطاره النظري. بمعنى آخر، تصبح الممارسة البحثية شكلا من أشكال العصبية الفكرية، في حين أن الواقع معقد بتعدد وتداخل الأبعاد وكل بعد يستدعي مفهوما له حمولة نظرية معينة. في هذا السياق، تبدو رؤية السوسيولوجي الأمريكي روبرت ميرتون كينغ أقرب إلى الصواب، حيث دعا إلى اعتماد النظريات المتوسطة المدى عوض الارتكان إلى النظريات الكبرى ذات النزعة الشمولية.

ثالثا، يتيح المنهج التكاملي الانفتاح على مقاربتي البنية والفعل على السواء والاستفادة من مزايا كل منهما، على غرار ما قام به بيير بورديو المعروف بتوفيقيته. وأعتقد أن الجمع بين هاتين المقاربتين مناسب جدا لدراسة المجتمعات التقليدية المنخرطة في تجربة التحديث مثل نموذج المجتمع المغربي، ذلك أن تأثير البنى التقليدية مازال صلبا وينزل بثقله القوي في التأثير على الواقع الاجتماعي.

لكن بالمقابل، ومع تزايد عولمة النمط الليبرالي، يدفع الذيوع المطرد لقيمة الحرية الأفراد إلى المحاولات الدائمة لمقاومة إكراهات البنى التقليدية من أجل التحرر منها بشكل كلي أو التحايل عليها حسب الظروف أو التكيف معها للتخفيف من وطأتها، ويترتب عن ذلك مجموعة من الاستراتيجيات المتضاربة (حاولتُ تسليط بعض الضوء عليها بتخصيص مبحث خاص بها)، وهو ما يفرز مجتمعات نزاعاتية conflictuelles أو بمعنى آخر مجتمعات الثنائيات الضدية des sociétés dualistes.

في إطار هذا التوفيق بين مقاربتي البنية والفعل، أخذتُ من جهة أولى بنظرية بيير بورديو وجيرار موجي، وأخذت من جهة ثانية بنظرية الفردانيين من أمثال برنار لاهير Bernard Lahire وفيليب كولانجون Philippe Coulangeon اللذان ركزا على البعد التعددي للذات الفاعلة. وقد ركزت في التحليل بشكل مهم على السياق الاجتماعي، سواء خارج الجمعية أو داخلها من حيث أنها هي ذاتها سياق للفعل، وتبين لي من خلال البحث الميداني كيف أن السياق يمكن أن يعدّل من الهابيتوس، ومن الأمثلة على ذلك أن فئة من الشباب الخجولين تغيرت شخصياتهم، وهو ما انطبق على جوانب ثقافية أخرى.

رابعا، يمكن أن يتيح لي المنهج التكاملي إمكانية الاشتغال على ثلاثة أبعاد حددتها طبيعة الموضوع، وهي: سوسيولوجيا الثقافة من حيث أنني تطرقت إلى منطق الفعل السوسيوثقافي؛ ومن جانب آخر سوسيولوجيا التنظيمات على اعتبار أن الجمعيات كتنظيمات اجتماعية هي بيئة حاضنة لهذا الفعل السوسيوثقافي؛ وكذلك سوسيولوجيا الشباب باعتبار مجتمع الدراسة.

خامسا، انعكس هذا التكامل المنهجي أيضا على مستوى مقاربات البحث وأدواته من خلال الجمع بين المقاربة الكمية والكيفية، وبالتالي الجمع بين أدوات البحث التي عُرفت بها كل منهما. هكذا وظفتُ في جمع المعطيات كلا من الاستمارة؛ المقابلة؛ السيرة الذاتية؛ الملاحظة؛ الملاحظة بالمشاركة (تجلت هذه الأخيرة في من الحضور إلى الأنشطة الثقافية الإشعاعية والأنشطة الجمعوية الداخلية).

يراهن المنهج التكاملي على التوفيق بين المقاربتين الكمية والكيفية بعد الصراع التاريخي الذي لازمهما منذ بداية إرساء دعائم علم الاجتماع، وهو بذلك يسعى إلى الاستفادة من مزايا هاتين المقاربتين وتجاوز حدودهما. فمن جهة أولى، تعمل المقاربة الكمية على دراسة الظاهرة عبر أكبر امتداد ممكن لها، مما يساعد على تصور حجمها. بهذا، تروم المقاربة الكمية التوصل إلى قوانين اجتماعية قابلة للتعميم.

بالمقابل، يعيب النقاد على المقاربة الكمية عددا من نقاط الضعف، من قبيل:

- ❖ طابع السطحية وعدم القدرة على النفاذ إلى عمق تحليل الموضوع؛
- ❖ ضعف صدقية الأجوبة في البحث بالاستمارة نظرا لمجموعة من العوامل: عدم فهم السؤال جيدا أو التأويل الذي قد تحتمله بعض الأسئلة؛ نزوع بعض المشاركين في البحث إلى الإجابة بما يفترض أن يكون عوض الإجابة بما هو كائن، وهو ما قد يعتبر نوعا من النفاق العلمي. ويمكن أن يحدث هذا السلوك بسبب الشعور بالإحراج من بعض الأسئلة أو بسبب التخوف من الإجابة، نظرا لوجود تمثلات معينة حول وظيفة الباحث الاجتماعي.

- ❖ لا يسمح البحث بالاستمارة من رصد التواصل غير اللفظي الذي قد يصدر عن المشارك في البحث مثل الايماءات والترددات، علما أن هذا التعبير الجسدي هو في حد ذاته نوع من الأجوبة حتى إن لم يتم الإدلاء بها بمنطوق صريح.
- ❖ الميل اللاشعوري أو ربما بشكل واع لتكييف منطق البحث مع الأطر النظرية والإديولوجية، كمن يقوم بليّ عنق الواقع استجابة للأعراف النظرية والنتائج البحثية المحددة والمعممة سلفا، وهو ما شأنه توجيه نتائج الدراسة بشكل يؤثر في مصداقيتها.

ومن جهة ثانية، تسمح تقنيات البحث الكيفي بدراسة الموضوع باتجاه عمودي نحو العمق، وتكشف للباحث واقعا ميدانيا قد لا يكون متوقعا في الفرضيات أو متناولا في الدراسات السابقة، وهو ما ركزت عليه مثلا النظرية المجذّرة Grounded Theory التي لاقت استخداما واسعا في السوسيولوجيا الأنجلوساكسونية، حيث أنها تدعو الباحث إلى استبعاد أي تصوّر عن الموضوع وترك الميدان يتحدث عن نفسه ويوجه منطق البحث وخطته.

في هذا الاتجاه، يشار إلى أن بعض الاتجاهات المنهجية أصبحت تدعو إلى إلغاء فرضيات البحث في البحث السوسيولوجي والاكتفاء بالسؤال الإشكالي والأسئلة الكبرى، إذ تصبح الفرضية دون وظيفة تذكر بما أن الميدان سيفرز واقعا جديدا. من جهة أخرى ومن حيث أن الفرضيات هي أجوبة قبلية، فقد يكون لها أثر سلبي على الباحث عبر توجيه رؤيته وحصرها في إطار محدود ومنغلق. مع هذه الاستراتيجيات البحثية، يُمسي من الطبيعي إعادة البناء الإشكالي للموضوع بشكل متكرر تماشيا مع مستجدات الميدان ومع تطور رؤية الباحث لكيفية معالجة موضوعه.

بالمقابل أيضا، تعرف المقاربة الكيفية حدودا، لاسيما على مستوى العينة التي يظل حجمها محدودا مقارنة مع عينة البحث الكمي. وجدير بالذكر أن هذا الفرق يرجع أيضا إلى مراحل تأسس العلوم الاجتماعية، فعلى خلاف استخدام الاستمارة على نطاق واسع في بحوث السوسيولوجيا الوضعية بفرنسا، ارتبط البحث الكيفي بعلم الأنثروبولوجيا (قبل أن ينتقل إلى السوسيولوجيا الأمريكية) التي كانت تدرس مجتمعات محلية في مجال جغرافي

محدود، كما أسس لذلك الانثروبولوجي البولوني برونيسلاف مالينوفسكي. هكذا، فمحدودية عينة البحث الكيفي تبقي نتائجه نسبية ومن الصعب تعميمها على مستوى الماكرو.

تأسيسا على كل ما سبق، أرى أن المنهج التكاملي ليس منهجا لقيطا أو أنه منهج من لا منهج له كما يشاع عنه، بل هو في حد ذاته منهج ونموذج بحثي يراهن على التقائية نقاط القوة في كل منهج، كما يسعى إلى تجاوز الصراعات المنهجية التي لا تخدم البحث الاجتماعي بل تصنع العصبيات الابستيمولوجية بين الباحثين.

5- عينة البحث

5-1 بناء العينة وتمثيليتها

تمثل منطلقي خلال بداية هذا البحث في دراسة الثقافة الجيلية للشباب من مختلف أبعادها. وأثناء قيامي بالأبحاث البيبليوغرافية، اهتديتُ إلى توصية السوسيولوجي الفرنسي المختص في دراسة الشباب جيرار موجي الذي أوصى بضرورة تحديد عينة مركّزة لتناول مفهوم الجيل نظرا لطبيعته الفضفاضة. بناء على ذلك، قررت الاشتغال على عينة شباب الجمعيات الثقافية للكشف عما إذا كان الانخراط في هذه التنظيمات الثقافية يقدم قيمة مضافة لثقافة الشباب. وقد تميز بناء عينة البحث بمجموعة من الخصائص، أوردها فيما يلي:

- ❖ تكونت عينة الدراسة الميدانية من 4 مجموعات بحثية، حيث تم إجراء بحث كمّي عن طريق الاستمارة مع 403 من الشباب الجمعوي و80 جمعية. بعد ذلك، تم القيام ببحث كيفي عن طريق المقابلة وهمّ 22 من الشباب الجمعوي و20 تنظيما جمعويا. جدير بالذكر أن البحث الكيفي تم إجراؤه بالدارجة المغربية من أجل تسهيل التواصل مع المشاركين في البحث والحرص على تلقائيته، ثم قمتُ بترجمة المقاطع إلى اللغة العربية الفصحى أثناء عملية التحرير.
- ❖ ميزتُ في عينة البحث بين فئتين بحثيتين هما: فئة الجمعيات الثقافية وفئة الشباب الجمعوي، وهو تمييز منهجي فقط أملته العوامل التالية:

أولا، هناك شباب يمارس أنشطة ثقافية في الحقل الجمعوي دون أن ينتمي إلى أي جمعية بل ينشط مع عدة جمعيات. لذلك، وجب التمييز بين الجمعيات والشباب لهذا السبب؛

ثانيا: في عدد من الجمعيات كان المكتب المسيّر مكوّنا بشكل كلي من الشباب، لكن في حالات أخرى وهي الأكثر حضورا، تتمازج فئة الشباب مع فئة الكبار داخل التنظيم الجمعوي، مما يخلق رؤيتين مختلفتين تنبغي دراسة كل منهما لرصد أوجه الائتلاف والاختلاف بينهما. على إثر ذلك، قمتُ بهذا التمييز المنهجي من أجل دراسة منطق كل فئة عمرية.

- أثناء تحديد الفئة العمرية التي سأشتغل عليها، قابلتُ تنوعا كبيرا بخصوص تعريفات سن الشباب. وقد خلُصت إلى أن اعتماد فئة عمرية ممتدة سيتيح إمكانية المقارنة بين الاختلافات بين الشباب من حيث منطق الفعل؛ الممارسات الثقافية؛ الإكراهات الاجتماعية؛ الخ، فالظروف الحياتية لمنخرط جمعوي لايزال طالبا تختلف عن ظروف الشاب الحاصل على العمل أو الذي أصبح رب أسرة، ونفس الشيء عند اعتماد مقاربة النوع. هكذا، تكونت العينة من الفئة الشبابية الممتدة من 18 إلى 40 سنة، على اعتبار أن 18 سنة هو السن القانوني بالمغرب التي يتيح إمكانية الحصول على صفة العضوية بالمكاتب المسيرة للتنظيمات الجمعوية، وأن 40 سنة هو الحد الأقصى لسن الشباب.
- نظرا لمجموعة من الإكراهات التي أملتها ظروف الميدان، تم اختيار عينة الجمعيات بشكل عشوائي على طريقة كرة الثلج la boule de neige، إذ كنتُ اطلب من كل جمعية أن تحيلني على شبكة علاقاتها من الجمعيات الأخرى، وحينذاك أقوم بعملية الانتقاء بناء على معيار التنوع من أجل تحقيق تمثيلية جيدة للعينة وسعيا وتطبيقا لمبدأ المقارنة بين عناصر العينة. هكذا، شملت هذه الأخيرة جمعيات وطنية وأخرى محلية؛ جمعيات توصف ب"الكبرى" وأخرى تعتبر من الجمعيات "الصغيرة"؛ جمعيات "ذات ارتباط بالحقل الحزبي" وأخرى توصف ب"المستقلة"؛ جمعيات تشتغل بدور الشباب وأخرى تنشط في فضاءات أخرى أو تتوفر على مقرات خاصة؛ جمعيات غير متخصصة في الفعل الثقافي لكنها تدمجه ضمن استراتيجياتها وأخرى متخصصة في الفعل ثقافي، ويمكن التمييز في هذه الفئة الأخيرة بين جمعيات تتخصص في فعل ثقافي بعينه وأخرى تشتغل على أنماط متنوعة من الفعل الثقافي.

بخصوص هذا المعيار الأخير المتمثل في التخصص أو عدم التخصص، أشير إلى وجود تناسب مع تعريف مفهوم الثقافة التي اعتمدتُه، فالجمعيات غير المتخصصة تتناسب مع المعنى الشمولي لمفهوم الثقافة أما الجمعيات المتخصصة فتمثّل معناه التخصيصي. وقد ارتايتُ أن إدماج الجمعيات غير المتخصصة في الفعل الثقافي (والتي تعتمده مع ذلك ضمن برامجها) سيجلب إثراء للموضوع، فهذا النمط من

التنظيمات الجمعوية يؤثّث الحقل الجمعوي بحضور وازن من منظور كمي (يتجاوز الحضور العددي للجمعيات الثقافية المتخصصة)، وهو ما يطرح ضرورة دراسة الفعل الثقافي لهذه الفئة من الجمعيات، لاسيما أنها تنافس الجمعيات المتخصصة في الدعم المالي المرصود للفعل الثقافي.

- ❖ بعد تفريغ نتائج البحث بالاستمارة، تبين لي من خلال مؤشرات الممارسات الثقافية أن هناك قدرا من الاستيلاب في ثقافة الشباب، وهو ما حذا بي إلى تعديل الرؤية البحثية، حيث أدرجت عينة شبابية جديدة سميتها عينة "الشباب الفاعل جمعويا". كما يدل عليها اسمها، تشكلت هذه الأخيرة من الشباب ذوي الإسهام الجمعوي الفاعل من حيث نوعية الفعل الثقافي أو المشاركة في التدبير، إلخ. وقد كان الهدف من دراسة هذه العينة هو دراسة منطق فعلها والكشف عما إن كان الاستيلاب المرصود سابقا يشملها أيضا.
- ❖ لم أقتصر في الدراسة على إجراء الاستمارات والمقابلات مع النخب المسيرة للتنظيمات الجمعوية فئة، بل شمل ذلك المنخرطين المستفيدين من خدمات الجمعيات أخذا بتوصية ألان تورين القائلة أن دراسة الحركات الاجتماعية لا يجب أن تنحصر على قادتها.
- ❖ من بين المعايير التي اعتمدتها في المقابلات لاختيار عينة الشباب معيار عدم الاستقرار الجمعوي، حيث أن هناك شبابا يمارس العمل الجمعوي مع عدة جمعيات دون أن ينتمي بشكل رسمي لإحداها، تتمثل أهمية إدراج هذه الحالات في الكشف عن منطق الفعل الذي يدفع إلى هذه الرابطة من عدم الاندماج وعدم الالتزام.
- ❖ من بين السمات التي يمكن أن أصف بها العينة التي أجريت معها المقابلة ما يمكن أن أسمّيه ب"التمثيلية الفائضة"، فعدد مهم من المشاركين في البحث لم يتطرقوا فقط إلى واقع الجمعيات التي شكلت عينة البحث، بل تجاوزوا ذلك إلى استحضار تجاربهم السابقة مع جمعيات أخرى. زيادة على ذلك، لم يكتف هؤلاء بتناول تجاربهم الفردية، بل أغنوا المقابلات بتجارب نظرائهم في نفس الجمعية أو في جمعيات أخرى خارج

العينة. بهذا، ساهمت هذه "التمثيلية الفائضة" في تسليط المزيد من الضوء على الحقل الجمعوي الثقافي.

- ❖ فيما يخص مجالات الدراسة، فقد عملتُ على اختيار مجالات حضرية متنوعة تتوزع على مستوى الجهة المدروسة. وقد حرصتُ على انتقاء جمعيات ثقافية تنشط في مجالات عمرانية من مختلف المستويات الاجتماعية، مع إيلاء أهمية خاصة بالمناطق المعروفة بهشاشتها الاجتماعية. وقد عاينت من خلال البحث الميداني كيف أن مجالات الهامش الاجتماعي هي فعلا مختبر خصب للبحث السوسيولوجي، فمن خلالها يمكن رصد أثر التفاوتات الاجتماعية، وفي بيئتها الاجتماعية تعج مشاكل كبرى ومعقدة.

2-5 أدوات البحث وخصائصها

مثلما تمظهر التكامل المنهجي على مستوى المقاربات، فقد تجسد أيضا على مستوى أدوات البحث، حيث وظفت الاستمارة بهدف تشخيص بعض العناصر وبناء صورة عامة عن الواقع الميداني للعينة، ثم استخدمت بعد ذلك أداة المقابلة من أجل التعمق في النتائج المتوصل إليها والتوسع في محاور أخرى ذات طبيعة كيفية لم يكن بالإمكان التعمق فيها عن طريق الاستمارة.

فيما يخص استخدام هذه الأخيرة، فقد وظفت النسخة العشرين من البرنامج المعلوماتي SPSS للمعالجة الإحصائية واستخراج الجداول. تعد هذه النسخة من أحدث الإصدارات علما أنه ليس هناك فرق كبير بين النسخ المتأخرة، لاسيما أن طبيعة المعالجة التي قمت بها لا تستدعي من هذا البرنامج وظائفه المعقدة والمتقدمة. يتميز برنامج SPSS باحترافيته ومصداقيته في الأوساط العلمية، كما أنه أكثر توافقا مع طبيعة بحثي ولا يتطلب حاسوبا ضخما لاستخدامه.

تجدر الإشارة إلى وجود عدة برمجيات إحصائية، لكل منها خصائصها وظروف استخدامها، أذكر منها برنامج SAS؛ برنامج SPHINX؛ برنامج STATA؛ برنامج R، إلخ. على سبيل المثال، فبرنامج STATA معقد وأي خطأ بسيط يمكن أن يغلّط المعطيات،

وعلى غراره توجد برامج معلوماتية أخرى موجهة لقواعد البيانات الضخمة BIG DATA، مثل البرامج المعلوماتية التي تستخدم في البورصات وفي الخوادم les serveursالمعلوماتية المتطورة.

بالنسبة لأدوات البحث الكيفي، استخدمت تقنية الملاحظة والملاحظة بالمشاركة أثناء الحضور للأنشطة الجمعوية الثقافية، وقد كنت ألاحظ ما يجري خلال هذه الأنشطة من حيث أعداد الحاضرين وخصائصهم العمرية والجنسية؛ من حيث سلوكاتهم وردود أفعالهم؛ وكذلك من حيث أزيائهم وتوظيفاتهم للجسد؛ تفاعلهم مع الفعل الثقافي؛ مظاهر علاقاتهم الاجتماعية، إلخ. في كثير من الأحيان، كنت أرخي السمع للحوارات الصادرة عن الشباب حينما تجرى جهرا على هامش الأنشطة الثقافية، وفي أحيان أخرى كنت أشاركهم دردشاتهم حول مختلف المواضيع، خاصة إن كانت تهم ثقافة الشباب أو تهم مواضيع العمل الجمعوي. أثناء هذه المشاركة، لم أكن أعلن عن هويتي كباحث ما لم أكن مضطرا لذلك، حتى لا أؤثر على تلقائيتهم، موظفا بذلك مبدأ السوسيولوجي الأمريكي إيرفين جوفمان Erving Goffman حينما كان يخفي هويته كباحث أثناء استخدامه لتقنية الملاحظة بالمشاركة.

فيما يتعلق باستخدام تقنية المقابلة وبعد أن كانت أسئلتها مفتوحة خلال البحث الاستكشافي، فقد أصبحت نصف موجهة فيما بعد. في كلتا الحالتين، كنت أحاول أن أترك حرية للمشارك في البحث حتى أتمكن من النفاذ إلى منطق فعله وتمثلاته الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، فقد عززت الأسئلة شبه الموجهة ب"استثارات"، وهي أسئلة تدقيقية أطرحها كنوع من التوجيه في حال عدم تطرق المشارك في البحث إلى عناصر معينة أو كشكل من أشكال إثراء الحوار. وفي أحيان أخرى، أُدرج السؤال المركزي ضمن أسئلة الاستثارات حينما يتطلب السياق التمهيد بتناول نقاط مسبقة قبل الدخول في الموضوع الرئيسي.

هذا من حيث المضمون، أما على مستوى الشكل فقد جعلتُ السؤال المركزي بلون معيّن وأسئلة الاستثارات بلون مغاير تجنبا للارتباك الذي قد ينتج بسبب الخلط بينهما. لنفس

الغاية، لم أجعل الاستثارات على نفس الخط العمودي مع خط السؤال الأساسي درءا للتداخل البصري بين الأسئلة.

لا يفوتني أن أشير إلى تلك الحوارات الهامشية التي تبلورت بشكل تلقائي بعد نهاية عدد من المقابلات، والتي لم تكن أقل أهمية مما تم تناوله أثناء المقابلة، بل إن أغلبها كان أكثر جرأة وأكثر عمقا نظرا للمصداقية الناتجة عن التلقائية. في هذا الإطار، تنبغي الإشارة أيضا إلى أن هذا النوع من الحوارات يساهم في صعوبة تكميم المقابلات نظرا لتضمنه عناصر متفردة لم تكن مبرمجة ولا ترد في أجوبة أخرى كي يتم احتسابها معها. لا تقتصر هذه الإشارة على الحوارات البعدية فقط، بل إنها تشمل حتى النقاط المبرمجة التي ترد فيها أيضا هذه العناصر المتفردة، فلا يمكن التوقع أن جميع المشاركين في البحث سيتطرقون لنفس العناصر في أجوبتهم وأن مواقفهم ستنحو في نفس الاتجاه. لذلك، فالباحث يعمل على رصد التوجهات العامة، السائدة والمتكررة les régularités sociales.

في إطار بناء دليل المقابلة، وإضافة إلى الأسئلة التي تطرقت إلى مسار الحياة أو التي هدفت إلى دراسة التمثلات والكشف عن منطق الفعل، فقد وردت أسئلة ذات طابع تقييمي، طلبتُ عبرها من الشباب والجمعيات الثقافية تقييم كل منهما لأداء الآخر سواء داخل التنظيم أو خارجه. تبرز أهمية هذا التقييم المتبادل في المقارنة بين أجوبة الطرفين، ففي حالة عدم القيام بذلك سيظل هامش الذاتية والتحيز مرتفعا في الأجوبة، لكن المقارنة بين أجوبة الفئتين تضفي موضوعية أكبر.

نظرا لهذا الدور الايجابي الذي تمظهر في وظيفة التقييم هاته، فقد حرصتُ دائما في تحرير هذا العمل على استعمال عبارة "المشارك في البحث" عوض صفة "المبحوث"، إذ يبدو لي أن هذه الصفة الأخيرة تحيل على سلبية الفرد أو على الأقل تبخسه قيمته، في حين أن عبارة "المشارك في البحث" تدل على كونه فاعلا مساهما في تبلور البحث إلى جانب الباحث.

ويمكن القول إن صفة المشارك في البحث تقترب من وظيفة الإخباري l'informateur في علم الأنثروبولوجيا أو قد تكون هي ذاتها في بعض الحالات. ويبرز

دور الإخباري في توفره على رأسمال معرفي معمق بخصوص موضوع الدراسة، وهو أيضا يشارك في البحث ولو بشكل غير رسمي، بل إنه قد يمارس سلطة معرفية على الباحث تؤثر فيه بشكل غير واع في توجيه مساره البحثي. وقد يحدث أن يكون المشارك في البحث أو الإخباري موضوع دراسة حالة إذا كان له من غنى المعرفة والتجربة، ما يؤهله كفرد لإطلاع الباحث عن تفاصيل حقل بأكمله.

أضيف أيضا أنه من بين خصائص أجوبة المقابلة، الحفاظ على مجهولية المشاركين في البحث بناء على طلبهم، وقد ساعد الوعد بهذا الالتزام في بناء الثقة وتوفير مناخ التلقائية، وهي الثقة التي سعيتُ إلى الحفاظ عليها طيلة فترة البحث الميداني نظرا لما توفره من مصداقية وعلمية أثناء جمع المعطيات. تجسيدا لهذا الالتزام، فقد عبّرت عن هوية المشاركين في البحث الكيفي (سواء بالنسبة إلى الشباب الجمعوي أو بالنسبة إلى الجمعيات الثقافية) بأسماء مستعارة مع تجنب ذكر المجال الحضري.

إن آخر ما أختم به هذا المحور هو الإشارة لاستخدام تقنية النمذجة خلال تحليل المعطيات المجمّعة، وهو التنميط المنهجي الذي استقيته من "النموذج المثال" الذي اشتهر به ماكس فيبر في دراسته لموضوع المدينة. مكنت هذه الأداة التحليلية من إبراز القاسم المشترك بين عناصر تبدو متناثرة، كما ساهمت في توضيح الصورة حول مجموعة من النقاط التي لم تكن بارزة.

6- صعوبات البحث وحدوده

على شاكلة أغلب الباحثين، صادفتُ أثناء المرحلة الميدانية من هذا العمل بعض العوائق التي صعبّت مهمة البحث، ويمكن تلخيصها في ثلاث نقط أساسية:

- **قلة الجمعيات الثقافية مقارنة بالأنماط الأخرى من الجمعيات:** في البداية، كان المجال الجغرافي الذي حددتُه لإقامة هذا البحث هو مدينة الرباط، لكن ضعف عدد الجمعيات الثقافية مقارنة بالجمعيات المتعددة التدخلات أو جمعيات العمل الاجتماعي جعلني أمدّد المجال الجغرافي ليشمل مناطق حضرية أخرى من جهة الرباط سلا القنيطرة، وهو ما تطلب مني مجهودات إضافية من قبيل التنقل وإنفاق الوقت. رغم ذلك، كان لهذه الصعوبة جوانب إيجابية تمثلت في التعرف على عوالم جديدة من هذا المجال العمراني بما يكتنزه من تنوع في السياقات الاجتماعية.
- **صعوبة اختراق البحث المؤسساتي:** يتصف البحث الميداني الذي يتخذ من التنظيمات أو المؤسسات موضوعا له بصعوبة النفاذ إلى واقع هذه البنيات، فالباحث قد يتعرض في كثير من الأحيان للصد والاستبعاد، مما يحتم عليه تعديل أو تغيير استراتيجيات اختراق الميدان، وهو ما لجأت إليه مثلا في بناء العينة من خلال الاعتماد على تقنية كرة الثلج وأيضا من خلال استثمار العلاقات الشخصية. هكذا، كان بالإمكان أن يصبح البحث الميداني أسهل لو أنني اخترت مثلا موضوع الممارسات الثقافية لدى الشباب الجامعي، حينها كنت سأجري البحث الميداني في أحواز الجامعات وخلال فترة زمنية أيسر، على عكس الحيز الزمني الكبير الذي يفرضه البحث المؤسساتي. لكن بالمقابل، مكنتني هذه الصعوبات من اكتشاف جوانب مختلفة من منطق التفكير لدى الشباب والتنظيمات الجمعوية، ومن تطوير قدراتي في البحث الميداني.

تعد التمثلات الاجتماعية السلبية حول الباحث من أبرز العوامل التي تصعّب من مسار هذا الأخير، وأذكر على سبيل المثال أنه ينظر إليه في بعض الحالات "كعميل" مرسل بشكل ممنهج من طرف جهات منافسة، أو أن هذا الباحث قد يفشي بشكل مقصود أو غير مقصود معلومات أو واقعا يراد لهما أن يظلا في طي الكتمان، لاسيما

حينما نعلم أن الحقل الجمعوي مخترق بشكل كبير من الفاعل السياسي. من بين التمثلات السلبية حول الباحث التي أتذكرها أن إحدى مراحل البحث الميداني تصادفت مع فترة انتشار أخبار عن بدء عملية التجنيد الإجباري، وهو ما جعل بعض الشباب يتوجس مني وينظر اليّ نظرة شك وريبة، كما لو أنني مرسل من الأجهزة الأمنية لجمع المعلومات حول من سيتم استدعاؤهم للتجنيد.

- **ضعف التزام بعض الجمعيات بالمشاركة في البحث:** تسبب هذا العائق في كثير من الحالات في تأجيل اللقاءات دون سابق إخبار أو إلغائها بالمرة وعدم الاستمرار في المشاركة في البحث، وأعتقد أن الأمر سيكون مختلفا لو اشترطت الجهة المانحة للدعم ضرورة التزام الجمعيات بالمشاركة الفعالة في الأبحاث. لكن بالمقابل، هناك جمعيات تعاملت معي بالتزام وسخاء في تقديم المعطيات، وقدمت لي مجموعة من المساعدات كتوفير الفضاء الجمعوي لإجراء المقابلة والتنسيق مع المنخرطين من أجل إجراء البحث الميداني معهم. هكذا، في إطار التجاوب مع مهمة الباحث، تحضر مسألة القيم الجمعوية والالتزام والوعي بأهمية البحث العلمي.

أما من حيث حدود هذا البحث، فتتمثل أبرزها في اقتصار نتائجه على مجتمع العينة. بشكل عام، تتميز البحوث الفردية بطابع النسبية والمحدودية، بخلاف الدراسات البحثية الكبرى المنجزة من طرف مؤسسات الدولة أو الهيئات الكبرى حيث تتوفر الإمكانيات والموارد البشرية لتحقيق امتداد مهم على مستوى المسح الأفقي والتعمق العمودي. تأسيسا على ذلك، لا تدعي هذه الدراسة الإحاطة بمجموع الإشكاليات التي يعرفها هذا الحقل ولا الإجابة عن جميع التساؤلات، بل هي محاولة متواضعة لتسليط بعض الضوء على بعض العناصر من الواقع المجتمعي المدروس.

القسم النظري

الفصل الأول:

من المعنى الشمولي لمفهوم الثقافة

إلى المعنى التخصيصي للممارسات الثقافية

المبحث الأول: مفهوم الثقافة

بالمعنى الشمولي

1- المقابلة بين مفهوم الثقافة و مفهوم الحضارة

ظهرت بأوربا خلال نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر حركتان فكريتان هما الحركة التنويرية والحركة الرومانسية، وقد أثرتا بشكل جلي على مسارات العلوم الاجتماعية. تبلورت الحركة التنويرية على يد مجموعة من المفكرين الفرنسيين الذين واجهوا ما سموه بالفكر الظلامي، فرفعوا شعار العلمية والعقلانية وأعلوا من شأن مفهوم الحضارة. بالمقابل، برزت الحركة الرومانسية من خلال مفكرين ألمان تأثروا بالفلسفة المثالية وانتقدوا تحول المجتمع نحو ما اعتبروه مادية وسطحية، فركزوا بذلك على مفهوم الثقافة كنموذج يمثل البعد الروحي والخيال الفني.

هكذا، مثلت الحركتان رؤيتين متقابلتين للعالم، وكان للصراع بينهما أبعاد مختلفة مثلما كان له انعكاسات على العلوم الاجتماعية، فالحركة التنويرية تماهت مع الفلسفة الوضعية والعلوم التجريبية، وهو ما أفرز لاحقا سوسيولوجيا وضعية تعتمد على التفسير بالمناهج الكمية. خلافا لذلك، تناسبت الحركة الرومانسية مع مجالات أخرى مثل فلسفة التأويل والنقد الأدبي، وهو ما أدى إلى تشكل الطابع التفهمي والتأويلي في السوسيولوجيا الكيفية وفي الأنثروبولوجيا.

2- الثقافة عند إدوارد تايلور

يعتبر إدوارد تايلور (1832-1917) من مؤسسي علم الأنثروبولوجيا في بريطانيا الذين ساهموا بشكل كبير في التبلور العلمي لمفهوم الثقافة. بحكم انتمائه إلى المذهب التطوري، إهتم تايلور بالبحث في أصول الثقافة وآليات تطورها معتمدا في ذلك على المنهج المقارن، فاعتبر ثقافة الشعوب المسماة بالبدائية بمثابة الثقافة الأصلية الخاصة بالإنسانية، كما قاوم الأطروحة القائلة أن "البدائيين" ليسوا كائنات بشرية، بل إن الفرق معهم يوجد في مستوى التقدم فقط[30].

[30] DELIEGE. Robert, (2006), Une histoire de l'anthropologie: écoles, auteurs, théories, 1ère édition, Seuil, Paris, p. 21.

يعتبر تعريف إدوارد تايلور لمفهوم الثقافة من أشهر التعريفات التي لاقت نجاحا وانتشارا واسعين، فهو يعرف الثقافة في كتابه "الثقافة البدائية" على أنها كل مركب يشتمل على المعارف، المعتقدات، الفنون، الأخلاق، القوانين، الأعراف وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين[31].

إن لهذا التعريف أبعادا متنوعة، فهو فمن ناحية، يوسع من معنى الثقافة الذي كان محصورا في الجانب المعرفي للفرد إلى المعنى الذي يضفي عليها طابعا اجتماعيا لتصبح بذلك عنصرا مشتركا بين مكونات المجتمع يعمل على الإدماج الاجتماعي للفرد[32]. من ناحية أخرى، يعبر هذا التعريف عن شمولية الحياة الاجتماعية باحتوائها على عناصر مادية وعناصر غير مادية، كما أنه يجعل من تنوع الثقافات وسيلة لإثبات الوحدة النفسية للإنسانية، مما يؤكد تأثره بالمذهب التطوري وفلسفة عصر الأنوار الكونية.

3- النسبية الثقافية عند بواز

على عكس المذهب التطوري القائل بتشابه الثقافات وتطورها وفق خط تصاعدي وحيد، استخلص فرانز بواز من الدراسات الميدانية التي أجراها أن كل ثقافة مستقلة بذاتها من حيث الأصل والتطور، وقد شملت أبحاثه مناطق واسعة تتميز بنفس الخصائص المادية لكنها كانت تعرف ثقافات مختلفة.

اهتم بواز بدراسة انتشار العناصر الثقافية بين الشعوب وما ينتج عن ذلك من تثاقف وتحول ثقافي[33]، فاستخدم في دراساته مفهوم "المناطق الثقافية" كتصنيف وصفي وتحليلي يسهل المقارنات والوصول إلى تعميمات، ويشير هذا المفهوم إلى مجموعات من المناطق الجغرافية التي تتصف كل منها بنمط ثقافي ما نتيجة لدرجة معينة من الاتصال والتفاعل[34].

---

[31] BAYILI. Blaise, (2008), Culture et inculturation: Approche théorique et méthodologique, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 19.

[32] Idem, p. 19.

[33] HERSKOVITS. J. Melville, (1967), Les bases de l'anthropologie culturelle, 1ère édition, François Maspero Éditeur, Paris, p. 196

[34] فهيم. حسين، (1986)، قصة الانثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، عدد 98، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص. 161

كان بواز من المؤسسين الأوائل لمفهوم النسبية الثقافية الذي تكمن أهميته في التأكيد على أن كل ثقافة تعمل وتتطور وفق ظروفها الخاصة[35]، وهو ما يفرض على الباحثين ضرورة تجنب الأحكام المسبقة. أضاف بواز الشيء الكثير لتقنيات البحث في علم الأنثروبولوجيا بفضل غزارة أبحاثه الميدانية خاصة بين قبائل الهنود الأمريكيين، كما أنه ألهم الكثير من علماء السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا الذين جاؤوا بعده، لاسيما الأمريكيين منهم.

4- التنوع الثقافي والبني العقلية الكونية عند كلود ليفي ستروس

عرفت الدراسات حول مفهوم الثقافة تطورا ملحوظا بفضل الدينامية التي ولّدتها إسهامات عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي ستروس، حيث جمع بين الجانب الفكري والبحث الميداني (لاسيما أبحاثه حول القبائل التقليدية بالبرازيل)، وهو ما أعطى لتياره البنيوي صيتا ذائعا، لاسيما في فرسا.

يلقب ستروس برائد الأنثروبولوجيا البنيوية، فبعد تأثره بالمنهج البنيوي في لسانيات فرديناند دي سوسير قام بتطبيقه على العلاقات الاجتماعية والإنتاجات الرمزية. وهو بذلك يرى أن الثقافة لها هندسة مماثلة لهندسة اللغة، فكلاهما ترتكزان على عناصر مترابطة وقواعد منظمة ومنطقية، ويظهر ذلك جليا عند القيام بتحليل الأساطير وعلاقات القرابة[36].

يحتل مفهوم التبادل موقعا متميزا ضمن المنظومة الفكرية لكلود ليفي ستروس، نظرا لحضوره في عدة جوانب من الحياة الاجتماعية. فاللغة على سبيل المثال قناة من قنوات التبادل الرمزي بين أفراد المجتمع (قائمة على تبادل الرسائل بين المرسل والمرسل إليه)، والاقتصاد شكل من أشكال التبادل المادي بين الناس، كما أن الزواج مظهر من مظاهر التبادل الاجتماعي (يؤدي وظائف متنوعة، مثل تأمين التحالفات الاجتماعية وإقرار السلم الاجتماعي وغير ذلك).

---

[35] MVE. MINKO. Bernardin, (2012), L'anthropologie, pour Comprendre, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 16.

[36] ستروس. ليفي. كلود، (1995)، الإناسة البنيانية، ترجمة حسين قبيسي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص. 90.

بالإضافة إلى اللسانيات البنيوية، نهل كلود ليفي ستروس من الأبحاث الأنثروبولوجية للمدرسة الثقافوية الأمريكية وعمل على تجاوزها، إذ لم يقف عند مبدأ تنوع الثقافات فحسب، بل سعى للانطلاق من الاختلاف الثقافي على المستوى المحلي للوصول إلى ما هو ثابت ومشترك على المستوى الكوني. زيادة على ذلك، اعتقد ستروس بوجود بنيات عقلية لاواعية في الثقافة البشرية ينبغي على الباحث الأنثروبولوجي اكتشافها. هكذا، يلتقي مع مفكري عصر الأنوار ومع إدوارد تايلور وغيرهم في الفكرة القائلة بوحدة النفس الإنسانية.

يعرف ستروس مفهوم الثقافة كالتالي: "يمكن اعتبار كل ثقافة مجموع أنساق رمزية تتصدرها اللغة وقواعد التزاوج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين. كل هذه الأنساق تهدف إلى التعبير عن بعض أوجه الحقيقة الطبيعية والحقيقة الاجتماعية، وأكثر من ذلك إلى التعبير عن العلاقات التي ترتبط بها كل من هاتين الحقيقتين بالثانية، وتلك التي ترتبط بها الأنساق الرمزية ذاتها بعضها ببعض"[37].

حظيت إنتاجات ليفي ستروس حول التنوع الثقافي ونسبية مفهوم التقدم باهتمام بالغ من مختلف الجهات والمنظمات الدولية لما لها من أبعاد على عدة مستويات فكرية، سياسية واجتماعية، وهو ما جعل منظمة اليونسكو تنشر له كتاب "العرق والتاريخ" الذي تناول فيه موضوع المركزية الإثنية الغربية وأعاد من خلاله الاعتبار للثقافات التقليدية، مؤكدا على مبدأ النسبية الثقافية وعدم التفاضل بين الثقافات[38].

5- مفهوم الثقافة عند مالينوفسكي

ردا على أفكار ومناهج كل من المذهب التطوري والمذهب الانتشاري، وضع برونسلاو كاسبر مالينوفسكي الركائز الأولى للمذهب الوظيفي، مؤسسا بذلك مدرسة جديدة في علم الأنثروبولوجيا، سيتم تبنيها وتطويرها فيما بعد من طرف مجموعة من الباحثين في علم الاجتماع، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. متأثرا بالعلوم الطبيعية ومشبها

[37] كوش. دنيس، (2007) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

[38] LEVI-STRAUSS. Claude, (1987), Race et Histoire, 1ère édition, N° 58, Folio Essais, Paris, p. 70.

المجتمع بالكائن العضوي، ربط مالينوفسكي بين الثقافة والحاجيات البشرية بحيث تعتبر الأولى بمثابة استجابة للثانية، ويتم ذلك من خلال مجموعة من المؤسسات الاجتماعية المتكاملة الوظائف فيما بينها.

بتعبير آخر، فالثقافة إذن هي نظام شمولي غير قابل للتجزيء، يتكون من عدة عناصر (نظم اجتماعية) مترابطة من أجل إشباع الحاجات العضوية والنفسية للإنسان، وكل تعديل يقع على أحد هذه الأنظمة ينعكس على النسق بأكمله[39]. هكذا، نجد نظما مثل النظام الأسري، نظام التربية، النظام الديني، النظام الاقتصادي، النظام السياسي، وغيرهم، وينقسم كل نظام بدوره إلى أنظمة فرعية. تنشأ هذه المؤسسات (النظم) بشكل قصدي أو تلقائي متأثرة في ذلك بالوسط البيئي، وتستخدم آليات توجه سلوك الأفراد مثل التنشئة الاجتماعية والقوانين والتنظيمات بهدف ضمان الحفاظ على توازن النسق الشمولي وعدم تعرضه للاضطراب والفوضى.

عُرف عن مالينوفسكي كثرة اهتمامه بالجانب التجريبي، وهو ما أهله لتطوير مناهج البحث الميداني، إذ لم يكتف بالملاحظة المباشرة بل عمد إلى الملاحظة بالمشاركة، مما جعله يتعلم اللغات المحلية للشعوب المدروسة ويقيم بين ظهرانيها لسنوات طويلة. بالإضافة إلى ذلك، فقد رفض الاستعانة بالمنهج التاريخي (الدياكروني) في التحليل واقتصر على المنهج التزامني (السانكروني) الذي يكتفي بدراسة الظواهر في راهنيتها فقط.

تعرضت وظيفية مالنوفسكي لانتقادات لاذعة من مختلف المفكرين، لعل أبرزها تركيزه على استمرارية التوازن الداخلي للمجتمعات وعدم ايلائه الأهمية اللازمة لدور الديناميات والتناقضات الداخلية في التغيرات الاجتماعية، فمصدر التغيير بالنسبة إليه يكون غالبا من خارج النسق، وهو ما جعل أفكاره تُنعت بالفكر المحافظ الداعم لإديولوجية القوى الإمبريالية، كما شكل إقصاؤه للعامل التاريخي في التحليل نقطة خلاف مع الكثيرين.

[39] BAYILI. Blaise, (2008), Culture et inculturation: Approche théorique et méthodologique, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 20.

6- الثقافة والشخصية عند الاتجاه الثقافوي

يقصد بالثقافوية التيار الأنثروبولوجي الذي ظهر خلال النصف الأول من القرن العشرين على يد أتباع فرانز بواز بأمريكا، خاصة طلابه القدماء بجامعة كولومبيا. اهتم هذا الاتجاه بدراسة الثقافة على غرار باقي المذاهب الأنثروبولوجية، ونظرا لتأثره بعلم النفس، فقد قام بالتركيز على دراسة العلاقة التي تجمع بين كل من الثقافة، الشخصية والتنشئة الاجتماعية، حيث اعتبر أن كل ثقافة مستقلة بذاتها ولها تماسكها الخاص بها، وهو ما يعطيها سمتها (أو نموذجها) القومي والذاتي.

تميزت الثقافوية إذن باعتمادها على الثقافة في دراستها للظواهر الاجتماعية، وهذا ما يفسر سبب تسميتها، وذلك على النقيض من عدد من المذاهب التي جعلت من الثقافة نتيجة لعوامل أخرى، مثل الماركسية التي تفسرها بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية ومثل إيميل دوركايم الذي ركز على تقسيم العمل وعلى العلاقات الاجتماعية. وهناك من ينظر إلى الثقافوية على أنها لا تشكل نظرية متماسكة ذات فكر متجانس ومترابط، بل مجموعة من الأبحاث التي تربط بينها بمواضيع مشتركة[40].

أحصى ألفرد كروبر (1876-1960)، رفقة كلايد كلوكهون، أكثر من مائة وخمسين تعريفا يضمون رؤى مختلفة لمفهوم الثقافة. وبالنسبة إليه، فالثقافة نمط تجريدي تمثل الأشياء التي تتردد كثيرا في المجموعات البشرية. ويتفق كروبر مع أنصار المذهب الانتشاري في أهمية استخدام المنهج التاريخي (لاسيما علم الآثار) من أجل دراسة الثقافات والتمييز بين نماذجها بالاعتماد على منهج المقارنة، وهو ما قام بتطبيقه في أبحاثه حول قبائل الهنود في الولايات المتحد الأمريكية.

اعتبرت روث بيندكت أن اعتماد المنهج التاريخي من قبل الفرد كروبر غير كاف، لذلك، إذ يجب إيلاء أهمية أيضا للمنهج النفسي من أجل الكشف عن النمط (pattern) المحوري المميز لكل ثقافة، وهو ما وظفته في عدة أبحاث ميدانية كدراستها المنشورة سنة

[40] SIMON. Pierre-Jean, (1991), Histoire de la sociologie, 1ère édition, Presses Universitaires de France, Paris, p. 495.

1946 تحت عنوان "زهرة الكريزانتم والسيف"، حيث قامت من خلالها بدراسة الشخصية القومية اليابانية وأظهرت تمحورها حول قدسية شخص الإمبراطور، الشيء الذي ساعد الولايات المتحدة في هزيمة اليابان خلال الحرب العالمية الثانية.

بالإضافة إلى ذلك، قامت بيندكت بدراسة نمطين ثقافيين متناقضين في المكسيك الجديد: نموذج هنود البويبلو pueblo (المسالمين، الاجتماعيين والمتضامنين) ونموذج هنود الكواكيوتل Kwakiutl (الفردانيين، العدوانيين)، فوصفت النموذج الأول بالنموذج "الأبولوني" والنموذج الثاني بالنموذج "الديونيزوسي"، مستعيرة هذين النمطين من نيتش ومعتبرة أنه يمكن أن يوافقا ثقافات أخرى.

تعتبر روث بيندكت أيضا أن ما يميز كل ثقافة ليس هو فقط مجموع الخصائص التي تسمها بل عمل هذه الثقافة على تحقيق أهداف معينة ترتبط بالاختيارات التي حددتها، ويتم تحقيق هذه الأهداف بآليات قد تكون لاشعورية من خلال المؤسسات الاجتماعية وعملية التنشئة الاجتماعية. تعد هذه الأخيرة، إلى جانب عملية النقل الثقافي، أحد المواضيع التي ركزت عليها مارغريت ميد في أبحاثها الميدانية بغينيا الجديدة، حيث توصلت إلى أن مسالة الذكورة والأنوثة تتعلق بالتربية وليس بالجانب البيولوجي.

توصلت ميد إلى أنه في قبيلة الأرابيش يربى الأولاد والبنات دون تمييز على أن يصيروا أشخاصا هادئين ومرهفين، بخلاف نمط التربية في قبيلة المونداوغومور حيث تنتج الشدة في التربية أفرادا عدوانيين. أما فيما يخص قبيلة الشامبولي، فالنساء هن من يملكن زمام الأمور ويتحملن المسؤوليات ويتميزن بالحركية، في حين يكون الرجال أقل ثقة بالنفس وينشغلون بأمور الترفيه والجمال.

في نفس الاتجاه المهتم بالعلاقة بين الثقافة والشخصية، صاغ كل من رالف لنتون وأبراهام كاردنر مفهوم "الشخصية الأساسية"، وهي مركب الصفات والسلوكات المشتركة التي يعمل المجتمع على تثبيتها في الفرد بهدف الحفاظ على الثقافة. يتم تشكيل هذه الشخصية الأساسية بفعل التربية الممارسة من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، تنقسم هذه المؤسسات إلى "مؤسسات أولية" (العائلة على وجه التحديد) ومؤسسات ثانوية (كالمؤسسات

التعليمية، المؤسسات الدينية، الإدارة، الجيش)[41]، غير أن هذا التشكيل لا يعد حسب لنتون تحديدا حتميا للشخصية ولأفعالها، إذ يتوفر الفرد على مجموعة من الاختيارات المتاحة، على اعتبار أن الثقافة تتكون من مجموعة متنوعة من أنظمة القيم[42].

7- مفهوم الثقافة عند بيير بورديو

تعد أبحاث بورديو وأفكاره من أهم المساهمات في دراسة الثقافة، فقد اهتم بدراسة هذه الأخيرة على المستوى الشمولي (من خلال أبحاثه حول التنشئة الاجتماعية، التمايز الاجتماعي وغير ذلك)، كما اهتم أيضا بالمستوى التخصيصي لمفهوم الثقافة من خلال دراسة الممارسات الثقافية في مجال الفنون.

سأتناول فيما يلي أفكار بورديو المتعلقة بالمستوى الأول، وسأعود إلى دراساته حول الممارسات الثقافية أثناء التطرق لهذا الموضوع فيما بعد. توصل بورديو من خلال أبحاثه الميدانية إلى خلاصات كان لها وقع كبير على علم الاجتماع، من جملتها بحثه الشهير في حقل التعليم كواحد من أهم وسائل نقل الثقافة ودعم استمراريتها. استنتج هذا السوسيولوجي أن النظام التعليمي في فرنسا، رغم خطابه حول مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص، فإنه يكرس الفوارق الطبقية ويرسخ ما يسميه "الثقافة الشرعية"، أي ثقافة الطبقة العليا المهيمنة، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج النظام الاجتماعي.

لاحظ بورديو أن التنشئة الاجتماعية للتلاميذ ومستواهم الاجتماعي (وما يتضمن ذلك من عادات، أفكار، ممارسات وموارد مادية) يرتبط بشكل كبير بالنجاح الدراسي ويؤثر سلبا او إيجابا على آفاق ما بعد الدراسة، وهو ما ساعده في نحت مفهوم "الهابيتوس" والذي يعرفه على أنه: نظام مخططات لتوليد الممارسات التي تعبر بأسلوب منهجي عن الحاجة الملحة والحرية الكامنة في ظروف الحياة الكلية لمجموعة ما. يتوسط هذا التعريف بين نظريات الحتمية التي تؤكد على قوة البنية ونظريات الفعل التي تركز على حرية الفاعلين. يضيف

[41] MARIETTE. José, (2004), Introduction à la sociologie, 1ère édition, Editions Le Manuscrit, Paris, p. 97

[42] GAUDIO. Attilio, (2010), Connaissances actuelles et méthodes de recherche en anthropologie: un voyage sans fin, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 31.

بورديو أن للهابيتوس منطقة وعي ومنطقة لاوعي، ليخلص إلى نتيجة مفادها أن الفاعل يتأثر بالنظام وإعداداته لكنه قادر على توليد ممارسات وأفعال جديدة.

في إطار دراسته للتمايزات الثقافية والاجتماعية، قام بورديو بتشكيل عُدة مفاهيمية من أبرزها: مفهوم الحقل، الرأسمال، الرهان، اللعب. وقد وظف بورديو مفهوم الحقل تعبيرا عن تفضيله تحليل عوالم اجتماعية صغيرة عوض اعتبار المجتمع وحدة للتحليل. يضم الحقل مجموعة من الفاعلين (أعوان) يتنافسون من أجل المحافظة على مواقع معينة أو من أجل تغييرها، على اعتبار أنها تضمن لهم تحقيق رهانات (مصالح) معينة.

خلال هذا التنافس، يتم توظيف مجموعة من الرساميل، منها ما هو مادي ومنها ما هو اجتماعي (مثل شبكة العلاقات الاجتماعية)، ومنها ما هو ثقافي (مثل الرصيد المعرفي والشواهد التعليمية)، وتعد مختلف هذه الرساميل شكلا من أشكال السلطة. يتميز الحقل عند بورديو بمجموعة من الخصائص، فهو مجال للصراع، مستقل نسبيا، يشتمل على لعبة من العلاقات الموضوعية المنظمة في قواعد وأعراف، يقوم بالتوليد المستمر للتمايز، والذي غالبا ما تبقى كفته راجحة لصالح الفئات المهيمنة بفضل توفرها على هابيتوس ورساميل يسمحان لها بذلك.

حاولت سوسيولوجيا بورديو التوليف بين ثنائيات ضدية على المستويين النظري والمنهجي، فسعى مثلا للتوفيق بين الذاتية والموضوعية، وبين المناهج الكمية والمناهج الكيفية، وهو ما جعله ينهل من مجموعة من الروافد الفكرية خاصة الأفكار الماركسية (فكرة الصراع والطبقية)، السيميائية (الرأسمال الرمزي)، أفكار إيميل دوركايم (تأثير البنية والتنشئة الاجتماعية)، أفكار ماكس فيبر (نظرية الألعاب) وغيرها.

المبحث الثاني:

سوسيولوجيا الممارسات الثقافية،

من الإرهاصات إلى التطور

عند دراسة الأدبيات المهتمة بنشأة علم اجتماع الثقافة، وجدتُ اختلافا في طريقة تناولها لهذا الموضوع. فمنها من تنطلق من مؤسسي علم الاجتماع الغربي، ومنها من تتناول إسهام حقول فكرية أخرى ساهمت في تأسيس هذا الفرع من علم الاجتماع (خاصة فيما يتعلق بسوسيولوجيا الفن)، ومنها أيضا من اختارت الانطلاق من محطات أخرى. في نهاية المطاف، يضفي هذا التنوع غنى على هذا الموضوع، وهو ما يدعوني إلى تركيبه وفق المحاور التالية:

1- إرهاصات فلاسفة الجماليات ومؤرخي الفن

من بين المؤلفين الذين كتبوا حول تأسيس سوسيولوجيا الثقافة، تبرز عالمة الاجتماع الفرنسية ناتالي إينيك Nathalie Heinich المتخصصة في الحقل الفني، وقد اعتبرت في كتابها "سوسيولوجيا الفن" أن تأسيس هذا الفرع من علم الاجتماع قد مر بثلاثة أجيال يتناسب كل واحد منها مع باراديغم معين، وهم: الفن والمجتمع عند جيل "الجمالية السوسيولوجية"، الفن في المجتمع عند "جيل التاريخ الاجتماعي للفن"، ثم الفن كمجتمع عند "جيل سوسيولوجيا التحقيق والتحري".

سأورد فيما يلي دور فلاسفة الجماليات ومؤرخي الفن في نشأة علم اجتماع الفن من خلال التطرق إلى إسهام ما اعتبرته ناتالي إينيك الجيلين الأول والثاني من هذا الاتجاه، على أن أعود بعد ذلك إلى إسهام الجيل الثالث أثناء تناولي للأعمال السوسيولوجية والأنثروبولوجية في هذا الاتجاه.

عرفت دراسة التاريخ الثقافي مجموعة من التراكمات يمكن اعتبارها بمثابة التباشير الأولى لنشأة سوسيولوجيا الفن، وترجع ناتالي إيتيك ظهور هذا التيار المهتم بالتاريخ الثقافي إلى القرن التاسع عشر بأوربا. غير أنه بالعودة إلى المعرفة التاريخية، أجد أن التاريخ الثقافي للفن قد انطلق منذ قرون عديدة وعند حضارات قديمة (مثل الحضارة الصينية، الحضارة الرومانية والحضارة الإسلامية)، ولعل ذلك من مظاهر الاثنومركزية الأوربية التي تحاول إرجاع كل العلوم إلى القارة الأوربية.

لم يخل هذا التاريخ الثقافي من اهتمام بالجانب الاجتماعي خاصة في كتابات الإنجليز والفرنسيين، بل إن من أعلامه من تم إلحاقهم بسوسيولوجيا الفن، وهو الأمر الذي قام به بيير بورديو مع المؤرخ الألماني إرفين بانوفسكي. تجلى إسهام هذا الأخير في إبراز أنه لا يمكن إقامة حد فاصل بين تاريخ الفن وعلم الاجتماع. بالإضافة إلى ذلك، فقد ميز في تحليل الصورة بين المستوى الايقوني (التشكيلي)، المستوى الإيقونوغرافي المرتبط بالمصطلحات التصويرية التي تسمح بالتعرف إلى الصورة وتحديد صفاتها، ثم المستوى الإيقونولوجي الذي يتم فيه الربط بين العمل الفني والسياق الثقافي والاجتماعي[43].

مثلما تأثرت نشأة سوسيولوجيا الفن بالتاريخ الثقافي، فقد تأثرت أيضا بعلم الجماليات، وقد كان هذا الأخير فرعا من فروع الفلسفة إلى أن حقق استقلالا بذاته. تمحورت أهم أغراض علم الجماليات حول دراسة العلاقة بين الأعمال الفنية ومؤلفيها، وتحتل مسألة القيمة الجمالية للعمل الفني في هذه العلاقة مكانة خاصة. غير أن هذه المقاربة بدأت تتغير مع إدخال عدد من مفكري الجماليات بعدا آخر في التفكير في الفن، ألا وهو بعد "المجتمع". مع هذه الإضافة، تحقق قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها تمييز بين ما يمكن تسميته ب"الجماليات الكلاسيكية" و"الجماليات السوسيولوجية"، وهو الجيل الأول الذي تحدثت عنه ناتالي إينيك[44].

كان لهذا التغير جذور فكرية في السابق، من بينها محاضرة ألقاها نوربرت إلياس أظهر من خلالها أن تطور الهندسة المعمارية القوطية l'architecture gothique (التي تميزت بارتفاع كنائسها) لم يكن نابعا من حوافز روحية، بل كان بفعل التنافس بين المدن من أجل التميز وجعل كنائسها ظاهرة من مسافات بعيدة. هكذا، لم يعد التأويل مرتبطا بعوامل داخلية في الفن أو بعوامل دينية، بل امتد هذا التفكير إلى عوامل خارجية عن الفن (الجوانب المادية والدنيوية)[45].

---

[43] اينيك. ناتالي، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 31

[44] المرجع السابق، ص. 34

[45] المرجع السابق، ص. 39

بالإضافة إلى ذلك، أكد الفيلسوف الفرنسي هيبوليت تاين Hyppolite Taine أن الفن والأدب يتغيران حسب العرق، البيئة والعصر. وفي نفس الاتجاه، ساهم شارل لالو Charles Laloفي وضع أسس الجمالية السوسيولوجية مميزا في الوعي الجمالي بين الوقائع غير الجمالية (كموضوع العمل الفني) والوقائع الجمالية (الخصائص التشكيلية للعمل الفني)، وقد ترك لالو أثرا قويا بقوله: "إننا لا نعجب بلوحة فينوس vénus للفنان ميلو Milo لأنها لوحة جميلة، بل هي لوحة جميلة لأننا نعجب بها"، وهو نفس المنطق الذي ساقه مرسيل موس حينما جعل فاعلية العمل السحري نتيجة إيمان السكان المحليين بقدرات الساحر وليس نتيجة العكس[46].

تبلورت هذه الجمالية السوسيولوجية بشكل جلي في الفكر الماركسي المعروف باعتماده على التحليل المادي، خاصة مع المفكر الروسي جورجي بليخانوف الذي اعتبر أن مهمة النقد الأدبي تتمثل في ترجمة علاقات نفسية بين شخصيات القصص والمسرحيات إلى علاقاتها الاجتماعية الطبقية المقابلة، أو ما دعاه "معادلها السوسيولوجي"[47].

انعكست هذه المقاربة في الدراسات النقدية للأدب، إذ تحدث المفكر المجري جورج لوكاتش Georg Lukács عن مظاهر الصراع بين البروليتاريا والبورجوازية في الأعمال الأدبية. في حين، تطرق عالم اجتماع الأدب لوسيان غولدمان Lucien Goldman في كتابه "الإله الخفي" إلى هذه العلاقة الصراعية من خلال مفهوم استُعمل من قبل من طرف المفكر الألماني فيلهلم ديلثي Wilhelm Dilthey، ويتعلق الأمر بمفهوم " الرؤية للعالم" التي تحضر في أعمال الأدب والفلسفة، حيث يصوغها الفرد (المؤلف)، لكنها في واقع الأمر بناء يعبر عن نمط من تفكير جماعي يحكم مجتمعا ما في ظرفية معينة[48]. بعبارة أخرى، هناك تماثل في البنية بين التنظيم الداخلي للعمل الأدبي وبنية العلاقات الاجتماعية. هكذا،

---

[46] TRIPIER-MONDANCIN. Odile et SARRAIL. Jean-Noël, (1996), « Éducation musicale et Créativité ». in: Actes de congrès national, Association des Professeurs d'Education Musicale en Haute-Garonne, Toulouse, p. 49.

[47] هارينتغتون. أوستن، (2014)، الفن والنظرية الاجتماعية، نقاشات سوسيولوجية في فلسفة الجماليات، ترجمة حيدر إسماعيل، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 112.

[48] HEYNDELS. Rudolph, (1977), « Étude du concept de vision du monde : sa portée en théorie de la littérature ». (133-140), In: L'Homme et la société, N. 43-44, L'Harmattan, Paris, p.134

أظهر المفكرون الاشتراكيون كيف أن الحياة اليومية في المجتمع الفرداني الموجه نحو الاستهلاك يتم إسقاطها على الشكل الروائي. بهذا، تكون الرواية التقاء بين الفرد والجماعة، كما تكون في الوقت ذاته بمثابة وصف يجسد الوقائع الاجتماعية[49].

بالإضافة إلى هذا التيار الماركسي، ظهر خلال عقد الثلاثينات اتجاه آخر في إطار هذه الجمالية السوسيولوجية، لكنه يحمل روحا مختلفة عن الماركسية التقليدية، فسمي بالماركسية الجديدة le néo-marxisme، ويتعلق الأمر بالمفكرين الألمان لمدرسة فرانكفورت. من بين ما انشغل به هؤلاء المفكرون هو علاقة المجتمع والفن، وقد تميزوا بتركيزهم على البعد السياسي في المجتمع. كما رأوا أيضا أن الفن يخضع فعلا لمؤثرات خارجة عنه، لكنه بالمقابل يمتلك قوة تحريرية من الاستيلاب l'aliénation، الجمهرة la massification والشعبوية le populisme، وهي الأفكار التي عبّر عنها كل من أدورنو Adorno ووالتر بنيامين Walter Benjamin[50].

أما بخصوص الجيل الثاني، أي جيل التاريخ الاجتماعي، فقد ظهر مع بداية سنوات الخمسينات، وتعتبر ناتالي إينيك أن اعتماد هذا التيار لمناهج التاريخ لدراسة الفن في المجتمع تم باللجوء إلى التحقيق الميداني الذي لا ينطلق من الفكر الإديولوجي النظري كما كان يحدث في السابق. وقد أبرز مؤرخ الفن الإنجليزي فرانسيس هاسكل Francis Haskell كيف تتشكل أسعار اللوحات الموجهة إلى طبقة الأثرياء، وأكد أن الميل إلى الواقعية يتزايد مع دمقرطة الجمهور.

في نفس السياق، درس كل من برنار تايسدر Bernard Teyssèdre والزوجان هاريسون وايت وسينثيا وايت كيفية تأثير التنظيم الإداري وثقافة المؤسسة على الأساليب والاتجاهات الفنية لفن الرسم في فرنسا. بالإضافة إلى العوامل المؤسساتية، ركز آخرون على السياق الاجتماعي، إذ أوضح الأمريكي ميلارد ميس Milard Meiss أن وباء الطاعون الذي انتشر في القرن الرابع عشر كان سببا في إنتاج الرسم في منطقة " توسكانا "

[49] PEQUIGNOT. Bruno, (2007), La question des œuvres en sociologie des arts et de la culture, coll. Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.128.

[50] اينيك. ناتالي، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 47

الايطالية، مشيرا إلى عودة الإيمان الديني الذي رافق موجة الوباء واستغلال التيار المحافظ لنزعة التدين هذه من أجل محاربة الفن الإنسي[51].

2- سوسيولوجيا الفن عند مؤسسي علم الاجتماع الغربي: دوركايم، فيبر وسيمل

لم تكن البدايات الأولى لتشكل الحقل السوسيولوجي حافلة بكثير من الاهتمام حول المعنى التخصيصي لمفهوم الثقافة مقارنة بالعناية الذي تم ايلاؤها لمعناه الشمولي وما يحتويه من عناصر من قبيل التمثلات، القيم، العلاقات الدينية، الخ. وقد تفاوتت درجة هذه الأهمية بين هؤلاء الرواد الأوائل وتم الاختلاف بشأنها بين كتّاب سوسيولوجيا الفن. ففي حين تصف ناتالي إينيك (في كتابها السالف الذكر) إسهام الرواد بالهزيل، ينتقدها برونو بيكينيو Bruno Péquignot في مقال له معلنا أن هذا الفقر في تناول موضوع الفن لم يكن بالتواضع الذي وصفته اينيك[52].

يورد لوران فلوري Laurent Fleury في كتابه "علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية"[53] أن ما يمكن ذكره بالنسبة إلى دوركايم هو بضع صفحات تشير إلى فائدة التربية الفنية في كتابه "التربية الأخلاقية" [54]، ثم إشارته إلى طبيعة الفن "المستعصية إطلاقا على كل ما يشبه الإلزام" (طبيعة مقاومة وتحررية) من خلال مقارنته بالأخلاق la morale في كتاب "تقسيم العمل الاجتماعي"[55].

يبدو أن علاقة إيميل دوركايم بالمسالة الجمالية بشكل عام وبالفن بشكل خاص قد اتسمت بشيء من النفور، يظهر ذلك من خلال بعض مواقفه، إذ يقول في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي" أن تطورا غير معتدل للملكات الجمالية هو من الأعراض الخطيرة من الناحية

---

[51] اينيك. ناتالي، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 58

[52] PEQUIGNOT. Bruno, (2004), «Un débat autour du livre de Nathalie Heinich: Sociologie de l'art, La Découverte Coll. Repères, Paris, 2001», (147-193), in: Sociologie de l'Art, OPuS 3, L'Harmattan, Paris, p.183.

[53] فلوري. لوران، (2014)، علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية، ترجمة علي نجيب إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ص.15.

[54] دوركايم. ايميل، (2015)، التربية الأخلاقية، ترجمة السيد محمد بدوي، سلسلة ميراث الترجمة، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص.261

[55] دوركايم. اميل، (1982)، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة حافظ الجمالي، الطبعة الأولى، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ص.66.

الأخلاقية، ويعيد نفس الفكرة في كتابه حول "التربية الأخلاقية" حين يعلن عن وجود تضاد antagonismeبين الفن والأخلاق.

لم يقتصر هذا الفتور في العلاقة بالفن على دوركايم لوحده، بل خص أيضا أتباعه الدوركايميين، فمساهمة كل من مارسيل موس Marcel Mauss وهنري هوبير Henri Hubert في قسم "السوسيولوجيا الجمالية" sociologie esthétique ضمن مجلة "حولية علم الاجتماع" L'Année sociologique لم تكن غزيرة بما يكفي رغم أن هوبير كتب لاحقا أن الفن يجب أن يحتل موقعا مهما في إطار نظرية عامة للتمثلات الجماعية[56].

في نفس الاتجاه، نجد في كتاب مارسيل موس Manuel d'ethnographie (ضمن الفصل الخامس الذي يحمل عنوان "جمالية" Esthétique)، تناولا لموضوع الجماليات لكن في إطار دراسته لتقنيات الجسد. ويتطرق موس من خلال هذا الفصل إلى مسألة تعريف حدود الفن مؤكدا على صعوبة التمييز بين تقنية الفنون والدين، علما أن إطار أبحاثه تركز حول المجتمعات التقليدية التي تتميز بارتباط وثيق بالدين. كما أن موس كان يوصي بدراسة السياقات التي تحيط بالأشياء الاثنوغرافية les objets ethnographiques، بما في ذلك السؤال حول ما الذي يجعل شيئا ما يعتبر فنا في مجتمع معين[57].

أما ماكس فيبر، فقد تناول سوسيولوجيا الفن بشكل يغلب عليه طابع التشظي والتشتت عبر إشارات عديدة لم يتم التعمق فيها، وذاك في إطار التفكير في المواضيع التي اشتهر بها مثل العقلانية والدين. بخصوص الموضوع الأول، تطرق فيبر إلى الموسيقى من حيث تطور لغتها وتقنيات آلاتها، كمظهر من مظاهر التطور والعقلانية في أوربا. أما فيما يتعلق بالموضوع الثاني، فقد تناول فيبر العلاقة التي تجمع بين الفن والدين، سواء تعلق الأمر

[56] PEQUIGNOT. Bruno, (2004), «Un débat autour du livre de Nathalie Heinich: Sociologie de l'art, La Découverte Coll. Repères, Paris, 2001», (147-193), in : Sociologie de l'Art, OPuS3, L'Harmattan, Paris, p.183.
[57] Idem, p.184

بعلاقات التوتر أو بعلاقات التقاطع. في هذا الإطار، يتحدث فيبر عن الارتباط الذي أقامه المذهب البروتستانتي مع الموسيقى ليجعل منها جزءا من الصلاة في الكنيسة[58].

في دراسته لهذه الارتباطات بين الفن والمجتمع، يعبر فيبر عن عدم اتفاقه مع الحتمية التي يفسر بها الماركسيون هذه العلاقة. وفي مقال له حول موضوع الحياد القيمي في العلوم الاجتماعية والاقتصادية، يعالج فيبر موضوع القيم ويوضح ضرورة تجنب التركيز على الجانب الجمالي فقط خلال دراسة موضوع الفن، ملتقيا في هذه النقطة مع المذهب البراغماتي الذي دعا إليه الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس.

فيما يخص جورج سيمل، فقد أنجز هو الآخر مجموعة من الدراسات حول الموسيقى والموضة والنحت والرسم. من بين هذه الكتابات هناك مقال له يحمل عنوان " دراسات نفسية وإثنولوجية حول الموسيقى"، يعتبر فيه هذه الأخيرة تعبيرا عن طبيعة المجتمع وعن شكل العلاقات بين الأفراد وأنماط التواصل[59]. زيادة على ذلك، يعتبر جورج سيمل الفن أداة للفرد في تشكيل ثقافته الذاتية وتحرير وعيه من " مأساة " الحداثة وتناقضاتها[60].

بخصوص ماكس فيبر وجورج سيمل، أعتقد أن هناك عوامل ذاتية وموضوعية ساعدت على تناولهما لموضوع الفن وإن بشكل غير موسع، فكلاهما كانت له ثقافة فنية كبيرة وكلاهما ينتميان إلى الحضارة الألمانية المعروفة تاريخيا بالتقليد المثالي والرومانسي الذي يعلي من شأن الفنانين والأدباء.

3- إسهام فرانكاستل، باستيد، ودوفينيو

باستثناء بيار فرانكاستل Pierre Francastel الذي راج حوله اختلاف بخصوص انتمائه إلى سوسيولوجيا الفن أو إلى التاريخ الاجتماعي للفن، يمكن القول إن الانطلاقة

---

[58] فيبر. ماكس، (2013)، "الأسس العقلانية والسوسيولوجية للموسيقى"، ترجمة حسن صقر، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص.14.

[59] SILBERMANN. Alphons, (1968), « Situations et vocation de la sociologie de l'art », (617-639), in : Revue Internationale des sciences sociales, Vol XX, N°4, UNESCO, Paris, p. 626.

[60] PEDLER, Emmanuel. (2010), «Les sociologies de la musique de Max Weber et Georg Simmel: une théorie relationnelle des pratiques musiciennes», (305-330), in : L'Année sociologique, vol. 60, no. 2, Presses Universitaires de France, p.319.

الحقيقية لسوسيولوجيا الفن حدثت مع جيل روجي باستيد Roger Bastide وجان دوفينيو Jean Duvignaud وبعض معاصريهم، وهو الاتجاه الذي اهتم به السوسيولوجي برونو بيكينيو وناتالي إينيك، وسمته هذه الأخيرة بالجيل الثالث الذي يعتمد باراديغم الفن كمجتمع، كما أنه ارتكز على البحث الميداني في بعده السانكروني (وليس على التحليل الاجتماعي في الماضي كما حدث مع التاريخ الاجتماعي للفن)، مستفيدا أيضا من التقدم الذي بلغه علم الاجتماع وباقي حقول العلوم الاجتماعية، سواء فيما يخص الجانب المنهجي أو من ناحية التطور المعرفي الذي عرفته مختلف التخصصات.

بهذا، أصبح علم اجتماع الفن تخصصا قائما بذاته ومستقلا عن الحقول التي انبثق منها. لكن مع ذلك، أشير إلى أن هذا الجيل أو غيره ما كان له أن يظهر ويدلي بدلوه في تطور علم اجتماع الفن لولا التراكم والجدلية الذيْن سبقاه من قبل (سواء في حقلي الفلسفة أو التاريخ أو حقول أخرى)، وهو المبدأ (التراكم والجدلية) الذي ينسحب على تاريخ العلوم في مجمله.

برز إسهام المؤرخ الفرنسي بيار فرانكاستل بشكل مهم في بلورة علم اجتماع الفن، ورغم أن مجال اشتغاله الأول هو علم التاريخ، فإنه لم ينحصر في التاريخ التشكيلي والأسلوبي للفن. وبتركيزه على الجانب الاجتماعي من تاريخ الفن، أصبح فرانكاستل أقرب إلى المدرسة التاريخية الفرنسية "الحوليات" les Annales التي كانت تعتني أيضا بتاريخ الأحداث الصغرى والأحداث المحلية (الميكرو- تاريخ la micro-Histoire).

رأى فرانكاستل أن الفن ليس مجرد انعكاس للمجتمع مثلما يقول الماركسيون التقليديون، بل هو بناء يؤثر في الواقع و يصنع الرؤية إلى العالم. وجدير بالذكر، أنه وقع اختلاف حول سوسيولوجية فرانكاستل، فبالنسبة إليه، فقد ألحق نظريته بعلم الاجتماع وسماها باسم "السوسيولوجيا التاريخية المقارنة"، كما أنه كان أول من شغل كرسي

سوسيولوجيا الفنون بالمدرسة العملية للدراسات العليا بفرنسا، بل وأثر بشكل قوي على عدد من السوسيولوجيين مثل جان دوفينيو Jean Duvignaud وغيره[61].

بالمقابل، ورغم هذا التركيز على الجانب الاجتماعي، إلا أن ناتالي إينيك تعتبر أن أبحاث بيير فرانكاستل تعوزها منهجية البحث السوسيولوجي والمفاهيم الأساسية الخاصة بهذا الفرع المعرفي. وتلك أيضا حال الاتجاهات الأساسية التي ظهرت من قبل، حيث كانت تتجاهل مفهوم تقسيم المجتمع إلى فئات وطبقات، فالمجتمع لا يكون كلا واحدا بل مركبا من جماعات وأوساط مختلفة. ومن دون تلك المفاهيم السوسيولوجية الأساسية، تصبح الوقائع التي يقال إن الفن يحيلنا إليها وقائع ذات طبيعة ثقافية بالمعنى الواسع للكلمة، أكثر مما هي وقائع اجتماعية بالمعنى السوسيولوجي[62].

فيما يخص روجيه باستيد Roger Bastide، فقد استفاد من مزاوجته بين البحث في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، لاسيما أبحاثه في أمريكا اللاتينية حيث قضى فترة مهمة في البرازيل. ويعتبر كتابه "الفن والمجتمع" محطة بارزة في تأسيس سوسيولوجيا الفن من خلال تمييزه بين ثلاث مباحث أساسية في هذا الميدان، والتي يمكن أن أرتكز عليها في تعريف علم اجتماع الفن بكونه: ذلك الفرع من علم الاجتماع الذي يبحث في إنتاج الأعمال الفنية، في الوساطات التي تنقلها وفي تلقي هذه الأعمال وما ينتج عن ذلك من آثار وتفاعلات.

من بين المبادئ التي شدد عليها باستيد لترسيخ علمية سوسيولوجيا الفن هو تجنب النزعة المعيارية التي عُرفت بها الجماليات. يقول باستيد في هذا الكتاب إن "السوسيولوجيا علم وصفي وليس له أن يشرع القوانين"، أي أن يضع المعايير الجمالية[63]. كما دعا أيضا إلى تجنب الأحكام المسبقة وعدم الخلط بين وجهة النظر السوسيولوجية (وهي علمية محضة وتنطلق من الوقائع الميدانية) ووجهة النظر الفلسفية المؤسسة قبلا.

---

[61] BERA. Matthieu et LAMY. Yvon, (2008), Sociologie de la culture, 2ème édition, Armand Colin, Paris, p. 19.

[62] اينيك. ناتالي، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 53

[63] BASTIDE. Roger, (1997), Art et société, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.129.

إن هذا التمييز بين المنظور السوسيولوجي والمنظور الفلسفي يجب أن يكون حاضرا في وعي الباحث، فقد يتم المرور بين هذا المستوى وذاك بشكل غير واع ويتم الاعتقاد بالقيام بالعلم، في حين أن الأمر لا يعدو أن يكون طرحا لتصورات حول الفن. يسوق روجي باستيد مثالا على هذا الأمر، وهو كتاب المفكر الكندي جان ماري كويو Jean-Marie Guyau الذي يحمل عنوان "الفن من منظور سوسيولوجي"، لكنه في واقع الأمر يعالج موضوع الفن من وجهة نظر الفلسفة الاجتماعية[64].

يتبنى روجيه باستيد نظرية قريبة إلى نظرية جان دوفينيو Jean Duvignaud مفادها أن الفرد المبدع يتوجه بطريقة مطردة نحو الاستقلالية والتحرر من تأثير الجماعة التي ينتمي إليها، إن هذه الاستقلالية المتزايدة للفرد توازيها استقلالية أخرى للفن عن حاجات المجتمع ورغباته، فما دام الفن خاضعا لسلطة الحاجات والشغف فلن يكون هناك فن بمعنى الكلمة. ومن دون شك، فهناك حاليا وجود للجمال غير أنه ليس كافيا بحد ذاته، إذ أنه خاضع لأهداف خارجية عنه (المجتمع). وعليه، فلن يولد الفن حقا إلا إذا كان مكتفيا بذاته، فكما يقول بالدوين Baldwin فالفن نشاط ذاتي الغائية والتحقق autotélique. تشكل هذه المسألة نقطة الاختلاف بين روجيه باستيد وعدد كبير من السوسيولوجيين المختصين في حقل للفن أو الذين تناولوا موضوع الفن في إطار مواضيع أخرى[65].

تقودني هذه الأطروحة إلى مساءلة ونقد هذه الفكرة التي طرحها روجيه باستيد والمرتبطة بفرضية استقلالية الفن عن المجتمع، وهو ما يدفعني أيضا إلى التفكير حول ماهية الفن وحول طبيعته. والنتيجة، أنني أعتقد أن هذا الأخير لا يمكن أن تقوم له قائمة وأن يتحقق له وجود في معزل عن المجتمع. فالفرد كمنتج للفن وكمبدع له، مهما بلغ من الاستقلالية والتحرر من الجماعة، يظل بشكل واع أو غير واع متأثرا نسبيا بمحيطه الاجتماعي وبآثار تجربته الذاتية.

---

[64] BASTIDE. Roger, (1997), Art et société, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.180.

[65] PEQUIGNOT. Bruno, (2007), La question des œuvres en sociologie des arts et de la culture, coll. Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.132

أرى أيضا أن هذه النسبية في التأثر تختلف من فرد إلى آخر دون أن تنفي مساحة الحرية الفردية، من هنا برزت واحدة من أهم الإشكاليات في السوسيولوجيا، إن لم نقل أهمها على الإطلاق، وهي إشكالية علاقة الفعل (الفرد) بالبنية (المجتمع). وعليه، أرى أن افتراض هذه الحالة أو الدعوة إليها هو أقرب إلى منطق علم الجماليات منه إلى علم الاجتماع، كما أنه ضرب من ضروب المثالية غير القابلة للتحقق على أرض الواقع.

من بين الانتقادات الأخرى التي جاء بها روجيه باستيد، هو تمييزه بين إسهام كارل ماركس في تناوله للفن وإسهام غيره من الماركسيين. فإذا كان ماركس يرى أن الفن هو انعكاس للبنية الاقتصادية، فإن جورج لوكاتش قد انحرف عن ذلك بإدخاله لمفهوم وسيط بين الفن والبنية الاقتصادية وهو مفهوم الرؤية للعالم، الذي حوره لوسيان كولدمان إلى مفهوم البنية.

أما جان دوفنيو، فقد ساهم في تطور حقل علم اجتماع الفن باشتغاله على حقل المسرح وطقوس الحفلات، كما اشتهر في نفس الوقت بنشاطه في الميدان الأكاديمي من خلال تأسيس شعبة متخصصة في سوسيولوجيا الثقافة بجامعة باريس الرابعة. وهي البنية المؤسساتية التي تخرج منها العديد من الفاعلين الثقافيين الذين تركوا أثرا في تطور الشأن الثقافي بفرنسا، خاصة فيما يتعلق بالسياسات الثقافية بهذا البلد.

أصدر دوفنيو كتابا سنة 1967 عنونه ب"سوسيولوجيا الفن"، وقد ضمنه تركيبا لأهم أفكاره واسترجع فيه بعض المفاهيم الكلاسيكية مثل مفهوم الأنومي عند دوركايم. يعلن دوفينيو في هذا المؤلف أن توجس الفنانين من علماء اجتماع الفن أمر مشروع ويمكن تفهمه. فبالنسبة إليه، كما بالنسبة إلى بيير فرانكاستل، يفوت أغلب السوسيولوجيين الوقوف على ما يشكل جوهر وخصوصية كلا من الأعمال الفنية والفنانين عبر تركيزهم على ربط التجربة الشخصية للإبداع بتحليل البعد الجماعي في المجتمع.

لذلك، يدعو جان دوفنيو إلى سوسيولوجيا تأخذ بعين الاعتبار تجربة الإبداع لكن مع وضعها في سياق الديناميات الاجتماعية، وهي سوسيولوجيا تحاول أن تبحث في أشكال

تجذر المخيال في التجربة الجماعية دون دوغمائية أو حذلقة، وهو ما يتطلب وعيا ابستيمولوجيا لدى الباحثين في هذا المجال[66].

يتكشف التأثير الابستيمولوجي للفيلسوف الفرنسي جاستون باشلار Gaston Bachelard على أعمال جان دوفينيو من خلال نقد هذا الأخير لأربع نزعات فكرية. يتجلى الموقف الأول عبر نقده للمثاليين في كون العمل الفني ليس نتاجا للجمال المطلق، حيث أن ذلك من شأنه أن يعزل هذا المنتوج الفني عن سياق إنتاجه الاجتماعي. أما النقد الثاني، فقد خص التطورية التي تقع في المفارقات التاريخية l'anachronisme بإسقاط منطق التحليل والفكر المعاصر على الماضي.

في حين، وجه نقده الثالث إلى الطبيعية le naturalisme التي ترى في الفن محاكاة للطبيعة، وهي المحاكاة التي تؤول بشكل مزدوج من جهة المؤلف ومن جهة المجتمع أيضا. أما نقده الرابع، فيُبعد الارتباط الكلاسيكي بين الدين والفن الذي يشكل هو الآخر عائقا ابستيمولوجيا في إدراك اندماج العمل الفني في تجربته الجماعية[67].

4- السياسات الثقافية بفرنسا وعلاقتها بعلم اجتماع الثقافة

4-1 إسهام السياسات الثقافية بفرنسا في استكمال تأسيس علم اجتماع الثقافة وتطوره

عرفت سوسيولوجيا الممارسات الثقافية دفعة قوية بفضل تأثير السياسات الثقافية الفرنسية، وتشكل هذه الحالة تفردا فرنسيا بارزا يعبر من جهة أولى عن الأدوار البناءة التي يمكن أن يلعبها الفعل السياسي في تطور العلوم الاجتماعية، ويعبر من جهة ثانية عن الدور التي يمكن أن يلعبه البحث العلمي بشكل عام وعلم الاجتماع بشكل خاص في بناء السياسات واتخاذ القرارات. ولطالما كانت العلاقة بين الأنظمة السياسية والحقل السوسيولوجي مشوبة بالتنافر والانفصال، وقد يكون مرد ذلك إلى الطبيعة النقدية لهذا الفرع من العلوم الاجتماعية. وكمثال على هذه العلاقة، شبه المخرج الفرنسي بيير كارل Pierre Carles السوسيولوجيا

[66] PEQUIGNOT. Bruno, (2007), La question des œuvres en sociologie des arts et de la culture, coll. Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.135.
[67] Idem, p.136

في فيلمه الوثائقي الصادر سنة 2001 بالرياضة القتالية « La sociologie est un sport de combat »[68].

تشكل بداية السياسات الثقافية في فرنسا مثار اختلاف بين السوسيولوجيين، فبالنسبة إلى فانسو دوبوا Vincent Dubois، فقد تأسست هذه السياسات منذ نهاية القرن التاسع عشر حيث عمدت الجمهورية الثالثة في بداياتها إلى إقرار إدارة مستقلة كانت هي الأساس الذي قامت عليه لاحقا السلطات الحكومية المكلفة بتدبير الشأن الثقافي. أما بالنسبة إلى فيليب اورفالينو Philippes Urfalino، فهي تنطلق سنة 1959 الموافقة لتأسيس وزارة الشؤون الثقافية الفرنسية برئاسة الوزير اندري مالرو André Malraux[69]. في حين أن هناك من قد يعتبر أن اهتمام الدولة الفرنسية الحديثة بالثقافة والفنون أقدم من ذلك، نظرا للطبيعة العلمانية للدولة التي يصبح فيها للفن وللفنانين منزلة تساوي أو تفوق منزلة الدين ورجاله.

رغم هذا الاختلاف، فغالبا ما تعود الأدبيات إلى سنة 1959 حينما تريد تناول العلاقة بين السياسات الثقافية وعلم اجتماع الثقافة. كانت فرنسا تعرف خلال هذه المرحلة ضعفا فيما يخص وضعية التنمية الثقافية، تجلى ذلك في ضعف المرافق الثقافية وقلة ارتيادها من طرف الجمهور (وهو ضعف نسبي بطبيعة الحال إذا ما قورن بدول أخرى مثل مستعمراتها آنذاك)، فقد كان هناك مسرح فرنسي واحد يسمى لاكوميدي فرانصيز la Comédie Française، وخمس مراكز درامية وطنية، وكان مبنى اللوفر le Louvre يضم بداخله وزارة المالية، فيما كان قصر فيرساي Versailles عبارة عن فندق. في الجانب الإعلامي، لم تكن هناك إلا محطة تلفزية واحدة[70]، وينضاف إلى ذلك وجود تفاوتات طبقية من ناحية الإقبال على الممارسات الثقافية.

[68] TRUC. Gérôme, (2002), «La sociologie est-elle un sport de combat ? L'image du sociologue en Pierre Bourdieu», (63-88.), in: Terrains et travaux, n°3, Ed ENS Paris-Saclay, Paris, 2002/1. p.63.
[69] PEQUINOT. Bruno, (2009), Sociologie des arts, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p. 16
[70] DETREZ. Christine, (2014), Sociologie de la culture, coll. Cursus sociologie, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p. 14.

بالموازاة مع هذه المشاكل، كانت الظرفية السوسيواقتصادية تعرف انتعاشا مهما لم يقتصر فقط على فرنسا بل شمل عددا من الدول المتقدمة[71]، وهو ما سمي بسنوات les Trente Glorieuses التي امتدت من سنة 1945 إلى سنة 1973. خلال هذه الفترة عرفت فرنسا تمددا في الوقت الحر لمواطنيها وارتفاع كل من مستوى الدخل والتعليم، وهو ما كان مناسبا لجعل الفرد يحقق ذاته من خلال الهوايات والممارسات الثقافية في إطار المؤسسات والمرافق الثقافية[72].

أمام هذه الظروف، وضعت وزارة الثقافة الفرنسية سياسية ثقافية قائمة على دمقرطة الثقافة بهدف تشجيع ولوج أكبر عدد من المواطنين للأعمال الثقافية الكبرى حتى يتسنى تقليص الفوارق الثقافية وتشجيع الإبداع ونشر الثقافة. تم الشروع في تنزيل هذه الاستراتيجية بتشكيل "لجنة التجهيزات الثقافية والتراث الفني" سنة 1961، حيث دعت هذه الأخيرة إلى القيام بإحصائيات ثقافية بغية توفير المعطيات اللازمة لبناء المخططات الثقافية.

في سنة 1963 تم خلق "مصلحة الدراسات والأبحاث" بهدف دراسة جماهير الثقافة والتعرف على خصائصها الاجتماعية حسب إحصائيات علمية، وذلك تحت إشراف جيرار اوغستان Girard Augustin الذي كان دائما يؤكد على دور العلوم الاجتماعية في تأسيس السياسات الثقافية[73]. بمجرد تأسيسها، طلبت مصلحة الدراسات والأبحاث من بيير بورديو وألان داربل Alain Darbel القيام ببحث ميداني حول ارتياد المتاحف في أوربا، وهو البحث الذي أسفر سنة 1966 عن إصدار المؤلفين لكتاب حمل عنوان "حب الفن" « L'amour de l'art »[74].

---

[71] COULANGEON. Philippe, (2005), Sociologie des pratiques culturelles, 1ère édition, La Découverte, Paris, p.3.

[72] DETREZ. Christine, (2014), Sociologie de la culture, coll. Cursus sociologie, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p. 14

[73] DONNAT. Olivier, (2003), présentation, (9-37), in : Regards croisés sur les pratiques culturelles, sous la direction de DONNAT Olivier, La Documentation française, Paris, p. 10.

[74] FLEURY. Laurent, (2007), « Le discours d'échec de la démocratisation de la culture : constat sociologique ou assertion idéologique ? », (75-99), in : Les usages de la sociologie de l'art, construction théoriques, cas pratiques, sous la direction de Sylvia Girel et Serge Proust, L'Harmattan, Paris, p.76.

ساعدت هذه الظروف السالفة الذكر على استكمال تأسيس سوسيولوجيا الثقافة في فرنسا على مستويين. فقد تجلى المستوى الأول في البناء المؤسساتي، حيث ارتبط تقدم علم اجتماع الثقافة بالتطور الذي عرفته هياكل وزارة الثقافة الفرنسية، وتجلى المستوى الثاني في التأسيس الفكري لعلم اجتماع الثقافة مع تبلور خطاب سوسيولوجيا بيير بورديو، وذلك بالتقاطع مع الأبحاث التي أجراها هذا الأخير مع كلود باسرون Claude Passeron حول موضوع التربية[75].

بالموازاة مع ذلك، استفادت سوسيولوجيا الثقافة في فرنسا من إسهامات البحث العلمي في دول أخرى، لاسيما الأبحاث الإحصائية الكبرى التي أقيمت على النمط الأمريكي مثل أبحاث بول لازارسفيلد Paul Lazarsfeld حول الآراء والمواقف[76]. بالإضافة إلى ذلك، تمت الاستفادة أيضا من مناهج البحث في العلوم الاقتصادية، إذ أضفت المناهج الكمية صفة العلمية على علم الاجتماع بعد أن كان متأثرا بتقليد علم الجماليات.

بالنسبة إلى عدد من السوسيولوجيين المهتمين بالممارسات الثقافية آنذاك مثل جوفر دومازوديي Joffre Dumazedier، فإن هذا التداخل بين العلوم الاقتصادية وعلم الاجتماع من أجل التنمية الثقافية قد أكسب هذا الأخير بعض "التحرر" مما اعتبره نظرة "تشاؤمية" لعلم الاجتماع، خاصة سوسيولوجيا بيير بورديو التي رأى أنها تركز على جوانب "سلبية" مثل الهيمنة والفوراق الاجتماعية، وذلك في مقابل الرؤية "التفاؤلية" لعلم الاقتصاد الذي يركز على التنمية، الإنتاج، الاستهلاك وتصنيف الموارد[77]. ويبقى أن أبرز ما قدمته السياسيات الثقافية الفرنسية إلى تطور علم اجتماع الثقافة هو نتائج الأبحاث الميدانية حول "الممارسات الثقافية للفرنسيين" les Pratiques Culturelles des Français.

---

[75] Fleury. Laurent, (2011), « Mesurer les pratiques culturelles : les enjeux épistémologiques et idéologiques des choix méthodologiques », (23-44), in: Nouveaux regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p. 25.

[76] Idem, p. 26

[77] Collectif, (1993), « Sciences sociales et politiques culturelles. entretiens avec Joffre Dumazedier et Augustin Girard », (57-77), in: Politix, vol. 6, n°24, Quatrième trimestre, Ed. De Boeck Supérieur, Paris. p.65.

2-4 خلاصات وحدود الأبحاث الميدانية حول "الممارسات الثقافية للفرنسيين"

من خلال سلسة الأبحاث الميدانية حول الممارسات الثقافية للمواطنين الفرنسيين سعت وزارة الثقافة الفرنسية إلى تحقيق هدف مزدوج: فمن جهة أولى، يسمح هذا الفعل بدراسة الجمهور لمعرفة كيفية التعاطي معه وإشباع حاجياته. ومن جهة ثانية، سيمكن ذلك من تتبع، تقييم وتعديل السياسات الثقافية التي تم بناؤها[78]. بعد أن انطلقت هذه السلسلة من الأبحاث منذ بداية السبعينات، جرى تنظيمها كل ثمان أو عشر سنوات بحيث تتطرق إلى مواضيع متنوعة لكن المحاور الأساسية تظل مركزة حول دراسة كيفية استعمال الوقت وحجم وكيفية الإنفاق على الممارسات الثقافية وأهمية التردد عليها.

هكذا جرى تنظيم هذه الحملات البحثية خلال السنوات: 1973؛ 1981؛ 1988؛ 1997؛ 2008، حيث كانت الحملتان الأولتان لسنة 1973 و1981 تحت إشراف أوغستان جيرار، بعد ذلك تولى الإشراف مساعده أوليفيي دونا Olivier Donnat[79]. بعد سنة 2008، تم الاستمرار في أبحاث ميدانية متخصصة لكن بشكل أقل حجما من النسخ الخمس السالفة. يشار إلى سنة 2018 عرفت تنظيم النسخة السادسة من هذه الأبحاث بهدف نشرها في إصدارات فردية وجماعية[80].

من بين ميزات هذه السلسلة من الأبحاث حرصها على الاحتفاظ بنفس الأسئلة الأساسية لتوفير الشروط والظروف اللازمة لعقد مقارنات عبر الزمن، مع العمل على التنقيح بأسئلة جديدة لرصد التغيرات الاجتماعية ومواكبتها، مثل التغيرات الناتجة عن ظهور الثقافة

---

[78] DUCRET. André et MOESCHLER. Olivier, (2011), « La sociologie à l'épreuve des pratiques culturelles et vice-versa », in: Nouveaux Regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p.14.

[79] DONNAT. Olivier, (2011), «Pratiques culturelles des Français »: une enquête de marginal-sécant, au croisement de la sociologie de la culture, des médias et des loisirs, (93-111), in: Le fil de l'esprit. Augustin Girard, un parcours entre recherche et action, Comité d'histoire du Ministère de la Culture et de la Communication, Paris, p. 93.

[80] Sur le site : https://www.cnis.fr/wp-content/uploads/2017/10/DC_2016_2e_reunion_DQS_AO_Pratiques-culturelles.pdf

الرقمية وتغير أنماط ممارسات الوقت الحر وتدبيره[81]. وقد مكنت مقارنة حملة سنة 1988-1989 مع الحملتين السابقتين من الوقوف على عدد من النتائج، من بينها :

- ❖ تاثير التحولات التكنولوجية في الحقل الاتصال السمعي البصري على الممارسات الثقافية، وتجلى ذلك على وجه الخصوص في الإقبال الكبير على الموسيقى ومشاهدة التلفاز (خاصة بعد سنة 1981)، مما أعاد طرح إشكاليات الثقافة الجماهيرية التي تم التطرق إليها مع مدرسة فرانكفورت ومع إدغار موران Edgar Morin لاحقا سنة 1960[82]؛
- ❖ رغم استمرار "ثقافة المنزل" إلا أن الفرنسيين أصبحوا أكثر حركية في ممارساتهم الثقافية عبر القيام بها في الفضاء العام، وهو ما فند الفرضية التي تنبأت أن انتشار التلفاز سيؤدي إلى انغلاق المواطنين في الفضاء الخاص؛
- ❖ تزايد إقبال الفرنسيين على الثقافة مع تغير في مراكز اهتماماتهم الثقافية، فلم تعد الممارسات الثقافية تتسم بالطابع "الكلاسيكي" فقط، بل تنوعت بممارسات جديدة بعد تطور الوسائل السمعية البصرية؛
- ❖ استمرار العوامل المادية والرمزية في الحفاظ على الفوارق الاجتماعية في الإقبال على الممارسات الثقافية، وهي النتيجة التي ترتب عنها تطورات فكرية، خاصة مع نظرية بيير بورديو التي تعرضت هي أيضا للنقد فيما بعد [83]؛

بعد إصدار نتائج بحث سنة 2008، تمحورت إشكاليات الباحثين حول أبرز التغيرات التي طرأت على الممارسات الثقافية بفعل الثورة الرقمية، فكانت النتائج العامة كالتالي[84]:

---

[81] DONNAT. OLIVIER et COGNEAU. Denis, (1990), Les pratiques culturelles des français 1973-1989, 1ère édition, La Découverte, Paris, p.5.

[82] DONNAT. OLIVIER, (2003), Regards croisés sur les pratiques culturelles, 1ère édition, La Documentation Française, Paris, p.20.

[83] DONNAT. OLIVIER et COGNEAU. Denis, (1990), p. 6-7.

[84] DONNAT. Olivier, (2009), Les pratiques culturelles des Français à l'ère numérique. Éléments de synthèse 1997-2008, Coll. Etudes, Département des études, de la prospective et des statistiques, Paris, sur le site: http://www.pratiquesculturelles.culture.gouv.fr/08synthese.php

- ❖ إتاحة الثقافة الرقمية لآفاق غير محدودة كإمكانية القيام بممارسات ثقافية عبر الشاشات الرقمية، وهو ما يسجل أكثر لدى فئة الشباب وعند الطبقات الاجتماعية الميسورة؛
- ❖ تراجع نسبة الإقبال على التلفاز والمذياع خاصة من طرف الشباب، في حين أن هذا التراجع تتم موازنته عند الفئات العمرية التي تفوق 45 سنة؛
- ❖ تزايد نسبة الإقبال على الموسيقى والأفلام لدى الشباب، علما أن هذا الارتفاع في النسبة يرافقه تغير في الأذواق حسب الفئات العمرية؛
- ❖ استقرار في نسبة الإقبال عل المرافق الثقافية، وقد تم التوصل إلى هذه النتيجة من خلال مقارنة معدلات الممارسات مع نتائج البحث الميداني السابق؛
- ❖ بروز الطبيعة التعبيرية للممارسات الثقافية، ويتجلى ذلك على وجه الخصوص من خلال ما يسمى ب"ممارسات الهواة" les pratiques en amateur التي يتم القيام بها خلال الوقت الحر؛
- ❖ بروز طبيعة أخرى لهذه الممارسات الثقافية تجلت في سيرورتها التهجينية l'hybridation de la culture.[85]

إهتم عدد من الباحثين بدراسة الجانب المنهجي والابستيمولوجي لهذه السلسلة من الأبحاث حول الممارسات الثقافية للفرنسيين، لاسيما أن هذين الجانبين غالبا ما يحظيان باهتمام أقل من الاهتمام الذي تحظى به النتائج، علما أنهما قد يكونا حاملين لخلفيات إيديولوجية وآليات منهجية من شأنها أن تؤثر في النتائج. وكمعظم الحالات، فقد اتصفت منهجية هذه الأبحاث "بنقاط قوة"، وتعرضت في نفس الوقت إلى انتقادات حول ما اعتبر "نقاط ضعف". من بين المميزات المنهجية لهذه الأبحاث:

- ❖ الطبيعة العرضانية transversale لهذه الحملات، إذ شملت أغلب الحقول الثقافية والفنية. وبهذا وفرت معطيات مستفيضة عن الجماهير، كما قدمت معلومات تأطيرية

[85] DONNAT. OLIVIER, (2003), Regards croisés sur les pratiques culturelles, 1ère édition, La Documentation Française, Paris, p. 22.

des données de cadrage يمكن أن تكون مرجعا في بحوث متخصصة أخرى في حقول ثقافية[86].

- ❖ استناد بنائها على أبحاث سابقة مثل استطلاع الرأي الذي تم انجازه سنة 1999 من طرف المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية INSEE، البحث حول التشغيل لسنة 2005 l'enquête Emploi والحصيلة الديمغرافية لسنة 2006 le bilan démographique.
- ❖ اختيار عينة من 21 جهة من البلاد، ومن أجل الرفع من تمثيليتها، أُخذت بعين الاعتبار مجموعة من المتغيرات، منها: جنس المبحوثين، عمره، الفئة السوسيومهنية لرب الأسرة، عدد الأفراد في الأسرة، طبيعة نشاط الأم[87].

من جهة أخرى، كانت هذه الأبحاث موضوع انتقادات، من بينها:

- ❖ كون هذه الأبحاث ذات منظور دوركايمي وضعي يعتمد البحث عن قوانين اجتماعية وعلى مفهوم الواقعة الاجتماعية التي ينبغي تفسيرها، وليس بناء على باراديغم فيبري تفهمي أو تفاعلي حسب منظور سيمل، وهو ما قد يكون غير كاف للنفاذ إلى العمق السوسيولوجي لهذه الظاهرة الثقافية[88].
- ❖ نتجت عن هذا الباراديغم الوضعي الدوركايمي مقاربة استهلاكية consumériste تسعى إلى دراسة استهلاك الممارسات الثقافية أكثر من السعي إلى فهم الدلالات، وهو ما يؤثر في إعادة بناء وتعديل الإشكاليات، بل ويؤثر حتى في النتائج وكيفية استثمارها[89]. أدت هذه المقاربة الاستهلاكية إلى توظيف أداة استطلاع الآراء ذات الطبيعة الكمية والتي تركز على ما يصرح به المبحوثون، لكنها لا يمكن أن تصل إلى

[86] DONNAT. OLIVIER et COGNEAU. Denis, (1990), Les pratiques culturelles des français 1973-1989, 1ère édition, La Découverte, Paris, p.6

[87] Sur le site : http://www.pratiquesculturelles.culture.gouv.fr/08methodologie.php

[88] Fleury. Laurent, (2011), « Mesurer les pratiques culturelles : les enjeux épistémologiques et idéologiques des choix méthodologiques », (23-44), in: Nouveaux regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p. 28

[89] Idem, p. 23.

المسكوت عنه الذي لم يتم تضمينه في الاستمارات، كما أنها لا تلاحظ الممارسات على أرض الواقع، مما قد يحدث فرقا بين ما يتم التصريح به وما يحدث فعلا على مستوى الممارسة، مما ينعكس أيضا على الاستنتاجات والتأويلات[90].

- ❖ توظيف بُعد الحتمية، من خلال إبراز دور المحددات الاجتماعية، وهو ما يرتبط بالخطاب حول فشل مشروع الدمقرطة الثقافية واستمرار التفاوتات الاجتماعية في الممارسات الثقافية كإحدى نتائج البحث[91].

لكن رغم هذه الانتقادات لا يمكن إنكار مساهمة هذه البحوث في تطور سوسيولوجيا الثقافة إن على مستوى مناهج البحث وتقنياته أو على المستوى الفكري والنظري.

[90] DONNAT. Olivier, (2011), «Pratiques culturelles des Français »: une enquête de marginal-sécant, au croisement de la sociologie de la culture, des médias et des loisirs, (93-111), in: Le fil de l'esprit. Augustin Girard, un parcours entre recherche et action, Comité d'histoire du Ministère de la Culture et de la Communication, Paris, p.12

[91] Fleury. Laurent, (2011), « Mesurer les pratiques culturelles : les enjeux épistémologiques et idéologiques des choix méthodologiques », (23-44), in: Nouveaux regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p.30

المبحث الثالث:

وضعية الممارسات الثقافية بالمغرب

1- الحضور القوي للثقافة الرقمية عند الشباب كأحد محركات الديناميات السوسيوثقافية

نتج عن التقدم التقني الذي عرفته تكنولوجيا الاتصال ديناميات سوسيوثقافية مهمة سواء من حيث تسارع إيقاعها أو من حيث مدى ارتباطها بعوامل وحقول اجتماعية أخرى، وقد اتسع تأثير هذه الديناميات لدرجة أن إيقاع التغير الاجتماعي الذي عرفته المجتمعات الإنسانية في العقود الأخيرة يتجاوز بكثير ما حققه البشرية مند قرون. ومن بين ما شملته هذه الديناميات حقل الممارسات الثقافية بشكل عام، ولدى فئة الشباب بشكل خاص.

تولدت عن هذه المستحدثات مفاهيم جديدة ينبغي تعريفها نظرا لارتباطها بثقافة الشباب، أولى هذه المفاهيم مفهوم الثقافة الرقمية المحيل على مجموعة من العمليات ذات الطابع الثقافي (من إنتاج وتوزيع وتلقي وتمثلات وعلاقات اجتماعية وغيرها)، والتي تتم عبر شبكة الانترنت على وجه الخصوص. وهي جيل جديد من التقنية يعتمد على الإشارة الرقمية le signal numérique بعد أن كان الاعتماد في الوسائط الإعلامية السابقة (مثل القنوات الفضائية) على الإشارة التناظرية le signal analogique [92].

في ظل التحولات التي تعرفها المجتمعات الحديثة، تولد عن الثقافة الرقمية ظهور روابط اجتماعية جديدة، فأصبح الحديث عن "المجتمعات الافتراضية" التي تطورت بالموازاة مع تراجع العلاقات التقليدية والمجتمعات المحلية. وقد كان عالم الاجتماع الأمريكي والناقد الأدبي هوارد راينجولد Howard Rheingold أول من صاغ مصطلح "المجتمع الافتراضي" بعد أن لاحظ تراجع "الفضاء الثالث" كعنصر مهم لتشكل المجتمعات المحلية في المجتمع الأمريكي، ويقصد بهذا الفضاء الثالث الأمكنة الاجتماعية التي يرتاح فيها الناس من أعباء اليومي، فيتحدثون بارتياح في أمورهم الخاصة ويتخلصون من قيود العمل والشكليات الرسمية مثل الأندية الشعبية والاستراحات العامة أو الخاصة بمجموعات معينة[93].

---

[92] RIEFFEL. Rémy, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris, p. 29.

[93] رحومة. علي. محمد، (2008)، علم الاجتماع الآلي، مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد 347، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت. ص. 69

إذا أثرت تكنولوجيا الاتصال الرقمية على جوانب الثقافة بالمعنى الشمولي من قيم وهوية وعلاقات اجتماعية الخ، فقد أثرت أيضا على البعد الثقافي بالمعنى التخصيصي. ففي الوقت الذي شكلت فيه هذه التقنية سياقا (وليس سببا) لتراجع ممارسات ثقافية توصف بالتقليدية (مثل المسرح، القراءة الورقية)، فقد شجعت من جهة أخرى على ظهور أو تطور ممارسات ثقافية تتوافق معها (ممارسة التدوين الالكتروني، القراءة الرقمية، التصوير الفوتوغرافي أو السمعي-البصري، فن التصميم، الخ).

من بين ما يميز استعمال الثقافة الرقمية أن مرتاديها هم في نفس الوقت متلقين (يستهلكون موادها)، ومنتجين (يخلقون ويبدعون مضامين جديدة) ووسطاء موزعين (يتداولون ويتشاركون المحتوى فيما بينهم)[94]. ويرى ريمي ريفل RIEFFEL Rémy في كتابه "الثورة الثقافية، ثورة رقمية ؟" أن عددا من علماء الاجتماع اعتبروا التكنولوجيات الرقمية مصدر نشاط حقيقي ومنطقي ليس بجديد لكنها تفسح المجال لتركيبات أصيلة. على سبيل المثال، قدم كل من فرانسيس جوريجيبيري Francis Jauréguiberry وسيرج برو Serge Proulx ثلاث تركيبات: منطق الاندماج، المنطق الاستراتيجي ومنطق الذاتية.

فمنطق الاندماج يتعلق بالحاجة إلى الارتباط بالشبكة المناسبة في الوقت المناسب، وهو يعكس الشعور بالاعتراف بالذات من خلال الحضور على الشبكة. أما المنطق الاستراتيجي فهو منطق الربح، الفعالية والمردودية، وهو ما يمكن أن يتحقق مثلا من خلال ربط علاقات تخدم المسار المهني أو تتعلق بالحياة العاطفية أو القيام ببعض المعارف في الحقل الثقافي كالموسيقى. في حين، يحيلنا منطق الذاتية على مفعول الفاعل والمفعول، فالفرد المعاصر لا يتم اختزاله في الوضع الاجتماعي فقط، فهو يبحث عن معنى لوجوده، وهو ما يتمظهر من خلال مضامين المدونات وصفحات وحسابات مواقع التواصل الاجتماعي كأشكال جديدة للتعبير عن الذات والفعل[95].

---

[94] RIEFFEL. Rémy, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris, p.44

[95] ريفيل. ريمي، (2018)، الثورة الرقمية، ثورة ثقافية؟، ترجمة سعيد بلمبخوت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 462، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص. 37.

هكذا، وعلى غرار الممارسات الثقافية التي تمارس في الحياة الواقعية، يمكن التمييز في الثقافة الرقمية التي تمارس في العالم الافتراضي بين ثقافة المعرفة، الفكر، التقنية والعلم من جهة، وثقافة الترفيه والتعبير الانفعالي من جهة أخرى، علما أن هناك اختلافات بين هذين النمطين الثقافيين من حيث المضمون، مدى انتشاره، نوعية الجمهور وحجمه.

فتحت الانترنت آفاقا واسعة أمام الفاعلين الواعين بأهمية المعرفة والفكر في التقدم، وذلك من خلال استثمار المعرفة في تطوير مسار حياتهم على المستوى الفردي أو من خلال توظيفها لإحداث تغيير اجتماعي، لاسيما أن التكنولوجيا والمعرفة قد أصبحتا من وسائل خلق الثروة وأداة للسلطة في مختلف مناحي الحياة. هذا ما أبرزه عالم الاجتماع الأمريكي وعالم المستقبليات ألفن توفلر في كتابه "حضارة الموجة الثالثة" بعد أن أوضح أن البشرية عرفت إلى حد الآن ثلاث "موجات": موجة ما بعد الثورة الزراعية وموجة الثورة الصناعية ثم "مجتمع الموجة الثالثة" الذي تلعبه فيه المعرفة والتكنولوجيا دورا طلائعيا[96].

بهذا، أصبح الحديث رائجا عن مجتمع المعلومات كمجتمع قائم على ثلاثة عناصر رئيسية: المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا. وحسب إعلان المبادئ الخاصة بالقمة العالمية لمجتمع المعلومات العالمي المنعقدة في جنيف سنة 2003، يستطيع كل فرد في مجتمع المعلومات استحداث المعلومات والمعارف والنفاذ إليها واستخدامها وتقاسمها، هو إذن مجتمع يتمكن فيه الأفراد والمجتمعات من تسخير إمكاناتهم كاملة للنهوض بتنميتهم المستدامة ولتحسين نوعية حياتهم[97].

أصبح هذا السياق الرقمي يتيح للشباب مجموعة من الإمكانات في إطار ممارساتهم الثقافية، ومن بين الأمثلة على ذلك مبدأ "المصادر المفتوحة" open sources التي ارتبطت بشكل خاص بمجال البرامج المعلوماتية، إذ يمكن الولوج إلى شيفرات هذه الاخيرة وتعديلها لتكييف استخدامها واستثمارها بدون قيود الملكية الفكرية. في إطار مبدأ المصدر المفتوح، يمكن إدراج الكتب الالكترونية التي أصبحت ترقمن بشكل قانوني أو غير قانوني وأصبح

[96] توفلر. ألفن، (1990)، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ص. 12.

[97] عبود. رامي، (2013)، المحتوى الرقمي العربي على الانترنت نظرة على التخطيط الاستراتيجي العربي والعالمي، الطبعة الأولى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص.23.

باستطاعة المستخدم تكوين مكتبة الكترونية بشكل مجاني يتيح نقلها بكل سهولة أو الولوج إليها من أماكن مختلفة. وقد أصبح الطلبة المغاربة يقبلون بشكل كبير على هذه التقنيات، نظرا لضعف القدرة الشرائية وقلة توفر المكتبات العمومية وعدم توفر هذه الأخيرة على الميزانيات الكافية لاقتناء المنشورات الحديثة.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، يستفيد الطلبة أيضا من أحدث المنشورات الثقافية والعلمية بفضل انخراطهم أو انخراط جامعاتهم في شبكات الكترونية متخصصة في حقل التعليم، كما أصبح بالإمكان متابعة الدراسة عن بعد والحصول على شواهد أكاديمية. وقد أصبح ملاحظا أن استثمار الطلبة المغاربة للتكنولوجيا الرقمية في مجال التعليم يسير بإيقاع أسرع من إيقاع المؤسسات التعليمية التي مازال أغلبها يعتمد على الوسائل والمناهج التقليدية، في وقت أصبحت فيه الدول المتقدمة تدمج الأداة الرقمية بشكل مركزي في أنظمتها التعليمية منذ المراحل الأساسية لمسار التلاميذ.

ليست الحكومات وحدها من اصبحت تمج الوسائط الرقمية في التعليم، بل حتى أفراد المجتمع أصبحوا يساهمون في بناء مجتمع المعرفة، من الأمثلة على ذلك الموقع الشهير "ويكيبيديا" wikipedia المخصص لتشارك المعرفة والذي يصنف ضمن المواقع العشرة الأولى في العالم من حيث عدد الزوار[98]. عند المقارنة بين نسخ هذا الموقع من حيث اللغة يتبين أن المستخدمين في الدول الغربية قد يعنون محتوى هذه الشبكة بشكل غزير جدا، في حين أن هناك الكثير من المقالات الفارغة أو المتواضعة في نسخته العربية. رغم ذلك، يعد هذا الموقع، سواء في نسخته العربية أو الفرنسية، منطلقا للطلبة المغاربة للقيام بأبحاثهم إذ يقدم لهم المعرفة بشكل مبسط ومركز.

بالإضافة إلى ذلك، تقدم التكنولوجيا الرقمية آفاقا أخرى للشباب في مجال المعرفة من خلال التشبيك الثقافي والمعرفي، فمواقع التواصل الاجتماعي تتوفر على شبكات ومجموعات موضوعاتية تتناول حقولا متخصصة، ما يسمح للمستخدم بأن يجد في نفس

[98] FLICHY. Patrice, (2010), Le sacré de l'amateur, sociologie des passions ordinaires à l'ère numérique, 1ère édition, La République des Idées et Seuil, Paris, p. 68.

الفضاء مستخدمين آخرين يهتمون بنفس التخصص، فيتفاعل معهم ويتبادل معهم المعلومات والملفات ويربط علاقات اجتماعية معهم[99].

مع التضخم الكبير الذي عرفته سوق تكنولوجيا المعلومات بفعل الانتشار الكبير للأجهزة الالكترونية والانخفاض النسبي لتكلفة الارتباط بالانترنت، أخذت الثقافة الرقمية ترتبط بشكل متزايد بممارسات الترفيه، وهي في ذلك تشكل استمرارية وتطورا للثقافة الجماهيرية التي بدأ انتشارها مع وسائل الاتصال التي أصبحت تنعت بالتقليدية (مثل التلفاز والمذياع). بهذا، أصبح الترفيه الرقمي ينافس الممارسات الثقافية التي توصف بالتثقيفية. ترتب عن هذا الواقع الجديد موقفين متعارضين: موقف يرى أن الثقافة الرقمية قد أدت إلى حد كبير إلى الاستيلاب في ثقافة الشباب، وموقف آخر يرى أن توظيف الثقافة الرقمية يبعث على التفاؤل.

يعتقد أنصار الموقف الأول أن فئة الشباب لا تستفيد كثيرا من الجوانب "الايجابية" لوسائل الاتصال، بل إنها تقضي حيزا زمنيا أكبر من اللازم في ممارسات رقمية "ليست ذات جدوى" على حساب ممارسات أخرى ينبغي القيام بها. وتطرح دوافع قضاء هذا الوقت إشكالية القدرة على التحكم في الذات إزاء الجذب الذي تمارسه الثقافية الرقمية على مرتاديها، إذ أصبح الحديث عن نوع جديد من الإدمان هو الإدمان على الانترنت وما يرافقه من أعراض لا تتوقف فقط عند المستوى النفسي بل تتعداه إلى المستوى العضوي[100].

بالإضافة إلى ذلك، يرى هذا الفريق أن أغلب محتوى الانترنت (خاصة من المواد السمعية البصرية التي يتم إنتاجها من طرف الهواة) يعبر عن ثقافة شعبية تعج بالطابع اليومي ذي المستوى السطحي. وحيث أن تأثير هذه الفئة من "العامة" أصبح قويا، فقد تراجع حضور النخبة المثقفة في الفضاء الرقمي بسبب المنافسة وبفعل ضعف اهتمام الجمهور بمواضيع التثقيف، بالتالي، أصبحت تطرح الإشكالية: هل نسير نحو ثقافة افتراضية بلا

[99] عماد. عبد الغني، (2012)، الثقافة وتكنولوجيا الاتصال التغيرات والتحولات في عصر العولمة... والربيع العربي، سلسلة طريق المعرفة، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص. 68.

[100] JUNEAU. Sandra et MARTEL. Joane, (2014), « La cyberdépendance, un phénomène en construction », (285- 310), in : Déviance et Société, (Vol. 38), revue Médecine & Hygiène, p.289. sur le lien : https://www.cairn.info/revue-deviance-et-societe-2014-3-page-285.htm?contenu=article

مثقفين ؟[101]. أما الموقف الثاني فيتصف بالتفاؤل إذ يستبشر مناصروه بالآفاق الواعدة التي فتحها الفضاء الرقمي أمام الشباب من أجل تأكيد وتطوير وجودهم الاجتماعي على مستويات مختلفة بما فيها البعد الثقافي، سواء تعلق الأمر بالاستهلاك أو بالإنتاج.

من بين الخصائص التي أصبحت تميز الثقافة الرقمية الشبابية حضور ثقافة الهواة la culture des amateurs، وهي الإنتاجات الثقافية التي تصدر عن أفراد هواة لا يحترفون المهن الثقافية، إذ أصبح بإمكان الأفراد نشر ومشاركة إبداعاتهم الثقافية باستعمال أجهزة جد متاحة قد تقتصر على هاتف ذكي فقط. يؤشر ذلك على إعطاء القيمة لخبرة وتجربة يمكن نعتها بالترميق le bricolage، والتي تؤدي في عدد من الحالات إلى إبداعات أصيلة تعبر عن قدرات الأفراد على العطاء والابداع، ويتحقق ذلك في إطار ممارسات بسيطة بهدف الترفيه والمتعة أو في إطار الفعل الملتزم بقضايا معينة[102].

يرى باتريس فليشي Patrice Flichy أن صعود الهواة ينخرط في إطار ثلاث تطورات أساسية تعرفها المجتمعات المعاصرة: أولها التوجه العام نحو الفردانية الذي يشجع الفرد على التفتح l'épanouissement وإشباع الذات والاهتمام بها مع البحث عن الاعتراف والتقدير من طرف الغير؛ وثانيها انتشار المعارف وتطوير الكفاءات عبر التعلم الذاتي، فبخلاف التراتبيات في المؤسسات التعليمية لا يتطلب القيام بذلك التوفر على شهادات معترف بها. أما التطور الثالث، فيتجلى في دمقرطة القدرات من حيث أن لكل فرد كفاءة معينة يمكنه الاشتغال عليها وتشاركها أمام الآخرين[103].

يذكّر انتماء الهواة إلى جماعات التفضيلات المشتركة بالتمييز الذي أقامه فيردناند تونيز بين الجماعة والمجتمع. وفي هذا السياق، يمكن القول أن هذه المجموعات من الجماهير يمكن وصفها بالجماعة إذ تتشارك في الإعجاب بنفس الوجوه ويفضل أفرادها أن

---

[101] حقي. عبده، (مارس 2017)، "هل نسير نحو ثقافة افتراضية بلا مثقفين ؟، (117-120)، في: باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 1، تازة، يناير، ص. 119.

[102] RIEFFEL. Rémy, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris, p. 126

[103] Idem, p.12 .

يلتقوا فيما بينهم لتقاسم نفس الأذواق ونفس المتع، كما أنهم يقضون أوقاتهم في الحديث عن حياة وإنتاجات الأيقونات التي أعجبوا بها[104].

2- الموسيقى

تتميز الموسيقى بكونها من أكثر الحقول الثقافية التي تعكس التنوع الثقافي للمجتمع المغربي، كما أن خطاباتها تعكس التمثلات والديناميات الاجتماعية ومختلف أشكال الصراع التي تخترق البنية الاجتماعية. زيادة على ذلك، تتميز الموسيقى بكونها أكثر الممارسات الثقافية حضورا عند فئة الشباب، فهم يوظفونها بأشكال مختلفة (استهلاكا أو إنتاجا) للتعبير عن هوياتهم وقيمهم واختلافاتهم.

عرفت الثقافة المغربية الموسيقى على مر العصور، لكن منذ فترة الحماية سيعرف هذا الفن ملامح من التحديث بعد أن انضافت إلى الأنماط التقليدية المحلية أنماط موسيقية جديدة تمثلت في بروز كل من: النمط المشرقي العربي خاصة أن الحركة الوطنية ربطت جسورا ثقافية وسياسية مع دول المشرق؛ النمط الغربي الذي تم استجلابه بفعل الاحتكاك المباشر مع الأجنبي؛ ثم شكل جديد للموسيقى المغربية استلهم من النمط المشرقي وسمي "بالموسيقى المغربية العصرية" لكن اسمه سيتغير لاحقا بعد عقود ليتحول هو ذاته إلى "الموسيقى المغربية الكلاسيكية". وقد بدأت تظهر ملامح هذه الموسيقى العصرية في الثلاثينات بتأسيس "الجوق الملكي"[105].

خلال السنوات الأولى للاستقلال طرحت الإشكالية بين الحداثة والتراث على مستوى الموسيقى من خلال التمايز في القيمة الفنية بين الأنماط الموسيقية (وهو ما يذكر بإشكالية الفن الشرعي والفن غير الشرعي التي طرحها بيير بورديو في السياق الغربي). تجسد ذلك في القيمة الجمالية والاجتماعية التي أعطيت لنمط "الموسيقى المغربية العصرية" بعد أن

[104] RIEFFEL. Rémy, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris, p. 129

[105] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص.85

حظيت بدعم مختلف الفاعلين، في حين ظلت الأنماط التقليدية (العربية والأمازيغية) في تلك الفترة في عداد الفلكلور، وهي الوضعية التي ستتغير لاحقا بعد عقود من الزمن[106].

في نفس الاتجاه، برزت الأغاني الوطنية خلال سنوات السبعينات ولقيت هي الأخرى دعما من المؤسسات العمومية حيث كانت آلية من اليات تدعيم شرعية الدولة، في سياق اتسم آنذاك بتصاعد خطاب الحركات الثقافية المعارضة للثقافة الرسمية[107]. بالموازاة مع ذلك، برز فعل شبابي راهن على تحقيق التجديد الثقافي من خلال التوليف بين مختلف الأنماط الموسيقية، وهو ما تمظهر مثلا مع موسيقى "الإخوان ميكري" الذين زاوجوا في إنتاجاتهم الفنية بين الألحان والإيقاعات الغربية من جهة وبين اللغة والمواضيع المحلية من جهة أخرى.

تجسد هذا الفعل أيضا مع مجموعة "ناس الغيوان" التي عملت على المزاوجة بين روافد فنية متنوعة مثل: التراث الصوفي؛ موسيقى كناوة؛ الثقافة الأمازيغية؛ الإتجاه المسرحي للفنان الطيب الصديقي؛ الزجل المغربي؛ الخ. ومن العناصر التي ساهمت في إنجاح تجربة هذه المجموعة الشبابية تقديم اللغة الدارجة المغربية بشكل يجمع بين البساطة والبلاغة، كما أن إنتاجاتهم الفنية كانت تحمل خطابات مؤثرة في الشباب: خطاب احتجاجي حول الأوضاع الاجتماعية؛ خطاب قومي وقاري حول القضايا العربية والإفريقية؛ خطاب كوني حول القضايا الإنسانية.

كل ذلك كان يتوازى مع الأحداث والحركات الثقافية الشبابية التي انتشرت آنذاك عبر أرجاء العالم (مثل حركة "الهيبي"، أحداث ماي 1968 في فرنسا)، وهو ما حذا بمختلف الحركات الاحتجاجية (خاصة اليسارية) إلى تبني أغاني ناس الغيوان (إلى جانب ألوان موسيقية أخرى مثل أغاني الشيخ إمام؛ فيروز؛ سعيد المغربي) كرمز معبر عن الهوية السياسية والثقافية. بهذا، شكل هؤلاء الشباب نموذجا ألهم شبابا آخرين من أجل الإبداع

[106] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 38.
[107] Idem, p. 60

الثقافي عن طريق الموسيقى، وبذلك تعززت ظاهرة المجموعات الغنائية الشبابية (مجموعة لمشاهب؛ مجموعة جيل جيلالة؛ مجموعة لرصاد، مجموعة السهام، الخ).

خلال عقد الثمانينات، استمرت بعض الظواهر الموسيقية وتراجعت أخرى، إذ تراجع ما كان يسمى من قبل بالموسيقى المغربية العصرية بسبب عدم تجديد نفسها وتراجع دعم الدولة لها[108]. في نفس الوقت أفرزت الديناميات الثقافية انتشار "موسيقى الراي" الشبابية في مختلف أرجاء المغرب بعد تثاقف مناطقه الشرقية مع الثقافة الوافدة من المجتمع الجزائري حيث كان منشأ هذا النمط الموسيقي. في نفس الفترة، بدأت تنتشر أيضا الموسيقى الخليجية بعد أن انفتحت على التحديث وتجاوزت طابعها التقليدي[109].

عرفت نهاية سنوات التسعينات بروز ظاهرة المهرجانات الموسيقية، وقد أدى هذا الفعل الثقافي (الذي ينظم عادة من طرف مؤسسات الدولة أو الجمعيات الثقافية أو بشراكة بينهما) إلى عودة الأنماط الموسيقية المحلية إلى الواجهة، ومن بينها ما يسمى بموسيقى "الشعبي"؛ موسيقى "الركادة" بالمناطق الشرقية؛ "عبيدات الرمى" بمنطقة خريبكة؛ "الكدرة" بالمناطق الجنوبية؛ موسيقى "كناوة" بمدينة الصويرة؛ أحيدوس بالمناطق الأطلسية؛ أحواش بمناطق الجنوب، الخ.

ومن بين العوامل التي ساهمت في انبثاق هذه الظاهرة تركيز الدولة في تلك الفترة على نموذج التنمية المحلية والذي مهد لنموذج الجهوية، وقد جاء ذلك استجابة إلى مجموعة من المشاكل والرهانات الداخلية مثل مساندة القطاع السياحي وترويج القطاع الثقافي (إذ أن الفعل الثقافي في أغلب هذه المهرجانات يوجه لجماهير عريضة بشكل مجاني). أما على المستوى الخارجي، فقد ترافق ذلك مع سياق عالمي ركز فيه خطاب العولمة على مفهوم التنمية المحلية ومفهوم المجتمع المدني كأبرز الفاعلين في هذه الأخيرة[110].

---

[108] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي، الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 89.

[109] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 87

[110] BAYAHYA. Nabil, (2015), Politiques culturelles à l'âge du numérique, l'exemple du Maroc, Coll. Essais, 1ère édition, Ed. Descartes et Cie, Paris, P.193

أدى انتشار تنظيم المهرجانات الموسيقية إلى ردود فعل متضاربة من طرف مختلف الفاعلين في المجتمع المغربي، بل تحول الأمر إلى صراع اجتماعي تجلى على وجه الخصوص عبر مواقع التواصل الاجتماعي. فمن جهة أولى، يطالب موقف من المحتجين بإلغاء هذه المهرجانات كي لا يتم تبذير ميزانياتها في برامج تصنف في إطار الترفيه حسب رأيهم، في حين أن هناك تحديات اجتماعية شائكة ينبغي أن تحظى بالأولوية، مثل مشاكل الصحة والتعليم وباقي جوانب الهشاشة الاجتماعية.

من جهة ثانية، يرى موقف آخر أن لهذه المهرجانات أدوارا تنموية، لكن ينبغي إعادة النظر في آليات تدبيرها. ومن جهة ثالثة، يدافع آخرون عن هذا الفعل على أساس أنه خالق لديناميات تنموية على المستويين الماكرو والميكرو. ومن الأمثلة التي تساق على ذلك ما تحققه مهرجانات كبرى انتقلت إلى مستوى العالمية مثل مهرجان موازين ومهرجان موسيقى كناوة. من الأمثلة على هذا الدور التنموي أن مهرجان "روافد أزاون" الذي تنظمه جمعية "سينرجي الساقية الحمراء" أدى إلى حركية سوسيواقتصادية تمثلت في خلق مقاولات صغيرة لتنظيم دورات هذه الحدث؛ تسويق منتوجات الجمعيات والتعاونيات المحلية؛ وتشغيل 100 شاب طيلة فترة تنظيم المهرجان[111].

بالنسبة للممارسات الشبابية، يلاحظ أن هناك مهرجانات تجذب الشباب بشكل أكبر ومن مختلف المستويات الاجتماعية (مثل مهرجان موازين ومهرجان تيميتار) في حين أن هناك مهرجانات يمكن وصفها بالنخبوية. زيادة على ذلك، يوجد نمط ثالث يزاوج بين النمطين مثل مهرجان موازين، حيث أن هناك فضاءات موجهة للعموم في الساحات العمومية وفضاءات مغلقة يتم الولوج إليها بتذاكر باهضة ليست في متناول جميع الفئات الاجتماعية. وقد لا تتمثل النخبوية في المستوى الاقتصادي بل في طبيعة اهتماماتها الثقافية مثل مهرجان الموسيقى الروحية؛ المهرجانات التراثية؛ الموسيقى الأندلسية.

رغم الحركية التي خلقتها المهرجانات الموسيقية إلا أنها مازالت تعاني من جملة من المشاكل، من أهمها: تعدد المتدخلين وضعف التنسيق فيما بينهم؛ مشكل استقرار هذه

[111] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 46.

المهرجانات وضمان استمراريتها؛ ضعف الإبداع في عدد من هذه المهرجانات وتشابهها؛ ضعف الدراسات الميدانية حول التأثير الاقتصادي والاجتماعي لهذه التنظيمات؛ ضعف تكوين التقنيين المغاربة المتخصصين في التنظيم واللوجستيك؛ مشكلة حكامة المهرجانات وشخصنة العديد منها[112].

إلى جانب هذه المشاكل، يعرف حقل الموسيقى عوائق أخرى ترتبط بالشباب، من بينها مشاكل التكوين. فالتربية الموسيقية غير حاضرة في المناهج التعليمية، أما المعاهد الموسيقية فعددها لا يتجاوز 53 معهدا موزعين في المدن الكبرى[113]. للمساهمة في تدارك هذا النقص، يقوم فاعلون آخرون بتقديم تكوينات للشباب مثل الجمعيات الموسيقية؛ المعاهد الأجنبية، بعض المهرجانات والبرامج الإعلامية (موازين، مهرجان لبولفار بالدار البيضاء)[114]. على مستوى البنيات أيضا، يسجل تأخر كبير في إنجاز المعهد العالي للموسيقى الذي لم يكتمل بناؤه منذ سنوات عديدة، وهو أحد الأسباب التي تجعل البحوث العلمية في مجال الموسيقى la musicologie تبقى ضئيلة العدد[115].

على الرغم من الحركية التي عرفها الحقل الموسيقي إلا أنها لم تتبلور إلى صناعة ثقافية متطورة بسبب مجموعة من العوامل، من بينها: الإطار القانوني وهشاشة البنيات التحتية؛ ضعف الميزانيات العمومية المخصصة للعمل الثقافي ولدعم الإنتاج الموسيقي؛ اتساع نطاق القرصنة[116]، وهو ما يفسر مجموعة من الأوضاع كارتفاع تكاليف الإنتاج وعدم استمرارية العديد من الفرق الموسيقية الشبابية التي تطمح إلى العمل الاحترافي[117].

نظرا لهذه الأسباب، يقوم الكثير من الشباب الذين لم يستطيعوا أن يشقوا طريقهم في هذا الحقل إلى الاعتماد على قدراتهم الذاتية لإنتاج إبداعاتهم حتى لو لم تكن بالضرورة

---

[112] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 42

[113] وزارة الثقافة، (2016)، مجلة الإحصائيات الثقافية 2013-2015، نشر لوزارة الثقافة، الرباط، ص. 78

[114] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 95

[115] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط. ص. 95.

[116] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، ص. 37

[117] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، ص.37

بجودة تكنولوجية عالية، وهو ما أصبح يلاحظ عند عدد منهم إذ يعمدون إلى التصوير السمعي البصري لأغانيهم باستخدام جهاز الهاتف فقط ثم ترويجها عبر الانترنت. أما الشباب الذين توفرت لهم الظروف لإبراز إنتاجاتهم، فيستفيدون من ترويج جيد عبر القنوات الإعلامية. لهذا، يمكن القول إن المشكل يكمن في العوامل التنظيمية للحقل وليس في ضعف إبداع الشباب[118].

3- المسرح

لعبت فئة الشباب دورا هاما في تطور فن المسرح منذ ظهوره بالمجتمع المغربي وإلى اليوم. لإبراز هذا الدور الشبابي، سأقوم باستحضار هذه العلاقة من خلال مقاربتين دياكرونية وسانكرونية. سأنطلق في ذلك من سنة 1924 بعدما أسس تلاميذ ثانوية مولاي إدريس بفاس أول فرقة مسرحية بالمغرب[119]، وهو ما ألهم شباب عدة مدن لتأسيس فرق مسرحية أخرى مثل جمعية "مدرسة العاصمة الرباطية" في الرباط و"جوق التمثيل" بسلا وجمعية "الهلال" بطنجة[120].

وقد انطلقت هذه الحركية الثقافية نتيجة التأثر بالزيارات التي قامت بها فرق مسرحية مشرقية إلى المغرب منذ سنة 1923 (مثل فرقة محمد عز الدين)، تم ذلك في إطار التثاقف الذي كان حاصلا بين الحركات الثقافية/السياسية في المغرب ومثيلاتها في المشرق العربي بهدف مقاومتها المستعمر الأجنبي، كما ساعد في هذه الحركية المسرحية كون الثقافة المغربية زاخرة بأشكال فرجوية تقليدية مثل "الحلقة"، "لبساط"، "بوجلود"، "سيدي الكتفي"، "سلطان الطلبة"، وغيرها[121].

منذ سنة 1950، نظمت الوزارة الوصية على قطاع الشباب داخل الجمعيات الشبابية دورات تكوينية في مجال المسرح تحت إشراف مسرحيين فرنسيين مثل أندري فوازان

[118] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص. 86.
[119] الوعرابي. إسماعيل، (2015)، زوايا من المسرح المغربي، تركيب وخلاصات، الطبعة الأولى، منشورات مهرجان أماناي، ورزازات، ص. 61
[120] الراعي. علي، (1999)، المسرح في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 248، الطبعة الثانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص. 483
[121] الوعرابي. إسماعيل، (2015)، ص. 31

André Voisin، وهو كوميدي وكاتب ورجل إعلام فرنسي. أسفرت هذه التكوينات عن تخرج جيل من الشباب أعطى دفعة قوية للفعل المسرحي بالمغرب، من بينهم "الطيب الصديقي"، "محمد عفيفي"، "أحمد الطيب لعلج"، "العربي الدغمي"، "عبد الصمد الكنفاوي"، وغيرهم[122]. هكذا، انتقل الشباب المغربي من التأثر بالمسرح المشرقي ذي الطابع المحافظ الذي ساد قبل الاستقلال إلى التأثر بالمسرح الفرنسي بعيد الاستقلال، فأصبح هذا الفعل الثقافي آلية من آليات"التحديث" الثقافي[123].

استمر النشاط المسرحي في التطور من خلال عدد من مراكز التكوين التابعة لقسم الشباب والرياضة بوزارة التربية الوطنية، مثل "المركز الوطني للبحوث الدرامية" الذي أنشئ سنة 1953 و"مركز الفن الدرامي" الذي تأسس سنة 1959، وهما المركزان اللذان وضعا تحت مسؤولية "مكتب التربية الشعبية" بهدف التنمية الثقافية عن طريق المسرح، وهذا ما تجلى في تنظيم دورات لصالح الشباب في كل جهات المملكة وخلق مهرجانات مسرحية[124].

تطور المسرح المغربي على مدى العقود التي تلت، حيث تأسست عدة فرق وجمعيات مسرحية قدمت أعمالا مهمة كمّا ونوعا، كما عرفت هذه المرحلة تمايزا بين مذاهب مسرحية عبّر كل منها عن اتجاه ثقافي وسياسي معين. فقد انبثقت حركة "مسرح الهواة" من رحم التداريب التي كانت تقوم بها وزارة الشبيبة والرياضة لصالح الجمعيات بعد أن طالبت هذه الأخيرة بتأطير الشباب الهواة، في المقابل تشكل "المسرح الاحترافي" الذي ضم مهنيي المسرح.

وقد كان التمثل الذي ينظر به إلى "المسرح الاحترافي" على أنه يسوّق للخطاب الرسمي للدولة خاصة أن أعضاءه يتقاضون أجورهم منها، في حين كان ينظر لمسرح الهواة كمعبر عن خطاب نقدي ينقل صوت الفئات الشعبية لاسيما أن عددا مهما من الشباب المثقف

---

[122] BAYAHYA. Nabil, (2015), Politiques culturelles à l'âge du numérique, l’exemple du Maroc, Coll. Essais, 1ère édition, Ed. Descartes et Cie, Paris, p. 186

[123] بونيت. عز الدين، (2010)، المسرح والدولة، سلسلة دراسات الفرجة، رقم 9، الطبعة الأولى، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة، ص. 45

[124] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 64

في هذا التيار كان يؤمن بالفكر اليساري وينشط ضمن الحركات الطلابية[125]. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان هذا المسرح يحظى بدعم النقابات والأحزاب المعارضة[126].

من بين الوسائل التي كان يوظفها هذا الاتجاه المسرحي لتصعيد رساميله الرمزية اعتماده على الندوات المسرحية بهدف التأكيد على طابعه المثقف وطمس الهوة بين تصنيفي الهواية والاحتراف[127]. ويرى عدد من الباحثين في قطاع المسرح أن حركة مسرح الهواة قد انتهت إلى مزيد من الضمور والتقهقر، في مقابل تقدم المسرح الاحترافي نتيجة تلقيه دعما تنظيميا وإعلاميا[128].

إلى جانب الاختلاف في التوجهات السياسية، توجد اختلافات أخرى ذات طابع ثقافي محض، فهناك مذاهب فضلت التركيز على الثقافة الشعبية المغربية في بعدها الفلكلوري التقليدي، في حين قدمت تيارات أخرى أعمالا تنهل من الفكر الحداثي عن طريق ترجمة المسرحيات الغربية أو من خلال تبيئتها مع الثقافة المغربية، وكمثال على ذلك نذكر مسرح الطيب الصديقي الذي اتجه نحو "المسرح العبثي" بعدما عرف من قبل ب"المسرح العمالي"[129].

تعد المناظرة الأولى للثقافة المغربية التي انعقدت بتارودانت سنة 1986 من أهم الأحداث التي طبعت الحقل الثقافي المغربي بشكل عام والحقل المسرحي بشكل خاص، وقد كانت مناسبة مهمة للحوار بين الفاعلين الحكوميين وبين الفعاليات اليسارية المهيمنة على الساحة الثقافية آنذاك، من أبرزها "اتحاد كتاب المغرب". من نتائج توصيات هذه المناظرة التي خرجت إلى حيز الوجود تأسيس "المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي"، وهي

---

[125] شكير. عبد المجيد، (2012)، المسرح المغربي بين المضمون الفكري والبعد الاديولوجي، الطبعة الأولى، منشورات ومضة، طنجة، ص.23

[126] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 33

[127] بونيت. عز الدين، (1999)، ملامح من تاريخ الخطاب التنظيري في المسرح المغربي، (34-47)، في: مجلة الثقافة المغربية، عدد 8، وزارة الثقافة، الرباط. ص. 44

[128] بونيت. عز الدين، (2010)، المسرح والدولة، سلسلة دراسات الفرجة، رقم 9، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة، ص. 70.

[129] المنيعي. حسن، (2001)، أبحاث في المسرح المغربي، سلسلة شرفات، عدد 1، الطبعة الأولى، الطبعة الثانية، منشورات الزمن، الرباط. ص.120

التوصية التي كان يتم المناداة بها منذ سنة 1973 تاريخ انعقاد أول ندوة رسمية حول المسرح المغربي في عهد الوزير محمد المكي الناصري[130].

أعطى المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي دفعة نوعية للحقل المسرحي بالمغرب من خلال تطعيمه بشباب ذي تكوين أكاديمي أسس لجيل جديد من الفرق والجمعيات المسرحية، لكن مع ذلك لازالت هناك نقائص في التكوين تتمثل على وجه الخصوص في ضعف التوازن بين التكوينات النظرية والتكوينات التطبيقية[131]. إلى جانب هذا المعهد، يستفيد الشباب من المحترفات التحسيسية للفن المسرحي التي أقامتها وزارة الثقافة بعدد من المدن (الرباط، مراكش، فاس، تطوان، الدار البيضاء ومكناس) والتي يؤطرها خريجو المعهد المذكور.

تنضاف إلى هذه التكوينات تدريبات تقوم بها المراكز الثقافية الأجنبية داخل المغرب وخارجه، بالإضافة إلى التكوين الذي تقوم به المدارس الخاصة والجمعيات الثقافية لفائدة منخرطيها[132]، دون نسيان الدراسات المسرحية التي يتابعها الشباب الجامعي والمندرجة في إطار الدراسات الأدبية بكليات الآداب والعلوم الإنسانية. جدير بالذكر أنه يسجل ضعف كبير في الحضور المسرحي على مستوى مؤسسات التعليم، بدءا بمسرح الطفل والمسرح المدرسي ووصولا إلى المسرح الجامعي، الذي تراجع كثيرا بعد أن كان أكثر نشاطا في السابق[133].

4- السينما

تجسد السينما، على غرار باقي الحقول الثقافية، حالات المجتمع ومختلف ظواهره وديناميات. نظرا لسهولة استهلاكها وجاذبيتها، فقد كانت من بين أكثر الممارسات الثقافية

---

[130] بونيت. عز الدين، (2010)، المسرح والدولة، سلسلة دراسات الفرجة، رقم 9، الطبعة الأولى، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة، ص.69

[131] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط. ص.39

[132] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 73

[133] المنيعي. حسن، (2015)، عن المسرح المغربي، المسار والهوية، السلسلة المسرحية، رقم 36، الطبعة الأولى، إصدارات أمنية للإبداع والتواصل، الدار البيضاء، ص. 95

ذيوعا ونشرا للمشروع التحديثي[134]. وقد عرف المجتمع المغربي هذا الفن في فترة الحماية حيث كان أول فيلم تم تصويره بالمغرب هو فيلم « le chevrier marocain » للمخرج الفرنسي لويس لوميير Louis Lumière سنة 1897 والذي دشن لسلسلة من الأفلام الكولونيالية مثل فيلم "مكتوب" سنة 1919.

عرفت هذه الفترة أيضا تأسيس عدد من البنيات السينمائية مثل: القاعات السينمائية (كانت أولها "سينما فوكس" بالدار البيضاء سنة 1935)؛ مركبا لمعالجة الأفلام بنفس المدينة سنة 1939؛ المركز السينمائي المغربي واستوديوهات السويسي بالرباط سنة 1944[135]. ويعود السبق للمستعمر الفرنسي أيضا في ترسيخ الثقافة السينمائية داخل الأوساط المتعلمة عبر شبكة من الأندية والجمعيات السينمائية كان يؤطرها فرنسيون بالأساس وتعززها أدبيات سينمائية تأتي من الميتروبول[136].

بعد الاستقلال، كانت هناك محاولات لإنتاج الأفلام السينمائية لكنها كانت محدودة جدا، فكانت أولى المحاولات سنة 1958 مع المخرج محمد عصفور وكانت ثانيها سنة 1966 مع المخرج محمد عبد الواحد التازي، ثم بلغ عدد الإنتاجات 19 فيلما بين سنتي 1968 و1979، ليتأسس بهذا الجيل الأول من السينمائيين المغاربة. في ظل غياب سياسة للدعم آنذاك، اعتمد هؤلاء المثقفون على إمكانياتهم الذاتية وعلاقاتهم الشخصية، لاسيما أنهم كانوا على ارتباط وثيق مع الحركة السياسية والثقافية التي كان يشهدها المغرب آنذاك.

ما يلاحظ في تجربة هؤلاء السينمائيين اهتمامهم بالقضايا السياسية والجماليات السينمائية وتقليد التيارات الغربية أكثر من اهتمامهم بقضايا الجمهور المغربي، وهو ما جعلها تبدو إنتاجات نخبوية أو موجهة للمهرجانات الدولية لا غير. على غرار ذلك، اتجه الجيل الثاني إلى خلق "سينما جماهيرية" من خلال التركيز على قضايا ذات بعد اجتماعي، وقد شجع على ذلك إحداث الدولة لصندوق دعم الإنتاج السينمائي المغربي سنة 1979 والذي

---

[134] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص.75

[135] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 39

[136] سيجلماسي. أحمد، (2016)، "المجتمع المغربي والسينما: اتصال أم انفصال؟"، (25-28)، في: "السينما والمجتمع"، أعمال ندوة المهرجان الدولي العاشر للسينما الامازيغية يومي 30 و31 أكتوبر 2016، تنسيق: محمد اشويكة ورشيد بوقسيم، منشورات أسني ن وورغ، ايت ملول، ص. 26

ارتفعت معه وتيرة الإنتاج[137]. أدى هذا الانتعاش إلى ارتفاع إقبال الجمهور على السينما حيث وصل عدد التذاكر إلى نحو 45 مليون تذكرة في 250 قاعة سينمائية سنة 1985، كما أدى ذلك إلى بروز أجيال لاحقة من السينمائيين[138].

على المستوى المؤسساتي، يرجع تنظيم وتنمية الصناعة السينمائية بالمغرب إلى المركز السينمائي المغربي التابع لوزارة الاتصال، والذي تمت إعادة تنظيمه سنة 1977. منذ سنة 2000 استفاد قطاع السينما من مجموعة من الإجراءات التنظيمية منها[139]:

- ❖ تعزيز وتغيير أسلوب تقديم الدعم للمشاريع السينمائية، إذ بلغ حجم الدعم 60 مليون درهما؛
- ❖ تنويع مصادر الدعم بإلزام القناتين الأولى والثانية بوظيفة الإنتاج أو المساهمة فيها بمقتضى التزامات دفتر التحملات؛
- ❖ إنشاء صندوق لدعم الإنتاج السمعي البصري الوطني، وهو ما ترتب عنه الانتقال إلى إنتاج 15 فيلما في السنة ثم 20 فيلما سنة 2013؛
- ❖ ارتفاع عدد المهرجانات السينمائية إلى 57 مهرجانا، وهي متنوعة من حيث قضاياها ومجالات امتدادها، فمنها مهرجانات قارية (مثل مهرجان خريبكة للسينما الإفريقية)، وإقليمية (مهرجان تطوان للسينما المتوسطية) ودولية (مهرجان مراكش الدولي؛
- ❖ وضع قواعد جديدة لتشجيع الشركات العالمية على تصوير أفلامها بالمغرب، حيث تم إنتاج ما يقرب من 205 فيلما أجنبيا بين أفلام وثائقية وقصيرة وطويلة باستثمار بلغ 3 مليار و312 مليون درهم؛
- ❖ إحداث الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري سنة 2002 ودسترتها سنة 2011، وهي مؤسسة مستقلة تناط بها وظيفة تقنين وضبط مجال الاتصال السمعي البصري من خلال ضمان حرية الممارسة واحترام التعددية اللغوية والثقافية[140].

---

[137] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 41

[138] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 33

[139] المرجع نفسه، 33-34

رغم تسجيل هذه التطورات بالحقل السينمائي المغربي، تظل هناك مجموعة من المشاكل والاكراهات التي تعترض هذا القطاع. يعد عنصر الدعم من أهم هذه المحددات، فصحيح أنه مكن من تطوير هذا القطاع ومن توفير ظروف تطوره على المستوى العربي والإفريقي، لكنه ما يزال لحد الآن يعتمد على دور الفاعل العمومي، علما أن مساهمة هذا الأخير لا يمكن أن تغطي الحاجيات في ظل الارتفاع الكبير لتكاليف الإنتاج وما يليها من مراحل.

رافق هذا الوضع محدودية تدخل القطاع الخاص بسبب ضعف الصناعة السينمائية المغربية وتنامي ظاهرة القرصنة[141]،وتعد فئة المخرجين من بين الفاعلين الذين برزوا في القطاع الخاص بالمغرب بعد أن اضطلع العديد منهم بدور الإنتاج أيضا. لكن تبقى هذه التجربة مغامرة مجهولة النتائج بالنسبة لهذه الفئة، فقد سبق وأن سجن المخرج محمد الركاب بسبب عدم قدرته على تسديد ديون إنتاج فيلمه "حلاق درب الفقراء" الذي صدر سنة 1982، مما جعله يشبه إخراج فيلم بالمغرب ب"فعل إجرامي"، مستعملا عبارة "اقتراف فيلم" (commettre un film)[142]. وفي نفس السياق، يسجل تاريخ السينما المغربية بيع الفنان العربي الدغمي لمنزله من أجل المساهمة في إنتاج فيلم "إبراهيم باش" لمخرجه نبيل لحلو سنة 1982[143].

لا يتوقف مشكل الإنتاج السينمائي على محددات كمية فقط، بل يتجاوزها إلى عوامل كيفية تتمثل في ضعف كتابة السيناريو التي تصدر هي نفسها عن عوامل مختلفة، من بينها انتشار ظاهرة "المخرج-السينارست" التي أدت إلى تراجع عدد الكتاب المتخصصين، كما

---

[140] Sur le lien :
https://www.haca.ma/ar/%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%8A%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%8A%D8%A7

[141] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط. ص.47

[142] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 194

[143] اشويكة. محمد، (2015)، التفكير في السينما / التفكير بالسينما، الطبعة الأولى، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ص.129

أن الجامعات المغربية لم تهتم بما يكفي بهذا الاختصاص الذي يتطلب تأطيرا أكاديميا وتنظيم أوراش تطبيقية للكتابة، مما ينعكس على تلقي الجمهور للأفلام المغربية[144].

بالإضافة إلى مشاكل الإنتاج، تبرز أيضا مشاكل التوزيع، فقد تراجع عدد شركات التوزيع من ستين شركة إلى أربع أو خمس شركات، وهو ما أدى إلى تركز عملية التوزيع في يد عدد محدود من الشركات[145]. في هذا الصدد، تراجع عدد القاعات السينمائية من 350 قاعة في السبعينات إلى 31 قاعة سنة 2015[146]، وأصبح من المألوف رؤية دور السينما وقد تحولت إلى مراكز تجارية (قيساريات) لاسيما وأنها تقع في مواقع عمرانية استراتيجية بالمجال الحضري[147].

فيما يخص جانب التكوين، فقد تكون أغلب السينمائيين المغاربة الأوائل في دول عربية وأوربية وظل الحقل السينمائي المغربي بحاجة إلى مؤسسات أكاديمية لمدة طويلة، غير أن الدولة أصبحت تتدارك هذا النقص بتأسيس مدارس متخصصة، وكمثال على ذلك نذكر: المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي؛ الكلية المتعددة التخصصات عبد المالك السعدي بتطوان (التي تقدم دروسا في الفن والمهن السينمائية والتنشيط الثقافي)؛ الكلية المتعددة التخصصات بورزازات (التكوين في حرف السينما والإنتاج)؛ كلية بنمسيك سيدي عثمان (الإجازة في السينما)؛ المعهد العالي لمهن السمعي البصري بالدار البيضاء (ISMAC).

بالموازاة مع ذلك، شجعت الدولة القطاع الخاص على الاستثمار في تكوين الشباب، ومن بين المعاهد التي تعني بذلك: مدرسة الصحافة بالدار البيضاء؛ المعهد المتخصص للسينما والسمعي البصري (ISCA) ؛ معهد IHB art media بالدار البيضاء، المدرسة العليا للفنون البصرية بمراكش (ESAV). إلى جانب التكوين العمومي والخصوصي يستفيد الشباب من تكوينات على شكل تداريب تطبيقية تنظمها بعض الجمعيات الثقافية أو التمثيليات

---

[144] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص. 77

[145] المرجع نفسه، ص.76.

[146] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 33

[147] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، ص. 76

المهنية، أو تلك التي تنظم على هامش بعض المهرجانات السينمائية (مثل المهرجان الدولي بمراكش الذي ينظم جوائز للشباب)[148].

تعوق هذا التكوين السينمائي بعض المشاكل المتمثلة في قلة الدروس التطبيقية في عدد من المدارس؛ نقص الاحترافية مقارنة مع التطور التقني الحاصل في الميدان، كما أن هيمنة القطاع الخاص يفرض تكاليف مرتفعة تجعل التكوين بعيدا عن متناول شريحة مهمة من الشباب، بالإضافة إلى تركز هذه المؤسسات في عدد محدود من المدن الكبرى[149].

تنعكس كل هذه المحددات والمشاكل على فئة الجمهور المغربي، خاصة في أوساط الشباب، فرغم تحقيق التطورات المذكورة إلا أن فئة عريضة من الجمهور تهجر الممارسة السينمائية الجماعية (سواء في دور السينما أو في الجمعيات والنوادي السينمائية) وتفضل الممارسة الفردانية، لاسيما بعد انتشار وسائل الاتصال الرقمية. ويتأكد ذلك من خلال الدراسات الميدانية التي أجريت في هذا السياق (مثل البحث الوطني حول السينما والجمهور الذي أنجز على هامش المهرجان الوطني الثالث للفيلم سنة 1991[150].

من أهم الإشكاليات التي أصبحت تطرح كذلك على مستوى الممارسة السينمائية، الجدل حول كيفية استهلاك الإنتاجات، وهو ما يتجلى في المفارقة بين ما يوصف بالإنتاجات ذات "القيمة الثقافية" المحفزة على التثقيف وبين ما يصنف كإنتاجات "تجارية مبتذلة" مولدة للتتفيه والتسطيح[151]. ويمكن وصف هذا الجدل بالنقاش القديم المتجدد والذي اشتهرت به مدرسة فرانكفورت بعد نقدها ل"التنميط" و"البرمجة" اللذان تمارسهما الثقافة الجماهيرية وما تحمله من إيديولوجيا وتأثير على القيم والمؤسسات الاجتماعية.

---

[148] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 48

[149] السعداني. عادل و كسيكس. إدريس، (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط. ص.49

[150] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 209

[151] فرقزيد. بوشتى، (2016)، "الدلالة الاجتماعية للسينما"، (11-23)، في: "السينما والمجتمع"، أعمال ندوة المهرجان الدولي العاشر للسينما الامازيغية يومي 30 و31 أكتوبر 2016، تنسيق: محمد اشويكة ورشيد بوقسيم، منشورات أسني ن وورغ، ايت ملول، ص. 17.

يلاحظ أيضا أن أغلب الجمهور لازال يتابع الأفلام الأجنبية (خاصة السينما الأمريكية) ويقبل بشكل أقل على السينما المغربية، مع وجود بعض الديناميات في التلقي السينمائي، مثل تحول اتجاه التفضيلات من الأفلام المصرية والسورية إلى الأفلام والمسلسلات التركية، وهو التحول الذي يهم فئة النساء بشكل خاص. وقد أدى هذا الاتجاه الحديث من التثاقف إلى بروز عدد من الظواهر الاجتماعية لدى الشابات، مثل: تزايد السفر إلى دولة تركيا لقضاء العطل؛ الإقبال على تعلم اللغة التركية أو عبارات منها؛ البحث عن الزواج من الأتراك. كل ذلك، يؤشر على التأثير الكبير للممارسات الثقافية على المجتمع والذي لم يعد يتطلب إلا سنوات معدودة من التراكم، خاصة عندما يتعلق الأمر بالممارسات الإعلامية.

5- القراءة

تعد القراءة واحدة من أكثر الممارسات الثقافية إثارة للنقاش خلال العقود الأخيرة، سواء على المستوى العالمي والعربي والوطني، وذلك بسبب التراجع الذي شهدته بتزامن مع انتشار وسائل الاتصال الرقمية. وحري بالذكر أن تراجع الفعل القرائي يتصف بطابع التفاوت بين مختلف المجتمعات، بل وبين مختلف الأوساط الاجتماعية داخل نفس المجتمع.

بالنسبة للمجتمع المغربي، تجمع مجمل الدراسات - على قلتها- ومجمل مواقف الفاعلين في هذا الحقل (رجال التعليم على وجه الخصوص) على أن ممارسة القراءة قد تراجعت وبشكل حاد، وهذا ما أكدته البحوث الميدانية منذ البحث الذي قام به محمد بنيس وأحمد الرضاوني والمنشور بمجلة الكرمل[152] وحتى آخر دراسة قام بها المجلس الاقتصادي والاجتماعي والتي نشرت بالجريدة الرسمية في دجنبر 2019[153].

تأتي إشكالية الأمية في طليعة العوامل المؤثرة في فعل القراءة بالمغرب بعد أن لازمت المجتمع المغربي على مر تاريخه، فقد كان معدل الأمية يصل إلى 95% في فترة الاستعمار

[152] بنيس. محمد والرضاوني. أحمد، (1984)، "القراءة والقراء في المغرب"، (238-271)، في: مجلة الكرمل، العدد 11، قبرص، ص. 239

[153] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، (2019)، "النهوض بالقراءة، ضرورة ملحّة"، (1109-11018)، رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، في: الجريدة الرسمية، إعلانات وبلاغات، عدد 6836، 8 ربيع الآخر 1441 (6 ديسمبر 2019)، ص. 1109.

الفرنسي وانتقل إلى 65% سنة 1982 ثم انخفض إلى 55% سنة 1994[154]. ولازالت الجهود مبذولة لحد الآن للتخفيف من وطأة الأمية، لاسيما في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي حققت عددا من الانجازات على مستوى المجال الحضري. وتظل الأمية مستشرية بشكل أكبر في المجال القروي والمدن الصغرى، في الوقت الذي احتفلت به عدة دول منذ سنوات خلت بتعلم آخر الأميين فيها.

يحضر مستوى المعيشة كمتغير مؤثر في الاعتياد على القراءة، ففي ظل الارتفاع المتزايد لتكلفة المعيشة وتراجع القدرة الشرائية للمواطنين تطرح صعوبة اقتناء الحوامل المقروءة، خاصة لدى الفئات الشعبية. وقد بين البحث الوطني حول الاستهلاك ونفقات الأسر 2001-2000 المنجز من طرف المندوبية السامية للتخطيط أن حجم النفقات الموجهة نحو التعليم، الترفيه والثقافة يبلغ فقط % 3.6 (بعد أن كان يصل إلى 5.8% في 1989-1990)، وذلك في مقابل نسبة الإنفاق على التغذية التي بلغت 41.3%، ونسبة الإنفاق على التنقل والاتصال التي وصلت إلى 7.5% ثم نسبة الإنفاق على المظهر التي بلغت 4.8%. وحسب إحصائيات 1990-1991، فقد بلغت نسبة اقتناء الكتب غير المدرسية والجرائد 3% من النفقات المرتبطة بالترفيه والثقافة، أي ما يمثل 0.2% من مجموع نفقات الفرد[155].

إن المقارنة بين معدل اقتناء الكتب والجرائد ومعدل المصاريف حول المظهر تؤكد أن الاهتمام بالقراءة لا يدخل ضمن الاهتمامات الأولى للمجتمع المغربي[156]، فعدد كبير من المغاربة لا يوجهون نفقاتهم نحو القراءة حتى لو توفرت لديهم الإمكانيات الكافية لذلك، مما يعني أن المحددات الثقافية (كالتمثلات الاجتماعية والقيم والعادات) قد تكون أكثر توجيها من المحددات السوسيواقتصادية.

---

[154] EL OUAZZANI. Hassan, (2009), Le secteur du livre au Maroc, état des lieux et perspectives, Etude réalisée en 2006 dans le cadre d'un partenariat entre le bureau de l'UNESCO à Rabat et le Ministère de la Culture, 1ère édition, publications du Ministère de la Culture, Rabat, p. 106

[155] Idem, p.107.

[156] ALAOUI. BELGHITI. Abdallah, (2015), Propos sur l'éducation et la culture au Maroc, 1ère édition, publication à compte d'auteur avec le soutien du Ministère de la Culture, Rabat, p. 148

من مظاهر هذه المحددات الثقافية أن فئات عريضة من الأطفال لا تعتاد خلال مختلف أطوار التنشئة الاجتماعية استبطان صورة الآباء وهو يمارسون الفعل القرائي، كما أن عددا كبيرا من هؤلاء الآباء لا يحفزون أبناءهم على ممارسة القراءة. يتجلى ذلك أيضا في النظرة النفعية التي يُنظر بها إلى فعل القراءة عند فئات واسعة، والتي لا ترى في القراءة إلا وسيلة للحصول على الشهادة، بل إن أسلاك التعليم ذاتها تعتبر قنطرة عبور لولوج سوق الشغل وليس كوسيلة للتثقيف وتوسيع مدارك الفكر. بسبب ذلك، يلاحظ أن عددا من العائلات "تشجع" أبنائها على الهدر المدرسي، بعد بلوغ مستوى من التعليم بهدف الالتحاق بالنشاط الاقتصادي للأسرة الذي غالبا ما يكون الفلاحة في العالم القروي أو التجارة في المجال الحضري، ومن التبريرات التي يسوقونها لذلك أن آلافا من الشباب يقضون سنوات طويلة في التعليم ليجدوا أنفسهم في وضعية البطالة، فلا هم يستطيعون الحصول على العمل ولا هم قد تربوا وتمرسوا على نشاط اقتصادي معين.

بالإضافة إلى ما تقدم، تكتسي جودة التعليم أهمية خاصة في ترسيخ الاعتياد على القراءة. وكما أصبح ملحوظا، تشهد جودة التعليم بالمغرب مشاكل بنيوية عديدة ومعقدة تؤثر في مختلف جوانب التحصيل الدراسي. ويعد ضعف مستوى اللغات الأجنبية لدى كثير من التلاميذ والطلبة من العوامل التي تجعلهم يحصرون قراءاتهم في المؤلفات المنشورة بالعربية، وهو ما أكده المجلس الوطني للشباب والمستقبل في بحث وطني بالإعلان أن 49% من الشباب المغربي يجهلون اللغة الفرنسية[157].

زيادة على ذلك، تبرز ظاهرة الغش كإحدى المؤشرات الدالة على الوضعية التي يتخبط فيها النظام التعليمي بالمغرب والتي يشترك فيها مختلف الفاعلين بمن فيهم الأسرة. ففي السنوات الأخيرة، لوحظ عزوف الكثير من التلاميذ عن القراءة حتى من أجل تحضير واجباتهم المدرسية، وأصبح يلاحظ أنهم يطلبون من أصحاب مقاهي الانترنت تحضير العروض المدرسية عوضا عنهم، بل بات من المعتاد معاينة تواطؤ الآباء وتوجههم إلى هذه الفضاءات للقيام بذلك عوضا عن أبنائهم. نفس الظاهرة أصبحت تلاحظ لدى طلبة التعليم

[157] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 106.

العالي الذين يعمدون إلى استنساخ ما ورد في أبحاث سابقة، لاسيما في سلك الإجازة حيث الفترة الزمنية الممنوحة لإنجاز الأبحاث الميدانية لا تتجاوز شهرا، فضلا عن كثرة العروض النظرية والاختبارات.

هذا، في الوقت الذي أصبحت فيه الدول المتقدمة تعمل على تخفيف الضغوط على الطلبة (ضغط الكم النظري، الضغط الزمني، الضغط النفسي للامتحانات) في مقابل الرفع من جودة الأعمال التطبيقية والعمل على تطوير المهارات الإبداعية. هكذا، فالمنظومة التعليمية الحالية في المدرسة العمومية بالمغرب لا تشجع على القراءة الحرة فقط، بل لا تشجع أيضا على تحصيل ما هو مبرمج في المقررات التعليمية، مما يقتضي إعادة النظر في المنظومة التعليمية ككل.

6- الفن التشكيلي

عرف المجتمع المغربي عبر تاريخه الثقافي الفنون البصرية والتشكيلية لكن بشكل تقليدي (مثل الصناعات التقليدية والهندسة المعمارية)، أما في نسختها الحديثة (اللوحة، توقيع الفنان، الخ)، فقد عرفها عبر التثاقف مع المستعمر منذ بداية القرن العشرين[158]. ويجمع الباحثون على أن محمد بنعلي الرباطي هو أول مغربي استخدم صباغة الحامل واشتغل على اللوحة الفنية كفنان مبدع وليس كصانع تقليدي، كما أنه أول من أنجز معارض فنية على منوال الفنانين المحدثين ابتداء من سنة 1916[159]. ومثلما احترف هذا الأخير الفن على يد أحد الفنانين الانجليز الذين أقاموا بالمغرب، فقد تتلمذ أغلب الفنانين المغاربة في هذه الفترة على يد الأجانب سواء بالمغرب أو بالخارج[160].

في هذا الإطار، كلفت السلطات الاسبانية في الشمال الرسام الاسباني "ماريانو برتوتشي" Mariano Bertuchi بالسهر على الآثار والفنون التقليدية والجميلة وأسس

[158] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 112

[159] الشيكر. محمد، (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط، ص. 11

[160] ABOU EL AZM. Amel et KHROUZ. Myriem, (7 Février 2010), «En quête d'économie de la culture », (68-114), Revue Economia, N8, Editions : HEM Research Center, Rabat, p. 100.

مدرسة الفنون الجميلة بتطوان سنة 1945 (المعهد الوطني للفنون الجميلة حاليا)، ومنها تخرجت أجيال من الفنانين الشباب. أما في الجنوب، فقد قام الرسام الفرنسي "جاك ماجوريل" Jacques Majorelle بإعداد جملة من الرسامين المغاربة الذين شكلوا فيما بعد الاتجاه "الساذج" في المغرب، وبعد ذلك تم تأسيس مدرسة الدار البيضاء بصبغة أكاديمية متأثرة بمدرسة باريس الفرنسية[161].

عبر هاتين المدرستين، قام الأجانب بفرض تقاليدهم ومعاييرهم الفنية في البرامج الأكاديمية وجعلوا منها أفقا استيتيقيا لا يمكن تجاوزه[162]. تجلت هذه الوصاية مع النقاد الأجانب الذين نصبوا أنفسهم بمثابة الموقعين على شهادة ميلاد الصباغة المغربية والقيمين على تجارب التشكيليين المغاربة الأوائل[163]. وفي الجانب المؤسساتي أيضا، عرفت فترة الحماية تأسيس "مصلحة التحف والفنون الجميلة"[164]. وقد شهد الفن التشكيلي المغربي انطلاقة ملحوظة خلال بداية الأربعينيات مع "الاتجاه العفوي والفطري" الذين برزت فيه أسماء من قبيل أحمد الورديغي ومحمد بنعلال واليعقوبي وغيرهم[165].

بعد الاستقلال تم تنظيم تداريب لصالح منشطي دور الثقافة والنوادي الثقافية في "المركز الوطني للثقافة الشعبية"، وتم إرسال عدد من الشباب إلى الخارج لتلقي المزيد من التكوين الأكاديمي، مما أسفر عن تكون جيل ثان من الشباب بعد جيل الحماية. ومن ضمن هؤلاء شباب جماعة وضعت التراث الكولونيالي لمدرسة الدار البيضاء موضع مساءلة وأسسوا "مجموعة 65 أو مجموعة الدار البيضاء"، وقد وضعت على عاتقها مسؤولية التأسيس للوعي البصري الحديث بالمغرب[166].

---

[161] السلاوي. أديب. محمد، (2015)، "الحركة التشكيلية المغربية، البداية والامتداد"، (30-37)، في: آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد 88-89، الرباط، ص. 31

[162] الشيكر. محمد، (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط، ص. 15

[163] المرجع نفسه، ص. 12

[164] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 112

[165] الشيكر. محمد، (2014)، ص. 11

[166] المرجع نفسه، ص 61.

من هؤلاء الشباب يوجد الجيلالي الغرباوي، أحمد الشرقاوي، فريد بلكاهية، محمد المليحي، محمد شبعة وآخرون[167]. وقد تجسد هذا الخطاب الثقافي بالعودة إلى التراث واستعمال الأرابيسك والرموز الأمازيغية وعناصر الزليج والوشم في اللوحات، مع الثورة على الفن الرسمي[168]. ويعد الغرباوي أول مغربي اتخذ سبيل التجريد كتوجه حداثي من أجل خلخلة النسق البصري الأكاديمي ومحاولة خلق مدرسة مغربية[169]. من هؤلاء الشباب المجدد فئة مارست نقدا ذاتيا حول التوجه الحداثي للمجموعة ووعت بانحسار مشروع هذه التجربة. في هذا الإطار، يعتبر محمد القاسمي أن محمد شبعة المعروف بتوجهه اليساري هو أول من أسس للتوجه ما بعد الحداثي في التشكيل المغربي من خلال أعماله التي أنجزها بين الثمانينات والتسعينات[170].

طرح الفن التشكيلي ومازال يطرح لحد الآن إشكالية ضخمة تتمثل في الصراع بين طابعه النخبوي والمحاولات الرامية إلى دمقرطته، ولا تنحصر هذه الإشكالية في الحقل الثقافي المغربي بل تنسحب على باقي المجتمعات الأخرى، وغالبا ما يتم تمثل هذا الصراع على أنه طبقي. وإن كان الأمر صحيحا من منظور ما (وجود ارتباط بين ممارسة هذا الفن والمستوى الاجتماعي)، إلا أنني اعتقد أنه صراع فئوي وإيديولوجي وليس طبقيا. ولعل ما يعزز هذا الطرح ما قام/يقوم به فاعلون ثقافيون (فنانون شباب، أرباب الأروقة وجمعيات ثقافية) من مبادرات لدمقرطة هذا الفن رغم تموقع عدد منهم ضمن مستويات اجتماعية عليا. وهناك أمثلة متعددة على هذا الرهان الثقافي، نذكر من بينها:

[167] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 36

[168] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 113

[169] الشيكر. محمد، (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط، ص. 16

[170] المرجع نفسه، ص. 125

- ❖ قيام فنانين شباب بمعرض تشكيلي بساحة جامع الفنا بمراكش سنة 1969 بغية الخروج بهذا النمط الفني من فضاء الأروقة والمتاحف إلى الفضاء العام في الحياة اليومية[171]؛
- ❖ تنظيم الفاعلين في القطاع الخاص سنة 2008 لحدثين هامين بمراكش، تجلى الحدث الأول في معرض دولي للفنون المعاصرة، فيما تمثل الحدث الثاني في بيينال biennale حمل اسم مدينة مراكش وعرف تنظيم ندوة على شرف المفكر عبد الكبير الخطيبي، واختتم بتنظيم معارض لأعمال الفنية أنجزها شباب معهد تطوان ومعهد الدار البيضاء[172]؛
- ❖ إيلاء الاهتمام بهذا الفن من طرف الجمعيات والمجلات الثقافية، مثل مجلة "أنفاس" التي انفتح عليها فنانو تيار ما بعد الحداثة وسعوا إلى تمازج أعمالهم التشكيلية بأعمال أدباء وشعراء هذه المجلة، وقد رأوا في هؤلاء فئة من الجمهور قادرة على التفاعل مع خطاباتهم الخارجة عن المألوف[173]؛
- ❖ إدماج الفن التشكيلي ضمن العمل المواطناتي مثل تجربة جداريات الفضاء العام بمدينة أصيلا[174].

من جانبها، قامت الدولة بفعل ثقافي يسير في الاتجاه الساعي للدمقرطة، وتمثل ذلك في مجموعة من المهام من قبيل: خلق قسم للفنون التشكيلية بمديرية الفنون التابعة لوزارة الثقافة؛ تنظيم معارض على المستوى المركزي والجهوي؛ بناء وتجديد الأروقة؛ إنشاء "متحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر"؛ دعم الفنانين واقتناء منجزاتهم؛ تنظيم

[171] ABOU EL AZM. Amel et KHROUZ. Myriem, (7 Février 2010), «En quête d'économie de la culture », (68-114), Revue Economia, N8, Editions HEM Research Center, Rabat, p. 100.
[172] ALAOUI. BELGHITI. Abdallah, (2015), Propos sur l'éducation et la culture au Maroc, 1ère édition, publication à compte d'auteur avec le soutien du Ministère de la Culture, Rabat, p.144
[173] الشيكر. محمد، (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط، ص. 117
[174] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي، الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 114

التقليد السنوي "ليلة الأروقة" في مدن مختلفة؛ إلخ. إلى جانب ذلك، يبرز الفعل الثقافي للمراكز الثقافية الأجنبية في هذا الحقل الثقافي[175].

ترتب عن الديناميات الثقافية التي أطلقها مختلف الفاعلين في حقل الفن التشكيلي أن استطاع هذا الفن إيجاد موطئ قدم رغم حداثة تاريخه في الثقافة المغربية ورغم ضعف الاهتمام به من طرف أغلب شرائح المجتمع، ومن بين العوامل التي ساعدته على ذلك قوة رساميل جمهوره (رأسمال مادي، اجتماع ورمزي)[176]. وقد ساعده في ذلك أيضا أنه لم يكن لهذا الفن مواجهات سياسية مع الدولة مثلما هو الشأن مع المسرح مثلا[177]. وأكثر من ذلك، استطاع التشكيل المغربي تحقيق مكانة مرموقة على المستوى العربي والغربي بعد أن شكل لنفسه هوية مغربية خاصة به من خلال إسهامات جماعية (في إطار المدارس الفنية) أو من خلال إسهامات فردية. لكن، رغم ذلك، مازال حقل التشكيل في المغرب يعاني من جملة من المشاكل، من أهمها:

- ضعف القانون المنظم للحقل التشكيلي على مستوى الممارسة والترويج وضمان حقوق الفنان؛
- هيمنة علاقات الزبونية على بعض الأروقة ومؤسسات الرعاية وبعض المجلات الثقافية؛
- نقص مؤسسات التكوين الأكاديمي والاقتصار على معهدين أنشأهما المستعمر الأجنبي؛
- وجود تفاوتات في الحضور بين مختلف أنماط الفن التشكيلي: هناك حضور قوي لفن الرسم (يسمى أيضا فن التصوير) مقارنة مثلا مع فن النحت، الكاريكاتير[178]؛

---

[175] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p.83

[176] ALAOUI. BELGHITI. Abdallah, (2015), Propos sur l'éducation et la culture au Maroc, 1ère édition, publication à compte d'auteur avec le soutien du Ministère de la Culture, Rabat, p. 140.

[177] بهضوض. محمد، (2014)، المشهد الثقافي المغربي، الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 119.

[178] عميروش. بنيونس، (2015)، "النحت المعاصر في المغرب، مقاربة أولية"، (43-58)، في: مجلة افاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد 88-89، الرباط، ص. 43.

- ❖ إشكالية النقد الفني وعلميته؛
- ❖ مشكل إجراء الخبرة الفنية والتقنية التي تؤدي إلى ممارسات غير مشروعة، مثل: قرصنة وتزييف لوحات الفنانين الراحلين؛ غياب المعايير الموضوعية لتحديد القيمة التداولية للقطع الفنية خاصة في مؤسسات البيع بالمزاد العلني؛
- ❖ فبركة أسماء مفتعلة لا ترقى إلى المستوى الإبداعي المطلوب والترويج لها إعلاميا وتجاريا[179].

7- التراث الثقافي

يمكن تعريف التراث بأنه مجمل الإنتاجات التي تثمنها المجتمعات بقيمة ثقافية وتتوارثها عبر الأجيال، وحيث أن فعل التوارث يحيل على العتاقة والقدم، فقد ارتبط مفهوم التراث في حقل تدبير الشأن الثقافي بما هو تقليدي ومحلي. هكذا، تم تصنيف التراث إلى: تراث مادي منقول (مثل المجموعات المتحفية، المخطوطات) وتراث مادي غير منقول (مثل البنايات ذات القيمة التاريخية أو الفنية، البقايا الأثرية، المدن العتيقة).

بعد ذلك، تطور هذا المفهوم ليشمل أنماطا أخرى من الإنتاجات الثقافية المتوارثة مثل التراث اللامادي؛ التراث الايكولوجي؛ التراث المغمور بالماء؛ بل واغتنى المفهوم أيضا ببعد الراهنية ليشمل التراث المعاصر؛ التراث الصناعي؛ التراث الرقمي؛ الخ. ولئن كان هذا البعد الحداثي حاضرا بشكل اكبر في المجتمعات ما بعد الصناعية، فإن مفهوم التراث الثقافي في مجتمعات دول العالم الثالث مثل المغرب لازال يحيل على ما هو تقليدي وعتيق.

بدأت عملية تدبير وتثمين التراث الثقافي بالشكل الحديث مع سلطات الاستعمار الفرنسي. فإلى جانب مختلف الأسس التي وضعتها لهذا الغرض، فقد أسست "معهد الدراسات العليا المغربية" Institut des Hautes Etudes Marocaines الذي أشرف

[179] اتحاد كتاب المغرب، (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة، ص.81

على أبحاث أنثروبولوجية وسوسيولوجية قامت من بين ما قامت به بأبحاث وتحريات ميدانية هدفت إلى جرد عناصر التراث ودراستها[180].

استفادت فرنسا من أخطاء تجاربها بالمستعمرات الشرقية خاصة في الجزائر، فحاولت نهج سياسية مغايرة تعتمد على تثمين التراث ومتحفة المدن العتيقة[181]. هكذا، أسست السلطات الفرنسية لأولى الأطر التشريعية في هذا الشأن ويتعلق الأمر بالظهير الشريف المؤرخ ب 29 نونبر 1912 المتعلق بالمحافظة على المواقع والنقائش التاريخية[182]، والذي تلاه فيما بعد الظهير الشريف المؤرخ ب 13 فبراير 1914 والمتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والنقائش والتحف الفنية والعاديات وحماية الأماكن المحيطة بالمآثر والمواقع والمعالم الطبيعية، ثم الظهير الشريف المؤرخ ب 21 يوليوز 1945 الذي أضاف إلى ذلك حماية المدن العتيقة والمعمار الجهوي.

بالإضافة إلى ذلك، تم إحداث عدد من المؤسسات مثل مصلحة الفنون الجميلة التي تم تعويضها سنة 1935 بمفتشية المباني التاريخية والمدن العتيقة والمواقع المقيدة[183]. وقد قامت سياسة ليوطي في تدبير التراث المغربي على أربع محاور تمثلت في حماية المدن العتيقة وخلق مدن حديثة إلى جانبها؛ تسجيل وتقييد المواقع الأثرية والمباني التاريخية؛ إجراء الأبحاث الأركيولوجية؛ خلق متاحف أثرية وإثنوغرافية (بلغ عددها سبعة خلال فترة الحماية) واقتناء مجموعات متحفية جديدة[184].

بعد الاستقلال، سعت الدولة إلى الاهتمام بالتراث في إطار مرجعيتها الفكرية المحافظة والتي تقاطعت في هذه النقطة مع مرجعيات بعض القوى السياسية بداخلها، فكان التراث الثقافي يخدم بذلك هذا التوجه[185]، مثلما خدم سابقا السياسة الثقافية المحافظة التي سارت

---

[180] Salih. Abdallah, (2008), L'inventaire du patrimoine culturel et naturel au Maroc, Les Cahiers du Patrimoine, 1ère édition, publié avec le soutien de l'ISESCO, N°2, Rabat, p. 21.

[181] المهداوي. عبد الواحد، (2013)، حماية التراث بالمغرب، مقاربة تاريخية وقانونية، المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، الرباط، ص. 44

[182] BAYAHYA. Nabil, (2015), Politiques culturelles à l'âge du numérique, l'exemple du Maroc, Coll. Essais, 1ère édition, Ed. Descartes et Cie, Paris, p. 81

[183] المهداوي. عبد الواحد، (2013)، ص.101

[184] بهضوض. محمد، (2014)، المغرب الثقافي، نحو مشروع وطني للثقافة، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط. ص. 133.

[185] MASSAIA. Ahmed, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 31

عليها سلطات الحماية. هكذا، فمن الناحية المؤسساتية، أحدث سنة 1974 مركز لجرد التراث بعد أن طلبت الدولة من منظمة اليونسكو مدها بالخبرة اللازمة لهذا الغرض[186]، وفي سنة 1985 تم بوزارة الثقافة إنشاء مديرية التراث الثقافي. في حين، عرفت السنة الموالية تأسيس المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث بالرباط لتكوين الشباب والقيام بالبحث العلمي في هذا الميدان.

عرفت أيضا فترة الثمانينات إحداث الصندوق الوطني للعمل الثقافي لتحصيل مداخيل المواقع الأثرية والمتاحف بهدف تنمية الموارد المادية. مكن هذا الإطار المؤسساتي من القيام بمجموعة من المجهودات في مختلف الحقول التراثية، لكن، بالموازاة مع ذلك تظل هناك الكثير من النقائص. وفيما يلي سأعرض بعض الأمثلة عن المجهودات المبذولة وعن مشاكل أهم المجالات التراثية.

ففي مجال التراث المادي غير المنقول تم تسجيل وترتيب 458 من المواقع التاريخية والأركيولوجية (منها 161 مسجلة و297 مرتبة ضمن لائحة التراث الوطني)[187]؛ جرد ما يزيد عن 8258 من المواقع الأثرية والبنايات التاريخية[188]؛ تسجيل 9 ممتلكات ثقافية على قائمة التراث العالمي.

غير أن هذا الصنف من التراث يعاني من مجموعة من المشاكل منها: ضعف تأمين الوسائل اللازمة للمحافظة عليه، بل وانعدامها في الكثير من الحالات لاسيما أن عدد هذه المواقع يقدر بالآلاف وهو ما يتجاوز الإمكانيات؛ التدهور الحاصل بسبب الممارسات غير المسؤولة أو غير الواعية لفئة من السياح؛ التعرض للنهب وللاتجار غير المشروع؛ ضعف التحسيس لدى المسؤولين والساكنة المحلية المجاورة لها[189]؛ كما أنها تعاني من الانفصال

[186] Salih. Abdallah, (2008), L'inventaire du patrimoine culturel et naturel au Maroc, Les Cahiers du Patrimoine, publié avec le soutien de l'ISESCO, N°2, Rabat, p. 23

[187] وزارة الثقافة، (2016)، مجلة الإحصائيات الثقافية 2013-2015، نشر لوزارة الثقافة، الرباط، ص. 27

[188] المرجع نفسه، ص. 26

[189] MINISTERE DE LA CULTURE, Direction du Patrimoine Culturel, projet de stratégie patrimoine 2020, Ministère de la Culture, Rabat, p. 8.

عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية أي الاقتصاد الثقافي المرتبط بالسياحة المحلية والأنشطة الثقافية والفنية[190].

تندرج المدن العتيقة في هذا الصنف من التراث الثقافي، ويتوفر المغرب على 31 مدينة عتيقة، 7 منها مدرجة ضمن قائمة التراث العالمي لدى منظمة اليونسكو وهي: مدينة فاس (1981)؛ مدينة مراكش (1985)؛ مدينة مكناس (1996)؛ مدينة تطوان؛ مدينة الصويرة (2001)؛ المدينة البرتغالية مازاغان بالجديدة (2004) ومدينة الرباط (2012).

تضم المدن العتيقة 2,5% من مجموع السكان حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 (أي ما يمثل 740.000 نسمة)، وهم يعيشون في واقع يعرف الكثير من الفقر والهشاشة والجريمة، وذلك بعد أن عرفت هذه المجالات الحضرية تحولات ديمغرافية من بينها ظاهرة التريّف؛ هجرة العائلات العريقة؛ الكثافة السكانية، تدهور النسيج العمراني والتراثي. لكن، منذ سنة 1990 عرف عدد من المدن العتيقة بعض الانتعاش مع تزايد برامج التأهيل الحضري وتنامي ظاهرة دور الرياض من أجل إيواء السياح الأجانب (وهي ظاهرة لا تخلو من إشكاليات حول إمكانية تحريف وتشويه معالم الهويات العمرانية)[191].

على غرار المدن العتيقة، يزخر المغرب بتراث عمراني مبني بالطين، يتمثل في القصور والقصبات المعبرة عن انسجام الثقافة والطبيعة، ومن أهم هذه المعالم "قصر ايت بنحدو" المصنف من طرف منظمة اليونسكو. ويتركز هذا التراث في المناطق الأطلسية والجنوبية على وجه الخصوص، إذ تضم منطقة سوس درعة مثلا أكثر من 86 قصر و300 قصبة (200 منها في حالة تدهور كبير)[192]، كما تضم منطقة تافيلالت أكثر من 100 قصر. ومن أهم المشاكل التي تعترض هذا التراث ارتفاع تكلفة الصيانة والترميم بعد تعرض هذه الوحدات العمرانية إلى الهجرة بعد أن كان شبابها يداومون على صيانتها وترميمها.

[190] بهضوض. محمد، (2015)، التنمية الثقافية، الصناعات الثقافية والإبداعية في المغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص.122

[191] MINISTERE DE LA CULTURE, Direction du Patrimoine Culturel, projet de stratégie patrimoine 2020, Ministère de la Culture, Rabat, p. 9

[192] Idem, p. 9.

على خلاف التراث المادي، لم يلق التراث اللامادي نفس الاهتمام من المؤسسات الثقافية العمومية رغم أن هذا الأخير زاخر بالانتاجات الثقافية، وقد تجلى هذا التفاوت على المستوى المؤسساتي وعلى مستوى البحث الميداني أيضا. لكن، ومع بداية التسعينات، بدأ الاهتمام بهذا التراث في الاطراد[193]، خاصة بعد مصادقة المغرب سنة 2006 على اتفاقية اليونسكو لحماية التراث الثقافي اللامادي والتي تم تبنيها سنة 2003[194]. وحسب المادة الثانية من هذه الاتفاقية، يتجلى "التراث الثقافي غير المادي" بصفة خاصة في المجالات التالية : التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي؛ فنون وتقاليد أداء العروض؛ الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات؛ المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون؛ المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية[195].

ومن بين الآليات التي اعتمدها المغرب من أجل المحافظة على التراث اللامادي الاهتمام بما يسمى ب"الكنوز الإنسانية الحية"، ويقصد بالكنز الإنساني الحي كل شخص معترف له بامتلاكه مستوى عال جدا للمعارف والخبرات والمهارات اليدوية والكفاءات المتعلقة بالتراث الثقافي غير المادي، وتتجلى أهمية هذه المحافظة وهذا النقل في كون هذه المعارف والخبرات مهددة بالانقراض في حال وفاة هؤلاء الأشخاص. وفي هذا الصدد، تعمل وزارة الثقافة على إعداد مشروع قانون يتعلق بهذه المنظومة[196].

يتدخل في هذا الحقل فاعلون آخرون مثل الوزارة المكلفة بالصناعة التقليدية حيث تم توقيع اتفاقية تعاون بين وزارة السياحة والنقل الجوي والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي ومنظمة اليونيسكو، وذلك يوم 17 أكتوبر 2017 بمقر هذه المنظمة بباريس. زيادة على الاعتراف بالصناع التقليديين ودعمهم، تهدف هذه الاتفاقية إلى تكوين الشباب

[193] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. p.232

[194] Salih. Abdallah, (2008), L'inventaire du patrimoine culturel et naturel au Maroc, Les Cahiers du Patrimoine, publié avec le soutien de l'ISESCO, N°2, Rabat, p. 34

[195] Sur le site : https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000132540_ara

[196] MINISTERE DE LA CULTURE, Direction du Patrimoine Culturel, projet de stratégie patrimoine 2020, Ministère de la Culture, Rabat, p. 12.

وتشجيعهم على تعلم ونقل هذه المعارف والخبرات[197]. كما أسفر الفعل العمومي لوزارة الثقافة عن تنظيم 22 مهرجان تراثي تتم إقامتها بشكل سنوي[198]، وهي بذلك تجسد التنوع الثقافي للتراث المغربي، والذي يتوفر على ما يقارب 50 صنفا من الموسيقى التراثية، وفي فن الملحون وحده تم جمع 5000 قصيدة[199].

بالنسبة للتراث المادي المنقول، فيتكون من مجموعات غنية جدا ومتنوعة مثل اللقى الأثرية، القطع الاثنوغرافية، منتوجات الصناعة التقليدية، الوثائق والمخطوطات، الخ، وتوجد أغلب القطع المنقولة ذات الأهمية التراثية في المتاحف، وهي مؤسسات لها دور كبير في نقل التراث إلى الشباب. وتطرح المتاحف بالمغرب الكثير من الإشكاليات، فمن الناحية العددية، فعددها محدود وتتركز في بعض المدن[200]. أما من حيث التجهيز، فعدد كبير منها يوجد في بنايات تاريخية تم تحويلها إلى متاحف (في إطار ما يسمى بإعادة التوظيف la réhabilitation des monuments historiques) رغم أنها لا تتناسب ومعايير المعمار المتحفي[201]. أما من حيث التدبير، فهي تعرف قصورا في أغلب وظائفها المتمثلة في الاقتناء؛ الجرد؛ المحافظة؛ الترميم؛ البحث العلمي. فيما يخص وظيفة التواصل مع الجمهور، فقد اتصفت منذ عقود بطابعها المحافظ الذي جعلها أقرب إلى بنايات للتخزين أو "مقابر" منها إلى مؤسسات للوساطة الثقافية تقوم بوظائف بيداغوجية بشكل منفتح على

---

[197] Sur le site : https://www.artisanat.gov.ma/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%81/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%86%D9%88%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A9/

[198] وزارة الثقافة، (2016)، مجلة الإحصائيات الثقافية 2013-2015، وزارة الثقافة، الرباط. ص. 35

[199] BELATIK. Mohamed, (2003), «Le patrimoine culturel marocain, richesse et diversité », (17-37), in: Patrimoine culturel Marocain, sous la direction de Gaultier-Kurhan. Caroline, Maisonneuve et Larose, Paris, p. 33.

[200] وزارة الثقافة، (2016)، ص. 30

[201] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca, p. 259

المحيط المجتمعي (لاسيما المؤسسات التعليمية)[202]. ولعل أبرز مؤشر يدل على انفصال المؤسسة المتحفية عن المجتمع هو نسبة الزوار، إذ تقدر نسبة المغاربة الذين يزورون المتاحف بأقل من 1%[203]. بالإضافة إلى ذلك، فالمجالس الجماعية المنتخبة لا تدرج هذه الفضاءات ضمن برامجها التنموية، حيث يسجل وجود متحف وحيد بالمغرب في ملكية جماعة حضرية (بمدينة أكادير).

أمام قوة المشاكل التي يعاني منها الحقل المتحفي وضعف إمكانيات وزارة الثقافة، قررت الدولة سنة 2011 إنشاء "المؤسسة الوطنية للمتاحف" وفوتت إليها جزءا مهما من المؤسسات المتحفية التابعة لوزارة الثقافة (بلغ عددها 14 متحفا). ويعكس هذا التغيير رغبة الدولة في القيام بتدبير مختلف لهذا القطاع، كما ورد في ديباجة قرار إحداث هذه المؤسسة[204].

فيما يتعلق بتكوين الشباب وتأهيلهم للفعل في حقل التراث، نجد المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث (INSAP) بالرباط، وهو المعهد الوحيد المتخصص في مجال الآثار، كما أنه يتوفر على شعب أخرى مثل الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية؛ التحافة؛ المخطوطات. وتعاني هذه المؤسسة الأكاديمية بدورها من نقص في الإمكانيات (لاسيما أن الأبحاث الأثرية الميدانية تتطلب تكاليف مادية هامة) ومن انعدام مختبرات التحليل والتأريخ.

وقعت المؤسسة الوطنية للمتاحف خلال السنوات الأولى لانطلاقتها اتفاقية مع جامعة محمد الخامس بالرباط من أجل تكوين الشباب في مجال التحافة والوساطة الثقافية. بالإضافة إلى ذلك، تأسست أكاديمية الفنون التقليدية التابعة لمؤسسة مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء سنة 2012 بهدف تكوين الشباب في مجال الصناعة والفنون التقليدية وتلقينهم تقنيات هذا القطاع للمحافظة عليها من الاندثار وإعادة تثمينها.

---

[202] KAFAS. Samir, (2003), « De l'origine de l'idée de musée au Maroc », (39-57), in: Patrimoine culturel Marocain, sous la direction de Gaultier-Kurhan, Maisonneuve et Larose, Paris, p. 55.

[203] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)، (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط، ص. 48

[204] المرجع نفسه، ص. 48.

الفصل الثاني:

الشباب وثقافته في ظل التغيرات

الاجتماعية المعولمة

المبحث الأول:

موقع ثيمة الشباب وثقافته

في الحقل السوسيولوجي

1-ثيمة الشباب في بدايات علم الاجتماع الفرنسي

يمكن القول أن دوركايم هو مؤسس سوسيولوجيا الشباب، ففي كتابه "سوسيولوجيا التربية" يتناول الطابع الاجتماعي لعملية التربية كفعل ممنهج يهدف إلى التنشئة الاجتماعية للفئات الشابة. في إطار هذا التناول، يعلي دوركايم من شأن سلطة الأسرة والمجتمع ويقلل من الفاعلية الاجتماعية للطفل وللمراهق وينفي وجود الاستعدادات المسبقة أو المحددات الوراثية لديهما.

إن هذا التركيز على دراسة آليات الضبط الاجتماعي التي يمارسها المجتمع على المراهق وقلة الاهتمام بتناقضات التنشئة الاجتماعية مع ترك مهمة فهم المراهق لعلم النفس هي من العوامل التي جعلت دراسة موضوع الشباب في فرنسا لوقت طويل أقرب إلى علم النفس منها إلى علم الاجتماع[205].

2- التفكير الاجتماعي في الشباب خلال بدايات السوسيولوجيا الأمريكية

اختلفت السوسيولوجيا الأمريكية عن مثيلتها الفرنسية، حيث اهتمت مدارس علم الاجتماع بشكل أكبر بمواضيع الشباب بعد أن نهلت من تراكمات السوسيولوجيا الفرنسية في هذا الاتجاه، وأخذت هي الأخرى مبكرا مسافة من المقاربة السيكولوجية. ففي سنة 1936، وفي إطار تقديم حصيلة حول الأبحاث السوسيولوجية المتعلقة بالمراهقة، ورد في المجلة السوسيولوجية الأمريكية American Sociological Review التعريف التالي حول مرحلة المراهقة باعتبارها: "تجربة اجتماعية، لا ينبغي تعريف المراهقة من منظور البلوغ والنضج الجسدي، بل إن بدايتها تنطلق ابتداء منذ اللحظة التي لم يعد يعتبر فيها المجتمع الفرد كطفل وأصبح ينتظر منه أن يضطلع ببعض مسؤوليات الكبار"[206].

أرى في هذا التعريف أبعادا متنوعة، فهو يشير إلى بعد النسبية في تعريف مفهوم الشباب والذي يجعل تحديد فترة المراهقة/الشباب تختلف من مجتمع لأخر، وهي النسبية

[205] GALLAND. Olivier, (2007), Sociologie de la jeunesse, 4ème édition, Armand Colin, Paris, p.41.
[206] Idem, p. 42

ذاتها التي أكدت عليها مارجريت ميد Margaret Mead من خلال دراستها لمواضيع الشخصية المراهقة والجنسانية عند قبائل الساموا Samoa [207]. كما أعتقد أن العوامل الطبيعية قد تساهم أيضا إلى جانب العوامل الاجتماعية والثقافية في اختلاف التمثلات والبناءات الاجتماعية، ففي المجتمعات ذات المناخ الحار يحدث البلوغ الجنسي مبكرا، فتكون المراهقة في سن مبكرة وتبدأ معها أدوار اجتماعية جديدة، أما في المجتمعات ذات المناخ البارد فغالبا ما تتأخر فترة المراهقة.

ينضاف إلى ذلك عوامل أخرى تؤثر في معايير المجتمع وتمثلاته في هذا الشأن، مثل ثقافة المجتمع ونمط عيشه (المجال القروي / المجال الحضري، المجتمع التقليدي / المجتمع الحديث). يحمل هذا التعريف بعدا آخر يتمثل في صراع الأجيال الناتج عن الاختلاف بين ما ينتظره ويطلبه المجتمع من الشباب وما ينتظر الشباب من المجتمع.

3- مفهوم الثقافة الفرعية كأحد أهم مساهمات مدرسة شيكاغو في سوسيولوجيا الشباب

شكلت إذن ثقافة الشباب واحدا من أهم المواضيع التي ركزت عليها السوسيولوجيا الأمريكية، وقد تم تناولها في إطار دراسة الثقافات الفرعية. من خلال التسمية، يمكنني تعريف الثقافة الفرعية على أنها ثقافة خاصة بمجموعات بشرية معينة، في مقابل ثقافة المجتمع ككل بشكل شمولي (أي أنها ثقافة فرع من الكل).

يمكن أن يكون الرابط المؤسس لهذه الثقافة المشتركة بين هذه المجموعات البشرية هو الانتماء إلى إثنية معينة أو فئة عمرية أو إلى اهتمامات أو ميولات معينة (ثقافة المثليين، هوايات خاصة) أو إلى فئة مهنية أو إلى طبقة اجتماعية (ثقافة عليا، ثقافة شعبية)، أو إلى مجالات عمرانية، الخ. هكذا، يبدو أن الشعور بالانتماء إلى الجماعة هو عنصر مركزي في تأسيس الثقافة بين المجموعات والحفاظ على تماسكها ووحدتها، وتتولد عن هذا الشعور مجموعة من العناصر المشتركة مثل القيم، الممارسات، التمثلات، المعايير، اللغة وغير ذلك من العناصر المكونة للثقافة.

[207] TABORDA-SIMÕES. Maria da Conceição, (2005), « L'adolescence : une transition, une crise ou un changement ? », (521-534), in : bulletin de psychologie, édition Groupe d'études de psychologie, 2005/5, Numéro 479, Paris, p. 521.

تطور مفهوم الثقافة الفرعية بمدرسة شيكاغو نتيجة التأثر بالتراث الأنثروبولوجي حول مفهوم الثقافة، سواء ما تعلق بالشق الباراديغمي أو ما تعلق بالشق المنهجي للبحث الميداني (خاصة ذلك الأثر الذي مارسه فرانز بواس Franz Boas وأتباعه على علم الاجتماع الأمريكي). ولطالما اعتبرت الثقافة كلا موحدا ومتجانسا يرتبط بكل آخر هو المجتمع، ولم تكن هذه المقاربة لتطرح مشكلا في الأبحاث الأنثروبولوجية نظرا لكون المجتمعات التي اشتغلت عليها كانت محدودة الانتشار الجغرافي، لكن الإشكال طرح حينما أصبحت السوسيولوجيا الأمريكية تدرس مجموعات بشرية متمايزة في مجتمع واحد بحيث تمتلك كل وحدة منها ثقافتها الخاصة، وهو ما حذا بعدد من مذاهب علم الاجتماع في هذا البلد إلى تبني المقاربات والمناهج الكيفية ذات الأصول الأنثروبولوجية[208].

بالإضافة إلى الاهتمام بدراسة التنوع الثقافي بين المجموعات الإثنية نتيجة الهجرة، برزت مدرسة شيكاغو كواحدة من أهم المدارس التي اهتمت بدراسة الظواهر الثقافية الحضرية عند فئة الشباب، لاسيما تلك التي ارتبطت بظواهر العنف والجريمة، ورغم أن عددا من الأفكار والمفاهيم التي سأعرضها فيما يلي تتعلق بدراسات حول عنف الشباب إلا إن الهدف منها ليس هو موضوع العنف والانحراف بحد ذاته، بقدر ما تتوخى الكشف عن بعض خصائص ثقافة الشباب في مجملها.

أظهر البحث الذي قام به فريديريك تراشر Frederic Trasher أن مظاهر الانحراف والعنف عند عصابات الشباب (التي ضمت آلاف الأفراد بعد أن زادت عن 1313 عصابة بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1927)[209]، هي بمثابة انعكاس لوضعية الهشاشة وللاختلالات الاجتماعية التي عرفتها المدن الأمريكية آنذاك، كما أنها تجسد الارتباط بين المجال وهوية أولئك الشباب، حيث أن هذه العصابات كانت تتركز في الأوساط الهامشية الفاصلة بين مجالات عمرانية مختلفة من ناحية المستوى الاجتماعي، وهو ما جعله يصوغ

[208] PERRINEAU. Pascal, «Sur la notion de culture en anthropologie », (946-968), in: Revue française de science politique, 25e année, n°5, 1975, p. 956.
[209] BRUNELLE. Natacha et COUSINEAU. Marie-Marthe, (2005), Trajectoires de Déviance Juvénile: Les Éclairages de la Recherche Qualitative, coll. Problèmes sociaux et interventions sociales, 1ère édition, Presses de l'Université du Québec, p. 98.

مفهوم la subculture interstitielle والذي يمكن أن أترجمه "بالثقافة الفرعية للفجوات" أو "الثقافة الفرعية الفجواتية"[210].

تناول روبرت عزرا بارك Robert Ezra Park (أحد رواد مدرسة شيكاغو) مسالة الشعور بالانتماء، التي وردت سابقا في إطار دراسته للتفاعلات الثقافية الإثنية، خاصة مواجهة الفرد الأجنبي مع نسقين ثقافيين في آن واحد بل ومتنافيين أحيانا: نسق جماعة انتمائه ونسق المجتمع المضيف. يتولد عن هذه المواجهة "الإنسان الهامشي" الذي ينتسب إلى هذا الحد أو ذاك، على حد تعريف بارك، للنسقين معا[211].

أرى أن هذه الفكرة، وإن اتصلت بسياق دراسة الثقافات الإثنية، يمكنني استثمارها في دراسة ثقافة الشباب، فالعديد منهم قد يعيشون تجاذبات ثقافية بين النسق الثقافي لعائلاتهم كجماعات مرجعية أولية والنسق الثقافي لجماعات أقرانهم كجماعات مرجعية ثانوية، مما قد يسفر عن هويات مأزومة بل وتمزقات ثقافية أكثر منها تجاذبات ثقافية، وهي بذلك تعد شكلا من أشكال الاغتراب الذي عبر عنه روبرت بارك "بالإنسان الهامشي" أو الذي تم التعبير عنه بمفاهيم أخرى عند مفكرين اجتماعيين آخرين.

4- ثقافة الشباب عند كل من بارسونز، ميرتون ثم ماتزا وسايكس

إن طبيعة الارتباط بما سميتها "الثقافة الشمولية للمجتمع" هي من بين أهم الإشكاليات التي طُرحت بخصوص الثقافة الفرعية بشكل عام وثقافة الشباب بشكل خاص. من هنا، يطرح السؤال حول ما إذا كانت ثقافة الشباب هي ثقافة خاصة مستقلة بذاتها، أو تابعة للثقافة السائدة ومتعايشة ومتداخلة معها. في هذا الإطار، تبرز أطروحة تالكوت بارسونز Talcott Parsons الذي اعتبر أن الفرد مجرد خاضع للثقافة المسيطرة (الثقافة الشمولية) أي ما اعتبرها الثقافة الوطنية الأمريكية المتميزة بالقيم المحافظة للطبقة الوسطى. وهو في ذلك،

[210] MELLIANI. Fabienne, (2001), «Subculture et territorialité urbaines en banlieue rouennaise», (65-75), in : Cahiers de sociolinguistique, n° 6, 2001/1, p. 71

[211] كوش. دنيس، (2007)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ص. 81.

مثله مثل إيميل دوركايم كما أسلفت الذكر سابقا، لا يعطي ما يكفي من الأهمية لتأثير ثقافة الشباب على المجتمع[212].

اختلف روبرت مرتون كينغ Robert Merton King (الذي اشتهر بأعماله حول تأقلم الفرد مع المجتمع وحول انحراف الشباب) مع هذه النظرة المحافظة لبارسونز، إذ يرى أنه من الممكن أن تكون لمجموعات معينة مثل مجموعات الشباب قيما تختلف عن قيم الثقافة المسيطرة. خلص إلى هذه النتيجة باحثون آخرون ممن اهتموا بالثقافة الفرعية للشباب، إذ توصل ألبرت كيرسيدل كوهين Albert Kircidel Cohen من خلال بحث تجريبي أجراه سنة 1955 إلى كون السلوكات المستهجنة من طرف شرائح واسعة من المجتمع (مثل الشغب، العدوانية) تعد قيما يتم التباهي بها داخل مجموعات الشباب الجانحين[213].

اختلف السوسيولوجيان الأمريكيان غريشام ماك ريدي سايكس *SYKES* GRESHAM *M*'Cready وديفيد ماتزا DAVID *MATZA* مع ألبرت كوهين بخصوص العلاقة مع الثقافة السائدة والثقافة الفرعية للشباب المنحرفين، حيث رأى هذا الأخير أن قيم المجموعات الثقافية الفرعية منفصلة تماما عن قيم الطبقة الأمريكية الوسطى التي تشكل الأغلبية. وعوضا عن ذلك، رأى سايكس وماتزا أن النشاطات المنحرفة تعبير عن قيم خفية توجد تحت مظلة نظام القيم الاجتماعية الشرعي لأي مجتمع، ولكنها غير منفصلة عنه.

ولا تقتصر هذه القيم الخفية على الشباب الجانحين، بل تكمن في أغلب مكونات المجتمع بغض النظر عن الفئة العمرية أو الوسط الاجتماعي، وتشمل القيم الخفية البحث عن المغامرة والإثارة والتشويق. ورأيا أيضا أن المشكلة التي تواجه الشباب هي أنهم يفتقرون

[212] انغليز. ديفيد وهيوسون. جون، (2013)، مدخل الى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة لما نصير، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ص. 111

[213] المرجع نفسه، ص. 111

إلى الفرص المؤسساتية والترفيهية، وكذلك إلى النضج، ليعبروا عن قيمهم الخفية بطرق مقبولة اجتماعيا[214].

5- من مفهوم الثقافة الفرعية إلى مفهوم الثقافة المضادة في الدراسات الأمريكية

من بين الالتباسات المفاهيمية التي تحدث عند تناول موضوع ثقافة الشباب التداخل بين مفهومي "الثقافة الفرعية" و"الثقافة المضادة"، وهو ما يتطلب التمييز بينهما. فالثقافة الفرعية كما يقول كين جيلدر Ken Gelder قد تكون ذات طبيعة محايدة، أو مدمجة أو ربما في حالة احتواء في علاقتها بالثقافة الشمولية السائدة، كما قد تكون محلية ومحدودة الانتشار[215].

في حين أن ما يميز الثقافة المضادة هو كونها حركة ثقافة ذات خاصية احتجاجية ومقاومة للثقافة السائدة، سواء كانت هذه الأخيرة ثقافة مجتمع شمولي واحد أو ثقافة كونية عابرة للقارات مثل الثقافة الرأسمالية أو الثقافة الاشتراكية، وهو ما يعني أن الثقافة المضادة قد تكتسي بعد العالمية، كما أن خاصيتها كحركة قد تجعل منها تقاطعا لثقافات متنوعة تنضوي تحت تيار ثقافي احتجاجي، عادة ما يكون تلقائيا وغير مؤطر. ولعل هذه الثقافة المضادة هي التي طبعت ثقافة الشباب خلال القرن العشرين وخلال القرن الحالي.

تبدو أصول مفهوم الثقافة المضادة غير واضحة غير أن هذا الأخير لقي رواجا كبيرا منذ سنة 1969 بعد صدور كتاب السوسيولوجي والمؤرخ الأمريكي ثيودور روزاك Theodor Roszak المعنون ب « Making of a Counter Culture: Reflections on the Technocratic Society and Its Youthful Opposition[216] »، والذي يمكنني ترجمته ب " صنع ثقافة مضادة: تأملات في المجتمع التقنوقراطي ومعارضته الشبابية".

---

[214] انغليز. ديفيد وهيوسون. جون، (2013)، مدخل الى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة لما نصير، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ص. 112

[215] GADET. Steve, (2016), Les cultures urbaines dans la Caraïbe , coll. Questions contemporaines, série : Questions urbaines, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 28

[216] KLANICZAY. Gábor, (2006), « L'UNDERGROUND POLITIQUE, ARTISTIQUE, ROCK (1970-1980) », (283-297), in : Ethnologie française, Vol. 36,2006/2, Presses Universitaires de France, p.286

بخلاف العديد من الأكاديميين الذين اعتقدوا أن الثقافة المضادة هي بمثابة احتجاج حول هيمنة البورجوازية وهيمنة الثقافة السائدة، فإن ثيودور روزاك في كتابه المذكور أبرز أن السبب هو أكبر من ذلك بكثير ويكمن في الطابع التقنوقراطي الذي أصبح يهيمن على المجتمع. ويحيل مفهوم التكنوقراطية عند روزاك على الاعتماد الكبير والمتنامي على التكنولوجيا والعقلانية العلمية[217].

بخصوص هذا التحليل، فلا أرى أن هذا المفكر يدعو إلى ضرورة إتباع العدمية والرجعية عن طريق استبعاد التقنية وقيمة العقلانية، بل يقصد عدم استخدامهما بشكل ينقلب على المجتمع بأثر عكسي. وهو ما يذكرني بأطروحات مفكري مدرسة فرانكفورت ونقدهم لوضعية الحداثة، التقنية والعقلانية من داخل المنطق العقلاني بعدما رأوا أن استخدام هذه القيم تحول إلى إيديولوجيا تهيمن على المجتمع وتدمره عوض أن تحرره وتبنيه.

لتبيان هذا المعنى بشكل جلي، من المهم أن أستحضر سياق الأحداث والتحولات العالمية الذي ظهرت فيها الثقافة المضادة للشباب بعد منتصف القرن العشرين، علما أن استرجاعي لهذا السياق ليس مجانيا، بل لكونه يساهم في إبراز كيف أثرت الأحداث والديناميات المجتمعية على ثقافة الشباب وممارساتهم الفنية من جهة أولى، وكيف ساهمت ثقافات الشباب في تغير المجتمعات من جهة ثانية. أما من جهة ثالثة، فإن استعراض المظاهر التي تجلت بها ثقافة الشباب في الغرب منذ الستينات (من منطق للفعل، ممارسات فنية وأنماط تقديم الجسد) سيساعدني في الربط بينها وبين الثقافة التي تعيشها فئات عريضة من الشباب في المغرب أو في العالم العربي.

من الناحية الاقتصادية، كانت العديد من دول العالم الأول تعيش مرحلة انتعاش اقتصادي امتدت من فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى أزمة النفط الأولى سنة 1973. لقبت هذه الفترة ب les Trentes Glorieuses وعرفت انتشار الثقافة الاستهلاكية التي

[217] BENNETT. Andy, (2012), « Pour une réévaluation du concept de contre-culture», mis en ligne le 15 juin 2014, sur le site: http://volume.revues.org/2941 ; DOI :10.4000/volume.2941. p. 22

كانت لها انعكاسات ثقافية واجتماعية بين جيل الكبار وجيل الشباب، إضافة إلى ذلك أدى التقدم الصناعي إلى مشاكل بيئية أسفرت عن تبلور وعي بالقضايا الإيكولوجية.

من الناحية السياسية، شكلت تداعيات حرب الولايات المتحدة الأمريكية في فييتنام حدثا استنفر شرائح واسعة من الشباب الأمريكي للاحتجاج ضد المشاركة هذه في الحرب. كما شكل السباق نحو التسلح النووي في إطار الحرب الباردة أحد القضايا التي ناضلت من أجلها الحركات الشبابية من أجل إقرار السلم العالمي ومنع التلوث الإشعاعي.

تطورت هذه التوجهات الاحتجاجية في ظل انتشار الفكر اليساري الذي دعا إليه عدد كبير من المثقفين، خاصة في أوساط الجامعات، ولقي إقبالا واسعا بين الفئات الشابة. وقد انتقلت هذه الحركات الاحتجاجية إلى دول أخرى مثل فرنسا التي عرفت ثورة ماي 1968 بمبادرة من الشباب الطلابي وأسفرت عن تحولات عميقة في مختلف جوانب المجتمع.

هكذا، فالوعي الذي تولد لدى فئات واسعة من الشباب بالجوانب السلبية لتطبيقات الحداثة تمظهر عبر إبداعهم لأشكال عديدة ومتنوعة من الممارسات الثقافية في إطار ما سمي بالثقافة المضادة. عرفت هذه الأخيرة امتدادها الكبير منذ سنوات الستينات في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، إذ برزت الحركة الثقافية الهيبية le mouvement Hippie كإحدى الموجات الشبابية القوية بعد أن استلهمت من عدة مرجعيات ثقافية من بينها الحركة الأدبية "جيل البيت " La Génération Beat التي ظهرت في سنوات الخمسينات[218].

من بين المفارقات التي شكلت خصوصية الحركة الهيبية كون أغلب شبابها ينحدر من الطبقات الميسورة والمتوسطة، وقد ولدوا بعد الحرب العالمية الثانية ضمن الجيل الذي سمي Baby Boom (نتيجة ارتفاع نسبة الولادات). هكذا، خالف هؤلاء الشباب الميسورين الاعتقاد القائل إن أبناء الطبقات الفقيرة والمهمشة هي التي تتبنى أفكار الحركات الثورية المناهضة للنظام الرأسمالي القائم على الفوارق الطبقية. في هذا الاطار، تتبين قدرة الثقافة على أن تصبح ظاهرة عابرة للطبقات وللمستويات الاجتماعية وأن تؤلف روابط اجتماعية

[218] BENNETT. Andy, (2012), « Pour une réévaluation du concept de contre-culture», mis en ligne le 15 juin 2014, sur le site: http://volume.revues.org/2941 ; DOI :10.4000/volume.2941. p. 20

بين أفراد مختلفين. كما يتبين لي أيضا كيف أن الثقافة قادرة على التأثير في الواقع المادي وخلق التغير الاجتماعي، وليس العكس كما جاء في النظريات المادية (الماركسية على وجه الخصوص).

تأسست المرجعية الثقافية لهذه الحركة الشبابية على نقد الثقافات والبنيات المؤسسة والمكرسة للأوضاع المجتمعية التي عرفتها تلك الفترة، بما في ذلك رفض ثقافات الآباء. انعكست المرجعية الثقافية لهؤلاء الشباب على منطق فعلهم وعلى جانبهم الشكلي، ومن بين تلك المظاهر:

- ❖ تفضيل الشباب لأزياء تكسر القواعد المتعارف عليها وتذكر بالفلسفة الرومانسية الداعية للعودة إلى الطبيعة، وذلك من خلال تسريحات الشعر الطويلة، تنوع الألوان وتجسيد البساطة. وهم بذلك يعبرون عن رفض الثقافة الاستهلاكية التي يرون أنها تفرغ الحياة من المعنى وتكرس عبودية الفرد للمؤسسات والأنظمة المجتمعية؛
- ❖ اعتزال الشباب العيش مع عائلاتهم وتشكيل مجموعات شبابية تعيش في قرى خاصة بهم، أو العيش في الأحياء الهامشية أو في العراء. ويمكنني القول إن هذا الانعزال أخذ شكلا جديدا يتمثل في الانغلاق الذي يعيشه حاليا عدد كبير من المراهقين والشباب داخل غرفهم الخاصة للقيام بممارسات ثقافية معينة. بهذا، أصبح عدد من الباحثين الاجتماعيين يتحدثون عن ثقافة الغرفة la culture de la chambre [219]؛
- ❖ إبداع ممارسات فنية متنوعة تعبير عن الذات وعن المواقف الاحتجاجية، نظرا لقدرة الفنون على تمرير الخطابات، وقد امتد تأثير هذه الممارسات إلى معظم المجتمعات واستمر ذلك لحد الآن. وقد ساعد على هذا الانتشار الثقافي أن المجتمع العالمي، ومنذ تلك الفترة، شهد تحولا في وسائل الإعلام والاتصال، ما يسمح بالتداول السريع لتلك الفنون.

[219] GLEVAREC. Hervé, (2010), La culture de la chambre, Coll. Questions de culture, 1ère édition, Ed. Ministère de la Culture, Département des études de la prospective et des statistiques (DEPS), Paris.

من دون شك، كانت الموسيقى من أقوى هذه التعبيرات، خاصة موسيقى الروك Rock التي جسدت أسلوب حياة مختلف وأثبتت قدرتها على تعبئة الشباب وحشدهم، وهو الحضد الذي كان تجلى في المهرجانات الموسيقية العالمية مثل مهرجان Woodstock بالولايات المتحدة. ورغم أن موسيقى الروك وباقي الأجناس الموسيقية لم تكن قادرة على تغيير المجتمع الغير مرغوب فيه أو تأسيس مجتمع بديل كليا، غير أنها كانت تخلق شعورا جماعيا بأن أسلوبا أصيلا وبديلا يمكن تحقيقه في منأى عن المجتمع الأصلي[220].

تضمنت ثقافة الشباب المضادة أبعادا سياسية، لكن هذا التسييس لم يكن على درجة واحدة كما أنه حمل خطابات سياسية متباينة بعد أن انضمت إلى هذا التيار توجهات مختلفة مثل تيارات الحقوق المدنية التي نادى بها السود، اللاتينيون، الهنود الحمر، المثليون، الحركات النسائية، حركات السلام والإيكولوجيون، الخ، مما حدا بعدد من المفكرين إلى اعتبار مفهوم الثقافة المضادة مفهوما فضفاضا وجامعا للعديد من الاختلافات un concept fourre-tout أو كلمة مظلة un mot parapluie [221]، فين حين هجره آخرون نحو صياغات أخرى مثل السوسيولوجي الكندي فرناند دومون Fernand Dumont الذي فضل استعمال مفهوم الثقافات الموازية les cultures parallèles [222]. أما على مستوى الأهداف، فهناك من الشباب من دعا إلى إصلاح النظام الرأسمالي، أما فئة أخرى ففضلت العيش على هامش المجتمع.[223].

أعتقد أن شباب هذه الممارسات الثقافية الاحتجاجية، حتى وإن ابتعد أغلبهم عن الفعل السياسي، فقد أوصلوا أصواتهم وخطابهم النقدي إلى نطاق واسع ودفعوا الفاعلين السياسيين

[220] BENNETT. Andy, (2012), « Pour une réévaluation du concept de contre-culture», mis en ligne le 15 juin 2014, sur le site: http://volume.revues.org/2941 ; DOI :10.4000/volume.2941. p.21

[221] GLEVAREC. Hervé et MACE. Eric et MAIGRET. Eric, (2008), Cultural studies, anthologie, 1ère édition, Armand Colin et Institut National de l'Audiovisuel, Paris, p. 89.

[222] LABERGE. Yves, (Octobre 1996), « De la culture aux cultures. Délimitations d'un concept pluri-sémantique», in : revue Foi et Raison, Volume 52, numéro 3, Faculté de philosophie, Université Laval et Faculté de théologie et de sciences religieuses, Laval, p.819.

[223] BENNETT. Andy, (2012), p. 23

في عدد كبير من الدول إلى الانتباه إلى الوزن السياسي الذي أصبحت تشكله الفئات الشابة وإلى مختلف القضايا التي عبروا عنها من خلال حركاتهم الثقافية.

6- الثقافة المضادة في مدرسة بيرمنغهام

مثلما أثارت ظاهرة الثقافة المضادة عند الشباب اهتمام السوسيولوجيين الأمريكيين، فقد اهتم بها كذلك السوسيولوجيون الإنجليز، خاصة أولئك المنتمين إلى تيار الدراسات الثقافية Cultural Studies الذي ظهر في إطار مركز الدراسات الثقافية المعاصرة Centre for Contemporary Cultural Studies والمؤسس سنة 1964 أو ما سمي بمدرسة بيرمنغهام l'Ecole de Birmingham. بالاستناد على مقاربة نقدية تركز على دراسة الكيفية التي تتأقلم بها الأقليات وتقاوم عمليات الهيمنة، عمل باحثوا هذا المركز على دراسة الثقافة من منظور شمولي متنوع الاتجاهات، غير أنني سأركز اهتمامي على ثقافة الشباب.

بخصوص الجانب المنهجي في دراسة الثقافة الفرعية، يوضح فيل كوهين Phil Cohen أن هناك ثلاث مستويات. يتمثل المستوى الأول في التحليل التاريخي بعد عزل الإشكالية الخاصة بالمجموعة المدروسة، أما المستوى الثاني فيتمثل في التحليل البنيوي أو السيميوطيقي لأنظمة هذه المجموعات ودراسة مواقعها والديناميات التي تتعرض لها، في حين يرتكز المستوى الثالث على التحليل الظاهراتي من خلال دراسة الكيفية التي تعاش بها هذه الثقافات الفرعية من طرف المنتسبين إليها[224].

تمثلت أولى دراسات هذا المركز في بحث أجراه ريتشارد هوغارت Richard Hoggart سنة 1957 في الشمال الشرقي لبريطانيا حول "ثقافة الفقير"[225]، حيث درس تأثير الثقافة الجماهيرية على الطبقات العاملة، وخلص فيه إلى أن الطبقات الشعبية لا تستدمج

[224] GLEVAREC. Hervé et MACE. Eric et MAIGRET. Eric, (2008), Cultural studies, anthologie, 1ère édition, Armand Colin et Institut National de l'Audiovisuel, Paris, p. 76.
[225] CESTOR. Elisabeth, (2006), Les musiques particularistes, Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p. 31.

الهيمنة بل تقاومها، وهو ما لا يؤدي بها حتما إلى الاغتراب، بل إنها تستمر في ممارسة تقاليدها مع تأويل وتطويع ما يقدم إليها من منتوج حديث[226].

اتخذ هوغارت موقفا نقديا بخصوص الشباب الذي يقبل على موسيقى الروك آند رول Rock'n'roll، فهم بالنسبة إليه شباب خاضعون للصناعات الثقافية، ليس لديهم طموح، يشغلون مهنا متدنية ويعيدون إنتاج النمط الأمريكي الذي ينظرون إليه نظرة مثالية دون أن ينتقدوه أو يؤولوه، في حين أنه يتعارض مع الحياة الاجتماعية الأصيلة حسب هوغارت. بناء على ذلك، يقيم هذا الباحث تمييزا بين ما يراه الثقافة الشعبية "الحقيقية"، وما يراه الثقافة "المزيفة والشعبوية" الممثلة بالنمط الأمريكي[227].

أظهرت دراسات باحثين آخرين أمثال فيل كوهين Phil Cohen، بول ويليس Paul Willis وديك هيبديدج Dick Hebdige أن ثقافات الشباب ليست سلبية وخاضعة بخلاف ما أورد ريتشارد هوغارت. وقد أبان هيبديدج من خلال كتابه « Subculture, the meaning of style » الذي يمكن ترجمته ب"الثقافة الفرعية، معنى الأسلوب" أن ثقافات الشباب المعبر عنها بأنماط موسيقية تبعث برسائل ينبغي التقاطها وتفكيكها، فهي فعل إيجابي يتضمن أبعاد متنوعة من بينها المقاومة والصراع. وقد استلهم هيبديدج رؤية دينامية ونسبية من المفكر الايطالي انطونيو غرامشي حين اعتبر أن الهيمنة توازن غير قار[228] un équilibre instable، فهي تتضمن توترات وعلاقات قوة ونزاعات مستمرة، كما أنه اعتمد أيضا على التراث الماركسي والبنيوي وإسهامات رولان بارث[229].

من أجل الكشف عن ذلك، وظف هيبديدج مفهومين أساسيين، هما: مفهوم الترميق (هناك من يترجمه "بالبرقلة"[230] عبر تعريب المصطلح الفرنسيle bricolage) ثم مفهوم

---

[226] FERRAND. Laure, (2012), «Les approches des cultural studies et de simon frith. des subcultures à la musique comme accompagnateur du quotidien», (35-45), in : revue Sociétés, Vol. 117, no. 3, Ed De Boeck Supérieur, Belgique, p. 37

[227] Idem, p. 39.

[228] LE GUERN. Philippe, (2010), « Dick Hebdige, l'empire des signes et la pensée vintage », (203-209), in : Sociologie de l'Art, Vol. opus 15, no. 1, L'Harmattan, Paris. P. 205

[229] Idem, p. 204.

[230] ستراوس. ليفي. كلود، (2007،) الفكر البري، ترجمة وتعليق: نظير جاهل، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، لبنان، ص. 37.

التناظرl’homologie. استعار هيبديدج هذين المفهومين من كلود ليفي ستروس، حيث أوضح هذا الأخير أن أنماط السحر الممارسة من طرف ما يسمى بالشعوب البدائية يمكن اعتبارها أنماطا من الترابط des systèmes de connexion، ويسمح التناسق الضمني بينها بامتدادات لامتناهية، إذ أن عناصرها الأساسية يمكن أن تستخدم في إطار دمج ضخم ومرتجل من أجل ابتكار دلالات رمزية جديدة[231]، لأجل ذلك تم اعتبار عملية الترميق هذه كعلم بالمحسوس[232]. وبالمثل، فالثقافة الفرعية للبونك روك Punk Rock [233]، كما يوضح ديك هيبديدج، تمارس الترميق من خلال ما توفر لديها من عناصر ثقافية، وهي تعيد تموقع الأشياء والإشارات في إطار دلالات رمزية جديدة.

أثناء القيام بهذا الترميق، تقوم الثقافات الفرعية بإنتاج أسلوب ذي عناصر ثقافية متناظرة. وحسب نفس المثال، فثقافة البونك تعني الفوضى وعدم التناسق بالنسبة لغير المنتسبين إليها، لكن هذه "الفوضى" تشكل كلا متناسقا، فمن خلال المظاهر التي يتم ارتداؤها والسلوكات المستهجنة وغير الشرعية التي يتم القيام بها تسعى هذه الثقافة الفرعية والمضادة إلى خلق نوع من الضجيج حول الأزمة المجتمعية الصامتة التي عرفتها بريطانيا خلال السبعينات[234]، ولا أدل على ذلك من أغنية مجموعة البونك "سكس بيستلز" Sex Pistols التي تحمل عنوان "فوضى في المملكة المتحدة" Anarchy in The UK.

توصل بول ويليس إلى نفس النتيجة من خلال دراسته حول مجموعات الدراجات النارية les motards، حيث أبرز في كتابه "الثقافة المدنسة « Profane Culture »"[235]، عن وجود توافق رمزي بين أسلوب عيش هذه المجموعات وقيمها البديلة، وهو ما

---

[231] GLEVAREC. Hervé et MACE. Eric et MAIGRET. Eric, (2008), Cultural studies, anthologie, 1ère édition, Armand Colin et Institut National de l’Audiovisuel, Paris, p. 113.

[232] ستراوس. ليفي. كلود، (2007،) الفكر البري، ترجمة وتعليق: نظير جاهل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، لبنان، ص. 37

[233] تعني كلمة بونك في الأصل "التافه" أو "البلطجي"، وهي تعبر عن اسم لتيار موسيقي من جنس الروك ظهر في السبعينات والثمانينات بالولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وهو يعبر في نفس الوقت عن نمط للعيش يظهر من خلال الرموز البصرية التي تحيل على الموت، العنف، التمرد، التدمير.

[234] GLEVAREC. Hervé et MACE. Eric et MAIGRET. Eric, (2008), p. 115

[235] WILLIS. Paul, "Profane Culture", Routledge Falmer, Oxford, 1978.

يتجلى في الحركات التي يقومون بها بالدراجات النارية وما يرافق ذلك من عبارات (انطلق، تمسك جيدا، الخ)[236].

شكلت دراسات سايمون فريث Simon Frith تطورا لإسهامات باحثي مدرسة بيرمنغهام بل ونقدا لهم أيضا، فقد اهتم أيضا بدراسة موسيقى الروك التي كانت مهيمنة آنذاك، لكنه قارب هذه الظاهرة من منظور مختلف عن سابقيه. ففي كتابه المعنون Sound Effects (آثار الصوت)، يقترح فريث اعتبار الموسيقى بمثابة نشاط ورفيق يومي عوض اعتبارها كرمز وكهواية. بالإضافة إلى ذلك، فالموسيقى ملجأ نفسي لعدد من الشباب الذين لم يستطيعوا تحقيق الاندماج والنجاح الاجتماعي[237].

من خلال بحثه الميداني حول الشباب بالمدينة البريطانية "كايلي" «Keighley»، ينتقد فيرث الدراسات التي أجريت سابقا والتي اعتبرت الشباب كما لو أن لهم نفس الاحتياجات فيما يتعلق بالهوايات وأن جميعهم يهتمون بالموسيقى بنفس الشكل، في حين أن هناك استخدامات متنوعة. فالشباب المنحدر من الطبقات المتوسطة يتجه غالبا إلى موسيقى "الاندرغراوند" « underground » ويربطها بالقيم المدرسية وبالجانب الجمالي، كما أنه يهتم بمعاني الكلمات.

على العكس من ذلك، فنتيجة العلاقة بين الموسيقى والشباب المنتمين للطبقات العمالية تختلف حسب النجاح الدراسي وحسب إمكانية الحركية الاجتماعية la mobilité sociale. وغالبا ما يقبلون على الموسيقى الراقصة ولا يتم ربطها بالقيم المدرسية، بل بالقيم البديلة التي يتشاركونها مع مجموعات الأقران. بالنسبة إلى بعضهم، توظف الموسيقى كخلفية صوتية un fond sonore، في حين تصبح بديلا عن عالم الدراسة وعالم العمل بالنسبة إلى

[236] GLEVAREC. Hervé et MACE. Eric et MAIGRET. Eric, (2008), Cultural studies, anthologie, 1ère édition, Armand Colin et Institut National de l'Audiovisuel, Paris, p. 116

[237] MIGNON. Patrick, (1986), Frith Simon, Sounds effects : youth, leisure and the politics of rock'n'roll; Bennett H. Stith, On becoming a rock musician, (pp. 586-591), in: Revue française de sociologie, 1986, 27-3. Sociologie de l'art et de la littérature. p. 588.

الشباب العاطلين[238]. أثبتت هذه الدراسة أيضا أن الشباب يقومون بتغيير مجموعات أقرانهم وهوياتهم، بالإضافة إلى ذلك فهم لا يربطون الموسيقى دائما بالتمرد، وهي ليست دائما اختيارا بالضرورة بل قد تكون فرصة لمحاربة الملل.

صحيح أن الشباب الذين يرفضون ثقافة طبقاتهم يوظفون الموسيقى كآلية رمزية في هذه المقاومة (وقد ترسخت هذه الفكرة مع الدراسات التي أجريت حول حركة الهيبي)، لكن على العكس من ذلك، فهناك حركات ثقافية شبابية سارت عكس هذا المنوال، مثل حركة "تيدي بويز" « Teddy boys » التي لم تعتبر الموسيقى كأداة لتحقيق الانعزال والاستقلالية بل وسيلة للانخراط في الثقافة الاستهلاكية[239].

[238] FERRAND. Laure, (2012), «Les approches des cultural studies et de Simon Frith. des subcultures à la musique comme accompagnateur du quotidien», (35-45), in : revue Sociétés, Vol. 117, no. 3, Ed De Boeck Supérieur, Belgique, p. 42
[239] Idem, p. 43

المبحث الثاني: مفهوم الحداثة

كأحد المداخل الرئيسية

لفهم ثقافة الشباب الجمعوي

شكلت الحداثة كواقع اجتماعي وكسياق فكري العامل الرئيسي في تبلور وتطور علم الاجتماع، وهو ما جعل هذه الثيمة دائمة الحضور (بشكل مباشر أو غير مباشر) في النظريات والأبحاث السوسيولوجية. وقد أنتجت حول الحداثة تعريفات تنوعت بتنوع الباراديغمات التي تناولتها، وبالنسبة للتعريف الذي أقدمه حولها، فهو يرتكز على مبدأ تعريف الشيء بنقيضه، فهي إذن: "مرجعية فكرية تحمل رؤية وفلسفة في الحياة قائمة على أساس قيم معينة تنتج حياة اجتماعية متمايزة عن تلك التي يعرف بها ما يسمى بالمجتمع التقليدي، ويمكن إجمال أهم هذه القيم في العلم والعقلانية، الفردانية، العلمانية، الديمقراطية، الإنتاجية".

1- الحداثة الاجتماعية عند دوركايم

عمد السوسيولوجيون الأوائل إلى دراسة الحداثة كموضوع راهني آنذاك، وبفعل اتصاف الحياة الاجتماعية بالتشعب وتداخل حقولها وعناصرها فقد اختلفوا فيما بينهم بخصوص تناولهم للظواهر الاجتماعية الناتجة عن الحداثة، سواء من حيث اختيار المواضيع أو من حيث الخلاصات أو من حيث البناءات النظرية التي قاموا بها. بالنسبة لدوركايم، فالمجتمع الحديث هو ذلك المجتمع المبني على التمايز سواء بين البنيات الاجتماعية أو بين أفعال الأفراد ومعتقداتهم. ويساعد هذا التمايز على إقامة علاقات عضوية بين مكونات المجتمع تتكامل فيما بينها بفعل عملية التقسيم الاجتماعي في كل الحقول، وفي مقابل ذلك تضعف العلاقات الأولية المبنية على التضامن الآلي، مثل العلاقات العائلية والعلاقات القبلية.

إنه كذلك المجتمع الذي تنتقل فيه مهمة التربية والتنشئة الاجتماعية من الشأن الخاص (الأسرة) إلى الشأن العام (الدولة عن طريق المدرسة)، وهو أيضا مجتمع تكون فيه الأخلاق والمعتقدات قائمة على العلمانية حتى تتمكن من استيعاب الجميع نظرا لوجود التنوع الاجتماعي والثقافي والديني، ونظرا أيضا لانسحاب الدين من الفضاء العام بفضل تقدم

المعرفة العلمية كمرجعية أولى لكل المعارف والمعاني التي يستعملها الأفراد في فهم العالم وتحليله[240].

2- الحداثة الثقافية (القيمية) عند فيبر

بعد أن رد ماكس فيبر على أطروحة كارل ماركس بتبيان مدى تأثير العوامل الثقافية (الدين) في تبلور النظام الرأسمالي، قام بالتركيز على أهم القيم التي أدت إلى تحقيق "التطور" في أوربا، بخلاف الحالة الاجتماعية التي كانت عليها مجتمعات أخرى "غير متطورة" ومن أبرزها قيمتي العقلانية والبيروقراطية. يقصد فيبر بالعقلانية عملية اجتماعية طويلة الأمد تعوض فيها الأفكار والعقائد التقليدية بقواعد واجراءات وتفكير منهجي يتوخى مبدأ الوسائل المؤدية إلى غايات، مع التفكير في الفعل وعواقبه قبل القيام به.

استند ماكس فيبر في تناوله مفهوم الحداثة على تراث المذاهب الفلسفية التي نادت بهذه القيمة، والتي ترجع إلى القرن السابع عشر على الأقل، حيث قابلت بين المعرفة المستندة إلى العقل والتفكير الاستنتاجي كعملية ديناميكية وبين تلك المعرفة المتجذرة في مصادر دينية (بما فيها السحر) و"الحكمة" المنقولة. وجدير بالذكر أن هذا السياق الفكري الذي رفع من شأن العقلانية والبيروقراطية قد تبلور بالموازاة مع سياق اقتصادي تميز بتنامي النظام الرأسمالي الذي كان بحاجة إلى هذا النمط من التفكير.

يصنف فيبر العقلانية إلى أربعة أنماط: العقلانية العملية؛ العقلانية النظرية؛ العقلانية الجوهرية؛ العقلانية الرسمية. تتحقق العقلانية العملية حين يقبل الناس عموما الوضع فتصبح أعمالهم موجهة أساسا بحسب اعتبارات عملية في كيفية الاستفادة من الأمر. أما العقلانية النظرية فتوجد حيث يحاول الناس "التحكم في الواقع" من خلال التفكير عبر تجربتهم وإيجاد معنى في الحياة، فالفلاسفة والقادة الدينيون والمنظرون السياسيون مثلا ينتمون إلى هذا النمط من العقلانية النظرية. في حين توجه العقلانية الجوهرية الأفعال وفقا لمجموعة من القيم في مجال خاص من مجالات الحياة الاجتماعية، مثل الفعل القائم على الصداقة أو الاحترام. أما

[240] إبراهيمي. زكريا، (9 شتنبر 2016)، "إميل دوركايم والتأسيس السوسيولوجي للحداثة"، (1-25)، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، ، ص. 3، على الموقع: https://www.mominoun.com/pdf1/2016-06/dorkaimm.pdf

فيما يخص العقلانية الرسمية فتعتمد على حساب أفضل وسيلة فاعلة لبلوغ هدف معين في سياق مجموعة من القوانين أو القواعد العامة، وينتشر هذا النمط من العقلانية بشكل أكبر في النظام البيروقراطي[241].

ركز فيبر أيضا في تناوله للحداثة على قيمة أخرى هي البيروقراطية، وهي نوع من التنظيم يعتمد على قواعد مكتوبة وعقود وتدرج هرمي في المواقع، وهو نظام واسع الانتشار في المجتمعات الصناعية الحديثة. وغالبا ما يُنظر للبيروقراطية بشكل سلبي كنظام رتيب وغير فعال، غير أن فيبر اعتبر أن البيروقراطية الحديثة كانت في نهاية المطاف منتشرة لأنها كانت الشكل الأكثر فعالية من أي تنظيم آخر حتى الآن. مع ذلك، يقر فيبر أن هناك أشكالا للبيروقراطية تسعى للسيطرة وتميل نحو خنق الابتكار وإحباط حب المغامرة، محدثة بذلك نتائج لاعقلانية ومتعارضة مع مبادئ الديمقراطية[242].

3- الحداثة السياسية عند توكفيل

تبرز قيمة ألكسيس دو توكفيل في أهمية إسهاماته المؤسسة لسوسيولوجيا الحداثة والتي ترتبط بموضوع البحث حول الشباب. انطلق توكفيل في تساؤلاته من مفارقة مست واقع المجتمع الفرنسي آنذاك، مفادها أن قيام الثورة الفرنسية لم يعقبه تحقيق الأهداف التي تم تسطيرها والإعلان عنها مسبقا. بل أكثر من ذلك، حدث تراجع في الوضع القيمي وفي العلاقات الإنسانية، وهو ما يعبر عن مشكل أعمق يجد جذوره في النظام السياسي المتصف بالاستبداد الديمقراطي والمركزية الإدارية. فصحيح أن الثورة الفرنسية قد انقضت على الحكم الملكي باسم الديمقراطية والمساواة في الحقوق، لكن تمت إعادة إنتاج استبداد من نوع آخر، لا يتصف بالقوة القمعية بل بقوة ناعمة باسم البيروقراطية.[243]

سافر توكفيل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في الخامس والعشرين من عمره وقضى هناك فترة من الزمن قام خلالها بالمقارنة بين المجتمعين الفرنسي والأمريكي للإجابة حول

---

[241] غيدنز. انتوني وصاتن. فيليب، (2018)، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة محمود الذواذي، سلسلة ترجمان، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ص 35.

[242] المرجع نفسه، ص 117.

[243] كابان. فيليب و دورتيه. جان فرانسوا، (2010)، علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، الطبعة الأولى، دار الفرقد، دمشق، ص. 368

إشكالياته المتعلقة بالحداثة. من بين ما توصل إليه توكفيل أن من أسباب تقدم المجتمع الأمريكي اعتماده على نظام يجعل من الديمقراطية حالة اجتماعية غير محصورة في شكل الحكم السياسي الذي يتعارض مع النظام الملكي أو الاستبدادي، بل تسري على كافة حقول المجتمع. وهي بذلك لا تستمد قوتها فقط من تطبيق مبدأ المساواة في الحظوظ، بل أيضا من خلق شروط إيجابية لهذه المساواة[244]. إضافة إلى ذلك، فالديمقراطية، وإن كانت تفتح أفق الموارد والفرص أمام الأفراد، فإنها أيضا تمنع البعض منهم من الحصول على امتيازات أكثر مما يلزم وتكبح الاحتكار والجشع داخل المجتمع بشكل قانوني[245].

لاحظ توكفيل أن المجتمع المدني الأمريكي يقوم بأدوار اجتماعية بالغة الأهمية، تتلخص أهمها في مكافحة التذرير l'atomisation الذي تسببه الفردانية، حيث يخلق المجتمع المدني روابط اجتماعية بين الأفراد ويوجههم لخدمة غايات مشتركة، وهم يتدربون على ذلك من خلال الممارسة المدنية داخل الجمعيات. تحل هذه التنظيمات محل الأفراد ذوي النفوذ الذين كانت لديهم هيمنة وحظوة في المجتمع التقليدي[246]. هكذا، فالتنظيمات الجمعوية هي شكل من أشكال الحداثة السياسية، وهي تفيد فئة الشباب في بناء وتطوير ثقافتهم السياسية وتسمح لهم بالتمرس على التجربة الديمقراطية، حتى يكون فعلهم الاجتماعي ناضجا وواضح الاهداف.

4- من الحداثة في أوربا إلى الحداثة في المجتمع المغربي

ترتكز الحداثة في جوهرها على مبدأ القطائع والديناميات المتجددة عوض النمط المحافظ الرتيب الذي ساد في المجتمعات التقليدية. ومثلما أدت الحداثة في المجتمعات الغربية إلى تحولات جذرية على مدى قرون من الزمن، فقد أدت إلى تأثيرات أكثر عمقا وأكثر جدلية في مجتمعات دول العالم الثالث، خاصة تلك التي لم تشترك مع الدول الأوربية في نفس الإرث الحضاري مثل المجتمعات العربية. لم تطور هذه الأخيرة فكر الحداثة من

---

[244] العمراني. حسناء، (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الإبداعية، فاس، ص. 62

[245] CUIN. Charles-Henry et GRESLE. François, (2002), Histoire de la sociologie, Tome 1, 3ème édition, La Découverte, Paris, p. 26.

[246] العمراني. حسناء، (2016)، ص. 68 و69.

داخل بنيتها السوسيوثقافية وبشكل تدريجي حتى تحقق التراكم وتكون مؤهلة له كما حدث في المجتمعات التي توصف ب"الغربية"، وإنما تلقت هذا الحداثة بشكل قسري عبر الحركات الامبريالية وظلت في تبعية مستمرة للقوى التي استعمرتها حتى بعد استقلالها (مع تغير في أشكال هذه التبعية). وقد قامت على إثر هذه الأطروحة مجموعة من النظريات الاجتماعية مثل نظرية مدرسة التبعية التي تطورت في أمريكا الجنوبية.

تم إذن استنبات فكرة الحداثة في المجتمعات العربية بشكل مصطنع في البداية، لكن بعد ذلك تضاربت المواقف حولها داخل هذه المجتمعات وانقسمت إلى مشاريع فكرية متضاربة، منها ما هو مؤيد للحداثة ويرى فيها تثاقفا وفرصة تاريخية للخروج من براثن التخلف بإحداث قطيعة مع التراث (كمشروع عبد الله العروي)، ومنها من حاول تأصيل الحداثة من داخل التراث مثل مشروع طه عبد الرحمان، ومنها أيضا من دعا إلى نمط توفيقي يقوم على أساس انتقاء ما يتوافق مع الخصوصية الثقافية ويتلاءم مع فكرة التقدم، كما هو الحال في المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري.

إن الأخذ بأحد هذه المشاريع أو أي مشروع آخر يتطلب مجموعة من السيرورات والعمليات الفكرية مثل: التحليل، النقد، التركيب، الحس العملي التجريبي المفضي إلى إبداع الحلول المناسبة، الخ، وهو ما يتطلب حوارا موسعا ومعمقا داخل مجتمع مثقف وواع. من هنا تبرز أهمية الفعل الثقافي (خاصة بين صفوف الشباب) ودوره في بلورة مشروع مجتمعي مبني بشكل مشترك بين مختلف أنماط النخب من جهة وبين العامة من جهة أخرى، مثلما حدث في مجتمعات أخرى (في شرق آسيا مثلا) حيث تم استثمار التراكم الحاصل في الحداثة الأوربية وتمت تبيئته وتطويره وفق الخصوصيات المحلية، مما أسفر عن تعددية في "الحداثات" ولم يعد الأمر يقتصر على حداثة غربية وحيدة.

إن إشكالية دمج وتركيب العناصر الثقافية المستجلبة والعناصر الثقافية المحلية هي من بين الإشكاليات التي سأتناولها في هذا البحث الذي يركز على عنصر الشباب وأنماط تدبيره لإشكالية الحداثة والتراث في ظل فعل ثقافي داخل تنظيمات جمعوية، يفترض أنها مجسدة لفكرة الحداثة.

المبحث الثالث: الديناميات الاجتماعية الناتجة عن الحداثة وعلاقتها بالشباب المغربي وبثقافته بالمعنى الشمولي

أثرت الحداثة في المجتمع المغربي بخلق ديناميات اجتماعية متسارعة أصبحت هي نفسها خالقة للنزاع والجدل نتيجة التفاعل مع بنية النظام الاجتماعي التقليدي. في هذا الإطار، تطرح مسألة التمييز بين مفهومين اختُلف في تعريفهما، وهما مفهوم التغير الاجتماعي ومفهوم التحول الاجتماعي. بالنسبة لي فالتغير الاجتماعي يدل على ديناميات اجتماعية بطيئة الحركة وتصعب ملاحظتها بسهولة، أما التحول الاجتماعي فيدل على حالة الانتقال من واقع إلى واقع آخر بشكل كلي بعد أن يكون قد مر زمن طويل تسهل معه ملاحظة الفرق. كمثال على ذلك، أستحضر التحول في بنية العلاقات الاجتماعية في الوسط الحضري من بنية قبلية أو دينية كانت سائدة في الماضي إلى بنية تنحو نحو الفردانية في الحاضر.

على غرار الديناميات التي تحدث في حقول أخرى، تعرف وضعية الشباب بالمغرب الكثير من التغير الاجتماعي الذي يصل إلى حد التحول السريع، خاصة في ما يتعلق الجانب الثقافي. ويمكن اعتبار أن فئة الشباب في المغرب هي من بين أكثر الفئات هشاشة وأكثرها حساسية تجاه المؤثرات الاجتماعية، فهي التي تتحمل أكثر المشاكل التي يعرفها المجتمع لاسيما في شقها الاقتصادي، كما أنها الفئة الأكثر كثافة واتساعا من حيث الحجم. بالتالي، فهي في عمق الديناميات الاجتماعية.

1- ديناميات العلاقة بين الشباب والأسرة

لاشك أن فهم ثقافة الشباب وممارساتهم الثقافية لا يمكن أن يُغفل عملية البحث حول طبيعة علاقة الشباب بالأسرة كمحدد أساسي في تشكل ثقافة هذه الفئة الاجتماعية وفي توجه صراعها مع الفئات والأجيال الأخرى. فمؤسسة الأسرة هي أقدم مؤسسة اجتماعية عرفتها المجتمعات البشرية، وهي أول ما يتفاعل معه الفرد منذ طفولته، كما أنها تشكل في حد ذاتها مجتمعا مصغرا microsociété (على غرار المؤسسات التعليمية، الإدارات العمومية، المقاولات، الخ)، تنعكس فيه ظواهر المجتمع الشمولي ودينامية مكوناته من قيم، علاقات اجتماعية، صراعات، تمثلات، الخ.

على مدى قرون من الزمن، انبنت العلاقة بين الشباب المغربي والأسرة على النموذج التقليدي القائم على عنصر الإكراه، ويعد هذا الأخير خاصية أساسية في المؤسسات

الاجتماعية، حسب ما قالت به سوسيولوجيا إيميل دوركايم وحسب ما أكده اللاحقون مثل جورج لاباساد Lapassade Georges في التحليل المؤسساتي L'analyse institutionnelle.

وحينما نتحدث عن الإكراه فإننا حتما نتحدث عن مفهوم السلطة، وهو مفهوم يمتد على مستويات، ويعرفه روبرت داهل Robert Dahl بكونه قدرة الشخص "أ" على التوصل إلى جعل شخص "ب" يقوم بشيء ما لم يكن ليقدم عليه لولا تدخل الشخص "أ" [247]. يميز داهل بين نوعين من السلطة، النوع الأول هو سلطة الإيعاز أو سلطة القوة le pouvoir d'injonction، وهي سلطة عمودية المنحى يترتب عنها عقاب إن لم تتم الاستجابة لها. أما النوع الثاني فهو سلطة التأثير le pouvoir d'influence، وهي سلطة أفقية الاتجاه، لا تتم بالقوة بل بالتأثير، ويترتب عنها جزاء مادي أو رمزي كالاعتراف أو التنويه، أو ربما العتاب والنفور[248]، ويذكرني هذا التعريف بالتمييز الذي أقامه غرامشي بين مفهومي السيطرة كقوة مادية والهيمنة كقوة ناعمة.

حسب هذا التعريف، يوجد هذين النوعين من السلطة في مؤسسة الأسرة، ولئن كانت سلطة القوة تمارس بشكل أكبر في فترة الطفولة وفي السنوات الأولى من مرحلة المراهقة، فإن سلطة التأثير تستمد قوتها فيما بعد من النسق الثقافي للمجتمع، لاسيما أن المجتمعات العربية قد عُرفت، بشكل عام وعلى مر العصور، بطابعها السلطوي في مختلف مناحي الحياة، وهو ما تناوله عدة مفكرين أمثال هشام شرابي، محمد عابد الجابري، وعبد الله حمودي.

يرى السوسيولوجي عبد الرحيم العطري أن لفظة "رب الأسرة" تختزل قيم الطاعة وما يرافق ذلك من خوف وتردد وخضوع[249]. ويتداخل في هذه القيم والأعراف ما هو

---

[247] شرف. عبد المجيد، (1996)،"السلطة الأسروية وأسلوب اتخاذ القرار لدى الشباب المغربي"، (85-107)، في: الشباب المغربي في أفق القرن الحادي والعشرين، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 59، تنسيق: مبارك ربيع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص 90.

[248] MONTOUSSE. Marc, (2005), Sciences économiques et sociales, 1ère édition, Editions Bréal, Paris, p. 136

[249] العطري. عبد الرحيم، (2004)، سوسيولوجيا الشباب المغربي، جدل الإدماج والتهميش، الطبعة الأولى، الرباط، ص.26

اجتماعي محض مع ما هو ديني، ذلك أن الآباء في مجتمعاتنا العربية يشعرون بواجب نحو أبنائهم ذي أبعاد ودلالات دينية وكذلك الشأن بالنسبة للأبناء في علاقتهم بآبائهم. لذلك، قد يشعر كلا الجانبين بالذنب أو تأنيب الضمير إذا أخل بواجبه إزاء الطرف الآخر. وكل طرف يشكل مرآة لهذه الوحدة النرجسية السلطوية، ويكوّن صورته عن نفسه ووعيه لذاته من خلال صورة الآخر ومواقفه منه[250].

في نفس الاتجاه، يشير هشام شرابي أن من أهم انعكاسات هذا النمط السلطوي من الثقافة الأسرية أن الفرد ينمو وهو يتمثل أن مسؤولياته تجاه أسرته هي همه الأكبر، وبالتالي فإنه "في إطار هذه الشروط النفسية والاقتصادية، لا يبقى سوى مجال صغير للشعور بالواجب تجاه المجتمع الأكبر الذي يتصوره الفرد كفكرة مجردة لا ينطبق عليها مفهوم المسؤولية بصورة طبيعية"[251].

إذا كانت هذه العلاقة السلطوية بين الأسرة والشباب إلى اختلاف في تمثل المسؤولية نحو الأسرة والمجتمع، فإنها تؤثر كذلك في بناء الثقافة الفردية (أو الشخصية الأساسية حسب المدرسة الثقافوية الأمريكية). فهذا النمط من الثقافة الأسرية الغالب على المجتمعات العربية لا يؤهل الفرد ليتميز بالاستقلالية المادية والمعنوية عن أسرته، بل إن صورته عن ذاته لا يكوّنها إلا من خلال مواقف الآخرين منه، ولاسيما أفراد أسرته. هكذا ينشا الطفل فاقدا للثقة بنفسه وغير قادر على المبادرة وممارسة الفكر النقدي، فيميل للاستسلام والخضوع والتبعية للآخرين. وعندما ينتقل إلى مرحلة الشباب، يكون قد تم تدجينه ليتلاءم مع القيم السلطوية التي تسود المجتمع، وعلى استعداد للالتزام بكل ما يؤمر به[252]. ونلاحظ في المجتمع المغربي كيف أن كثيرا من الآباء يعاملون أبناءهم كالأطفال حتى بعد بلوغهم سن الشباب،

---

[250] عباس. محمد. نور الدين، (2005)، التنشئة الأسرية، رؤية نفسية اجتماعية تربوية لعلاقة الأسرة بأبنائها والإشكاليات التي تطرحها، الطبعة الأولى، منشورات عالم التربية، الرباط. ص. 43

[251] هشام شرابي، (1984)، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الطبعة الثالثة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ص 37

[252] عباس. محمد. نور الدين، (2005)، ص. 44

فيتربون كما لو أنهم آلات بشرية، فاقدين بذلك لروح المبادرة والإبداع والحس النقدي، وغير قادرين على التعبير على معارضتهم للأعراف الاجتماعية[253].

تساهم أغلب الأسر المغربية بشكل كبير في تشكيل ثقافة معينة لدى الشباب بممارسة سلطة قهرية عليهم. لكن، ومن منظور آخر، أرى أن هذه الثقافة الأسرية التقليدية هي نفسها انعكاس لمجموعة من العوامل والتراكمات، فهؤلاء الآباء والأجداد نشأوا في ظل ثقافة معينة قلّ فيها التفكير النقدي والتحليلي، ولم يكن فيها النسق الفكري يقبل الاختلاف ويتساءل حول آليات تدبيره، مما جعلهم يعتقدون أن إعادة الإنتاج الثقافي هي الحل الأمثل "للتنشئة الجيدة" للأجيال الصاعدة، دون وعي منهم أن لكل جيل ثقافته الخاصة ومنطقه الخاص في الفعل. وذلك ما أكده ايريك فروم حينما قال إن الوالدين يطبقان النماذج التربوية للمجتمع، حيث يمكن اعتبار الأسرة الوكيل النفسي والاجتماعي للمجتمع[254].

تستمر هذه العلاقة التقليدية في الوجود بالمجتمع المغربي لاسيما في بعض الأوساط مثل المجال القروي، لكنها قد عرفت تغيرات مهمة في أوساط أخرى لتصل إلى درجة التحول إلى النموذج الليبرالي خاصة في المستويات الاجتماعية العليا، وهو ما يجعل ثقافة الشباب تتميز بالاختلاف إلى حد التناقض.

من بين مظاهر هذه التغيرات التي مست الأسرة المغربية تراجع دورها ووضعها في علاقتها بفئة الشباب لصالح مؤسسات أخرى (مثل بعض المؤسسات العمومية، منظمات المجتمع المدني، وسائل الإعلام، الخ)، لكن مع ذلك، مازالت العديد من الأسر تحتفظ بقدر من التأثير[255]. بالإضافة إلى ذلك، تراجعت سلطة الأب بعد أن أصبح الشباب يمتلكون سلطة اقتصادية بولوجهم لسوق الشغل، وهو ما يوفر هامشا من الاستقلالية في الكثير من جوانب

---

[253] HADDIYA. El Mostafa, (2006), Processus de la socialisation en milieu urbain au Maroc, Série : Essais et Etudes, N°1, publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, p. 34

[254] شرف. عبد المجيد، (1996)،"السلطة الأسروية وأسلوب اتخاذ القرار لدى الشباب المغربي"، (85-107)، في: الشباب المغربي في أفق القرن الحادي والعشرين، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 59، تنسيق: مبارك ربيع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص 86.

[255] العطري. عبد الرحيم، (2004)، سوسيولوجيا الشباب المغربي، جدل الإدماج والتهميش، الطبعة الأولى، الرباط، ص.21

حياتهم. كما أصبح للشباب أيضا سلطة معرفية بفضل توفر فرص التعليم وبفضل تفوقهم على آبائهم في استخدام وسائل التواصل الحديثة.

بالموازاة مع تراجع سلطة الأب، تنامت سلطة الأم بعد أن ارتفعت رساميلها بفعل الخروج للعمل أو بفراغ في السلطة داخل الأسرة[256]. غير أن القول إن تطور العائلة المغربية أدى إلى انهيار سلطة الآباء وتجاوزها بمؤسسات بديلة ربما قد يكون فيه نوع من التسرع رغم استناده إلى معطيات موضوعية[257].

يشكل أسلوب اتخاذ القرار من طرف الشباب أحد المؤشرات المركزية لقياس طبيعة هذا التغير في سلطة الأسرة وسلطة الأب[258]. في الدراسة التي قام بها الأستاذ المصطفى حدية[259] حول المراهقين في مجال الرباط تمارة والصخيرات وجد أن الشباب يفضلون الحفاظ على مسافة معينة مع أسرهم بخصوص التدخل في الأمور الشخصية، في مشاكلهم الخاصة وفي القرارات التي يتخذونها، وقد صنف مواقف الشباب هذه إلى أربعة أنماط:

- **النمط الأول** (الموافقة المطلقة على تدخل الأسرة في اتخاذ القرارات): شكلت هذه العينة نسبة ضئيلة وصلت إلى 16.41%، وقد بررت أجوبتها بالعامل الديني والتجربة التي يكتسبها الآباء بفعل التقدم في السن والثقة المتبادلة، الخ.
- **النمط الثاني** (الموافقة الجزئية على تدخل الأسرة): يتعلق الأمر بالعينة التي تشكل الأغلبية، وقد بلغت نسبتها 41.79%.
- **النمط الثالث**: (موافقة جزئية لكن محدودة): بلغت نسبة هذه العينة 18.65% وهي توافق على تدخل الأسرة لكن في بعض الشؤون دون الأخرى، حيث لا ترغب هذه

---

[256] الجرموني. رشيد، (2013)، "الشباب العربي وتدافع القيم، محاولة للفهم"، (123-132)، في: تدافع وبناء القيم، مجموعة من المؤلفين، منشورات المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، الرباط، ص. 126

[257] عباس. محمد. نور الدين، (2005)، التنشئة الأسرية، رؤية نفسية اجتماعية تربوية لعلاقة الأسرة بأبنائها والإشكاليات التي تطرحها، الطبعة الأولى، منشورات عالم التربية، الرباط. ص. 8

[258] شرف. عبد المجيد، (1996)،"السلطة الأسروية وأسلوب اتخاذ القرار لدى الشباب المغربي"، (85-107)، في: الشباب المغربي في أفق القرن الحادي والعشرين، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 59، تنسيق: مبارك ربيع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص 90

[259] HADDIYA. El Mostafa, (2006), Processus de la socialisation en milieu urbain au Maroc, Série : Essais et Etudes, N°1, publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, p. 27.

الفئة أن يشمل التدخل أمورا مثل الجانب العاطفي والعلاقات الاجتماعية واختيارات التوجه في الدراسة، الخ.

❖ **النمط الرابع** (الرفض التام لتدخل الآباء): وقد بلغت نسبة هذه العينة 23.13%.

نتيجة هذا التغير في العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة بين الشباب والآباء، أصبحت الكثير من أدبيات العلوم الاجتماعية تتحدث عن "تفكك" الأسرة المغربية، كما أنه يجري توظيف هذه الظاهرة في بعض الخطابات السياسية من أجل التعبئة لمشاريع اجتماعية معينة ونقد المشاريع الاجتماعية المنافسة، وهو ما يلاحظ كثيرا عند التيارات المحافظة على سبيل المثال، سواء في المجتمعات المسلمة أو في الأوساط المحافظة في المجتمعات الغربية.

بالنسبة لي، أرى أنه وإن كانت هناك الكثير من الحالات التي ينفصل فيها الشباب عن أسرهم للعيش بشكل مستقل (حتى وإن كانت هذه الأسر تقيم في نفس المجال الجغرافي)، وإن كانت أيضا مدة التواصل بينهم وبين أسرهم قد تقلصت نتيجة عوامل عدة (الانعزال داخل الغرف من أجل ممارسة الثقافة الإعلامية أو نتيجة انعكاسات التوقيت المستمر على تدبير الزمن اليومي)، فإنني أفضل خلال التطرق إلى هذه الظاهرة في المجتمع المغربي وفي المجتمعات الناطقة بالعربية استعمال عبارة "تراجع قوة الروابط الأسرية" عوض مصطلح "تفكك" هذه العلاقات، أو عوض استعمال مصطلح "الأزمة". فمفهوم التراجع يفيد النسبية والمقارنة مع الماضي، وهو ما يحيل على التغير الاجتماعي مع استمرارية الظاهرة وإن بنسب معينة.

ينبغي التذكير أيضا أنه حتى وإن كان هذا التراجع في الروابط الأسرية قد أصبح ملحوظا في الأوساط الاجتماعية الحديثة (سواء في المجتمعات الغربية أو المجتمعات الشرقية)، فإن ذلك قد واكبه تطور في علاقات اجتماعية أخرى، مثل روابط المجتمع المدني، وروابط المواطنة، روابط شخصية وحميمية بأشكال أخرى، مما يفيد بتغير في الروابط الاجتماعية وفي بنية ووظيفة بعض المؤسسات، لكن ذلك لا يعني الجزم بتفكك المجتمع بأكمله كما قد يُعتقد.

2- التحول الديمغرافي وتأثيره على وضعية الشباب

يعد العامل الديمغرافي واحدا من أهم الديناميات التي تعرفها فئة الشباب والمرتبطة بتحولات المجتمع ككل، فقد انتقلت ساكنة المغرب من 11.6 مليون نسمة لتقارب 30 مليون نسمة في السنوات الأخيرة (على الأقل منذ الإحصاء العام للسكان والسكنى الذي أقيم سنة 2004)[260]، ويرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل منها ارتفاع أمد الحياة بفضل تقدم الطب وتراجع نسبة وفيات الأطفال. مع هذا التحول، أصبحت الفئة العمرية للشباب هي الأكثر اتساعا، ما أصبح يطرح مجموعة من التحديات أمام السياسات العمومية المرتبطة بالشباب. إن هذا التحول في حجم الساكنة قد تم بالموازاة مع تحول بنيوي آخر من خلال الانتقال من العائلة الممتدة إلى الأسرة النووية كشكل من أشكال الفردانية، وقد ترتب عن ذلك تحول في نمط العلاقات الاجتماعية للشباب وفي ثقافتهم أيضا.

3- إشكالية التعليم وأثرها على ثقافة الشباب ومستقبلهم المهني

تبرز حساسية حقل التعليم بالمغرب في كون المشاكل الجمة التي يعرفها ترافق فئة الشباب منذ طفولتهم، فهو من أوائل مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تحدد ثقافة الفرد. تتصف مشاكل هذا القطاع بالتعقيد سواء ما تعلق منها بالجانب النوعي أو ما تعلق بالجانب الكمي، وإن كانت أغلب الإصلاحات لا تركز بما يكفي على جانب الجودة، بل تهتم أكثر بالجانب المادي الذي يبقى بدوره شديد الهشاشة في العالم القروي. ومن بين المؤشرات الأخرى على مشكل الجودة ظاهرة الغش في الامتحانات، تكوين الأطر التربوية ووضعيتها.

لا تنحصر إشكالية التعليم في الشق التدبيري فقط، بل تتعداه إلى البعد السياسي، ومن مظاهر هذا الصراع: الجدل بين الفاعلين السياسيين حول مسألة اللغة الأمازيغية، إضافة إلى الاختيار بين اللغة العربية أو الفرنسية في تدريس المواد العلمية. يتجلى البعد السياسي بشكل أعمق فيما يعتبره السوسيولوجي عبد الرحيم العطري بإعادة إنتاج النظام الاجتماعي (على

[260] NAJA. Abdellatif, (2013), « Quand la jeunesse s'éveillera, le monde arabe tremblera : le cas du Maroc », (27-38), in: Identité et participation sociale des jeunes en Europe et en Méditerranée, Sous la direction de Jean-Yves Dartiguenave, Christophe Moreau et Maité Savina, L'Harmattan, Logiques Sociales, Paris, p. 29.

غرار ما توصل إليه بيير بورديو في بحثه حول حقل التعليم بفرنسا). وقد ورد في مؤلفه "سوسيولوجيا الشباب المغربي، جدل الإدماج والتهميش" أن مظاهر إعادة الإنتاج تلتمع في النظام التعليمي المغربي سواء من خلال المحتوى أو التأطير على المستوى البنيوي العام، وهي تساهم في شرعنة مجموع التفاوتات التي تكوّن في كل لحظة البنية الاجتماعية وتساهم في الحفاظ على نفس النظام الاجتماعي عوض أن تكون منتجة للاختلاف والحركية الاجتماعية[261].

من جانب آخر، جاء في نفس الكتاب أن علاقة الشباب المغربي بالمؤسسة التعليمية هي علاقة باتولوجية تتأسس على العنف الرمزي والعنف المضاد، فالشباب في نظامنا التعليمي مطالب بتلقي ما يصدر عن الأستاذ ككائن "مقدس" دون نقد أو مناقشة، وفي ذلك تكريس لنمط "الشيخ والمريد" الذي لا يعترف بحرية الاختلاف ويؤمن أن "الحقيقة" لا تكون إلا عند الكبار، وهم من يقومون بنقلها إلى الشباب. إن من شأن هذا النمط السلطوي أن يئد الحس الإبداعي والتأملي وينتج لدى الأجيال الصاعدة فكرا جاهزا ومعلبا. هكذا، فبدل أن تضطلع المؤسسة التعليمية بوظيفة تحرير الشباب من الثقافة التقليدية وتلقينهم مهارات وكفاءات تساعدهم على الانفلات من الهشاشة بمختلف مستوياتها، فإنها تعمل هي الأخرى على تكريس هذا الوضع وتساهم بنصيب أوفر في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي، مفرّخة بذلك جيوشا من المعطلين ضعيفي التأهيل للولوج إلى سوق الشغل[262].

إزاء هذا العنف المادي والرمزي الممارس من طرف المؤسسة التعليمية، يصدر عن الشباب عنف مضاد كرد فعل احتجاجي قد يكون فعلا انفعاليا لا يؤدي إلى تغيير الأوضاع، لكنه يعبر عن رغبة في المقاومة ورفض الواقع، وهو في ذلك يتخذ أنماطا متنوعة ومستويات مختلفة. من بين مظاهر هذه الأشكال الاحتجاجية الكتابات على الطاولات والكراسي؛ خطابات الغرافيتيا على الجدران داخل المدرسة وخارجها؛ الإضرابات وعمليات

[261] العطري. عبد الرحيم، (2004)، سوسيولوجيا الشباب المغربي، جدل الإدماج والتهميش، الطبعة الأولى، الرباط، ص. 37 و38

[262] المرجع نفسه، ص. 38، 39 و42.

تخريب التجهيزات المدرسية[263]؛ المشادات الكلامية مع الأساتذة التي تصل إلى حد الاعتداء الجسدي والتهديد بالسلاح الأبيض؛ الشرائط المصورة التي يتم يداولها في وسائل التواصل الاجتماعي والتي تظهر فعلا شبابيا يتفاخر بما يقوم به ضد القوانين المدرسية أو ضد النظام العام. كل ذلك يعد مؤشرات على تحولات في ثقافة الشباب قد تقود إلى تفاقم الأوضاع والانفلات الاجتماعي في حال لم يقم المجتمع بكل فاعليه بوقفات من أجل تفكير أكثر عمقا وأكثر نقدا، مع ضرورة الاستناد على الأبحاث الاجتماعية في مختلف التخصصات.

كشكل من أشكال "الحلول" لكل هذه المشاكل السالفة الذكر، أصبحت شرائح من المجتمع المغربي تشهد سنة بعد أخرى هجرة متنامية للتلاميذ من مؤسسات التعليم العمومي إلى مؤسسات التعليم الخصوصي والبعثات الأجنبية. رغم أن هذا التعليم الخصوصي أصبح يثقل كاهل العديد من عائلات الطبقة الوسطى على وجه الخصوص بمصاريف مطردة، ورغم أن هذا التعليم يعاني أيضا من مجموعة من المشاكل، إلا أن ذلك يؤشر على تزايد فقدان الثقة في التعليم العمومي والإيمان بفشل نموذجه التربوي. إنه عامل آخر من عوامل إعادة إنتاج النظام الاجتماعي يجعلنا أمام نمطين من التنشئة الاجتماعية: نمط يوصف بالحداثي وبكونه نموذجا للنظام التربوي المؤهل نحو مستقبل واعد والذي لا يلجه إلا من استطاع إليه سبيلا، ونمط تقليدي يتعثر في أعطاب غير منتهية تلجه فئات مهمشة تجد فيه مصاريف مكلفة رغم الزعم بمجانيته.

إن هذه التفاوتات في تقديم الخدمات الاجتماعية والاستفادة منها لا تقتصر فقط على حقل التعليم بالمغرب، بل تشمل حقولا أخرى. ويكفي أن نذكر على سبيل المثال أن نفس الوضع يتكرر في حقل الصحة، حيث المشاكل في غاية التعقيد أيضا وحيث أن الفئات المعوزة تتوجه نحو المؤسسات الصحية العمومية، في حين أن الفئات التي تقوى على أداء التكاليف المرتفعة تتوجه نحو خدمات الطب الخاص. أصبح هذا الأخير قطاعا خالقا للربح والاستثمار المادي حيث أصبح إنشاء المصحات الطبية لا يقتصر فقط على فئة الأطباء، بل يمكن أن يتم ذلك عن طريق أي فرد أو جهة تتوفر على رأس المال. إزاء هذا الأمر، هناك

[263] العطري. عبد الرحيم، (2004)، سوسيولوجيا الشباب المغربي، جدل الإدماج والتهميش، الطبعة الأولى، الرباط، ص. 44

من يرى في ذلك حلا لهذه الأزمة القطاعية ولغيرها، في حين يرى البعض الآخر أن ذلك من شأنه أن يفتح الطريق أمام لوبيات اقتصادية تنظر إلى الصحة برؤية ربحية أكثر من الرؤية الاجتماعية والإنسانية.

4- الشباب وإشكالية التشغيل

إن فئة الشباب هي أكثر الشرائح الاجتماعية اتساعا ونشاطا، وتُطرح معها إشكالية التشغيل كإحدى أهم التحديات الشائكة والمؤثرة في الاستقرار الاجتماعي، نظرا لارتباطها بتأجيج الحركات الاحتجاجية. لأجل ذلك، فعدد من المفكرين الاجتماعيين - كالمفكر الاقتصادي جون مينارد كينز John Maynard Keynes- يولون أهمية كبرى لإشكالية البطالة[264].

ترتبط البطالة في المغرب بقطاع التعليم، فحسب المندوبية السامية للتخطيط هناك مفارقة مفادها أنه كلما كان الشباب حاصلا على دبلوم جامعي عال كلما كانت هناك حظوظ أقل للحصول على شغل، والعكس صحيح حيث أن المهن الصغرى (خاصة في القطاع غير المهيكل والتي لا تتطلب تعليما عاليا) توفر فرصا أكبر للشغل لكن بظروف مادية غير مناسبة، وهذا ما يفسر أن عددا من الشباب يشتغل في مهن لا تتلاءم ومستوياتهم التعليمية. رغم أن هذا النشاط مدر لقدر محدود من الدخل، يستمر هؤلاء الشباب في اعتبار أنفسهم في وضعية بطالة[265].

إن المشاكل المرتبطة ببطالة الشباب المؤهل أكاديميا تؤشر على المشاكل التي يعانيها الاقتصاد المغربي، ومن مظاهر ذلك أيضا أن أصبحت الإحصائيات تتحدث عن هجرة متزايدة للشباب المؤهل علميا، خاصة بين فئة المهندسين. ليس ذلك فحسب، بل حتى الهجرة غير الشرعية أصبحت ظاهرة أكثر تفاقما في السنوات الأخيرة وأكثر حضورا على مستوى

[264] CHEVALIER. Martin et VIGNOLLES. Benjamin, (2013), « comment expliquer le chômage involontaire ? », (21-24), in : Regards croisés sur l'économie, 2013/1 n° 13, édition La Découverte, Paris, p. 21.

[265] NAJA. Abdellatif, (2013), « Quand la jeunesse s'éveillera, le monde arabe tremblera : le cas du Maroc », (27-38), in: Identité et participation sociale des jeunes en Europe et en Méditerranée, Sous la direction de Jean-Yves Dartiguenave, Christophe Moreau et Maité Savina, L'Harmattan, Logiques Sociales, Paris, p.30

وسائل الإعلام بسبب بعدها الإنساني المتمثل في الوفيات الجماعية على الواجهتين البحريتين.

ولعل ما يخفف من وطأة هذه المشكلة وغيرها وجود قيم اجتماعية لازالت سائدة في المجتمع المغربي مثل قيمة التضامن الأسري (رغم النزوع المتزايد نحو الفردانية)، ففي كثير من العائلات المغربية يعتبر التضامن المادي مع الشاب العاطل عن العمل إحدى النفقات الأساسية التي ينبغي توفيرها.

5- الشباب في الحياة العامة بين ثقافتي المشاركة والإعراض

بدأت إشكالية مشاركة الشباب في الحياة العامة تأخذ حيزا هاما في سوسيولوجيا الشباب، خاصة في المجتمعات العربية حيث تنحو الوضعية الاجتماعية نحو التأزم، وهو ما يطرح السؤال حول قدرة الشباب على تعويض الأجيال السابقة في تسيير الشأن العام والمشاركة الفعالة في التنمية لتحقيق التغيير المجتمعي المنشود. وحينما نتحدث عن إشكاليات من قبيل التنمية، التغيير، المشروع المجتمعي، فإننا حتما نجد أنفسنا نتحدث عن الحقل السياسي، لكن قبل ذلك، ينبغي تعريف مفهوم المشاركة السياسة.

حسب إسماعيل الحمراوي، تعد المشاركة السياسية جزءا من العملية الديمقراطية، وهي نوع من أنواع المشاركات المواطنة من خلال تتبع الشأن العام الوطني والمحلي، وهي مسألة طوعية تبدأ بالاهتمام بالشأن السياسي وتنتهي بالتمثيلية. بين الاهتمام والتمثيلية، هناك عمليات متنوعة للمشاركة السياسية، منها الانخراط والتعبئة والتصويت والترشح وغير ذلك. بشكل أخر، يمكن تعريف المشاركة السياسية بكونها عملية تشمل جميع صور اشتراك أو إسهام المواطنين في توجيه عمل أجهزة الحكومة أو أجهزة الحكم المحلي أو لمباشرة القيام بالمهام التي يتطلبها المجتمع، سواء كان طابعا استشاريا أو تقريريا أو تنفيذيا أو رقابيا، وسواء كانت المساهمة مباشرة أو غير مباشرة[266].

[266] الحمراوي. إسماعيل، (2017)، الشباب المغربي وتحديات المشاركة السياسية، الطبعة الأولى، دار القلم، الطبعة الأولى، الرباط، ص. 17 و18.

إذا كان المعنى الأول لمفهوم السياسة يدل على تدبير الشأن العام، وهو ما يجعل هذا المفهوم يشمل حقولا اجتماعية مختلفة (مثل العمل الجمعوي؛ التعليم؛ الإعلام؛ الاقتصاد؛ الحقل الديني؛ الخ)، فقد جرت العادة في الكثير من البحوث وحتى في الحس المشترك على قصر هذا المفهوم على حقل ضيق يقتصر على الشأن الحزبي، الانتخابي والتدبير العمومي لأجهزة الدولة، أي ما يسمى بالمجتمع السياسي الذي يوضع أحيانا في مقابل المجتمع المدني (وفي اختلاف أيضا عن مجتمعات أخرى كالمجتمع الاقتصادي أو المجتمع العلمي). لذلك، أُفضل إجرائيا استعمال مفهوم "المشاركة في الحياة العامة"، حيث أن هذا الأخير يشمل على السواء البعد الضيق لمفهوم السياسة والبعد الشامل له، كما أنه يجنب الالتباسات التي قد تحدث جراء اختلاف الفهم.

استنادا إلى نمط الفعل السياسي، يمكنني تصنيف الشباب بخصوص مشاركتهم في الحياة العامة إلى ثلاثة أنماط :

- **النمط الأول:** يتعلق هذا النمط بفئة الشباب المشارك بشكل فعلي في الحقل السياسي بمعناه الضيق. وحسب نتائج البحث الوطني حول القيم الذي أنجزه مجموعة من الخبراء والباحثون الجامعيون في إطار تقرير الخمسينية للتنمية في سنة 2005، فإن 11% من عينة الشباب تنتمي إلى أحزاب أو نقابات أو جمعيات (2% للأحزاب، 2% للنقابات، و7% للجمعيات وهي على وجه الخصوص جمعيات الأحياء والتنمية). يظهر إذن أن هذه النسبة من الشباب تظل ضئيلة، وهو ما أكده أيضا البحث الوطني حول الشباب الذي أنجزته المندوبية السامية للتخطيط سنة 2012 حيث أبرز أن 0.5% من عينة الشباب المدروسة هي التي تمارس الفعل الحزبي بشكل منتظم وأن نفس النسبة (أي 0.5%) تمارسه بشكل غير منتظم، كما أن 0.8% من الشباب يمارسون الفعل النقابي، في حين أن 1.1% يشاركون في المظاهرات الاجتماعية والإضرابات[267].

[267] كداي. عبد اللطيف، (2015)، "التحولات الاجتماعية للشباب المغربي، محاولة للرصد والفهم"، (79-99)، في: مجلة التدريس، العدد 7، السلسلة الجديدة، كلية علوم التربية، الرباط. ص. 91

تتجلى هذه المحدودية بشكل أكبر حينما تتم المقارنة مع الأجيال السابقة من الشباب منذ فترة الاستعمار إلى غاية سنوات السبعينات والثمانينات، حيث كانت المنظمات الشبابية نشيطة أكثر سواء في الجمعيات أو في الشبيبات الحزبية أو في الحركات الطلابية، مثل "الاتحاد الوطني لطلبة المغرب" كأحد أهم الحركات الاحتجاجية خلال ما سمي بسنوات الرصاص[268].

من بين الأبحاث الاجتماعية التي شهدت على ذلك الاندماج في الحياة العامة، بحث أندري آدم André Adam سنة 1961 والمعنون ب" une enquête auprès de la jeunesse musulmane du Maroc"، حيث أجاب فيه أكثر من 70% من العينة المكونة من تلاميذ بالدار البيضاء بشكل إيجابي عن سؤال مدى اهتمامهم بالسياسية، وكذلك البحث المعنون ب " ce que disent 269 jeunes ruraux" الذي نشر سنة 1978 من طرف كل من بول باسكون والمكي بنطاهر حول ما يقوله 269 شاب قروي بخصوص تمثلاتهم حول ممثلي المخزن والدولة المركزية[269].

- **النمط الثاني:** هو نمط يرفض بشكل تام المشاركة في الحياة العامة، خاصة ما يتعلق بالحقل السياسي بمعناه الضيق. وفي هذا الصدد أفضل كلمتي الرفض أو الإعراض عوض كلمتي الانسحاب أو العزوف (رغم أن استعمالهما يتم بمعنى الرفض)، ذلك أن معنى الانسحاب أو العزوف يفيد أن الفاعل قد أقبل على الشيء ومارسه ثم قام بعد ذلك بتغيير موقفه، في حين أن هذا النمط من الشباب لم يسبق له إطلاقا أن أقبل على هذه الممارسة السياسية نتيجة مجموعة من المحددات الاجتماعية.

وهناك من يصف هذا الموقف بالانتظارية على أساس أن هذا النمط من الشباب ينتظر أن تتحسن الأوضاع الاجتماعية عن طريق التغيير الذي قد يحدثه الآخرون

---

[268] NAJA. Abdellatif, (2013), « Quand la jeunesse s'éveillera, le monde arabe tremblera : le cas du Maroc », (27-38), in: Identité et participation sociale des jeunes en Europe et en Méditerranée, Sous la direction de Jean-Yves Dartiguenave, Christophe Moreau et Maité Savina, L'Harmattan, Logiques Sociales, Paris, p. 31

[269] طارق. حسن، (2009)، "الشباب بين رهانات المواطنة وواقع المشاركة السياسية"، (109-136)، في: مناظرة وطنية الشباب، السياسات الشباب والبحث العلمي، من اجل تفاعل جديد، تحت إشراف عبد الفتاح الزين، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص. 123

دون أن تكون له مساهمة فعالة فيه، كما قد يفهم هذا الموقف أنه نوع من الفردانية الأنانية التي تجعل الفرد لا يهتم بقضايا مجتمعه، لاسيما إن كان يعيش مستوى معينا من الإشباع في ما يخص الحاجيات.

- **النمط الثالث:** هو نمط من الشباب يرفض المشاركة في السياسية بالمعنى الضيق، لكنه ينخرط في فعل يمس الشأن العام عبر أنماط فعل جديدة غالبا ما تكون خارج الإطار المؤسساتي المتميز بطبيعته بعنصر الإكراه والمتنافي مع قيمة الحرية كقيمة قوية الحضور في ثقافة الشباب المعاصر. وفي هذا الصدد تبرز مساهمة الشباب الجمعوي التي ينبغي التمييز فيها بين شباب رافض للفعل السياسي بالمعنى الضيق ويعتبر الفعل الجمعوي اختيارا بديلا، وبين شباب ينخرط في التنظيمات الجمعوية مع الانخراط في الفعل السياسي بالمعنى الضيق بالموازاة مع الفعل الجمعوي.

تتعدد رهانات ومنطقيات الفعل عند الشباب في إطار هذا النمط الأخير، فهناك من ينخرط في العمل الجمعوي بدافع حس المواطنة المحض وهناك من يسعى من خلال هذه التنظيمات إلى تحقيق مصالح ذاتية (كالبحث عن عمل من خلال العلاقات الاجتماعية في هذا الحقل، أو تطوير الذات، أو البحث عن اعتراف اجتماعي، أو ربط علاقات اجتماعية، أو تحقيق غايات مادية).

إن هذه الأنماط، هي نتيجة لتنشئة سياسية منذ الصغر تتداخل فيها مجموعة من المحددات الاجتماعية بدءا من الأسرة، وقد كشفت مونية بناني شرايبي[270] في بحوث ميدانية أجرتها منذ سنة 1998 أن عددا من الأسر المغربية لا تشجع على التنشئة السياسية حيث تنقل القيم الدينية والأخلاقية لكنها لا تنقل التوجهات السياسية والإديولوجية (فقد تكون فاقدة لها)، كما أن هذه الأسر تورث شعور الخوف من المخزن وعملائه معتبرة أن ما هو سياسي يظل حكرا على أفراد وفئات نافذة في المجتمع.

[270] BENNANI. CHRAIBI. Mounia, (2007), « Jeunesse marocaine et politique, le clivage générationnel revisité», (137-163), in : jeunesse des sociétés arabes, par delà les promesses et les menaces , sous la direction de BENNANI CHRAIBI Mounia et FARAG Mounia, Cedej, Paris, p. 154.

على العكس من ذلك، إن توفر في الأسرة وعي سياسي وثقافي فقد يتم توجيه الأبناء إلى الانخراط في تنظيمات جمعوية أو نواد ثقافية لاكتساب السلوك المدني والتربية على مهارات من قبيل التواصل وتدبير الاختلاف. نفس ما ينطبق على الأسرة ينطبق أيضا على مؤسسات أخرى للتنشئة الاجتماعية، مثل المدرسة عبر برامجها التعليمية والأنشطة الموازية لها، وكذا وسائل الإعلام التي يفترض بها أن تدمج مختلف أبعاد المواطنة في إنتاجاتها الموجهة نحو الشباب.

يؤثر المناخ السياسي أيضا في تحديد هذه التنشئة السياسية، فبين ما سمي بسنوات الرصاص وبين العقود الأخيرة، هناك "انفراج" سياسي في ظل ما يسمى بمرحلة الانتقال الديمقراطي التي أصبحت تشجع فئة من الشباب على التعبير السياسي والاحتجاج حول أوضاع اجتماعية توصف في عدد من الخطابات ب"الحكرة" للدلالة على ضعف العدالة الاجتماعية[271].

ينضاف إلى ذلك عامل آخر يتمثل في تراجع شعبية المؤسسات الحزبية في المغرب بحيث أصبح ينظر إليها كما يقول السوسيولوجي عبد الرحيم العطري كمجرد خزان انتخابي[272]، كمجرد جيش احتياطي يتم استقدامه إلى القاعات الكبرى لتأثيتها أثناء اعتلاء الشيوخ لمنصات الخطابة، وإنه في النهاية مجرد كلمة أو كلمات يتم تدجينها بإتقان في الخطابات التي تتبجح باهتمامها بالشباب وقضاياه. بالإضافة إلى ذلك، فاستراتيجية الإدماج تهفو أساسا إلى احتواء الفعل الشبابي وتلافي تورثه المحتملة من خلال تفريخ منظمات شبابية موازية[273].

يضيف عبد الرحيم العطري إلى أن هذه العوامل نموذج علاقة الشيخ والمريد التي تسود في كثير من هذه المؤسسات السياسية، ففي مشهدنا الحزبي لا مجال للتقاعد السياسي،

---

[271] NAJA. Abdellatif, (2013), « Quand la jeunesse s'éveillera, le monde arabe tremblera : le cas du Maroc », (27-38), in: Identité et participation sociale des jeunes en Europe et en Méditerranée, Sous la direction de Jean-Yves Dartiguenave, Christophe Moreau et Maité Savina, L'Harmattan, Logiques Sociales, Paris, p. 32

[272] العطري. عبد الرحيم، (2004)، سوسيولوجيا الشباب المغربي، جدل الإدماج والتهميش، الطبعة الأولى، الرباط، ص.67.

[273] المرجع نفسه، ص. 67.

ليبقى الزعيم زعيما مدى الحياة. حتى الموت الذي يمكن أن يزيحه، تدخلت فيه المؤسسة الحزبية وجعلت من الزعامة "أصل مَلْكية" ينتقل بالوراثة لتستمر إعادة الإنتاج لنفس النخب[274].

لا تنحصر هذه التمثلات فقط في المؤسسات الحزبية، بل تشمل جزءا مهما من المؤسسات (خاصة العمومية)، لدرجة الشك في التجربة الديمقراطية بالمغرب وفي كونه دولة الحق والقانون. إن هذه التمثلات تتفاقم بتزايد هشاشة الوضعية الاجتماعية للشباب، وهذا ما ورد في بحث أجرته وزارة الشباب والرياضة سنة 2001 وشمل 18109 شابا[275]. في نفس الاتجاه أكد البحث الذي تم إجراؤه بمناسبة خمسين سنة على استقلال المغرب (تقرير الخمسينية) أن عددا كبيرا من الشباب يعتبر أن درجة الحكامة الجيدة في المغرب هي في المستوى المتوسط، وهو في حد ذاته مؤشر غير ايجابي، ذلك أن هذا الأمر مرتبط بشكل أعمق بمدى ديمقراطية النظام السياسي بأكمله، حيث أجاب 39.5% من المبحوثين أنهم غير راضين بشكل جيد عن التجربة الديمقراطية في المغرب[276].

بسبب تراجع شعبية المؤسسات الحزبية والشك في جدية التجربة الديمقراطية، أصبحت مقاطعة الانتخابات السياسية تلاحظ في السنوات الأخيرة (لاسيما في صفوف الشباب)، كشكل من أشكال عدم الثقة وكتمثل ينظر إلى هذه العملية كإعادة إنتاج لواقع لا ينظر إليه بعين الرضى أو ينظر إليه بعين السخط. في بحث أجرته جريدة L'économiste سنة 2005، تم التوصل إلى أن 45% من المستجوبين عبروا عن عدم تصويتهم خلال

[274]العطري. عبد الرحيم، (2004)، سوسيولوجيا الشباب المغربي، جدل الإدماج والتهميش، الطبعة الأولى، الرباط، ص. 69

[275] Ministère de la Jeunesse et des Sports, Direction de la Jeunesse et de l'Enfance, (2001), Consultation nationale des jeunes, enquête auprès de 18109 jeunes, Rabat, p. 11.

[276]BOURQUIA. Rahma, (2005), Société, famille, femmes et jeunesse, recueil des contributions, Cinquantenaire de l'Indépendance du Royaume du Maroc, Casablanca, p. 81 et 82.

الانتخابات التشريعية لسنة 2002، وقد أجرت نفس الجريدة بحثا آخر سنة 2006 وتوصلت إلى أن نسبة 95% من شباب العينة المبحوثة غير مهتمة بالحياة السياسية والحزبية[277].

من خلال الديناميات التي عرفها المجتمع المدني في المغرب منذ سنوات التسعينات ومن خلال انخراط فئات من الشباب في هذه التنظيمات الاجتماعية، أصبح من الملاحظ أن جزءا من الشباب يعتبر العمل الجمعوي شكلا جديدا من المشاركة في الحياة العامة، وربما يعود ذلك لطبيعة قيمه التي تركز على العمل الطوعي والفعل الحر، وهو ما يتناسب مع احتلال قيمة الحرية لمكانة محورية في ثقافة الشباب. وكما أسلفتُ سابقا، فالمجتمع المدني ليس دائما بتلك الرومانسية التي تزدان بها عدد من خطاباته الرسمية، حيث أن مختلف أنماط الفعل في عدد من هذه التنظيمات لا تختلف عما يحدث في مؤسسات اجتماعية أخرى تتصف بالطابع التقليدي والسلطوية والنمطية، ومن الأمثلة على ذلك محدودية تمثيلية الشباب في المنظمات الشبابية[278].

كثيرا ما تم الاعتقاد في الحس المشترك وفي خطابات إعلامية كثيرة أن فعل الانتظارية يشمل الغالبية العظمى من الشباب، لكن هذه الفئة قد طورت ثقافة جيلية جديدة بالتفاعل مع المشاكل الاجتماعية لمحيطها وبالتثاقف فيما بينها ومع ثقافات أخرى عبر وسائل الاتصال الحديثة. انعكست هذه الثقافة على المشاركة في الحياة العامة من خلال تطوير أو إبداع أشكال جديدة للفعل، وقد تمظهر هذا التغير الثقافي من خلال خطابات الشباب عبر مختلف قنوات التواصل الافتراضي أو الواقعي التي ركزت على قيم معينة مثل قيم الديمقراطية، التغيير، العدالة الاجتماعية، التعايش المشترك، السرعة في الأداء، الكرامة، الخ. ومن بين الأشكال الجديدة للفعل في الحياة العامة، انخراط فئات عريضة من الشباب ضمن ما سمي بثورات الربيع العربي (وهو ما سأتطرق إليه لاحقا).

---

[277] طارق. حسن، (2009)، "الشباب بين رهانات المواطنة وواقع المشاركة السياسية"، (109-136)، في: مناظرة وطنية الشباب، السياسات الشباب والبحث العلمي، من اجل تفاعل جديد، تحت إشراف عبد الفتاح الزين، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص. 126 و127.

[278] الحمراوي. إسماعيل، (2017)، الشباب المغربي وتحديات المشاركة السياسية، دار القلم، الطبعة الأولى، الرباط، ص. 71.

الفصل الثالث:

التنظيمات الجمعوية والشباب، تطور،

رهانات وخصائص

المبحث الأول: في تطور

التنظيمات الجمعوية بالمغرب

1- في الفترة الكولونيالية

تعود نشأة التنظيمات الجمعوية بالمغرب بالشكل الذي ظهرت به في السياق الغربي إلى الفترة الكولونيالية نتيجة للاحتكاك المباشر بالثقافة الغربية خلال هذه الفترة. في نفس الوقت، وظف عدد من الفاعلين الاجتماعيين هذا الشكل الجديد من التنظيمات الاجتماعية لتحقيق رهانات مختلفة، تضاربت بين مقاومة المشروع المجتمعي للمستعمر وبين الانسياق وراء هذا الأخير والتماهي معه.

نظرا لطبيعة المرحلة ولأهداف التنظيم الجمعوي الذي يرمي بطبيعته إلى الانخراط في تدبير الشأن العام، فقد طغى البعد السياسي على الفعل المنظم لهذه الجمعيات رغم تنوع حقول تدخلها. وبشكل عام، انتشرت الجمعيات الثقافية بشكل كبير نظرا لطبيعة التوافق بين البعدين الثقافي والسياسي، إذ لا يمكن تصور أي منهما بدون حمولة إيديولوجية. هكذا، كانت المشاريع الثقافية للجمعيات تخدم المشروع السياسي الهادف للتحرر من المستعمر الأجنبي، وقد استفاد هذا الصراع الاجتماعي بشكل كبير من دينامية الشباب الذين تميزوا في تلك الفترة بدرجة عالية من الوعي الفكري والسياسي.

نشأت إذن التنظيمات الجمعوية بالمجتمع المغربي منذ البدايات الأولى للقرن العشرين، حيث سبقت طنجة الدولية آنذاك إلى تبني أول تنظيم جمعوي سنة 1918 مع تأسيس "جمعية المغرب"[279]. وبعد أن تمكنت سلطات الاحتلال من الحد من المقاومة المسلحة في نهاية سنوات العشرينات وبداية الثلاثينات، أخذت قوى المقاومة تبحث عن أشكال جديدة للفعل النضالي ومن بينها المقاومة السياسية. في هذه الفترة، برزت أحزاب الحركة الوطنية التي لم تراهن فقط على مؤسستي الحزب والنقابة، بل أعطت دفعة قوية للجمعيات وللتنظيمات المدنية عموما[280].

---

[279] أميلي. حسن، (2004)، "العمل الجمعوي بالمغرب وإشكالية التأريخ" (18-22)، في: العمل الجمعوي بالمغرب، التاريخ والهوية، أعمال ندوة، تنسيق حسن أميلي، نشر للجمعية المغربية لتربية الشبيبة، الرباط. ص.21

[280] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 23

تأسست جمعية "الرابطة المغربية" سنة 1926 بالرباط كإحدى الروافد الأولى للحركة الوطنية واتخذت لنفسها الاسم المستعار "أنصار الحقيقة"، ثم امتدت فروعها إلى مدينتي طنجة وتطوان،[281]. في نفس السنة تأسست "جمعية الهلال"[282]، ثم "جمعية "الاتحاد والترقي" بالرباط على يد مجموعة من الشباب الذين قدموا من مجموعة من المدن مثل: سلا، فاس، وتطوان[283]. وظهرت أيضا في هذه الفترة جمعيات التربية والتخييم وجمعيات قدماء تلاميذ بعض المؤسسات التعليمية الثانوية أو بعض مدارس الأعيان، كما انتشرت أيضا الجمعيات المسرحية[284]. بالإضافة إلى ذلك، برزت شبيبات المدارس الحرة التي أنشأتها الحركة الوطنية والنوادي الأدبية مثل "النادي الجراري" و"النادي الأدبي السلاوي"[285].

استندت هذه التنظيمات الجمعوية في وجودها وفعلها على عدد من المرتكزات القانونية، من بينها الظهير الشريف لسنة 1914، فأصبح بإمكان شخصين أو أكثر تأسيس جمعية[286]. وقد عدلت سلطات الاستعمار هذا القانون سنة 1933 نتيجة تكاثر الجمعيات وتغير المجتمع، فمن ماي 1914 إلى يناير 1935 بلغ عدد الجمعيات المعترف بها قانونيا 195 جمعية، ناهيك عن الجمعيات التي لم تستطع الحصول على اعتراف قانوني والتي بقيت تعمل في الخفاء[287]. استمدت هذه القوانين وغيرها روحها من التشريع الفرنسي، لكن درجة ليبراليتها كانت أقل، بما يضمن استمرارية الحضور الفرنسي بالمغرب[288]. لكن من جهة

---

[281] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 42

[282] أميلي. حسن، (2004)، "العمل الجمعوي بالمغرب وإشكالية التأريخ" (18-22)، في: العمل الجمعوي بالمغرب، التاريخ والهوية، أعمال ندوة، تنسيق حسن أميلي، نشر للجمعية المغربية لتربية الشبيبة، الرباط. ص.21

[283] أشقرا. عثمان، (2004)، "نشأة العمل الجمعوي بالمغرب"، (31-33)، في: العمل الجمعوي بالمغرب، التاريخ والهوية، أعمال ندوة، تنسيق حسن أميلي، نشر للجمعية المغربية لتربية الشبيبة، الرباط. ص 31.

[284] الغياط. محمد، (2001)، جمعيات الشباب وتفعيل المجتمع المدني، دراسة حول إسهامات جمعيات الشباب في تفعيل المجتمع المدني بالمغرب، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 26.

[285] عارف. أحمد، (2018)، الممارسة الثقافية والجمعوية بالمغرب، مقاربة سوسيوثقافية، الطبعة الأولى، إيديسيون بلوس، الدار البيضاء، ص. 18.

[286] الغياط. محمد، (2004)، حق تأسيس الجمعيات والأحزاب في القانون المغربي والمقارن: دراسة قانونية عن حرية تأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية من خلال القانون المغربي المقارن، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 21.

[287] المرجع نفسه، ص 21.

[288] بوخريص. فوزي، (2015)، ص 22

أخرى، فقد شكلت هذه التشريعات فرصة للشباب المغربي للتعرف والتمرس بآليات العمل الجمعوي كأسلوب جديد للانخراط في الشأن العام[289].

نهجت السلطات الفرنسية أسلوب الكيل بمكيالين في مواقفها تجاه التنظيمات الجمعوية، إذ كانت تشجع الجمعيات الموالية أو الخاضعة لها وتضيق الخناق على الجمعيات المناوئة لسياستها. من مظاهر هذا التضييق أن تم رفض الطلب الذي تقدمت به جمعية طلبة شمال إفريقيا لعقد مؤتمرها الثالث بفاس سنة 1933، مما جعل المنظمين ينتقلون إلى خارج الوطن من أجل عقد المؤتمر[290]. كما تم حل الكثير من الجمعيات مثل جمعية الكشفية الحسنية التي تأسست في 1933 ومنعت من مزاولة نشاطها في 1942، لكنها استمرت في نشاطها بشكل سري[291].

بالإضافة إلى ذلك، كانت السلطات الفرنسية تتدخل في الشؤون الداخلية للجمعيات مثل التدخل في التدبير الداخلي لجمعية "قدماء تلاميذ ثانوية آزرو" بعدما رفض الحاكم العسكري لجهة مكناس الترخيص بتأسيسها ولم يقبل بذلك إلا بعد التدخل في صياغة قانونها الأساسي وفي تعيين أعضاء مكتبها المسير[292].

في إطار سياسته الاستعمارية بالمجتمع المغربي وبمجتمعات أخرى، عمل كل من المستعمر الفرنسي والاسباني على ترسيخ النموذج الجمعوي كشكل من أشكال التنظيم الاجتماعي المجسد للحداثة الغربية، بينما قام بالحط من قيمة الأشكال المحلية للتنظيم والتعبير، مستغلا في ذلك البعد الإثني (خاصة التقابل العربي/البربري) والبعد الديني (لاسيما

[289] الشناوي. الكبير، (2014)، الحركة الجمعوية بالمغرب بين سؤال الحرية وسؤال التأهيل، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ، ص. 13.
[290] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 43
[291] المرجع نفسه، ص. 44
[292] المرجع نفسه، ص 22

تقابل علماء السنة/علماء الزوايا الصوفية)، وهو ما قوّى لدى عدد من الفاعلين الاجتماعيين الإحساس بالرفض لكل البنيات الاجتماعية التقليدية[293].

بالتالي، نتج عن الاتصال الثقافي بالحداثة الغربية ظهور تنظيمات جمعوية حققت حضورا مميزا (خاصة في الحقل الثقافي الموجه للشباب)، لتسبق بذلك بروز المؤسسات الحزبية، فتم توظيفها هذه الجمعيات بأشكال مختلفة واستمرت ديناميا‌تها حتى بعد حصول المغرب على الاستقلال.

2- بُعيد الاستقلال وخلال عقد الستينات

شكلت الفترة التي تلت حدث الاستقلال مرحلة مفصلية في تطور المجتمع المدني بالمغرب، فبعد أن كان الصراع السياسي من قبل بين الدولة والمجتمع المدني من جهة أولى والسلطات الفرنسية من جهة ثانية، أخذ التنافس منحى آخر وأصبح بين الدولة والمؤسسات الحزبية (بما في ذلك التنظيمات الجمعوية التابعة لها)، وهو ما ألقى بظلاله على مكونات المجتمع المدني ككل. نظرا لأهمية هذين الفاعلين في صياغة المشهد الجمعوي بالمغرب، فسأتطرق بداية للجانب المتعلق بالدولة، ثم أتناول بعد ذلك الجانب المرتبط بالمجتمع المدني.

يورد ريمي لوفو Rémy Leveau في كتابه "الفلاح المغربي المدافع عن العرش" أن الإدارة المغربية - خلال الفترة التي أعقبت الاستقلال مباشرة – تبنت ذات الموقف الحذر الذي حكم تعامل سلطات الحماية مع الجمعيات، وكانت تنظر بعين الريبة إلى التجمعات (بما في ذلك الجمعيات). وقد تم النظر إلى كل تجمع يشمل أفرادا متعددين (حتى وان كان بعيدا كل البعد عن الميدان السياسي) دافعا محتملا للقيام بتعبئة قد تنحرف عن أهدافها الأصلية[294]، وهو ما دفعها إلى نهج سياسة الضبط الاجتماعي. لم يقتصر هذا الاخير على تدبير الشأن

[293] الكنز. علي، (1998)، "المجتمع المدني في البلدان المغاربية، بعض التساؤلات"، (21-37)، في: وعي المجتمع بذاته، عن المجتمع المدني في المغرب العربي، ندوات معهد الدراسات عبر الإقليمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، جامعة برينستون بالولايات المتحدة الأمريكية، إشراف: عبد الله حمودي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. ص 26

[294] لوفو. ريمي، (2011)، الفلاح المغربي المدافع عن العرش، ترجمة: محمد بن الشيخ، سلسلة أطروحات وبحوث جامعية (2)، منشورات وجهة نظر، الرباط. ص. 245

السياسي، بل شمل أيضا القطاع السوسيواقتصادي بسن سياسة تدخلية في الخدمات الاجتماعية وفي جزء من الاقتصاد[295].

لم تعرف السنوات الأولى من الاستقلال دينامية جمعوية، وإنما اقتصرت على شبكة محدودة من الجمعيات منها ما كانت تابعة لحزب الاستقلال ومنها ما كانت أقل ارتباطا بالحقل السياسي (مثل جمعيات قدماء التلاميذ والجمعيات الرياضية والجمعيات الإحسانية، وجمعيات العلماء)[296]. تميزت هذه الفترة أيضا بإيلاء أهمية للفعل التطوعي عند فئة الشباب، وهو ما جسده مشروع بناء طريق الوحدة سنة 1957 (كمشروع وطني يرمز لوحدة البلاد وتطوع شبابها) وتمثل في إنجاز سبعين كيلومترا من الطرق الرابطة بين المناطق التي كانت خاضعة للاستعمار الاسباني وتلك التي كانت خاضعة للحماية الفرنسية[297].

يعد ظهير سنة 1958 المتعلق بالحريات العامة وحق تأسيس الجمعيات من أهم المرتكزات القانونية التي اعتمدت عليها الدولة في الضبط الاجتماعي، وهو يقترب في روحه من القانون الفرنسي 1901 (على غرار العديد من القوانين والمنظمة للمؤسسات)، لكنه يختلف عنه في عدة مسائل جوهرية تجعل النظام المغربي أضيق نطاقا وأقل حرية من النظام الفرنسي، وإن ظل محافظا بشكل عام على الصبغة الليبرالية[298]. وقد أعقبه لاحقا دستوري 1962 ثم دستور 1972 الذين نصا في نفس الفصل التاسع على ضمان حرية التجوال وحرية الاستقرار وحرية تأسيس الجمعيات وحرية الانخراط في أي منظمة نقابية أو سياسية، وهو ما كان مطلبا ملحا لفعاليات للمجتمع المدني[299].

بتعاقب سنوات ما بعد الاستقلال، أخذت تظهر بالمجتمع المدني جمعيات شبابية تنشط في الميدان التربوي والثقافي مثل حركة الطفولة الشعبية والجمعية المغربية لتربية الشبيبة

---

[295] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 27

[296] لوفو. ريمي، (2011)، الفلاح المغربي المدافع عن العرش، ترجمة: محمد بن الشيخ، سلسلة أطروحات وبحوث جامعية (2)، منشورات وجهة نظر، الرباط. ص. 246

[297] Périer. Florence, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 10

[298] بوخريص. فوزي، (2015)، ص 37

[299] السهول. إبراهيم، (2015)، نخب المجتمع المدني في المغرب، دراسة سوسيوسياسية لجمعيات حقوقية وثقافية ونسائية، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، ص. 46

وجمعية الأوراش المغربية للشباب والكشفية الإسلامية وجمعية التربية والتنمية ومنظمة الكشاف المغربي ومنظمة الكشاف المحمدي وجمعية الشعلة للتربية والثقافة، الخ. وقد شكلت الحركة الوطنية، عبر امتداداتها، مرجعية تنظيمية وإديولوجية مؤطرة لميلاد وتوجهات أغلب هذه المنظمات، مما أهلها للمساهمة بشكل كبير في تأطير أجيال من الشباب، سواء داخل أنديتها الخاصة أو بدور الشباب والأحياء الشعبية والمخيمات الصيفية. وقد تميزت ظروف ميلاد وعمل هذه التنظيمات الشبابية بمحدودية الوسائل وحالة التوتر التي عرفها الحقل السياسي المغربي، خاصة أن المناخ العام الذي كان سائدا آنذاك جعلها مرتبطة بدرجات متفاوتة بالصراعات السياسية المحتدة، سواء بين الأحزاب الوطنية وبين السلطة من جهة، أو تلك السائدة بين الأحزاب، أو داخل نفس الحزب من جهة أخرى[300].

3- خلال فترة السبعينات

عرفت فترة السبعينات علاقة صراع بين الدولة وأغلب الفاعلين في المجتمع المدني، خاصة الفاعلين المنضوين في إطار الحركات الاجتماعية اليسارية (باستثناء الجمعيات الموالية للدولة أو التي لم تنهج أسلوب المطالبة والاحتجاج). وجدير بالذكر أن هذه الحركة اليسارية استثمرت كثيرا في الحقل الثقافي كميدان للتعبئة الجماهيرية، نظرا للتوافق بين مرجعياتها الفكرية والفعل الثقافي. في هذا الإطار، أذكر الإسهامات الفكرية لأنطونيو غرامشي الذي أسند للفعل الثقافي ووظائف المثقف موقعا محوريا في بناء المشروع اليساري. في نفس المرحلة التاريخية، أصبح المغرب يشهد تنامي ما يسمى ب"حركات الإسلام السياسي".

إن هذه الديناميات المجتمعية الداخلية لم تكن معزولة عن الديناميات العالمية على المستوى الخارجي والمتمثلة في ما يسمى ب"الحرب الباردة" بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي. وإن كانت هذه "الحرب الباردة" قد سميت بهذا الاسم، فربما لأنها لم تتطور إلى مستوى استعمال السلاح النووي بين القوتين العظيمتين، لكنها أدت في واقع الأمر

[300] الشناوي. الكبير، (2014)، الحركة الجمعوية بالمغرب بين سؤال الحرية وسؤال التأهيل، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ، ص. 14

إلى الصراع غير المباشر بينهما من خلال نزاعات مسلحة محلية أو ديناميات اجتماعية "غير باردة" على مستوى دول أخرى، لاسيما في دول العالم الثالث.

ترى العديد من الكتابات أن التعديلات التشريعية في الحقل الجمعوي كانت من بين مظاهر الصراع بين الدولة والتنظيمات الجمعوية، وتجلى ذلك في التعديلات القانونية لسنة 1973 التي وصفت بالتراجع عن المكتسبات الديمقراطية وبالتأثير السلبي على الحريات العامة. من بين التراجعات التي وردت في هذا القانون كذلك: إلزامية التصريح واعتباره شرطا أساسيا لصحة تأسيس الجمعيات؛ إمكانية حل الجمعية من طرف المحكمة الابتدائية إذا ظهر لها أن نشاط الجمعية من شأنه الإخلال بالأمن العمومي (ما يفتح باب التأويلات من طرف السلطة الإدارية أو القضائية)؛ الحكم بالعقوبة السجنية (ما بين 3 أشهر وسنتين وغرامة تتراوح بين 10.000 و50.000 درهم) في حق مؤسسي الجمعية في حال المخالفات المتعلقة بالتصريح[301]. ويلاحظ أيضا أن هذا التعديل كان أحادي الجانب، إذ تم القيام به دون إشراك الجمعيات أو استشارتها. كما أنه لم يأت بتدابير جديدة تسهم في تطوير الجمعيات أو تفتح لها منافذ الشراكة، أو تقدم لها امتيازات مالية أو إعفاءات جمركية[302].

4- خلال عقد الثمانينات

تميزت عشرية الثمانينات بتفاقم المشاكل الاجتماعية وتطورها إلى الحد الذي فرض تدخل المؤسسات المالية الدولية من أجل تطبيق برنامج التقويم الهيكلي. وكما يدل على ذلك اسم هذا البرنامج، فإنه يقوم على إدخال تغييرات بنيوية على هياكل مختلف قطاعات المجتمع بهدف التقشف في النفقات العمومية وتخفيض دعم القطاعين الاجتماعي والثقافي، فأفرز هذا التدخل حركات اجتماعية احتجاجية أصبح معها التماسك الاجتماعي محط تساؤل وشك. إزاء هذا الوضع وإلى جانب الجمعيات الثقافية التي تأسست منذ بداية الاستقلال، برزت في

[301] السهول. إبراهيم، (2015)، نخب المجتمع المدني في المغرب، دراسة سوسيوسياسية لجمعيات حقوقية وثقافية ونسائية، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، ص. 46

[302] المرجع نفسه، ص. 47

المجتمع المدني أنماط أخرى من الجمعيات تمثلت في الجمعيات السياسية والجمعيات الجهوية، كفاعل جديد في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية[303].

تنامى حضور الجمعيات السياسية في سياق اتسم بملاءمة الظروف السياسية الدولية. فمن جهة، تعرضت الدول العربية لضغوطات خارجية نتيجة السجال الذي عرفه ملف حقوق الإنسان والحريات العامة، ومن جهة أخرى تزايد تمويل المنظمات غير الحكومية في دول العالم الأول للحركات الحقوقية في دول العالم الثالث، ومن بينها المغرب[304].

على المستوى الداخلي، كانت أغلب مبادرات تأسيس هذه التنظيمات الجمعوية من طرف فاعلين لهم انتماءات سياسية، فتأسيس "المنظمة المغربية لحقوق الإنسان" سنة 1988 كان بمبادرة من أعضاء "حزب الاتحاد الاشتراكي"[305]، وذلك بعد ثلاث قرارات منع متتالية من طرف السلطات العمومية، وقد ساهم في تأسيسها تعاطف وتضامن المنظمات الدولية غير الحكومية من خلال مواكبة الإعلام الدولي لمراحل تأسيس المنظمة[306].

كما تم تأسيس "الجمعية المغربية لحقوق الإنسان" بمبادرة من أعضاء من حزب "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية" وكذا عدد من أعضاء حزب "التقدم والاشتراكية"[307]. وقد بين الباحث إبراهيم السهول في دراسته الميدانية حول عدد من الجمعيات الحقوقية، الثقافية والنسائية أن نخب الجمعيات الحقوقية هي الأعلى من حيث الانتماء إلى التنظيمات الحزبية، تتلوها الجمعيات الحقوقية ثم التنظيمات النسوية[308].

بالموازاة مع تكاثر فعاليات من المجتمع المدني، أصبحت تنافس المؤسسات العمومية في تدبير الشأن العام وتعارضها في كيفية القيام به، قامت الدولة بخلق جمعيات جهوية

---

[303] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 27

[304] السهول. إبراهيم، (2015)، نخب المجتمع المدني في المغرب، دراسة سوسيوسياسية لجمعيات حقوقية وثقافية ونسائية، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، ص. 71

[305] المرجع نفسه، ص. 98

[306] المرجع نفسه، ص. 74

[307] بناني. عبد العزيز، (1998)،"الحركة المغربية لحقوق الانسان"، (179-198)، في: وعي المجتمع بذاته، عن المجتمع المدني في المغرب العربي، ندوات معهد الدراسات عبر الإقليمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، جامعة برينستون بالولايات المتحدة الأمريكية، إشراف: عبد الله حمودي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 185

[308] السهول. إبراهيم، (2015)، ص. 99 (الجدول رقم 6)

(ترتبط هويتها ومجالات تدخلها بجهة جغرافية معينة)، وأسندت لها عددا من الوظائف، مثل: إدماج النخب المحلية (بما في ذلك فئة الشباب، اطر الإدارة والفاعلين الاقتصاديين)؛ خلق ثقل موازن un contrepoids ينافس التنظيمات السياسية الأخرى (الأحزاب والنقابات والجمعيات الأخرى)؛ تحقيق إشعاع ثقافي وسوسيواقتصادي على مستوى الجهة يعمل على دعم جهود الإدارة التي واجهت عدة مشاكل.

تزعمت هذه الجمعيات شخصيات مقربة من السلطة لإضفاء طابع الكاريزماتية على مستوى القيادة التنظيمية، وهو ما يساعد في استقطاب الموارد البشرية والمالية ويسهل التواصل مع السلطات المحلية[309]. من جهة أخرى، سعت هذه الجمعيات الجهوية إلى منافسة المؤسسات التقليدية مثل القبيلة والزاوية[310]. بخصوص تقييم فعلها الجمعوي، فهناك من يرى أن هذه الجمعيات الجهوية لم تتمكن من القيام بالوظائف التي أنيطت بها[311]. في حين، يرى البعض الآخر أنها لعبت دورا مهما في مرحلة لم يكن فيها المغرب مستعدا لانبثاق مجتمع مدني فعلي، بل إنها ملأت الفراغ الذي كان يتهدد المجتمع المدني المغربي[312].

5- التطور اللافت خلال مرحلة التسعينات

يمكن القول أن عشرية التسعينات هي بمثابة الانطلاقة الكبرى للمجتمع المدني بالمغرب نتيجة تظافر مجموعة من الديناميات الاجتماعية، فقد تميز المستوى الدولي بانتصار المعسكر الغربي في فرض هيمنة مشروعه الليبرالي، مما سرع وتيرة العولمة. انعكست هذه التحولات على مستوى المجتمع المغربي ووسعت من هامش الحريات العامة لدى المجتمع المدني وتجلى ذلك في مظاهر مختلفة، منها: التأسيس لتجربة حكومة التناوب التوافقي المؤدية لتشكيل أغلبية حكومية بقيادة قوى يسارية كانت في صف المعارضة، وهو ما أفرز ما "سمي بالانتقال الديمقراطي" على مستوى الخطاب الرسمي؛ تنامي الثقافة

[309] CHADLI. El Mostafa, (2001), La société civile ou la quête de la citoyenneté, publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, série : Essais et Etudes, N°32, Rabat, p. 25.
[310] Idem, p. 19
[311] Idem, p. 26
[312] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 29

الحقوقية (حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق المعاقين، الخ)؛ المصادقة على مجموعة من المواثيق الدولية المعلن عنها من طرف الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان؛ التعديل الدستوري لسنة 1996؛ التطورات التشريعية والمؤسساتية كتأسيس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان سنة 1990 وإحداث وزارة خاصة بحقوق الإنسان؛ تشكيل هيئة الإنصاف والمصالحة[313].

انعكس هذا "الانفتاح" على الحقل الجمعوي بتعديلات تشريعية، تجلت في صدور ظهير رقم 206.02.1 في جمادى الأول 1423 (23 يوليوز 2002). يعد هذا الظهير بمثابة تتويج لعمل اللجنة المكلفة سنة 1998 بمتابعة الحملة الوطنية لتعديل قانون الجمعيات، وذلك بمشاركة ألفين جمعية على الصعيد الوطني. من بين التعديلات التي أقرها هذا الظهير: أن الحصول على الوصل النهائي لتأسيس الجمعيات يتم في أجل أقصاه 30 يوما وإلا جاز للجمعية أن تمارس نشاطها وفق الأهداف المسطرة في قوانينها؛ السماح للجمعيات القانونية بالتصرف في الإعلانات العمومية وخاصة القطاع الخاص والمساعدات المالية التي يمكن أن تحصل عليها من الجهات الأجنبية مع مراعاة مقتضيات قانونية محددة؛ جعل مسالة حل الجمعيات بيد القضاة تفاديا لأي تعسف من السلطة الإدارية؛ ضرورة تعليل الإدارة لقرارات الاعتراض على نشاطات الجمعيات المعترف لها بالمصلحة القانونية[314].

شجعت كل هذه الظروف (لاسيما توفر تمويلات برنامج "المبادرة الوطنية للتنمية البشرية" كفاعل جديد في الحقل السوسيواقتصادي) على النمو الديمغرافي السريع للتنظيمات الجمعوية، إذ تضاعف عددها بأكثر من ثلاث مرات في الفترة الممتدة من 1991 إلى 2003 مقارنة مع عقد الثمانينات، وانتقل العدد من 5452 إلى 19150 جمعية، وما يزال متواصلا

[313] CHADLI. El Mostafa, (2001), La société civile ou la quête de la citoyenneté, publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, série : Essais et Etudes, N°32, Rabat, p. 23

[314] السهول. إبراهيم، (2015)، نخب المجتمع المدني في المغرب، دراسة سوسيوسياسية لجمعيات حقوقية وثقافية ونسائية، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، ص. 47

بوتيرة تصاعدية حيث تزايد في مدة ثلاث سنوات من 2004 إلى 2007 بحوالي 8617 جمعية[315].

حسب بحث أجرته المندوبية السامية للتخطيط، بلغ العدد الإجمالي للجمعيات إلى حدود سنة 2007 ما يناهز 44.771 جمعية[316]. وتجدر الإشارة إلى أنه ينبغي التعامل بحذر مع مختلف الإحصائيات التي تقدم من مختلف المصادر حول عدد الجمعيات، حيث أن هناك فئة من الجمعيات ليس لها وجود إلا في الوثائق الإدارية، جيث تجمد أنشطتها دون أن تقوم بحل إطارها القانوني، ويتم احتسابها في الإحصائيات رغم عدم نشاطها. في هذا الصدد، فقد قامت منظمة "الفضاء الجمعوي" بتشخيص سنة 1998 توصلت فيه إلى أن عدد الجمعيات النشيطة بالمغرب لا يتجاوز 20.000 جمعية[317]. بالرغم من ذلك، يبقى أن عقد التسعينات قد عرف تطورا ملفتا في عدد الجمعيات.

إن هذا التطور على مستوى الكم قد رافقه بعض التغير على مستوى الكيف نتيجة الديناميات التي عرفها الحقل الجمعوي، ومن مظاهر ذلك: التوجه نحو نوع من المهنية والتخصص الموضوعاتي في أنشطة الفعل الجمعوي؛ الاستفادة بشكل كبير من قنوات التمويل الأجنبي[318]؛ بداية تحول الظاهرة الجمعوية من ظاهرة حضرية بامتياز إلى ظاهرة مولدة للديناميات الاجتماعية والتنموية بالمناطق الهامشية رغم محدودية الإمكانيات، وهو ما جعل فاطمة المرنيسي تنحت تسمية « Les Aît débrouille » على الجمعيات التي تخلق آثارا عميقة بالوسائل المتاحة[319] ؛ تركيز الجمعيات على مطلب الديمقراطية المحلية كمدخل أساسي يتماشى مع مطلب التنمية المحلية، والذي يتماشى بدوره مع تسارع سيرورات

---

[315] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 92

[316] المندوبية السامية للتخطيط، (2011)، البحث الوطني حول المؤسسات غير الهادفة للربح (سنة المرجع 2007)، النتائج الرئيسية، ص 2، على الموقع الالكتروني: https://www.hcp.ma/file/117493/

[317] Collectif, (2004), Les sociétés civiles du sud, un état des lieux dans trois pays de la ZSP, Cameroun, Ghana, Maroc, Centre d'étude d'Afrique noire et Institut d'études politiques de Bordeaux, Ministère des affaires étrangère, Paris, p. 56

[318] الشناوي. الكبير، (2014)، الحركة الجمعوية بالمغرب بين سؤال الحرية وسؤال التأهيل، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ، ص. 14

[319] MERNISSI. Fatema, (2003), Les Ait Débrouille – ONG Rurales du Haut Atlas, 3ème édition, Edition de Poche, Marsam, Rabat, p. 3

العولمة. على مستوى الخطاب المؤسساتي للتنظيمات الجمعوية والحزبية، أصبح التركيز على مبدأ استقلالية كل منهما عن الآخر[320]. أما بالنسبة لخطاب كل من المؤسسات العمومية والإعلامية، فأصبح يلاحظ كثرة توظيف بعض المفاهيم والعبارات من قبيل: "المجتمع المدني كشريك استراتيجي للدولة"، "المقاربة التشاركية"، "التنمية المحلية".

6- منذ سنة 2000 إلى الآن

عرفت المجتمعات العربية خلال العقدين الأوليين من القرن الواحد والعشرين حالة من الاحتقان السوسيواقتصادي التي تمخضت عنها اضطرابات سياسية وأمنية اختلفت حدتها حسب كل مجتمع. وقد برزت الإرهاصات الأولى لهذه الصراعات الاجتماعية منذ سنة 2008، تاريخ انطلاق الأزمة الاقتصادية العالمية بالولايات المتحدة الأمريكية وما تلاها من تأثيرات وخيمة على الاقتصاد العالمي ككل.

بالإضافة إلى ذلك، فاقم ضعف الديمقراطية والعدالة الاجتماعية هذا الاحتقان الاجتماعي مما أدى إلى حراكات شعبية ضخمة أفضت إلى تغيير في قيادات بعض الأنظمة وحروب أهلية، وهو ما سمي ب"الربيع العربي". اختلفت التحليلات والتأويلات حول الربيع العربي بين أطروحتين: أطروحة الثورة، وترى أن هذا الحراك الشعبي العربي يمثل ثورة حقيقية شرعت في إزاحة الاستبداد بفعل سياسي سلمي يؤشر على نهضة للمجتمع المدني، أو بحراك مسلح كما في حالة كل من المجتمع السوري واليمني والليبي وغيرهم.

أما الأطروحة أطروحة الانتفاضة، فتذهب إلى أن هذا الحراك هو مجرد رد فعل غاضب ومتراكم، أكثر من كونه نضجا لثقافة المجتمع المدني في المجتمعات العربية، ويُستدل في ذلك بكون هذه الشعوب لم تخلق بديلا جذريا يعالج إشكالية الاستبداد والديكتاتورية. تأسيسا على ذلك، فإن تغير رموز الحكم السياسي في هذه المجتمعات هو بمثابة انقلابات عسكرية (أكثر منها ثورات داخلية) مدعومة أو منظمة من طرف قوى خارجية، تستهدف استبدال أفراد دون إسقاط البنى العميقة للنظم السياسية.

---

[320] الشناوي. الكبير، (2014)، الحركة الجمعوية بالمغرب بين سؤال الحرية وسؤال التأهيل، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ، ص. 14

تميزت بدايات الربيع العربي بمجموعة من الخصائص المرتبطة على وجه الخصوص بفئة الشباب وبالمشروع المدني، من بينها:

- ❖ الحضور القوي للشباب: شكلت فئة الشباب العمود الفقري لهذه الاحتجاجات، فكانت هذه الأحداث فرصة لتأكيد فرضية وجود ثقافة جيلية جديدة لدى هذه الشريحة الاجتماعية، وهو ما يدل أيضا على أن التحول في ثقافة الشباب لا يمس الجانب السياسي فقط بل شمل أيضا أبعادا أخرى أهمها الجانب الثقافي.
- ❖ تمثلت رهانات هذه الاحتجاجات في بادئ الأمر في إصلاح المشاكل اجتماعية، فقيل عنها أنها "ثورات خبزية" ذات سقف محدود، ومنها من اندلعت بسبب مشاكل بيئية كما حدث في لبنان (تراكم النفايات المنزلية في الشوارع)[321]، لكن أغلبها تطور بعد ذلك ليشمل مطالب ذات بعد السياسي.
- ❖ سلمية الاحتجاجات: تمت المناداة بهذه المطالب الاجتماعية والسياسية من خلال تعبيرات تعمدت رفع شعار السلمية بشكل معلن في خطاباتها، لكن الأحداث تطورت في حالات معينة إلى مواجهات مع أجهزة السلطة لتصل إلى حد نزاعات عسكرية، في حين تميزت حالات أخرى بالمحافظة على الخط الدبلوماسي المحض المفضي إلى إصلاحات سياسية وصفت بحالة الاستثناء، مثل النموذجين التونسي والمغربي.
- ❖ الانطلاق من الافتراضي إلى الواقعي: من الرساميل الثقافية التي ميزت ثقافة الشباب توظيف الثقافة الرقمية، وغالبا ما كان يُنظر إلى هذه الممارسة على أنها تكرس ابتعاد الشباب عن المشاركة في الحياة العامة، لكن أحداث ما سمي بالربيع العربي أبرزت استثمار فئة من الشباب لهذه الأداة كوسيلة للتنظيم في العالم السيبراني بهدف الانتقال إلى التنفيذ في العالم الواقعي.
- ❖ العفوية والتنظيم: تميز هذا الفعل الشبابي بعفويته وأحدث دهشة بخصوص تنظيمه في كثير من الحالات رغم أنه لم يكن مؤطرا بقيادات عمودية تنظّر وتوجه الجماهير وفق إيديولوجيات محددة، بل ظهرت قيادات أفقية تنبثق من لحظات الفعل وتهيئ

[321] سراج. نادر، (2017)، الخطاب الاحتجاجي، دراسة تحليلية في شعارات الحراك المدني، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ص. 55.

الوسائل اللوجستيكية وتقوم بالتفاوض مع الأنظمة السياسية. يعد هذا التنظيم مثالا على أن هناك فئات من الشباب لها القدرة على تجسيد نضجها التنظيمي.

إن هذه الديناميات الاجتماعية، خاصة تلك التي تتجسد في حركات اجتماعية عفوية وغير مؤطرة تحت لواء سياسي معين، تعبر عن معطى مهم في التمثلات السياسية لفئات عريضة من المجتمع. يتعلق الأمر بحالة فقدان الثقة على السواء في المؤسسات الرسمية والمؤسسات الوسيطة (بمن فيها الجمعيات، الأحزاب السياسية، النقابات) التي يفترض بها أن تخدم الشأن العام، وهو ما اظهر تجذر تلك المقولة الشعبية الرائجة "أولاد عبد الواحد كلهم واحد"، أي أن النخب (باستثناء القلة منها) من طينة واحدة. كل هذه العوامل جعلت الكثير من المواطنين يلجؤون إلى فضاءات عامة بديلة (الشارع، العالم الافتراضي) بعد أن وجدوا أنها أكثر تمثيلية وأكبر فعالية في سعيهم لمخاطبة السلطة، دون المرور عبر التنظيمات الوسيطة.

تفاعلت الدولة المغربية مع هذه الديناميات الاجتماعية من خلال تشكيل لجنة لصياغة وثيقة دستورية معدلة تستجيب لطموحات المواطنين في التغيير ومن بينهم فئة الشباب. ومن أهم ما جاء به التعديل الدستوري، إسناد ادوار جديدة إلى المجتمع المدني جعلت منه قوة اقتراحية أكثر في سبيل التوجه نحو الديمقراطية التشاركية وإشراك كافة الفئات المجتمعية في صناعة القرار السياسي الذي كان حكرا على فئات محدودة[322]. تتجلى هذه المستجدات في الأمثلة التالية:

- ❖ أصبحت الحرية المكفولة لمنظمات المجتمع المدني في ممارسة أنشطتها بحيث لا يمكن حلها أو توقيفها من لدن السلطات العامة ما دامت تشتغل في إطار قانوني (الفصل 12)؛
- ❖ إحداث السلطات العمومية لهيئات تشاورية تشرك مختلف الفاعلين الاجتماعيين في إعداد السياسات العمومية وتنفيذها وتقييمها (الفصل 13)؛

[322] السهول. إبراهيم، (2015)، نخب المجتمع المدني في المغرب، دراسة سوسيوسياسية لجمعيات حقوقية وثقافية ونسائية، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، ص. 52

- ضمان الحق في تقديم ملتمسات في مجال التشريع والحق في تقديم عرائض إلى السلطات العمومية ضمن شروط وكيفيات يحددها قانون تنظيمي (الفصلين 14 و15)؛
- الحق في الحصول على المعلومات التي بحوزة الإدارة العمومية، المؤسسات المنتخبة والهيئات المكلفة بمهام المرفق العام (الفصل 27)؛
- اتخاذ السلطات العمومية للتدابير الملائمة لتوسيع مشاركة الشباب في التنمية ومساعدتهم على الاندماج في الحياة الجمعوية، ومن أجل ذلك يتم إحداث مجلس استشاري للشباب والعمل الجمعوي (الفصل 33)؛
- وضع مجالس الجهات والجماعات الترابية لآليات تشاركية للحوار والتشاور لإدماج المواطنين في إعداد وتتبع برامج التنمية، مع إمكانيتهم تقديم عرائض تطالب المجلس بإدراج نقطة تدخل في اختصاصه ضمن جدول أعماله (الفصل 139)،
- من بين الآليات التي أحدثتها الحكومة المنبثقة عن انتخابات 25 نونبر 2011 من أجل إعطاء أهمية للمجتمع المدني إحداث قطاع وزاري جديد تمثل في "الوزارة المكلفة مع البرلمان والمجتمع المدني"[323].

من الناحية النظرية إذن، أصبح الإطار القانوني المغربي يتيح هامش حرية أوسع للممارسة الجمعوية ولمشاركة الشباب في تدبير الشأن العام، لكن يبقى أن تنزيل هذه المبادئ على أرض الواقع وتحقيق هذه الرهانات بشكل فعلي ومؤثر رهين بالتزامات مختلف الفاعلين: التزام رجل السلطة ب"المفهوم الجديد للسلطة" الذي دعت إليه الخطب الملكية غيرما مرة؛ التزام التنظيمات الجمعوية بمبدأ الاحترافية في الفعل الجمعوي في إطار الحكامة الجيدة ووضع المصلحة العامة للمجتمع فوق كل اعتبار؛ التزام الشباب بالمشاركة الفعلية وتطوير ذاته بالممارسات التثقيفية؛ التزام القطاع الخاص بواجبه في "المسؤولية الاجتماعية للمقاولات «la responsabilité sociale des entreprises» من خلال دعم

[323] السهول. إبراهيم، (2015)، نخب المجتمع المدني في المغرب، دراسة سوسيوسياسية لجمعيات حقوقية وثقافية ونسائية، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، ص. 52

المجتمع المدني وتشجيع مبادرات الشباب وإدماجهم. ويبقى الفعل الاجتماعي لكل هؤلاء الفاعلين هو نفسه رهينا بالبعد الثقافي، ففي البدء كانت الفكرة سابقة على الفعل، مما يؤكد حتمية الاهتمام بالثقافة في سبيل تحقيق التنمية.

المبحث الثاني: رهانات الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية من خلال الفعل الثقافي

على غرار باقي الفاعلين في الحقل الثقافي، تسعى كل من التنظيمات الجمعوية الثقافية وشبابها الجمعوي إلى تحقيق مجموعة من الرهانات، منها ما هو فعل قصدي وواع ومنها ما دون ذلك، وهي بذلك تلعب عددا من الأدوار وتحقق عددا من الوظائف على المستوى الثقافي والسوسيواقتصادي والسياسي، من بينها: الوساطة الثقافية والتنمية الثقافية ووظيفة التثقيف وإعادة إنتاج النخب والتنشئة على الفعل التطوعي.

1- الوساطة الثقافية

بغية المساهمة في تنمية المجتمع على عدة مستويات، تقوم الجمعيات الثقافية بتوسل الوساطة الثقافية la médiation culturelle، بل يمكن القول أن وظيفة الوساطة هي المنطلق في الفعل الجمعوي وهي الأصل في وجود هذه التنظيمات، فمن خلال هذا التموقع في الفضاء العام للمجتمع، يمكن للجمعيات الثقافية أن تضطلع بوظائفها المتنوعة.

ظهر مفهوم الوساطة بمعناه العام في الحقل القانوني وارتبط تحديدا بعملية التحكيم وحل النزاعات[324]، أما فيما يخص الوساطة الثقافية، فتحيل على مختلف أنماط الفعل التي تروم تحقيق التواصل والتقريب بين الإنتاج الثقافي من جهة وبين المتلقين من جهة أخرى[325]، وهو ما يتيح لهذه الإنتاجات الثقافية الانتقال من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي وربما الكوني[326]، ويتم ذلك من خلال الأنشطة التي تنظم بالفضاءات الثقافية سواء كانت هذه الفضاءات واقعية أم افتراضية.

تتحقق الوساطة الثقافية بواسطة فاعل يتوفر على المعارف والأدوات اللازمة لهذا الغرض، وتكون مهمته تقديم المعلومات، مواكبة الجمهور بشكل بيداغوجي يتلاءم وخصوصياته، مع الاعتماد على أسلوب المشاركة والتحفيز. يختلف الفاعلون في الوساطة الثقافية من حيث كونهم أفرادا أو مؤسسات، فالنسبة للأفراد فقد تمت مهننة الوساطة الثقافية من خلال مهنة "الوسيط الثقافي" le médiateur culturel، وتتمثل مهمة هذا الأخير في

[324] بهضوض. محمد، (2014)، الفكر الثقافي، أسئلة الثقافة في المغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط، ص. 210،

[325] المرجع نفسه، ص. 212

[326] LAMIZET. Bernard, (2000), La médiation culturelle, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.15

نقل المعارف والأفكار من مختلف الحقول إلى الجمهور بشكل سهل وبسيط. وصحيح أنه لا ليس بمقدوره يتجاوز المختصين في ميادينهم الثقافية، لكن نقطة قوته تكمن في معرفة الجمهور والتوفر على مهارات متطورة في التواصل معه[327]. ومن المؤسسات الأكاديمية التي تخرج الوسطاء الثقافيين بالمغرب "المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي"، بالإضافة إلى بعض مسالك الماستر بالجامعات.

لا تقتصر مهمة الوسيط الثقافي على الأفراد، بل تشكل المؤسسات أيضا، مثل الجمعيات الثقافية والمركبات الثقافية ودور الشباب والمتاحف، الخ، غير أنه تنبغي الإشارة إلى نسبية تعريف مفهوم الوساطة الثقافية حسب اختلاف هوية وموقع الوسيط الثقافي. فالجمهور مثلا يوصف أنه العنصر المتلقي في عملية الوساطة الثقافية، غير أن عددا مهما من الإنتاجات الثقافية أصبح من إنتاج الجمهور نفسه (مثل الفيديوهات التي ينجزها الشباب وينشرونها عبر موقع يوتيوب). تنطبق النسبية ذاتها على المؤسسة العمومية أيضا، فبعض أجهزة الدولة تعتبر وسيطا ثقافيا في بعض الحالات (كالجماعات المحلية حين تشتري مثلا عروضا مسرحية لفائدة الساكنة المحلية)، لكن في أحيان أخرى تتحول هي ذاتها إلى فاعل أساسي عبر إنتاج السياسات الثقافية.

2- التنمية الثقافية

يبرز رهان التنمية الثقافية كأحد أهم أهداف التنظيمات الجمعوية التي تنشط في الحقل الثقافي. ومن أجل تبيان معنى هذا المفهوم، أعود إلى التعريف الذي قدمه أوغستان جيرار[328] Augustin Girard، أحد الذين ساهموا في صياغة هذا المفهوم على غرار مفاهيم أخرى مثل "الصناعات الثقافية". يعتبر جيرار التنمية الثقافية ذلك الشق من التقدم المجتمعي الذي لا يستهدف البعد الاقتصادي أو البعد الاجتماعي المحض، وهو قطاع شاسع الامتدادات بحيث يضم ثلاثة جوانب: الولوج إلى المعرفة ومشاركتها (كاختصاص

[327] CHAUMIER. Serge et MAIRESSE. François, (2014), La médiation culturelle, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p. 195.

[328] اوغستان جيرار Augustin Girard هو واحد من الإداريين المثقفين الذين اعتمدت عليهم وزارة الثقافة الفرنسية (خاصة الوزير اندري مالرو André Malraux) في بناء وتنزيل سياساتها الثقافية، وقد أسس في الستينات "مصلحة الدراسات والأبحاث" التي عملت على انجاز دراسات ميدانية حول الممارسات الثقافية وقطاع الثقافة ككل.

للمؤسسات التعليمية بامتياز)؛ الولوج إلى مجريات وديناميات العصر الحاضر ومشاركتها (كاختصاص لوسائل الإعلام والاتصال)؛ الولوج إلى عالم القيم ومشاركته.

يشير جيرار إلى أن هذه الميادين مترابطة فيما بينها عند الفرد الذي "يثقف" نفسه، فالولوج إلى عالم القيم مرتبط بالوصول إلى المعرفة والذي ينعكس على المشاركة في الحياة المجتمعية الراهنة، وإذا لم يتطور الفرد على هذه المستويات الثلاث يحدث له نوع من التقوقع في أحدها مما يؤثر سلبا على نظرته للواقع[329].

خلال تنصيب "مجلس التنمية الثقافية" بتاريخ في 2 دجنبر 1971، أضاف الوزير الفرنسي جاك دوهاميل Jacques Duhamel البعدين الاجتماعي والسياسي لمفهوم التنمية الثقافية بعد أن كان متمحورا حول البعد الثقافي المحض مع أوغستان جيرار. ويتمثل إدماج هذين البعدين في إطار بحث الأفراد عن الانفتاح، عن جودة الحياة والمساواة في الفرص، كما أن تحسين الدولة لظروف الممارسات الثقافية والفنية إلى جانب باقي ظروف الحياة يشكل أساس التنمية الثقافية، والثقافة بتعبير دوهاميل هي ما يلزم ليكون يوم العمل يوما حقيقيا للعيش.

وقد لخصت كاترين بيرنيي بواسار Catherine Bernié-Boissard أبعاد وتطورات مفهوم التنمية الثقافية من خلال ثلاث لحظات. تمثلت اللحظة الأولى في مرحلة تأسيس الفعل الثقافي لوزارة الثقافة الفرنسية، فتمحور الرهان حول الجمهور ودمقرطة الثقافة. أما اللحظة الثانية، فارتبطت بانتقال التنمية الثقافية إلى حقل التدبير المجالي عند الجماعات الترابية، في حين شكلت المرحلة الثالثة لحظة الاندماج بين التنمية الثقافية والتنمية الاقتصادية[330].

329 MINISTERE DE LA CULTURE, (Département des études, de la prospective et des statistique), (2010), «L'invention de la prospective culturelle, Textes choisis d'Augustin Girard », in: revue Culture prospective, n°2010-1, Paris, p.8, sur le site : http://www.culture.gouv.fr/deps

330 BERNIE-BOISSARD. Catherine, (2010), « Le développement culturel Genèse et temporalités », (39-49), in Développement culturel et territoires, sous la direction de Catherine BERNIE-BOISSARD, Dominique CROZAT, Claude CHASTAGNER, LAURENT-SEBASTIEN Fournie, L'harmattan, Paris, p. 39.

3- الجمعيات الثقافية والمثقف / الجمعيات الثقافية كمثقف جمعي

توجد علاقة وثيقة بين الجمعيات الثقافية والمثقف نتيجة تقاطع الرهانات والوظائف الخاصة بهما. فتارة، قد يشكلان عنصرين منفصلين (تنظيم اجتماعي في علاقته بالمثقف كفرد)، وتارة أخرى قد يتوحدان في الكيان عينه (التنظيم الجمعوي كمثقف في حد ذاته). لفهم هذه العلاقة وما يترتب عنها من نتائج وأوضاع، ينبغي البدء أولا بتعريف المثقف ثم تناول الأطروحات التي تطرقت إليه.

تعددت تعريفات المثقف، لكن يمكن القول إجمالا إن المثقف هو الشخص الذي يرتكز نشاطه على الممارسة الفكرية والذي ينخرط بالتزام في الفضاء العام لمشاركة الآخرين رؤيته، مواقفه والدفاع عن قيم معينة[331]. يتجاور مع هذا التعريف تعريف أنطونيو غرامشي الذي يرى أن المثقف هو كل من يكسبه نشاطه الفكري مكانة ووظيفة ضمن علاقات اجتماعية معينة تاريخيا، سواء كان كاتبا أو فنانا أو معلما أو طبيبا أو سياسيا أو إداريا أو غير ذلك من ذوي النشاط الفكري[332]. وحسب عبد الكبير الخطيبي يحقق فعل المثقف مجموعة من الوظائف تتنوع بين:

- ❖ وظيفة بيداغوجية (ثقافية) من حيث أن المثقف حامل للمعرفة والفكر؛
- ❖ وظيفة اجتماعية على اعتبار أنه يساهم في بناء التغيير المجتمعي؛
- ❖ وظيفة سياسية تتمثل في إنتاج إديولوجيته الخاصة والتفاعل مع إديولوجيات أخرى، كما أن المثقف كان دائما وفي جميع المجتمعات يلعب دور الوسيط بين الحاكمين والمحكومين، ويمكنه أن يتعاطى السياسة، لكنه نادرا ما يستمر في ممارستها، لأن عمله الأصلي هو تحريك الفكر وتحليل الواقع، لا إدارته؛
- ❖ وظيفة أخلاقية من حيث أنه يدافع عن أخلاق ومثل عليا[333].

---

[331] BRILMAN. Jean, (2018), L'Intellectuel, le politique et le marchand, Questions contemporaines, 1ère édition, L'Harmattan, Paris, p.15

[332] لبيب. الطاهر، (2006)، سوسيولوجيا الثقافة، الطبعة الأولى، دار الملتقى، المحمدية، ص. 38

[333] الخطيبي. عبد الكبير، (1998)، "دور المثقف في حوار الحضارات"، (361-366)، في: العولمة والهوية الثقافية، سلسلة أبحاث المؤتمرات، إشراف جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص. 361.

عطفا على ما سبق، يضيف محمد عابد الجابري أن مسؤولية المثقف في المجتمعات العربية ترتبط بسياق هذه المجتمعات المتميز بمجموعة من الخصائص: فوضوية التركيب المجتمعي؛ نظام حكم تحكمي يعمل على إبقاء الوضع على ما هو عليه؛ وعي جماهيري "متقطع" ينقصه الاستمرار وقوة التفكير، وعادة ما لا يتعدى الشعور بالظلم والحرمان؛ في حين أن فئة المثقفين الواعية حقا، أو التي يفترض فيها أن تكون كذلك هي فئة قليلة العدد وضئيلة الإمكانيات وغير مرغوب فيها من طرف القوى المتحكمة. من هنا، تُلقى على المثقف مسؤولية تصحيح الصورة في الوعي الجماهيري والتي تنطلق أساسا من تعرية الواقع المتخلف ثم بناء النموذج المجتمعي المنشود[334].

لعل رؤية كل من الخطيبي والجابري وغيرهما من العديد من المثقفين العرب تنهل من رؤية أنطونيو غرامشي، ويرى الطاهر لبيب أن نظرية هذا المفكر الايطالي هي أول مقاربة تركز على البنية الفوقية في الطرح الماركسي، لكنها مُنيت ب"الغبن"، ومن الأمثلة على ذلك أن لوسيان كولدمان لم يشر في كتاباته حول الفكر الماركسي إلى إسهامات غرامشي إلا بشكل عرضي، وفي العالم العربي لم تصدر أول ترجمة لعمله "الأمير الحديث" إلا في سنة 1970[335].

يستعمل أنطونيو غرامشي مفهوم الكتلة التاريخية le bloc historique للتعبير عن الوحدة الديالكتيكية بين البنية التحتية والبنى الفوقية كما توجد في لحظة تاريخية معينة تدعمها فيها الهيمنة الإديولوجية. هذه الوحدة يمكن أن تتفكك في فترات "الأزمة العضوية" تفككا يؤدي إلى خلق كتلة تاريخية جديدة. وحسب هذه الرؤية أيضا، فالبنى الفوقية بدورها تركيب معقد يميز فيه غرامشي بين مستويين أساسيين، يطلق عليهما اسمي "المجتمع المدني" و"المجتمع السياسي".

خلافا لمنظور ماركس وانجلز اللذين يطابقان بين المجتمع المدني والبنية الاقتصادية والاجتماعية في فترة تاريخية معينة، يطابق غرامشي بين المجتمع المدني والميدان الإديولوجي. فالمجتمع المدني هو إذا القطاع الذي تعمل فيه الإيدولوجيا كتصور للعالم

[334] الجابري. محمد. عابد، (2003)، سلسلة مواقف، العدد 11، نشر للمؤلف، الدار البيضاء، ص. 53 و54.
[335] لبيب. الطاهر، (2006)، سوسيولوجيا الثقافة، الطبعة الأولى، دار الملتقى، المحمدية، ص. 28

(يغطي فروعا مختلفة كالعلم والقانون والأدب والفن) تحاول الطبقة المسيطرة نشره في الأوساط الاجتماعية المختلفة قصد المحافظة على التجانس الإديولوجي وتدعيمه. ويسمي غرامشي "البنية الإيديولوجية" التنظيمات التي تنشر بها الطبقة المسيطرة إيديولوجيتها، وتشمل مؤسسات وجدت أساسا لهذا الغرض ومؤسسات أخرى تخدمه بدرجات متفاوتة كالقضاء والمدرسة ووسائل الإعلام. أما المجتمع السياسي فمضمونه بالمعنى الضيق يطابق الدولة أو الحكومة السياسية، متمثلا بذلك في السيطرة القيادية المباشرة، وبذلك يكون العنصر الأساسي هنا هو عنصر الإكراه[336].

علاقة بكل ذلك، تبرز أدوار المثقف عند غرامشي والتي تختلف مراتبها وأهميتها، فالمثقف "المبدع" يصوغ الإديولوجيا، وهو أكبر وزنا من المثقف "المنظم" الذي يدير أو ينشر هذه الإديولوجيا، ثم يليهما المثقف "المربي"، وهكذا إلى أن نصل إلى من ليست له أي مبادرة وينحصر عمله في التنفيذ. وقد توصل هذا المفكر إلى أن المثقفين لا يشكلون طبقة في حد ذاتهم بل فئات مرتبطة حسب درجات مختلفة بإحدى الطبقات الأساسية[337]، إذ يميز بين "المثقف العضوي" كمثقف لكتلة تاريخية جديدة و"المثقف التقليدي" المرتبط بطبقات زالت أو في طريقها إلى الزوال[338].

إن ما ورد سابقا عند غرامشي عن المثقف لا ينطبق فقط عن المثقف الفرد، بل ينسحب أيضا على ما يسميه "المثقف الجمعي" المحيل على أنماط مختلفة من التنظيمات الاجتماعية كالحركات الطلابية والحركات النقابية والأحزاب السياسية (الحزب الشيوعي بالنسبة إلى غرامشي في تلك الفترة)[339]، وكذا الجمعيات الثقافية التي تدخل في هذا الإطار أيضا.

يضيف غرامشي أن الصراع هو من أهم أنماط الفعل الاجتماعي ينخرط فيها المثقف طوعا أو كرها، حيث يقابل بين الأجهزة المرتبطة بالمجتمع السياسي من جهة وبالمجتمع المدني من جهة أخرى، بل إن المجتمع المدني يصبح ذاته حقلا للصراع. ويخترق هذا

---

[336] لبيب. الطاهر، (2006)، سوسيولوجيا الثقافة، الطبعة الأولى، دار الملتقى، المحمدية، ص. 36-37.
[337] المرجع نفسه، ص. 38
[338] المرجع نفسه، ص. 39
[339] السعيداني. منير، (2007)، استحالات المثقف والثقافة والممارسة الثقافية، الطبعة الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ص. 58.

الأخير كل مجتمع طوال تاريخه، إذ يشهد في كل مرحلة من تطوره ظهور كتل تاريخية متصارعة فيما بينها، وينتج عن ذلك استفادة بعض الأطراف على حساب تضرر أطراف أخرى[340]، تسعى بدورها إلى المقاومة أو قلب قوانين اللعب بتعبير بيير بورديو. وفي هذا الصدد، يبدو جليا كيف أن عددا كبيرا من الجمعيات الثقافية بالمجتمع المغربي كانت دائما في صراع مع الدولة وفي صراع فيما بينها، والوضع نفسه ينطبق على المثقفين الأفراد.

لعل تباين المواقف في خضم الصراعات المجتمعية قد شكل أحد أهم المعايير في تصنيف المثقفين. وفي هذا الصدد يورد أحمد شراك ثلاث أطروحات مرتبطة بالمثقف، وهي:

- ❖ أطروحة البداية: تجسد المثقف الرسولي (أو المثقف العضوي مع غرامشي أو المثقف الملتزم حسب جون بول سارتر)، ذلك المثقف الذي يحمل هموم الناس، يناضل من أجلهم في الحياة ويتصدر نضالاتهم واحتجاجاتهم.
- ❖ أطروحة النهاية: وهي أطروحة ظهرت في بداية العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين في إطار الحديث عن مسلسل النهايات (كنهاية التاريخ مع فرانسيس فوكوياما، نهاية الإديولوجيا مع دانيل بيل، نهاية الفلسفة مع هيدجر). لم يستثن هذا المسلسل المثقفين بعد أن تراجع دورهم (بفعل التخصص وانتشار المعرفة عبر التكنولوجيا الحديثة) ولم يعد أغلبهم ينخرطون في قضايا الشأن العام موكلين بذلك هذا الدور إلى الفاعل السياسي.
- ❖ أطروحة اللانهاية (الاستمرارية النقدية): وهي الأطروحة التي يدافع عنها أحمد شراك وتقوم على النقد والميتا- نقد للواقع السياسي والاجتماعي بعيدا عن الولاء إلا الولاء للنقد الذي يبقيه مثقفا متشاكسا[341].

[340] السعيداني. منير، (2007)، استحالات المثقف والثقافة والممارسة الثقافية، الطبعة الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ص. 56

[341] شراك. أحمد، (2017)، سوسيولوجيا الربيع العربي، الطبعة الأولى، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، سلسلة سوسيولوجيا، فاس، ص. 205.

4- الجمعيات الثقافية كنخب تعيد إنتاج نفسها

تحيلنا العلاقة بين الجمعيات الثقافية والمثقف بصيغة المفرد مباشرة على العلاقة بين الجمعيات الثقافية والمثقف بصيغة الجمع، أي بمعنى النخب المثقفة. تلعب هذه الأخيرة دورا محوريا في الحقل الثقافي وفي ديناميات المجتمع ككل، وقد اختلفت المقاربات السوسيولوجية حول تعريفها لكنها اتفقت حول أهمية دورها في التغير الاجتماعي وتحقيق مختلف الرهانات.

تبلورت التعاريف والمقاربات حول مفهوم النخبة نتيجة طرح مختلف المفكرين لإشكالية: "من يتحكم في السلطة ؟"، هكذا، ارتبطت بداية انتشار مفهوم النخبة في السوسيولوجيا الحديثة بالحقل السياسي[342]، ليشمل بعد ذلك حقولا أخرى منها الحقل الثقافي. وقد قدم عدد من السوسيولوجيين إسهامات وازنة للإجابة عن هذا السؤال، من بينهم فيلفريدو بايريتو Vilfredo Pareto وجيتانو موسكا Gaetano Mosca وشارلز رايت ميلز Charles Wright Mills وآخرون.

يتميز تعريف باريتو في تبيانه لعدم إمكانية الفصل بين صيغتي الجمع والمفرد في هذا المفهوم، فكل من مصطلح "النخبة" ومصطلح "النخب" يشيران إلى مقاربتين مختلفتين[343]. المقاربة الأولى هي مقاربة شمولية (بصيغة الجمع)، يرى من خلالها أن "النخب" تتشكل من أفراد متميزين في شتى الحقول، وهي الأطروحة البوليارشية (polyarchique) التي يذهب إليها الليبراليون أمثال رايموند آرون وروبرت دال Robert Dahl [344].

أما المقاربة الثانية فهي تخصيصية (النخبة بصيغة المفرد)، وتحيل على تراتبية اجتماعية تترأسها طبقة اجتماعية صغيرة ومميزة تصعد درجات سلم السيطرة والحكم، وذلك لاتصافها بصفات محددة وتوفرها على مختلف رساميل القوة التي تؤهلها لاحتلال هذه

[342] السعيداني. منير، (2007)، استحالات المثقف والثقافة والممارسة الثقافية، الطبعة الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ص. 140

[343] COENEN-HUTER. Jacques, (2004), Sociologie des élites, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p.7

[344] GAY .Thomas, (2006), L'indispensable de la sociologie, coll. Principes, 1ère édition, Studyrama, Levallois-Perret, France, p. 136.

المكانة[345] (الأطروحة الأوليغارشية المنتشرة عند المفكرين اليساريين). هكذا، يتألف كل مجتمع من طبقة حاكمة classe dominante هي النخبة وطبقة العوام المهيمن عليها classe dominée.

يضيف المفكر الايطالي موسكا أن هذه الطبقة الاجتماعية متضامنة فيما بينها بفعل الاشتراك في الثقافة والمصالح وروابط القرابة العائلية في كثير من الحالات[346]، أي أن هذا التضامن هو عضوي وآلي في الآن ذاته حسب تعبير دوركايم. إن هذا التكتل والتجانس وهذه الأهمية في الموقع المجتمعي جعلت السوسيولوجي الأمريكي شارلز رايت ميلز يرى أن دراسة مصالح النخبة من شأنها أن تسهم بشكل عميق في تفسير وقائع وديناميات المجتمعات[347].

تأسيسا على ذلك، فالجمعيات الثقافية (خاصة تلك التي تركز على التثقيف أكثر من تركيزها على الترفيه) تنتمي (أو يفترض بها أنها تنتمي) إلى النموذج الأول الذي تحدث عنه باريتو، فالفاعلون في هذه الفئة من الجمعيات هم من المثقفين ذوي الرساميل الثقافية والشهادات العليا أو على الأقل من ذوي المستوى المعرفي المتوسط ممن اختاروا الفعل الجمعوي الثقافي نتيجة "وعي ثقافي" أو "حاجة ثقافية".

يتصف هؤلاء الفاعلون بصفة النخبوية ويتميزون إذن عن غيرهم بالإقبال على ميدان الثقافة كمركز اهتمام تسعى إليه فئة القلة، رغم أنه يظل في خانة الهامش مقارنة مع مراكز الاهتمام الأخرى لأغلب أفراد المجتمع. وفي نفس الوقت، ترتبط هذه الجمعيات الثقافية كتنظيمات نخبوية بالنخبة الأخرى من النموذج الثاني الذي وصفه باريتو، وهو إما ارتباط مباشر بفاعلين في الدولة (رجال الدولة السياسيين أو رجال المال والأعمال...) أو ارتباط غير مباشر عندما تخضع النخبة الأولى لنتائج وأثار فعل النخبة الثانية.

---

[345] السعيداني. منير، (2007)، استحالات المثقف والثقافة والممارسة الثقافية، الطبعة الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ص. 135

[346] MONTOUSSÉ. Marc et RENOUARD. Gilles, (2006), 100 fiches pour comprendre la sociologie, 1ère édition, Bréal, Paris, p. 126.

[347] السعيداني. منير، (2007)، 138

تعتبر العلاقات بين النخب من أهم العوامل التي تساهم في بناء الحقول الاجتماعية وإعادة بنائها، وتتنوع بين علاقات تكامل وتحالف أو علاقات صراع، وتهدف من خلال ذلك إلى الحفاظ على رساميلها ومصالحها، فليست هناك أي نخبة تتخلى عن مواقعها بسهولة[348]. ومن مظاهر الصراع بين النخب، الصراع بين الجمعيات الثقافية حول مختلف أشكال الدعم (سواء كان ماديا أو رمزيا)، وما يرافق ذلك من تدبير للعلاقات الاجتماعية مع مراكز القرار والنفوذ.

يكمن الفرق بين صراع وآخر في اختلاف الغايات والوسائل، فمن جهة هناك تنظيمات جمعوية تمثل المثقف الجمعي المدافع عن المصلحة العامة بكل تجرد وإيثار، مستندة في منطق فعلها إلى المرجعية القيمية. ومن جهة أخرى هناك جمعيات ينزع فاعلوها نحو المصلحة الخاصة غير المشروعة أو نحو خدمة مصالح سياسوية ضيقة، وهو ما حدا بعدد من المؤلفين إلى تصنيف فعل هذه الفئة من المثقفين بالفساد، ونذكر على سبيل المثال محمد الدغمومي الذي وظف في كتابه[349] المعنون "أوهام المثقفين" مصطلحا من الدارجة المغربية "المخلوضين[350]".

يعد مفهوم الصراع من الأدوات التحليلية الأساسية في فهم الحقول الاجتماعية، وقد برزت في هذا الاتجاه نظرية بيير بورديو بشكل قوي بعد أن انبنت بشكل توفيقي بين نظريات الصراع الماركسية، نظرية الفعل الفيبرية، ونظريات أخرى. تنطبق نظرية بورديو بشكل جيد على الحقل الجمعوي الثقافي، فهو يتألف من جمعيات (فاعلين) تسعى لتحقيق رهانات معينة، وهي بذلك تدخل في أنماط مختلفة من الصراع فيما بينها من أجل بلوغ رهانات معينة. من أجل ذلك، توظف الجمعيات مجموعة من الرساميل المادية، الاجتماعية والرمزية، وكل ذلك يتم حسب هابيتوس الأفراد الذين ينشطون في هذا الحقل الجمعوي الثقافي. في هذا الصدد، يسترجع باريتو نظرية نيكولا ميكيافيلي ويشير إلى أن النخب قد

[348] Collectif, (1998), Précis de sociologie, 1ère édition, Editions Nathan, Paris, p. 100.

[349] الدغمومي. محمد، أوهام المثقفين، (1997)، سلسلة شراع، العدد 17، وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال، طنجة.

[350] يصعب إيجاد ترجمة دقيقة لهذه الكلمة باللغة العربية، لكن يمكن تقريب المعنى من خلال القول أن الأمر بتعلق بالذين يصطادون في الماء العكر، فحينما نقول بالدارجة المغربية ان الماء "مخوّض" او "مخلوض"، فذلك يعني أنه عكر وغير صاف.

تستند على القوة أو على الحيلة للوصول إلى مواقع السلطة والاستقرار فيها. وتكمن الحيلة حسب باريتو في تقنيع السعي إلى السلطة بقناع يظهر الرغبة في تحقيق المصلحة العامة وخدمة الأخلاق النبيلة[351].

تجدر الإشارة إلى أن ثنائية النخبة والعامة لا تجد تجلياتها فقط في الحقول الاجتماعية كفضاء عام، بل تنطبق أيضا على الفضاء الداخلي للتنظيمات، وهو ما أكده روبرت ميشالز Robert Michels من خلال دراسة حول المنظمات النقابية والسياسية ضمّنها في كتابه "في سوسيولوجيا الأحزاب السياسية في الديمقراطية الحديثة". حسب هذه النظرية، ينتصر المنطق الاوليغارشي داخل المنظمات حيث تتمكن أقلية ضئيلة العدد من فرض أرائها وموافقها مؤمّنة ديمومة سيطرتها على مقاليد القيادة في المنظمات والأحزاب[352].

بهذا، يمكن تطبيق نظرية ميشالز على البنية الداخلية للجمعيات الثقافية أيضا، حيث نجد أن مجموعة من الفاعلين يحتكرون القرار لاسيما حينما تكون الفئة المهيمنة أعلى سنا وأكثر قدما بالجمعية، ما يخلق صراعا للأجيال داخل التنظيم الجمعوي. يحيل هذا الواقع على وضعية الديمقراطية الداخلية التي تظل هشة في التنظيمات الاجتماعية بالمجتمع المغربي بشكل عام، وفي التنظيمات الجمعوية والحزبية بشكل خاص، ومن مظاهر ذلك حضور مفهوم الديمقراطية على مستوى الخطاب أكثر من حضوره بشكل فعلي في ثقافة الفرد والجماعة أثناء الممارسة اليومية.

إن هذا الصراع بين النخب (بين التنظيمات الجمعوية في هذه الحالة) يظل في استمرارية دائمة نتيجة إعادة إنتاج النخب بشكل ممنهج أو بشكل تلقائي وأيضا نتيجة استمرارية التعارض بين المصالح والتقابل بين الإيديولوجيات. ومن مظاهر "التنخيب" الممنهج، الفعل الذي قامت به الدولة خلال سنوات السبعينات والثمانينات بتأسيس جمعيات جهوية لبناء أجيال جديدة من النخب، وينضاف إلى ذلك ما تقوم به الأحزاب السياسية

---

[351] MONTOUSSÉ. Marc et RENOUARD. Gilles, (2006), 100 fiches pour comprendre la sociologie, 1ère édition, Bréal, Paris, p. 127

[352] السعيداني. منير، (2007)، استحالات المثقف والثقافة والممارسة الثقافية، الطبعة الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ص. 136

لاستحداث نخب جديدة عبر الجمعيات التابعة لها (خاصة الجمعيات الثقافية، حيث يكون الحضور الإيديولوجي قويا).

تتم عملية إنتاج النخب من خلال مجموعة من الآليات، وكمثال على ذلك ما أوضحه ميشالز في دراسته السالفة الذكر حول عدم إقصاء الزعماء في المؤسسات السياسية حينما يصلون إلى سن متقدمة، إذ يتم دمجهم بالفاعلين الشباب لنقل الخبرة إليهم[353]. كما لاحظ موسكا ظاهرة معينة في دينامية النخب تتمثل غالبا في إفراز نمط "أرستقراطي" حينما يتم لا يتم تحول النخب إلا بعد فترة طويلة، في حين أن الفترة القصيرة غالبا ما تنتج النمط "الديمقراطي"[354].

تختلف النخب فيما بينها من حيث الفاعلية في التغيير الاجتماعي، إذ ميز كلود هنري سان سيمون Claude Henri de Saint Simon منذ القرن التاسع عشر بين النخب "المنتجة" والنخب "غير المنتجة"[355]، وذلك ما يلاحظ في الحقل الجمعوي حيث توجد جمعيات نشيطة تعمل على بلوغ درجة الاحترافية وتطويرها، وهناك جمعيات قليلة الفاعلية لا تنشط إلا نادرا أو بإيقاع مناسباتي.

5- التطوع، فعل شبابي متعدد الرهانات

تأتي قيمة التطوع في طليعة القيم التنظيمية التي تؤسس للفعل الجمعوي، بل يمكن القول إنها القيمة الأولى التي يستند عليها في تعريف "الجمعية" كتنظيم اجتماعي يفترض أنه لا يستهدف الغاية الربحية. وتكمن أهمية الدراسة السوسيولوجية لفعل التطوع عند الشباب في قدرته على فهم وتفسير مجموعة من الوظائف والرهانات المرتبطة بهذه الفئة الاجتماعية كأفراد وبالجمعيات كتنظيمات اجتماعية، يشكل التطوع إذن واحدة من أهم النقاط الوثيقة الصلة بجوهر إشكالية هذا البحث، ألا وهي منطق الفعل لدى فئة الشباب الجمعوي. لأجل

[353] Collectif, (1998), Précis de sociologie, 1ère édition, Editions Nathan, Paris, p. 100.
[354] COENEN-HUTER. Jacques, (2004), Sociologie des élites, 1ère édition, Armand Colin, Paris, p. 152.
[355] Idem, p. 69

ذلك، سأتطرق إلى عدد من النقاط بدءا بتعريف مفهوم التطوع، مرورا بدوافعه عند الشباب، ووصولا إلى عناصر أخرى.

حسب الموسوعة الدولية لعلم الاجتماع، يمكن تعريف مفهوم التطوع أنه فلسفة تشجع الأفراد على تقديم خدماتهم دون مقابل سعيا لأهداف خيرة. ويشير عاطف[356] غيث إلى أن هذا المصطلح يستخدم في العلوم الاجتماعية للإشارة إلى نظرية تؤكد أهمية الاختيار، القرار الهدف والمعايير في الفعل الاجتماعي، وهو بذلك يثير مسألة الإرادة الحرة كمرجعية أساسية تستند عليها نظريات الفعل الاجتماعي في فهم الظواهر الاجتماعية، وذلك في مقابل نظريات الحتمية التي ترتكز على هيمنة البنى الاجتماعية.

يتم التعبير عن مفهوم التطوع في اللغة الفرنسية بمصطلحين: "volontariat" و"bénévolat"، وغالبا ما يتم استعمالهما من باب الترادف لاسيما أنهما ينحدران في اللغة اللاتينية من نفس الفعل "volo"، الذي يعني "أراد". رغم ذلك، فهذين المصطلحين يحملان بعدين مختلفين من حيث الدلالة، فمعنى مصطلح "bénévole" غالبا ما يرتبط بالبعد الديني ويدل على فعل مجاني لا يُنتظر منه مقابل، وهو المعنى الذي يرادف عبارة "العمل الإحساني" في اللغة العربية الحاملة للبعد الديني أيضا. فيما يخص معنى مصطلح "volontaire"، فتشير منذ القرن السابع عشر الميلادي إلى الجندي أو الفارس الذي يؤدي الخدمة العسكرية دون تلقيه أجرا ودون أن يكون مجندا، وإنما فقط ليتعلم مهنة الحرب.

يظهر فرق آخر بين الدلالتين على مستوى إطار الفعل، فمعنى "bénévolat" يشير إلى فعل موجه لخدمة الغير بشكل عام وحر ودون أن يكون مؤطرا بإطار معين، أما معنى "volontariat" فيدل على الفعل الذي يفترض إطارا مُبنينا "un cadre structuré"، مثل الفعل الجماعي المنظم الذي يتم في إطار التنظيمات الجمعوية أو النقابية[357]. ورغم هذه الفروق في الخلفيات الدلالية، فكلا المعنيين يحيلان على نفس القيم.

---

[356] عبد الفتاح. عبد الله. خالد، (2006)، قيم العمل الأهلي في مصر، تقارير بحث: التراث والتغير الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، ص 21

[357] Périer. Florence, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 7.

يتميز فعل التطوع بكونه موجها نحو الذات ونحو الآخر، حاملا بذلك مجموعة من المعاني وناقلا لعدد من الرسائل، وتتدخل فيه مجموعة من الدوافع والمؤثرات، من بينها:

- **الدوافع السياسية:** تنطلق هذه الدوافع من خلال مستوى معين من الوعي السياسي القائم على الاعتقاد في عدد من القيم السياسية مثل قيمة الحرية، قيمة المواطنة الايجابية عبر المشاركة في الحياة العامة، قيمة الديمقراطية والمدنية. وفي هذا الاتجاه تبرز التنظيمات الجمعوية كأبرز الفضاءات العامة التي تسمح بتجسيد هذه القيم، بل إن الفعل الجمعوي أصبح يمثل قيمة في حد ذاته وسط القيم الجديدة الصاعدة في المجتمع الحديث[358]، وهو بذلك يدعم انتقال الفرد من وضع الرعية إلى وضع المواطن الفاعل في مجتمعه.

من خلال دراسة أجراها برنامج الأمم المتحدة للتنمية حول التطوع بالمغرب (نشرت سنة 2005)، أكد عدد من المتطوعين أن فعلهم الجمعوي يشكل امتدادا لفعلهم السياسي بالمؤسسات الحزبية أو النقابية[359]، لاسيما أن الجمعيات أصبحت من الآليات التي تشرعن وتروج للمشاريع السياسية[360]. وعلى العكس من ذلك، أعلنت فئة أخرى من المتطوعين أن انخراطهم في الفعل الجمعوي هو نتيجة لفقدان الثقة في الفاعل السياسي، وهو ما توصلت إليه أيضا الباحثة مارتين بارتليمي Martine Barthélémy فيما يتعلق بالمجتمع الفرنسي[361].

- **الدوافع الدينية:** تشكل القيم الدينية، في كثير من الحالات، إحدى أهم مرجعيات التطوع لدى الشباب في المغرب أو في باقي المجتمعات العربية أو الغربية. ويمكن أن تكون هذه القيم هي العامل الرئيسي في التطوع، كما أكدت ذلك دراسة مقارنة

---

[358] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، الطبعة الأولى، من التطوع إلى العمل المأجور، نشر للمؤلف، الرباط، ص 132

[359] Périer. Florence, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 20.

[360] العمراني. حسناء، (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، سلسلة دراسات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس. ص 113.

[361] بوخريص. فوزي، (2015)، ص 132

أجراها كل من موسى شتيوي (الأردن)، لبنى عبد المجيد (مصر) وعزت عبد الهادي (فلسطين) على عينة من المتطوعين بمصر والأردن[362].

يلاحظ في المجتمع المغربي أيضا أن قيم التطوع الدينية تمتزج إلى حد مهم بالقيم الاجتماعية، نظرا لمحورية الدين في المرجعية الثقافية لأغلب المجتمعات التقليدية. وقد شجع الانصهار بين هذين النمطين من القيم حركات الإسلام السياسي والجمعيات التابعة لها على توظيف البعد الديني لإنجاح مشاريعها السياسية. ويلاحظ هذا التداخل في المجتمعات الغربية أيضا، إذ أن المؤسسات الكنسية لازالت تستثمر في الجمعيات ذات التوجه الديني والتي تعمل على استقطاب المتطوعين المنحدرين غالبا من الأسر المحافظة[363].

هكذا، قد يشكل تطوع الشباب المعاصر امتداد للقيم الاجتماعية التضامنية وهو ما يلاحظ بشكل أقوى لدى التنظيمات الجمعوية المهتمة بالعمل الاجتماعي والتنموي في المجال القروي أو في الأحياء الحضرية المريفة[364]. إن حضور هذه القيم التقليدية الداعمة للفعل الجمعوي قد تبلور نتيجة تراكم تاريخي لفعل المؤسسات الدينية والاجتماعية، من بينها مؤسسة "اجماعة" القبلية، المؤسسات الوقفية، الزوايا الصوفية، الممارسات التضامنية كالتويزة، إلى جانب الممارسات التضامنية التي ظهرت عند الأقليات الدينية أو العرقية[365].

- **دوافع المصلحة الذاتية:** تمارس المصلحة الفردية أيضا دورا كبيرا في توجيه دوافع التطوع نحو هذا النمط من الفعل الجمعوي أو ذاك، بل قد تكون المصلحة الذاتية هي المحدد الأكبر، وذلك ما أظهرته دراسة حول فئة من الطلبة المتطوعين نشرها

---

[362] شتيوي. موسى، عبد المجيد. لبنى وعبد الهادي. عزت، (2000)، التطوع والمتطوعون في العالم العربي، دراسات حالة، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة، ص. 80

[363] BARTHELEMY. Martine, (2004), « Itinéraires militants et univers symboliques dans les associations de filiation catholique et laïque », (107- 124), in: Les bénévoles et leurs associations, autres réalités, autre sociologie, sous la direction de BESCHMANN. Dan Ferrand, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p.112.

[364] Périer. Florence, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 13

[365] شتيوي. موسى، عبد المجيد. لبنى وعبد الهادي. عزت، (2000)، التطوع والمتطوعون في العالم العربي، دراسات حالة، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة، ص. 37

توماس فيتش Thomas. R. Fitch سنة 1987 بالمجلة الأمريكية Journal of College Student Personnel[366].

يتأثر فعل التطوع بشكل كبير بدافع المصلحة الذاتية، وقد دفعت أهمية هذا العامل عددا من السوسيولوجيين (لاسيما في منتصف الثمانينات بفرنسا، مثل لوك بولطانسكي Luc Boltanski، ريمون بودون Raymond Boudon، بيير بورديو ولوران تيفنو Laurent Thévenot، وغيرهم) إلى مقاربة الظواهر الاجتماعية من منظور المصلحة انطلاقا من سيوسيولوجيا الفعل عند ماكس فيبر، وبذلك تطور ما يسمى باتجاه السوسيولوجيا البراغماتية la sociologie pragmatique، المتشبع بإسهامات كل من الاثنوميتودولوجيا، المدرسة التفاعلية، الفلسفة البراغماتية الأمريكية[367].

غالبا ما يتخذ مفهوم المصلحة معنى قدحيا في الحس المشترك، لكن ترى شرائح من المجتمع أنه ليس من العيب أن يسعى الفرد إلى تحقيق مصلحة ذاتية أو سياسية، لكن المهم ألا يكون ذلك على حساب الغير أو على حساب "المصلحة العامة". هكذا، نجد في التطوع الجمعوي عند الشباب مجموعة من الرهانات، منها ما هو "مشروع" بالنسبة للمجتمع ومنها ما دون ذلك.

ومعنى ذلك، كما يقول السوسيولوجي فوزي بوخريص، أن عالم التنظيمات الجمعوية ليس عالما للمثل العليا فقط أو عالما فاضلا تحركه القيم الاجتماعية، فالعديد من المنظمات غير الحكومية هي في واقع الأمر "منظمات جد حكومية" « des organisations très gouvernementales كما يمكن لهذه التنظيمات أن تتحول

[366] TEMPLIER. Cendrine, (2016), « Comment garder le sens de l'action bénévole face à la professionnalisation des ong, Etude de cas Surfrider Foundation Europe », thèse de doctorat en sciences de gestion, Université de Pau et des Pays de l'Adour, Pau (Pyrénées-Atlantiques), France, p. 52.

[367] Collectif, "Sociologie pragmatique: mode d'emploi", (2013), (175-204), in: revue Politix, De Boeck Supérieur, N° 103, 2013/3, Louvain-la-Neuve, Belgique, p.176.

إلى وسيلة مفضلة للقيام بأعمال غير مشروعة مثل: التهرب الضريبي، اختلاس الأموال أو ممارسة الوصاية السياسية أو الزبونية[368].

- **الدوافع النفسية والاجتماعية:** لا يقل دور الدوافع النفسية والاجتماعية في التطوع عن دور باقي المؤثرات، لاسيما أن المجتمع المغربي (وفئة الشباب بوجه خاص) أصبح يعيش مستويات مرتفعة من التوتر تتجاوز المستوى النفسي لتتسبب في أمراض عضوية.

بالإضافة إلى ذلك، يلاحظ أن نمط العيش بالمدن المغربية الكبرى أصبح يتجه بشكل متزايد نحو الفردانية الاجتماعية. ولئن كان لهذه الأخيرة عددا من النتائج الإيجابية مثل تشجيع استقلالية الشباب وتوسيع هامش الحرية، فإن لهذه الفردانية انعكاسات سلبية أيضا، تتمثل أهمها في عزلة الشباب تحت تأثير صراع الأجيال؛ وجود صعوبات عند بعض الشباب في إقامة علاقات وطيدة للصداقة كشكل آخر من أشكال العزلة الاجتماعية؛ ظهور أزمة ثقة لدى الشباب بين الذكور والإناث على مستوى العلاقات الجنسانية.

إن هذا الوضع، يدفع الأفراد للبحث عن متنفسات في إطار التنظيمات الاجتماعية المؤطرة أو غير المؤطرة، ومن بينها الجمعيات الثقافية على وجه الخصوص نظرا لاحتواء عدد كبير من أنشطتها على البعد الترفيهي، بالإضافة إلى كونها فضاءات لإقامة علاقات اجتماعية جديدة بمختلف أنماطها.

يبرز البحث عن معنى للوجود وعن قيمة للحياة كأحد الرهانات التي يسعى إليها الشباب عبر هذا خيار العمل الجمعوي، وبخاصة الشباب في وضعية الهشاشة الاجتماعية كالبطالة إذ يجدون في التطوع طوقا للنجاة يساعدهم على بناء أو ترميم الثقة بالنفس مع كسب الاعتراف أمام ذواتهم وأمام محيطهم الاجتماعي[369]. يتم الإقبال ايضا على العمل الجمعوي من طرف الأفراد الذين يعيشون مشاكل مهنية، وهو ما أوردته دراسة أجرتها ايزابيل حنيفي Hanifi Isabelle حول جمعية للعمل الخيري

[368] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 134

[369] Périer. Florence, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 20.

بأمريكا سنة 2006[370]. وحتى لا يرى في التطوع الجمعوي رد فعل يقوم به ذووا الصعوبات الاجتماعية فقط، ينبغي القول إن هذا النشاط الاجتماعي يقصده أيضا أفراد ممن يعيشون نجاحا اجتماعيا ويرغبون في تجويد نوعية حياتهم بشكل أكبر.

[370] DUBOST. Nathalie, (2007), « Motivations des bénévoles : une revue de la littérature », Cahiers de Recherche, Laboratoire Orléanais de gestion, N° 2007-01, Orléans, p. 6.

المبحث الثالث: خصائص فئة

الشباب الجمعوي

1- خصائص النوع الاجتماعي

يشترك المجتمع المغربي مع باقي المجتمعات العربية في كون التطوع الجمعوي لازال يتصف بنزعته الذكورية، لاسيما في الأوساط الثقافية المحافظة (مع وجود استثناء يتعلق بالجمعيات النسائية)[371]. لهذا، أكد الإعلان العالمي حول التطوع على حق المرأة في الانخراط بحرية في الحركة التطوعية، مهما كانت ثقافة الإنسان، أصله الإثني، دينه، سنه، جنسه أو وضعه الاجتماعي والاقتصادي[372].

2- خصائص الفئات العمرية

يلاحظ من ناحية السن أن الفئات العمرية التي تتراوح بين 30 و40 سنة هي الأكثر حضورا[373]، ويرتفع سن المتطوعين بالتناسب مع احتلال مواقع المسؤولية داخل مكاتب الجمعيات، فقد أبرز تشخيص نشره برنامج الأمم المتحدة للتنمية (فرع المغرب) حول الجمعيات البيئية والتنموية بالمغرب أن موقع الرئاسة في 52% من الجمعيات المشخصة يحتله أعضاء تتجاوز أعمارهم 45 سنة[374]، وهو ما يطرح تساؤلات حول ولوج الشباب لمواقع صنع القرار داخل هذه التنظيمات الاجتماعية، وبالتالي حول إعادة التجديد المؤسساتي لهذه الجمعيات ونقل التجارب والخبرات إلى الأجيال الشابة الصاعدة داخلها. إن هذا الوضع لا يلاحظ فقط داخل الجمعيات بل أيضا داخل تنظيمات اجتماعية أخرى مثل الأحزاب السياسية والتنظيمات النقابية، وهو ما يطرح تساؤلا آخر يتعلق حول جدية الخطاب المؤسساتي في دعم فئة الشباب بشكل فعلي وحول ما إذا كان هذا الخطاب المؤسساتي يستغل موضوع الشباب فقط كاديولوجيا تسوّق إعلاميا لتحقيق مكاسب سياسية.

يستشف أيضا من نفس الدراسة ضعف نشاط فئة المتقاعدين في الحقل الجمعوي، وهو ما يشكل هدرا للموارد البشرية على اعتبار أن هذه الفئة يفترض توفرها على رصيد هام من

---

[371] العمراني. حسناء، (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، سلسلة دراسات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس. ص 110

[372] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط، ص 122.

[373] العمراني. حسناء، (2016)، ص 111.

[374] Périer. Florence, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 17

المعرفة، من التجربة المهنية ومن "النضج الاجتماعي". بالإضافة إلى ذلك، تستفيد هذه الفئة من وفرة الوقت كرأسمال ثمين يمكن أن يكون في خدمة التنظيمات الجمعوية، بخلاف الزمن الاجتماعي المضغوط لدى الفئات الشابة النشيطة. يمكن إرجاع هذا الهدر إلى عوامل ثقافية، إذ تعتبر الثقافة الجمعية بالمجتمعات العربية أن فترة ما بعد التقاعد هي نهاية مرحلة العطاء الاجتماعي، وأنها تقترن بالموت كنهاية للحياة البيولوجية ككل، وبالتالي فإن الفضاء الأنسب للممارسات اليومية للمتقاعد هو المسجد أو المقهى أو فضاءات المسنين فوق الأرصفة.

من بين جوانب الثقافة الشعبية التي تعكس هذه الرؤية التشاؤمية عند عدد كبير من المتقاعدين المثل الشعبي القائل "ناكلوا القوت ونتسناو الموت". وفي هذا الصدد، ينبغي الإشارة أن "سوسيولوجيا المتقاعدين" أو "سوسيولوجيا المسنين" لم تنل بعد قدرها الكافي من الاهتمام، رغم أنها كفيلة بالكشف عن الكثير من جوانب المجتمع والثقافة بالمغرب.

تختلف هذه الثقافة بشكل كبير في المجتمعات الغربية إذ يلاحظ أن فترة التقاعد المهني تشكل مرحلة انطلاق للقيام بنشاطات اجتماعية أخرى، لا تقترن فقط بمنطق فعل الواجب الاجتماعي، بل بالرغبة في الترفيه الثقافي أيضا، وهو ما يفسر أن اغلب أفواج السياح الغربيين الوافدين إلى المغرب يتكونون من فئة المتقاعدين.

وقد بينت دراسة برنامج الأمم المتحدة أن معدل المتطوعين المتقاعدين في العينة المدروسة في المغرب يبلغ نسبة 10% فقط، وتحيل الدراسة على البحث الميداني التي قامت Bénédicte Halba الذي ورد فيه أن 17% من الفرنسيين الذين يفوق سنهم 65 سنة يمارسون التطوع الجمعوي، وترتفع هذه النسبة لتصل إلى 40% في المملكة المتحدة عند الفئة العمرية 55-64 سنة، و46% عند الأشخاص الذين يتجاوزون 75 سنة بالولايات المتحدة الأمريكية.

3- خصائص الرأسمال الاجتماعي

يلاحظ أن المتطوعين الذين يخصصون حيزا مهما من وقتهم للفعل الجمعوي يتمتعون بمستوى تعليمي عال[375]، ويرتبط هذا المستوى بموقع الفاعل التنظيم الداخلي وبطبيعة نشاط الجمعية في حد ذاته[376]. وقد تأكد نفس المعطى في الدراسة التي قام بها كل من موسى شتيوي، لبنى عبد المجيد وعزت عبد الهادي بكل من مصر والأردن وفلسطين[377]، ويدل ذلك على دور التعليم وجودته في إكساب الفرد وعيا بأهمية الفعل الجمعوي وبأهمية المشاركة في تدبير الشأن العام.

بالمقابل، ليس الفعل الجمعوي هو من يستفيد أيضا من نتائج جودة التعليم، بل يلاحظ أيضا أن النشاط الجمعوي يكسب الطلاب مهارات ناعمة soft skills تنعكس إيجابا على تطوير شخصياتهم، ويتمظهر ذلك في الأنشطة الدراسية التي تتطلب مواجهة الجمهور مثل إلقاء العروض أمام الزملاء أو في خضم الفعل التواصلي والتفاوضي (مع هيئة التدريس، مع الزملاء، أو خارج الحياة المدرسية).

4- خصائص الوضعية المهنية

تبرز الوضعية المهنية كأحد المتغيرات المؤثرة في خصائص الفاعلين الجمعويين، ويُظهر بحث البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة أن أغلب الحاضرين في العينة هم من فئة الشباب العاطلين، يليهم رجال التعليم ثم باقي الموظفين. تتوقع هذه الدراسة أن ترتفع نسبة العاطلين المنخرطين بالجمعيات نظرا لتزايد ظاهرة البطالة بالمغرب، وتضيف أيضا أن تزايد تخصص التنظيمات الجمعوية (مثل جمعيات القروض الصغرى، أو التي تعمل في

---

[375] العمراني. حسناء، (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، سلسلة دراسات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس. ص 111

[376] Périer. Florence, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 17

[377] شتيوي. موسى، عبد المجيد. لبنى وعبد الهادي. عزت، (2000)، التطوع والمتطوعون في العالم العربي، دراسات حالة، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة، ص. 64

قطاع تكنولوجيا الاتصال والمعلوميات، أو في مجال الصحة) من شأنه أن يرفع من حجم إسهام العاملين بالقطاع الخاص بشكل أكبر[378].

5- خصائص المستوى الاجتماعي

لاشك أن المستوى الاجتماعي يؤثر بشكل فعال في الانخراط الجمعوي للشباب وفي ممارساتهم الثقافية، وهو ما أكدته الكثير من النظريات السوسيولوجية، خاصة نظرية بورديو التي اهتم كثيرا بهذا المتغير وربطت الممارسة الثقافية بالهابيتوس. ويلاحظ أن الشباب المنحدرين من المستويات الاجتماعية المتوسطة هم أكثر حضورا ونشاطا، يظهر ذلك بشكل جلي في المجتمع المغربي وفي المجتمعات العربية (حسب الدراسة التي قادها موسى شتيوي)[379]، كما يتجلى ذلك أيضا في المجتمع الفرنسي[380].

لا تقتصر أهمية انخراط الطبقة المتوسطة على حيوية الحياة الجمعوية فقط، بل تعد محركا رئيسيا لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية (مثل القدرة الاستهلاكية، المشاركة في العمليات الانتخابية، الخ)، وهو ما أكد عليه عالم الاجتماع الأمريكي سيمور مارتن ليبست Seymour Martin Lipset حينما ربط بين تطور الوضعية السوسيواقتصادية للطبقات الوسطى وتطور الأنظمة الديمقراطية، فكلما اتسعت الطبقة الوسطى وكانت أكثر فاعلية كان ذلك انفع للديمقراطية[381].

من جهة أخرى، يبدو أن الطبقات الوسطى تتعرض للتآكل l'émiettement والتفقير paupérisation في عدد كبير من المجتمعات بفعل ظاهرة العولمة التي تزيد من ثروات

---

[378] Périer. Florence, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 18.

[379] شتيوي. موسى، عبد المجيد. لبنى وعبد الهادي. عزت، (2000)، التطوع والمتطوعون في العالم العربي، دراسات حالة، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة. ص. 65

[380] RICHEZ. Jean-Claude, (2011), "Services civiques et volontariat des jeunes en Europe, une attente des jeunes, des logiques différentes", Bulletin d'études et de synthèses de l'observatoire de la jeunesse Institut national de la jeunesse et de l'éducation populaire (INJEP), Numéro 6, Paris, p. 3.

[381] THIEBAULT. Jean-Louis, (2008), "Lipset et les conditions de la démocratie", (389-409), in : revue internationale de politique comparée, 2008/3 Vol. 1, De Boeck Supérieur, Louvain-la-Neuve, Belgique, p. 397.

الطبقات العليا على حساب الطبقات الأدنى، وهو يدق ناقوس الخطر لتحقيق العدالة الاجتماعية من أجل الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي[382].

6- خصائص مستوى الاندماج الجمعوي

إن مستوى الانخراط في الفعل الجمعوي من شأنه أن يعبر أيضا عن ثقافة الجمعويين وخصائصهم، ومن المعايير التي تؤشر على ذلك هو الحيز الزمني الذي يخصصه الفاعل للمشاركة في أنشطة التنظيم الجمعوي وكذا عدد السنوات التي قضاها في إطار هذا الانتماء. ويمكن التمييز في الفاعلين الجمعويين بين فئة الملتزمين وفئة المستهلكين.

تتميز الفئة الأولى باندماج أكبر في التنظيم، من خلال تخصيص وقت أكبر للحضور الجمعوي والتطوع الفعال في بناء وإنجاز الأنشطة، سواء بشغل منصب داخل المكتب المسير أو خارجه. من خلال ذلك، تعبر هذه الفئة على تصنيف العمل الجمعوي ضمن أولويات حياتها الاجتماعية. في حين، تتصف فئة المنخرطين المستهلكين بمساهمة أضعف وحضور مناسباتي لأنشطة الجمعوية بهدف الاستفادة منها دون المشاركة مسبقا في إنجازها.

7- خصائص الشباب الجمعوي الأوربي حسب دراسة برنامج جونز هوبكينز

إن دراسة خصائص المنخرطين الجمعويين تفضي إلى انتمائهم إلى أنماط متنوعة، تختلف حسب المنظور التي تمت به مقاربة هذه الخصائص، من حيث الثقافة المجتمعية، المستويات الاجتماعية، مقاربة النوع، الرأسمال الثقافي، الخ، وهو ما أشرت إليه سابقا بشكل عام أو في سياق المجتمعات العربية، ومنها المغرب. فيما يلي، سأتطرق للسياق الغربي من خلال دراسة برنامج جونز هوبكينز العالمي.

سعت مجموعة الأبحاث المنضوية في إطار برنامج جونز هوبكينزJohns Hopkins للمقارنة العالمية بين نماذج القطاع غير الربحي[383]، حيث أظهرت هذه الأبحاث التي همت

[382] DAMON. Julien, (2012), « Les classes moyennes : définitions et situations", (605-616), in : Études, revue de culture contemporaine, Société d'Edition de Revues (SER), 2012/5 (Tome 416), Paris, p. 616.

المجتمعات الأوربية عن وجود أربع نماذج مثال idéaux types من أنماط الجمعيات والمنخرطين، كل نموذج منها يرتبط بمنطقة ثقافية معينة aire géographique. وتلخص إديث ارشامبولد Edith Archambault هذه الأنماط كالتالي[384]:

نمط رينان Rhénan

نمط رينان هو نمط كوربوراتي (تعاضدي) ينتشر في المجتمعات ذات التقاليد الجرمانية (مثل ألمانيا، النمسا، بلجيكا، هولندا)، وتتسم فيه أغلب التنظيمات الجمعوية بالاحترافية، بحضور وازن وبدعم الدولة. يتميز التطوع الجمعوي في هذه المجتمعات بمعدل ضعيف أو متوسط (باستثناء المجتمع الهولندي) وتتميز أغلب الأنشطة بطابعها الثقافي والترفيهي، وذلك في مقابل الحضور القوي للأجراء في جمعيات الخدمة الاجتماعية.

النمط الأنجلوساكسوني (الليبرالي)

يشمل النمط الأنجلوساكسوني المجتمعات البريطانية (انجلترا، ايرلندا، اسكتلندا) ويرتكز على خاصية التطوع المؤسسة تاريخيا على التقاليد الفردانية والمذهب الطهراني. باستثناء المجتمع الايرلندي، يتميز هذا النموذج بالأعداد الكبيرة للمتطوعين (وهو نفس الارتفاع الذي يسجل بالمجتمع الأمريكي، ذي الأصل الثقافي البريطاني)، وذلك بفضل توفره على ثقافة جمعوية قوية، مثمنة اجتماعيا ومدمجة في النظام التعليمي منذ المراحل المبكرة من حياة الفرد. لا تتجه أغلب الأنشطة الجمعوية في هذا النموذج إلى الفعل الثقافي، بل إلى العمل الاجتماعي والتنموي، خاصة لدى الأقليات الإثنية التي تسعى إلى الحفاظ على وحدتها وتوفير الرعاية لأعضائها.

---

[383] برنامج جونز هوبكينز هو برنامج بحث تم اطلاقه سنة 1990 بمبادرة من ليستر سلمون Lester Salamon وهيلموت انهاير Helmut Anheier، الباحثين بجامعة جونز هوبكينز بمدينة بالتيمورBaltimore الأمريكية. وقد انقسم هذا البرنامج الى مرحلتين : تميزت المرحلة الأولى بمقاربة كمية وشملت 13 دولة، بينما تميزت المرحلة الثانية بمقاربة كيفية وهمت 28 دولة.

[384] ARCHAMBAULT. Edith, (2002), "Le travail bénévole en France et en Europe", (13-39), in : Revue française des affaires sociales, La Documentation française, 56 (4), Paris, p. 18.

النمط الاسكندنافي (السوسيوديمقراطي)

رغم عراقة الفعل الجمعوي بالمجتمعات الاسكندينافية إلا أن أغلب تنظيماتها الجمعوية حديثة العهد، وهي لا تتكتل وفق المرجعيات الإديولوجية بل وفق ميادين الاشتغال. تتصف هذه التنظيمات بضعف الحضور نظرا لكفاءة الدولة الرعاية في توفير أغلب الحاجيات. لأجل ذلك، فمعظم الجمعيات تهدف إلى خدمة أعضائها بدل السعي إلى خدمة الفئات العريضة من المجتمع. يتميز هذا النموذج الجمعوي أيضا بقلة الأجراء الجمعويين مقارنة بفئة المتطوعين، وتركز هذه الأخيرة على القضايا الحقوقية سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الكوني.

النمط المتوسطي

يهم النمط المتوسطي المجتمعات المتوسطية مثل اسبانيا، ايطاليا حيث الحقل الجمعوي ضعيف مقارنة مع النماذج السابقة نظرا للعوامل التاريخية المتمثلة في هيمنة الكنيسة والديكتاتوريات (الفاشية والفرانكوية على سبيل المثال)، وهو ما ينعكس على التيارات الجمعوية المتصارعة فيما بينها: الجمعيات ذات التوجهات الدينية من جهة، في مقابل الجمعيات، التنظيمات المهنية والنقابية المرتبطة بالحركات العمالية ذات التقاليد اليسارية من جهة أخرى. تفضي نفس المقاربة مع الأنماط السابقة بحضور أضعف للتطوع الجمعوي، الذي يتجه أغلبه نحو العمل الاجتماعي أكثر منه إلى الفعل الثقافي.

بخصوص الحالة الفرنسية، تضيف أرشامبولد أنها اقرب إلى النمط الاسكندنافي أو الانجلوساكسوني لكنها تبدو أقل تنظيما، وتتميز بفعل تطوعي يغلب عليه التوجه العلماني مقارنة مع الدول الأوربية الأخرى التي لم تعرف القطيعة التاريخية التي أحدثتها الثورة الفرنسية. بالإضافة إلى ذلك، فالحياة الجمعوية في فرنسا حديثة العهد وأقل قوة مقارنة مع دول الشمال الأوربي التي عرفت مناخ الحرية قبل فرنسا بكثير.

مهما تكن المتغيرات، فإن الحياة الجمعوية الأوربية تتميز عن مثيلتها الأمريكية بقوة الطابع الجماعي، بإعطاء أهمية للفعل الثقافي وباقي أنشطة التعبير والمطالب. في حين أن

النموذج الجمعوي الأمريكي يطغى عليه الجانب التدبيري ويتحمل الكثير من الاختصاصات التي تقوم بها الدولة في أوربا.

القسم الميداني

الفصل الأول:

الشباب، من ولوج الحقل الجمعوي

إلى الرهانات الذاتية

المبحث الأول: تأثير مسار الحياة

في ولوج العمل الجمعوي

يعد الولوج إلى الفضاء الجمعوي لحظة مؤثرة في مسار وثقافة الشباب الجمعوي، فمن شأن الظروف التي تطبع هذا الولوج أن تشكل لحظة فارقة تدفع باتجاه الاندماج الفعال والدائم في الحياة الجمعوية، أو على العكس باتجاه النفور من هذا الفعل الاجتماعي. تبرز أهمية دراسة هذا الحدث في الكشف عن الآليات التي تؤثر بها مجموعة من العوامل والفاعلين في عملية الانخراط الجمعوي. لتعميق البحث أكثر حول هذا الموضوع، استعنتُ في الدراسة الكيفية لعينة الشباب الفاعل بخمس مؤشرات، هي: سن الولوج؛ دوافع الولوج؛ الفاعل المحفز للولوج؛ استمرارية أو تقطع المسار الجمعوي، وأخيرا تنويع أو عدم تنويع هذا المسار.

1- سن الولوج

من حيث سن الولوج، أسفر تحليل المعطيات الكيفية على أن 19 فردا من أصل 22 من عينة الشباب الفاعل قد التحقوا بالجمعيات الثقافية في سن مبكرة تمتد من 6 سنوات إلى 17 سنة، وهي الفترة التي تضم كلا من مرحلة الطفولة (ممثلة ب 11 شابا) ومرحلة المراهقة (التي همت 8 شباب).

يبيّن هذا المعطى كيف أن الممارسات الجمعوية خلال المراحل الأولى من حياة أفراد العينة كانت بمثابة طقسنة ritualisation و"روتنة" (خلق لعادات روتينية) routinisation أسفرتا عن تنشئة ثقافية أمّنت استمرارية العمل الجمعوي الثقافي إلى حين بلوغ مرحلة الشباب، ويعد هذا البعد التنشئوي والمعرفي الذي يمنح الأفراد إمكانية التعلم والتنشئة الثقافية من أهم خصائص التنظيمات الاجتماعية[385]؛ وقد استمر هذا الارتباط بالعمل الجمعوي لدى أفراد آخرين (قابلتُهم ضمن عينة المسيرين الجمعويين) إلى حين بلوغهم سنا متقدمة.

385 امعمري. لحبيب، (2010)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الأول، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، ص. 171.

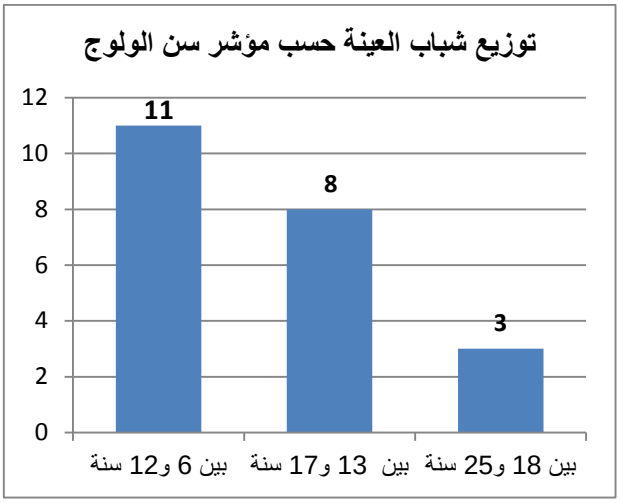

يبيّن هذا المعطى أهمية الانخراط الجمعوي في تكملة التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها مؤسسة الأسرة، لاسيما أن الكثير من الدراسات تشير إلى ضعف اهتمام بعض الأسر بعدد من الممارسات الثقافية الضرورية لتكوين شخصية الطفل، وهو ما جاء في دراسة "المؤشرات الاجتماعية بالمغرب لسنة 2018" «Les Indicateurs sociaux du Maroc 2018 » التي قامت بها المندوبية السامية للتخطيط، حيث أظهرت أن الأطفال يمضون 43.6% من وقتهم الحر في مشاهدة التلفاز، (أي بمعدل 3 ساعات في اليوم)، في حين لا يخصصون إلا معدل دقيقتين في اليوم للرياضة ودقيقة واحدة في اليوم للقراءة[386].

2- دوافع الولوج

اختلفت الدوافع القبلية لولوج العمل الجمعوي بين أفراد العينة حسب الفئات العمرية؛ وكما أشرت، فهذه الدوافع تتميز بطابع الدينامية إذ لا تظل دائما هي نفسها كما كانت في بداية المسار، بل غالبا ما تتولد عنها رهانات بعدية سأتطرق إليها لاحقا (رهانات ذاتية، رهانات مجتمعية)، غير أن القاسم المشترك بين جميع هذه الرهانات الجديدة هو توسّل شباب العينة الفعل الثقافي من أجل تحقيقها. هكذا، يمكن التمييز عند لحظة الولوج الجمعوي، بين دافعين أساسيين:

386 Haut Commissariat au Plan, (2018), Les Indicateurs sociaux du Maroc, Edition 2018, édité par le Haut Commissariat au Plan, Rabat, p. 80.

1-2 دافع الممارسة الثقافية

تجسد هذا العامل عند أغلب شباب العينة حيث انخرطوا في العمل الجمعوي منذ الصغر بدافع الاستفادة من الأنشطة الثقافية الموجهة للأطفال. هكذا، تؤدي التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الجمعيات الثقافية إلى تحول الممارسات الثقافية من حالة الممارسات الاستهلاكية النفعية إلى حالة الانخراط الفاعل والملتزم بقيم وأهداف معينة لخدمة المصلحة الجماعية. بعبارة أخرى، يتعلق الأمر بالانتقال من مفهوم الممارسة الثقافية إلى مفهوم الفعل الثقافي الهادف للتأثير في الوجود الاجتماعي، وهو التمييز المفاهيمي الذي تناولتُه سابقا في الفصل النظري.

في هذا الصدد يقول سمير[387]: " كان عمري 12 سنة عندما اكتشفت لأول مرة العمل الجمعوي في إطار مرحلة تخييمية، حيث طُلب مني قراءة قصيدة زجلية للناظم "عبد الرحمان المجذوب"، فأُعجب المؤطر والحضور بإلقائي، ثم تطورت مسيرتي الثقافية بعد ذلك وحصلتُ على عدة جوائز". يضيف رضى[388]: "كان لديّ 16 سنة حينما استفدتُ لأول مرة من المخيمات الصيفية التي تنظمها الشركة التي كان يعمل بها والدي، ثم حصلتُ في سن 17 سنة على رتبة مساعد مؤطر في عملية التخييم. منذ ذلك الحين، أصبحتُ أتعرّف على دُور الشباب وعلى العمل الجمعوي وأكتشف بالموازاة مع ذلك قدراتي في المجال الثقافي. انخرطتُ لأول مرة في جمعية بيئية كان يترأسها صديق لي، كنا ننشط في الحي من خلال حملات لحماية البيئة ونقوم فيها بإشراك الشباب، فيتحولون بذلك من المساهمة البسيطة إلى الفاعلية المؤثرة، كما كنا ننظم أنشطة ثقافية ومحاضرات تركز على موضوع البيئة".

في هذا الصدد، ينبغي التنويه إلى أن الفعل التخييمي (المنظم من طرف الجمعيات التربوية أو الجمعيات الثقافية التي تُدرج أنشطة التخييم ضمن مشاريعها) له دور كبير في التنشئة الجمعوية التي تستمر إلى ما بعد سن الطفولة أو المراهقة، كما يساهم هذا الفعل التخييمي في تطور هذه التربية الجمعوية إلى رهانات أخرى مع تطور مسار الحياة. وتجدر

[387] سمير هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 30 سنة، حاصل على الإجازة، يعمل إعلاميا في القطاع الخاص. يكتب الشعر الفصيح والزجل، له قصائد سياسية وكتابات مسرحية، كما يؤدي أدوارا سينمائية.

[388] رضى هو شاب من مدينة الرباط، يبلغ من العمر 35 سنة، يحضر دبلوم الماستر بعد حصوله على الإجازة في علم الاجتماع. يكتب الزجل، يشغل منصبين بجمعيتين مختلفتين: منصب كاتب عام ومنصب أمين عام.

الإشارة إلى أنه بعد كل من أحداث 16 ماي 2003 وأحداث 10 أبريل 2007 بالدار البيضاء، عززت الدولة من اهتمامها ببرامج التخييم نظرا لدورها في التأطير الثقافي للشباب وفي تحفيزهم على ولوج المجتمع المدني، وبالتالي اكتساب الثقافة المدنية عوض التشبّع بالإيديولوجيات السياسية التي ينتجها "المثقف الإرهابي" كما يسميه السوسيولوجي أحمد شراك في كتابه "الثقافة وجواراتها"[389].

إن هذا الاهتمام بدور التنمية الثقافية في تجنيب الشباب من الوقوع في منزلقات التطرف الفكري أصبح وليد الوعي أن ظروف الفقر ليست هي العامل الوحيد الذي ينتج الغلو، بل إن أبرز العوامل الأخرى تتجلى في العامل الإديولوجي الذي يدفع شبابا إلى وضع حد لحياتهم في سبيل ما يعتبرونه "مثاليات" تشبعوا بها نتيجة جهل بالدين واستجابة لجاذبية خطاب تصنعه تنظيمات معينة[390]، ظاهرها ديني وباطنها سياسي. وقد نشطت هذه التنظيمات بشكل كبير بعد أحداث ما سمي بالربيع العربي واستطاعت استقطاب شباب من مختلف الدول العربية وحتى الغربية للقيام بعمليات دموية، ولوحظ أيضا أن عددا منهم لا ينتمي إلى الطبقات الفقيرة فقط، بل أيضا من مستويات اجتماعية متوسطة أو ميسورة بالإضافة إلى مستويات تعليمية مرتفعة[391].

في هذا الاتجاه، لا يفوت فاطمة المرنيسي التذكير أن الأساس الثقافي الذي تقوم عليه الثقافة التقليدية في المجتمعات المسلمة هو قيمة التسامح والتعايش المشترك le vivre ensemble، وهو ما أبرزته من خلال استحضار نموذج رحلة ابن بطوطة في القرن الرابع عشر، حيث غادر هذا الأخير مدينة طنجة عن عمر يناهز 21 سنة من أجل القيام بما يسعى

389 شراك. أحمد، (2008)، الثقافة وجواراتها، منشورات مقاربات، آسفي، ص. 69.

390 MERNISSI. Fatema, (2008), « A quoi rêvent les jeunes ? Le choc des Kamikazes de Casablanca», (5-16), in: A quoi rêvent les jeunes ?, sous la direction de Fatema MERNISSI, Marsam, Rabat, p. 10.

391 ورداني. يوسف، (2016)، سياسات إدماج الشباب في الوطن العربي، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص. 99.

إليه الشباب الحالي (السفر لاكتشاف ثقافات ومجتمعات أخرى)، وقد تحدث في كتابه عن ثقافة السلم الذي طبعت مختلف المجتمعات المسلمة في تلك الفترة[392].

2-2 دافع خدمة المسار المهني

تجسد هذا العامل عند عدد محدود من الأفراد الذين لم يلجوا هذا الحقل إلا في سن الشباب، وقد قاموا بذلك خصيصا من أجل خدمة مسارهم المهني لوجودهم في وضعية بطالة أو في وضعية مهنية هشة. تقول هدى: "درستُ المسرح لمدة أربع سنوات في القسم النموذجي للتكوين المسرحي بحي "ديور الجامع" بالرباط. لم تكن لدي فكرة حول العمل الجمعوي، لكن زملائي نصحوني بتأسيس جمعية كي تكون إطارا قانونيا لعملي المسرحي. فبدأتُ مساري بتأطير ورشات في المسرح لمدة 5 سنوات بإحدى الجمعيات، ثم أسستُ بعد ذلك جمعية أخرى أترأسها في الفترة الراهنة"

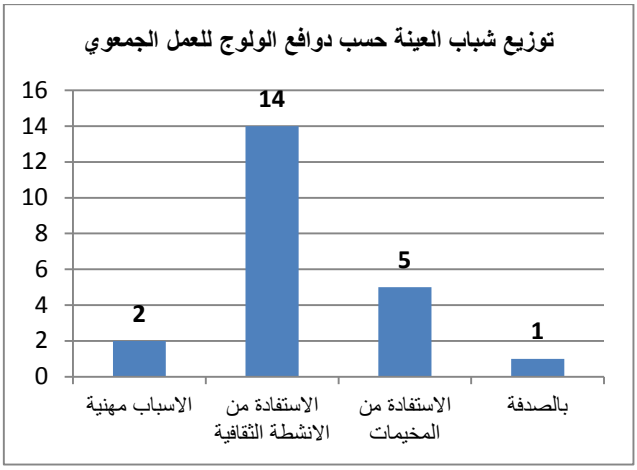

أصبح مشكل البطالة يُطرح على مستوى وضعية الشباب بشكل خاص وعلى مستوى إشكاليات التنمية بالمغرب بشكل عام. يتحدث الاقتصادي المغربي إدريس الكراوي عن هذه الإشكالية المجتمعية بالقول إنه لا يمكنها إلا أن تكون في طليعة المواضيع التي يتناولها النقاش السياسي اليوم، وذلك لثلاثة أسباب على الأقل:

392 MERNISSI. Fatema, (2008), « A quoi rêvent les jeunes ? Le choc des Kamikazes de Casablanca», (5-16), in: A quoi rêvent les jeunes ?, sous la direction de Fatema MERNISSI, Marsam, Rabat, p. 8.

- ❖ يفرز تفاقم هذه الظاهرة، أكثر من أي مؤشر اقتصادي آخر، آثارا وخيمة بالنسبة إلى التوازنات الاقتصادية والسياسية، لاسيما حين تمس البطالة الفئات التي تحمل أعلى الشهادات في المجتمع؛
- ❖ تُسهم البطالة في توسيع دوائر الفقر والتهميش والإقصاء والهشاشة وتصبح عاملا خطيرا من عوامل زعزعة الاستقرار السياسي وتهديد السلم الاجتماعي وإضعافه، مع كل النتائج التي تنجم عن ذلك على مستوى مناخ الأعمال والجاذبية الاقتصادية؛
- ❖ إن استمرار وضعية البطالة وازدياد حدتها يولّد أثرا سلبيا في المعنويات العامة وفي نفسية وسلوك الفاعلين في المجتمع على وجه العموم، وهو الأثر الذي تلازمه على الدوام أزمة ثقة في المؤسسات وأزمة في الرابط الاجتماعي والعيش المشترك. هذه الأزمة، بتجلياتها المتعددة، تفتح الباب أمام ما ينجم عن مثل هذه الوضعية من ترعرع ثقافة اليأس وتطور لأشكال غير معهودة من الاحتجاج بل والقطيعة والثورة[393].

يشكل العمل الجمعوي بما له من قدرة على إثراء الرأسمال الاجتماعي وشبكة العلاقات الشخصية (خاصة في الجمعيات "الكبرى" أو "الجمعيات الحزبية") إحدى الوسائل التي يعتمدها الشباب من أجل الاندماج في سوق الشغل، ولعل إحدى الحوافز المؤثرة في هذا الفعل التمثلات السائدة أن العلاقات الشخصية (الوساطات) أهم عامل في الحصول على عمل، وتتزايد هذه التمثلات كلما ارتفعت نسبة اليأس نتيجة أزمة التشغيل. وقد أشارت دراسة ميدانية منشورة في مقال للباحثين الغالي أحرشاو وأحمد الزاهر إلى دور كل من العلاقات الشخصية والخدمة المدنية في الحصول على منصب شغل، حيث ورد أنه "بالنسبة للخريجين المدمجين، فإن حصولهم على منصب شغل كان نتيجة إتباع الطرق المتدرجة التالية: المباريات بنسبة 20%، والوسائل المادية بنسبة 25% والعلاقات الشخصية بنسبة

393 الكراوي. إدريس، (2014)، إشكالية التشغيل، مقاربات وتوجهات، منشورات جمعية الدراسات والأبحاث للتنمية، الرباط، ص. 154.

22% والاتصال المباشر بنسبة 14% والخدمة المدنية بنسبة 8% وأخيرا الإعلانات بنسبة 3% "[394].

3- الفاعلون المحفزون على الولوج

تنوع الفاعلون المحفزون للشباب على ولوج الفعل الجمعوي بين 5 فاعلين، هم: الأسرة؛ محيطها؛ الأصدقاء؛ المدرسة؛ حدث الصدفة. وقد عبّر 11 شابا أن التحاقهم بالعمل الجمعوي كان بتحفيز من الأصدقاء، في حين عبّر 8 منهم أن الانخراط في العمل الجمعوي كان بتحفيز من الأسرة.

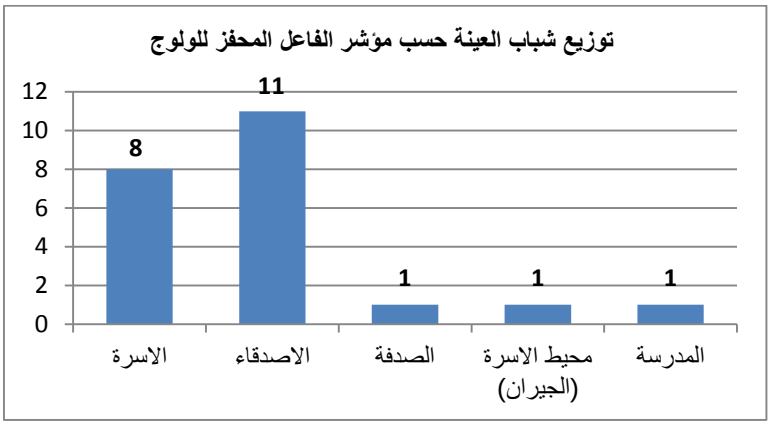

يمكّن هذا التفاوت العددي بين التحفيز على الولوج من طرف الأسرة والتحفيز من طرف الأصدقاء من القيام بعدد من القراءات، من بينها:

- تأثير الأصدقاء قد يتجاوز تأثير الأسرة في كثير من الحالات، وقد لوحظ هذا التأثير بشكل أكبر عند الشباب الذي انخرطوا في سن المراهقة، أما الشباب الذي انخرطوا في سن الطفولة فقد كان المحفز الأكبر لديهم هو الأسرة. بخصوص التحفيز من طرف الأصدقاء يقول كريم[395]: "بدأت مساري الجمعوي منذ 16 سنة، لم أمارس العمل الجمعوي من قبل لأنني كبرتُ في البادية ولم تكن هناك جمعيات، تعرفتُ على

[394] أحرشاو. الغالي والزاهر. أحمد، (2001)، "البحث عن الشغل ومواجهة البطالة لدى خريجي الجامعة"، (29-57)، في: "التكوين الجامعي والاندماج السوسيومهني"، مركز الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله. فاس، ص. 44

[395] كريم هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 21 سنة، يحضر الإجازة في علم النفس، يمارس المسرح ويكتب النصوص الكوميدية، شارك في برنامج انتقاء المواهب الكوميدية "ستاند اب". يؤطر ورشة للمسرح في مؤسسة تعليمية مقابل أجر، ينشط في جمعية تمارس أنشطة جمعوية متعددة من بينها مهرجان للشعر، وهي جمعية ذات توجه ديني.

الجمعية عن طريق صديق لي في الدراسة أخبرني أنه منخرط في جمعية تنشط في مجال المسرح، فأعجبني الانخراط فيها واستمريت معها منذ خمس سنوات ونصف إلى الآن". وقد أشارت دراسات أجنبية، ومنها دراسات دومينيك باسكييDominique Pasquier، إلى دور العلاقات الاجتماعية الأفقية التي قد تتجاوز في الكثير من الحالات تأثير العلاقات الأسرية العمودية[396].

- تجدر الإشارة إلى أن تحفيز الأسر لأبنائهم للإقبال على الأنشطة الجمعوية والثقافية قد يكون بدافع التوفر على رأسمال ثقافي معين[397]، أو على العكس من ذلك، قد يكون هذا التشجيع بدافع التخلص من الإزعاج والشغب الذي قد يسببه الأطفال داخل فضاء البيت، لاسيما في الأحياء الهامشية حيث تكثر البيوت المكتظة والضيقة. ينطبق منطق الفعل هذا أيضا على علاقة الكثير من الأسر بالمؤسسة التعليمية حيث يعتبرون الزمن المدرسي فرصة للتخلص من إزعاج الأبناء (مع الوعي بأهمية التعليم بطبيعة الحال)، وهنا يمكن استحضار عبارة شائعة بين الكثير من الآباء حين يقولون بالدارجة المغربية: "المدرسة كدّير فينا خير".

بالموازاة مع ذلك، هناك أسر تعارض انضمام أبنائها إلى الجمعيات وأخرى لا تعارض لكنها لا تشجعهم وتظل غير مكترثة. في هذا الصدد يقول رضوان[398]: "أول مرة تعرفت فيها على العمل الجمعوي كان عن طريق جارتنا التي اصطحبتني إلى إحدى الصبحيات بدار الشباب، فأعجبني النشاط، لكن أسرتي كانت رافضة، لاسيما والدي. مع ذلك، ظلت جارتنا تحاول إقناع الأسرة، ولازال والدي إلى حد الآن غير راض عن هذا نشاطي الجمعوي، فهو في سلك الجندية وكان يريد أن يوجّه مساري

396 Octobre. Sylvie et JAUNEAU. Yves, (2008), "Tels parents, tels enfants ? Une approche de la transmission culturelle", (695-722), in: Ophrys, Revue française de sociologie, Vol. 49, 2008/4, Paris, p.698.

397 ينبغي التمييز في هذا الرأسمال بين مؤشرين: مؤشر المستوى التعليمي للإباء والذي لا يؤدي دائما إلى تمثلات ومواقف ايجابية من العمل الجمعوي، وبين مؤشر الوعي بأهمية العمل الجمعوي الذي يمكن أن يرصد على السواء عند آباء ذوي رأسمال ثقافي من مستوى عال أو حتى عند آباء آخرين أميين أو من مستوى ثقافي متدن. وإذا كان مؤشر المستوى التعليمي يستند عليه غالبا في البحوث الكمية رغم انه لا يقدم تفسيرا بشكل أعمق، فان مؤشر الوعي بالشيء يتجلى أكثر في البحث الكيفي، وهو ما رصدته في عدد من المقابلات مع الشباب الفاعل جمعويا.

398 رضوان هو شاب من مدينة تمارة، يبلغ من العمر 38 سنة، مطلق، حاصل على الإجازة، يعمل كمحرر صحفي، يقوم بالكتابة والإخراج المسرحي، يكتب الشعر، يمارس الفن التشكيلي والخط العربي.

المهني إلى إحدى الأجهزة الأمنية. وبحكم أنني حاليا مسؤول جمعوي ولديّ تواصل مع الشباب والآباء، أرى أن هناك العديد من الآسر التي لها فكرة خاطئة عن العمل الجمعوي وتعتقد أنه مجرد ضياع للوقت وملهاة عن الدراسة".

أما الانخراط عن طريق الأنشطة المدرسية، فقد حضر في إجابة شاب واحد فقط، وهو ما يحيل على المشاكل التي تعرفها المؤسسة التعليمية بالمغرب، بما في ذلك تراجع أهمية الأنشطة الموازية مقارنة بالعقود السابقة. تعد هذه الأنشطة المدرسية فرصة لاكتشاف عدد كبير من الفنانين والمبدعين الشباب، ويساهم فيها الأساتذة بتأهيل التلاميذ وتحقيق الانتشار الثقافي لهم، مثلما تعد المسابقات الرياضية المدرسية مشتلا يسطع من خلاله نجم أبطال شباب يغذون الرأسمال الاجتماعي للأندية الرياضية والبطولات الوطنية.

يستفز هذا التراجع الذي تعرفه المؤسسات المدرسية عددا من الفاعلين الثقافيين، (لاسيما في أوساط رجال التعليم) لتأسيس جمعيات ثقافية أو الانخراط فيها بهدف النهوض بالفعل الثقافي، وهنا أذكرُ مثال إحدى الجمعيات الثقافية التي تركز على الفعل القرائي داخل المدارس بتعاون مع الأندية المدرسية. في هذا الاتجاه، أسوق تجربة كمال[399] الذي كانت انطلاقته الجمعوية من خلال اكتشاف ذاته بإحدى الأنشطة الثقافية خلال طور التعليم الثانوي، يقول: "كبرتُ في باديتنا التي لم تكن تتوفر على جمعيات، انتقلتُ بعد ذلك من "الدوار" إلى البلدة القريبة منّا قصد الدراسة بالمستوى الثانوي، في مستوى الباكالوريا قمت بمبادرة لتأسيس جمعية ثقافية انضم إليها أستاذ بطور الثانوي وصديق لي يعمل صحفيا، وقد كان الهدف منها توفير إطار قانوني لممارسة المسرح والقيام بعروض في المؤسسات التعليمية المجاورة.

قبل تأسيس الجمعية، اكتشفتُ موهبتي في المسرح بالصدفة، فخلال حفل نهاية سنة ما قبل الباكالوريا طلب مني أصدقائي أداء دور في عرض مسرحي بعد أن تعذر حضور أحد الممثلين ولم يتبق على العرض إلا يوم واحد. في البداية رفضتُ بشدة، فقد كنتُ خجولا لدرجة مرضية، لكني وافقتُ في النهاية. ومع بداية العرض صدرت مني عبارة معينة بشكل

[399] كمال هو شاب من مدينة الرباط، يبلغ من العمر 25 سنة، حاصل على الماستر في الفلسفة، يشتغل بالتدريس، يزاول عدة ممارسات ثقافية: المسرح، السينما، كتابة السيناريو، تأطير ورشات للرسم والقراءة السينمائية وكتابة السيناريو.

عفوي فانهال الجميع بالتصفيق، ومنذ ذلك الحين أصبحتُ أنال إعجاب الجميع. واكتشفت ذاتا أخرى في نفسي وتعجبتُ من الجانب الأخر من شخصيتي لاسيما أن توجهي الأكاديمي كان علميا ولا علاقة لي بالأدب والمسرح، بعد ذلك استمريت وسرقت الأضواء.

منذ ذلك الحين، أصبحتً أحصل على الجوائز في المسابقات والمهرجانات وأسست ناديا للمسرح بالمدرسة رفقة الأساتذة وأصبحت أقوم بالتكوين الذاتي في المسرح. بعد ذلك، انتقلتُ إلى مدينة الرباط من أجل التعليم الجامعي و التحقت بشعبة الفلسفة بعد أن كان توجهي علميا، وانخرطت مع جمعية في المسرح المحترف بالرباط".

يشكّلُ عقد العشرينات من العمر فرصة سانحة للشباب الجامعي من أجل اكتشاف العمل الجمعوي لأول مرة أو من أجل تطوير تجربتهم فيه، حيث تتناسب هذه المرحلة مع تبلور الجانب الفكري بشكل أعمق، لاسيما حينما يحتك الشباب بالحركات الطلابية ذات التوجه السياسي، فتكون التجارب في هذه المرحلة عاملا مهما في التنشئة الثقافية والسياسية لشرائح واسعة من الشباب الجامعي.

في هذا الصدد يتحدث أمين[400] عن تجربته الجمعوية التي انطلقت مع انخراطه في اتجاه الحركة الأمازيغية بالجامعة: "جاء انخراطي في العمل الجمعوي بعد التحاقي بالجامعة إذ أنها مجال للفعل الثقافي في إطار الحركة الطلابية. بعد ذلك، بحكم الاهتمام، نشطتُ في العمل الجمعوي الأمازيغي من خلال المشاركة في الندوات وتأطير الشباب في هذا الميدان الثقافي".

بالإضافة إلى العوامل السالفة الذكر والتي تؤثر في ولوج الشباب إلى العمل الجمعوي، هناك عامل آخر يؤثر في هذه العملية، ويتمثل في مستوى تأهيل وأداء المرافق الثقافية (من حيث العدد والتوزيع الجغرافي، والتجهيزاتها، وتأهيل الموارد البشرية، وتطوير استراتيجيات العمل، الخ)، ولا يتعلق الأمر بالمؤسسات العمومية فقط، بل بالمرافق الخاصة أيضا.

[400] أمين هو شاب من مدينة تمارة، يبلغ من العمر 33 سنة، حاصل على الماستر في اللسانيات ويحضر الدكتوراه، متزوج، ينشط في العمل الثقافي الامازيغي.

في هذا الصدد، يتحدث تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي "أماكن العيش والفعل الثقافي" عن مشاكل المرافق الثقافية/ فيورد أن "المعطيات المتعلقة بالتجهيزات الثقافية تبين عجزا ملحوظا من حيث عددها وحجمها، ونوعية الخدمات التي تقدمها، وبالخصوص في المدن المتوسطة والصغيرة وفي العالم القروي. وحتى إن وُجدت، فإن موقعها نادرا ما يكون ملائما، فضلا عن طرق تدبيرها، لدرجة أنها تتحول إلى فضاءات فارغة لا حياة فيها، أو توظّف لأنشطة غير تلك التي بنيت لأجلها، وتتحول إلى تجهيزات "حزينة" لأن أغلبها وليس كلها تفتقد إلى عناصر الإثارة الجذب، ولا توفر شروط عيش تتيح الاستفادة والتعلم والتفاعل. كما أن أنشطتها روتينية وتوكل مسؤولية تسييرها إلى مديرين لم يتم تأهيلهم للإشراف على العمل الثقافي، سواء على مستوى التخصص والتخطيط والتنفيذ أو الاحترافية في التواصل وطرق جذب الجمهور والاستمرارية في خلق اهتمام الناس بالمضامين الثقافية والفنية.

لذلك، يلاحظ في كل مدن المغرب، وجود أبنية من مختلف الأحجام والأشكال، خُصصت لدور الشباب والخزانات والمراكز الثقافية، غير أنها تخضع لمنطق إداري عمودي، لدرجة لا يفرق معها من يرتادها بين اعتبارها إدارات أو أماكن عيش. في حين أن هذه الأماكن تضحي حقا أماكن عيش حين تنتج عوامل إدماجية، وترسخ عادات، وتصبح لها قدرة على جذب الناس ودفعهم إلى المشاركة اعتمادا على مهنية وتقنيات تُعلي من شأن ما هو إنساني"[401].

4- استمرارية أو تذبذب المسار الجمعوي

مكنت المقاربة الدياكرونية المعتمدة في دراسة المسار الجمعوي للفاعلين الشباب من الكشف على طابع الدينامية الذي يميز الانخراط في الفعل الجمعوي، حيث أمكن التمييز بين فئتين:

- ❖ فئة حافظت على استمرارية هذا الانخراط منذ الولوج للعمل الجمعوي، وقد حضرت بنسبة 64%.

401 المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، (2013 ،)أماكن العيش والفعل الثقافي، تقرير، إحالة ذاتية رقم 2013/10، الرباط،، ص. 26.

❖ وفئة أخرى شكلت نسبة 36%، تميز مسارها بالتقطع.

ويعزى هذا الاختلاف في المسار الجمعوي إلى مجموعة من العوامل التي سيتم التطرق لها لاحقا، لاسيما فيما يتعلق بالرهانات من الفعل الجمعوي؛ ظروف الحياة الشخصية؛ طبيعة العلاقة بالتنظيمات الجمعوية؛ ومستوى الانخراط في العمل الجمعوي؛ وغيرها من العوامل التي تؤشر على وجود ثنائية النخبة والعامة لدى شباب الجمعيات الثقافية، أي فئة النخبة التي تكون أكثر اندماجا وإنتاجا في العمل الجمعوي وفئة العامة التي تنخرط بدافع الاستفادة من خدماته (منطق استهلاكي أكثر مما هو إنتاجي).

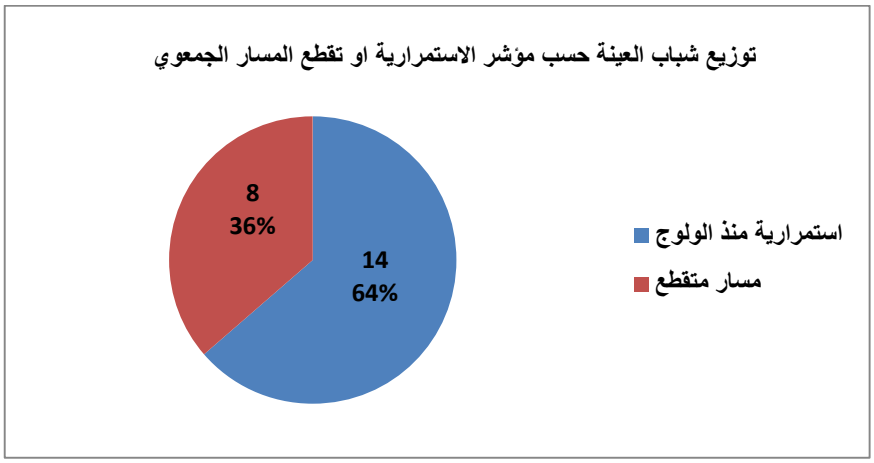

5- تنويع المسار الجمعوي

أظهر تحليل المعطيات الميدانية أن 73% من الشباب الجمعوي قد نوّع مساره الجمعوي عبر التغيير المتكرر للانتماء الجمعوي (الانفصال عن الجمعية والانتقال إلى جمعية أو جمعيات أخرى) أو من خلال تعدد الانتماءات بشكل متزامن. في حين، حافظ 27% من شباب العينة على مسار جمعوي غير متنوع.

إن تنويع المسار الجمعوي يعود لمجموعة من العوامل سيتم التفصيل فيها لاحقا، لكن يمكن الإشارة إليها حاليا بشكل مختصر:

❖ **عوامل ايجابية:** مثل الرغبة في الاندماج بشكل أعمق في الحقل الجمعوي؛ الرفع من مستوى الاستفادة من خدمات الجمعيات؛ تحقيق أهداف أخرى مثل الحصول على التعويضات المادية؛ الخ)؛

- **عوامل سلبية:** مثل أن يجد الشباب مشاكل في إطار علاقتهم بالجمعيات (تتعلق بممارسة الحكامة مثلا أو النمطية في الفعل الجمعوي). وسأعود في موقع آخر من هذا البحث إلى التطرق إلى تأثير المشاكل التي يعرفها الفعل التنظيمي لدى الجمعيات الثقافية على المسار الجمعوي للشباب
- **عوامل تنظيمية:** روى مجموعة من الشباب أنه خلال فترة طفولتهم أو في سن المراهقة، قاموا بتغيير الانتماء الجمعوي بسبب عدم فتح جمعياتهم لباب الانخراط نتيجة عدم الحصول على الدعم المالي، وهو ما يحدث بشكل أكبر لدى جمعيات التخييم.

المبحث الثاني: الرهانات الذاتية للشباب الجمعوي

1- الرهانات المادية

1-1 تعويضات مادية مقابل إبداعات ثقافية بشكل مناسباتي

يتلقى عدد مهم من الشباب الجمعوي الفاعل ثقافيا تعويضات مادية مقابل تقديم منتوجاتهم الثقافية، ورغم محدودية القيمة المادية لهذه التعويضات في العديد من الحالات، إلا أنها تعتبر موردا ماديا مكمّلا لا يخلو من أهمية، لاسيما لدى الشباب المنحدر من مستويات اجتماعية شعبية، وقد بينت نتائج البحث بالاستمارة أن 221 من شباب العينة ينتمون إلى هذه الفئة الاجتماعية التي تكثر فيها مختلف أشكال الهشاشة:

المستوى الاجتماعي لحي السكن					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الراقي	21	5.2	5.2	5.2
	المتوسط	160	39.7	39.8	45.0
	الشعبي	221	54.8	55.0	100.0
	Total	402	99.8	100.0	
Manquante	Système manquant	1	.2		
Total		403	100.0		

تؤثر في هذه التعويضات المادية مجموعة من المعايير والخصائص التي أمكن رصد بعض منها خلال البحث الميداني، ومن بينها: طبيعة إطار الاشتغال (فعل ثقافي في إطار أنشطة مناسباتية أو في إطار مشاريع ذات ديمومة محددة)، وكذلك موقع الفعل الثقافي ضمن الحقل الثقافي ومدى مردوديته المالية، الخ.

من حيث طبيعة الاشتغال، يمثّل الشاب سمير[402] نموذج الشباب الذين يستفيدون من تعويضات مادية مقابل تقديم منتوجاتهم الثقافية (فن الزجل في هذه الحالة). ويكون ذلك بشكل مناسباتي ضمن اللقاءات الثقافية التي تنظمها الجمعيات أو ضمن المهرجانات التي تنظمها مؤسسات عمومية. وغالبا ما يتم تقديم هذا المنتوج الثقافي في ظرف وجيز خلال فقرة من

[402] شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 30 سنة، حاصل على الإجازة، يعمل إعلاميا في القطاع الخاص. يكتب الشعر الفصيح والزجل، له قصائد سياسية وكتابات مسرحية، كما يؤدي أدوارا سينمائية.

أمسية فنية أو مهرجان ثقافي، بخلاف الاشتغال الذي يندرج في إطار مشروع يمتد على مدى فترة طويلة.

ويلاحظ أن الشباب يفضلون التعامل مع جمعيات أخرى غير الجمعية التي ينتمون إليها، وذلك لسببين أساسيين: يتمثل السبب الأول في تفادي حالة التنافي التي قد تتسبب لهم في الشائعات والاتهامات بالمحسوبية والزبونية، أما السبب الثاني فيتمثل في الرفع من حجم الدخل كلما تنوعت هذه الجمعيات وارتفع عددها. ويعد هذا السبب الأخير من العوامل التي جعلت الكثير من الشباب يعدّد انتماءاته الجمعوية خلال مساره الجمعوي من أجل توسيع رأسماله الاجتماعي، وبالتالي رأسماله المادي.

تحدث الشاب الأول (سمير) عن المشاكل التي تعرفها التعويضات المادية في حقل الزجل وأخبر أن الكثير من الشعراء الزجالين يتنقّلون إلى مدن بعيدة للمشاركة في الأمسيات الثقافية وفي مقابل ذلك يتلقون تعويضا "زهيدا". وفي أحيان عديدة تطلب جمعيات من هؤلاء الشعراء الزجالين أن تكون مشاركاتهم ذات طابع مجاني باستعمال عبارة "تعاون معانا"، بل قد يتم التنصيص على هذه المجانية في الدعوة التي توجّه إلى الشاعر على اعتبار أنها لا تتوفر على دعم مالي من الجهات المانحة، ونادرا ما يكون هناك أجر وتعويضات عن التنقل.

يضيف سمير قائلا إنه حتى في المهرجانات الوطنية تكون التعويضات متواضعة، إذ تتراوح بين 1000 و1500 درهم "وكأنهم يقولون لك لا تمارس الشعر بل مارس شيئا آخر غيره، علما أن أغلبية الأسماء هي نفسها تتكرر في الملتقيات". خلال معرض حديثه، يقارن هذا المشارك في البحث بين ضعف قيمة التعويضات المادية المتعلقة بفن الزجل والقيمة المادية التي يتلقاها فاعلون ثقافيون في حقول ثقافية أخرى. ويقارن في هذا الاتجاه بالحقل الموسيقي حيث التعويضات تكون أكثر ارتفاعا، لاسيما حينما يتعلق الأمر بفنانين أجانب.

من العوامل التي تخلق التفاوتات في التعويضات المادية بين الحقول الثقافية مدى الأهمية التي تحتلها كل ممارسة ثقافية عند المتلقين، ومن شأن ذلك أن يعبر عن خصائص الممارسات الثقافية في المجتمع ككل أو عند فئات مجتمعية على وجه الخصوص. وهو ما يظهر، من جهة أولى، الفرق بين المجتمعات التي يطغى عليها استهلاك ثقافة السمعي-

البصري l'audiovisuel، فتزدهر فيها اقتصاديات الموسيقى والسينما والكوميديا الخ على حساب الثقافة المقروءة. ومن جهة ثانية، نجد المجتمعات التي تزاوج بين الثقافتين فتُعلي أيضا، في استهلاكها الثقافي، من شأن الثقافة المقروءة وما يرتبط بها، فيكون فيها للمؤلفين (من روائيين وشعراء، الخ) حضورا مجتمعيا وازنا.

في هذا الإطار، يبرز دور التحولات المجتمعية في التأثير على المكانة الاجتماعية للفعل والممارسات الثقافية، وخير مثال على ذلك أن الشعراء والكتّاب (والذين لا يحظون حاليا بحظوة مجتمعية في مجتمعاتنا العربية)، كانوا يحظون بهذا التميز الاجتماعي خلال فترات تاريخية سابقة (مرحلة ما قبل الإسلام والقرون الإسلامية الأولى) حيث أن الشاعر كان يعد الناطق باسم قبيلته والمدافع عن قضاياها إزاء القبائل الأخرى، وهو ما يماثل الوظيفة الحالية لوزير الإعلام ووزير العلاقات الخارجية.

تشغل الموسيقى مثلا موقعا متميزا جدا ضمن ثقافة الشباب، فهي لا تعبر فقط عن تفضيل جمالي، بل تتداخل مع نمط الحياة بما يحمل من فعل اجتماعي وتوجهات فكرية وقيم[403]. وأكثر من ذلك، فقد أصبح من الملحوظ كيف أن شبابا استطاعوا أن يحققوا ثروات مادية كبرى عن طريق الموسيقى، ومنهم من حقق انطلاقته نحو النجومية الثقافية (وبالتالي نحو الارتقاء الاجتماعي) بواسطة وسائل جد متوفرة قد تقتصر على هاتف ذكي وحاسوب، مستفيدين من ذلك من تطور وسائل التواصل الاجتماعي.

لوحظ أيضا بروز عدد من الظواهر في الثقافة الرقمية من قبيل "المؤثرين" الرقميين les influenceurs، و"اليوتوبرز" أي المؤثرين من خلال موقع الفيديوهات "يوتيوب". بالإضافة إلى ذلك، انتشرت في الثقافة الرقمية ظاهرة "روتيني اليومي" التي أصبحت تحقق

403 LEFEBVRE. Solange, (2008), Cultures et spiritualités des jeunes, Les Editions Fides, Montréal, p. 58.

بها فئة من النساء مبالغ ضخمة يتم التكتم عليها[404]، وقد أدت هذه الظاهرة الرقمية ومثيلاتها إلى جدل إعلامي صاخب حول الجانب "القيمي والتتفيهي" لهذه الممارسات الرقمية[405].

على نفس المنوال، يلاحظ أن الشباب الذي ينشط في الجمعيات الموسيقية بدور الشباب مثلا لا يقتصر فعله على الجانب الجمالي للموسيقى، بل إنه يستفيد من التكوين الموسيقي والتمارين في الجمعيات الثقافية من أجل تطوير مداخليه المادية عبر إحياء الحفلات الخاصة (في الأعراس والمناسبات، في الفنادق، المطاعم، العلب الليلية، الخ). وهو نفس ما عبّر عنه رئيس "جمعية التنوير" حين تحدث أن الجمعية التي يرأسها توفر الإطار القانوني لمجموعة شبابية تمارس فن قرع الطبول (موسيقى الباتوكادا Batucada اللاتينية)، حيث يتم استدعاؤها خلال المناسبات الاحتفالية مقابل أجر من المال يوفر مداخيل ذاتية لشباب هذه المجموعة الفنية.

فيما يخص الشباب الذي يشتغل في إطار مشاريع ثقافية ذات ديمومة مؤقتة، أستحضرُ نموذج كمال، حيث قال: "بعد انتقالي إلى مدينة الرباط انخرطتُ في جمعية ثقافية كي توفر لي إطارا قانونيا للاشتغال حول قيمي وقناعاتي، وذلك من خلال المسرح الاحترافي "أي جمعية ديال الفلوس، فشكلتُ مقاولة ذاتية، بعد ذلك أصبحتُ كممثل أتعامل بالطلب la commandeمع عدة جمعيات في إطار العمل المسرحي بشكل مهني، أي أنني أتلقى أتعابي بالتعاقد par contrat".

يشتغل هذا الشاب كأستاذ لمادة الفلسفة، أي أنه يتوفر على نشاط مهني أساسي، في حين أن مداخيله المادية من المشاريع الثقافية التي ينخرط فيها تشكل دخلا ثانويا بالنسبة إليه، وهو ما يميزه عن الفئة الأخرى من الشباب التي تعتمد على الفعل الثقافي كمصدر رئيسي للدخل، وهو ما يمكن اعتباره شكلا من أشكال التشغيل الذاتي.

404 الراجي. محمد، (2020)، "عودة ظاهرة روتيني اليومي تسائل المنظومة الاجتماعية بالمغرب"، مقال صحفي منشور بجريدة هسبريس، في يوم الاثنين 28 شتنبر 2020، الساعة 15:00، على الرابط: https://www.hespress.com/societe/490458.html

405 الراجي. محمد، (2020)، " الجري وراء الربح السريع يبدد القيم المغربية على منصة يوتوب"، مقال صحفي منشور بجريدة هسبريس، في يوم الاثنين 23 نونبر 2020، الساعة 09:00، على الرابط: https://www.hespress.com/societe/490458.html

2-1 التشغيل الذاتي

مع تفشي ظاهرة البطالة وسط الشباب بشكل عام، ومع محدودية اقتصاديات الثقافة بشكل خاص، تراهن فئة من الشباب الفاعل في الحقل الثقافي على خلق فرص للشغل في إطار العمل الحر، أو ما يسمى بشكل دارج في لغة الشباب ب"الفري لانس" freelance والذي يقصد به التشغيل الذاتي. وحسب المكتب الدولي للشغل، يمكن حصر الفئات التي تم إدراجها في صنف التشغيل الذاتي كما يلي:

- ❖ المشغل: الأشخاص الذين يعملون لحسابهم الخاص أو مع شريك واحد أو أكثر ويمارسون هذا النوع من الشغل كعمل حر ويشغلون معهم شخصا واحدا أو أكثر كأجراء خلال فترة مرجعية متواصلة؛
- ❖ شخص يعمل لحسابه الخاص: الأشخاص الذين يعملون لحسابهم الخاص مع شريك واحد أو أكثر ولا يشغلون أي أجير معهم بكيفية مستمرة، خلال فترة مرجعية متواصلة؛
- ❖ عضو تعاونية أو شريك: أشخاص يشتغلون عملا حرا، وينتمون إلى تعاونية لإنتاج السلع أو الخدمات، حيث يعتبر الأعضاء متساوون في تنظيم الإنتاج والمبيعات وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بالاستثمار وتوزيع الفوائد بين الأعضاء.
- ❖ عامل مع الأسرة بدون أجر: أشخاص يشتغلون عملا حرا في مؤسسة موجهة للسوق ومستغلة من طرف عضو من الأسرة يعيش معهم.

أما بالمغرب، فقد حدد القانون رقم 113.14 المتعلق بالمقاولة الذاتية الذي صدر سنة 2015 أن المقاول الذاتي هو كل شخص ذاتي يزاول بصفة فردية نشاطا صناعيا أو تجاريا أو حرفيا أو يقدم خدمات، ولا يتجاوز رقم معاملاته السنوي 500.000 درهم بالنسبة للأنشطة الصناعية أو التجارية أو الحرفية، و 200.000 درهم بالنسبة للأنشطة الخدماتية[406].

406 المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2016، المقاولة الذاتية رافعة للتنمية وإدماج القطاع غير المنظم، تقرير، إحالة ذاتية رقم 2016/27، الرباط. ص.37.

يلجأ عدد من الشباب إلى استخدام الإطار القانوني للتنظيمات الجمعوية كإطار للنشاط الاقتصادي، وقد يستمر هذا النشاط بشكل دائم أو قد يكون خيارا مؤقتا إلى حين الحصول على شغل قار. ويرجع الاستقرار في هذا العمل الحر من عدمه إلى مجموعة من العوامل منها : اختلاف المردودية المادية بين أنماط الفعل الثقافي ومدى قوة رساميل الشباب وقدرتهم على تنمية مشاريعهم، ويتوقف ذلك على قدرة تدبير أهم خاصية في "الجمعيات المقاولاتية" ألا وهي المزاوجة بين عقلانية قيمية تتمثل في التطوع والنضال وخدمة المصلحة العامة من جهة، وعقلانية نفعية وأداتية يحضر فيها المنطق الربحي من جهة أخرى[407].

في كلتا الحالتين، يقوم هذا التشغيل الذاتي على اعتبار الفعل الثقافي مصدرا رئيسيا للدخل، وهو ما يعني ولوج حقل الاحترافية. وتنبغي الإشارة إلى أن مصطلح الاحترافية يحيل على معنيين: المعنى الأول يقصد به المستوى العالي من الكفاءة والتمرس، والمعنى الثاني يحيل على خاصية التخصص في نشاط يعتبر مصدرا رئيسيا للدخل، وفي هذه الحالة قد يتحقق التوفر على المستوى العالي من الكفاءة وقد لا يتوفر. وقد ورد هذا النمط من التشغيل الذاتي عند عنصرين من عينة الشباب الجمعوي الفاعل (عماد[408] **وهدى**[409])، كما ورد عند عنصرين آخرين يندرجان ضمن عينة الجمعيات الثقافية، ويتعلق الأمر برئيسة "جمعية التنمية الثقافية" ورئيس "جمعية المشروع الثقافي" ويشغل كل منهما منصب رئاسة الجمعية.

يوضح عماد أن مصدر دخله من الفعل الثقافي مع الجمعيات أصبح يتم بناء على الطلب par commande، ويتمثل ذلك عبر توظيف فن الخط في إنجاز اللافتات، أو رسم لوحات فنية تقدم كإهداء أثناء الحفلات الثقافية الساعية لتكريم الشخصيات الفاعلة. بناء على الطلب

---

407 HELY. Mattiew, (2005), « Les différentes formes d'entreprises associatives », (175-200), in: Les bénévoles et leurs associations, autres réalités, autre sociologie ?, sous la direction de Dan FERRAND-BECHMANN, Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p. 176.

408 عماد هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 27 سنة، حاصل على مستوى الباكالوريا، يحترف الفن التشكيلي كمهنة حيث يعمل خطاطا ورساما، خاصة رسم الجداريات.

409 هدى هي شابة من مدينة تمارة، تبلغ من العمر 34 سنة، تلقت تكوينا في المسرح لمدة 4 سنوات في القسم النموذجي للتكوين المسرحي، تعمل كمقاولة ذاتية، تقوم بتمثيل ادوار في السينما وفي برامج التلفاز، وتشغل حاليا منصب رئيسة جمعية.

أيضا، ينجز هذا الشاب جداريات فنية في الشارع العام أو في الفضاءات الداخلية لعدد من المؤسسات.

من جانبها، تتحدث هدى عن تجربتها معلنة أن وضعية البطالة بعد تخرجها من القسم النموذجي للتكوين المسرحي ب"ديور الجامع" بالرباط دفعتها للانخراط في أول جمعية اكتشفت من خلالها العمل الجمعوي، وهي جمعية تعمل كمركز للتأطير المسرحي، تقدمت إليها بداية على أساس العمل القار لكن اكتشفت بعد ذلك أن الأمر لا يتجاوز إطار التعاقد المحدود المدى. وقد حاولت الاشتغال أيضا في جمعيات ثقافية أخرى، لكنها وجدت أن أغلبها ذات توجهات حزبية وتشتغل بمنطق الربح الشخصي.

بحثا عن الحرية في العمل، قامت هذه الشابة بتأسيس جمعية تترأسها بنفسها بمعية أعضاء آخرين من معارفها، اقتصر دورهم فقط على تحقيق النصاب القانوني لتكوين أعضاء المكتب المسير، دون أن تكون لهم مساهمة فعلية، في حين أنها هي من تشرف على مجمل أنشطة الجمعية.

تقول هدى: "هدفي من الجمعية هو تكوين فرق مسرحية تشتغل أيضا في الصناعة السينمائية، وفي نفس الوقت تساعد شبابا في مثل وضعيتي على الاندماج في الحقل المسرحي والسينمائي... ولو كنت أتوفر على الإمكانات المادية، لأنشأت مدرسة للتكوين في المهن الفنية أو أسست مقاولة في هذا المجال، لكن في ظل انعدام هذه الإمكانيات تبقى الجمعية هي الحل المتوفر".

على نفس المنوال، قام رئيس "جمعية التنمية الثقافية" بتأسيس جمعيته بعد تخرجه من المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي كي تكون إطارا حاضنا لفرقته المسرحية، ففي ظل غياب إطار قانوني لتأسيس الفرق المسرحية يظل التنظيم الجمعوي هو الحل الأقرب، يقول هذا المشارك في البحث: "إن الجمعية هي شكل من أشكال محاربة البطالة وانتظار دعوات العمل وعقود من المخرجين والمنتجين، لاسيما أن الصناعات المسرحية والسينمائية غير متطورة بما يسمح باستيعاب الشباب من خريجي معاهد التكوين والهواة". بهذه الآلية،

يوفر رئيس "جمعية التنمية الثقافية" لنفسه دخلا ماديا رفقة شباب آخرين ممن يتعاقد معهم من ممثلين وتقنيين، الخ.

يتعرض التشغيل الذاتي المرتكز على الفعل الثقافي لإكراهات الحقل الثقافي بشكل خاص مثلما تنعكس عليه آثار معيقات عامة، والتي يمكن تلخيص أهمها فيما يلي: ضعف انتشار ثقافة المبادرة والمغامرة في إنجاز مشاريع مبتكرة ومقاولات ذاتية؛ نقص التكوين في هذا المجال؛ عدم تلاؤم الآليات المعتمدة لمواكبة الشباب أصحاب المشاريع وتشجيعهم؛ صعوبات الولوج إلى التمويل والعقار؛ تفشي ظواهر الريع والزبونية والرشوة، مما يولد في نفوس الشباب الراغب في خوض مغامرة إنشاء مقاولته الخاصة الشعور بالغبن وعدم تكافؤ الفرص وضعف المنافسة النزيهة[410].

3-1 العمل المأجور في التنظيمات الجمعوية

قد يلجأ بعض الشباب إلى العمل بالتنظيمات الجمعوية إذا توفرت الفرصة لذلك، غير أن هذا الأمر نادر التحقق لكون أغلبية الجمعيات الثقافية، إن لم نقل جميعها، تعبّر عن نقص إمكانياتها المادية وتشدد على ضرورة الرفع من حجم الدعم المقدم من المؤسسات الحكومية المانحة. وقد تم رصد هذا الخطاب في عينة الجمعيات، بما في ذلك الجمعيات التي تعتبر وازنة.

في عينة الشباب الفاعل جمعويا، لم تسجل إلا حالة واحدة من العمل المأجور، أما في عينة الجمعيات فلم تعبّر إلا جمعية واحدة عن قيامها بهذا الفعل. وعلى غرار باقي المهن التي يزاولها الأفراد بشكل مؤقت، تطرح في كثير من الحالات مشاكل معينة مثل تدني مستوى الأجور وعدم التصريح بالأجير في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي. وقد يصبح هذا الإكراه الأخير متجاوزا إذا ما تم التطبيق الشامل للقانون المتعلق بإجبارية التصريح لجميع المشغلين والذي دخل حيز التنفيذ ابتداء من 31 غشت 2020.

410 الكراوي. إدريس، (2018)، التنمية، نهاية نموذج؟، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، ص.54.

بخصوص تجربتها في العمل داخل تنظيم جمعوي، عبّرت الشابة زينب[411] عن إحباطها واستيائها من سوق الشغل بالقول "بحكم تكويني في البيولوجيا، أرغب في الاشتغال في مجال المختبرات الطبية، لكن في الكثير من الحالات، يتم الحصول على الشغل بالوساطة وعلاقات المحسوبية. في انتظار الحصول على فرصة عمل، أشتغل بعقد عمل كأجيرة بالجمعية. وقد تم ذلك من خلال أحد معارف العائلة الذي تربطه علاقة بمسيري الجمعية، بعد أن اقترح علي وعلى أسرتي العمل فيها. لم أكن مهتمة بالعمل الثقافي بحكم ابتعاد مجال تخصصي عن هذا الميدان، لكني أحببت هذه المهنة وتعلمت منها الشيء الكثير، ولو كنت أتلقى أجرا شهريا أعلى لتوقفت عن البحث عن شغل آخر ولظللت أشتغل فيها بشكل دائم".

4-1 تعويضات مقابل المساهمة في التدبير

على غرار الشغل بالإجارة في التنظيمات الجمعوية ولنفس الأسباب المرتبطة بقلة الموارد المالية، تعد التعويضات المالية مقابل المساهمة في التدبير الجمعوي من النماذج التي تندر مصادفتها في الحقل الجمعوي، ولا يمكن أن تتوفر إلا عند الجمعيات التي تشتغل بمنطق المقاولة والتي تستطيع أن توفر حصصا مهمة من الدعم من خلال علاقاتها مع جهات مانحة وازنة (وطنية أو دولية).

حضر هذا النمط من الدخل المادي في نموذج مريم[412]، وهي طالبة في تخصص الإخراج السينمائي والتدبير الثقافي، حيث تقوم بتدريب ميداني في إحدى الجمعيات الثقافية في إطار الدبلوم التي تحضره. تقوم مريم بهذا التدريب بناء على عقد يكفل لها قانونيا تعويضا ماليا عن المساهمة في تدبير المشروع الثقافي الذي تشرف عليه، وقد أصبحت ناطقة باسم الجمعية في علاقتها بالمؤسسات الداعمة وتفاوض هذه الأخيرة في هذا المشروع نيابة عن الجمعية.

[411] زينب هي شابة من مدينة سلا، تبلغ من العمر 27 سنة، حاصلة على دبلوم في البيولوجيا، تعمل كأجيرة في جمعية ثقافية، وتمارس فن قرع الطبول.

[412] مريم هي شابة من مدينة الرباط، تبلغ من العمر 22 سنة، تحضر دبلوم ماستر حول المهن الفنية، تنشط في الحقل السينمائي

تبلغ نسبة هذه التعويضات المتفق عليها نسبة 10%، تستفيد منها هذه الشابة في حال تمكنت من جلب الدعم المالي إلى هذا المشروع. بمعنى أن هذه الحصة المالية غير مضمونة، وهو ما يدفعها لتكون أكثر دينامية وأكثر إبداعا وكفاءة في الفعل، وقد وظفت الجمعية المستقبلة لمريم هذه التقنية من التحفيز التي أصبحت متداولة في مجال التسويق التجاري، إذ يعمد إليها المشغلون من أجل تفادي المنطق الريعي عند الأجراء الذين قد يخفضون من مردوديتهم عندما يكون الأجر مضمونا.

5-1 تأطير ورشات تكوينية

تقدم فئة من عينة الشباب الفاعل جمعويا ورشات تكوينية في إطار سياقات مختلفة مقابل تعويضات مالية، وقد أفرز تحليل معطيات المقابلات النتائج التالية:

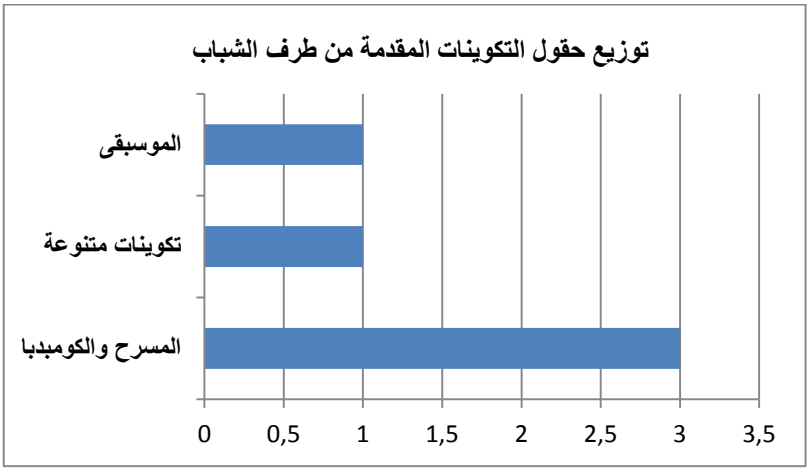

يوضح المبيان أعلاه أن 5 شباب من أصل 22 (أي 22.72% من عينة الشباب) يؤطرون دورات تكوينية ويقدمون دروسا خصوصية في عدد من الحقول الثقافية، وتبين أيضا أن فن المسرح هو أكثر الفنون التي يقبل الشباب على تأطيرها (3 من أصل 5)، وهو ما يؤكد على أن هذا الفن يعرف إقبالا كبيرا من طرف الشباب الجمعوي.

إن وصول شباب العينة إلى المستوى الذي أصبحوا فيه يؤطرون الورشات التكوينية هو نتاج لتراكم سنوات من الانخراط الجمعوي، وهم بذلك يعبرون عن بلوغهم لمستوى من النضج الفكري والمعرفي، وفي نفس الوقت يدفع بهم هذا الفعل التكويني إلى تطوير قدراتهم أكثر من خلال البحث والتفاعل مع المتلقين، مع الاستفادة من تلبية حاجياتهم المادية بواسطة

التعويضات المالية، يقول حمزة[413]: "مثلي مثل باقي الشباب انخرطت في الحقل الموسيقى كميول شخصي، لكن مع الوقت تصبح هناك حاجة مادية وحاجة للدعم، فالاستفادة المادية هي حافز للشباب من أجل الاستمرار في العمل الجمعوي".

وكما في حالات أخرى، يوظف الشباب الرأسمال الاجتماعي الذي تم اكتسابه بالعمل الجمعوي للرفع من الرأسمال المادي، وهو ما يفسر أيضا سبب تنويع عدد من الشباب لانتماءاتهم الجمعوية وعدم انخراطهم في مكاتب تسيير الجمعيات التي تستهلك منهم حيزا زمنيا مهما (يصبح الزمن في هذه الحالة مرادفا للمال)، ويتسبب لهم تقلد المسؤولية هذا في نزاعات يعتبرون أنفسهم في غنى عنها. بالإضافة إلى ذلك، يفضل هؤلاء الشباب التعامل مع جمعيات "مستقلة" سياسيا، إذ أن الانغلاق داخل ما يسمى بالجمعيات الحزبية يحصر دائرة هذا الرهان المادي في جمعيات محدودة مرتبطة بالحزب و بحلفائه.

بخصوص مفهوم "الرأسمال الاجتماعي"، يحدده المؤلف الأمريكي فرانسيس فوكوياما في كونه قدرة تنبثق جراء تغلغل الثقة في المجتمع، أو في بعض قطاعاته على أقل تقدير. وقد يتجسد في العائلة، البنية الأساسية للمجتمع وأصغر جماعاته حجمًا، أو في الأمة، أكبر هذه الجماعات، أو في الفئات الوسيطة القائمة بينهما، ويمكن اعتباره "طائفة راهنة من القيم أو المعايير غير الرسمية والمشتركة بين أبناء جماعة ما، وتهيئ لهم بذلك إمكانية التعاون مع بعضهم البعض[414]. ومن أشهر الباحثين الذي درسوا هذا المفهوم بشكل ميداني السوسيولوجي الأمريكي روبرت ديفيد بوتنام PUTNAM David Robert، حيث ذكر في إحدى مؤلفاته أن "الجماعة التي يكون أعضاؤها جديرين بالثقة ويضعون ثقة

---

413 حمزة هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 27 سنة، حاصل على دبلوم البرمجة في المعلوميات، يعمل مقاولا ذاتيا بعد أن أسس مقاولة رفقة أصدقائه، كما يشتغل في الفن التشكيلي ويصمم الديكور في المحلات الثقافية والمحال التجارية والمطاعم.

414 الرضواني. محمد، " رأس المال الاجتماعي وتأثيره في الاقتصاد، قراءة في كتاب : الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي لفرانسيس فوكوياما"، مقال منشور على موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود في يوم 8 شتنبر 2016، على الرابط، https://www.mominoun.com/articles/%D8%B1%D8%A3%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D9%88%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-4297

بالغة في بعضهم البعض سوف تكون أكثر قدرة على الإنجاز بالمقارنة مع الجماعات الأخرى التي تفتقد للثقة بين أفرادها[415]"،

في هذا السياق يتحدث رضى عن تجربته بالقول: "أقوم بإلقاء تكوينات للمكونين وللجمعيات ومستفيدين آخرين بشكل مؤدى عنه، وأحيانا أخرى أقوم بذلك بشكل تطوعي. أبرز المواضيع التي أشتغل عليها هي الوساطة الاجتماعية، التثقيف بالنظير، الديمقراطية التشاركية. وهذه التكوينات سبق لي أن استفدت منها سابقا بواسطة الجمعيات. كما أن العلاقات الاجتماعية التي نسجتها عبر مختلف الجمعيات تسمح لي بإيجاد زبناء جدد (داخل ميدان الجمعيات أو خارجه) يرغبون في الاستفادة من هذه الدورات التكوينية.

على غرار أمثاله من الشباب الجمعوي، يعبّر أحمد[416] عن الرهان المادي من تأطير الدورات التكوينية داخل الجمعيات، لكنه أيضا يستفيد منها في تطوير معارفه وتقنياته كأستاذ للتربية الفنية بالقطاع الخاص. في نفس الوقت، تسمح الشواهد المحصل عليها برفع رأسماله الثقافي من خلال تجويد ملف سيرته الذاتية وإغناء شهاداته، وهو ما يمنحه قدرة أكبر على التفاوض بخصوص أجره الشهري كمدرس.

يقول هذا الشاب: "الدورات التكوينية في الجمعيات تمكنني من الاستفادة من خبرة وتجربة متخصصين وأساتذة في الفن، كما تسمح لي بتحيين المعرفة والتقنيات وبمواكبة المستجدات، فلو أردت أن أستفيد من هذا التكوين خارج الوطن أو بالمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي لتطلب ذلك مني شروطا لا أتوفر عليها، لذلك فالجمعيات لها الفضل في تقريب هذه الخدمة". هكذا، تؤهل التكوينات الجمعوية والشهادات المحصل عليها فئة من الشباب للاشتغال بالتدريس في القطاع الخاص وتطوير رأسمالهم الثقافي ومسارهم المهني.

---

415 حران. العربي والتونسي. فائزة، (دجنبر 2018)، "رأس المال الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة"، (166-179)، في: مجلة العلوم الاجتماعية، العدد السابع، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ص. 166.

416 أحمد هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 32 سنة، حاصل على الإجازة في القانون، يعمل أستاذا للتعليم الفني في القطاع الخاص ولازال يبحث عن عمل قار، يمارس العمل الجمعوي مع مختلف الجمعيات دون الانتماء إلى أي جمعية

6-1 المساهمة في تأطير المخيمات الشبابية

يعد الحقل التخييمي حقلا فرعيا وازنا جدا ضمن الحقل الجمعوي الثقافي، ويحضر غالبا عند الجمعيات التربوية والجمعيات التي لا تمارس العمل الثقافي بشكل متخصص، وقد تبيّن من خلال البحث الميداني أنه فعل رئيسي عند 7 أفراد من فئة الشباب الجمعوي الفاعل (5 ذكور و2 إناث). أثناء تناولي لهذا النمط من الفعل الشبابي أميز فيه بُعدين أساسيين: بُعد الممارسة والتكوين، ثم بُعد تحقيق الرهانات المادية، مع الإشارة إلى أن البُعد الأول هو الأساس الذي يقوم عليه البعد الثاني، يتجلى ذلك من خلال ما يقوله رشيد[417]: "أريد الحصول على دبلوم التدريب في المخيمات ليساعدني في حياتي الخاصة، أريد أن أنقذ عائلتي من الوضعية الصعبة التي تعيشها".

فيما يخص البعد الأول، أشار مسؤولون جمعويون خلال المقابلات أن عدد كبيرا من الشباب ينخرط في الجمعيات التي تدرج الفعل التخييمي في أنشطتها بهدف حصولهم على صفة إطار مدرب من جهة أولى، ومن جهة ثانية من أجل الاستمتاع بالأسفار كممارسة ثقافية أثناء عملية التخييم، وفي حال مساهمة الشاب في عملية التأطير فإنه يتلقى تعويضات مالية عن ذلك، مع استمتاعه بالفترة التخييمية بشكل مجاني أو بثمن زهيد بالمقارنة إذا ما قام بالسفر على نفقته الخاصة. لكن، للحصول على وضعية إطار مدرب، ينبغي التدرج عبر عدد من المستويات واجتياز اختبارات معينة.

يتجلى المنطلق في هذا المسار في الانخراط في جمعية تُدرج عملية التخييم في برامجها، حيث ترشح هذه الأخيرة فئة من الشباب إلى وزارة الشباب والرياضة لتلقي التكوينات المؤهلة لاكتساب صفة "مؤطر". من خلال المقابلة التي أجريتُ مع رئيس "جمعية الازدهار الثقافي"، تبين أن مجموعة من الشباب تدخل في علاقة تفاوضية مع الجمعيات وتحاول أن تمارس سلطة عليها، يقول رئيس هذه الجمعية: "إن هذا التفاوض يتمظهر في خطابات الشباب مع الجمعيات بشكل معلن أو مخفي، إذ يذكّرون أعضاء المكتب المسيّر أنهم يقومون بالتطوع والتضحية ويحضرون لأنشطة الجمعية، وبالمقابل، ينتظرون

[417] رشيد هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 20 سنة، يمارس العمل الجمعوي في جمعية تقوم بأنشطة متعددة التوجهات

من الجمعية أن تقترحهم وتدافع عن ملفاتهم لدى الوزارة الوصية من أجل الاستفادة من التكوينات في مجال تأطير المخيمات. من آليات التفاوض الأخرى التي يعتمدها الشباب، تذكير الجمعية أن التطوع في المجتمعات المتقدمة يقابله توفير المصروف المادي والمبيت والمأكل وأشياء أخرى".

من جانب الجمعية، تتجلى مصلحتها في الاستفادة من الحضور الذي يساهم فيه المنخرطون الشباب ولو بشكل كمي، ذلك أن عدد الحضور المرتفع (والذي يتم توثيقه بواسطة صور التقارير) يرفع من حظوظ الجمعية في الحصول على الدعم المادي ويرفع أيضا من رأسماليها الاجتماعي والرمزي. بالإضافة إلى ذلك، ينقل الشباب إلى الجمعية والى باقي المنخرطين فيها المعارف التي تلقوها خلال التكوينات.

باستعمال مفهوم الأنثروبولوجي الفرنسي مارسيل موس، هناك إذن منفعة متبادلة بين الجمعيات والشباب تتجسد بعلاقة الهبة ورد الهبة، وهي أيضا علاقة سلطة متبادلة تتخللها عملية تفاوض بشكل مضمر على أساس بُعد الدَيْن الذي يميز علاقة الهبة ورد الهبة[418]. هكذا، فالجمعيات مطالبة بالإنصات إلى رهانات الشباب ومساعدتهم على تحقيقها، والشباب من جانبه مطالب بالفعالية والحضور من أجل الحصول على المساندة والتزكية. إن هذا التأثير المتبادل بين الجمعيات والشباب سواء على مستوى السلطة أو على مستوى المنفعة لا ينحصر فقط فيما تقدم آنفا، بل يتمظهر في أشكال أخرى من العلاقات والأبعاد.

إن العلاقة التفاوضية (في هذه الحالة بين التنظيمات الجمعوية والفاعلين المنتمين إليها) قد حضرت في عدد من النظريات السوسيولوجية، من أهمها نظرية الفاعل الاستراتيجي عند ميشيل كروزيي Michel CROZIER التي تتعامل مع التنظيم كنسق سياسي. تفيد هذه النظرية بدخول الفاعلين في علاقات من الصراع والتفاوض على السلطة، وتؤكد المبادئ التي تقوم عليها هذه النظرية على أن:

- ❖ الفاعل في التنظيم هو كائن استراتيجي homo-strategicus يستعمل الهامش الذي تتيحه له وضعيته في التنظيم؛

418 MAYADE-CLAUSTRE. Julie, (2002), « LE DON, Que faire de l'anthropologie ?", (229-237), Hypothèses, Éditions de la Sorbonne, Paris, p. 232.

- ❖ أنه كائن عقلاني لكن عقلانيته محدودة rationalité limitée؛
- ❖ أن السلطة في التنظيم ليست صفة attribut، بل هي علاقة تبادل يتم التفاوض حولها؛
- ❖ أن التفاعل بين الأفراد يؤدي إلى بناء نسق من الفعل، فكل عضو داخل التنظيم تحركه أهداف خاصة به يعمل على تحقيقها من خلال الإكراهات التي يواجهها. فهو لا يتقبل بشكل سلبي ما هو مطلوب منه، وإنما يستعمل الموارد التي يتوفر عليها بالطريقة الأنسب لتحقيق أهدافه[419]. لذلك، فتحقيق الأهداف الشخصية يدفع الفاعل إلى استعمال مختلف أشكال سلطته من أجل الاستفادة من أكبر قدر من المزايا داخل التنظيم عن طريق الحساب العقلاني الذي يأخذ بعين الاعتبار الإكراهات الموجودة والتوقعات الممكنة بخصوص سلوك الآخرين[420].

ينخرط الشباب في هذا النمط من الجمعيات بشكل انتقائي للوصول إلى غاياتهم، إذ يحرصون على الانضمام إلى الجمعيات التي تتوفر على ميزانيات مهمة وتتميز برساميل اجتماعية وازنة قادرة على تحقيق التدخلات، كما أن الانتماء إلى جمعيات تتوفر على رصيد تاريخي في الفعل الجمعوي يمنحهم رأسمالا رمزيا. وقد تنبهت الجمعيات إلى أن كثيرا من الشباب قد يندمجون فيها بشكل انتهازي لا يخدم مصالحها او ربما قد يؤثر سلبا عليها، ومن مظاهر ذلك:

- ❖ الانضمام إلى الجمعية كمطيّة للحصول على البطاقة التي تخوّل لهم صفة المؤطر (خاصة إذا كانت الجمعية ذات مكانة وخبرة كبيرتين)؛
- ❖ قصر الاهتمام على التكوينات التي تلقنهم تقنيات الترفيه والتنشيط، على اعتبار أنها جاذبة للمستفيدين وتعطي الانطباع بنجاح المؤطر في الفعل التخييمي؛
- ❖ عدم إيلاء ما يكفي من الأهمية للتكوين في الجانب الإداري والقانوني، علما أنه يشكل حماية لجميع الأطراف. ففي حال تعرض أحد المستفيدين لحادث أو مكروه، يجد الشاب الإطار نفسه أمام سلسلة من التقارير والإجراءات الإدارية والمساءلات التي قد

419 امعمري. لحبيب، (2010)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الأول، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، ص. 190.
420 المرجع نفسه، ص. 191.

تعرضه للتحقيق القضائي المفضي إلى العقوبة السجنية في حال ثبوت تقصيره في أداء المسؤولية والالتزام بالقوانين. وفي هذا الاتجاه، أشار مسؤولون جمعويون أن كثيرا من الشباب لا يتوفرون على أساسيات الثقافة التدبيرية والقانونية، إذ لا يلمون بتقنيات إعداد تقرير أدبي أو مالي أو تقرير عن مهمة أو حادث.

- ❖ الانسحاب من الجمعية والتخلي عنها بمجرد بلوغ مقاصدهم بالحصول على بطاقة المؤطر.

ردا على ذلك، قامت بعض الجمعيات بتعديل قوانينها، يقول رئيس "جمعية شباب الثقافة": "بالنسبة لجمعيتنا، ومن أجل القيام بضبط أكبر تفاديا للتلاعب بالبطاقات، أصبح تسليمها يتم من طرف المكتب المركزي وليس من طرف مكاتب الفروع. كما أن الشاب لا يمكن أن يحصل على البطاقة إلا بعد قضائه سنتين من الانخراط والنشاط الفاعل بالجمعية. وبهذه الطريقة تضمن الجمعية حدا أدنى من انخراط الشباب بالجمعية وأنهم سيستوفون التكوينات التكميلية المطلوبة. وبهذا أيضا، تُقطع الطريق أمام من يفكرون في الالتحاق بالجمعية لفترة وجيزة من أجل أهداف وصولية ويسوّقوا أنفسهم على أنهم من قدمائها للمتاجرة باسم الجمعية واستغلاله".

هكذا يسعى الشباب إلى تلقي مجموعة من التكوينات المؤهلة لاكتساب صفة "مدرب مخيمات" بناء على شهادة اعتراف مسلّمة من وزارة الشباب والرياضة على إثر اجتياز مجموعة من الاختبارات النظرية والتطبيقية، تحت إشراف ومراقبة لجان من الوزارة الوصية. وتتدرج هذه التكوينات حسب أربع مستويات أساسية:

- ❖ **المستوى التحضيري:** وهو أول تدريب يخضع له الشاب بعد أن يكون قد حصل على شهادة الباكالوريا، أي منذ سن 18 سنة فما فوق، ويستمر هذا التكوين لمدة أسبوع وينظم بمقرات وزارة الشباب والرياضة؛
- ❖ **المستوى التكويني:** يحصل الشباب ببلوغ هذا المستوى على صفة مساعد مدرب؛
- ❖ **مستوى دبلوم مدرب:** غالبا ما يتوقف الشباب عند هذا المستوى، ويكتسبون حينها صفة "الإطار التربوي"؛

❖ **مستوى الاختصاصات**: وهو أكثر تعمقا، ويتمحور حول تخصصات مثل: الاقتصاد، إدارة المخيمات، تكوين المكونين.

تتضمن هذه التكوينات، لاسيما في مراحلها الأولى، محتويات مختلفة تتنوع بين: التكوين في العلوم المرتبطة بالتربية والجانب البيداغوجي؛ التكوين في مجال الأناشيد؛ الألعاب الخارجية؛ المعامل التربوية، الأعمال اليدوية؛ تقنيات تتبع الطفل (تتبع الحضور، جرد الملابس)، أساسيات التمريض والسلامة، إلخ. ونظرا لكثرة محاورها ومحتوياتها، ونظرا أيضا للمدة الزمنية المبرمجة لها (أسبوع واحد فقط فيما يخص المستوى التحضيري مثلا)، فإنها تظل غير كافية.

لتحقيق نوع من التكامل والتوازن إزاء هذا النقص، تقوم بعض الجمعيات ذات الإمكانيات البشرية بتداريب خاصة بها تحت إشراف وزارة الشباب والرياضة، إذ توفر هذه الأخيرة الفضاءات والدعم المالي وتزود الجمعيات بملفات الشباب الذين سيجري تأطيرهم. يعد تفويض هذه الوظائف إلى التنظيمات الجمعوية في هذه الحالة مظهرا من مظاهر العولمة المؤدي إلى تراجع الدولة عن تدبير القطاعات الاجتماعية وتفويتها لأجزاء من اختصاصاتها لفاعلين مجتمعيين آخرين[421].

بعدما تناولتُ موضوع التكوينات، أتناول فيما يلي كيفية استثمار الشباب لها لتحقيق رهانات مادية تنضاف إلى ما يتم تحصيله من رأسمال ثقافي. فبعد الحصول على صفة إطار تربوي (أي بعد اجتياز امتحان الكفاءة للمستوى التحضيري على الأقل)، تقوم فئة من الشباب بالمساهمة في تأطير المخيمات مقابل تعويض مالي.

في الغالب، لا تكون جمعيات التخييم هي الوجهة المفضلة للشباب، بل شركات القطاع الخاص لكون الدعم المالي الذي تتلقاه الجمعيات يكون موجها إلى حاجيات أخرى لا تتضمن تعويضات الموارد البشرية. غير أن بعض الجمعيات، خاصة تلك التي ترتبط بعلاقات مع

421 ESCAFFRE. Jean-Pierre et LOJKINE. Jean et SUAREZ. Cathy, (2007), "L'état social, mythe et réalités", (56-64), Nouvelles Fondations, Ed Fondation Gabriel Péri, Paris, p. 56.

مؤسسات حزبية، تخصص تعويضات للأطر، لكنها تظل نسبيا متواضعة (في حدود 500 أو 700 درهم).

لأجل ذلك، يتوجه أغلب الشباب الذين يسعون إلى تحقيق هذا الهدف المادي إلى تأطير مخيمات القطاع الخاص لكونها أكثر مردودية من الناحية المالية. ويشار إلى أن هناك تفاوتا على مستوى سقف التعويضات التي تقدمها هذه المؤسسات الخاصة، فمنها من أصبحت معروفة بارتفاع قيمة تعويضاتها مثل القطاع البنكي وبعض المؤسسات الحكومية التي تتوفر على جمعيات وازنة للأعمال الاجتماعية.

هناك بعض الجمعيات التي تنظم شراكتها مع القطاع الخاص بشكل آخر، فقد أشار رئيس "جمعية الازدهار الثقافي" إلى أن الجمعية التي يشرف عليها بمدينة سلا تقوم "بتشغيل موسمي"، إذ تنظم مخيمات صيفية لفائدة أطفال الأحياء المهمشة بدعم من مقاولة وازنة، ويتم التنصيص في عقد الشراكة على الحيثيات المتعلقة بالتعويضات المالية للمؤطرين الشباب.

يفضي الرأسمال الثقافي الذي يراكمه الشباب في هذا الشأن (والمكون من الشهادات المحصل عليها ومختلف التجارب التي تثري ملف السيرة الذاتية للشباب) إلى رأسمال مادي. ففي حال التوفر على شواهد أعلى من المستوى التحضيري، يمكن أن يتقاضى الشاب في القطاع الخاص 5.000 درهم في المرحلة، علما أن كل واحدة منها تتكون من 12 يوما موزعة على العطلة الصيفية، (التي قد تصل مراحلها إلى خمس، إلى حدود بداية شهر شتنبر)، أي ما مجموعه 25.000 درهم خلال العطلة الصيفية برمتها.

يعد مبلغ 25.000 درهم ملائما جدا بالنسبة لشباب من المستويات الاجتماعية الشعبية أو المتوسطة، إذ يمكن أن يساهم في تحقيق حاجياتهم الأولوية ويشبع جزءا من رغباتهم وتفضيلاتهم المتعلقة بممارسات الثقافة الجيلية (الأزياء؛ الأجهزة والخدمات الرقمية، السفر؛ الخ). أما بالنسبة لمديري المخيمات، فقد تصل تعويضاتهم إلى 7000 درهم للمرحلة الواحدة في القطاع الخاص (قد يكون الحد الأدنى هو 3000 أو 3500 درهم)، زيادة على العلاوات في حال نجاح المخيم.

بالإضافة إلى المساهمة في تأطير المخيمات بهذا الشكل الفردي، يفضل شباب آخر تقديم خدمات أخرى في إطار جماعي عبر تأسيس فرق خاصة أو جمعيات تقوم بوظيفة التكوين و/أو التنشيط الثقافي والترفيه (في فن الخط أو الرسم، الخ) بشكل مؤدى عنه، مستفيدين في ذلك من كون عدد كبير من برامج المؤسسات العمومية أصبحت تُنجز عبر التفويت للقطاع الخاص أو للتنظيمات الجمعوية.

خارج إطار المخيمات، يستثمر الشباب ما تم تلقيه في التكوينات السالفة الذكر والمؤطرة من طرف وزارة الشباب والرياضة أو في تكوينات أخرى من أجل إحياء المناسبات الخاصة والترفيه (مثل حفلات أعياد الميلاد، حفلات نهاية السنة الدراسية، إلخ). ويمكن الإشارة إلى أن المساهمة في تأطير عملية التخييم (سواء مع التنظيمات الجمعوية أو مع القطاع الخاص) تكون فرصة للمؤطرين الشباب لتوسيع وتوطيد شبكة علاقاتهم الاجتماعية مع الأطفال ومع أسرهم بهدف اكتساب زبناء جدد من أجل الرفع من قيمة مداخيل إحياء الحفلات الخاصة، أي أن عملية التخييم لها أيضا وظيفة تسويقية (ماركوتينغ ثقافي).

وقد لاحظتُ أن أغلب الشباب الذين يمارسون التنشيط الثقافي (في إطار عملية التخييم أو في إطار الحفلات الخاصة) لديهم علاقة وطيدة بالممارسة المسرحية التي اعتادوا عليها من خلال العمل الجمعوي، لاسيما أن المسرح يشكل أرضية قوية لهؤلاء الشباب من أجل تطوير قدراتهم في فن التنشيط الثقافي وفي تقنيات الترفيه، يعد ذلك أحد العوامل التي تجعل فن المسرح حاضرا بقوة في العمل الجمعوي الثقافي.

ينضاف إلى ذلك، أن الشباب يمكن أن يؤسسوا جمعيات ثقافية بهدف تقديم تكوينات مؤدى عنها موجهة لشباب آخرين يرغبون في تحقيق رهانات مادية من عملية التخييم (في مجال الخط، مجال الأنفوغرافيا لصناعة اللافتات، الأعمال اليدوية، الخ)، وتكون فرصة للمستفيدين من أجل تلقي تكوينات بمبالغ غير مكلفة. فأن يؤدي مثلا شاب مبلغ 50 درهما من أجل التكوين في مجال الخط داخل جمعية ثقافية، خير له من أن يؤدي مبلغا أعلى في مؤسسة خاصة.

تعليقا على ما سبق، يقول رئيس "جمعية العطاء الثقافي": "الكثير من الشباب يشارك في تأطير المخيمات بمنطق الشغل في المقاولة، ويجب الافتخار بكون الجمعيات أصبحت توفر تأطيرا يساهم في عملية التشغيل ولو بشكل موسمي، على غرار اشتغال فئة من الشباب ببرامج محاربة الأمية في إطار العمل الجمعوي بشكل مؤدى عنه".

7-1 رهانات إعداد مشروع الحياة

بالإضافة إلى ما يرمي إليه الشباب من رهانات مادية تتحقق على المدى القريب، فإن عددا منهم (12 فردا من عينة الشباب الفاعل جمعويا) يبتغي بلوغ نمط آخر من الرهانات التي تتجلى في إعداد مشروع الحياة على المدى المتوسط أو البعيد. وقد أفضى تحليل المعطيات المتعلقة بعينة الشباب الفاعل إلى وجود نمطين اثنين لكيفية إعداد مشروع الحياة كما هو موضح في نتائج المبيان أسفله، ويتعلق الأمر ب:

- ❖ دعم المسار الأكاديمي، من خلال الانخراط في العمل الجمعوي الثقافي؛
- ❖ بناء مشروع مستقبلي في المهن الثقافية.

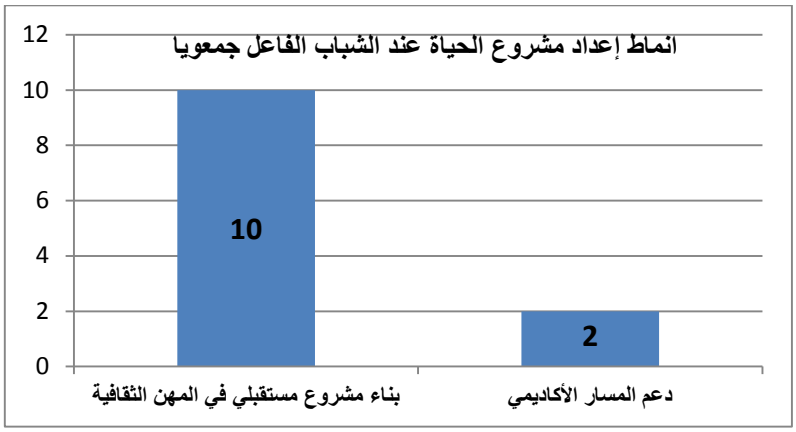

يرتكز النمط الأول المتمثل في دعم المسار الأكاديمي على إثراء المعارف النظرية للشباب في مجال تخصصاتهم الأكاديمية من جهة أولى، وعلى تعميق الرؤية الميدانية في البحوث التطبيقية مع تسهيل مهمة البحث الميداني من جهة ثانية، وقد ورد ذلك عند شابين اثنين. يقول كريم: "من بين الأهداف التي أستفيد منها في العمل الجمعوي أن الجمعية التي أنتمي إليها تقوم بدورات تكوينية في مختلف المجالات، لاسيما في مواضيع التنمية الذاتية،

وهو ما يساعدني في دراساتي الجامعية بحكم أنني أدرس علم النفس الذي يرتبط بهذه التكوينات، دون نسيان أن العمل الجمعوي يساعدني في تطوير قدراتي على مواجهة الجمهور، وهو الأمر الذي أحتاجه كثيرا في مساري الكوميدي والمسرحي".

من جهة أخرى، يخبر رضى أنه حصل على دبلوم تقني متخصص، لكن العمل الجمعوي الثقافي جعله يكتشف ذاته فيما يتعلق بمشروع الحياة وأن توجهاته وطموحاته ترتبط بما هو اجتماعي وثقافي. بناء على ذلك، قام بتغيير مساره الأكاديمي من التخصص التقني إلى التخصص في علم الاجتماع. منذ تلك اللحظة، بدأ هذا الشاب يبني مشروعه في الحياة لكي يصبح أستاذا جامعيا ينتج معرفة علمية في السوسيولوجيا.

يضيف هذا الشاب: "الهدف الأكاديمي الذي أطمح إليه يتطلب معرفة ميدانية بالمجتمع، وهو ما يساعدني فيه العمل الجمعوي بشكل كبير، كما أنه يسهّل عليّ مهمة البحث الميداني من خلال قوة العلاقات الاجتماعية التي طورتها، فباستخدام الهاتف فقط، أصبح بإمكاني تكوين عينات البحث بسهولة، كما أصبحت أجد سهولة أكبر من ذي قبل في ولوج المؤسسات والحصول على المعطيات التي أحتاجها في البحوث الميدانية". وهناك تمثل سائد عند الشباب مفاده أن العمل الجمعوي يمكن أن يساعد في الحصول على عمل، لاسيما حينما يتعلق الأمر بالانخراط في الجمعيات التي تلقب ب"الجمعيات الحزبية".

بالنسبة للنمط الثاني من رهانات إعداد مشروع الحياة، يلاحظ أن أغلب الشباب ينخرطون في المشاريع الجمعوية الثقافية التي تتماشى مع التحضير لمشروعهم المستقبلي في المهن الثقافية. لإبراز ذلك، أسوق تجارب بعض الشباب التي تبدو أكثر تعبيرا. فبالنسبة لمريم التي تقضي فترة تدريبية لاستكمال دراستها الأكاديمية بإحدى الجمعيات رفقة 6 متدربين آخرين (مغاربة وأجانب)، فتقول "هدفي أن أصير أستاذة جامعية في الفنون، لأننا أصبحنا نتوفر في مجال السمعي-البصري l'audiovisuel على التقنيين أكثر من المفكرين والمثقفين، أريد الحصول على دكتوراه في الإدارة الثقافية أو التربية الفنية، وأن يكون تكويني حداثيا يتماشى مع الثقافة الرقمية، ثم أحقق استقرارا مهنيا، كما أريد أيضا أن أصبح مخرجة للأفلام الوثائقية".

بالنسبة إلى حمزة، فقد سبق وأن كان من قبل أستاذا في المعلوميات، لكن رغم توفره على عمل قار، إلا أنه اختار التخلي عنه والتوجه للفن الرقمي. وقد حاول تطوير نفسه بالقيام بتكوينات ذاتية من خلال الانترنت، ويعتزم لاحقا القيام بتكوينات أكاديمية بالخارج. قام هذا الشاب رفقة أصدقائه بتأسيس مقاولة متخصصة في الفنون الرقمية والديكور والتصميم والتواصل وكل ما له علاقة بالفن. في نفس الوقت، فالجمعية التي يشتغل بها تمكنه من تطوير قدراته ورأسماله الاجتماعي في هذا الحقل.

هناك من الشباب من يرى أن تحقيق مستقبله المهني يمكن أن يتحقق من خلال الهجرة إلى الخارج بعد أن يسلك طريق العمل الجمعوي، وهذا ما يؤكده رئيس "جمعية الرواق الثقافي" بالقول إن "هناك من الشباب من ينخرط في الجمعيات التي تشتغل في مجال التواصل وتبادل الوفود الأجنبية فقط من أجل السفر إلى الخارج، وحينذاك يرفض العودة إلى بلده (الهجرة غير الشرعية) أو يبحث عن عقد عمل خلال فترة الإقامة هناك.

لذلك، تحرص الجمعية في اقتراحها للشباب الذين سيتم إرسالهم في إطار بعثات دولية على تشديد المعايير الواجب توفرها فيهم (مثل المعرفة الجيدة بهم، بمستوى انخراطهم، بفاعليتهم، بالتزامهم وبقيمهم). تقوم الجمعية أيضا بتكوينات للشباب من أجل تأهيلهم لولوج سوق الشغل (مثل كيفية كتابة السيرة الذاتية، رسالة التحفيز، التواصل مع الرؤساء في العمل)".

لقد أصبح رهان الهجرة إلى الخارج هاجسا يسكن شرائح عريضة من الشباب، شرائح يتسع حجمها بشكل متزايد مع تقدم السنوات، وهو ما تؤكده العديد من الدراسات الميدانية، فقد ورد في كتاب "سوسيولوجيا الحياة اليومية، الرمزي أفقا للتفكير" للسوسيولوجي عبد الرحيم العطري أن 96% من عينة بحثية همت شباب منطقة بني ملال يؤكدون أنهم سيلجأون إلى الهجرة السرية مهما كانت الطريقة ومهما كان الثمن، أسوة بأقرانهم الذين

يأتون صيفا بالسيارات الفارهة، ما يؤكد بالنسبة لهم أن عسل الضفة الأخرى يستحق اللعب بالنار عبر ركوب قوارب الموت[422].

تتعدد الأسباب التي تدفع الشباب إلى الهجرة، لكن يمكن القول أن أبرزها يتمثل في نتائج سياسات الترميق والتنمية المعطوبة التي توصل الشباب وغيرهم إلى درجات عليا من اليأس، وهي ذات العوامل التي تقف وراء تفضيل "عسل الآخر" على "قطران الوطن"، وتجعل المرء راغبا في الهجرة ولو بأقسى الوسائل، فأمام غياب فرص العمل والاندماج السوي في الحياة الاجتماعية وبسبب ضعف آليات التأطير الثقافي والسياسي الذي يمكن أن تلعبه هيآت المجتمع المدني وأيضا بسبب الصورة النمطية الباذخة التي تروج عن الضفة الأخرى، فآل الجنوب يرون في الالتحاق بذلك ال"هناك" الخلاص والحل النهائي لجميع مشاكلهم[423].

إن هذه التمثلات حول الهجرة إلى واقع آخر لا تخص فئة الشباب وحدهم، بل أصبحت تُستبطن حتى لدى الأطفال أيضا، وهو ما تطرق إليه الباحث في شؤون الهجرة محمد خشاني من خلال دراسة لعينة بحثية أفادت أن طفلا من بين خمسة أطفال يحملون فكرة الهجرة إلى الخارج[424].

وفي حقل الفن التشكيلي، تُبرز تجربة "جمعية أجيال الثقافة" كيف أن فنانين في بداية مسارهم في الحياة استطاعوا أن يحققوا رساميل مادية ورمزية من خلال المعارض الفنية. يقول رئيس الجمعية أن من بين آليات تأهيل الشباب الذي لم يحقق بعد حضورا في مشهد الفن التشكيلي إقامة معارض جماعية لهم بشكل مجاني من خلال شراكات مع بعض المؤسسات الثقافية. ومن شأن هذه الآلية من التأهيل أن تعطيهم دفعة قوية في مسارهم الفني، حيث يتمكنون من بيع لوحاتهم دون أداء أي رسوم (بخلاف أداء ربع ثمن البيع عند إقامة المعرض في قاعات القطاع الخاص)، كما يتمكنون من مراكمة رأسمال رمزي يتمثل في

422 العطري. عبد الرحيم، (2018)، سوسيولوجيا الحياة اليومية، الرمزي أفقا للتفكير، دفاتر العلوم الإنسانية، الرباط. ص. 176.

423 المرجع نفسه، ص. 177.

424 KHACHANI. Mohamed, (Juin/Juillet 2005), « Les jeunes et la migration », (62-70), in : Les Cahiers du Plan, N°3, Haut Commissariat au Plan, Rabat, p. 62.

التعريف بانفسهم في الاوساط الفنية؛ إغناء ملف السيرة الذاتية؛ التمرس بتقنيات تسويق المنتوج ومنطقيات الحقل، وتوسيع شبكة العلاقات مع الزبناء وباقي الفاعلين في الحقل خلال فترة المعرض.

من بين الرهانات المرتبطة بإعداد المشروع المهني هناك رهانات لم تكن قصدية بشكل مسبق، لكنها أصبحت كذلك مع تطور الممارسة الجمعوية. وهنا، أستحضر نموذج سمير وهو شاعر زجال ولج الحقل الثقافي كهواية وأصبح يلقي قصائد خلال الملتقيات الشعرية، لكنه طوّر كفاءة أخرى تتمثل في تنشيط الأمسيات الشعرية، وبتراكم تجاربه أصبح يفكر في استثمار ذلك لبناء مشروعه المهني بهدف العمل في الإعلام الثقافي في إحدى القنوات الإذاعية أو التلفزية، لاسيما أنه لا يشعر بالرضى الوظيفي في مهنته الحالية كتقني في المعلوميات.

لأجل ذلك، قام هذا الشاب بالموازاة مع عمله الحالي بالانخراط في الدراسة الجامعية لتحضير شهادة الإجازة في علم الاجتماع كمرحلة أولى، وقد عبّر عن إيمانه أن الشهادات في هذا التخصص سترفع من حظوظه في تحقيق هذا المبتغى، سواء على مستوى ملف السيرة الذاتية أو على مستوى الرصيد الفكري الشخصي. ويحيل هذا التنافس من أجل الظفر بالشهادات إلى مواقف السوسيولوجي الفرنسي فرانسوا دوبي، الذي يرى أنه عندما تعتبر الدولة الشهادات والدبلومات محددا أساسيا للوضع الاجتماعي تكون التفاوتات المدرسية ذات دور اجتماعي مهم في مستقبل الأفراد، مما يجعل الآباء يستثمرون بشكل قوي في تعليم أبنائهم.

في هذا الإطار، يقدم دوبي تصورا جديدا لإعادة الإنتاج يطور نظرية بيير بورديو، على أساس أن هذه العملية لا تتم فقط على مستوى الأفراد والعائلات من خلال وراثة

الهابيتوس، بل تتعلق أيضا بترتيبات مؤسساتية من بينها تلك التي تخلق تفاوتات مدرسية وتُنتج أوضاعا معينة عبر سلطة الدبلومات التعليمية[425].

2- الرهانات الهوياتية

2-1 تحقيق الاستقلالية عن الأسرة

من أهم الرهانات التي توطد ارتباط الشباب بالممارسات الثقافية الجمعوية تلك التي تتعلق بإشكاليات الهوية وما يرتبط بديناميات الذات للفاعلة. ولعل هذه الحركية لا تأتي من فراغ، بل إنها نتيجة لمجموعة من العوامل والتوترات الداخلية والخارجية التي تدفع الشباب إلى التفاعل معها، ومن بينها: ما ارتبط بالعلاقة مع الأسرة؛ بالبحث عن الهوية الثقافية؛ بالبحث عن التميز والاعتراف؛ بمعالجة نقائص أو عقد نفسية، الخ.

تحتل العلاقة مع الأسرة موقعا هاما جدا في رهانات الشباب، إذ تشكل الممارسات الجمعوية والثقافية فرصة لتحقيق الاستقلالية عن الأسرة وتحقيق الاعتراف بالذات. تظل هذه الاستقلالية نسبية حسب الوسط الاجتماعي وحسب المحددات الثقافية للوالدين ونمط التربية المعتمد (نمط الحرية وثقافة الحوار؛ أو نمط التسلط والقهر؛ أو التوسط بينهما)، وهو ما يؤثر بشكل جلي على أفعال وردود أفعال الشباب. يبدو أن رهان الاستقلالية عن الأسرة أصبح مطلبا متزايدا لدى الشباب، لكن ذلك لا يعني فك الارتباط بشكل نهائي، بل الحفاظ على مسافة معينة تضمن تحقيق قدر من الحرية مع الحفاظ على رابطة اجتماعية عاطفية تجاه الأسرة، وهو نفس الفعل التفاوضي - المتعلق بهذه المسافة- الذي يلاحظ لدى كثير من شباب دول أوربية مع وجود اختلافات في السياقات والظروف[426].

في جميع هذه الأنماط المرتبطة بالعلاقة مع الاسرة، تدفع قيمة الحرية فئة الشباب إلى الرغبة في اكتشاف العوالم الاجتماعية لما بعد الأسرة، خاصة أن هذه المرحلة تشكل نقطة

425 DUBET. François, DURU-BELLAT. Marie et VERETOUT. Antoine, (2010), « Les inégalités scolaires entre l'amont et l'aval, organisation scolaire et emprise des diplômes », (177-197), revue Sociologie, Presses Universitaires de France, Vol. 1, Paris, p. 187.

426 QUENIART. Anne, (2004), « Regards de jeunes pères sur la famille et la paternité », (112-130), in: Les valeurs des jeunes, sous la direction de Gilles PRONOVOST et Chantal ROYER, Presses de l'Université du Québec, Sainte-Foy, p. 119.

عبور بين مرحلتين، مرحلة المراهقة وما تتضمنه من تغيرات وأزمات نفسية ثم مرحلة ما يسمى بالدخول في الحياة المتميزة ببناء أكبر لمشروع الحياة، وهي بدورها تعد معبرا لمراحل أخرى من البحث عن الذات وتحقيقها.

يعد العمل الجمعوي الثقافي احد المسارات التي ينهجها الشباب أثناء بحثهم عن تحقيق التوازن بين صراع الأجيال الذي يسم علاقتهم بالأسرة وبين طموحهم لتحقيق هذه الاستقلالية، حيث يتيح العمل الجمعوي مجموعة من الايجابيات بالنسبة إليهم. فهو من جهة، يحظى بالشرعية من طرف الأسر التي لا تعارض انخراط أبنائها فيه، ومن جهة أخرى يستفيد الشباب عبر هذه الشرعية من الانفراجات والحريات التي تسمح بها الأنشطة الجمعوية خارج فضاء الأسرة، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في أجوبة عدد من الشباب الفاعل جمعويا:

بالنسبة إلى عماد، يسمح التعرف إلى أصدقاء جدد في إطار العمل الجمعوي الثقافي بالقيام بخرجات وأسفار، وبما أنها مؤطرة من طرف تنظيم جماعي، فإنها توفر الحماية التي تطمئن الأسرة وتحد من تخوفاتها أثناء الخرجات. من مميزات هذه الأخيرة أيضا، أنها تسمح بالاستماع بأجواء مختلفة مقارنة مع الخرجات الأسرية، وقد بينت بعض الأدبيات حول العمل الجمعوي أن الرغبة في إقامة علاقات اجتماعية جديدة تزداد بشكل أكبر حينما يسود التوتر والاستياء في المجموعات المرجعية الأساسية، خاصة الأسرة ومحيط العمل[427].

بالنسبة للعنصر النسوي، فالتحرر من سلطة الأسرة عبر العمل الجمعوي الثقافي يعد في حد ذاته رهانا وازنا في نموذج العلاقة المبنية على السلطة عوض ثقافة الحوار، رغم أن هذه الحاجة الملحّة قد لا تطرح بالنسبة لفتيات أخريات تستفدن من حرية أكبر. تقول سارة[428]: "العمل الجمعوي يسمح لي بالتحرر بشكل كبير من الملل بسبب كثرة البقاء في المنزل وضغوطات الأشغال المنزلية، خاصة أنني لا أتوفر على مهنة، كما يسمح لي هذا النشاط بالابتعاد عن الأجواء الأسرية التي غالبا ما تكون مشحونة".

427 DUCLOS. HAVARD. Bénédicte et NICOURD. Sandrine, (2005), Pourquoi s'engager ? Bénévoles et militants dans les associations de solidarité, Payot, Paris, p. 113.

428 سارة هي شابة من مدينة سلا، تبلغ من العمر 21 سنة، حاصلة على مستوى الباكالوريا، تشتغل في ميدان تنشيط حفلات الأطفال. تمارس المسرح مع جمعية موجهة للشباب وللتنشيط التربوي للأطفال.

يُطرح مشكل التوتر الأسري بشكل أكثر حدة في الأحياء الشعبية حيث تتصف أغلب البيوت بضيق المساحات والاكتظاظ، وحيث الكثير من الشابات لا تتوفرن على غرف مستقلة تسمح بالقيام بممارسات ثقافية بعيدا عن المشاحنات الأسرية، وهو ما يجعل من الإطار الجمعوي منفذا مناسبا. عن هذه الوضعية، يشير السوسيولوجي محمد راضي في مقال له حول الإقصاء الاجتماعي والعنف لدى الشباب أن هذه الهشاشة المرتبطة بظروف السكن تؤدي إلى عدم الارتياح النفسي، ومن شأنها أن تشجع على العنف بمختلف أشكاله بما في ذلك الانحراف المؤدي للجريمة[429].

2-2 البحث عن التميز ونيل الاعتراف وتقدير الذات

من جملة الرهانات الفردية التي يصبو إليها الشباب الجمعوي البحث عن التميز والاعتراف وتقدير الذات، ويبدو لي أنه من المفيد التمييز بين هذه الأفعال الثلاث وبين تحديداتها:

- ❖ يتخذ رهان التميز la distinction أولوية في مرحلة الشباب بحكم أنها فترة الدخول في الحياة والمرور إلى عالم الكبار. ويسعى الشباب إلى إبراز الذات عبر التميز من خلال مظاهر شتى، تختلف بين فعل اجتماعي يهم الشكل وآخر يمس الجوهر. بهذا، يمكن اعتبار أن مظاهر إبراز الذات تؤدي وظيفة اجتماعية في ثقافة الشباب، ألا وهي تجسيد جانب من طقوس المرور وجذب انتباه الآخر، حيث يسعى الشباب إلى الشعور أن مكانتهم أصبحت أكثر تميزا وأن دورهم أصبح أكثر فاعلية، وهو ما يوفر لهم إحساسا بالنضج الاجتماعي وبجزء من الاستقلالية.
- ❖ أما نيل الاعتراف من الآخر la reconnaissance، فهو النتيجة التي تتحقق بفعل إبراز الذات، وبالأخص حينما يتم هذا التميز عبر فعل اجتماعي مؤثر وملموس. يمكن أن يتنوع هذا الفعل بين: الأسرة كمجموعة أولية؛ أو الجمعية كمجموعة مرجعية؛ أو الأقران في الحي أو المدرسة أو مستويات أخرى من المحيط الاجتماعي أوسع نطاقا. لكن في كثير من الأحيان، يكون المستهدف الأكبر من البحث عن

429 راضي. محمد، (2016)، "الإقصاء الاجتماعي والعنف لدى الشباب"، (88-96)، في: السياحة بصيغة الجمع: من الثقافة إلى التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد مزدوج 3-4، تازة، ص. 92.

الاعتراف هو الأسرة، لاسيما حينما تكون هذه العلاقة مبنية على السلطوية وتقزيم دور ومكانة الأبناء.

- ❖ تقدير الذات l'estime de soi: إذا كان إبراز الذات ونيل الاعتراف يحيل على بعد اجتماعي يفترض وجود علاقة بالآخر، فإن تقدير الذات يحيل بالأساس على بعد فردي مرتبط بالحياة النفسية، أي علاقة الشاب بذاته. رغم ذلك، فإن هذا البعد النفسي لا يمكن فصله عن البعد الاجتماعي، حيث أن العلاقة تظل جدلية بين المستويين الاجتماعي والفردي.

بالإضافة إلى تقديم المساعدات المادية للأسرة، يشكل النجاح الاجتماعي والرمزي الذي يحققه الشباب عبر الممارسات الجمعوية والثقافية أهم فعل لإبراز الذات والبحث عن الاعتراف بأشكال شتى. فمن الناحية المادية، يوجّه 8 أفراد من الشباب الفاعل جمعويا قسطا من مداخيلهم المادية - سواء تلك التي يحصلون عليها عن طريق الممارسات الجمعوية الثقافية أو عن طريق مهنهم- لمساعدة عائلاتهم، وهو ما يساعدهم على نيل الاعتراف الأسري، ومنهم من يعتبر ذلك أولوية، والمثال على ذلك ما قاله سعيد[430]: "أعطي من ميزانيتي لأسرتي أولا، والباقي أبقيه لنفسي". نفس الشيء عبّرت عنه زينب قائلة: "أعطي جزءا من مالي لأبي لأخواتي لأنهن عاطلات عن العمل، أعيش بالبركة والقناعة نظرا لمحدودية الدخل".

تعبر هذه النماذج عن حضور حس التضامن العائلي والشعور بالمسؤولية الاجتماعية تجاه الأسرة لدى فئة الشباب الجمعوي، وهي قيمة اجتماعية أصبحت مطلوبة في ظل تنامي مظاهر التفكك العائلي المرافقة لانتشار الثقافة المادية لليبرالية الجديدة، وهو التفكك أصبح يشكل قلقا بخصوص الاستقرار الاجتماعي في مختلف المجتمعات[431].

أما بالنسبة لباقي أعضاء العينة، فقد عبّر أغلبهم أنهم يعتمدون على أنفسهم في تلبية حاجياتهم المادية، ويحاولون تدبير ميزانياتهم بشكل عقلاني ومنظّم من أجل عدم إرهاق

---

[430] سعيد هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 25 سنة، حاصل على مستوى الباكالوريا، ينشط في المسرح في جمعية متعددة التوجهات.

431 BOISARD. Pierre, (2008), "La cohésion sociale à l'ère de la mondialisation", (1225-1231), in : Droit social, n° spécial, 12, Librairie technique et économique, Paris, p.1227.

الأسرة بمصاريفهم وإبراز نضجهم الاجتماعي، وخير تعبير عن ذلك ما عبّر عنه كريم حين قال:"من مظاهر الحرية ما يتجلى في الاستقلال المادي، مثلا لو كنت تطلب من والديك خمسين درهما وأصبحت تطلب فقط عشرة دراهم فقد أصبحت تحقق استقلاليتك، إلى أن تصبح مستقلا ماديا بشكل تام".

لا يحقق هؤلاء الشباب الاعتراف الاجتماعي عن طريق الجانب المادي فحسب، بل أيضا عن طريق النجاح في الفعل الثقافي، لاسيما أن الكثير منهم يمارسه فعلا بطابع جماهيري يجذب الأضواء الإعلامية (المسرح، الموسيقى، السينما، فنون الشارع)، وهو ما يمنح رأسمالا رمزيا وسط المحيط الاجتماعي. يأخذ تحقيق الاعتراف قيمة أكبر لدى الشباب الذين وجدوا معارضة من طرف أسرهم (أو صعوبات في الحقل الثقافي) ثم تقبلت الأسرة الواقع الجديد أو ربما أصبحت تتفاخر به بعد تحقيق الشباب لهذا النمط من الانتشار الاجتماعي.

مثلما هو معلوم، فالتطلع إلى الشهرة أصبح من أهم السمات المعبرة عن النجاح الاجتماعي، ليس فقط في ثقافة الشباب بشكل خاص، بل في الحياة المجتمعية المعاصرة بشكل عام. وقد أصبح الحصول على صفة "فنان" مكانة اجتماعية يرغب في تحقيقها آلاف الشباب، ومن لم يتمكن منهم من بلوغ الشهرة عبر الفن أصبح يسعى إليها عبر صناعة المحتويات في وسائل التواصل الاجتماعي وعبر خلق ما يسمى "البوز". هكذا، أُدمجت في اللغة المعاصرة مفردات مستحدثة néologismes تعبّر عن وظائف سوسيوثقافية جديدة من قبيل "المؤثرين" les influenceurs وصنّاع المحتوى في موقع الفيديوهات يوتيوب "اليوتيوبرز"youtubers. إن هذا الفعل الثقافي الرقمي يقود إلى إنتاج جمهور بخاصية جديدة تتمثل في كونه مستهلكا رقميا ومنتجا على السواء[432].

يعد إدغار موران من أبرز السوسيولوجيين الذين تناولوا موضوع الثقافة الجماهيرية حيث اعتبر أن النظام الصناعي خاضع لقاعدة الإنتاج الجماهيري الموجه إلى الاستهلاك الأقصى، وبالتالي فإن قطاعات الثقافة الصناعية الأكثر تركيزا تسعى إلى جمهور عالمي.

432 الزيدي. منجي، (2016)، جماهير الثقافة: مداخل نظرية لدراسة الثقافة الجماهيرية، دار سحر للنشر، تونس، ص. 253.

ويفضي البحث عن الجمهور الكبير إلى البحث عن القواسم المشتركة، وتعتمد الصناعة الثقافية على توسيع الاختيار والشمولية، ففي نفس المنتوج توجد الروحانيات والماديات والجد والهزل والألعاب والسياسة والفكاهة والأسفار وأسرار الحياة الخاصة للنجوم. فالتنوع يهدف إلى الاستهلاك الأقصى، وهو تنوع متجانس ومنظم وممنهج systématisé[433].

هناك أيضا سعي إلى تحقيق التجانس بين الأعمار وذلك بالتركيز على المضامين الشبابية، والتجانس بين الشرائح الاجتماعية حيث تصبح الثقافة الجماهيرية الساحة الكبيرة للتواصل بين الطبقات الاجتماعية. وبالرغم من الاختلاف في المطالب والتطلعات بين مختلف المنتمين لهذه المستويات الاجتماعية، إلا أنه من أهم ما يوحدهم هو طبيعة القيم الاستهلاكية، وهي القيم المشتركة التي تنقلها وسائل الإعلام الجماهيرية. من هنا تبرز الخاصية السياسية للثقافة الجماهيرية التي تتمثل في السعي إلى إزالة الفوارق الاجتماعية والثقافية والعمرية والجنسية بهدف تنميط الأذواق والاهتمامات وإضعاف الفوارق بين الثقافات الوطنية لصالح ثقافة عالمية. في هذا السياق، تعمل الثقافة الجماهيرية على تشكيل الإنسان المتوسط، وهو الإنسان العالمي الذي تتناسب معه لغة الوسائل السمعية البصرية، المتمثلة في لغة ذات أبعاد رباعية: الصورة والصوت، والموسيقى والكتابة[434].

من بين ما بنى عليه موران أفكاره قولة الكاتب والمسرحي النمساوي روبرت موسيل Robert MUSIL: "ألم تلاحظوا أن صحفيينا أضحوا الأفضل وأن كتّابنا صاروا الأسوء"، ليؤكد أن الارتقاء النوعي لأنماط الثقافة لم يعد يستجيب للمعايير الارستقراطية التي يتعارض فيها الكيف مع الكم، وإنما صار مترتبا عن الكم نفسه. "الاتجاه المتوسط" هو الذي ينجح لأنه يبسّط ويسعى إلى التجانس والتسطيح[435]، وهو ما يمكن وصفه بالشعبوية.

433 الزيدي. منجي، (2016)، جماهير الثقافة: مداخل نظرية لدراسة الثقافة الجماهيرية، دار سحر للنشر، تونس، ص. 117

434 المرجع نفسه، ص. 118.

435 المرجع نفسه، ص. 119.

3-2 البحث عن التميز من خلال المظهر والأزياء

تسبح ثقافة الشباب، على غرار باقي الثقافات، في شبكة من الرموز على حد تعبير الأنثروبولوجي الأمريكي كليفورد جيرتز Clifford GEERTZ. يستثمر الشباب سجلات الرموز بشكل كثيف، وفي هذا الإطار تبرز دقة التعبير الذي استخدمه السوسيولوجي عبد الرحيم العطري حينما تحدث عن "انهمام" المجتمع بالرمزي، حيث يقول إن المنظومات الرمزية تتحدد كبنية لإنتاج الاجتماعي، و كآليات لإعادة إنتاجه وبنائه من جديد، كما تتحدد كأدوات للهيمنة وتكريس الوجاهة والتفاوت، ما يبرر السعي الحثيث الذي يبديه مالكو وسائل الإنتاج والإكراه من أجل "امتلاك" الحقل الرمزي وتدبير معطياته وعوائده. ولهذا يمكن القول إن الإنسان هو كائن رمزي بالضرورة، فالرموز والطقوس تحديدا تشكل أسّ التفاعلات الاجتماعية للأفراد والجماعات، بل إن تاريخ الإنسان وفي مختلف المجتمعات هو تاريخ رموزه وإشاراته ومعانيه، كما أن المجتمع يرتكن إلى التعبيرات الرمزية والرامزة أكثر مما يستند إلى أخرى مادية وبالضبط في سجلات "اليومي"[436].

من بين ما أسفرت عنه الملاحظة المباشرة التي قمتُ بها خلال حضوري للأنشطة الثقافية المنظمة من طرف الجمعيات، تركيز فئة الشباب على استثمار الجسد كإحدى لإبراز الذات والبحث عن التميز، وقد تجلى ذلك في ممارسات الأزياء les pratiques vestimentaires وباقي أشكال الاهتمام بالمظهر الخارجي من تسريحات الشعر والإكسسوارات وكتابة على الجسد بالوشم، الخ. ومن المفيد الإشارة إلى أن هناك فرقا بين مصطلحي اللباس والزي، فمصطلح "اللباس" يحمل مدلولا محايدا في اللغة، أما مصطلح "الزي" فيحيل على التوظيف الثقافي والاجتماعي للباس، حيث يمكن استخدامه في وظيفة الصراع الإديولوجي أو وظيفة التمويه، الخ[437].

436 العطري. عبد الرحيم، (2018)، سوسيولوجيا الحياة اليومية، الرمزي أفقا للتفكير، دفاتر العلوم الإنسانية، الرباط، ص. 11.

437 كموني. هشام، "اللباس بوصفه خطابا وتمويها اجتماعيا"، (2019)، (63-69)، في: الجسد من المتعة إلى الاحتجاج، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، تازة، ص. 67.

في هذا الإطار يغدو اللباس خطابا اجتماعيا مثلما تحدث عن ذلك رولان بارت حين قال إن اللباس هو لغة يتكلمها الناس جمعيا وفي نفس الوقت لا يعرفونها جميعا[438]. وحيث أن شباب الجمعيات الثقافية هو شباب غير متجانس من حيث المرجعيات الثقافية، وحيث أنه يركز على البعد الثقافي بحكم طبيعة اهتماماته، فقد لاحظتُ أن هناك توجهات متنوعة فيما يخص أنماط التعبير بالمظهر الخارجي. وهنا يحضر معنى قوي في ثقافة الشباب وهو "الستيل" أي "الأسلوب أو النمط"، ويتفرع منه "اللوك" أي "المظهر الخارجي"، ولا يقتصر ذلك على الجانب الشكلي، بل إنه يعبر عن نمط للعيش وطريقة في التفكير.

وقد شكّل هذا التواصل غير اللفظي ثيمة مفضلة لدى بعض الاتجاهات السوسيولوجية، نذكر من بينها مدرسة التفاعل الرمزي الأمريكية، خاصة مع ايرفين جوفمان Ervin Goffman، كما اشتغل عليها سوسيولوجيون وأنثروبولوجيون آخرون من أمثال السوسيولوجي الفرنسي دافيد لوبروتون David Le Breton، دون نسيان الأنثروبولوجي الفرنسي مارسيل موس Marcel Mauss الذي اشتهر بأبحاثه حول الاستخدامات الاجتماعية والثقافية للجسد.

جدير بالتذكير أن مفهوم "أسلوب الحياة" أو "نمط الحياة" « The way of life » or « the style of life »، هو من أهم المداخل التي اعتمدها السوسيولوجيون في دراسة المجتمع الأمريكي، وهو أيضا من أبرز المواضيع التي يراهن عليها السياسيون والاقتصاديون في الولايات المتحدة من أجل المحافظة على التوازنات السياسية والاقتصادية، فأسلوب الحياة الأمريكية القائمة على الثقافة الاستهلاكية هو خط أحمر لا يمكن المساس به.

من بين مظاهر التنوع الثقافي التي تعبر عنها "ستيلات" شباب الجمعيات الثقافية، وجود النمط الشبابي الذي يمكن نعته ب"اللانمطي" أو "العادي" الذي لا يعبر عن أسلوب بذاته، بالإضافة إلى وجود أنماط أخرى مميزة مثل نمط "الهارد روك"، نمط "الهيب هوب"، نمط "الريكي" Reggae. وقد تحضر هذه الأنماط عند مجمل شباب جمعية ما إذا

438 كموني. هشام، "اللباس بوصفه خطابا وتمويها اجتماعيا"، (2019)، (63-69)، في: الجسد من المتعة إلى الاحتجاج، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، تازة، ص. 64

كانت مهتمة بشكل خاص بثقافة موسيقية خاصة، مثلما قد يكون ذلك مقتصرا على فرد أو أفراد معينين داخل الجمعية.

من خلال هذه الأنماط وغيرها، يبحث هؤلاء الشباب عن التميز وعن التماهي مع مجموعات ثقافية خاصة، مرسلين بذلك خطابات رمزية مفادها التعبير عن هويات وقيم معينة. ومثلما أن الطرف المستهدف من هذه الخطابات قد يكون من عناصر المحيط الاجتماعي القريب، فقد يكون أيضا مجردا ولم يتم التواصل معه. هنا، تبرز الوظيفة الاجتماعية لإعلان هذه الرموز الثقافية، فهي مولدة للاندماج الاجتماعي وخالقة لعلاقات اجتماعية جديدة بين الأفراد الذين يشتركون في نفس الأسلوب الثقافي.

من مظاهر خلق هذا الاندماج الاجتماعي أنه يكفي إلقاء نظرة على الشخص للإحساس بوجود رابط مشترك معه، وقد تكون إحدى العلامات الاجتماعية un marqueur social أو رموز الأزياء سببا في انطلاق محادثة بين شخصين تتطور على إثرها علاقة صداقة، هذا ما يحدث في كثير من الحالات لدى المنخرطين الجدد في الجمعيات، حيث أن انخراط عدد كبير منهم يتم في بادئ الأمر بطريقة غير قصدية (بالصدفة مثلا أو من خلال مرافقة شخص آخر إلى أنشطة الجمعية). ومن المظاهر الأخرى التي لاحظتُها في البحث الميداني والتي تعبر عن هذا الاندماج الثقافي أن هناك شبابا جمعويا "متدينا" لا يظهر بنمط المحافظة، بل ينصهر وسط باقي الأنماط الشبابية.

تسمح ممارسات الأزياء والمظهر الخارجي على السواء بالاختلاف والتميز من جهة، وبالامتثال la conformité من جهة أخرى. إذ أن الاختلاف قد يكون موجها نحو العناصر المنتمية إلى فئات عمرية أخرى (الأسرة، الأساتذة، الخ) وإلى الشباب المنتمين إلى نمط ثقافي مختلف. أما الامتثال فيكون تجاه النظراء من نفس الأسلوب الثقافي، علما أن هناك معايير إستطيقية متعارف عليها وسط الجماعة المرجعية التي يتم الانتماء إليها والمقارنة بها. رغم ذلك، فهذا الامتثال لا ينبغي أن يكون مطلقا، فمن المطلوب أن تكون هناك لمسة ذاتية تخلق التميز في إطار الامتثال والوحدة.

حينما نتحدث عن الامتثال للمعايير الثقافية، فإننا نتحدث عن الوصم la stigmatisation كاستبعاد اجتماعي في حالة مخالفة هذا الامتثال. ويمكن تعريف الوصم على أنه خاصية إطلاق أو إلصاق مسميات غير مرغوب فيها بالفرد من جانب الآخرين على نحو يحرمه من التقبل الاجتماعي أو تأييد المجتمع له، لأنه شخص مختلف عن بقية الأشخاص في المجتمع، ويكمن هذا الاختلاف في خاصية من خصائصه الجسمية أو العقلية أو النفسية أو الاجتماعية التي تجعله مغتربا عن المجتمع الذي يعيش فيه، ومرفوضا منه، مما يجعله يشعر بنقص التوازن النفسي والاجتماعي، ويعرّف إيرفين غوفمان Erving Goffman الوصم في كتابه Stigma أنه وصف يشوّه أو يخزي الإنسان بشكل عميق[439].

أضحى ملحوظا أن الفئات العمرية الأخرى من المجتمع المغربي أصبحت تتقبل ثقافة الشباب وتخفف من حدة الوصم الذي كانت تبديه في العقود السابقة . ومع هذا التنوع الثقافي، أصبح الوصم حاضرا أيضا في ثقافة الشباب فيما بينهم، حينما يُوجه نحو الأفراد الذين لا يسايرون هذه الثقافة الفرعية، ويجدون أنفسهم مطالبين بمسايرة الموضة وديناميكاتها من أجل ضمان الانتماء إلى هذه الثقافة واكتساب صفة "ولد الوقت أو بنت الوقت".

تجلى هذا الأمر في إجابات الشباب حول السؤال المتعلق بنفقاتهم، إذ عبّر أغلبهم عن تخصيص جزء من نفقاتهم المالية لاقتناء الأزياء، ومنهم من أكد على ضرورة تخصيص مبالغ مالية من أجل الاعتناء بمظهرهم الخارجي، وهو ما ورد في إجابة رضى حين قال: "هناك جانب متعلق بحياتي الشخصية في نفقاتي، مثل الحفاظ على الأناقة ومصاريف الخرجات مع الأصدقاء، إذ لابد أن يظهر الشاب بمظهر أنيق".

4-2 رهانات الجنسانية

إن اهتمام الشباب بخطاب الجسد لا يقتصر فقط على البعد التعبيري للهوية الفردية، بل يتجاوزه إلى رهان آخر مرتبط بالجنسانية. ففي ثقافة الشباب، وبما أن أسلوب الأزياء يعد تعبيرا عن نمط التفكير، فقد أصبح المظهر الخارجي من أهم المعايير المعتمدة في جذب

439 الذهبي. حمزة، (2020)، "النظريات السوسيولوجية المفسرة للجريمة"، (225-232)، في: المجتمع المدني والتنمية، أسئلة ومقاربات متقاطعة، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، تازة، ص. 230.

الجنس الآخر. وعليه، فالعمل الجمعوي كفضاء اجتماعي مختلط، يحفز الشباب من الجنسين بشكل لاشعوري على التميز وإبراز الذات، لاسيما حينما يكون التواصل متكررا بين الجنسين نتيجة الحضور الفاعل إلى الجمعية، وهو ما يعتبر فرصة سانحة لخلق الانجذاب العاطفي وإقامة علاقات غرامية.

قد تحضر الرغبة في إقامة هذا النوع من العلاقات الاجتماعية ضمن رهانات الشباب قبل الولوج إلى التنظيمات الجمعوية أو بعد الانخراط فيها. ومن الشباب من يوظف العمل الجمعوي كإطار مناسب للبحث عن شريك في الحياة الزوجية، خاصة لدى فئة الإناث، وذلك تحت تأثير ضغوطات الثقافة المجتمعية التقليدية، التي ترى أن النجاح الاجتماعي للمرأة لا يتأتى إلا من خلال إقامة علاقة زوجية، بل ربما عبر "إيجاد" هذا الزوج و"الحصول" عليه كما لو كان الأمر يتعلق "بغنيمة". وفي حال عدم تحقق هذا الأمر، يمكن أن تتعرض المرأة للوصم والشتم بوضعية عنوستها خاصة أثناء حدوث نزاع مع نساء أخريات.

بالنسبة إلى فئات أخرى من الشباب والتي لم تصل بعد إلى الوضع الاجتماعي الذي يشكل فيه الزواج أولوية بالنسبة إليها، فالعلاقات الغرامية تعد شكلا من أشكال الترفيه والمؤانسة، وهو ما عبّر عنه رئيس "جمعية الازدهار الثقافي" حين قال: "هناك من الشباب من يقصد الجمعية فقط بهدف قضاء الوقت مع الجنس الآخر، فعوض أن يذهب الشاب مع رفيقته هنا قرب ساحل البحر، وقد يتعرض لمداهمة رجال الشرطة ونظرات المجتمع، فإنه يفضل أن يقضي الوقت مع شريكته في فضاء جمعوي يقام فيه نشاط ثقافي، لاسيما حينما يتعلق الأمر بأنشطة ذات طابع ترفيهي مثل الموسيقى. بل إن هناك من الجمعيات من تتعمد القيام بأنشطة ثقافية معينة وفي فضاءات معينة بهدف جذب هذه الفئة من الشباب حتى تظهر الجمعية من خلال التغطية الفوتوغرافية أنها ناجحة وأنها تحقق جذبا للشباب، فتستفيد من التمويل المادي".

يؤكد هذا القول مسؤول جمعوي آخر، وهو رئيس "جمعية التنوير" الذي يقول أنه: "في كثير من الجمعيات، عدد مهم من الشباب يأتي فقط للتسلية وليلتقي بالأصدقاء وبالجنس الآخر". ومثلما أن الوصم قد يطال الشباب الذين لا يسايرون الموضة الشبابية على مستوى

ممارسة الأزياء، فقد يطال أيضا الشباب الذين لا يقيمون علاقات غرامية مع الجنس الآخر، فأن يكون للشاب أو الشابة شريك من الجنس الآخر هو أيضا من معايير النجاح الاجتماعي في ثقافة الشباب.

5-2 رهان البحث عن الهوية الثقافية وإعطاء معنى للوجود

يعتبر الرهان الثقافي أحد الرهانات التي يسعى إليها الشباب خلال مسارهم الجمعوي، ويتعلق الأمر في هذا المحور بالمستوى الفردي أما الرهانات الثقافية التي تمس المحيط المجتمعي فسأتطرق إليها لاحقا في محور خاص. وقد أسفر تحليل نتائج البحث الميداني عن كون الرهانات الثقافية الفردية عند عينة الشباب الفاعل تنقسم إلى مستويين اثنين:

- ❖ مستوى الهوية بالمعنى الشمولي لكلمة الثقافة: ويضم من جهة جانب المرجعية الفكرية، ومن جهة أخرى جانب البحث عن الذات وإعطاء معنى للحياة من خلال القيم الاجتماعية والثقافية؛
- ❖ مستوى الهوية الثقافية بالمعنى التخصيصي للثقافة.

تعرف مرحلة الشباب مجموعة من الديناميات الثقافية المتعلقة بالجانب الفكري، وتزداد هذه الدينامية بشكل كبير خلال مرحلة التعليم الجامعي حيث ينفتح الشباب على مذاهب فكرية مختلفة ويتفاعلون بشكل مباشر مع حركات طلابية ذات توجهات إيديولوجية متباينة. بالإضافة إلى ذلك، تشكل هذه المرحلة بداية الوعي بالذات وقد تشكل منطلقا للنضج الفكري عند بعض الفئات. تتميز هذه المرحلة من مسار الحياة بقلق فكري وتوتر نتيجة التناقضات والصراعات التي يعيشها الشباب، ويتعلق الأمر على وجه الخصوص بمظاهر الصراع بين الثقافة التقليدية المحافظة وثقافة الحداثة (وهي الثنائية الضدية الأكثر حضورا)، وكذلك الصراع بين الإيديولوجيات السياسية (حدث ذلك عند فئة محدودة من عينة الشباب، كانت لها فرصة التواصل مع الفكر السياسي).

في هذا السياق، يحضر العمل الجمعوي كسياق ثقافي يساعد على تبلور هذا الوعي، إذ يمكن أن يشكل أرضية فكرية سابقة على الحياة الجامعية، في الحال التي يكون فيها الشاب قد

انخرط من قبل في الجمعيات الثقافية، خاصة عندما يتعلق الأمر بجمعيات ذات إيديولوجيا محددة، أي التي توصف في الحس المشترك "بالجمعيات الحزبية". وبالعكس، يمكن أن يحضر العمل الجمعوي الثقافي عند لحظة انطلاق وعي فكري معين أثناء الحياة الجامعية (أو ربما في طور التعليم الثانوي)، فيشكل بذلك إشباعا لحاجيات فكرية وفرصة للفعل الثقافي والسياسي.

هكذا، يساهم العمل الجمعوي الثقافي في وظيفة إعادة تعريف الهوية الفكرية، بعد أن يكون الشاب قد تلقى تنشئة اجتماعية معينة في مؤسسة الأسرة أو المدرسة أو وسائل الإعلام، الخ. ومن النماذج التي تعبّر عن ذلك، نموذج أمين الذي احتك بالحركة الطلابية الأمازيغية خلال مرحلة التعليم الجامعي، ومنذ ذلك الحين أصبح فاعلا في هذا الاتجاه من الحركة الجمعوية، حتى بعد أن أتمم تعليمه وصار موظفا. تضيف آمال[440] قائلة: "الهدف من العمل الجمعوي هو تطوير الأفكار ليصير الإنسان فاعلا ثقافيا ويحرر نفسه من الأفكار النمطية التي تربينا عليها دون أن نتحقق منها، وبهذا يمكن أن يكون المجتمع مثقفا وواعيا".

يجسّد أمين نموذج الفاعل الجمعوي المدافع عن الحقوق الثقافية، حيث تعتبر الحركة الأمازيغية من أبرز ممثلي هذا الفعل الاحتجاجي. وحسب المفكر أحمد عصيد، فقد لعبت هذه الحركة أدوارا مهمة تتمثل في:

- ❖ دور معرفي: قامت الجمعيات الثقافية بدور بحثي وأكاديمي مهم تمثل في تدوين الموروث الشفوي وتشجيع الإبداع والكتابة بالأمازيغية وإصدار الصحف والمجلات والكتب المتعلقة بالثقافة الأمازيغية؛
- ❖ دور الوساطة: دعت الحركة الأمازيغية الفرقاء والفاعلين والتيارات إلى الحوار والتناظر في موضوع الأمازيغية والثقافة الوطنية وقضايا التعدد اللغوي والثقافي؛
- ❖ دور إديولوجي: من خلال تحويل النزعة الشعبوية ذات الصلة بالروابط الإثنية والإقليمية إلى خطاب وطني حول الحقوق الثقافية واللغوية؛

[440] آمال هي شابة من مدينة الرباط، تبلغ من العمر 21 سنة، حاصلة على دبلوم السنة الثانية في البيولوجيا، تمارس المسرح في جمعية موجهة للشباب وتدرس اللغة الصينية.

- ❖ دور حضاري: من خلال الكشف عن بواعث النهضة في الذات المغربية اعتمادا على خصوصيات المجتمع؛
- ❖ دور سياسي: من خلال الدعوة إلى بناء مجتمع ديمقراطي قائم على التعددية[441].

وهناك جانب آخر من المستوى الأول الذي تمت الإشارة إليه سابقا (مستوى الهوية بالمعنى الشمولي لكلمة الثقافة)، يتمثل في البحث عن الذات وإعطاء معنى للحياة. ففي ظل ما يخلقه صراع الحداثة والتقليد من ضبابية في الرؤية للحياة ومن توتر، يشعر الفرد بالحيرة والتيه وسط الأفكار المتضاربة. نتيجة للماديات التي أخذت تطغى على مختلف جوانب الحياة المجتمعية على حساب الأبعاد القيمية والروحية، تقوم الذات المفكرة بالبحث عن التوجهات التي تعطي معنى وقيمة لحياتها، ومن أهم هذه الوسائل، البحث عن المساهمات التي يمكن إضافتها للمجتمع في شتى الحقول.

في هذا الشأن تقول مريم: "العمل الجمعوي هو متنفس يسمح بالبحث عن الذات واكتشاف الجانب الإنساني فينا وخوض تجارب مفيدة، توضح لنا الرؤية بخصوص أمور أخرى لم نكن لنعرفها لو ظللنا منحصرين في بوثقتنا".يضيف أحمد: "لا أريد أن أكون مراقبا بل مشاركا في المجتمع، وحتى إن لم تكن تلك المشاركة سياسية، فعلى الأقل أن تكون من باب العمل الجمعوي الثقافي والاجتماعي، لاسيما أن الثقافة هي بالنسبة لي مدخل أساسي للمشاركة في خدمة المجتمع وتنميته".

من خلال المدخل القيمي المتمثل في المواطنة عبر المشاركة في خدمة المجتمع، والقيم الكونية عبر التركيز على قيمة الإنسانية، والفكر النقدي المتمثل في نقد الأفكار النمطية، الخ، يسعى الشباب إلى إعطاء معنى وقيمة للحياة. في هذا الاتجاه هناك فئة من الفاعلين من يتحقق

441 امشنوك. رشيد، (2019)، "سوسيولوجيا المجتمع المدني في المغرب والتحدي الحقوقي: الحقوق الثقافية نموذجا"، (35-58)، في: المجتمع المدني والإيكولوجيا السياسية، باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 8، تازة، ص. 53.

لها هذا المعنى في الحياة حين تجد في العمل الجمعوي استقرارا يوازن بين التناقضات الاجتماعية التي تعيشها أو مسكّنا لمعاناة في الحياة الشخصية[442].

يمكن الإشارة كذلك أن هناك فئة من الشباب اتخذت من طريق النضال والصراع مدخلا آخر لتحقيق الذات وإعطاء معنى للحياة. من بين هؤلاء الشباب نموذج نادية[443]، وهي رئيسة جمعوية وفاعلة في الحقل الحزبي، وقد تحدثت أثناء إجراء المقابلة معها عن مختلف مظاهر الصراع التي خاضتها من أجل المساهمة في تغيير الواقع السياسي والحد من الممارسات المتنافية مع مبادئ الحكامة الجيدة، متحدية بذلك الثقافة التقليدية في عدد من أوساط الحقل السياسي التي تسعى إلى التحكم والتدبير المبني على منطق العصبية، منطق معنا أو ضدنا.

بخصوص مفهوم المواطنة - فبالإضافة إلى التعريف القانوني الذي يعرّفها كرابطة تعاقدية بين الفرد والدولة تتحدد من خلالها حقوق الفرد وواجباته[444] - فالدراسات الاجتماعية تتوصل إلى كون هذا الفعل الاجتماعي يسمح للشباب بالانتقال من وضع المفعول إلى وضع الفاعل. كما يتعلق الأمر بطقوس مرور تسمح بانتقال الشباب من الشعور بوضعية المراهق إلى الشعور بالدخول في الحياة والاهتمام بالقضايا الشأن العام التي تهتم بها فئة الكبار، وهي إحدى النتائج التي وردت في دراسة مكتب الأمم المتحدة بالرباط حول التطوع بالمغرب[445].

ارتباطا بجذر مفهوم المواطنة، يميز عبد الكبير خطيبي في "الوطنية" بين مفهومي patriotisme و nationalisme، فإذا كان الأول يحيل على إرادة الشعور بالانتماء، فإن الثاني يكتسي صبغة إيديولوجية مرتبطة بالأمة Nation ترمي إلى المقاومة أو إلى

442 DUCLOS. HAVARD. Bénédicte et NICOURD. Sandrine, (2005), Pourquoi s'engager ? Bénévoles et militants dans les associations de solidarité, Payot, Paris, p. 75.

443 شابة من مدينة القنيطرة، تبلغ من العمر 28 سنة، حاصلة على مستوى الماستر، تشتغل بالقطاع الخاص، لها كتابات أدبية وتشغل حاليا منصب رئيسة جمعية ثقافية.

444 طارق. حسن، (2009)، "الشباب بين رهانات المواطنة وواقع المشاركة السياسية"، (109-136)، في: " الشباب، السياسات الشباب والبحث العلمي، من أجل تفاعل جديد"، مناظرة وطنية تحت إشراف عبد الفتاح الزين، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط. ص. 114.

445 PERIER. Florence, (Décembre 2005), «Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc », Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 20.

الغزو[446]. يتحدث الخطيبي عن أنواع الوطنية patriotisme، ويميز بين الوطنية التي ترى نفسها كمركز للعالم ويسميها patriotisme fantasmatique ؛ الوطنية الإديولوجية كوعي يدافع عن مصالح طبقة ضد أخرى؛ الوطنية البيداغوجية التي تؤسسها الدولة والمجتمع المدني أيضا؛ الوطنية الإستراتيجية المنفتحة على تنوع المجتمعات القريبة أو البعيدة والمهيأة للاندماج في سيرورات العولمة[447].

بالنسبة للمستوى الثاني المتعلق بالبحث عن الهوية الثقافية بالمعنى التخصيصي للثقافة، تبيّن أيضا أن العمل الجمعوي الثقافي يساعد الشباب في البحث عن الذات الثقافية، ويتعلق الأمر بالشباب الذين يجدون في أنفسهم شغفا بالثقافة والفن، لكن لم يحددوا بعد المسار الثقافي الذي سيسلكونه. يساهم العمل الجمعوي في هذه الوظيفة من خلال التجارب والأبحاث التي يخوضها الشباب بأنفسهم أو من خلال الوساطة الثقافية التي يمكن أن يقوم بها عبر ربط التواصل بين الفنانين والمثقفين والشباب الصاعد.

هذا ما حدث في حالة عماد الذي تحدث عن تجربته بالقول: "منذ مدة طويلة وأنا أحاول أن أكتشف ما إذا كنت أريد أن أكون مسرحيا أو رساما أو شيئا آخر. وفي يوم من الأيام، استقبلت الجمعية فنانا في الخط وأُعجبت بإنتاجاته، وهو ما دفعني إلى البحث حول فن الخط وتقنياته وتاريخه، وشعرتُ أن لي ميولا إلى عالم التشكيل والجداريات والخط العربي، فتخليت بذلك عن المسرح".

6-2 الوظيفة العلاجية للممارسات الثقافية

لا تنحصر وظيفة العمل الجمعوي الثقافي فيما سبق تناوله، بل إنها تلبي حاجيات أخرى من بينها الوظيفة العلاجية لمشاكل الشباب النفسية، ويمكن التمييز في هذه الأخيرة، من جهة أولى، بين التوترات والضغوطات الاعتيادية التي يعرفها أغلب الناس بسبب نمط الحياة

446 KHATIBI. Abdelkébir, (Juin-Juillet 2005), « Les jeunes, le patriotisme et la citoyenneté », (21-22), in : Les Cahiers du Plan, N°3, Dossiers « La jeunesse marocaine, attitudes, comportements et besoins », Haut Commissariat au Plan, Rabat, p. 20
447 Idem, p. 22

الحديثة وبسبب صراع الحداثة والتقليد، وبين المشاكل النفسية التي قد تتحول إلى حالة مرضية من جهة ثانية.

فيما يخص الحالة الأولى، فقد لاحظت أن الشباب يقبل بشكل أكبر على الموسيقى والمسرح للتخفيف من توتراته. لكن بوجه خاص، حضر فن المسرح بشكل أقوى في العينة المدروسة. ويعزى ذلك إلى التقاطع بين هذا الفن القائم على التعبير وعلى معالجة مختلف مظاهر الحياة المجتمعية وبين ما يعيشه الشباب في وجودهم المجتمعي.

وهنا أتذكر مفهوم التنفيس (الكاطارسيس Catharsis) الذي ورد في الثقافة اليونانية، خاصة عند أرسطو الذي اعتبر أن الانفعال النفسي نتيجة متابعة المتلقي للمصير المأساوي لبطل القصة يحرر نفسية المتلقي من المشاعر السلبية ويقوم بتفريغها من شحنات العنف. لذلك، جعل أرسطو من الكاطارسيس غاية للتراجيديا من أجل العناية بالجانب التربوي وبالصحة النفسية المواطن.

في هذا الصدد، تقول آمال:" الأنشطة التي أحضر لها كثيرا هي المسرح، حيث أجد فيه ذاتي وأعيش فيه عالما آخر أخرج فيه من شخصيتي وأحس فيه بتأثير الشخصيات والأدوار، إنها حياة أخرى، في نفس الوقت واقعية وفي نفس الوقت افتراضية، أعيشها بالضحك والبكاء وبكل الحالات وأتحرر فيها من ضغوطات الحياة".

فيما يتعلق بالوضعية الثانية، التي تقترب من الحالة المرضية، فهي تمس على وجه الخصوص الشباب الذي يعانون من الخجل الزائد والانطوائية. وهذا ما وضحه رئيس "جمعية الانبعاث الثقافي" حين قال:"هناك نمط من شباب المؤسسات التعليمية يعاني من مشاكل في التواصل (مثل صعوبات مواجهة الجمهور أو الارتباك في المقابلات والمباريات)، وهو ما يعيقهم في حياتهم الدراسية والمهنية. لذلك، يُنصحون بممارسة المسرح كوسيلة علاجية، وهذا النمط من الشباب هو الأكثر عددا في جمعيتنا، في حين أن عدد الذين يمارسون العمل الجمعوي بدافع المصلحة العامة الخالصة يبقى قليلا جدا".

يتبين إذن كيف أن الشباب يراهن من خلال العمل الجمعوي الثقافي على التعبير عن الذات والتخفف من أعباء التوتر، وهي الوظيفة التي تشترك فيها أيضا الممارسات الثقافية الرقمية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، لكن الخاصية التي يمتاز بها العمل الجمعوي الثقافي هي التفاعل المباشر الذي يسمح بتحقيق نتائج لا يمكن أن تحدث بالشكل ذاته في العالم الافتراضي (تقمص الشخصيات المسرحية والتفاعل المباشر واللحظي مع الزملاء والجمهور على سبيل المثال).

الفصل الثاني:

استراتيجيات الشباب والجمعيات الثقافية

لتحقيق الرهانات المجتمعية

المبحث الأول: الرهانات الثقافية

واستراتيجيات تحقيقها

1- إستراتيجية التخصص أو عدم التخصص في الفعل الجمعوي

يمكن تقسيم الفعل التنظيمي لجمعيات العينة إلى نمطين أساسيين: النمط الجمعوي المتخصص في الفعل الثقافي والنمط الجمعوي غير المتخصص، ويستهدف هذا الأخير أيضا حقولا مجتمعية أخرى. وقد تبين أن لكل من هذين النمطين منطق فعل جمعوي خاص ومواقف معينة بخصوص هذا التمييز.

يلاحظ أن نمط التخصص قليل الحضور من الناحية العددية مقارنة مع العقود السابقة، لكن ما يمكن تأكيده هو أنه يعبّر عن سيرورة من التمأسس والاحترافية، خاصة مع توالي أفواج خريجي التخصصات الثقافية الذين تلقوا تكوينهم الأكاديمي بالمغرب أو بالخارج. من العوامل التي تتدخل في اعتماد الجمعيات لهذا النمط، التخصص المسبق للفاعلين في الحقل الثقافي أو في إحدى تخصصاته، ويتجلى ذلك بجلاء من خلال نموذج الشباب الذي يؤسس جمعيات ثقافية من أجل خلق إطار قانوني يساعدهم على التشغيل الذاتي.

يحيل توصيف "التخصص" في هذا النمط على اقتصار الفعل الجمعوي على الحقل الثقافي، لكن ذلك لا يعني التخصص في فعل ثقافي وحيد، إذ أن هناك جمعيات ثقافية تشتغل بشكل أكثر شمولية من خلال الاهتمام بحقول ثقافية متنوعة. وتتجه أغلب المواقف والتمثلات إلى اعتبار آلية التخصص أكثر إنتاجية وأعمق أثرا بفضل خاصية التركيز التي تميز مختلف مراحل التصور والإنجاز، يقول رئيس "جمعية منتدى الثقافة": "اختارت جمعيتنا منهج التخصص من أجل التركيز في الفعل الثقافي، حيث ترى أن العمل غير المتخصص لا ينتج الجودة، في حين أن التخصص يسمح بالمعرفة الدقيقة بالميدان وبمختلف الفاعلين فيه".

فيما يتعلق بالنمط غير المتخصص، فقد لاحظتُ أنه كثير الانتشار، و تندرج في إطاره الجمعيات التي تشتغل في مجال عمراني محدد (جمعيات الأحياء أو بعض المناطق الحضرية) والجمعيات المعروفة بانتمائها الإيديولوجي المعلن (التي توصف "بالجمعيات الحزبية)، ولا تخفي فئة منها انتماءاتها الإديولوجية، لكنها تؤكد على "استقلاليتها" في علاقتها بالمؤسسات الحزبية.

على اعتبار أن النمط التخصصي يأتي بنتائج أكثر إيجابية، فقد بحثتُ حول دوافع اعتماد الكثير من الجمعيات على الفعل الجمعوي غير المتخصص، ومن بين التفسيرات التي توصلتُ إليها:

- ❖ رفع حظوظ الحصول على الدعم المالي من قبل الجهات المانحة، وهو ما يضمن استمرارية البرامج الجمعوية وبالتالي استمرارية وجود التنظيم ككل. هذا ما يؤكده رئيس "جمعية الازدهار الثقافي": "أصبح الدعم هو الموجه الأساسي لأغلب الاستراتيجيات التي تنهجها الجمعيات، والكثير من الجمعيات لا تفضل أن تحصر نفسها بكثرة التخصص حتى لو أعلنت أنها متخصصة". نفس المنطق وجدتُه في المقابلة مع رئيس "جمعية منتدى الثقافة" ورئيس "جمعية الانبعاث الثقافي" الذيْن عبّرا عن ذلك بالتأكيد على أن فئة مهمة من الجمعيات التي تقول أنها متخصصة في العمل الثقافي تفتح المجال في قانونها الأساسي للقيام بأنشطة خارج التخصص، مثل برامج التنمية الاجتماعية؛
- ❖ القدرة على تحقيق انتشار أوسع والوصول إلى أكبر شريحة من الفئات المستهدفة، وتبرز أهمية ذلك بشكل جليّ بالنسبة للجمعيات التي تسعى لنشر إيديولوجيا سياسية معلنة؛
- ❖ توظيف الفعل الثقافي في مواكبة الفعل الاجتماعي لخلق مناخ جاذب، لاسيما حينما يحمل الفعل الثقافي طابع الترفيه والترويح؛
- ❖ في حالة منفردة داخل العينة، وظفت "جمعية التقدم الثقافي" آلية عدم التخصص خلال السنوات الأولى من تأسيس الجمعية لاكتشاف ميولات وقدرات المنخرطين الجدد من خلال تنويع العرض الجمعوي. فمن خلال استفادتهم من كل أنماط الأنشطة، بدؤوا في اكتشاف ذواتهم كما بدأت الجمعية تكتشف كفاءات الموارد البشرية وكيف يمكن استثمارها.

من خلال تجربتهم ومسارهم الجمعوي، عبّر 10 من عينة الشباب الفاعل جمعويا عن موقف سلبي إزاء فعالية العمل الجمعوي غير المتخصص، ينمّ هذا الموقف عن الطموح الذي يسعى إليه هؤلاء الشباب، ومن المقاطع التي تجسد ذلك:

- ما عبّرت عنه نادية: "الجمعيات التي قضيتُ معها مدة أطول واستفدتُ منها هي جمعيات تشتغل مثل الشركات، أي بأسلوب المقاولة حيث أن العمل يكون مبنيا ومهيكلا بشكل جيد، وقد تنقلتُ بين الكثير من الجمعيات لأنني وجدت فيها نمطية وعبثية وعدم التخصص".
- ما أدلى به خالد[448]: "انخرطت في الجمعيات التي تقوم بكل شيء (اللي كدير كولشي)، ثم انتقلت إلى جمعيات متخصصة وغادرت عددا منها بعد أن أصبحت هي أيضا تقوم بكل شيء".
- موقف مريم: "قلّة هي الجمعيات غير المتخصصة التي تشتغل بشكل احترافي".
- جواب "جمعية آفاق الثقافة": "إخترنا التخصص كي يكون العمل موجها وعميقا، بخلاف الجمعيات غير المتخصصة التي كان شباب جمعيتنا ينتمون إليها فيما قبل، والتي تقوم بكل شيء لكن بشكل سطحي".

قادني التمييز بين الفعل المتخصص والفعل غير المتخصص إلى تسجيل بعض الملاحظات التنظيمية الأخرى التي قد تفيد في توضيح الصورة عن عمل الجمعيات الثقافية، والتي قد تكون مشتركة بشكل كلي أو جزئي بين هذين النمطين، وهي كالتالي:

- التمييز من حيث البنية التنظيمية بين جمعيات ذات هيكلة تنظيمية بسيطة وأخرى ذات بنية تنظيمية مركبة، كما هو الشأن بالنسبة للجمعيات الوطنية أو الجهوية، وكمثال على ذلك أسوقُ نموذج "جمعية العطاء الثقافي" التي أعلن رئيسها أن "إستراتيجية الجمعية تتأطر بأوراق مؤتمر الجمعية والذي يتكون من أقطاب (قطب ثقافي، قطب اجتماعي، قطب تربوي، الخ)، كما أن للجمعية فروعا لها دور اقتراحي وتنفيذي".
- يمكن أيضا التمييز في الفعل الجمعوي بين الأنماط التالية:

[448] خالد هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 27 سنة، متزوج وأب لطفلة، حاصل على الإجازة في القانون الخاص، يعمل أستاذا للتربية البدنية بالقطاع الخاص.

- الأنشطة القارة التي يقوم بها التنظيم بشكل دائم؛
- الأنشطة المناسباتية التي تنظم لمواكبة مناسبات معينة (مثل الأيام الوطنية أو الأيام العالمية)؛
- العمل بالمشاريع: ويمتد على مدى فترة معينة إلى حين انقضاء مدة المشروع.

تجدر الإشارة إلى أن الاستفادة من مميزات التخصص في التدبير ترتهن بوجود أساليب معينة في الاشتغال، وفي حال العكس قد تتحول هذه الميزة الايجابية إلى عنصر معيق في الأداء التنظيمي. كمثال على ذلك، أذكر نموذج ما ورد في دراسة الباحثة حفصاوي حبيبة للجمعيات النسائية، حيث أدى وجود التخصص - مع ضعف تفويض المهام وضعف المنطق التشاركي والإدماجي- إلى عدم استمرارية العمل وتركزه في يد فئة محددة من الفاعلين[449].

2- إستراتيجيات الفعل التراثي

تعاني الممارسات الثقافية التراثية من إشكاليات متعددة تؤدي إلى تراجع الإقبال على هذا الحقل، ولا يلاحظ هذا العزوف في المجتمع المغربي فحسب، بل يسجّل أيضا في المجتمعات المتقدمة المعروفة بتطور ممارساتها الثقافية. للمساهمة في مصالحة عموم الشباب مع التراث والمساهمة في تحقيق التنمية التراثية، يعمد 13 فردا من عينة الشباب الفاعل جمعويا إلى توظيف مجموعة من الآليات، وقد أظهر تحليل المعطيات أن استخدامها يعرف تفاوتات كما هو مبين في المبيان أسفله:

[449] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، ص. 231.

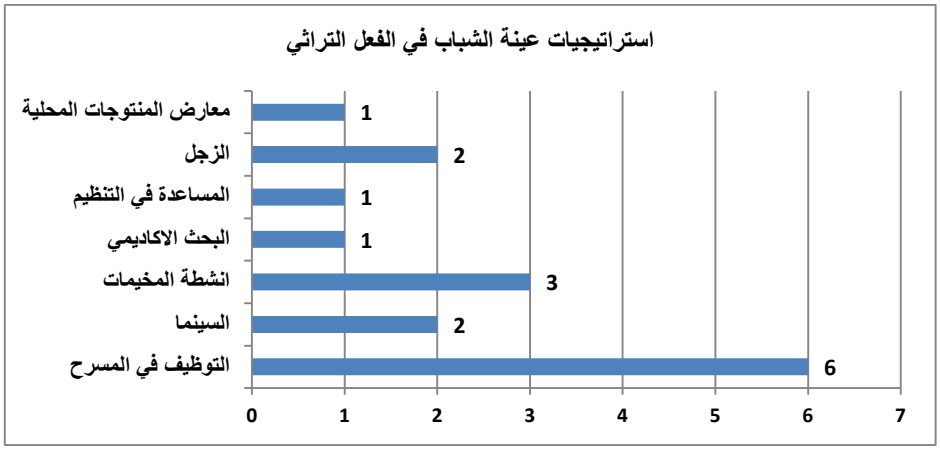

استثمر شباب العينة الفعل المسرحي بثلاثة أشكال، وهي:

- توظيف الموسيقى التراثية في الإخراج المسرحي (من طرف ثلاث شباب)، وفي هذا الصدد يتحدث أحمد عن التوليف الذي قام به بين التنشئة الثقافية التي تعرّض لها في صغره وبين ما راكمه من تجارب في الجمعيات الثقافية: "كنت أنشط في فرق للمديح والسماع وموسيقى الطائفة العيساوية، وذلك من خصوصيات مدينة مولاي إدريس زرهون التي تربيت فيها، وهناك أشياء استفدت منها اثناء حضوري للطقوس المقامة في الزوايا. وقد أدمجت كل ذلك مع ما استفدت منه في الجمعيات، فوظفت هذه الثقافة الشعبية في المسرح على مستوى الكتابة والإخراج". كما يعبر كمال عن شغفه بالأغنية الغيوانية وموسيقى "كناوة"، التي يوظفها هو الآخر في إخراجه المسرحي؛
- الأداء المسرحي: حضر هذا الفعل عند 2 من الشباب؛
- نقد التراث: ركّز خالد على المقاربة النقدية في إنتاجاته المسرحية، وهي المقاربة التي لمستُها أيضا عند باقي المسرحيين الشباب، لكنها كانت أكثر جرأة وتأكيدا في حالة هذا الشاب، مما جعلني أتناول حالته بشكل منفرد. يعبّر خالد عن قيامه بعملية غربلة للثقافة الشعبية، ويسمح له هذا المجهود الفكري بانتقاء ما يراه "إيجابيا" بهدف توظيفه مع عزل ما يراه "سلبيا" من أجل معالجته، وبهذا يساهم في تغيير وإصلاح ثقافة المجتمع؛

غير أن عملية النقد الثقافي هذه، التي يصفها بمجازفة السباحة عكس التيار، لا تخلو من صعوبات ومقاومات سواء من جانب أسرته التقليدية التي تعتبر الفن مضيعة

للوقت لا طائل منها أو من طرف باقي الفاعلين المستهدفين بالنقد. يقول هذا الشاب: "حينما تتعرض لمواضيع حساسة، مثل الدين أو السياسة، فمن الأكيد أنه سينظر إليك كأنك غريب، لأنك لمست المشاكل المتجذرة في الثقافة، تلك المشاكل المترسخة في الجانب اللاشعوري للمجتمع". بالإضافة إلى ذلك، يتناول خالد مشاكل أخرى يعاني منها غيره من الشباب، مثل الصعوبات المتعلقة بالدعم والتجهيزات، حيث أن المسرح يتطلب ديكورا وإشهارا وكراء القاعات، الخ.

يُخبر خالد أنه يعتمد عددا من الحلول مواجهة هذه الصعوبات، فأحيانا ينزع نحو المواجهة الفكرية ويتشبث بأفكاره، وفي حالات أخرى قد يتنازل بشكل جزئي أو كلي عن الموضوع حسب ما يمليه مبدأ الواقعية، مؤمنا بالفكرة القائلة "عش اليوم لتقاتل غدا". يلعب المؤيدون والمتعاطفون، خاصة الأصدقاء، دورا كبيرا في المحافظة على المعنويات ورفعها. أما فيما يخص مواجعة الصعوبات المادية، فيقول هذا الشاب: "في أحيان كثيرة أعتمدُ على البريكولاج، أنفق من نفقتي الخاصة أو أنسحب بالمرة حينما تكون التكاليف فوق طاقتي".

في الحقل السينمائي، تبين أن توظيف التراث تم من طرف شابتين من العينة، في حين يظهر أن 3 من الشباب يشتغلون على الفعل التراثي في المخيمات من خلال ما يسمى "اليوم الشعبي"، وهو نشاط ثقافي دأب المنظمون على إدماجه ضمن البرامج التخييمية. تتجلى حالة البحث الأكاديمي حول التراث في نموذج شابة تستلهم مما راكمته في العمل الجمعوي لإنجاز بحث أكاديمي بسلك الماستر يتناول تأثير ثقافة الحداثة على الممارسة التراثية لدى الشباب. بالإضافة إلى ذلك، عبّر شاب آخر أنه يساهم في الفعل التراثي من خلال الانخراط في تنظيم الأنشطة التراثية لجمعيات ثقافية صديقة للجمعية التي ينتمي إليها.

بالنسبة لفن الزجل، فقد حضر في حالة 2 من الشباب. في هذا الشأن، يتحدث سمير عن بعض من الصعوبات في حقل الزجل، والتي تتمظهر في تمثلات المتلقين، فيقول:" قبل بدء إحدى الأنشطة الثقافية المنظمة بإحدى الكليات في مدينة الرباط، سمعتُ بعض الشباب يتحدثون حول أسلوب الزجالين في نقد الواقع ويصفون حضورنا بالقول إننا جئنا من أجل

التهكم (جاو باش يطنزو)، لكن بعد أن استمعوا للقصائد توجهتُ للحديث معهم وتبين لي أنهم قد غيّروا رأيهم في هذا الفن".

أما فيما يخص وسائل عينة الجمعيات في الفعل التراثي فقد جاءت كالتالي:

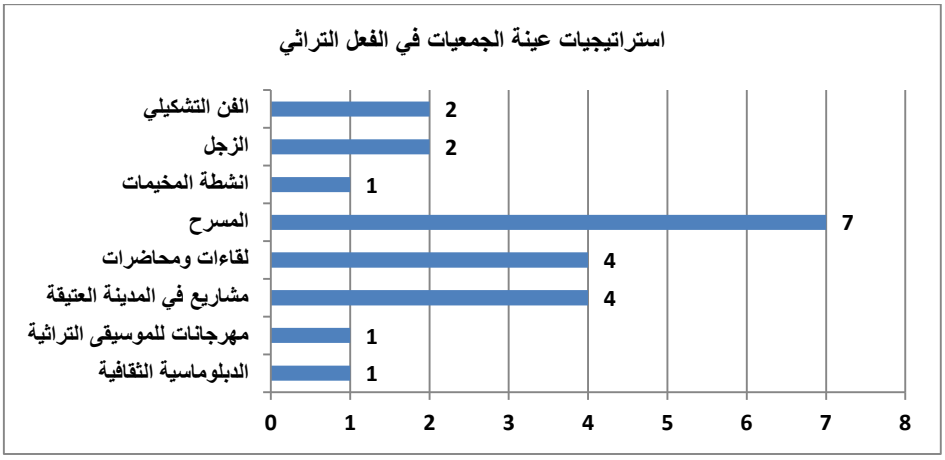

يتبين من خلال المبيان أعلاه أن الفعل المسرحي، مثلما في عينة الشباب، هو أيضا أحد أهم الوسائل المعتمدة للمساهمة في التنمية التراثية، متبوعا بنمطين آخرين من الفعل الثقافي، هما تنظيم اللقاءات والمحاضرات وإنجاز مشاريع ثقافية لفائدة تراث المدن العتيقة. جدير بالذكر أن هذا الفعل الأخير غالبا ما يلاحظ عند الجمعيات التي تتوفر على رساميل هامة، لما يتطلبه من إمكانات مادية ورأسمال اجتماعي قوي مع المؤسسات العمومية والمنظمات الدولية. إن الأهمية التي يحظي بها المسرح داخل عينة البحث التي اشتغلتُ عليها هي نفس الأهمية التي لمستها أبحاث ميدانية أخرى.

فيما يخص الدبلوماسية الثقافية، فقد عبّرت جمعية تنهج هذه الآلية أن ذلك يتم من خلال الشراكة مع منظمة اليونسكو بهدف حماية التراث الثقافي، لاسيما أن للجمعية عضوية في اجتماع باريس السنوي الذي تنظمه هذه المنظمة غير الحكومية. بالإضافة إلى ذلك، وفي نفس الاتجاه، ترتبط هذه الجمعية بمنظمات وجمعيات دولية أخرى. في حقل الموسيقى التراثية، تقوم جمعية ثانية بمهرجان وطني للمجموعات الغيوانية الشبابية، وتعمل من خلاله على اكتشاف الطاقات الشابة.

3- تشجيع الثقافة الأدبية

أظهر تحليل المعطيات الميدانية أن الجمعيات الثقافية تعتمد على فعلين أساسيين لتنمية وترويج الثقافة الأدبية، ويتجلى ذلك في تشجيع قراءة الأعمال الأدبية من جهة، وتنظيم أنشطة من قبيل لقاءات ومحاضرات ومهرجانات تهتم بهذا الحقل الثقافي من جهة أخرى. وفيما يلي، سأتناول كل فعل على حدة.

3-1 التشجيع على القراءة الجماعية

يندرج تشجيع الفعل القرائي ضمن سياق يتميز بتدني فعل القراءة بالمجتمع المغربي، وهو ما حدا بالعديد من الفاعلين الثقافيين إلى التنبيه إلى الانعكاسات التي يمكن أن يخلفها هذا التراجع، فمستوى تردد هذه الممارسة يؤثر بشكل عميق على ثقافة المجتمع بمعناها الشمولي، وبالتالي على ما يمكن أن يصدر عن هذه الثقافة الشمولية من أعطاب أو تنمية.

من الناحية المفاهيمية، أرى أنه من المفيد أن أقدّم قراءة نقدية لمصطلح "العزوف" عن القراءة، وذلك بسبب الاستعمال الشائع له بشكل ينطوي على التباس في المعنى. فحينما نقول إن فلانا عزف عن الشيء، أي أنه كان في حالة إقبال عليه قبل أن يصدّ عنه وينسحب منه. في حين، نجد أن ممارسة القراءة لم يسبق لها أن كانت شائعة بين أغلب فئات المجتمع المغربي، على خلاف ما حدث مع ممارسة الموسيقى مثلا (الموسيقى التراثية أو العصرية). فالثقافة في المجتمع المغربي ظلت على مدى قرون طويلة تتصف بطابع الشفهية على غرار العديد من المجتمعات العربية، كما أن أعلام المثقفين الذين يملؤون كتب التاريخ لم يشكلوا إلا نخبة مثقفة محدودة، في حين أن الأغلبية الساحقة من هذه المجتمعات ظلت أمية ولا تعرف القراءة والكتابة.

بالإضافة إلى ذلك، فاقتصاديات الكتاب كمؤشر على ارتفاع الإقبال على القراءة لم يسبق لها أن شكلت قطاعا إنتاجيا رائدا بالمغرب مقارنة مع دول العالم الأول أو حتى مقارنة مع بعض دول العالم الثالث مثل سوريا أو لبنان أو مصر. لقد كانت الأمية إلى عقود قريبة تضرب أطنابها في المجتمع المغربي، ومازالت تنتشر في أوساط مهمة إلى حد الآن.

ما حدث في العقود التي تلت استقلال المغرب هو أن فئة من المجتمع المغربي والتي حظيت بفرصة تلقي التعليم، كانت تُقبل على القراءة بشكل أكبر بسبب مجموعة من المحددات المجتمعية، من بينها أن القراءة كانت أهم وسيلة لانتشار الأفكار كما أن التعليم (وبالتالي القراءة) كان من أهم آليات الحركية الاجتماعية la mobilité sociale المؤدية للارتقاء الاجتماعي. ومنذ عقد التسعينات، أصبحت وسائل الاتصال الحديثة تنافس حضور الممارسة القرائية، نظرا لخاصية الجذب التي تميزها ونظرا للطابع الاستهلاكي الذي يميز ثقافة الصورة. تأسيسا على ذلك، أُؤثر استعمال مصطلح "تدني" القراءة عوض مصطلح "العزوف" عنها.

بالإضافة إلى هذه المقاربة الدياكرونية، تفيد المقاربة الساكرونية باستمرارية تراجع اقتصاديات الكتاب كمؤشر على ممارسة القراءة بالمغرب. وإذا اعتمدنا مثلا مؤشر إصدار الكتب مقارنة مع الوضعية الديمغرافية، نجد أن المعدل السنوي لإنتاج الكتب يقارب حوالي ألف كتاب (تشمل كل اللغات) في المجتمع المغربي (أكثر من 32 مليون نسمة). وفي فرنسا التي يبلغ تعداد سكانها أكثر من ستين مليون نسمة، يتم نشر حوالي ستين ألف كتاب سنويا بكل اللغات، وفي إيران التي يبلغ عدد سكانها سبعين مليون نسمة يتم إصدار ما يقارب ثلاثين ألفا سنويا[450].

تفاعلا مع هذا التدني التاريخي في القراءة بالمغرب، أخذت تتزايد مؤخرا مبادرات المجتمع المدني للنهوض بهذه الممارسة الثقافية، مستفيدة بذلك من مواكبة الفاعلين الإعلاميين من جرائد الكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي. رغم ذلك، تبقى هذه المبادرات محدودة من الناحية الكمية بالمقارنة مع الشرائح الواسعة من الشباب وباقي الفئات العمرية التي لا تجعل من القراءة ممارسة اعتيادية وروتينية، كما أن الكثير من هذه المبادرات المدنية تتصف بالظرفية وعدم الاستمرارية.

[450] كداي. عبد اللطيف، (2016)، "الصناعة الثقافية بالمغرب والمساهمة في التنمية: أي استراتيجيات ممكنة؟"، (43-49)، في: السياحة بصيغة الجمع: من الثقافة إلى التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد مزدوج 3-4، تازة، ص.47.

في هذا الصدد، تنبغي الإشارة إلى أن طبيعة الممارسة القرائية هي بطبيعتها ممارسة فردية، يميل خلالها القارئ إلى الانعزال طلبا للتركيز الذهني. وبالتالي، تنعكس هذه الخاصية على أنماط تنمية القراءة، وهو ما يمكن أن يفسر ضعف حضور القراءة الجماعية في العينة المدروسة بالمقارنة مع تنظيم اللقاءات الأدبية والمهرجانات.

هكذا، تم رصد نموذجين لهذا الفعل الثقافي ضمن عينة الشباب ونموذج واحد ضمن عينة التنظيمات الجمعوية. يتعلق النموذج الأول بالشاب مهدي[451] الذي ينشط ضمن جمعية تعنى بالشعر ويساهم في أنشطتها التي تنظم نقطا للقراءة وتشتغل أيضا على مشروع مكتبة شاطئية، كما تقوم بتنظيم رحلات للمعرض الدولي للكتاب لفائدة الشباب والأطفال.

أما النموذج الثاني، فيتعلق بمريم التي تحدثت عن تجربة قامت بها خلال فترة المراهقة: "تعرفت على مبادرة شبابية على شكل شبكة تشجع على القراءة، تمّ إطلاقها على موقع التواصل الاجتماع فايسبوك. كان الهدف من هذه المبادرة تشجيع القراءة في الأماكن العامة كوسيلة جذب للشباب للآخرين وتحفيزهم، وهو ما حفّز الكثير من الأعضاء على استغلال شبكة علاقاتهم الاجتماعية في مؤسسات التعليم الثانوي للرفع من نسبة الإقبال. في البداية، كانت المبادرة حرة وتلقائية ثم أصبحت مؤطرة بإطار جمعوي، كان تنظيمها يتوازى مع مبادرة لتشجيع الفلسفة في الشارع العام، وقد حدث ذلك خلال الفترة الزمنية التي عرفت ميلاد حركة 20 فبراير الاحتجاجية، لكن بعد ذلك تلاشت هذه المبادرة".

أما في عينة الجمعيات الثقافية، فمحاولة ترسيخ الفعل القرائي كسلوك يومي عند الشباب تجلت من خلال نموذج "جمعية الثقافة للجميع" التي تشتغل على مشروعين:

- ❖ يتعلق المشروع الأول بجائزة وطنية للقراءة تستهدف الشباب من الفئة العمرية من 8 إلى 30 سنة، حيث يتم تأطيرهم عن طريق أندية قرائية في المؤسسات التعليمية، ويقوم الشباب بملء استمارات تتضمن معلومات حول عدد المقروءات؛ نبذة عن المقروء؛ ثم نصا يتم الدفاع عنه أمام لجنة تحكيم. على إثر ذلك تبدأ مرحلة

[451] مهدي هو شاب مارس العمل الجمعوي بمدينة الرباط، ثم انتقل إلى مدينة سلا، يبلغ من العمر 39 سنة، متزوج وأب لطفل، حاصل على الإجازة في الحقوق وماستر في التدبير، يمارس الكوميديا والمسرح، يشغل منصب أمين مال بجمعيتين اثنتين.

الإقصائيات على مستوى المؤسسة التعليمية، ثم على الصعيد الإقليمي، ثم الصعيد الجهوي، وأخيرا على الصعيد الوطني. وفي الختام تقوم الجمعية وشركاؤها بتتويج الفائزين في المعرض الدولي للكتاب والنشر الذي يقام سنويا بمدينة الدار البيضاء.

- ❖ أما المشروع الثاني فيتجلى في جائزة الشباب حول الأدب المغربي، حيث يتم اختيار إصدارات جديدة من الكتب المغربية، ويتم توزيعها على الشباب من أجل قراءتها. بعد ذلك يجيب الشباب على استمارة من خمس مؤشرات لمعرفة الكتب التي تستأثر باهتمام الشباب. وفي الأخير، يتم تحديد رواية واحدة تكون هي من نالت جائزة إعجاب الشباب، كما لو أنهم هم الذين سلّموا هذه الجائزة للكاتب الفائز، ومن هنا جاءت التسمية "جائزة الشباب ل...". يتضح أن فلسفة هذا المشروع ترتكز على مقاربة تشاركية تتأسس على قلب الأدوار، فعوض أن يتم انتقاء الشباب من طرف لجنة للتحكيم، تعطى للشباب سلطة اختيار المؤلف الأكثر تأثيرا فيهم، كما يقوم الشباب بتقديم أرائهم في الإنتاجات المقروءة. بهذا، يصبح الشباب فاعلا إيجابيا، وفي الآن ذاته يتم قياس توجهاته، مما يساعد الكتّاب ودور النشر في معرفة توجهات وتفضيلات الشباب القارئ.

بهذين المشروعين، يتم تعريف الشباب بالأدب المغربي وبقضايا المجتمع وديناميا‌ته. بالإضافة إلى ذلك، تنظم الجمعية أنشطة أخرى من قبيل:

- ❖ ورشات قرائية في المكتبات (وهو ما أدى إلى ارتفاع انخراط الشباب في هذه المؤسسات الثقافية)؛
- ❖ برامج قرائية في المخيمات الصيفية (أي بشكل يزاوج بين الترفيه والتثقيف). وخلال هذه المخيمات تستقطب الجمعية الشباب المتميز وتحفزهم لتأسيس أندية للقراءة بمؤسساتهم الدراسية، مما يعمل على توسيع رقعة الشبكة وتوسيع الفعل القرائي بين الشباب؛
- ❖ تجربة القراءة في الشواطئ، بشراكة مع مؤسسة بنكية. وقد أصبحت وسائل الإعلام تطالعنا مؤخرا بتجارب فريدة حول تجربة القراءة الشاطئية، وأبرزها تجربة المكتبة

الوسائطية "إدريس التاشفيني" بمدينة الجديدة، والتي تتضمن في برامجها ورشات قرائية للأطفال[452].

في إطار الدراسات الميدانية حول القراءة بالمغرب أستحضرُ دراسة "بحث حول القراءة بالمغرب[453]" Enquête sur la lecture au Maroc للباحث عبد العالي اليزمي خلال سنتي 1997 و1998. همت هذه الدراسة 1500 مشارك في البحث، موزعين على خمس مناطق من المغرب (بما معدله 300 مشارك عن كل منطقة)، وهي: محور طنجة-تطوان؛ محور مراكش-أكادير؛ محور وجدة-تازة؛ محور الرباط-الدار البيضاء؛ محور فاس-مكناس.

أقيم هذا البحث الميداني في الفضاءات التالية: الخزانات؛ المكتبات التجارية؛ المؤسسات التعليمية، وقد اعتمد على تقنية المقابلة والاستمارة (تكونت هذه الأخيرة من 60 سؤالا). وقد شكّل الشباب (أقل من 30 سنة) نسبة 56%، أما الكبار من فئة 30-45 فشكلوا نسبة 37% بالمئة، في حين شكلت فئة 45 سنة فما فوق نسبة 6%. وكان أغلبية المبحوثين من الأساتذة والطلبة.

وردت عبر مختلف صفحات الكتاب التي نُشر به هذه الدراسة، مجموعة من النتائج المتعلقة بحجم الممارسات الثقافية وبخصائص الممارسين التي يمكن إجمالها كالتالي:

- ❖ يشكل المهتمون بالثقافة بشكل دائم نسبة 6%، والذين يهتمون بشكل متوسط فبنسبة 18%، أما نسبة 48% فلا تهتم إلا من حين لآخر؛
- ❖ 78% لا ينتمون إلى جمعيات ثقافية، لكن الذين يهتمون بالممارسات الثقافية هم غالبا أعضاء في الجمعيات الثقافية؛

---

[452] الحجري. إبراهيم، " (2014)، مكتبة شاطئية، ابتكار مغربي لدعم القراءة"، مقال صحفي منشور بموقع قناة الجزيرة بتاريخ 1/9/2014، على الرابط:
https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2014/9/1/%D9%85%D9%83%D8%AA%D8%A8%D8%A9-%D8%B4%D8%A7%D8%B7%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D8%A8%D8%AA%D9%83%D8%A7%D8%B1-%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%84%D8%AF%D8%B9%D9%85

[453] EL YAZAMI. Abdelali, (1998), Enquête sur la lecture au Maroc , Association marocaine des professionnels du livre, Rabat.

- ❖ أماكن القراءة هي البيت بالدرجة الأولى، ثم المقهى ثم الخزانات؛
- ❖ الأوقات المفضلة للقراءة هي الفترة المسائية عند أكثر من نصف العينة؛
- ❖ مدة القراءة تمتد لأكثر من ساعة عند أكثر من نصف العينة؛
- ❖ مكتبات المركز الثقافي الفرنسي تجذب القراء أكثر من المكتبات العمومية المغربية وذلك بسبب عدد من المميزات: الولوج المفتوح للكتب؛ التنوع، والثراء؛
- ❖ ثمن الكتب يبقى مرتفعا بالنسبة لأغلبية المشاركين في البحث؛
- ❖ 60% من المبحوثين لا يذهبون إلى السينما إلا نادرا؛
- ❖ 60% من المبحوثين يشاهدون التلفاز يوميا؛
- ❖ 61% لا يقومون بالكتابة؛
- ❖ أكثر من نصف المبحوثين يفضلون الروايات في قراءاتهم بالدرجة الأولى؛
- ❖ حوالي 70% تقول إنها لا تتلقى الكتب في شكل هدايا.

تشير دراسة المجلس الوطني للشباب والمستقبل المعنونة "البحث الوطني حول الشباب" في جزئه الثالث إلى نقطة مهمة ترتبط بجنسيّة sexualisation بعض الممارسات الثقافية (pratiques culturelles genrées)، أي أن هناك ممارسات تعرف إقبالا أكثر من طرف جنس معين مقارنة بالجنس الآخر، يتحدد ذلك بنسبة كبيرة بالتنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها كلا الجنسين كشكل من أشكال الهندسة الاجتماعية (باستعمال مفهوم السوسيولوجية فاطمة المرنيسي)، ومن الأمثلة الشائعة على ذلك مشاهدة مباريات كرة القدم التي تُعرف بطابعها الذكوري.

وقد توصل هذا البحث الوطني إلى أن الذكور يفضلون قراءة الأخبار الرياضية؛ السياسة الوطنية والدولية؛ في حين تفضّل الإناث المقالات الثقافية والفنية؛ الأخبار الاجتماعية؛ أخبار الشباب والأخبار المحلية[454]. في سنة 2011، توصل أوليفيي دونا Olivier Donnat (المشرف على الدراسات التي تجريها وزارة الثقافة الفرنسية حول

[454] Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir, (1993), Enquête nationale auprès des jeunes, Activités socio-culturelles des jeunes, volume 3, Rabat. p.48.

الممارسات الثقافية) إلى نتيجة مفادها تأنيث الممارسات الثقافية féminisation des pratiques culturelles[455]، في حين أن البحث حول الممارسات الثقافية الذي أجرته وزارة الثقافة بإمارة لوكسومبورغ سنة 2009 يشير إلى المساواة في الإقبال على الممارسات الثقافية بين الجنسين[456].

2-3 تنظيم اللقاءات الأدبية

تستثمر الجمعيات الثقافية والشباب الجمعوي بشكل كبير في تنظيم اللقاءات الأدبية، وقد ورد هذا الفعل الثقافي عند:

- ❖ 3 شباب (2 من الذكور وأنثى) يشاركون في هذه الأنشطة بإنتاجاتهم في المساهمة في الجانب التنظيمي؛
- ❖ 10 جمعيات، تنوعت بين جمعيات متخصصة وغير متخصصة

يعتبر سمير أن هناك فئة من الشباب تحمل طاقات كبيرة في ميدان الإبداع الأدبي وتحصل على جوائز عالمية لاسيما على المستوى العربي، لكنها لا تجد من يواكبها ويدعمها. مساهمة منه في سد هذا النقص، يتلقى سمير عددا من إنتاجات المبتدئين ويتطوع بإبداء ملاحظاته واقتراحاته بعد قراءتها. إلى جانب ذلك، يسعى هذا الشاب إلى تغيير الصور النمطية عن المبدعين، لذلك يقوم بتنشيط أمسيات أدبية لفائدة جمعيات ثقافية بشكل مجاني، رغم علمه بحصولها على الدعم المالي.

بهذا، ينمّي هذا الشاب رأسماله الاجتماعي والثقافي في الحقل الأدبي ويساهم في نشر القيم التي يشتغل عليها في أشعاره الزجلية. وفي نفس الوقت، عبّر عن استيائه من كون بعض الشعراء لا يعملون على معالجة مشاكلهم في الإلقاء الشعري رغم مكانتهم المهمة ورغم كون هذه المشاكل تمس بصورتهم الرمزية.

[455] CASSILDE. Stéphanie, (Octobre 2012), « Pratiques culturelles et genre », in: Les cahiers du CEPS/INSTEAD, Cahier n°2012-05, Esch-sur-Alzette, Luxembourg, p. 3.
[456] Idem, p. 21.

أما بالنسبة لرضى، فقد اختار الدفاع عن القيم الروحية والاجتماعية من خلال مشاركة أشعاره الزجلية على مواقع التواصل الاجتماعي. وقد أفاد أن من بين الصعوبات التي تواجه الشباب في فن الزجل هي قلة التكوينات مقارنة مع أنماط أخرى من الفعل الثقافي مثل المسرح، وهو ما يؤشر على الاهتمام الضعيف بهذا الفن، رغم دوره الكبير في التعبير عن الهوية المغربية واكتنازه لصور شعرية وأساليب بلاغية أصيلة.

فيما يخص الجمعيات الثقافية، فالمساهمة في تنظيم المحاضرات والأمسيات الأدبية من شأنه أن يخلق رغبة وفضولا معرفيا يؤدي إلى ترسيخ فعل القراءة بشكل اعتيادي، كما أن هذا النمط من النشاط الثقافي يعمل إلى جانب نشاط توقيع الكتب على تحقيق الانتشار للإصدارات المغربية الجديدة وترويجها. من خلال اللقاءات الأدبية، تحقق الجمعيات الثقافية وظيفة أخرى تتمثل في الوساطة الثقافية بين الشباب والمثقفين الطلائعيين، وهذا ما لاحظته في تجربة "جمعية النماء الثقافي" التي تُسند للشباب مسؤولية تسيير المحاضرات واللقاءات الأدبية، لاسيما الشباب المرتبط بالحقل الأدبي بشكل أكاديمي. بهذا الشكل، تثري هذه التجربة السيرة الذاتية للطالب وتمنحه ثقة بالنفس عبر تسيير هذه الأنشطة. لإدامة أثر هذه الوساطة الثقافية، تعمل الجمعية على تحقيق التعارف بين المثقفين والشباب بهدف تحقيق المواكبة وتسهيل الولوج والانتشار في الحقل الأدبي.

بخصوص نموذج هذه الجمعية، أُضيف أنها تستهدف رهانا فريدا يتجلى في تغيير التمثلات حول الهوية الثقافية لمدينة تمارة من خلال إبراز مساهمات مثقفيها والتأكيد على "استقلاليتها الثقافية". ذلك أن إسم مدينة تمارة ارتبط تاريخيا بوضعية الهامش والتبعية في علاقتها بمدينة الرباط كمركز التي تستقطب أغلب الأنشطة الثقافية، رغم أن عددا مهما منها كان ينظمه أبناء مدينة تمارة، وذلك بفضل توفر العاصمة على الفضاءات الجاذبة والسياق الحضري المناسب. وقد أصبحت هذه الجمعية تحقق جزءا من هذا الرهان الرمزي بعد أن استضافت في لقاءاتها الفكرية مثقفين من مدن أخرى، أبدوا إعجابهم بما تزخر به هذه المدينة من طاقات إبداعية.

تنهج الجمعيات آليات أخرى في الإدماج الثقافي للشباب، كنموذج على ذلك استهداف"جمعية الإشراق الثقافي" للنخب الشابة التي لم تتمكن من تحقيق الانتشار وتأهيلها عبر تخصيص عدد محدد (كوطا) من المشاركات في الأمسيات الأدبية لفائدة الفئات الشابة. بالإضافة إلى ذلك يتم تحفيز الشباب بتخصيص جوائز للمتفوقين وتكريم الفائزين بالجوائز الوطنية والدولية، مع الاهتمام بإقامة ورشات تكوينية في الكتابة الأدبية لفائدة التلاميذ بالمؤسسات التعليمية.

من الوسائل الأخرى التي تستخدمها الجمعيات لتحقيق الماركوتينغ الثقافي وضمان الانتشار، توثيق الأنشطة بالتصوير السمعي البصري ونشرها على الأنترنت حتى تصير مرجعا للباحثين. بالإضافة إلى ذلك، فإن استقبال المثقفين الوازنين ضمن المشاركين في اللقاءات والمهرجانات الأدبية يعتبر عنصر جذب للمتلقي.

تساعد هذه الآليات على معالجة قدر معين من المشاكل التي يعرفها الحقل الأدبي، علما أن لهذا المجال بشكل عام وللّغة بشكل خاص علاقة وطيدة بإشكالية الهوية الثقافية لدى الشباب. يثير التقرير الأول للتنمية الثقافية الصادر عن "مؤسسة الفكر العربي" إشكالية ضعف التواصل بين الجمهور والمثقفين خلال الملتقيات الشعرية، ويشير التقرير كذلك إلى أنه "حين تُعقد مقارنة بين المهرجانات الشعرية العربية التي تتخذ صفة العالمية وبين المهرجانات العالمية مثل مهرجاني "مديين للشعر العالمي في كولومبيا" و"مهرجان الشعر العالمي في كوستاريكا" تبدو الصورة قاتمة، ففي حين يتجاوز حضور الليلة الأولى من مهرجان مديين 20 ألف متابع، ويتجاوز حضور مهرجان كوستاريكا العالمي للشعر العشرة آلاف، في حين نجد المهرجانات الشعرية العربية تُعقد في قاعات شبه خاوية، ليس بها غالبا إلا الشعراء أنفسهم أو بعض المثقفين المنخرطين في عملية الكتابة، مع حضور صحفي لتغطية الحدث. ويلاحظ أن الندوات الشعرية التي تحظى بقدر معقول من المتابعة الجماهيرية هي غالبا لأسماء معينة فرضت سطوة الإسم إما بقوة حضورها في المشهد الثقافي على اتساعه أو بقوة حضورها في الساحة الإعلامية[457].

[457] مؤسسة الفكر العربي، (2009)، التقرير الأول للتنمية الثقافية، الطبعة الثانية، بيروت، ص. 469.

4- دمقرطة الفن التشكيلي

منذ ظهوره بالمغرب خلال الفترة الاستعمارية، ظل الفن التشكيلي الحديث حقلا نخبويا يقتصر على طبقات اجتماعية ميسورة وعلى فئة من المثقفين. إزاء هذه النخبوية، وكما أظهرتُ في القسم النظري، دعت مجموعة من الفنانين والمثقفين منذ عقود خلت إلى دمقرطة هذا الفن وإدماج مختلف الفئات في ثقافته، وتستمر هذه المحاولات حاليا رغم أن السبيل إلى بلوغ دمقرطتها مازال طويلا وشاقا.

بسبب مجموعة من العوامل - كتلك المرتبطة بالحقل الفني، أو ذات الطبيعة الثقافية مثل ضعف التربية الفنية في مؤسسات التنشئة الاجتماعية- تظل إشكالية النخبوية قائمة ويظل الإقبال على الفن التشكيلي ضعيفا مقارنة مع الفنون الأخرى الأكثر جذبا لفئة الشباب، وهو ما تجسّد في البحث الكمي عبر الاستمارة من خلال الجدول التالي:

اختيار الفنون التشكيلية ضمن أنشطة الوقت الحر					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
85.9	85.9	85.9	346	لم يذكره	Valide
100.0	14.1	14.1	57	ذكره	
	100.0	100.0	403	Total	

يسعى فاعلون من العينة المدروسة إلى المساهمة في تنمية هذا الحقل الفني، حيث أظهر التحليل انخراط 2 من الشباب في هذا الفن واهتمام جمعيتين به. ارتكز الفعل الثقافي لعماد على الاشتغال بشكل جماعي على الجداريات في الشارع العام وفي فضاءات المؤسسات، معتبرا أن فن الجداريات هو أسرع وسيلة لنشر الثقافة الفنية في أوساط المجتمع.

يقول عماد: "أسعى إلى تطوير الحس الفني في المجتمع من خلال الفن التشكيلي، أحاول أن أترك أثرا جماليا لاسيما أن الجداريات تخاطب المجتمع في الفضاء العام، فهي أكثر نفاذا لعقول المارة، وخاصة أن التعبير بالصورة وبالخط يسهّل عملية التلقي، فهي وسيلة تفرض نفسها على الجمهور". بخصوص الصعوبات التي يواجهها عماد، يضيف هذا الشاب أن الأمر يتعلق بشكل أكبر بالنظرة الدونية للآخرين الذين يبخّسون إنجازاته، "لكن

هذا شيء طبيعي، بحكم التربية التشكيلية التي مازالت تنقص المجتمع المغربي، كما أن الأحكام الفنية تبقى نسبية".

على نفس المنوال، يحاول حمزة التعبير عن ثقافة الحداثة من خلال فن الجداريات، مركزا بشكل أكبر على قضية المرأة، لكنه لا يكتفي بالعمل الفني في الشارع العام، بل يجسّد ثيماته على حوامل متنوعة مثل الرسم على الخشب وعلى القماش. اشتغل هذا الشباب أيضا بشكل جماعي في فضاء الشارع العام، ويرى أن الأنشطة التي يقوم بها رفقة أصدقائه تحاول تصحيح بعض الأفكار الخاطئة حول التسول بالفن عبر موسيقى الشارع.

تعتبر دراسة الجداريات، والغرافيتيا على وجه الخصوص، من بين المواضيع التي اشتغل عليها السوسيولوجي أحمد شراك والتي حاول من خلالها مقاربة موضوع المؤسسة والهامش. يشير في كتابه "الغرافيتيا، أو الخربشات العربية على الحيطان، مقدمات في سوسيولوجيا الهامش والثورة" إلى أن المعطى الاجتماعي الهامشي له دور أساس في إيقاع المجتمع ونبضه وتلفيظه المضمر والمنسي والمقصي حتى، وذلك ضمن جدلية المؤسسة والهامش، أي ما بين مؤسسة نافذة ومهيمنة وهامش متنطع ومنفلت من هذه الهيمنة. ولعل أهمية الهامش تكمن في التعبير عن مساحة هذا التنطع والانفلات وسقوفه وحدوده. وإذا كان الهامش في الغرب يرفض المؤسسة ويتمرد عليها، فإنه على الصعيد المغربي والعربي (على صعيد المتن تحديدا) لا يرفض ولا يتحدى ولا يشكل كيانا مستقلا، بل إنه يحيا في المؤسسة وبجوارها، بل وأحيانا يعيد إنتاجها وفي أحيان أخرى يمارس نوعا من الانزياح، لكن ليس إلى درجة التمرد والرفض والتجاوز[458].

يضيف المؤلف أنه قد يكون من المفيد استدخال الخطاب، على الأقل، على صعيد البحث العلمي، لأن الخطاب وإن كان خجولا على صعيد الفضاءات الخارجية في المدن أي لا يشكل كثافة لافتة، فإنه غير ذلك على صعيد الفضاءات المغلقة كما درسنا في الثانويات

[458] شراك. أحمد، (2015)، الغرافيتيا، أو الخربشات العربية على الحيطان، مقدمات في سوسيولوجيا الهامش والثورة، روافد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ص. 404.

والإعداديات والكليات والسجون والمراحيض العامة والعمومية. صحيح أنه لم يصل إلى جذبة جماعية كما هو الشأن في الغرب ولكن العولمة الثقافية قد تفعل وتؤثر[459].

أما من جهة الجمعيات، فقد تجسدت آليات الدمقرطة في نموذج "جمعية أجيال الثقافة" من خلال مجموعة من الأنشطة، من أبرزها:

- ❖ تخصيص محترف بدار الشباب لتكوين الشباب في الفن التشكيلي، ومن الفئات التي تستفيد من هذه البنية طلبة الطب؛ طلبة الهندسة المعمارية (يساعدهم توظيف المهارات والتقنيات التي تلقوها على إنجاح مسارهم الأكاديمي) ثم الطلبة الراغبين في ولوج معاهد الفن التشكيلي. وقد استطاع شباب من المنخرطين بالجمعية أن يصنعوا لأنفسهم مسارا مهنيا من خلال العمل كأساتذة للتربية الفنية؛
- ❖ تنظيم معارض فنية جماعية لفائدة الشباب المبدع وفّر لهم فرصة لترويج إنتاجاتهم وبيع لوحاتهم، وهو ما يساهم في تطوير رساميلهم الاجتماعية والرمزية، يستفيد الشباب المنخرطون من هذه المعارض بشكل مجاني، على خلاف المعارض التي تقام في القاعات الخاصة والتي يتم فيها اقتطاع نسبة مئوية (تصل إلى الربع) من ثمن بيع كل منتوج فني.

فيما يخص نموذج "جمعية التواصل الثقافي"، فقد ارتكز على أربع آليات أساسية، وهي:

- ❖ توفير الإقامة الفنية للشباب الوافد من مدن أخرى أو من دول أجنبية في إطار تحضيرهم لمشاريعهم الثقافية أو بالنسبة للمتدربين القاطنين في مناطق بعيدة عن مدينة الرباط. بالإضافة إلى تيسير ظروف الاشتغال، تشكل هذه الإقامات الفنية فرصة للتثاقف بين شباب من مختلف الثقافات، كما قد يتولّد عن هذا العيش المشترك مشاريع ثقافية مستقبلية بين الشباب. من أجل توسيع مجال امتدادها الثقافي، أقامت الجمعية شبكة من المؤسسات الثقافية، فبالإضافة إلى الإقامة الفنية بمدينة الرباط

[459] شراك. أحمد، (2015)، الغرافيتيا، أو الخربشات العربية على الحيطان، مقدمات في سوسيولوجيا الهامش والثورة، روافد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ص. 406.

تتوفر الجمعية على إقامتين فنيتين بمدينتي طنجة وأصيلا، كما تتوفر على مقهى ثقافي بمدينة زاكورة؛

- ❖ توفير إطار تنظيمي للطلبة للقيام بتداريب ميدانية استكمالا لتكوين أكاديمي أو إعدادا لمسار مهني. خلال فترة إجرائي للبحث الميداني، واستقبلت الجمعية 6 متدربين من الشباب المغاربة والأجانب. بالمقابل، تستفيد الجمعية من أفكار ومساهمات المتدربين على اعتبار أنهم شباب متخصصون في الحقل الثقافي؛
- ❖ المساهمة على مستوى مدينة الرباط في مشروع ثقافي تحمله جمعية أخرى بمدينة الدار البيضاء، ويرمي إلى إدماج فن الجداريات ضمن المجال العمراني؛
- ❖ تنظيم ورشات في الرسم لفائدة الأطفال كل يوم سبت.

5- الفعل الموسيقي

تحتل الموسيقى أهمية قصوى في ثقافة الشباب إلى جانب الفنون التي توصف بطابعها "الجماهيري"، بل يمكن القول إنها أقوى ما يمكن أن يعكس ملامح الثقافات الشبابية، نظرا لوظيفتها الاجتماعية المتمثلة في التعبير عن نمط حياة الشباب وذوقهم وأسلوبهم في التفكير، وهو ما يعبّر عنه في لغة الشباب بمصطلح "الستيل style". لا يعكس هذا الأخير فقط تفضيلا جماليا للموسيقى بل يجسّد أسلوب حياة[460]، وقد يكون سببا في توليد علاقات اجتماعية جديدة بين شباب لا يعرفون بعضهم لمجرد أنهم يرتدون أزياء تحيل على أسلوب/ نمط موسيقي معيّن.

بحكم قوة هذا التأثير، حضرت الموسيقى بشكل وازن من خلال الاستمارة الموجهة للشباب، حيث ذكر جميع شباب العينة البالغ عددهم 403 أنهم يقبلون على الموسيقى خلال وقتهم الحر، وذكروا أيضا أن شبكة الانترنت هي من أهم القنوات التي تتيح لهم استهلاك هذه الممارسة، كما هو مبيّن في الجدولين أسفله:

[460] PASQUIER. Dominique, (2005), Cultures lycéennes, la tyrannie de la majorité, Collections Mutations, n° 235, Editions Autrement, Paris, p. 69.

اختيار الموسيقى ضمن أنشطة الوقت الحر					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
100.0	100.0	100.0	403	ذكره	Valide

اختيار الموسيقى ضمن المواد المفضلة على الانترنت					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
10.2	10.2	10.2	41	لم يذكره	Valide
100.0	89.8	89.8	362	ذكره	
	100.0	100.0	403	Total	

توضح النتائج من خلال الإيقاع الذي تتردد بهذه الممارسة في حياة الشباب أن الموسيقى طقس ثقافي يومي خلال الوقت الحر، ويمكنها أن تُمارس بتزامن مع الأنشطة الأساسية مثل العمل أو الدراسة بهدف التحفيز أو تجنب الملل. هكذا، أظهرت الأرقام أن 226 من شباب العينة ترافقهم الموسيقى في حياتهم اليومية:

درجة الاعتياد على سماع الموسيقى					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
56.1	56.1	56.1	226	بشكل يومي تقريبا	Valide
62.3	6.2	6.2	25	في بعض المرات من الشهر	
100.0	37.7	37.7	152	في بعض المرات من الأسبوع	
	100.0	100.0	403	Total	

زيادة على ذلك، تعكس الممارسة الموسيقية للشباب جانبا آخر من ثقافتهم ومن خصائص النمط الثقافي "الحداثي"، المتمثل في عنصر التنوع الثقافي. وقد أكدت الاختيارات البالغ عددها 344 وجود هذا التنوع في الممارسات الموسيقية للشباب:

التنوع في تفضيل النمط الموسيقي					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نمط واحد	58	14.4	14.4	14.4
	أنماط متنوعة	344	85.4	85.6	100.0
	Total	402	99.8	100.0	
Manquante	Système manquant	1	.2		
Total		403	100.0		

بخلاف البحث الكمي بالاستمارة، لم تسفر دراسة عينة الشباب الفاعل جمعويا عن وجود قوي للموسيقى، لكن ذلك لا يعني عدم أهمية هذه الممارسة الثقافية لدى هذه الفئة، بل إن الموسيقى ترافق فنونا أخرى مثل الأمسيات الشعرية والعروض المسرحية ومعارض الفن التشكيلي. وقد عبّرت النماذج التي تم التطرق إليها، والمتمثلة في نموذج شاب واحد و3 جمعيات، عن جوانب مهمة مما يحدث في هذا الحقل من ديناميات سوسيوثقافية.

يسعى فؤاد[461] إلى ترك بصمته في الحقل الموسيقي من خلال ثلاث استراتيجيات أساسية:

- الإستراتيجية الأولى المتمثلة في الصراع الثقافي: يجسد فؤاد حالة الصراع الثقافي التي تعتمل داخل ثقافة الشباب. والمفيد من دراسة هذا الصراع أنه لا يعبر عن النموذج الثقافي لأمثال هذا الشاب، بل عن نموذج الشباب الآخر من الطرف المقابل. يبدأ فؤاد حديثه عن تنشئته الثقافية بالقول إنه منذ طفولته كان يستمع للموسيقى التي كانت تفرضه نفسها في فضاء الأسرة، وهي الموسيقى الطربية والتراثية، فتأثر على وجه الخصوص بالتفضيلات الموسيقية لوالدته، لذلك يضيف أنه ليست هناك حرية مطلقة في تفضيل الأسلوب الموسيقي، حيث أن التنشئة الاجتماعية توجه الإنسان وتحدد تفضيلاته.

خلال مرحلتي المراهقة والشباب، حدث له تصادم ثقافي بين الاتجاهين المحافظ والثائر، أي بين ما اعتاد السماع إليه وبين ما أصبح يسمعه خارج فضاء الأسرة من موسيقى "عصرية"،

[461] فؤاد هو شاب من مدينة الرباط، يبلغ من العمر 25 سنة، يحضر دبلوم الماستر في العلوم الاجتماعية، يؤلف كلمات الأغاني ويلحنها ويؤديها، يكتب قصص قصيرة والشعر الحر والزجل.

وقد سبب له هذا التوتر قلقا وارتباكا دفعه إلى البحث والتفكير، لينتهي به الأمر في نهاية المطاف إلى الانتصار إلى ما يسمى "بالموسيقى الطربية، الكلاسيكية".

غالبا ما تكشف الأبحاث الميدانية المهتمة بثقافة الشباب (سواء في الحقل الموسيقى أو في حقول أخرى) تمرد الشباب على "ثقافة الأسرة" وانطلاقهم نحو نماذج ومسارات جديدة وثائرة، لكن في حالة هذا الشاب تميزت النتيجة بالعودة إلى النموذج الموسيقي الذي تربى عليه في المنشأ.

اعتقدتُ في بداية المقابلة مع هذا الشاب أن فكره يتصف بالطابع التقليدي المدافع عن الماضي والرافض لديناميات التحديث، لكن تبين لي العكس حيث عبّر عن نموذجه الخاص بعد أن أعربت أجوبته عن قبول الاختلاف، وعن حس نقدي لاسيما أنه يكتب ويلحن ويؤدي الموسيقى السياسية الاحتجاجية، إلى جانب كتابته للقصص القصيرة والشعر الحر والزجل المغربي.

يسعى فؤاد إلى المساهمة في تحقيق رهانه الثقافي من خلال ما يعتبره تصعيدا للخطاب الموسيقي "بالكلمات البليغة والمعاني العميقة"، ومن شأن تصعيد هذا الخطاب اللغوي أن يؤدي إلى تصعيد قيمي، فالمتن الموسيقي يفضي إلى التنشئة على قيم معينة. كما يدعو إلى الالتزام على الأقل بأساسيات القواعد الفنية والتقنية للموسيقى، ففي الماضي كان هناك اجتهاد في الموسيقى على مستوى الإبداع واللحن والكلمات.

محاولة مني لاستفزاز هذا الشاب فكريا، عرضتُ عليه أطروحة نقيض حول حرية كل اتجاه شبابي في طرح الموسيقى التي يقتنع بها، مؤكدا له عدم رغبتي في التموقف وفي إدماج ذاتيتي خلال جمع المعطيات الميدانية، ولكن فقط من باب تناول الموضوع من مقاربات مختلفة، فأجاب بالقول: "الخطاب الذي يبعثه هذا الاتجاه الموسيقي يؤثر سلبا على منظومة القيم ويشجع على انحراف الشباب، كما أنه يولّد استغباء المتلقي أو تتفيها له باستبعاد القضايا الأساسية للمجتمع والتركيز على مواضيع تافهة، مثل التغني بالحبوب المهلوسة والتشجيع على العربدة أثناء السكر العلني. وهنا يطرح السؤال : لماذا يُسمح لهذا النمط الموسيقى بالحرية، في حين أن الموسيقى السياسية التي تتطرق لقضايا المجتمع لا يُسمح لها بالحرية، علما أنها مجرد تعبير عن رأي؟"

هكذا، ينتقد هذا الشباب نموذج الشباب الآخرين الذين يروّجون لاستعمال الأسلوب اللغوي المتداول في لغة الشارع "دون احترام لمبادئ الفن، هناك من ينتج أغنية في ساعة من الزمن باستخدام برمجيات معلوماتية وكلمات يركّبها بشكل سريع وآلي دون الاهتمام بمعانيها وأبعادها. يجب التمييز إذن بين موسيقى الشارع كفضاء للتعبير، وهو حق مشروع، وبين موسيقى بلغة الشارع بكلمات نابية وبكثير من الأخطاء الموسيقية والنشاز"

يضيف فؤاد: "من واجبي أن أقاوم هذا التوجه دفاعا عن الموسيقى الراقية والنقية وأروّج لها، فالشباب أصبح ينسى الطرب الأصيل. لكني لا أرفض مثلا موسيقى الراب إلا أنني أتحفظ على بعض الكلمات. لست ضد الحرية بل مع التنوع الثقافي، ولست مع التنميط لكن مع أن تكون هناك معايير لأبجديات القيمة الفنية. فمثلما أنه في البحث الأكاديمي هناك حق في التعبير عن الأفكار، فهناك قواعد للبيبليوغرافيا وقواعد في التحرير، وفي تقنيات جمع المعطيات ومعالجتها، الخ".

❖ تتأسس الإستراتيجية الثانية التي ينتهجها هذا الشاب - والتي تدعم الصراع الثقافي الذي يخوضه - في التأطير المجاني للأطفال الذين لا يتمكنون من الاستفادة من التكوين الموسيقي، ويهدف ذلك إلى تأهيلهم في التكوين الموسيقي الذي يعتبره من أهم أسس التصعيد الفني.

❖ أما الإستراتيجية الثالثة، فتتمثل في البحث الموسيقي، يقول فؤاد: "أريد أن أكون مثقفا فنيا بشكل أكاديمي، وقد بدأت فعلا في إنجاز بعض المحاولات. ففي إطار دراستي بسلك الماستر، قمت ببحث حول تدوين الأغاني البدوية بشرق المغرب. إذ هناك أنماط موسيقية تم الاشتغال عليها مثل النمط النهاري والمنكوشي، لكن هناك أنماط بدوية أخرى ظلت مهمشة ولم يتم الاهتمام بها. أرغب مستقبلا في البحث حول موسيقى الأقليات وتدوينها حتى لو لم تكن طربية. كما أطمح إلى إصدار كتاب حول علم الموسيقى la musicologie، لاسيما أن "المعلمين" ورواد هذه الأغاني يختفون دون أن تتم عملية توثيق هذه الأشكال من التراث. وللأسف، فالاشتغال في علم الموسيقى مازال محدودا في المغرب مقارنة مع دول عربية أخرى. في نفس الإطار، أرغب في الانفتاح على آلات موسيقية أخرى غير الآلات التي أعزف عليها حاليا".

فيما يخص الجمعيات، فمنها من اختارت الاشتغال على الموسيقى "الشبابية"، ومنها من ركزت على الموسيقى "الطربية"، ومنها كذلك من تخصصت في "موسيقى الثقافة الشعبية". بالنسبة للنموذج الأول، تركز "جمعية التنوير" على فنون الشارع، وتتمثل طريقة اشتغالها في البحث عن الشباب الذين يمارسون الموسيقى الشبابية في هذا الفضاء العام بشكل غير منظم، مع احتضانهم وتوفير الإطار التنظيمي لهم. هكذا، أصبحت تتوفر الجمعية على فرقة في موسيقى "الباتوكادا"[462]. ومن خلال التدرايب المتكررة، استطاع شباب هذه الفرقة تطوير مستواهم وأصبحوا يقومون بتنشيط مختلف المناسبات الثقافية مقابل أجر مادي.

أما فيما يخص النموذج الثاني ل"جمعية الإشراق الثقافي"، فتتخصص بشكل أساسي في اللقاءات الأدبية، لكنها تقدم أحيانا عروضا موسيقية بشكل مستقل أو بواسطة معزوفات ترافق الإلقاء الشعري كخلفية صوتية. خلال المقابلة معها، أفادت الجمعية أن أداء أجور الموسيقيين مكلف لها من الناحية المادية، لذلك تكتفي في كثير من الأحيان بجنس الشعر فقط، وهو ما يطرح ملاحظة هامة تتمثل في وجود ترابية بين الأنماط الثقافية من حيث قيمتها المادية في السوق الثقافية.

في حين أن النموذج الثالث ل"جمعية الملتقى الثقافي"، فتخصصت في الموسيقى التراثية واشتهرت بمهرجانها حول الموسيقى الغيوانية، إذ تعمل من خلال ممثليها في مختلف المدن المغربية على التنقيب عن الشباب المبدع في هذا النمط الموسيقي وتعمل على تأطيرهم وتكوينهم، ثم يتم انتقاء نخبة من 15 مجموعة للمشاركة في مهرجان وطني للموسيقى الغيوانية، مع توفير تغطية إعلامية لضمان التعريف بهؤلاء الشباب.

لا تتوقف الجمعية عند حد تنظيم هذا المهرجان، بل تقوم بتتبع هذه المجموعات الشبابية قصد مواكبتهم نحو الاحترافية، ويتم ذلك عبر سلسلة من التكوينات (من قبيل مواجهة الجمهور و"الكوتشينغ")، وكذلك من خلال مواكبتهم في تهييء أعمال فنية خاصة بهم. وجدير بالذكر أن هذا المهرجان الذي نُظمت أولى دوراته بمدينة سلا (قبل أن ينتقل إلى المستوى الجهوي) هو الآن في دورته السادسة، واستطاع تسليط الضوء على 75 مجموعة

[462] الباتوكادا Batucada نمط موسيقي من أصل برازيلي، يتفرع عن نمط "السامبا" ويعتمد بشكل أساسي على قرع الطبول بشكل جماعي وآلات أخرى.

شبابية، في الوقت الذي يظن فيه البعض أن الظاهرة الغيوانية تعيش لحظة التلاشي والضمور، كما تعمل الجمعية على مواكبة الشباب الذين يؤسسون جمعيات موسيقية من خلال تأطيرها في الجوانب التنظيمية والشق الفني.

6- الفعل المسرحي والسينمائي

يحتل فن المسرح موقعا متميزا ضمن ممارسات الشباب الثقافية وفعلهم الثقافي من أجل التغيير والمساهمة في التنمية السوسيوثقافية، في العينة التي تم مسحها بالاستمارة، إحتل المسرح أيضا موقعا لا بأس به في أنشطة الوقت الحر لدى الشباب. ورغم أن الفئة التي ذكرت القيام بهذه الممارسة الفنية لم تتجاوز الفئة التي لم تذكر هذا الاختيار، إلا أنه يمكن اعتبار أن هذا المؤشر إيجابي في ظل وضع ثقافي يعرف تراجعا في الإقبال على الفن المسرحي. ومن بين المؤشرات عن تراجع وضعية المسرح بالمغرب، العدد المحدود لمجموع المؤسسات المسرحية. هكذا، ذكر 175 من أفراد العينة أنهم يقبلون على المسرح في وقتهم الحر، وغالبا ما يكون ذلك في إطار جمعوي، من خلال التخصص فيه أو من خلال الحضور للعروض المسرحية ضمن فئة المتلقين.

اختيار المسرح ضمن أنشطة الوقت الحر					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
56.6	56.6	56.6	228	لم يذكره	Valide
100.0	43.4	43.4	175	ذكره	
	100.0	100.0	403	Total	

أما في العينة التي تمت دراستها بالمقاربة الكيفية، فقد حضر هذا الفن عند 11 شابا (4 منهم إناث) كما حضر عند 7 تنظيمات جمعوية.

1-6 استراتيجيات الاشتغال حول الفعل المسرحي

وظفت عينة الشباب الجمعوي أثناء اشتغالها على فن المسرح ثلاث آليات أساسية، وهي:

❖ **الاشتغال حول القيم:** حل موضوع القيم كواحد من أهم الآليات التي يركز عليها الشباب الجمعوي في فعلهم الثقافي، ويعكس ذلك وعي هذه الفئة بكون القيم هي مصدر السلوكات الفردية والجماعية، سواء كانت ذات طابع إيجابي أم سلبي، مما يجعل من القيم أحد المداخل الأساسية للإصلاح المجتمعي. وقد تبين من خلال خطاب المشاركين في البحث أن القيم التي يدعون إليها هي قيم إنسانية، منها ما ركز على طابع المحافظة ومنها ما عبّر عن خاصية الكونية. لكن، في كلتا الحالتين، يعبّر الشباب المدروس عن حس تربوي إيجابي.

في هذا الصدد، يقول كمال أن المواضيع التي يتناولها في كتاباته المسرحية هي ذات طبيعة فلسفية وتتعلق بحقوق الإنسان، بقبول الاختلاف، برفض التمييز والعنصرية، وغيرها من القيم الكونية". وتضيف مريم،: "أقوم بالاشتغال على موضوع القيم الإنسانية، ففي العصر الحالي لم نعد نهتم بالإنسان في روحه بل في مظاهره، وهو ما يتجلى في كثرة العبارات، من قبيل: أنت ملحد، أنت علماني، أنت متبرجة أو محجبة، أنت رجل، أنت امرأة، الخ، في حين أننا متساوون ولدينا روح يجب أن نشتغل عليها ونرتقي بها. نتيجة لهذه الصراعات القيمية، ألاحظ أننا أصبحنا متوترين أكثر من ذي قبل، بحيث تنشب النزاعات بيننا لأتفه الأسباب".

يعبّر أحمد في نفس الاتجاه بالقول: "في كل أعمالي الفنية أركز على الجانب الأخلاقي المحافظ، لأنني أرى أن الفن استُغل كثيرا في اتجاه الانحلال الأخلاقي واستغل لغير غرضه، وأنا أسعى إلى التركيز على الثقافة المحافظة الأخلاقية، ولا أقصد بالمحافظة تيارا دينيا أو مذهبيا أو إيديولوجيا بعينه، بل أقصد الأخلاق والمحافظة بدون انتماءات".

❖ **التكوين:** سبقت الإشارة في سياقات أخرى من هذا المنجز إلى اعتماد الشباب الجمعوي الفاعل والجمعيات الثقافية على عنصر التكوين بشكل كبير. تجنبا للتكرار، اكتفيتُ بنموذج واحد للشاب كمال الذي أخبر أنه يُشرف على ناد فني في إطار الجمعية الثقافية التي

ينتمي إليها، مع الاستمرار في العمل الجمعوي مع جمعيات ثقافية أخرى. بالإضافة إلى ذلك، فقد أطر ورشات في مؤسسة للتعليم العالي بمدينة الرباط لمدة سنتين. وتتنوع الورشات التي يؤطرها بين كتابة السيناريو والقراءة السينمائية والرسم أيضا، كما قام بأداء ادوار سينمائية.

❖ **مشاركة التجارب والأفكار عبر الأعمال المسرحية:** تتميز فنون المسرح والسينما والعروض الكوميدية الفردية (one man show) بخاصية محاكاة الواقع اليومي للمجتمع في شكل مقاطع وفقرات تجعل المتلقي يتفاعل مع تلك المشاهد، وكأنه يعيشها بشكل حقيقي. وقد استثمر الشباب الجمعوي هذه الخاصية ليتقاسموا مع نظرائهم ومع باقي فئات المجتمع تجاربهم وأفكارهم ومختلف المشاكل التي مروا بها كي يستفيدوا منها هم أيضا.

من النماذج التي عبّرت عن هذا الفعل، نموذج هشام[463] الذي اكتشف أن التكوين الأكاديمي الذي قام به قبل التكوين الذي يتلقاه حاليا لا يتناسب مع متطلبات سوق الشغل، مما دفعه إلى العودة إلى نقطة البداية والانخراط في تكوين أكاديمي آخر امتد لسنوات إضافية أخرى. وقد حاول هذا الشاب التعبير عن هذا المشكل من خلال الفعل المسرحي، وعمل على تحسيس الشباب المُقبلين على اختيار توجه أكاديمي بأن يكونوا أكثر وعيا وأكثر ذكاء في ذلك. وهذا ما عبرت عنه آمال كذلك بخصوص العديد من المشاكل التي تعرضت لها في حياتها.

فيما يخص الجانب النفسي والاجتماعي، فقد عمل أحمد على تجسيد مختلف التوترات والإكراهات التي يصارعها في حياته. وكمثال على ذلك اشتغاله حول موضوع صعوبات الزواج عند الشباب. يقول هذا الشاب:" أنا عازب وأجد إكراهات كبيرة لكي أتمكن من الزواج، لاسيما أنني لا أتوفر على عمل قار. فبالنسبة لي، وقد تجاوزت سن الثلاثين دون أن أستطيع الزواج هو أمر لا يعبر عن النجاح الاجتماعي في الوسط المحافظ الذي أنتمي إليه، فذلك يعتبر عنوسة عند الذكر".

حاول هذا الشاب معالجة موضوع تمثّلات المجتمع للزواج باعتباره مؤشرا على النجاح الاجتماعي في المجتمع المغربي، مؤكدا في عمله المسرحي على مبدأ الاختلاف في الرؤى - حسب ذاتية كل فرد والفئات العمرية والمستويات الاجتماعية، الخ- وهو الاختلاف الذي

[463] هشام هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 25 سنة، يحضر ماستر في المحاسبة وتدبير المقاولات، ينشط بجمعية تؤطر الشباب في مختلف المجالات.

يترتب عنه صراع اجتماعي وصراع بين الأجيال. حاول هذا الشاب معالجة كل ذلك في قالب مسرحي من خلال تكييف (adaptation) النص المسرحي Les Femmes savantes لصاحبه المؤلف الفرنسي موليير. بالإضافة إلى ذلك، يجسد هذا الفاعل الجمعوي قضايا الخير والشر في مسرحيات تتميز برؤية تأملية ووجودية.

بعد تناول أساليب الشباب في الاشتغال على الحقلين المسرحي والسينمائي، سأتناول فيما يلي فعل التنظيمات الجمعوية. كما تمت الإشارة سابقا، بلغ عدد الجمعيات التي تتخصص في هذين الحقلين أو تدمجهما ضمن أنشطة جمعوية أخرى ما مجموعه 7 جمعيات، ويمكن التمييز في فعلها بين أربع آليات أساسية:

- **المسرح التفاعلي**: يمكن تعريف المسرح التفاعلي على أنه مسرح حي للتنشيط الاجتماعي، يتيح للجمهور إمكانية التواصل والتفاعل والتفكير والتعبير والمناقشة الجماعية بكامل الحرية وفي جميع الحالات والمواقف، وهو بذلك يشجع الجمهور على مراجعة معارفه ومواقفه وسلوكياته. يتصف هذا النوع من المسرح بالمرونة ولا يقدم للجمهور حلولا جاهزة بل ينتزعها منه، الأمر الذي يسهم في زيادة الوعي وتطوير مهارات المتلقي. يعد المسرح التفاعلي أحد وسائل العلاج النفسي إذ "انطلق مورينو في طرحه للبسيكودراما من مفاهيم الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون عن تيار الوعي، ومن أبحاث عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد في التحليل النفسي ومن تجربة المسرح العفوي التي قام بها مورينو نفسه"[464].

من أجل المساهمة في تحقيق الديمقراطية الثقافية والإدماج الثقافي لمختلف فئات المجتمع، تقوم جمعيات ثقافية باعتماد هذا النمط المسرحي، ومنها "جمعية التنمية الثقافية" التي توظف مسرح الفوروم كأسلوب متفرع عن المسرح التفاعلي. داخل المؤسسات التعليمية أو داخل فضاءات أخرى، تقوم هذه الجمعية بعرض مسرحيات لمدة تقارب عشرين دقيقة، وتضمّنها خطابات مغلوطة ومتناقضة من أجل استفزاز الجمهور، كشكل من أشكال العلاج بالصدمة. بعد ذلك، يقوم منشط من أعضاء

[464] عبد العظيم عباس. وسام، (2018)، " جدلية العلاقة بين المسرح التفاعلي والقضايا المعاصرة"، مقال على موقع "الحوار المتمدن"، العدد: 6022 ، بتاريخ 13/10/2018، على الساعة 03:23، على الرابط: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=614648

الجمعية بالتفاعل مع الجمهور وفسح المجال له من عبر نقاش جماعي. على إثر ذلك، تصعد فئة من الجمهور للخشبة وتؤدي تلك الأدوار كما تم الاتفاق عليها.
بهذه الطريقة، يتم الانتقال بالجمهور إلى وضعية التفاعل الايجابي والإنتاج الفكري عوض وضعية الاستهلاك التي كان عليها من قبل. بهذا أيضا، تأخذ كلمة "الجمهور" معنى المساهمة الإيجابية، بعد أن التصق بها معنى السلبية والاستهلاك والتلقي.

يحضُر المسرح التفاعلي أيضا في نموذج "جمعية منتدى الثقافة" التي أكدت نجاح هذه الأسلوب في تحقيق الجذب، فأصبح من الملحوظ أن عددا مهما من الشباب أخذ يتصالح مع المسرح. وحسب رئيس الجمعية، فإن ما رفع الإقبال على المسرح، الانتشار الكبير التي حققته برامج إعلامية ثقافية تستهدف التنقيب عن مهارات الشباب المبدع في حقل الكوميديا والمسرح والغناء، لدرجة أنها شكلت موجة إعلامية على الصعيدين العالمي والعربي، لاسيما أن هذه البرامج تشكل انطلاقة مهمة للشباب في حال وصولهم للمراتب الأولى، مما يمنحهم رأسمالا رمزيا قويا يفتح لهم آفاقا واعدة.

يضيف رئيس هذه الجمعية أن "عملية إنجاح التفاعل مع الشباب ليست بالأمر الهيّن، فالاشتغال على العروض المسرحية يتطلب مجهودا فكريا من خلال البحث والتفكير والاحتكاك بالمجتمع للتمكّن من تأهيل الشباب وتثقيفهم. كما يتطلب ذلك أرضية صلبة من التكوين الفني، فالمسرح باعتباره أبو الفنون كما يتم تلقيبه يدمج حقولا ثقافية أخرى ومجموعة من التقنيات، مثل: فن الكتابة؛ فن الديكور والسينوغرافيا؛ المعلوميات وتقنيات الصوت والإنارة وحقل التراث والثقافة الشعبية والتاريخ والقضايا الاجتماعية وعلم النفس وفن تصميم الأزياء والماكياج، إلخ".

- **الجدولة الزمنية للسنة المسرحية:** على غرار باقي الأنماط الجمعوية التي تشتغل بمنطق التخطيط وتضع برنامجا زمنيا غالبا ما يمتد على مدى سنة، تضع الجمعيات المهتمة بإنتاج العروض المسرحية جدولة زمنية تتماشى مع خصوصيات فعلها الثقافي. فنظرا لطول العمليات التي يستلزمها إنتاج العرض المسرحي، يقتصر البرنامج السنوي على إنتاج عرض واحد أو عرضين (حسب إمكانيات الجمعية)

بالموازاة مع الأنشطة الأخرى، لاسيما إن كانت هذه الأخيرة تشكل موردا ماليا بالنسبة للجمعية مثل التكوينات المؤدى عنها.

في هذا الصدد يقول رئيس "جمعية آفاق الثقافة": "يتم تقسيم السنة في جمعيتنا إلى أربع فترات مترابطة، لكل منها خاصيتها. تتمثل المرحلة الأولى في استقطاب الشباب الجدد، والمرحلة الثانية في القيام بالتكوين والتأطير الفني واكتشاف القدرات الفردية. في حين يتم في المرحلة الثالثة التركيز على الارتجال وعرض الأفكار، أما في المرحلة الرابعة والأخيرة فيتم بناء المشروع المسرحي".

هناك جمعيات تمتد برمجتها إلى مدة أطول، مثل "جمعية منتدى الثقافة" التي "تضع برنامجا لمدة خمس سنوات، يضم الإنتاج المسرحي، لكن ومن أجل التحفيز وكسر الروتين، تبرمج تكوينات وأنشطة ثقافية أخرى مثل الرسم أو الخرجات الثقافية، كما أن هناك تدريبات أسبوعية لفائدة كل من الأطفال والشباب".

- **المشاركة في المهرجانات**: تعد الجمعيات المهتمة بالمسرح من أنشط الجمعيات التي تنظم مهرجانات مسرحية خاصة بها أو تشارك في المهرجانات الثقافية على الصعيدين الوطني والدولي، مثل "المهرجان الوطني للحلقة وفنون الشارع" و"مهرجان الشباب".
- **التبادل الثقافي مع الفرق الأجنبية:** مثلما تقوم الجمعيات الثقافية بفعل دبلوماسي ثقافي عبر المشاركة في المهرجانات الدولية، تساهم الجمعيات أيضا في الدبلوماسية الثقافية من خلال تبادل الوفود الثقافية الأجنبية في إطار شراكات للتعاون أو قصد الاستفادة من التكوين الأجنبي ونقل الخبرة، وغالبا ما يرافق هذه العملية التواصلية أنشطة موازية مثل العمل الاجتماعي وزيارات إلى فضاءات ثقافية قصد التعريف بالثقافة الوطنية، كما يشكل هذا الحدث فرصة للتثاقف بين الشباب واستثمار العلاقات العامة من أجل خلق شراكات في مشاريع ثقافية أخرى.

2-6 إكراهات الفعل المسرحي والسينمائي

يتعرض الشباب الجمعوي في خضم فعلهم الثقافي إلى مجموعة من الصعوبات التي لا تساعد على إبراز كل قدراتهم وكفاءاتهم وتُبطئ من إيقاع تحقيق الأثر الثقافي الذي يصبون إليه. وإن كان هؤلاء الشباب يعملون على تجاوز هذه العراقيل، فإنه من المفيد التطرق إليها لتسليط بعض الضوء على ظروف الحقلين المسرحي والسينمائي، خاصة أن وجود عدد من هذه الإكراهات في حقول أخرى من شأنه توضيح الصورة أكثر عن الحقل الثقافي. يمكن تصنيف هذه الإكراهات إلى 4 أنماط:

- **ضغط الوقت**: على غرار الكثير من أفراد المجتمع القاطنين في الحواضر الكبرى، يشعر أغلب الشباب الجمعوي بضغط الوقت الناتج عن النمط الحضري الحديث، سواء تعلق الأمر بوضعية الدراسة أو بوضعية الشغل، وهو ما يطرح صعوبات في القدرة على التوفيق بين الفعل الجمعوي الثقافي وسائر الارتباطات بالحياة الاجتماعية، وأيضا بين الممارسات الأخرى لهؤلاء الشباب.

بخصوص نمط العيش في مدينة الرباط، يقول كمال الذي استقر بهذه المدينة بعد أن تربى وشب بمنطقة دكالة: "أحس بضغط الوقت، لاسيما في مدينة الرباط، أحس أن الوقت يمر بسرعة كبيرة، الإيقاع سريع جدا، وهو ما يؤثر على الممارسات الثقافية بسبب الانشغال بالدراسة". أما هدى، فتطرح حدة هذا الضغط عندما يتعلق الأمر بوضعية المرأة، وما يتبع ذلك من التزامات عائلية.

بخصوص وضعية الدراسة، تشير مريم إلى أنه "على خلاف الدول المتقدمة، فالبرامج التعليمية في المغرب ضاغطة جدا، أنا مثلا أتعرض لضغط في الوقت يمتد إلى غاية الفترة المسائية بحكم طبيعة دراستي التي يستمر فيها التصوير السينمائي إلى أوقات متأخرة من الليل. يطرح لي هذا التأخر الكثير من الصعوبات بخصوص عملي الجمعوي، وحين يتوفر لي الوقت في المساء أحتاجه لقضاء أغراض أخرى لا تقل أهمية. في الدول المتقدمة، العمل الجمعوي مفروض على الطلبة، والبرامج الدراسية تأخذ بعين الاعتبار هذه الإكراهات، لذلك تترك للطلبة حيزا زمنيا مخصصا لذلك".

وهذا ما تؤكده آمال أيضا التي لم تعد تتوفر على وقت كاف بعد أن أصبحت تتلقى دروسا في اللغة الصينية.

على خلاف باقي الشباب، لا يشكل ضغط الوقت إكراها بالنسبة لشباب آخرين بفضل ملاءمة وضعيتهم الاجتماعية للعمل الجمعوي، ومنهم فئة رجال التعليم. في هذا الصدد، يقول أحمد: "مهنتي في قطاع التعليم (الخاص) تتميز بعطل كثيرة، وهو ما يوفر لي وقتا كافيا للعمل الجمعوي، ذلك أنني أتقاضى أجري مقابل العمل بالساعات، بالإضافة إلى توفر الوقت أثناء عطلة نهاية الأسبوع، علما أنني غير متزوج بعد، وهو ما يعفيني من مجموعة من المسؤوليات مقارنة بالشباب المتزوجين".

- **مشاكل تنظيمية خاصة بهذا الحقل الثقافي: إن** ضعف الأطر القانونية هو أول ما يتم التطرق إليه عند طرح المشاكل التنظيمية للحقل الثقافي، تقول هدى: "المهن الفنية غير مهيكلة بشكل جيد، إذ أننا لا نتوفر على التغطية الاجتماعية كما في باقي المهن، وليس من السهل الحصول على بطاقة الفنان للتمكن من الاستفادة من بعض الامتيازات، كما أن القوانين في الحقل الفني مازالت غير مساعدة على العمل الناجع. يُطرح أيضا مشكل نقص المواكبة، فهناك عدد مهم من الشباب المبدع في الحقل الفني الذين لا يجدون من يواكبهم ويساندهم. هناك مشكل الأنانية التي تجعل أشخاصا يعتقدون أنهب مساعدة الآخرين سيتم تجاوزنهم".

ليست المهن الثقافية وحدها من تعرف مشاكل متعلقة بالهيكلة والتنظيم، بل إن أغلب ميادين القطاع الثقافي تعرف ضعفا في التنسيق بين جل مكوناتها، ينضاف إلى ذلك ضعف توفر البيانات الدقيقة عن حجم القطاع الخاص والأموال التي توجّه إليه، ويُسجّل أيضا ضعف الجانب التشريعي في مختلف الحقول الثقافية[465].

أما مريم، فتثير "إشكالية التأثير السلبي للوساطات على حوافز الشباب للقيام بتصوير فيلم سينمائي أو بيع سيناريو أو التعاقد مع شركات الإنتاج، كما تطرح إشكالية

[465] كداي. عبد اللطيف، (2016)، "الصناعة الثقافية بالمغرب والمساهمة في التنمية: أي استراتيجيات ممكنة؟"، (43-49)، في: السياحة بصيغة الجمع: من الثقافة إلى التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد مزدوج 3-4، تازة، ص.45

الكفاءات، فهناك من يكتب السيناريو دون أن تكون له علاقة به لمجرد أن له وساطات، وهذا يضرب في مبدأ تكافؤ الفرص، لا يتم العمل بمبدأ الإنسان المناسب في المكان المناسب، لو كان هناك توظيف جيد للشباب الأكفاء من خريجي المعاهد في المجال السمعي البصري لاستطاع المغرب أن يحصل على المزيد من الجوائز العالمية".

تسترسل هذه الشابة بالقول إن إشكالية خلق فرص الشغل هي من بين المشاكل التنظيمية التي يعرفها هذا الحقل، "هناك هاجس البطالة لدى الشباب، لاسيما أن الحقل السينمائي مكلف جدا لكون الصناعة الثقافية في المغرب تعاني محدودية كبيرة، وهو ما يطرح إشكالية التعليم العالي وفتح الماسترات. أعتقد أن وزارة التعليم العالي يجب أن تفتح مسارات التكوين بناء على دراسات دقيقة لسوق الشغل لتفادي تكدس العاطلين عن العمل. فكثير من الشباب يكتشفون بعد إنهاء دراستهم أن آفاق التشغيل محدودة، هناك إذن عدم ملاءمة بين التكوين ومتطلبات سوق الشغل. وحتى فيما يتعلق بمضمون هذه التكوينات، فليس هناك تناسق في المحتوى، فحتى الأستاذة الذين يتم اعتمادهم، ينتمون إلى تخصصات بعيدة عن هذا المجال، وهم بدورهم يتعرضون لإكراه مؤسساتي حينما يطلب منهم تدريس مواد خارج تخصصهم، في حين أن الاستعانة بالأساتذة المتخصصين يتطلب ميزانيات كبيرة، ومنهم من ينبغي استجلابه من الخارج".

- **إكراهات مرتبطة بالنوع الاجتماعي:** تواجه الشابات الجمعويات صعوبات من نوع خاص في الحقل الثقافي تعبّر عن هندسة اجتماعية بطابع ذكوري، كما تناولت ذلك السوسيولوجية فاطمة المرنيسي. وتكشف إجابات المشاركات في البحث عن بعض من هذه الإشكاليات المرتبطة بالجسد. تقول هدى: "في مجتمعنا كما في مجتمعات عربية أخرى، هناك نظرة نمطية ترى في المرأة جسدا للاستغلال، فالكثير ممن يعرضون المساعدة يبحثون عن مقابل جنسي من خلال تلميحاتهم، وهذا شكل من أشكال التحرش، لاسيما في المجال الفني وخاصة في الحقل السينمائي".

تضيف نفس الشابة: "أسمع بين العاملين في هذا المجال عن الكثير من الوقائع التي تتحدث عن أدوار سينمائية يتم إسنادها لممثلات بمقابل لقاءات جنسية، لكن لا يمكن التعميم. ولا يقتصر الأمر على المجال الفني فحسب، فمن خلال تجربتي الشخصية، عملت أجيرة من قبل وكنت دائما أتعرض لمحاولات من هذا القبيل سواء من طرف المشغّلين أو من طرف الزبناء. لكن، يبقى لشخصية المرأة ولفكرها دور كبير في تحديد أسلوب التعامل مع هذه الوضعيات. فحينما تكون المرأة حازمة، تضع حدا لهذه السلوكات. بخلاف ذلك، لو كانت شخصيتها ضعيفة فالكل سيتجاوز حدوده معها. وأحيانا أتظاهر بالغباء كي لا أدخل في صراعات تنغّص عليّ يومي وتعكّر مزاجي".

إن أهم الإشكاليات التي تواجه قضية النوع الاجتماعي تجد جذورها في عوامل ثقافية وأهمها عملية التنميط، سواء تعلقت بدور المرأة ومكانتها أو جسدها أو حقوقها، الخ. هنا تحضر مسالة الأفكار النمطية les stéréotypes، ويحيل معنى هذا المصطلح الأجنبي على اللوحة المعدنية التي تستعمل في فنون الطباعة، فانطلاقا منها يمكن استخراج نسخ ونظائر مكتوبة تعيد إنتاج ما نُقش على اللوحة. وقد عرف المصطلح انتشارا في العلوم الاجتماعية التي هاجر إليها على يد والتر ليبمان Walter Lipman. في كتاب هذا المؤلف عن "الرأي العام"، يعتبر أننا لا نحيط علما بكل شيء وإنما بالنزر القليل من المعارف، ومن أجل الاقتصاد في الجهد وتجاوزا للعجز، فإننا ننزع إلى اتخاذ موقف دفاعي يحثنا على المحافظة على الانسجام مع الأفكار المسبقة وعوائدنا التي تجعلنا في منطقة مريحة للمعرفة، هكذا نلجأ إلى التنميط الذي يجعلنا نكوّن أفكارا جاهزة عن الأشياء والناس في صورة نمطية[466].

إن تلك النمطيات عبارة عن صورة أو سلسلة من الصور المعيارية التي تعبّر عن رأي يهيمن على "التمثلات الجمعية"، التي قد تنطوي على أنواع مختلفة من التوجس والشعور بالخوف من الآخر والتعصب. تكتسب هذه النمطيات قوتها من خلال التكرار في المواقف والاتجاهات التي تزيدها رسوخا في الأذهان، وتجعلها تؤثر في الرأي العام، وتتجلى بشكل

[466] وافي. العربي، (2008)، مقاربة النوع والتنمية، المعرفة للجميع، عدد 35، منشورات رمسيس، الرباط، ص. 28

ملحوظ في السلوك اليومي المعتاد. بهذا المعنى، فهي قادرة على الاستحواذ علينا واستلابنا مما يؤدي إلى تشويه الحقائق وتغييب وجهات نظر مختلفة ومعقدة[467].

بعد أن تعرضت هدى لهذا النوع من السلوكات كممارسة، ركزت مريم من جهتها على إشكالية التمثلات وما تسببه من أثر. تقول هذه الشابة: "بالنسبة لي كأنثى أجد صعوبة في اختراق الحقل السينمائي بسبب طابعه الذكوري، وأحيانا ينظر اليّ كشابة باستغراب وبنظرة دونية حين أقول إنني مسؤولة على الإشراف على برنامج ثقافي، وهذا يعبر عن عدم الثقة في فئة الشباب، خاصة إذا تعلق الأمر بالمرأة. الصور النمطية للمجتمع لا تساعد في هذا الميدان، فحين يوصلني زميل لي إلى البيت في الثانية صباحا بعد أن أكون قد أنهيت العمل السينمائي ليلا أو في إطار مهرجان ما، غالبا ما ينظر إليّ نظرة سلبية من طرف سكان الحي الذي أقطن به، كما يتم النظر إلى المشتغلين بهذا المجال على أنهم منحلين خلقيا ومنحرفين عن الأخلاق العامة، هناك إذن صراع للقيم وللأفكار".

بخصوص اندماج المرأة المغربية في سوق الشغل، يرى العربي وافي أنه رغم "الغزو" الذي حققته المرأة في العديد من المواقع التي كانت تعتبر بقوة الأشياء شبه محظورة عليها، بمقابل ذلك، هناك مناطق أخرى مازالت تمثيلية المرأة فيها لم تتجاوز عتبة الوجود الرمزي، مثلا ضمن رؤساء الجامعات وعمداء الكليات[468].

تضيف مريم "حينما فكرتُ في الدراسة بالحقل الفني، توجه أشخاص من المحيط العائلي إلى أسرتي بالقول إن هذا المجال مضيعة للوقت ومحدود الأفاق، وأنه سينتهي بي المطاف أتسوّل المساعدات والدعم المالي مثلما يفعل العديد من الفنانين، كما أنني سأهدر كفاءاتي التعليمية والمعرفية في هذا المجال بعد أن كان لدي اختيار بين الدراسة في العلوم السياسية أو علوم التربية أو الحقل الفني، فاخترت الفن وهو ما كان صادما للآخرين. أما عائلتي، فأعطتني منذ البداية حرية الاختيار شريطة أن أتحمل نتائج اختياراتي".

في حالة زينب، فقد أكدت على الأثر الايجابي الذي يمكن أن تحققه الأسرة والتنظيمات الجمعوية في مساعدة المرأة على الانخراط في التنمية وفي الحياة العامة بشكل عام. تقول

[467] وافي. العربي، (2008)، مقاربة النوع والتنمية، المعرفة للجميع، عدد 35، منشورات رمسيس، الرباط، ص. 29.
[468] المرجع نفسه، ص. 112.

هذه الشابة: "فيما يتعلق بعائلتي فلا تمارس علي أي ضغوطات، بل تؤطرني وتشجعني. أسرتي وضعت فيّ ثقتها، وأنا أسعى دائما إلى الوفاء بهذه الثقة. لكن خارج الأسرة، أرى أن المجتمع يعامل المرأة بنظرة دونية وكأنها كائن ضعيف لا يستطيع أن يحقق المنجزات. من الأمثلة على ذلك أن أختي تتوفر على دبلوم في الميكانيك وتجد صعوبة في الحصول على عمل، ودائما ما يقال لها من طرف المشغّلين إن هذه مهمة الرجال. أنا بدوري أحاول أن أواجه هذه التحديات وأثبت ذاتي، لكن أشعر بقوة ضغط المجتمع عليّ كامرأة. وقد ساعدتني الجمعية أيضا على تحقيق ذاتي، فمثلا هناك مهام إدارية كنت أحس أنني عاجزة على القيام بها، لكن أعضاء الجمعية شجعوني وتعجبت من نفسي حين أنجزتها، فأحيانا كل ما نكون بحاجة إليه هو بعض العبارات التحفيزية.

- **صعوبات أخرى**: بالإضافة إلى ما سبق تناوله، يطرح الشباب الجمعوي صعوبات من نوع آخر، من بينها ما تحدث عنه رضوان من مخاطر أمنية يتعرض لها الشباب، خاصة الإناث، في حالة تأخر الأنشطة الثقافية إلى ساعات معينة من الليل، وقد سبق أن تعرض لحادث اعتداء جسدي أثناء نزوله من السيارة. من جهة أخرى، أشار أحمد إلى صعوبات التلقي حينما يكون الجمهور غير مؤهل من الناحية الثقافية، وهو ما يخلق معيقات على مستوى التواصل.

زيادة على الصعوبات السابقة الذكر، تنبغي الإشارة إلى أنه في إطار تراجع التربية الفنية في القطاع التعليمي، فقد تراجع المسرح المدرسي والمسرح الجامعي بشكل كبير مقارنة مع الماضي، حيث كان يعد مشتلا تكتشف فيه المواهب المسرحية على غرار باقي أنماط المواهب التي كانت تبرزها أنشطة التفتح الثقافي. وينتج عن هذا الوضع ضعف في الثقافة المسرحية لدى المتلقي المغربي، مما يصعّب مهمة الشباب الجمعوي أثناء تواصلهم الثقافي مع مختلف أنماط المتلقين. وقد أكدت عينة الشباب الجمعوي ضعف أنشطة المسرح المدرسي من خلال الجدول التالي:

المشاركة في أنشطة المسرح المدرسي أو الجامعي خلال مرحلة الدراسة					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
84.9	84.9	84.9	342	لم يذكره	Valide
100.0	15.1	15.1	61	ذكره	
	100.0	100.0	403	Total	

مقارنة مع المسرح، تسجل الممارسة السينمائية حضورا لافتا في أوساط الشباب كإحدى الفنون "الجماهيرية" الجاذبة، حيث ذكر 395 فردا من عينة الشباب أنهم يُقبلون على فن السينما ضمن أنشطة الوقت الحر، وأن الأنترنت أصبحت مصدرهم الرئيسي في استهلاك الإنتاجات السينمائية بعد تراجع أعداد دور السينما، ويتبين هذين العنصرين من خلال الجدولين أسفله:

اختيار السينما ضمن أنشطة الوقت الحر					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
2.0	2.0	2.0	8	لم يذكره	Valide
100.0	98.0	98.0	395	ذكره	
	100.0	100.0	403	Total	

اختيار السينما ضمن المواد المفضلة على الانترنت					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
6.0	6.0	6.0	24	لم يذكره	Valide
100.0	94.0	94.0	379	ذكره	
	100.0	100.0	403	Total	

كان من المتوقع أن يكون إقبال الشباب على السينما مرتفعا نظرا لعوامل الجذب التي يتوفر عليها هذا الفن، ويلاحظ أن هذه الجاذبية تطورت بشكل كبير مقارنة مع الماضي من خلال المقارنة بنتائج دراسة "البحث الوطني حول السينما وجمهورها بالمغرب" Enquête nationale sur le cinéma et son public، التي تم انجازها سنة 1991 في إطار التحضير لمناظرة "من أجل الترويج للسينما المغربية". وقد شملت هذه الدراسة 1200

مشارك في البحث موزعين على مختلف مناطق المغرب، وكانت نتائجها المتعلقة بالشق الكمي كما يلي:

- ❖ 37% من الساكنة المغربية لا تهتم بالسينما ولا تدرجها ضمن اهتماماتها الثقافية؛
- ❖ 24.4% من مجتمع العينة هم بمثابة جمهور غير ثابت و61.5% لا يذهبون إلى السينما إلا نادرا؛
- ❖ 30% من المستجوبين لم يسبق لهم أن رأوا فيلما مغربيا، ونصف الجمهور الذي رأى فيلما مغربيا قد رآه عبر التلفاز وليس في دار السينما؛
- ❖ أغلب المستجوبين الذي يذهبون للسينما هم حضريون وأغلبهم من الشباب الذكور.

أما الشق الكيفي من هذا البحث فقد خلص إلى أن: المستجوبين الذين يتوفرون على المستوى الكافي من التعليم الذي يجعلهم يكونون رأيا مبنيا يصنفون السينما المغربية في مستوى متوسط، ضعيف أو ضعيف جدا. كما استنتجت الدراسة إلى أن فئة من الجمهور مازالت حاضرة لكنها تنتظر أعمالا قيمة، في حين أن فئة أخرى تعبت من الانتظار وعبرت عن استيائها[469].

[469] TOUZANI. Amina, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, La Croisée des Chemins, publié avec le concours du Service de la Coopération et d'Action Culturelle de l'Ambassade de France au Maroc, Casablanca, p. 209.

المبحث الثاني: الفعل الثقافي

كإستراتيجية لبلوغ الرهانات الاجتماعية

لا تتركز ممارسة المواطنة عند الشباب الجمعوي على الفعل الثقافي فحسب، بل تمتد أيضا إلى استثمار هذا الأخير في معالجة القضايا الاجتماعية. ورد هذا الفعل الاجتماعي عند 8 أفراد من عينة الشباب وعند 12 تنظيما من عينة الجمعيات، وقد استخدمت فئة الشباب الجمعوي لتجسيده وسائل متنوعة، منها:

1- التطوع بالعمل الثقافي في المؤسسات الاجتماعية

في خضم فعلهم السوسيوثقافي، يعمد الكثير من الشباب الجمعوي إلى الجمع بين التنمية الثقافية والتنمية الاجتماعية، لاسيما من خلال استثمار ميدان الخدمة الاجتماعية. وحسب الألماني فريد لاندر Walfer Fraid LANDER، يمكن تعريف الخدمة الاجتماعية على أنها نسق منظم من الخدمات والبرامج التي يتم إعدادها لمساعدة ودعم الأفراد والجماعات على تحقيق مستويات مناسبة من العيش ورعاية الصحة، ولتدعيم العلاقات الاجتماعية بما يمكّنهم من تنمية قدراتهم تماشيا مع احتياجات مجتمعهم. أما قسم الشؤون الاجتماعية بالأمم المتحدة فيعرّف الخدمة الاجتماعية كنشاط محكم وممنهج يسعى إلى المساعدة والتأقلم الملائم للأفراد مع وسطهم الاجتماعي، ويتم ذلك باستعمال المناهج والتقنيات الموجهة بشكل يسمح بمواجهة التحديات وحل المشاكل التي يطرحها تكيفهم مع مجتمع في طور النمو[470].

حضر الفعل الثقافي بمؤسسات الرعاية الاجتماعية والمؤسسات السجنية في إجابات 5 شباب من أصل 7، وقد تنوعت أشكال منطق الفعل حسب مستويات الاندماج في هذا العمل. بالنسبة إلى فؤاد مثلا، فإنه يتحمّل في عمله الاجتماعي مسؤوليات أخرى زائدة عن الفعل الثقافي، إذ يقول "أصبحت أمارس الفن من أجل خدمة الجانب الاجتماعي في دور الأيتام والعجزة على غرار اهتمامي بفئات مهمشة أخرى. في هذا الصدد، أقوم بالإشراف العام على كثير من المهام مثل: التواصل مع مؤسسات الخدمات الاجتماعية وتمثيل الجمعية في التدابير الإدارية الواجب اتخاذها وبرمجة الأنشطة والتنسيق مع المساهمين في إنجازها وتهييء الجانب التقني مثل الصوتيات والمعلوميات".

[470] أمزازي. محمد. أمين، (2020)، "الخدمة الاجتماعية وارتباطها بالتنمية البشرية في ضوء السياسة الاجتماعية بالمغرب، برامج قطاع التعاون الوطني أنموذجا"، (125-137)، في: المجتمع المدني والتنمية، أسئلة ومقاربات متقاطعة، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، تازة، ص. 127.

على نفس المنوال، يقول حمزة: "أقوم بالعمل الاجتماعي عن طريق الفن مثل المشاركة برسم الجداريات مع جمعيات أخرى خلال حملاتها الطبية. على هامشها، أقوم مع عدد من الشباب بإلقاء عروض مسرحية وموسيقية موجهة للأطفال والشباب ". أما فيما يخص نادية، فترى أنه زيادة على ما يحققه الشباب من منجزات، فإنهم يستفيدون أيضا من إثراء ثقافتهم بالاطلاع على أوضاع مؤسسات الرعاية الاجتماعية وما يعيشه نزلاؤها من تجارب وما يتوفرون عليه من رؤى في الحياة.

فيما يخص عينة الجمعيات، فمن بين 12 جمعية تعتمد الفعل الثقافي للمساهمة في التنمية الاجتماعية، هناك 11 منها، تقوم بالفعل التضامني في مؤسسات الخدمة الاجتماعية. في هذا الإطار، أذكر نموذج "جمعية الانبعاث الثقافي" التي وظفت مقاربة تشاركية في طريقة اشتغالها، تقوم على إدماج المسنين العروض المسرحية بعد تلقينهم تكوينات في هذا الفن. هكذا، لا يتلقى المسنون معارف جديدة فحسب، بل ينتقلون من وضعية التلقي إلى وضعية الإنتاج الثقافي، لاسيما أن هذه الفئة تحتاج إلى نيل الاعتراف والشعور أنه مازال بإمكانها العطاء والإنتاج.

نفس المقاربة الإدماجية تنهجها "جمعية الإشراق الثقافي" في عملها الثقافي حيث تنظم أنشطة بالمؤسسات السجنية وباقي مؤسسات الرعاية الاجتماعية، إذ تنسق مع إداراتها لحصر عدد النزلاء المبدعين والتواصل معهم بغية إدراجهم في البرنامج الثقافي. هكذا، تتحول فئة "الجمهور" التي غالبا ما تنسب لها الممارسة الثقافية بشكل استهلاكي إلى فاعلين يؤثرون في نظرائهم، وقد أثبتت المناهج التربوية كيف أن "التثقيف بالنظير" ينتج آثار أكثر عمقا وأكثر تحفيزا. وقد أخبرت الجمعية أن هذه الفضاءات الاجتماعية تزخر بمبدعين مهمشين متوارين في الظل، وهم بحاجة إلى للظهور للعلن والمواكبة من أجل تيسير إدماجهم اجتماعيا وثقافيا.

2- المواكبة الاجتماعية

تجلى فعل المواكبة الاجتماعية عند 2 من شباب العينة وعند شاب آخر من خارج العينة. وقد تنوعت أشكال هذه المواكبة بين مواكبة تنظيمية، اجتماعية وأخرى عن طريق

العلاج النفسي. تمثل النمط الأول في نموذج مهدي الذي راكم تجربة مهمة في العمل الجمعوي، فسعى إلى تقاسم معارفه مع الجمعيات الأخرى، بما فيها تلك التي تشتغل في العمل الاجتماعي التضامني، لاسيما أن المنطقة التي ينشط فيها هي منطقة هامشية بمدينة سلا. يقول هذا الشاب: "على اعتبار أن منطقة بوقنادل كانت تعرف نقصا كبيرا جدا في العمل الجمعوي، فقد كنت أنخرط في الجمعيات الحديثة التأسيس من أجل مساعدتها ومواكبتها بالتأطير. هكذا، أصبح اسمي معروفا ومطلوبا من طرف عدة جمعيات، لاسيما بعدما اشتهرت بتأطير هندسة المشاريع لفائدة المقاولين الشباب".

أما الشكل الآخر من المواكبة الاجتماعية فقد تجلى في حالة الشاب كمال الذي انخرط في برامج لإدماج الشباب المنحرف في الأحياء الهامشية، حيث قال: "سعينا إلى خدمة القضايا الاجتماعية وإحداث التغيير عن طريق الفن، اشتغلنا مثلا مع منظمة إيطالية حول إدماج شباب الأحياء الهامشية بمدينة الرباط عن طريق أشكال مختلفة من الأنشطة الفنية، وفي ذلك وظفتُ ما تلقيته في تكويني الفلسفي والمسرحي، وقد تجلت بعض النجاحات في عودة اهتمام الشباب والمراهقين بمسارهم الدراسي، ومنهم من أصبح متفوقا، بل وانخرط أيضا في تأطير شباب آخرين".

أصبحت ظاهرة العنف الشبابي الناجم عن أوضاع المجالات الحضرية الهشة مؤرقة للمهتمين بالمسالة الاجتماعية، سواء في دول العالم الثالث أو دول العالم الأول. وقد أثار الشاب كمال نقطة مهمة تتمثل في قدرة الفن على امتصاص آثار هذا العنف وعلى التخفيف من حدته، لاسيما في ظل محدودية تدخل الفاعل العمومي، حتى في الدول المتقدمة[471].

يتحدث السوسيولوجي محمد راضي عن وجود تقاطعية سوسيولوجية intersectionnalité sociologique بين أشكال الحرمان الاجتماعي والإقصاء الاقتصادي وتنامي مستوى العنف لدى الشباب، ففي هذه المناطق تصبح فئات واسعة من

[471] AVENEL. Cyprien, (2010), « Jeunesses des quartiers fragiles, politique de la ville et émeutes urbaines », (301-314), in: La jeunesse n'est plus ce qu'elle était, sous la direction de Jacques HAMEL, Catherine PUGEAULT-CICCHELLI, Olivier GALLAND et Vincenzi CICCHELLI , Collection Le Sens Social, Presses Universitaires de Rennes, Rennes, P. 305.

الشباب فئات غاضبة متحمسة للعنف، كما تؤدي هشاشة بنية الأسر وعدم كفاية دخلها إلى اهتزاز كيان العائلة[472].

سبق للسوسيولوجي الأمريكي مرتون أن ربط بين اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية وبين الانحراف والعنف، واعتبر الحرمان السوسيواقتصادي من أهم أسبابهما عندما توجد فجوة بين تطلعات الأفراد نحو المكانات السوسيواقتصادية - كغايات يضعها المجتمع - وبين المعايير التي يضعها هذا المجتمع لكي يحقق الأفراد هذه التطلعات[473]. إضافة إلى عامل الاختلال في التنظيم الاجتماعي la désorganisation ثم عامل الاستبعاد الاجتماعي l'exclusion، يضيف فرانسوا دوبي François Dubet عاملا آخر يتمثل في السعار الاجتماعي la rage الناتج عن الشعور بالخضوع للهيمنة la domination[474].

أما المواكبة النفسية، فقد تمظهرت من خلال نموذج نبيل، وهو شاب لا ينتمي إلى عينة المدروسة من الشباب الفاعل جمعويا، بل التقيت به بالصدفة وحاولت برمجة بمقابلة معه، لكن تعذر ذلك، فاقتصر الأمر على محادثة بسيطة. وقد عبّر هذا الشاب على أنه يقدم خدمة المساهمة في العلاج النفسي للأطفال عن طريق الموسيقى عبر حصص منزلية بشكل مؤدى عنه، وقد لاحظتُ من خلال المكالمات الكثيرة التي كان يتلقاها أنه يحقق إقبالا كبيرا وسط الآباء. وبهذا الشكل، يجمع هذا الشاب بين الخدمة الاجتماعية عن طريق الفن وبين المكسب المادي.

3- الإسهام في التنمية الحضرية

تم التركيز على بُعد التنمية الحضرية بشكل أكبر في خطاب 6 جمعيات، حيث ركزت على أهمية العمل عن قرب، سواء على مستوى الأحياء أو على مستوى النسيج العمراني للمدينة العتيقة، لاسيما حينما يتعلق الأمر باستفحال الهشاشة الاجتماعية. ومن أبرز النماذج

---

[472] راضي. محمد، (2016)، "الإقصاء الاجتماعي والعنف لدى الشباب"، (88-96)، في: السياحة بصيغة الجمع: من الثقافة إلى التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد مزدوج 3-4، تازة، ص. 94.

[473] المرجع نفسه، ص. 92.

[474] DUBET. François, (1987), La galère : jeunes en survie, Fayard, Paris, p. 80.

التي جسدت هذا الفعل الاجتماعي، نموذج المهرجان التراثي الذي تنظمه سنويا "جمعية الازدهار الثقافي"، وهي الحالة التي تتداخل فيها أبعاد مختلفة.

تقوم فكرة المهرجان على إحياء ممارسات تراثية وطقوس تقليدية في فضاء الشارع، مع مواكبة ذلك بعروض من الموسيقى التراثية، تم استلهام هذه الفكرة من تجربة جمعوية لازالت تنظم بمدينة أخرى. خلال المراحل الأولى لتأسيس هذا المشروع، كان الشعار المتداول بين الشباب هو "إسمع صوت من لا صوت له"، إختار الشباب هذا الشعار كشكل من أشكال المقاومة والاحتجاج، بعد أن طرحوا الفكرة في البداية على المنتخبين ولم تتم الاستجابة لهم. لكن في نهاية المطاف، نجح المشروع وتمت التغطية الإعلامية بحضور قنوات وطنية وأجنبية منذ النسخة الأولى للمهرجان، فحضر المسؤولون من أجل إلقاء كلمة والتقاط الصور (التي ستوظف سياسيا). وقد شكل ذلك سياقا للصراع السياسي بين الأجيال، إنتهى بإنجاح الشباب لهذا المشروع.

على مستوى آخر، قامت الجمعية بإدماج الدبلوماسية الثقافية في مشروعها الجمعوي، إذ تم استحضار فرق تراثية للفن الكناوي كفن مجسد للعلاقات التاريخية بين المغرب وجذوره الإفريقية، خاصة أن الحي يعرف استقرارا مهما للمهاجرين من دول جنوب الصحراء. إضافة إلى ذلك، تم استجلاب فرق أخرى للموسيقى الشعبية، وأصبح هناك نوع من التعاقد مع هذه الفرق لإحياء هذا المهرجان بشكل سنوي مقابل أجر مادي. هكذا، أصبح للمهرجان بعد اقتصادي من خلال ترويج العمل الفني لهذه الفرق الموسيقية، بل أكثر من ذلك تتيح أيام المهرجان فرصة رواج اقتصادي للباعة المتجولين وأصحاب المحلات التجارية وعدد من أصحاب المهن الصغيرة والخدمات. يجسد هذا النموذج كيف أن اقتصاديات الثقافة يمكن أن تكون رافعة تنمية بالنسبة إلى قطاعات أخرى، ليس فقط على مستوى الماكرو بل أيضا على مستوى الميكرو.

على هامش الجانب الثقافي للمهرجان، قامت الجمعية بعمل تضامني أسفر عن توزيع مساعدات على الأسر المعوزة. ومن الناحية التنظيمية، تم تقسيم العمل بين فرقتين من المتطوعين الشباب. وتعمّد الفاعلون في المهرجان تنظيم الأنشطة في النقط السوداء لهذا

الحي - الذي اشتهر بسمعته الأمنية السيئة - بالرغم من النصائح التي اقترحت اختيار مواقع أخرى بعيدة عن تلك النقط السوداء، لكن شباب الجمعية تمسكوا بهدفهم لتقديم الدليل على أن مثل هذه المشاريع الثقافية في الشارع العام يمكن أن تنجح في مثل هذه الأحياء. وقد استطاع شباب الجمعية إدماج مجموعة من الشباب المعروفين بالانحراف والعنف كمنظمين يدافعون عن حسن سير المهرجان.

أدى نجاح هذا الفعل الثقافي على المستويين الاجتماعي والسياسي إلى توحيد شباب الحي في كل دورة من دورات المهرجان والى تقوية قيمة التطوع لديهم. بل أكثر من ذلك، فقد أصبح هذا المهرجان الثقافي يشكل رمزا لهوية حضرية يفتخر بها شباب وسكان الحي، وتساهم بذلك في تبديد الوصم الذي طبع سمعة هذا المجال العمراني، وأصبح يؤثر سلبا على الهوية الفردية والاجتماعية لساكنته.

على نفس المنوال، وبغية رد الإعتبار لمجال المدينة العتيقة وتقديم تصورات وتوصيات لآفاق تنميته، تقدم "جمعية رواد الثقافة" بسلا نموذجا آخر للمساهمة في التنمية الحضرية عبر القوة الإقتراحية التشاركية، من خلال دعم مؤسسات التدبير الحضري بالدراسات العمرانية، حيث قامت خلال سنوات سابقة بدراسة لهذا النسيج العمراني مع معهد من مدينة فنيسيا الايطالية، وتم وضع هذه الدراسة كوثيقة مرجعية لدى المؤسسات العمومية. وتتوفر هذه الجمعية التي تحظى بصفة المنفعة العامة على 67 اتفاقية شراكة مع مؤسسات عمومية وخاصة وفعاليات أخرى من المجتمع المدني.

4- الترافع الاجتماعي

إلى جانب الآليات التي تم التطرق إليها آنفا، توظف عينة الجمعيات الترافع الاجتماعي بأشكال مختلفة، منها ما هو بسيط ومنها ما هو متخصص ويتطلب ثقافة قانونية وخبرة ترافعية. ومن بين الأشكال التي جسدت هذه الوظيفة ما قامت به "جمعية الازدهار الثقافي" من خلال المساهمة في التعبئة لتوقيع عريضة حول مجانية علاج السرطان، بالإضافة إلى مراسلة السلطات المحلية حول مشاكل المحيط الاجتماعي للحي الذي تقع به الجمعية.

أما ترافع "جمعية الرواق الثقافي"، فاستهدف الدفاع عن وضعية المهاجرين الأفارقة والسوريين واليمنيين. واستطاعت الجمعية بمعية الوزارة المعنية وعدد من المنظمات تشكيل لجنة خاصة لدراسة هذا الموضوع. وفي إطار أزمة جائحة كورونا، أعدت الجمعية تقريرا حول وضعية المهاجرين الأجانب بمدينة سلا وتم رفعه إلى المنظمة العالمية للهجرة، التي وافقت عليه وقررت تقديم مساعدات لهذه الفئة الهشة.

يتجلى الترافع الاجتماعي ل"جمعية التنمية الثقافية" في التنسيق مع المجلس الوطني لحقوق الإنسان والقيام بتتبع وملاحظة الخطابات التي تمرر في الفضاء الإعلامي، وبخاصة في البرامج الحوارية والمواد الثقافية. وفي حال رصد تجاوزات أو خطابات تمس سلبا قضايا سوسيوثقافية مثل قضية المرأة أو التحريض على العنف، تتم مراسلة المجلس المذكور والهيئة العليا للاتصال السمعي البصري (المعروفة اختصارا ب"الهاكا")، ويتم التفاعل معهما حفاظا على المكتسبات الحقوقية والثقافية.

المبحث الثالث:

الفعل الثقافي آلية للمساهمة

في التنمية السياسية

مثلما يعتبر الفعل الثقافي الموجه لخدمة العمل الاجتماعي التضامني شكلا من أشكال المواطنة، تعد المشاركة السياسية هي الأخرى إحدى آليات الفعل المواطناتي وواحدا من أهم المداخل لتحقيق التغيير. تجسيدا لهذه الرهانات، يتبنى كل من الشباب الفاعل جمعويا والتنظيمات الجمعوية وسائل مختلفة في هذا الفعل السياسي، غير أن ذلك لا يخلو من مواقف وصعوبات تختلف بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي.

1- استراتيجيات تحقيق الرهانات السياسية

من خلال تحليل معطيات البحث الميداني، تم استخدام الفعل الثقافي بثلاث استراتيجيات أساسية للمساهمة في التغيير السياسي، وهي: التعبير والاحتجاج من خلال الأعمال الثقافية؛ المشاركة في السياسات العمومية؛ التنشئة على الثقافة السياسية. فيما يخص الإستراتيجية الأولى التي تبناها 7 من الشباب، يوظف 2 منهم إنتاجاتهما في شعر الزجل للتعبير عن الآراء والمواقف السياسية، ويذكران أنهما تفاعلا مع حركة 20 فبراير بإنتاج نشيط في هذا الفن على غرار الكثير من الشباب. يقول سمير: "أتناول مواضيع سياسية تفاعلا مع مشاكل الواقع، مواضيع تعبّر عن غضب على مستوى القضايا العالمية والوطنية".

أما طارق[475]، الذي يقطن بمدينة سلا في حي شعبي معروف بهشاشته الاجتماعية وارتفاع مستوى الجريمة، فيعبّر من خلال المسرح عن مواقفه الاحتجاجية تجاه دور المسؤولين المحليين في تدبير شؤون الحي، ويقول:"نحاول التعبير عن رأينا كشباب يعيش في هذا الحي المقبرة رغم أن هذا الصوت لا يسمع ولا يعتد به من طرف المسؤولين، فهم لا يؤمنون بعد أن التغيير قد يأتي من عند الشباب، وهم ينظرون دائما إلينا كما لو كنا مازلنا أطفالا صغارا لا نتوفر على التجربة اللازمة، كما أن مناصب المسؤولية غفلا تعرف الشبيب، أما الشباب فغالبا ما تجدهم بين الأزقة يهدرون الوقت".

يشكل المسرح أيضا القناة المفضلة في الفعل السياسي بالنسبة إلى خالد حيث يمكنه من الاشتغال على مواضيع ذات عمق فلسفي ويفتح أمامه الطريق للاقتباس من التجارب الكونية

[475] طارق هو شاب من مدينة سلا، يبلغ من العمر 22 سنة، يحضر دبلوم الإجازة في الهندسة المدنية، عضو بالمكتب المسير لجمعية ثقافية.

في هذا الفن، من بين المواضيع التي اشتغل عليها هذا الشاب المواضيع السياسية والدينية كالتي تجلّت في أعمال الكاتب الأمريكي والمناضل الإيكولوجي إدوارد أبي Edward Abbeyحول الفوضى الاجتماعية.

مثّل نموذج نادية الشابة القيادية على مستوى رئاسة الجمعية التي تخوض صراعات سياسية دون إقحام باقي أعضاء الجمعية فيها ودون التأثير عليهم بمواقفها حفاظا على استقلاليتهم الفكرية، حيث صرّحت: "أكتب الشعر والقصة القصيرة والمقالات الصحفية في مواضيع اجتماعية أو سياسية متعلقة بتدبير الشأن العام، كما أتناول أيضا المواضيع العاطفية. أحيانا تتضمن كتاباتي أفكارا قد تكون صادمة، فأغلفها بغلاف أدبي تخييلي. وبحكم موقعي كرئيسة جمعية، لا أشارك إبداعاتي الثقافية مع باقي الأعضاء والمنخرطين لأنها تحمل مواقف (وكلاشات) سياسية واجتماعية ذاتية، ولا أريد أن أؤثر عليهم من خلالها أو أتلقى مدحا من جانبهم، بل أفضل أن يحافظوا على استقلاليتهم الفكرية. لكنني أفرح حينما يوجه إليّ نقد بنّاء على مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما يحفزني على التفاعل أكثر في الفضاء الرقمي".

أما الشاب فؤاد، والذي له إنتاجات في أنماط ثقافية متنوعة (خاصة في الموسيقى الطربية كما أشرتُ سابقا)، فيوظف الموسيقى السياسية الاحتجاجية، ومن بين الأساليب الغنائية التي اشتهر بها في الوسط الجمعوي موسيقى الشيخ إمام. وتعد أنشطة الجمعيات الحقوقية من أبرز المناسبات التي يتطرق فيها لمواضيع الحرية السياسية والعدالة والمساواة، رغم تعرضه للتضييق من طرف السلطات غير ما مرة على حد قوله.

بالنسبة إلى الإستراتيجية الثانية، فقد أعربت 3 جمعيات عن انخراطها في ديناميات الديمقراطية المحلية من خلال العضوية والمساهمة في بناء السياسات العمومية للمجالس الانتخابية واللجان التشاورية، بالإضافة إلى وظيفة التقييم والتفاعل وتقديم العرائض والملتمسات من باب القوة الإقتراحية. في نفس الإطار، تقيم الجمعيات شراكات مع مؤسسات محلية ومنظمات أجنبية، ومن الأمثلة على ذلك عضوية "جمعية العطاء الثقافي" في كل من هيأة المساواة ومقاربة النوع على مستوى الجماعة وفي مجلس دار الشباب، ثم نموذج

"جمعية النهضة الثقافية" التي أقامت شراكة مع منظمة غير حكومية أجنبية لتأسيس بنية داخلية في الجمعية تقوم بوظيفة المرصد الحضري للمدينة، وكذلك نموذج "جمعية الرواق الثقافي" وهي عضو في لجنة القيادة لمنظمة أنا ليندت المتخصصة في حوار الثقافات وحقوق الإنسان.

فيما يتعلق بالإستراتيجية الثالثة، فتتمثل في المساهمة في تأهيل الشباب لاكتساب ثقافة سياسية من خلال مجموعة من التكوينات في الجانب الحقوقي والسياسي، ومن ذلك مواضيع تتعلق بالحكامة الجيدة والديمقراطية المحلية؛ حقوق الإنسان؛ مقاربة النوع؛ تقييم السياسات العمومية؛ تقنيات الترافع وغيرها من المواضيع التي قدمتها الجمعيات كأمثلة عن هذا الفعل الجمعوي.

2- صعوبات تحقيق الرهانات السياسية عبر الفعل الجمعوي الثقافي

إن تحقيق الرهانات السياسية السالفة الذكر يعرف العديد من الصعوبات، لاسيما أن الحقل السياسي تطبعه حساسية بدرجات متفاوتة. وقد ذكرتُ من قبل عددا من الصعوبات التي تعرقل العمل الجمعوي الثقافي، لذلك سأقتصر في هذا السياق على الصعوبات المرتبطة بالحقل السياسي، ومن أهمها: الصراعات السياسية، ضعف ثقافة الاختلاف والفكر النقدي وضيق هامش الحريات.

تميزت إجابات الشابة نادية بالتطرق بإسهاب وتدقيق للمشاكل والصعوبات التي اعترضنها ومازالت تعترضها في خضم عملها الجمعوي الذي يتميز بحضور قوي للبعد السياسي، خاصة أنها تنشط في العمل الحزبي وتنقّلت بين مؤسسات حزبية ذات إديولوجيات سياسية متضاربة، وانخرطت في عدد من الجمعيات التي المرتبطة بشكل غير معلن بالحقل الحزبي.

يحل الصراع بمختلف أشكاله، سواء المشروعة أو غير المشروعة، في طليعة العراقيل التي تطرقت لها هذه الشابة، وتتحدث عن تجربتها بالقول: "العمل الجمعوي يخلق الصراع والعداوات مع جمعيات أخرى رغم عدم التواصل معها وعدم توجيه أي فعل عدائي لها.

فالنجاح الذي تحققه الجمعية الناجحة تعتبره جمعيات أخرى مسّا بمصالحها وإضعافا لمكانتها، وذلك عندما يقوم الناس بالمقارنة أو حينما سيتم التنافس حول الدعم المالي والمكانة الاجتماعية. نتيجة لذلك، تعرضنا للعنف المعنوي ضدنا بالضرب في أعراضنا واتُهمنا بالعهر، لاسيما أن من بين أعضاء الجمعية نساء. فالاتهام في العرض نقطة حساسة بالنسبة للمرأة لأنه يؤثر في حياتها الاجتماعية، سواء كانت متزوجة أو عازبة، كما ويؤثر في مسارها المهني أيضا وفي مكانتها داخل محيطها الاجتماعي. فالذي يريد أن يلج العمل الجمعوي، عليه إذن أن يكون مستعدا للصراع ولتلقي اللكمات، ولا يجب عليه أن يُصدم حينما يتعرض لاتهامات لا وجود لها، بل عليه أن يتعوّد على مثل هذه الأمور".

صعوبات أخرى تحدث عنها الشباب الجمعوي وأهمها ضيق هامش الحريات (خاصة الحرية السياسية) في المؤسسات الثقافية، ومن النماذج على ذلك ما تطرق إليه خالد من ضغوطات عند اختيار مواضيع تمس الجوانب السياسية والحياة العامة، ويقدم مثالا في هذا السياق: "اخترنا كشباب جمعوي موضوع الفوضى المجتمعية كثيمة لإحدى المسرحيات، وعند توجهنا لبعض المؤسسات من أجل التنسيق للعرض المسرحي، كان يُطلب منا تخفيف مستوى الفكر النقدي. شعرنا بالاستياء نتيجة هذا التضييق في حرية التعبير، لاسيما أننا نقدم فنا راقيا وليس عملا تجاريا أو تحت الطلب، كما هو الأمر في العديد من وسائل الإعلام. وقد عانى الكثير من أصدقائنا من هذا الضغط. لقد أصبحت القاعدة أنك إذا لم تركب الموجة ولم تتطرق للمواضيع التي درجت الغالبية على تناولها، فإنك تصبح عدوا مارقا".

يذكّر هذا الإكراه بما أشرت إليه سالفا في القسم النظري حول الفرق الإيديولوجي بين مسرح الهواة من جهة، كاتجاه يوصف بالمسرح المتحرر والنقدي وبين ما يوصف بالمسرح الرسمي ذي الفكر المحافظ أو ذي الرهان التجاري من جهة أخرى. وقد خفت صوت هذا التقابل بين هذين النمطين في فن المسرح، نظرا لتراجع تداول تسمية "مسرح الهواة". لكن، يبدو أن هذا التراجع يخص التداول اللفظي فقط، أما من حيث المضمون، فقد تبين لي من خلال المقابلات التي قمتُ بها مع الشباب الجمعوي المهتم بالمسرح أن هذا الاتجاه المسرحي مازال قائما، ولو أنه يحمل تسميات ونعوتا أخرى، ولو كان أيضا وجوده بشكل محتشم

ومتوار في الهامش، إلا أنه يعود للظهور خاصة مع ارتفاع حدة الصراعات الاجتماعية وتزايد مستوى الهشاشة الاجتماعية.

3- تداخل الجمعوي والحزبي، استفادة للبعض وعراقيل للبعض الآخر

من بين الظواهر التي رصدتُها خلال البحث الميداني تداخل الحقلين الحزبي والجمعوي، وقد ورد هذا التداخل في إجابات 15 شابا وشابة، إذ عبروا جميعهم على أن هذا التقاطع يسيء للعمل الجمعوي ويدفع الشباب الجمعوي إلى العزوف عنه، كما أنه ينفّر الشباب غير الجمعوي من الانخراط. وقد تبين من خلال خطاب الشباب الجمعوي اكتسابهم لحسّ سياسي، حيث أصبحوا مدركين لآليات هذا التداخل بين الحقلين وواعين بقواعد اللعب في كل حقل منهما. من بين هذه الآليات، كولسة العلاقة بين السياسي والجمعوي، وهي العملية التي تظل لامرئية عند كثير من الشباب في بداية انخراطهم الجمعوي، ولا تتكشف إلا لاحقا.

من النماذج التي توضح هذا الواقع، ما قاله الشاب سمير بخصوص تجربته الجمعوية: "الكثير من الجمعيات التي لها حضور قوي على الساحة وتتوفر على إمكانيات هامة تكون منضوية في إطار حزبي رغم عدم إعلانها عن ذلك، بل من وراء ستار، ولا تظهر هذه العلاقة إلا بعد الانخراط في الجمعية والتعمق فيها. معظم المجال الثقافي أصبح مسيّسا، في حين أن أغلب الشباب لم يعد يثق في السياسة وحتى في عدد كبير من الجمعيات بسبب ممارسات فاسدة، ومن الأدلة على ذلك خروج مجموعة من الشباب لممارسة الثقافة في الشارع لأنه لم يجد جمعيات جادة تحتضنه".

يتحدث الشباب الذين تناولوا موضوع التداخل بين العملين الحزبي والجمعوي عن ممارسات لشباب آخرين كممارسات "غير مقبولة ووصولية"، من بينها استغلال العمل الجمعوي لبلوغ نجاح سياسي على المستوى الحزبي بغية تحقيق الارتقاء الاجتماعي. من خلال تجربتها المهمة في الحقلين السياسي والجمعوي، تتحدث نادية عن أهم الوسائل المتبعة لبلوغ هذا الرهان: "هناك من يؤسس جمعيات من أجل بناء مستقبله السياسي وتكوين قاعدته الشعبية من المنخرطين والمواطنين من محيط الجمعية للترشح للانتخابات. وبهذا، يمكنه

الدخول في مفاوضات مع المؤسسة الجزبية بناء على عدد المنخرطين الذي يصبح بالنسبة إليه مفتاحا للنجاح، أي أنه يتاجر بهذا العدد من أجل الحصول على امتيازات وموقع مهم داخل الحزب. يتيح له هذا الموقع الحزبي إمكانية الاستفادة من شبكة من العلاقات في الحياة العامة، يمكن استثمارها بشتى الوسائل".

تضيف نادية: "هناك إذن تبادل للمصالح بين طرفين: بين فاعلين جمعويين يقومون من جهة بتسويق وخدمة المشاريع السياسية لصالح مؤسسات حزبية طمعا في الاستفادة من الامتيازات الريعية، ومن جهة أخرى بين أحزاب تستغل الجمعيات لضمان وتوسيع قاعدتها الانتخابية، علما أن الفاعلين في هذه الأحزاب هم أيضا يسعون إلى مصالحهم الشخصية بالأساس. كل ذلك، والقانون الأساسي للجمعيات ينص على أن الجمعية لا ترتبط بأهداف ومصالح حزبية. يمكنني أن أضيف أيضا أن هناك جمعيات حزبية تحيل ملفات المنخرطين الجدد على الحزب التي تتبع له. وخلال الحملات الانتخابية، تكون وسيلة هذا الشباب الجمعوي لتحقيق مكانة متميزة بالحزب هي المساهمة والفاعلية بشكل مجاني في الحملة الانتخابية، بخلاف الشباب الذين يتلقون أجرا ماديا مقابل هذه الخدمة".

بخصوص هذه الفكرة الأخيرة التي طرحتها المشاركة في البحث والمتمثلة في استقدام المؤسسات الحزبية لشباب من أجل التعبئة للحملات الانتخابية مقابل أجر مادي، أرى أن هذا الفعل يؤشر على مدى تراجع شعبية ومصداقية الأحزاب في أوساط الشباب وباقي الفئات العمرية. ولا يتعلق ضعف التمثيلية هذا بالمؤسسات الحزبية فقط، بل يمس أيضا مؤسسات مجتمعية أخرى، من جملتها التنظيمات الجمعوية والنقابية. كما يعبّر هذا الفعل عن منطق مادي وبراغماتي عند هذه الفئة من الشباب، فليس لها رهانات ومبادئ إيديولوجية بل رهان مادي محض وفراغ إيديولوجي، وهو ما قد يدفعه إلى الإقدام على نفس الفعل خلال الحملات الانتخابية اللاحقة لصالح أحزاب منافسة للحزب الأول، مادام أجرا سيكون أعلى.

من المشاكل التي تنتج إذن عن التداخل بين العمل الحزبي والعمل الجمعوي أن ميزان القوى غالبا ما يرجح لصالح المؤسسة الحزبية على حساب التنظيم الجمعوي، بحسب طبيعة العلاقة التي تجمع بينهما والتي تتدخل فيها عوامل مختلفة. من أنماط هذه العلاقة، التحالف

الذي يقتضي أن تقوم الجمعية ب"ماركوتينغ" سياسي لفائدة الحزب مقابل استثمار هذا الأخير لعلاقاته في الحياة العامة من أجل تسهيل تيسير حصول الجمعيات على الدعم المالي العمومي وعلى فضاءات إقامة الأنشطة. بمعنى آخر، هناك تحالف للمصالح على طريقة المساند الرسمي في القطاع الخاص. من جهة أخرى، هناك نموذج العلاقة الذي تكون فيه الجمعية قد خرجت من رحم الحزب وتأسست من طرف الفاعلين فيه، وفي هذه الحالة غالبا ما تتميز العلاقة بتبعية الجمعية للحزب بشكل أكبر من النمط السابق، إلى درجة وجود إملاءات غير معلنة.

تؤكد "جمعية التنوير" على كثرة الحالات التي يقوم فيها الفاعل الحزبي بتسخير عدد من التنظيمات الجمعوية للقيام بوظيفة الدعاية السياسية. لكن زيادة على هذا التأكيد، يتحدث رئيس الجمعية (الذي تنقّل بين عدة جمعيات منذ شبابه) عن آليات تقنيع ومواراة الاختراق الحزبي للعمل الجمعوي: "الأحزاب تؤسس جمعيات بشكل غير مباشر من طرف كوادرها، فتصبح لهم بهذه الطريقة قبعة حزبية وقبعة جمعوية. يقوم هؤلاء بتكوين وإعداد الشباب الجمعوي للانضمام إلى شبيبات الحزب مستقبلا. وفي فترة الانتخابات، يتم تجنيد هؤلاء الشباب الجمعوي للدعاية الحزبية، وقد يحدث خلال الحملة الانتخابية أن يتم اتهام بعض الأعضاء بالتقاعس أو بالخيانة لأسباب واهية. صحيح أن القانون يمنع على الجمعيات ممارسة أنشطة حزبية، لكن يتم الالتفاف على هذا المنع بطرق مقنعة وملتوية.

من بين هذه الوسائل أن يكون مقر الجمعية داخل أو قرب المقر الذي يوجد به الحزب، وهو ما يعني أن عملية الولوج إلى فضاء الجمعية ترافقها عمليات أخرى مثل: قراءة المنشورات الحزبية والتعود على رؤية وجوه الحزب ومصادفة أنشطة حزبية والولوج إليها، الخ. من الوسائل الأخرى أن المنخرطين الجمعويين يتعودون على وجوه الحزب وخطاباتها السياسية عندما تستقبلهم الجمعيات لمناقشة بعض مواضيع الشأن العام أو خلال لقاءات ثقافية أخرى، فيكون النشاط جمعويا، لكن يتم خلاله تمرير الخطاب الحزبي بهدف الاستقطاب السياسي".

يورد هذا المشارك في البحث مثالا على أشكال التحايل، فيروي أن فاعلا حزبيا عرض على العموم رحلة ترفيهية لمدينة أخرى في إطار جمعوي. وعند الوصول إلى الوجهة المنتظرة، اكتشف المشاركون أن الحافلة توقفت بهم أمام فضاء يحتضن نشاطا حزبيا ليُطلب منهم الولوج إليه ويكتشفوا أن الأمر ليس له علاقة برحلة سياحية، وإنما بتحايل من أجل الرفع من عدد الحضور في نشاط حزبي.

تسعى الجمعيات التي ترفض الانخراط في هذه الرهانات الانتخابية إلى النأي بنفسها عن هذه الممارسات، لاسيما إن كانت تضم أعضاء جمعويين من مختلف التوجهات الحزبية ، ومن ذلك ما أخبرت به "جمعية الازدهار الثقافي" من أنه يتم تجميد الأنشطة أثناء فترة الانتخابات ويتم إرسال بيان إلى السلطات المحلية لإخبارها بذلك، وحينذاك يحق لكل فاعل أن يؤازر التيار الحزبي الذي ينتمي إليه خارج سياق الجمعية.

فيما يخص النمط الذي أشرتُ إليه سابقا والمتعلق بالإملاءات والتبعية للمؤسسة الحزبية، فقد تطرقت إليه الشابة نادية من خلال ما تعرضت له، بعد أن دعت شبابا جمعويين ينتمون إلى توجهات حزبية مختلفة إلى الانخراط في الجمعية التي أسستها بهدف تقديم نموذج لإمكانية إنجاح العمل الجمعوي رغم اختلاف الانتماءات الحزبية لأعضائه. تتحدث نادية عن حالة عضوة متحزبة انخرطت في الجمعية بهدف تجسيد هذا المبدأ والانتقال به من المستوى النظري إلى التحقق الواقعي، لكنها تعرضت لضغوطات من طرف الحزب للانسحاب من الجمعية لأسباب مجهولة، فاستجابت لهذه الاملاءات تجنبا لضياع المصلحة الشخصية، وهو ما أقرت به لاحقا.

وتنبغي الإشارة إلى أن هناك تمثلات في الحقل الجمعوي مفادها أن عددا المنخرطين في المؤسسات الحزبية يشتعلون بالقطاع العام، وهم يعتبرون أن الأحزاب السياسية تتوفر على شبكة من العلاقات تسهّل لهم قضاء مآربهم الذاتية بتحقيق الارتقاء المهني أو ربما الحصول على عمل في حالة الشباب العاطل عن العمل.

صعوبة أخرى تتحدث عنها نفس المشاركة في البحث (نادية)، ويتعلق الأمر بضعف حس الاختلاف والفكر النقدي. روت هذه الفاعلة الجمعوية (التي تترأس جمعية أسستها

وتنشط بالموازاة في الحقل الحزبي) أنها تعرضت في كثير من الحالات للتدخل في شؤونها الجمعوية من طرف أعضاء الحزب الذي تنتمي إليه بسبب مواقفها "الزائدة عن اللزوم"، وتمت مطالبتها بالتخفيف من مستوى النقد الذي تمارسه عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو من خلال توجهاتها الجمعوية. كرد فعل على هذا التدخل، تقول: "بقيت مصممة على قناعاتي، فتم التوقف عن هذه الضغوطات".

تتفرع عن إشكالية ضعف حس الاختلاف والفكر النقدي صعوبات أخرى تتمثل في سلبيات منطق التفكير القائم على مختلف أشكال العصبية والنزعة الفضائحية والوصم. تتحدث هذه الشابة عن هذا الموضوع بالقول: "حينما تكون فاعلا جمعويا وتنتمي إلى حزب معيّن، يتم تصنيفك، فالفاعلين في الشأن العام يعرفون بعضهم البعض، لاسيما حينما يتعلق الأمر بمجال حضري محدود. في حالتي هذه، انتقلت من حزب إلى حزب آخر ذي إيديولوجية متناقضة تماما، وهذا حق لأي شخص سواء من باب المراجعات الفكرية أو من باب الرغبة في الاكتشاف والبحث عن الذات في المجال الجمعوي والسياسي الخ. فكانت النتيجة أنني اتهمت بالهجرة الحزبية من أجل المصالح الذاتية، ولم تتقبل الأطراف التي انفصلتُ عنها أنني غيّرت مواقفي بناء على ممارسات لا تتناسب مع مبادئي وبناء على سياسات لم أعد أتفق معها. بعد انضمامي للحزب الجديد، دخلت في صراعات أخرى بسبب الإصرار على التدخل في عملي الجمعوي، فكان يُطلب مني أن أوجه الجمعية للتحالف مع جمعيات معينة تابعة لأحزاب، في حين أنني لست مقتنعة بالعمل معهم. وبنفس المنطق، يتم الضغط عليّ من أجل الدفع بإلغاء التعاون بين جمعيتنا وجمعيات أخرى".

كنتيجة لهذه المقاومة، تضيف هذه الشابة:"حينما قاومت هذه الضغوطات أصبحت أتعرض للهجوم من طرف أعضاء في الحزب الذي أنتمي إليه وأوصف بالخائنة والجاسوسة التي تعمل لصالح حزب آخر، وهناك من يقول إنني أتجسس لصالح أجهزة الدولة، إلى جانب نعوت أخرى تطول قائمتها. أنا بالنسبة لي، فأريد فقط أن أحافظ على حريتي في عملي الجمعوي، وفي إطار العلاقات الاجتماعية التي نختارها كجمعية دون التعرض للتدخلات والإملاءت، وهذا ما لم يتقبله أغلب أعضاء الحزب، علما أن الكثير منهم ينتمون لفئة

الشباب. لقد قاومتُ بالإصرار على مواقفي لكنني أديتُ الثمن بالتعرض للمشاكل. للأسف، في مجتمعنا، حينما يريد شخص ما أن يقول الحق وأن يسلك طريقا آخر غير طريق الأغلبية فإنه يصبح منبوذا ومقصيا. وإن أراد تجنب ذلك، فالمطلوب منه الانسياق وراء الجماعة والانخراط في النفاق الاجتماعي. وفي كلتا الحالتين، يجد الشخص نفسه بين مطرقة الاستقلالية والحرية وسندان التقليد الأعمى والتبعية".

تضيف هذه الشابة التي نوّعت من تجاربها الجمعوية والحزبية أنها انخرطت في منظمة شبابية عمومية ذات طابع محلي، ومن المفترض حسب خطابها الرسمي أنها مستقلة في قراراتها وتفكيرها الجماعي، لكن أغلب شبابها متحزبين، وتعكس الصراعات بينهم تلك التي تعرفها المؤسسات الحزبية فيما بينها، مما يؤشر على أن الكثير من التنظيمات التي يقال عنها "مستقلة" هي في الواقع "غير مستقلة"، بل إن الاستقلالية تكون واجهة صورية في خطابها الرسمي، في حين أنها تخدم بشكل مخفي أجندات سياسية معينة.

في حالات أخرى، لا يتعلق الأمر بالتحالف بين جمعيات وأحزاب من أجل تبادل المصالح أو بخروج جمعيات من رحم المؤسسات الحزبية أو بفرض إملاءات أو توجيهات، وإنما بسطو الفاعل الحزبي على منجزات الفاعل الجمعوي، لاسيما حينما يتعلق الأمر بالجمعيات الفاعلة والناجحة اجتماعيا التي تركز في أنشطتها على مجال حضري محدود، وهو ما يوفر لها قاعدة شعبية يمكن استثمارها انتخابيا. ويمكن أن يتم السطو على عملها الجمعوي عبر مجموعة من الآليات، مثل: استغلال الهوية الجمعوية والتوظيف السياسي لأنشطتها؛ اختراق الهياكل التنظيمية من أجل التحكم في الخط الجمعوي؛ الخ.

وقد تجلت هذه الآليات في المقابلة التي أجريتُها مع جمعية "جمعية الوصل الثقافي"، حيث جاء على لسان رئيسها: "منذ البداية قررت جمعيتنا الفصل بين ما هو حزبي وما هو جمعوي، لكننا أدينا ثمنا باهضا مقابل هذا الاختيار. كان الفاعلون السياسيون يحاولون دائما السطو على عمل الجمعية، فحينما ننظم نشاطا معينا يحضر فاعلون من الحزب أو فاعلون في جمعيات أخرى معروفة بانتمائها الحزبي ويحاولون التقاط صور لهم لتوظيفها سياسيا والإشاعة بالمساهمة في ذلك العمل الجمعوي رغم عدم صحة ذلك".

يضيف نفس المتحدث: "تعرضت الجمعية للاختراقات، فهناك من انخرطوا فيها بهدف تحويل توجهاتها نحو اتجاهاتهم الحزبية، مثلما أن هناك الكثير ممن ينخرطون فقط بدافع الفضول، وفي نفس الوقت ينخرطون في جمعيات أخرى، ثم ينسحبون ويكثرون من الهجرة بين الجمعيات بحثا عما يمكن أن يفيد مصلحتهم الشخصية. من بين الوسائل الأخرى التي تم استعمالها للسطو على جمعيتنا أنه خلال الحملة الانتخابية تم رفع اسم الجمعية كشعار في الحي الذي ننشط فيه، كان الهدف من ذلك الإيهام أن الجمعية أصبحت تشتغل لصالح خط حزبي وبالتالي استقطاب المتعاطفين معها انتخابيا. إزاء هذا الأمر، تواصلنا مع المعنيين بالأمر ووجهنا تحذيرا برفع دعوى قضائية، فكانت النتيجة أن تم القيام بتعديل بسيط على الشعار الذي تم استخدامه. ردا على هذا الأمر، قامت وجهت الجمعية بيانا إلى السلطات المحلية للتعبير على حيادها وعدم انخراطها في أي خط انتخابي أو معاداة أي جهة."

يعزز هذا المشارك في البحث فكرته بواقعة أخرى تتعلق بعملية تضامنية حدثت بين جمعيات وأفراد لجمع مبلغ مالي يؤدى إلى عائلة معوزة فقدت أحد أفرادها، حيث قام فاعلون حزبيون بتقديم مبلغ زهيد جدا إلى أسرة الفقيد وتمت إشاعة خبر زائف ينسب إليهم أيضا كل الأعمال التضامنية التي قامت بها الجمعية. وبعد التأكد من الوقائع والمبلغ المقدم والشائعات المروجة، هددت الجمعية باللجوء للسلطات. يقول المبحوث مستاء من هذا التردّي القيمي:"هذه الأفعال لا تحترم حتى الأموات في مناسبات الجنائز".

لقد تأكد هذا التداخل بين الفاعل السياسي والفاعل الجمعوي في دراسات ميدانية أخرى، ومنها دراسة الباحث حسن الزواوي المتعلقة بالمجتمع المدني والفعل السياسي في الأقاليم الصحراوية، حيث يذكر:"لقد أدى التوظيف السياسي والانتخابي للتنمية ومشاريعها إلى تمثل هذه الأخيرة من طرف الفاعل السياسي كآلية للتحكم في أنشطة المجتمع المدني وضمان ولائه، بل وتدجينه وفق مقاربة سياسية تضمن استمرارية سلطة الفاعل الانتخابي".

ويسوق الباحث شهادة أحد أعضاء مجلس جماعة ترابية في كيفية اختراق الحقل الانتخابي عن طريق التنظيمات الجمعوية: "المشاريع التنموية المنجزة بالجماعة كان لها دور كبير في التأثير على الساكنة وضمان تأييدها الانتخابي لنا، حيث قمنا بتشجيع النساء

على تشكيل جمعيات تنموية تساهم في إعادة تأهيل بنياتهن الذهنية ودورهن الاجتماعي، وكذلك ضمان تأثيرهن على الميولات السياسية لأزواجهم، إذ كانت المشاريع التنموية والمنح المقدمة لهذه الجمعيات بمثابة تقنية سهلت علينا اختراق مجموعة من المعاقل الانتخابية داخل الجماعة، وبالتالي النجاح في تشكيل قواعد اجتماعية مؤيدة لنا عبر وساطة هذه الجمعيات". يضيف مؤلف المقال: "من هنا يتضح الدور السياسي والحمولة الإيديولوجية التي تختزلها طيات المشاريع التنموية، والتي تخضع بموجب هذا التصور لاستعمالات سياسية وإستراتيجية تنعكس سلبا على أدوار المجتمع المدني، الذي من المفترض أن يكون مستقلا وغير خاضع لأي سلطة سياسية"[476].

4- الشباب الجمعوي والموقف من ميدان السياسة

في العقود الأخيرة، أصبحت ظاهرة اللاتسيّس والنفور من الشأن السياسي اهتماما ومشاركة تتمظهر باطراد بأشكال مختلفة وسط الشباب المغربي، ولم يشكل شباب العينة المدروسة استثناء عن هذا النزوع الذي أكدته الأرقام التالية من البحث الكمي:

الاهتمام بالشأن السياسي					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	لم يذكره	297	73.7	73.7	73.7
	ذكره	106	26.3	26.3	100.0
	Total	403	100.0	100.0	

رغم الكثير من الآراء والتصريحات التي يُدلى بها في مختلف الخطابات بالفضاء العام والتي تصنف هذا النفور كنوع من السلبية واللامسؤولية من جانب الشباب، إلا أن هذا الإعراض يشكل بحد ذاته موقفا سياسيا من جانب الشباب يعبر عن رفض مجموعة من الممارسات السياسية وعن استياء من أداء الفاعل السياسي، وهو أيضا نتيجة تتمخض عن مجموعة من الأسباب الأخرى. من بين هذه الأخيرة، "الفراغ الإيديولوجي" الذي أصبح

[476] الزواوي. حسن، (2020)، "المجتمع المدني والفعل السياسي بالمغرب: حالة الأقاليم الصحراوية"، (153-165)، في: المجتمع المدني والتنمية، أسئلة ومقاربات متقاطعة، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، تازة، ص.159.

يطبع ثقافة شرائح واسعة من الشباب، ليس فقط على مستوى المجتمع المغربي، بل أضحى الأمر يتعلق بظاهرة كونية تختلف معاييرها ودرجاتها وأشكالها بين سائر المجتمعات، وقد لمستُ هذا التراجع الإيديولوجي في العينة المدروسة بالاستمارة، حيث أظهر الجدول التالي أن 212 من شباب العينة ليس لديهم أي انتماء إيديولوجي:

الانتماء الفكري					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	الفكر اليساري	40	9.9	9.9	9.9
	الفكر الليبرالي	82	20.3	20.3	30.3
	فكر الحركات الإسلامية	69	17.1	17.1	47.4
	ليس لديك أي انتماء	212	52.6	52.6	100.0
	Total	403	100.0	100.0	

توصلت الباحثة منية بناني شرايبي في دراستها حول علاقة الشباب المغربي بالسياسة إلى نتيجة مفادها أن هذه العلاقة تظل متحولة وغير قارة، إذ يمكن أن تنتقل من وضعية الغياب الذي لا يعني بالضرورة حالة موت سياسي إلى وضعية التمرد وامتلاك الشارع العام. تبقى السياسة مجالا مخيفا، فكلمة السياسة وحدها تؤدي إلى حالة توتر عندما يقوم باحث بمحاولة إجراء حوار مع شاب مغربي صادفه بالشارع، إن الأمر يكاد يقترب من الممنوع أو المحرم، ولعل ذلك يعود بالنسبة لنفس الباحثة إلى الحضور المستمر للمخزن في لاشعور ومتخيل الشباب.

تضيف الباحثة أنه زيادة على كون السياسة مجالا مخيفا، تبدو السياسة لدى الشباب شيئا غامضا، إذ غالبا ما يُرجع الشباب عدم اهتمامه بالسياسة إلى عوامل الجهل وعدم المعرفة وغياب "الثقافة" و"المستوى" الذي يسمح لهم بادراك كنه الممارسة السياسية،

وتبقى السياسة في نظرهم حكرا على مالكي أسرارها، لأنها في الأصل محصورة على فئة صغيرة من الأقوياء[477].

5- الشباب والعلاقة بالمؤسسات الحزبية

تأسيسا على المحاور والشهادات السابقة، ينظر مجتمع العينة إلى هذا التقاطع بين الفعلين الجمعوي والحزبي على أنه مصدر ممارسات تتنافى مع قيم المجتمع المدني كمشروع يزاوج بين أبعاد سياسية ومدنية. وحريّ بالذكر إلى أن مواقف الشباب الجمعوي حول الحقل السياسي ليست صادرة عن تمثلات شائعة، بل هي نابعة من تجارب واقعية متنوعة عبّروا عنها خلال المقابلات معهم، حيث ذكر 11 شابا أنه سبق لهم أن قاموا بتجربة الانخراط في الحياة الحزبية (بدرجات وفترات زمنية متفاوتة). وقد أسفرت هذه التجارب عن نتيجة العزوف السياسي، وهنا يأخذ مصطلح "العزوف" معناه الحقيقي، من حيث أن هذه التجربة عرفت فعل إقبال متبوع بفعل إدبار، غير أن ذلك لا يعني الانفصال التام عن الحياة الحزبية، بل يظل هناك اتصال من باب المعرفة والتتبع.

رغم أن نتيجة العزوف السياسي هي واحدة ورغم وجود خيط ناظم بين مواقف الشباب، إلا أن العوامل ومنطقيات النقد كانت مختلفة بعض الشيء فيما بينهم، وهو ما يتمظهر من خلال بعض النماذج المنتقاة. فقد أظهرت حالة مريم، التي نشأت في وسط اجتماعي متشبع بالفكر اليساري أنها تنتقد رؤية أحزاب اليسار وطريقة اشتغالهم. تقول هذه الشابة: "فكريا أميل لليسار ولديّ وعي سياسي وأعرف ما يقع في الشأن العام. بالنسبة لي، المؤسسات الحزبية اليسارية تعيش على أطلال الماضي في خطابها السياسي الماضوي من خلال ترديد أسماء شخصياتها التاريخية للمحافظة على الشرعية في الحاضر. كما أن الشباب والمرأة غير ممثلين بشكل جيد على المستوى القيادي في هذه الأحزاب كما تدعيه خطاباتها، إذ يتم إظهار الشباب فقط كواجهة من أجل تجميل الصورة. أسرتي كاملة يسارية وحتى أصدقائي أيضا، وقد كنت دائما ألاحظ ما يجري وأحضر اللقاءات الحزبية وأتابع الأحداث.

---

[477] طارق. حسن، (2009)، "الشباب بين رهانات المواطنة وواقع المشاركة السياسية"، (109-136)، في: السياسات الشباب والبحث العلمي، من اجل تفاعل جديد، مناظرة وطنية الشباب تحت إشراف عبد الفتاح الزين، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط. ص. 124.

في فترة معينة، بدأت في الانخراط الحزبي، لكن تراجعتُ بعد ملاحظة مجموعة من الممارسات والأفكار، منها أن اليسار المغربي يقدم حداثة مثالية غربية مفارقة لواقع ولخصوصيات المجتمع المغربي. هذا الموقف لا يخصني فقط، بل يشاطرني فيه الكثير من الشباب الذي قابلتهم".

في نفس السياق، لا يرى الشاب كمال فرقا بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار، فكلا الطرفين بالنسبة له وجهان لعملة واحدة، ويقول: "مررت من تجربة استفدت منها كثيرا وفهمت من خلالها آليات اشتغال المنظومة السياسية، فأصبحت أستطيع قراءة الواقع السياسي، ومن نتائج ذلك أن ممارستنا السياسية مازالت تعرف الكثير من الأعطاب والاختلالات. أرى أن هناك فرقا كبيرا بين الخطاب النظري للسياسة عند الأحزاب والممارسة الواقعية لها. وللأسف، فقد أصبحت السياسية مجالا للاسترزاق وأصبح المواطن هو آخر ما يفكر فيه السياسي. انخرطت في عدة أحزاب من مختلف التوجهات، ويظهر لي أن أحزاب اليمين واليسار هي نفسها وليس هناك اختلاف في ممارساتها. لدي توجه يساري، لكنني لم أجد قيم اليسار في الأحزاب اليسارية رغم أن خطاباتها الفكرية تقول العكس، ففضلت أن أبقى يساريا على طريقتي بالشكل الذي أفهمه أنا، وليس كيفما يريد آخرون أن أفهمه. لذلك، فالعمل الجمعوي يمنحني الهوية التي لم أستطع أن أجدها في العمل الحزبي".

نفس الفكرة عبّر عنها الشاب فؤاد بالقول: مارست العمل الحزبي سابقا مع حزب يساري، لكن انسحبت منه، السبب هو أنني أعتقد أن اليسار قد مات في المغرب، وربما في باقي الدول العربية أيضا. لم أعد أرى فرقا بين حزب يساري وحزب محافظ يميني، تختلف الأسماء فقط. وجدت فرقا بين ما كنت أنتظره من قيم ومشروع مجتمعي، وما وجدته على أرض الواقع، وجدت ممارسات تتنافى مع قيم اليسار وقيم الحكامة الجيدة في تدبير الشأن العام.

عطفا على ما سبق، تتميز مبادرة خالد في توظيفه لتكوينه الأكاديمي في اكتشاف الممارسة الحزبية، حيث وقف من خلالها على مجموعة من الاختلالات من خلال الملاحظات التي قام بها، يقول هذا الشاب: "قمت بجولة استكشافية حول المنظمات الشبابية

التابعة للأحزاب (الشبيبات الحزبية)، وحاولت توظيف دراستي للقانون في هذا الاستكشاف الذي انضاف إلى تجارب وخبرات سابقة، وهو ما أكد لي عدم الرغبة في العمل الحزبي، أعتقد أنه ليست لنا أحزاب سياسية في المغرب بالمعنى الذي يحمله مفهوم الحزب وكيف يجب أن يكون على مستوى الممارسة الواقعية، بل لدينا ممارسة ريعية للفعل السياسي بالمغرب.

أما جواب سمير، فقد أضاف لما سبق بُعدا آخر، وذلك من منظور العلاقة بين المثقف والسياسي. بالنسبة إليه، فالممارسة الراهنة للفعل السياسي تتنافى مع حرية المثقف، يقول هذا الشاب: "تلقيت دعوات من جمعيات حزبية ومن مؤسسات حزبية أيضا، لكن بعد أن اطلعت على ممارساتها أدركت أن حريتي ستضيع كمبدع وكمثقف، وأنني إن انخرطت فيها سأكون ناطقا باسم ممارسات لا أقبلها".

بينما تطرقت الشهادات السابقة للشباب الجمعوي إلى دور عدد من الفاعلين الحزبيين في تفسخ وتمييع الحياة السياسية، أضاف نموذج رضى الدور السلبي لفئات من المواطنين بمن فيهم عدد من الشباب، مبرزا بذلك انتشار المنطق المادي والمصلحي على حساب المصلحة العامة، يقول هذا الشاب: "سبق أن ترشحت للانتخابات، قمت بذلك كتجربة شخصية أردت من خلالها اكتشاف الحقل واكتشاف قدراتي، وفي نفس الوقت ساعدني ذلك في البحث السوسيولوجي الذي كنت أقوم به من خلال تناول بعض الإشكاليات عبر تقنية الملاحظة بالمشاركة، مثل: قياس أثر التنمية على الساكنة؛ ملاحظة تقييم المواطن للأحزاب السياسية والمجتمع المدني؛ وكذلك تقييم هذه المؤسسات للمواطنين. من بين النتائج التي توصلتُ إليها أن كثيرا من المواطنين لا يتعاملون مع المترشح بناء على البرامج السياسية، ولكن يتعاملون معه كشخص، فهناك فئة كبيرة من المواطنين الذين يهتمون فقط بالمصلحة الشخصية بمنطق انتهازي ولا يهمهم ما سينجزه المترشح مادام سيقضي حاجاتهم. اكتشفتُ أيضا أن عددا من الشباب الذين شاركوا معي في الحملة الانتخابية لم يصوتوا لصالحي، بل كان هدفهم هو تقاضي الأجر عن "الخدمة"، أي أن الحملة الانتخابية هي بالنسبة لهم عمل موسمي كباقي الأنشطة التجارية الموسمية. زيادة على ذلك، فشرائح عريضة من الساكنة

ليست لها ثقافة سياسية وتدبيرية، ولا تعرف دور المجالس المنتخبة و آليات اشتغالها. في نهاية المطاف، شعرت بالفرح لأنني لم أنجح في الحملة الانتخابية، لأنني لو نجحت لكان موقعي في المعارضة بحسب النتائج التي أسفرت عنها الحملة الانتخابية. في تلك الحالة، وحيث أنني لن أكون في الأغلبية فلن تكون لي القدرة على تحقيق منجزات مادية بالنسبة للمواطن، في حين أن الكثير من المواطنين لا يعرفون أن هناك أغلبية ومعارضة. المهم بالنسبة لهم، أنك كنت في المجلس ولم تفعل شيئا".

أما إفادة سعيد، فقد أضافت إلى ما سبق إبرازه دور بعض التمثلات في العزوف السياسي التي تفيد أن الانخراط في العمل الحزبي قد يتسبب في عرقلة الاندماج المهني مستقبلا، خاصة إن كان الأمر يتعلق بسلك المهن الأمنية أو في القطاع الخاص، في حال الانتماء إلى تنظيم نقابي على وجه الخصوص. ويضيف هذا الشاب أن عائلته أيضا لن توافق على هذا الانخراط في الحياة الحزبية.

إن ما عبر عنه الشباب من عزوف سياسي قد تجلى أيضا عند أغلب التنظيمات الجمعوية، ومن النماذج على ذلك ما صرحت به "جمعية التنمية الثقافية": "يجب الفصل بين العمل الحزبي والعمل الجمعوي، فلكل منهما منطقه الخاص، ولا يجب على السياسي أن يوظّف الثقافة بشكل سياسي. بالإضافة إلى ذلك، فالمثقف يجب أن يبقى مستقلا عن الفاعل السياسي، فالهدف هو نشر قيم عامة إنسانية وليس التسويق لأجندات حزبية. لكن، يمكن للمثقف أن تكون له إيديولوجيا ذاتية، شريطة أن تبقى موقفا فرديا مع التركيز على ما هو مشترك. وفيما يخص المعنى الشامل لمفهوم السياسة، فالجمعية تمارسه بالدفاع عن قضايا المرأة وعبر الجانب الحقوقي".

على غرار التوصيف السابق للعلاقة بين المثقف والفاعل الحزبي كما ورد عند "جمعية التنمية الثقافية"، تتبنى "جمعية النماء الثقافي" - إلى جانب جمعيات أخرى - نفس النموذج في تدبير الاختلاف السياسي، ذلك أنها تسمح بحضور البعد الإيديولوجي لكل فاعل جمعوي مع احترام مواقف للآخرين ودون السعي إلى فرض توجه فكري على حساب آخر، كما يتم الاحتفاظ بمسافة فاصلة بين عمل الجمعية والحقل الحزبي. تقول هذه الجمعية: "بالنسبة لنا،

يجب التجرد من ممارسة التسويق الحزبي داخل الجمعية مع تأمين حرية التعبير الإيديولوجي بشكل حر يلتزم بمبدأ الاختلاف. وقد عملت الجمعية منذ تأسيسها على تنويع المشارب الإيديولوجية، فهناك في المكتب المسير منتمون لفكر اليسار وللفكر المحافظ وللفكر الليبرالي وهناك من هم بدون انتماء إيديولوجي، لكن نقطة القوة لدينا هي تغليب الانتماء إلى الثقافة على الانتماء إلى الايدولوجيا، وهو ما يمكننا من تجاوز الاختلافات والنزاعات عند حدوثها".

نتيجة لكل التجارب والمواقف السابقة، التي أظهرت تمثلات ومواقف سلبية لشباب العينة من العمل السياسي الحزبي، فقد اختار أغلبهم العزوف عن الفعل السياسي في المؤسسات الحزبية، وهو ما تأكد أيضا من خلال البحث بالاستمارة حسب الجدول التالي:

ممارسة العمل الحزبي					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	لم يذكره	352	87.3	87.3	87.3
	ذكره	51	12.7	12.7	100.0
	Total	403	100.0	100.0	

في سياق مماثل، أفضت دراسة السوسيولوجية هناء شريكي حول الشباب والجمعيات التنموية بجهة الرباط سلا زمور زعير إلى تصنيف المشاركة السياسية للشباب حسب الأنماط التالية:

- ❖ رفض للمشاركة السياسية: وهو ناجم عن تجربة أفضت إلى استياء بعد إقصاء واستغلال.
- ❖ رفض دون خوض التجربة: حيث اختصرت فئة من الشباب مشاق التجربة وبنت تمثلاثها من خلال الانتخابات ووعود المنتخبين "الكاذبة"؛
- ❖ رفض "مبرَّر" بالحصول على عمل أو إتمام الدراسة أو ما شابه؛

❖ تجربة مشروطة: يقبل فيها الشباب الانخراط في المؤسسة الحزبية، ومع ذلك ينتقدونها ويعتقدون أن التغيير يجب أن ينبع من داخل هذه المؤسسات، فهو إذن قبول "مشروط" في انتظار التغيير الذي يراهنون عليه.[478]

إن مسألة تشبيب بنيات المؤسسات الحزبية، خاصة البنيات الطلائعية، هي من بين الإشكاليات الأساسية التي تنفّر الشباب من الحياة الحزبية، ويرى حسن طارق في مقاله "الشباب بين رهانات المواطنة وواقع المشاركة السياسية" أنه إذا كان تشبيب القيادات السياسية والأحزاب يعتبر إحدى رهانات تأهيل الحياة السياسية المغربية، فإن تراكم الأزمنة التنظيمية والأجيال داخل الأحزاب، واستمرارية أجيال الحركة الوطنية ما بعد الاستقلال، وضعف تداول النخب وغياب الديمقراطية الداخلية، وثقل المشروعيات التاريخية، كل ذلك يجعل من رهان التشبيب رهانا صعبا رغم الإرادوية المعلنة في قانون الأحزاب تجاه تمثيلية الشباب، ورغم ما يبدو إجماعا من الناحية الشكلية في خطابات الفاعلين الحزبيين حول وظيفة الشباب داخل تنظيماتهم.

لقد شكلت مثلا لحظة ملاءمة القوانين الأساسية للأحزاب المغربية مع قانون الأحزاب نموذجا لسيادة ثقافة المحافظة، حيث تم الالتفاف حول مقتضيات هذا القانون الناصة على ضرورة تشبيب الأجهزة المسيرة للأحزاب، ومن خلال استغلال غموض المادة 22 التي لم تحدد ما المقصود عمريا بفئة الشباب، كما أنها لم تحدد نسبة دنيا لتمثيلية الشباب والتي على الأحزاب احترامها، وهو ما يسمح للأحزاب إما بالتنصيص على نسب غير معبّرة بتاتا أو اعتماد تعريف ممطط لفئة الشباب، مما يفرغ هذه المادة من أي محتوى[479].

6- العمل الجمعوي كبديل عن المشاركة في العمل الحزبي

تأسيسا على ما سبق، اختارت الغالبية من عينة الشباب العمل الجمعوي بديلا عن العمل الحزبي ووجدت فيه حرية في الفعل السوسيوثقافي، بعيدا عن منطق الإملاءات والعصبية

---

[478] شريكي. هناء، (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، بحث لنيل دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ص. 389.

[479] طارق. حسن، (2009)، "الشباب بين رهانات المواطنة وواقع المشاركة السياسية"، (109-136)، في: السياسات الشباب والبحث العلمي، من أجل تفاعل جديد، مناظرة وطنية الشباب تحت إشراف عبد الفتاح الزين، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط. ص.129

السياسية والعنف الرمزي في ردود الأفعال، الخ. بخصوص هذه الحرية، يقول رضى:"العمل الجمعوي مجال للحرية حيث تستطيع القيام فيه بعلاقات اجتماعية وعلاقات شراكة مع مختلف الأطراف بشكل حر. في حين أن العمل الحزبي يفرض عليك حدودا لا يمكن تجاوزها ويفرض عليك مع من يمكنك التعامل ومن عليك تجنبه، وبذلك تجد نفسك مخندقا في إطار ضيق يتسبب في قطع العلاقات مع الآخرين، إن ذلك يعبّر عن منطق معنا أو ضدنا".

يضيف مهدي:"مارست العمل الحزبي لكن توقفت عنه لأنني أرى تضاربا بينه وبين العمل الجمعوي، فمثلا حينما تعتزم تنظيم نشاط جمعوي يطلب منك الحزب ألا تستدعي فلانا وألا تنسق مع الجمعية الفلانية لأنها محسوبة على المنافسين، وتجد نفسك تمارس نضالا مع جهة واحدة فقط مع عدم القدرة على الانفتاح على الآخرين. أما في العمل الجمعوي، فيمكنك أن تكون فيه إنسانيا مع الجميع وتستطيع ممارسة القيم الكونية بكل حرية، أُفضّل أن أكون مِلْكا للجميعَ".

تتأكد هذه النتائج في دراسة مكتب الأمم المتحدة بالرباط حول التطوع بالمغرب والتي أبرزت أيضا أن الشباب يفضلون العمل الجمعوي كشكل من أشكال المشاركة في تدبير الشأن العام بسبب أزمة الثقة تجاه المؤسسات الحزبية، وبسبب هامش الحرية المتسع الذي يسمح به العمل الجمعوي. في حين، تذكر الدراسة أن فئة اخرى من الشباب تعتبر العمل الجمعوي امتدادا وتكملة للعمل السياسي داخل الأحزاب والنقابات. أما بالنسبة لفئة ثالثة، فيتعلق الأمر بإرادة الاندماج بشكل أكبر في الحياة الاجتماعية، خاصة عند الشباب العاطل عن العمل أو فئة المتقاعدين. ففي غياب النشاط المهني، يسمح العمل الجمعوي بتجسيد صفة المواطنة[480].

إن اعتبار الشباب العمل الجمعوي بديلا عن العمل الحزبي من أجل الفعل الاجتماعي في الفضاء العام ليس هو الخيار الوحيد، بل إن الفعل الشبابي حافل بإبداع سجلّ من البدائل الأخرى، وكمثال على ذلك أسوق نموذج الفعل الاحتجاجي في الشارع العام كما حدث مع

[480] PERIER. Florence, (Décembre 2005), «Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc », Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat, p. 20.

حركات "الربيع العربي"؛ ثم خيار الحركات الثقافية-السياسية في الفضاء الرقمي أو على أرض الواقع، وهو ما سبقت الإشارة إليه في القسم النظري.

في هذا السياق، يتحدث الباحث عزيز مشواط في إطار أطروحته حول قيم الشباب بمدينة الدار البيضاء عن الحركة الثقافية الشبابية "نايضة" التي ظهرت خلال سنة 1999 أثناء فترة الانتقال السياسي، ويحيل معنى كلمة "نايضة" بالدارجة المغربية على شدة الحركية، وقد عرّفتها السوسيولوجية دومينيك كوبي Dominique Caupet على أنها: "غليان ثقافي ومجتمعي حضري تتولد عنه حقول متنوعة من الموسيقى؛ فنون الصورة، الصحافة؛ الموضة؛ فنون الشارع؛ رياضات، الخ"[481]. وقد قامت بعض وسائل الإعلام بمقارنة هذه الحركة مع حركة "لاموفيدا la Movida" الاسبانية التي أعقبت حكم الجنرال فرانكو. وفي البرنامج الوثائقي « CasaNayda »، اعتبر السوسيولوجي محمد الطوزي أن لهذه الحركة الثقافية سوابق في سبعينات القرن العشرين، حيث برزت المجموعة الغنائية "ناس الغيوان" ومجموعات ثقافية شبابية أخرى[482].

في ختام هذه النقطة المتعلقة بالمشاركة في الشأن العام، أسوق مقارنة تركيبية بين مشاركة الشباب في الفعلين الجمعوي والحزبي:

- ❖ تتحقق المنفعة المادية في الجمعية على المدى القريب، بينما قد تتأخر في العمل الحزبي إلى المدى البعيد، مثل بحدوث ارتقاء اجتماعي بفضل العمل الحزبي، لكن ذلك لا يعني أن كل من ينتمي لمؤسسة حزبية سيبلغ هذا المبتغى، حيث يتطلب ذلك شروطا معينة.
- ❖ بتراجع شعبية العمل الحزبي وانتشار تمثلات اجتماعية سلبية حوله، أصبح يسود في أوساط عدد من الشباب اعتقاد مفاده أن الانخراط في هذا الحقل من شأنه الإضرار بمكانته ورأسماله الرمزي، وأن ذلك قد يعرقل مشروع حياته المهنية، لاسيما إذا كان الهدف هو الحصول على وظيفة في إحدى الأجهزة الأمنية.

[481] MECHOUAT. Aziz, (2017), Jeunes et valeurs, essai de construction d'une typologie des valeurs de jeunes casablancais, thèse de doctorat en sociologie, Université Hassan II, Casablanca, p. 112.
[482] Idem, p. 114.

- ❖ العمل الحزبي يشتغل بمنطق المؤسسة أي هناك إكراهات (أو ربما إملاءات) ناتجة عن البنية التراتبية، في حين أن عددا من الشباب يعبرون عن رضاهم عن مناخ الحرية الذي يسم العمل الجمعوي.
- ❖ في الجمعيات الثقافية، يحقق الشباب الذين اختاروا القطاع الثقافي كمسار في الحياة استفادة مباشرة وبمستوى أعلى من تلك التي يمكن تحقيقها في الحياة الحزبية.
- ❖ فيما يخص إنماء الرأسمال اجتماعي، فكل من العمل الحزبي والعمل الجمعوي يمكنهما المساهمة في بلوغ هذا الرهان.

الفصل الثالث:

الرساميل البشرية والمادية

لتنزيل استراتيجيات الفعل الجمعوي الثقافي

المبحث الأول: الرأسمال البشري

للجمعيات الثقافية

1- التمثيلية الشبابية على مستوى البنيات التنظيمية

تهتم الكثير من الدراسات التي تعنى بدراسة وضعية الفئات الهشة (الشباب في هذه الحالة) بقياس مدى حضور الفئة المدروسة في مراكز السلطة وصنع القرار، إذ تعتبر أن درجة التمثيلية في الهياكل التدبيرية هي أحدى المؤشرات على مدى تمكين وتأهيل تلك الفئة. وقد حاولتُ توظيف هذا المؤشر في دراستي الميدانية هاته، ليس فقط بهدف قياس مستوى تمثيلية الشباب، بل أيضا من أجل الكشف عن منطق هذا الفعل لدى لكل من هذه الفئة وعينة التنظيمات الجمعوية.

قبل تناول مؤشر تمثيلية الشباب في مواقع السلطة بالتنظيمات الجمعوية بشكل خاص، من المفيد عرض بعض المؤشرات حول انخراطهم في العمل الجمعوي بشكل عام. فمن حيث الفئة العمرية، يتضح من الجدول أسفله أن 63.8% من الشباب ينتمون إلى الفئة العمرية الممتدة بين 18 و25 سنة (118 في الفئة العمرية من 18 إلى 20 سنة؛ و139 بين 21 و25 سنة)، وهي تقريبا نفس الفئة التي كانت أكثر حضورا في اغلب الدراسات التي تمت الإشارة إليها في الفصل التمهيدي.

الفئة العمرية للمشارك (ة) في البحث					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	من 18 الى 20 سنة	118	29.3	29.3	29.3
	من 21 الى 25 سنة	139	34.5	34.5	63.8
	من 26 الى 30 سنة	85	21.1	21.1	84.9
	من 31 الى 35 سنة	25	6.2	6.2	91.1
	من 36 الى 40 سنة	36	8.9	8.9	100.0
	Total	403	100.0	100.0	

فيما يخص الحالة العائلية، فإن 82.4% من هؤلاء الشباب مازالوا في وضعية العزوبة، كما هو مبين التالي:

الحالة العائلية للمشارك (ة) في البحث					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	عازب	332	82.4	82.6	82.6
	متزوج	58	14.4	14.4	97.0
	مطلق	9	2.2	2.2	99.3
	أرمل	3	.7	.7	100.0
	Total	402	99.8	100.0	
Manquante	Système manquant	1	.2		
Total		403	100.0		

يلاحظ أن هؤلاء الشباب يفضلون الانخراط في الجمعيات دون تولي مناصب المسؤولية فيها. وقد أسفر تحليل المعطيات الميدانية عن جود اختلاف بين عينة الشباب الجمعوي المدروسة بالاستمارة وعينة الشباب الفاعل جمعويا المدروسة عن طريق المقابلة. في العينة الأولى، تم رصد تدنّ في الإقبال على مناصب المسؤولية داخل التنظيمات الجمعوية كما يبرز الجدول أسفله:

الموقع ضمن الإطار التنظيمي للجمعية					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	عضو في المكتب المسير	75	18.6	18.6	18.6
	منخرط يستفيد من الأنشطة دون المساهمة	225	55.8	55.8	74.4
	منخرط يتطوع بشكل فاعل	103	25.6	25.6	100.0
	Total	403	100.0	100.0	

بخلاف ذلك، تم رصد نتيجة معاكسة لدى العينة الثانية حيث كشفت عن تحقيق حضور شبابي كاف في الأوساط التنظيمية للجمعيات، حيث وصلت نسبة حضور الشباب في المكاتب المسيرة للجمعيات إلى مستوى النصف تقريبا في 13 جمعية من أصل 20. ومن بين الدوافع التي يمكن أن تحفز الشباب على اختيار المواقع القيادية، ما أوضحتُ سابقا من رهانات فردية وثقافية واجتماعية وسياسية. بهذا، فإن هذا الانخراط في موقع المسؤولية يخدم كلا الطرفين على السواء، الشباب من جهة والجمعيات كتنظيمات من جهة أخرى.

بخصوص أشكال استفادة الجمعيات من الحضور الشبابي، تقول رئيسة "جمعية التنمية الثقافية": "عندما يكون حضور الشباب وازنا سواء من حيث التنظيم أو من حيث الجمهور،

تقوم الجمعيات بتوثيق ذلك عبر الصور الفوتوغرافية ومحاضر الأنشطة، وهو ما يساعد في الحصول على الدعم، لاسيما أن فئة الشباب هي من بين الفئات التي تركز برامج المؤسسات العمومية والمنظمات غير الحكومية على استهدافها. كما تستفيد الجمعيات من تطوع هذه الفئة لإنجاز العديد من المهام التدبيرية في ظل نقص الموارد البشرية.

على المستوى الفكري، تستفيد الجمعيات من أفكار وإبداعات الشباب، خاصة أنهم أكثر حضورا للدورات التكوينية بحكم دراساتهم الأكاديمية ورغبتهم في بناء مشروع الحياة وطموحاتهم داخل العمل الجمعوي. في حالة تشبيب الجمعيات لمكاتبها، يضمن الشباب الاستمرارية للجمعية عبر أجيال جديدة، وفي حالة الجمعيات الحزبية يساهم الشباب في انتشار المشروع السياسي و الترويج له. بالإضافة إلى ذلك، فدينامية الشباب تحفز الجيل السابق داخل مكاتب التسيير وتعطي حيوية في التدبير، فمع التقدم في السن وطول التجربة يصبح هناك نوع من الفتور والروتين في الفعل لدى فئة الكبار".

يحيل الاختلاف في الموقع الجمعوي على مفهومين بارزين في السوسيولوجيا وفي الأنثروبولوجيا- خاصة السوسيولوجيا الوظيفية والمدرسة الثقافوية الأمريكية- وهما مفهومي "الدور" و"الوضع". عند تطبيق هذين المفهومين على العينة المدروسة، تبيّن لي أن "دور" الفاعلية لا يرتبط دائما ب"المكانة" القيادية داخل هياكل الجمعيات، وبالتالي فإن مؤشر التمثيلية الشبابية على مستوى مكاتب التسيير ليس كافيا للتعبير عن مدى هذه الفاعلية، فعدد مهم من الشباب يفضلون الفعل الجمعوي من خارج هذه الهياكل. ويرجع ذلك إلى مجموعة من منطقيات الفعل:

- ❖ تجنب النزاعات والحزازات مع باقي الأفراد: وهو ما تجلى في نموذج كمال حين قال:"لا أريد أن أكون في موقع مسؤولية، ففي ثقافة مجتمعنا تضعك المسؤولية بين المطرقة والسندان، فلو كنت صريحا وعقلانيا ونزيها ستخسر الكثير من العلاقات، أما إن كنت غير ذلك فستخسر نفسك، وأنا لا أريد أن أخسر علاقاتي الاجتماعية ولا أريد أن أخسر نفسي، لذلك أفضل التركيز على ما هو ثقافي محض وتجنب أمور التدبير والشؤون المالية".

- ضيق الوقت: يظهر هذا الإكراه في نموذج أمين الذي يقول: "هناك عوامل ذاتية مرتبطة بضغط الوقت، حيث أنني متزوج وبحكم طبيعة مهنتي ليس لدي الكثير من الوقت الحر، كما أنني أتابع دراساتي بسلك الدكتوراه". أما فؤاد فقد عبّر عن حس المسؤولية من خلال تخوفه من عدم الوفاء بالتزاماته الجمعوية نتيجة انشغالاته.
- الشعور بعدم التوفر على الحد الأدنى من الخبرة والكفاءات التدبيرية: وهو ما يبرز أكثر في حالة الشباب حديثي العهد بالانخراط الجمعوي، كما هو الحال مع سارة حين قالت:"مضت سنتان على التحاقي بالجمعية وأشعر أنني لازلت غير متوفرة على التكوين اللازم في مجال التدبير الجمعوي كي أرشح نفسي لتقلد مناصب مسؤولية".
- نزوع بعض الفاعلين إلى العمل في الخفاء عوض العمل في الواجهة: وهو ما لا يحفزهم على تحمل مناصب قيادية. يتجلى ذلك في نموذج خالد الذي يقول: "في كثير من الأحيان، كنت أشتغل في الكواليس، أحب أن أكون في الملعب وليس في المنصة الشرفية من أجل حب الظهور. في العديد من الأنشطة ومنذ مراحلها الأولى، أساهم في صياغة التصور والإعداد، لكن في يوم الافتتاح والعرض أمام الجمهور قد لا أحضر إذا كانت لدي انشغالات أخرى، ولا أهتم إن لم أظهر في الصور الفوتوغرافية والفيديوهات، المهم هو الشعور أنني أديت واجبي على أكمل وجه".

2- الحضور النسائي

كانت التنظيمات الجمعوية، منذ نشأتها بالمغرب ولازالت إلى الآن، فضاء اجتماعيا مناسبا لتحرر المرأة من إكراهات الثقافة الذكورية وفرصة لإعادة تشكّل تنشئتها السوسيوثقافية وهويتها الثقافية وفق قيم الحداثة. وقد حاولتُ قياس هذا الحضور داخل العينة المدروسة من خلال بعض المؤشرات، كما عملتُ على رصد أبرز الصعوبات التي تعترض هذه المشاركة.

بالنسبة إلى الحضور النسائي على مستوى الانخراط الجمعوي للشباب، فقد سجّل رقما مهما وصل إلى 179 شابة، وهو عدد لا يبتعد كثيرا عن الحضور الذكوري الذي بلغ 224 شابا. يدل هذا المؤشر على تفضيل النساء للعمل الجمعوي مقارنة مع الفعل الاجتماعي في

مؤسسات أخرى. فالعمل التنظيمي داخل الأحزاب السياسية مثلا يوصف أحيانا بالميزوجينية، فلطالما اعتُبرت النساء أقل قدرة من الرجال وعُوملن كمواطنات من الدرجة الثانية. لذا درجت العادة على أن يخصص لهن كل حزب على حدة قطاعا يضم المنظمة النسوية "التابعة" كنوع من "الحريم السياسي"[483].

جنس المشارك (ة) في البحث					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ذكر	224	55.6	55.6	55.6
	انثى	179	44.4	44.4	100.0
	Total	403	100.0	100.0	

أما على مستوى مشاركة العنصر النسوي في مراكز صنع القرار داخل التنظيمات الجمعوية المدروسة، فقد أبرز تحليل المقابلات أن أغلب مكاتب الجمعيات تتراوح فيها العضوية النسائية بين 2 إلى 3 نساء، وهو ما يقترب من النتائج المستخرجة من معطيات البحث الكمي حول الجمعيات، حيث سُجّل في 42 جمعية أن عدد المشاركات النسوية تتراوح ما بين 1 و3 نساء، وهو ما يمكن اعتباره مظهرا من مظاهر ذكورية العمل الجمعوي في العينة، كما يبين الجدول التالي:

عدد النساء في المكتب المسير					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	0أنثى	21	26.3	26.3	26.3
	من 1 إلى3	42	52.5	52.5	78.8
	من4-6	12	15.0	15.0	93.8
	7فما فوق	5	6.3	6.3	100.0
	Total	80	100.0	100.0	

تأكدت هذه الذكورية في التدبير الجمعوي من خلال دراسة "الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني"، للباحثة حسناء العمراني حيث تبين في بحثها أن نسبة الذكور تصل إلى 58.4%، فين حين أن نسبة الإناث تصل إلى 41.6%[484]. كان هذا من الناحية الكمية، أما

[483] وافي. العربي، (2008)، مقاربة النوع والتنمية، المعرفة للجميع، عدد 35، منشورات رمسيس، الرباط، ص. 121.
[484] العمراني. حسناء، (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، سلسلة دراسات، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس، ص 170.

من الناحية النوعية، فأجمعت معظم جمعيات العينة التي درستُها أن مشاركة المرأة في الفعل الجمعوي أصبحت وازنة، سواء تموقعت هذه المساهمة داخل مراكز صنع القرار أو خارجها، بل إن 9 من رؤساء الجمعيات عبّروا أن مشاركة المرأة أصبحت تتجاوز مشاركة الرجل من حيث الفعالية، لاسيما فيما يتعلق بالأنشطة الموجهة للعمل الاجتماعي. في هذا الإطار، أشير إلى وجود جمعيتين تترأسهما نساء ضمن عينة الجمعيات التي أجريتُها مع المقابلة. وان كان العدد قليلا مقارنة مع باقي الجمعيات البالغ عددها 18، فإنه من الناحية النوعية يؤشر على أن المرأة أصبحت تحتل مواقع قيادية داخل التنظيمات الاجتماعية.

بخصوص هذه المشاركة الايجابية يقول رئيس "جمعية الإشراق الثقافي": "مشاركة المرأة متميزة جدا، سواء من داخل المكتب المسير أو من جانب باقي المشاركات، ولا يمكن أن تقوم الجمعية بنشاط ثقافي دون أن يعرف مشاركات للنساء المبدعات". أما من حيث ضمان هذه الفاعلية بشكل مؤسساتي، فقد ركزت بعض الجمعيات على مبدأ المناصفة في نصوصها القانونية، ومنها جمعية "جمعية آفاق الثقافة": "المناصفة منصوص عليها بميثاق شرف لضمان مشاركة المرأة في أنشطة الجمعية وفي تمثيليتها أمام جهات أخرى".

تؤشر هذه الفاعلية النسوية في الأداء التنظيمي على الدور المهم للفعل الجمعوي في تمكين المرأة، وهو ما ورد أيضا في الدراسة الميدانية التي قامت بها الباحثة كريمة الطيبي الوزاني المنشورة في كتاب "ثقافة النوع بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية لمفهومي الحكامة والمجتمع المدني"، حيث تشير المؤلفة إلى أنه "على مستوى الجمعيات التنموية، فإننا نلاحظ حضورا وازنا للنساء على مستوى التدبير والتسيير، ثم على مستوى الاستفادة"[485].

وقد أخذ مفهوم "التمكين"[486] حيزا كبيرا في الأبحاث حول التنمية وفي الدراسات المتعلقة بالنوع الاجتماعي على وجه الخصوص. ويمكن تعريف التمكين نظريا أنه عملية لتغيير علاقات القوة، بما يتيح الفرصة للأفراد لاتخاذ المبادرات والقرارات واكتساب مزيد من السيطرة على حياتهم، ويؤدي في نفس الوقت إلى تخلي النظم الاجتماعية والاقتصادية

[485] الوزاني. الطيبي. كريمة، (2016)، ثقافة النوع بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية لمفهومي الحكامة والمجتمع المدني، منشورات دار التوحيدي، الرباط، ص. 233.

[486] يمكن ترجمة مفهوم التمكين بالفرنسيبة ب l'autonomisation وهو دال على الاستقلالية، أما بالانجليزية فيمكن ترجمته ب empowerment ، وهو دال على السلطة والقوة التي تجد جذرها في كلمة power.

والسياسية عن جزء من سلطتها وإتاحة الفرصة للأفراد والجماعات المهمشة للمشاركة في عملية صنع القرارات ولعب دور مؤثر في المجتمع[487]. ينطوي التعريف الإجرائي للتمكين على عدد من المؤشرات، تتمثل في: القدرة على اتخاذ القرار؛ الحصول على المعلومات والموارد؛ القدرة على الاختيار بين البدائل؛ شعور الفرد بقدرته على إحداث التغيير؛ شعور الفرد أنه جزء من المجموعة؛ تعلم المهارات الضرورية؛ النمو والتغيير المستمر؛ ثقة الفرد بنفسه وبقدراته وبإمكانياته[488].

رغم ذلك يبقى أن إسهام المرأة في الفعل الجمعوي لازال يعرف الكثير من الإكراهات. وبالإضافة إلى الصعوبات التي تطرقتُ لعدد منها ضمن محاور سابقة، أضيف أبرز العراقيل التي تعوق انخراط المرأة في العمل الجمعوي، وهي:

- **حدث الزواج:** يعد الزواج حدثا مفصليا في المسار الاجتماعي للفاعلين الجمعويين، فتزايد وظائف الحياة اليومية التي تنتج عن هذه المسؤولية يؤدي بهم إلى الانقطاع عن العمل الجمعوي أو تراجع مستوى الفاعلية. يتفاقم هذا الإكراه بشكل أكبر لدى المرأة بسبب طبيعة التزاماتها بشؤون الأسرة، خاصة إن كان لديها أبناء أو بسبب الثقافة الذكورية للشريك في حال معارضته لعملها الجمعوي[489]، يقول رئيس "جمعية الازدهار الثقافي": "قبل الزواج تكون الفتاة ملتزمة جمعويا، وبعد الزواج قد يحدث التغيير والذي يرتبط غالبا بثقافة الزوج، فهناك أزواج يفرضون على زوجاتهم الانسحاب من الجمعية، لكن هناك زوجات جذبن أزواجهن وأصبحوا فاعلين جمعويين هم أيضا".
- **تمثلات الأسر حول العمل التطوعي:** هناك أسر تمنع بناتهن من العمل الجمعوي بسبب تمثلات حول الفعل التطوعي، معتقدة بذلك أن الجمعيات تعمل على استغلال الفتاة في أعمال تتطلب وقتا ومجهودات بدون أجر.

---

[487] إسماعيل. داليا. محمد. بهاء، (2011)، الشباب والجمعيات الشبابية، المشاركة والدور والتوجهات، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ص. 19.

[488] المرجع نفسه، ص. 20.

[489] المرنيسي. فاطمة، (1987)، الجنس كهندسة اجتماعية، بين النص والواقع، نشر الفنك، ترجمة فاطمة الزهراء زريول، المحمدية، ص. 89.

❖ **خصوصية بعض الأنماط من الفعل الثقافي:** تبرز هذه الخصوصية من خلال الأنشطة التي تتطلب تنقلات إلى مدن أخرى والمبيت بها، مثل تقديم العروض المسرحية في إطار الجولات الوطنية أو الدولية، وهو ما يخلق صعوبات للمرأة خاصة في ظل استمرار "عزل المرأة" (حسب العبارة التي استعملتها فاطمة المرنيسي[490]) في الكثير من أوساط المجتمع. بهذا الخصوص، يقول رئيس "جمعية منتدى الثقافة": "هناك صعوبة في الحصول على موافقة الوالدين حينما يتعلق الأمر بالتنقل في إطار جولات مسرحية عبر المدن أو حينما تكون الأنشطة الثقافية في وقت متأخر من المساء، بخلاف الحالات التي تكون فيها الأنشطة محلية وخلال النهار". من خصوصيات العمل الثقافي ما تطرق له أيضا رئيس "جمعية النماء الثقافي" حين عبّر عن صعوبة ولوج النساء للمقهى الثقافي الذي أقامته الجمعية بسبب السمة الذكورية لهذا الفضاء الاجتماعي، لكن يُلاحظ بعض التغير كما أوضح المشارك في البحث: "أصبحت هذه الذكورية تتراجع، ومن مظاهر ذلك أن المقهى الثقافي الذي نشرف عليه شهد تنظيم نشاط ثقافي نسائي في اليوم العالمي للمرأة، وكان نسائيا في كل شيء حتى في التنظيم، وكانت المقهى مملوءة بالنساء، ومنهن من حضرن من مدن بعيدة".

3- تقسيم العمل والالتزام بالمسؤولية

إن تقسيم العمل والالتزام بالوقت وبالمهام المنوطة بالفاعل الجمعوي هو من أهم ما يساهم في التدبير العقلاني للتنظيمات الجمعوية، وهو ما من شأنه أن ينعكس إيجابا على فعاليتها تجاه الفئات المستهدفة. نظرا لهذه الأهمية، فقد تطرقتُ لهذا المؤشر عند جمعيات العينة وحاولتُ أن أتناول منطق الفعل في عملية تقسيم العمل وكذا استراتيجيات الجمعيات في هذا الشأن، وقد جاء ذلك بعد رصد عدد من الإشارات والانتقادات عند الشباب الجمعوي الذي عبّروا عن الأثر الذي يخلّفه ضعف الالتزام بالمهام وبالمسؤولية.

---

[490] المرنيسي. فاطمة، (1987)، الجنس كهندسة اجتماعية، بين النص والواقع، نشر الفنك، ترجمة فاطمة الزهراء زريول، المحمدية، ص. 123.

أظهر تحليل المعطيات الكمية، كما هو مبين في الجدول أسفله، أن عدد أعضاء المكاتب المسيرة في أغلب الجمعيات يتراوح ما بين 3 و9 أعضاء بالمقارنة مع الجمعيات الأخرى التي قد يتجاوز فيها العدد 17 أو 19 عضوا.

عدد أعضاء المكتب المسير					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
81.3	81.3	81.3	65	من 3 الى9	Valide
96.3	15.0	15.0	12	من 11 الى15	
100.0	3.8	3.8	3	من 17 الى26	
	100.0	100.0	80	Total	

من المفترض القول إنه كلما كان ارتفاع عدد أعضاء المكتب المسيّر كلما خفّت أعباء كل فرد، لكن أغلب الجمعيات تفضّل تقليص عدد الأعضاء المسيّرين من أجل خفض احتمال نشوب النزاعات، وكذلك من أجل تجاوز صعوبات تحقيق النصاب القانوني أثناء عقد الاجتماعات وتجاوز مشاكل أخرى. وعليه، وفي ظل محدودية هذا العدد، تطرح ضرورة التزام الأعضاء بالحضور وبإنجاز المهام. وقد عبّر الكثير من الفاعلين الجمعويين، سواء لدى عينة الشباب الجمعوي أو لدى عينة الجمعيات، أن مشكل الالتزام يطرح بقوة، وهو ما تم تسجيله أيضا في أبحاث أخرى مثل دراسة حبيبة حفصاوي للجمعيات النسائية حيث جاء على لسان إحدى المشاركات في البحث "هناك عضوات بالاسم لا تحضر إلا إذا كان هناك نشاط، أو ندوة، حتى أعضاء المكتب قد لا يحضرون دائما كلهم"[491].

في هذا السياق، يقول أمين إن "ما تحتاجه الجمعيات هو الالتزام والانضباط التنظيمي، سواء من جانب المنخرطين أو من جانب الأعضاء في الهياكل التنظيمية. فمن خلال انتقالي بين عدة جمعيات، لمست ضعفا في حس المسؤولية بشكل مشترك بين عدد كبير من الجمعويين. تحتاج الجمعيات أيضا برمجة استراتيجية في بناء الأنشطة، حيث أن أغلبها قائم على الارتجالية والظرفية والمناسباتية". نفس النقد، وجهّه أيضا 5 شبان آخرين، وتأكد أيضا من خلال تحليل الاستمارة أن 26 جمعية فقط يتم فيها تقسيم العمل بشكل متوازن، في حين

[491] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، ص.235.

أنه في باقي الجمعيات، تقع الأعباء على فئة قليلة من الأعضاء كما هو مبيّن من خلال الجدول التالي:

تقسيم العمل بين أعضاء الجمعية					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	تقسيم متوازن بين الأعضاء	26	32.5	32.5	32.5
	تقسيم غير متوازن تقع فيه الأعباء على قلة من الأعضاء	40	50.0	50.0	82.5
	تقسيم يتأرجح بين التوازن تارة وعدم التوازن تارة أخرى	14	17.5	17.5	100.0
	Total	80	100.0	100.0	

بالانتقال إلى عينة الجمعيات التي أجريت معها المقابلة، تم أيضا التمييز بين فئتين من حيث هذا المؤشر، حيث أعربت 13 جمعية من الفئة الأولى أن الالتزام بالحضور وبتحمّل أعباء التدبير يقع على فئة محدودة من الفاعلين. في حين، بلغ حجم الفئة الثانية التي سُجّل فيها تقسيم متوازن للمهام ما مجموعه 7 جمعيات.

بالنسبة للفئة الأولى، ورد في إجابات 4 جمعيات أن هذا التقسيم غير المتوازن وهذا الالتزام الضعيف بالوقت وبالحضور هو مشكل يلاحظ في أغلب الجمعيات، ومن هذه الجمعيات من استعملت العبارة: "هذه قاعدة معروفة في العمل الجمعوي بالمغرب". بالإضافة إلى ذلك، فالكثير من الأعضاء يتطوعون ويتحمّسون في البداية لتحمل المسؤولية، لكن المشكل يكمن في عدم الاستمرارية رغم تقسيم المهام.

أعتقد أن لضعف الالتزام وتحمل المسؤولية أسباب عميقة، من بينها نمط التنشئة الاجتماعية داخل أوساط واسعة من المجتمع المغربي التي لا تربي الفرد على الاستمرارية والممارسة اليومية وفق عادات منتظمة، سواء فيما يتعلق بعادات النوم أو التمييز بين أوقات اللعب والدراسة أو الاستمرارية في القيام بالممارسات الثقافية، لاسيما تلك التي تتطلب مجهودا وتركيزا مثل ممارسة القراءة مثلا، بخلاف الممارسات الثقافية التي تتميز بطابعها الجماهيري والجاذب، مثل الممارسات الرقمية. ينتج عن هذا المشكل في التربية أن ضعف

الانضباط ينعكس في الممارسات المهنية وفي البرامج التي تطلقها مؤسسات تدبير الحياة العامة.

يعد هذا التقسيم غير المتوازن في العمل شكلا من أشكال الاختلال الوظيفي، وهو ما تطرق له السوسيولوجي الأمريكي روبرت ميرتون بعد أن انتقد محدودية النموذج البيروقراطي الفيبري رغم أنه لا يلغي هذا الأخير[492]، ومن بين الأسباب التي تؤدي إلى محدودية هذا النموذج العقلاني في التدبير ما يلي:

- ❖ افتراض البيروقراطية أن رد الفعل المناسب يصدر بشكل تلقائي عن الامتثال للقواعد؛
- ❖ تحول هذه القواعد إلى مطلق، وبالتالي تبتعد عن الأهداف التي وضعت من أجلها؛
- ❖ عدم القدرة على التكيف التي لم تؤخذ بعين الاعتبار من طرف واضعي تلك القواعد؛
- ❖ تصبح عناصر الفعالية هي نفسها التي تنتج انعدام الفعالية[493].

يتأثر مستوى الالتزام الجمعوي بعامل آخر لا يقل تركيبا وتعقيدا عن التنشئة الاجتماعية، وهو عامل الوقت المرتبط هو ذاته بنمط الحياة العصرية، المتميزة بسرعة إيقاعها وكثرة أعبائها. ينتج عن هذا الوضع أن الضغوط المجتمعية لم تعد حكرا على المرحلة العمرية لفئة الكبار، بل إن حالة التوتر أصبحت ملحوظة بشكل مبكر لدى فئتي المراهقين والشباب بسبب ضغوطات الحياة الدراسية.

أشرتُ في سياق سابق من هذا البحث أنه خلال إجراء المقابلات، قارن عدد من الشباب بين النظم التعليمية في دول العالم الأول التي توفر للشباب وقتا كافيا لممارسة أنشطة موازية ومنها العمل الجمعوي، وبين النظام التعليمي المغربي الذي يُثقل كاهلهم بكثرة الواجبات. بناء على ذلك، فالكثير من الجمعيات تصوغ برنامجها الزمني ارتباطا بالبرامج الدراسية كي يجد الشباب المنتمي إليها وقتا للعمل الجمعوي خاصة بالنسبة للأعضاء المسيّرين من فئة الشباب، وأيضا حتى يكون هناك إقبال على أنشطتها الجمعوية خلال العطل المدرسية أو

[492] امعمري. لحبيب، (2010)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الأول، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، ص. 162.
[493] المرجع نفسه، ص. 163.

خارج فترات الامتحانات. في هذا الإطار، فقد شكّلت فئة الشباب التي مازالت في طور الدراسة النسبة الأكبر من العينة التي ملأت الاستمارة، حيث شكل الشباب المتمدرس ما مجموعه 47.4% كما جاء في الجدول أسفله:

الوضعية المهنية للمشارك (ة) في البحث					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	في طور الدراسة	191	47.4	47.4	47.4
	في طور البحث عن العمل	78	19.4	19.4	66.7
	متوفر على عمل	114	28.3	28.3	95.0
	متوفر على عمل مع متابعة الدراسة	20	5.0	5.0	100.0
	Total	403	100.0	100.0	

يتأكد الحضور الشبابي في العمل الجمعوي بشكل خاص من خلال فئة الطلبة، وهو ما رصدته باقي الأبحاث الميدانية ومنها دراسة السوسيولوجي أحمد شراك حول الجمعيات الثقافية حيث أبرزت الدراسة أن أغلبية المهن والوظائف المرصودة في عينة البحث تتشكل من فئة الطلبة والتلاميذ كأعلى نسبة، تليها نسبة المعلمين والأساتذة، ثم فئة الموظفين الصغار، مع نسبة لا بأس بها من الحرفيين، ويدل وجود هذه الفئة الأخيرة أن العمل الجمعوي بمدينة فاس في تلك الفترة لم يكن يقتصر على فئة المثقفين فقط[494].

وقد أعربت نسبة 55.1% من عينة الشباب الجمعوي أنها تعاني من محدودية توفر الوقت الحر، وهو ما يظهر في الجدول أسفله:

توفر الوقت الحر					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	نعم محدود جدا	222	55.1	55.1	55.1
	بعض الشيء	128	31.8	31.8	86.8
	لا لديك الكثير من الوقت الحر	53	13.2	13.2	100.0
	Total	403	100.0	100.0	

يزيد من ضغط الوقت عند الطالب المغربي عوامل أخرى من أهمها الارتباطات العائلية، كمساعدة الأسرة على قضاء الحاجات اليومية. وبخلاف المجتمعات الفردانية التي

[494] شراك. أحمد، (2015)، سوسيولوجيا الجمعيات الثقافية، أي براديغم للعمل الثقافي؟، منشورات مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، ص. 33.

يتحرر فيها الشباب من الارتباطات العائلية بشكل أكبر، ترتفع هذه الأخيرة في ظل نظام اجتماعي يتميز بطابعه الجماعي والتقليدي، ويزداد الإكراه بشكل أكبر في حالة الإناث حيث يرتبطن بشكل كبير بأشغال البيت. وقد أعرب 206 من الشباب الجمعوي أن مساعدة الأسرة على قضاء أغراضها تدخل ضمن انشغالاتهم، كما هو مبين أسفله:

مساعدة الأسرة في الوقت الحر					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
48.9	48.9	48.9	197	لم يذكره	Valide
100.0	51.1	51.1	206	ذكره	
	100.0	100.0	403	Total	

فيما يخص الفئة الثانية التي لوحظ لديها توازن من حيث تحمّل المسؤولية، فقد تم رصد بعض العوامل التي تساعد في ذلك، ومنها:

أولا، طبيعة النشاط المهني لعدد من الأعضاء الذين يجدون بفضلها وقتا كافيا للقيام بالعمل الجمعوي، وهو ما يعني أن ضغط الوقت في نمط الحياة العصرية يعد من أقوى العوائق أمام الاندماج الجمعوي، خاصة حينما يتعلق الأمر بالتطوع، على خلاف العمل الجمعوي المأجور حينما يتحول النشاط الجمعوي إلى احترافية تجعل منه مهنة في حد ذاتها. وقد تجلى هذا العامل في عدد من الحالات منها نموذج "جمعية الملتقى الثقافي" حيث أعرب رئيسها أن "هناك توازن في تقسيم العمل والتزام بالمهام بحكم توفر عدد مهم من الأعضاء المسيرين على الوقت الكافي نظرا لكونهم متقاعدين".

وجدير بالذكر أن السياسات الاجتماعية وثقافة المجتمع لا تستثمر بالشكل الكافي في فئة المتقاعدين، رغم ما تتوفر عليه هذه الفئة من توفر في الوقت ومن خبرات تمت مراكمتها عبر طول التجربة المهنية، وهو ما يشكل هدرا للموارد البشرية ويساهم في الهشاشة النفسية والاجتماعية التي تعرفها هذه الفئة. كما تنبغي الإشارة أيضا إلى ضعف الدراسات السوسيولوجية حول فئة المتقاعدين ووضعيتهم الاجتماعية المهمشة.

في نفس الإطار المتعلق بدور الوضعية المهنية في التأثير في الأداء الجمعوي، تتحدث رئيسة "جمعية التنمية الثقافية"عن الفرصة التي يوفرها لها عملها كأستاذة للتعليم الفني من

أجل المساهمة الفعالة في تدبير شؤون الجمعية، بحيث أنها تشتغل لمدة ساعات محددة خلال الأسبوع، لكنها تعقّب: "لو كانت وظيفتي تتطلب مني الحضور إلى مقر العمل طوال اليوم ولو كانت لديّ إكراهات عائلية أكثر ثقلا، فلربما قد لا أستطيع القيام بالعمل الجمعوي بشكل فاعل".

تحيل إفادة هذه المشاركة في البحث إلى الدور المهم لفئة رجال ونساء التعليم في تأسيس التنظيمات الجمعوية وفي فاعليتها، نظرا لتوفرها على متسع من الوقت مقارنة مع باقي الفئات السوسيومهنية، ونظرا أيضا للرأسمال الثقافي وشبكة العلاقات الاجتماعية التي تحفز أفرادا من هذه الفئة على تحمل مسؤوليتهم الاجتماعية كمثقفين والمساهمة في تحقيق التنمية الثقافية المستدامة. وقد تمظهر هذا الدور بشكل مهم في المقابلات أثناء تناول مرحلة التأسيس وفي نموذج الجمعيات التي تعنى بالفعل القرائي والثقافة الأدبية.

ثانيا، تلجأ بعض الجمعيات إلى تقليص عدد أعضاء المكتب المسير لتفادي ضعف الحضور خلال الاجتماعات، لاسيما ما تعلق منها باتخاذ القرارات، وهو ما يساهم أيضا في التخفيف من تواتر النزاعات.

ثالثا، لم يتم تسجيل اعتماد العمل عن بُعد عند عدد كبير من الجمعيات، بل عند جمعية واحدة فقط، حيث أوضحت أنها تعقد اجتماعاتها منذ سنوات عبر وسائل التواصل الرقمي وفي حالات أخرى يتم التواصل بشكل غير فوري من خلال البريد الالكتروني، ليتم بذلك الاقتصار على الاجتماعات الحضورية عند الاقتضاء فقط. هكذا، يركز الأعضاء المسيّرون على العمل الميداني، متخففين بذلك من الحضور إلى الاجتماعات المباشرة.

يشار إلى أن العمل عن بُعد هو من بين توصيات المختصين لتدبير بعض المهن التي تسمح باعتماده، نظرا لما يوفره من ميزات وما يقتصده من موارد وما يعالجه من مشاكل، مثل صعوبات عمل المرأة مثلا. وقد أبرزت حالة القوة القاهرة المتمثلة في جائحة فيروس كوفيد 19 كيف أن العمل عن بُعد تحول من فكرة نظرية، كثيرا ما جرى استبعادها، إلى واقع معيش من شأنه أن يُحدث تحولات جذرية في تدبير التنظيمات الاجتماعية.

رابعا، من بين الإبداعات في التدبير الداخلي لدى "جمعية الإشراق الثقافي" التي تستحق الإشارة إليها، ما أفاد به رئيسها بخصوص اتفاق أعضاء المكتب المسيّر على التكامل العضوي في المهام وترسيخ تنشئة اجتماعية قائمة على القيم المهنية. يقوال رئيس هذه الجمعية: "سعيا إلى إحلال روح الديمقراطية الداخلية والتضامن والتربية على حس النقد البناء ومحاربة الخطاب العدمي، تم الاتفاق داخل الجمعية على قيام جميع الأعضاء بجميع المهام خلال أنشطة معينة، بما في ذلك المهام البسيطة. وتم الاتفاق أيضا على تعيين مقترَح المشروع كمسؤول أعلى عن كل مل يتعلق بإنجازه، بحيث تكون بقية الأعضاء تحت إمرته بما في ذلك رئيس الجمعية. بهذه الآلية، يتمرّس كل الأعضاء على كافة طرائق الاشتغال، ويختبرون مجمل الإكراهات والضغوط التي ترافق إنجاز كل مهمة.

عن طريق اختبار هذه الإكراهات، تقوم الجمعية بمحاربة ثقافة التقاعس والنقد غير المؤسس الذي يتصيد أخطاء الآخرين، ويصبح الجميع متفهما وملمّا بظروف العمل. بهذا أيضا، يتوفر الجميع، كل في مجال تخصصه، على الخبرة والتجربة اللازمين لتعويض الآخرين في حالة الغياب. إن ذلك شكل من أشكال التحفيز والاقتراح من أجل التطوير، فحينما يكون الفرد هو المشرف عما يقترحه يكون منتجا بشكل أكبر".

من التجارب الفريدة أيضا، ما لاحظته عند ولوج مقر "جمعية التنمية الثقافية"، إذ استرعى انتباهي تعليق جدول بأسماء المداومين في الجمعية على لوحة الإعلانات، كلّ بتاريخ مداومته. وفي حال رغبة أحدهم بالتغيب، يرجع إلى الجدول ليحدد من يمكن التواصل معه لإجراء تبادل التواريخ أو من أجل النيابة عنه شريطة تعويض ذلك الغياب لاحقا.

4- التشغيل كوسيلة لتخفيف الخصاص في الموارد البشرية

اتضح من خلال تحليل مؤشر تقسيم العمل داخل التنظيمات الجمعوية أن هذه الأخيرة تعرف ضغطا على مستوى الموارد البشرية، حيث تقع الأعباء على أقلية من الأعضاء الفاعلين بينما لا يلتزم الآخرون بالحضور وبإنجاز المهام، نظرا لمجموعة من العوامل من أهمها: الارتباطات الاجتماعية؛ ضعف حس المسؤولية كقيمة ناتجة عن التنشئة الاجتماعية؛ ضعف الحافز للاندماج بشكل أكبر في الأداء الجمعوي.

نتيجة لهذا الوضع، طرحتُ السؤال حول إمكانية مساهمة التشغيل الجمعوي في التخفيف من هذا الإكراه التنظيمي على غرار ما يقع في المجتمعات الغربية، حيث أصبح الحديث عن الجمعيات المشغّلة les associations employeurs، ففي فرنسا وحدها بلغ عدد هذا الصنف من الجمعيات ما مجموعه 145.000 جمعية مشغّلة في سنة 1999[495]. وقد اقتضى مني هذا الأمر التطرق إلى مؤشرات أخرى من بينها قدرة الجمعيات على تغطية النفقات المادية للتشغيل، وكذا المشاكل التي تُطرح عند القدرة على تلبية هذه الحاجة.

وقد أسفر البحث الكيفي بالمقابلة عن نتيجة مفادها عدم لجوء 15 جمعية للتشغيل في مقابل 5 جمعيات تقوم بذلك. وقد أكدت معطيات البحث الكمي هذه النتيجة كما يوضح الجدول التالي:

قيام الجمعية بالتشغيل					
Pourcentage cumulé	**Pourcentage valide**	**Pourcentage**	**Effectifs**		
8.8	**8.8**	**8.8**	**7**	**ذكره**	**Valide**
100.0	**91.3**	**91.3**	**73**	**لم يذكره**	
	100.0	**100.0**	**80**	**Total**	

لاحظت أيضا من خلال البحث الكيفي أن أغلب جمعيات العينة لا تدمج الأجراء في تدبير هياكلها التنظيمية باستثناء فئة من الجمعيات، منها: الجمعيات الوازنة من حيث الموارد (والتي تتلقى دعما ماليا من الفاعل السياسي أو من المنظمات غير الحكومية الدولية) أو الجمعيات المقربة من السلطة (كالجمعيات الحاصلة على صفة المنفعة العامة). تتوفر هذه الأخيرة على إمكانية استجلاب موظفين من مؤسسات عمومية أخرى بواسطة آليات إدارية، مثل مسطرتيْ "الإلحاق" أو "الوضع رهن الإشارة"، وهو ما رصده أيضا السوسيولوجي محمد شرايمي في دراسته لحالتي جمعيتي "أدرار" و"أماب"[496].

[495] HELY. Mattiew, (2005), « Les différentes formes d'entreprises associatives », (175-200), in: Les bénévoles et leurs associations, autres réalités, autre sociologie ?, sous la direction de Dan FERRAND-BECHMANN, Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris, p. 175.

[496] شرايمي. محمد، (2007)، سوسيولوجيا المنظمات غير الحكومية بالمغرب، حالتا تنظيمين جمعويين، نشر للمولف، الرباط، ص. 209.

من أهم المشاكل التي تعترض عملية التشغيل في التنظيمات الجمعوية، ما تطرقت إليه "جمعية التنمية الثقافية" بخصوص قلة استمرارية الأجراء في هذه الوضعية، وهي النقطة التي تناولتها رئيسة الجمعية من خلال نموذج الشباب حديثي التخرج، حيث تعمد فئة منهم إلى التشغيل الجمعوي في إطار التعاقد، لكن سرعان ما ينسحبون من الجمعية بعد استيفاء مدة التعاقد والعثور على شغل آخر بأجر أعلى وامتيازات أكبر، لاسيما في ظل تسجيل ضعف جاذبية الأجر الجمعوي مقارنة مع أجور القطاع الخاص ثم القطاع العام. أما بالنسبة إلى الأجراء الذين لم يحصلوا على فرصة عمل أفضل خارج الحقل الجمعوي، فيحافظون على عملهم في التنظيمات الجمعوية. بناء على كل ما تقدم، يمكن إذن تفسير وضعية الهشاشة والمحدودية التي يعرفها التشغيل الجمعوي في العينة المدروسة.

بالإضافة إلى المشاكل السابقة الذكر، رصدت دراسة السوسيولوجي فوزي بوخريص مشاكل أخرى تحد من تطور العمل الجمعوي المأجور، حيث خلصت دراسته إلى أن الأجير الجمعوي هو في الغالب أجير ذكر، في سن الشباب، له مستوى دراسي جامعي، تدرج في العمل الجمعوي وانتقل من التطوع إلى العمل الجمعوي المأجور، ويشغل وظائف متنوعة بين وظيفة التنشيط السوسيوثقافي، التسيير الإداري وإدارة المشاريع والبرامج، ويتم توظيفه عن طريق انتقاء بلا مباراة ولا مقابلة شفهية، ويعبر عن رغبته في الاستمرار في العمل الجمعوي المأجور، بل وعن استعداد ضمني للقبول بقدر معين من هشاشة العمل.

فيما يخص الظروف المميزة للعمل الجمعوي المأجور، فيتجلى على العموم في إجابات المبحوثين أنه لا يتم احترام قانون الشغل بشكل عام، فنسبة كبيرة من الأجراء لا تتقاضى الحد الأدنى للأجور، والغالبية الساحقة منهم لا تتمتع بالتغطية الاجتماعية والصحية، كما أن كما أن نسبة مهمة منهم تعاني من عدم احترام ساعات العمل من قبل الجمعية المشغلة[497].

[497] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، نشر للمؤلف، الرباط، ص. 193.

5- الديمقراطية الداخلية كتدبير للعلاقات الاجتماعية بين الموارد البشرية

مثلما تستلزم تنمية مختلف جوانب المجتمع إقرار مبدأ الديمقراطية، تعد هذه القيمة التنظيمية أيضا ركيزة أساسية في التدبير الجمعوي نظرا لآثارها الايجابية على عدة مستويات، ومن بينها: تحفيز الموارد البشرية على الاندماج في بنيات التنظيم الجمعوي بشكل فعّال ومبدع؛ ضمان تماسك التنظيم الجمعوي ضد التفكك بسبب النزاعات الداخلية أو الانشقاقات وبالتالي تطوير أداء الجمعية نتيجة عامل الاستقرار؛ تنمية الموارد المادية والرفع من حجم الفئات المستهدفة والمستفيدة نتيجة تطور الرأسمال الاجتماعي بفعل عامل الثقة الناتج عن الحكامة الجيدة.

كشفت دراسة هذا المؤشر لدى فئة الشباب الفاعل جمعويا عن وجود موقف إيجابي من الديمقراطية الداخلية لدى 19 شابا، في حين عبّر 3 آخرون عن عدم الرضى أو ضعف وجود الديمقراطية الداخلية داخل الجمعيات التي ينتمون إليها. وتنبغي الإشارة إلى أن تسجيل هذه المواقف يخص الفترة التي قمتُ فيها بإجراء المقابلات، حيث أن عددا من هؤلاء الشباب الذي عبّروا عن موقف إيجابي كشفوا هم أيضا عن ضعف أو غياب الديمقراطية الداخلية في الجمعيات التي كانوا ينتمون إليها سابقا قبل الالتحاق بالتنظيمات الحالية.

في فئة الشباب التسعة عشر الذين أعربوا عن موقف إيجابي، لم ألمس تطبيقا لمبدأ الديمقراطية التمثيلية فحسب، بل لاحظتُ إبداع أشكال متطورة من الديمقراطية التشاركية. من تلك النماذج، أذكر نموذج كريم الذي أخبر أنه في أغلب الحالات يكون تحديد المشاريع والأنشطة من طرف المنخرطين وليس من جانب أعضاء المكتب المسير، وأنه: "عند التشاور، يتم نزع الصفة داخل الجمعية ونتناقش كفاعلين جمعويين من نفس الدرجة". وهذا ما أكده كذلك رضوان بالقول: "الأصل في العمل الجمعوي هو الأفقية وليس العمودية".

أما نادية، فقد أشارت إلى تركيزها على الوظيفة التنشئوية لمبادئ الديمقراطية الداخلية من خلال موقعها القيادي في رئاسة الجمعية، وتقول: "رغم أن عددا من الأعضاء يقولون لي لا تستشيرينا في بعض الأمور لأننا نثق بك، إلا أنني أصر دائما على التشاور معهم حتى لا أكون المسؤولة الوحيدة في حال حدوث أخطاء أو مشاكل، لكن أقوم بذلك أيضا من أجل

تشجيعهم على تطوير تجربتهم وخبرتهم بخصوص المهام والقرارات التي يرغبون في تفويضها إليّ، كما أنني لا أرغب في ترسيخ عادة الانفراد بالتسيير واتخاذ القرارات في ثقافة الجمعية، بل إن المطلوب هو ثقافة التسيير الجماعي عوض الاعتماد على عنصر قيادي واحد. ففي حال غياب هذا الأخير لسبب من الأسباب، يرتبك الآخرون في التسيير لأنهم لم يكونوا معتادين على التمرس بالمشاكل وبالظروف الصعبة، وهو ما قد يقود للأزمة". هذا ما يحصل في كثير من التنظيمات حيث يقوم المسيرون بإقصاء الفعل التشاركي، معتمدين في ذلك على سلطة منصبهم أو موقعهم في الهيكل التنظيمي، الأمر الذي يؤدي في أغلب الحالات إلى تقاعس الفاعلين وعدم انخراطهم الفعال في منظومة التنفيذ والتفعيل[498].

أما النموذج الذي تحدث عنه حمزة، فيتماثل مع نموذج "جمعية الإشراق الثقافي" الذي تطرقتُ له سابقا أثناء تناول موضوع تقسيم العمل، إذ اخبر هذا الشاب أنه في الجمعية التي ينتمي إليها "تعد صفات أعضاء المكتب مجرد أسماء على الورق، في حين أن الجميع متساوون. وقد جرى الاتفاق داخل الجمعية أن كل من يقترح مشروعا معينا سيكون هو رئيسه وهو المسؤول عنه، وسنكون نحن من نشتغل معه ونسانده".

وقد سبق أن رصدت حبيبة حفصاوي في دراستها للجمعيات النسائية هذا النمط من الاشتغال حيث أفاد بحثها أنه ليس ثمة تلازم ضروري بين المواقع الرسمية والمواقع الفعلية للأطر، فسلطة الفرد قوية داخل الجمعية وتوزيع المهام لا يعني توزيع الصلاحيات بالضرورة، إنها استراتيجيات السلطة داخل الجمعية[499]. أما أحمد، فقد أشار إلى أهمية الجموع العامة في إقرار قيم الديمقراطية الداخلية داخل الجمعية التي ينتمي إليها، حيث يشكل الجمع العام مناسبة لتقييم أداء كل الأعضاء حسب مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة، بشكل يفصل بين العلاقات الشخصية والعلاقات المهنية.

من بين التجارب الفريدة التي جسّدت مبدأ الديمقراطية الداخلية ومبدأ المقاربة التشاركية في بناء المشاريع والأنشطة، ما أبرزته "جمعية التنمية الثقافية" بخصوص بنائها

---

[498] القنبعي. الإدريسي. عبد الكريم، (2016)، سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس، الجزء الأول، منشورات قطب البحث: التراب، المجتمع والتنمية المستدامة، فاس، ص. 176.

[499] حفصاوي. حبيبة، (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، ص. 269.

للمشاريع المسرحية، حيث يتم القيام بثلاث أو أربع موائد مستديرة حول الموضوع الرئيسي للمسرحية، ويُستدعى إليها متخصصون ومهنيون ومهتمون من مختلف الفئات، وعلى ضوء مخرجات هذا النقاش الجماعي تتم كتابة النص المسرحي. بهذا، يتميز بناء المتن المسرحي بخصائص الواقعية، وبالعلمية (من خلال مساهمة المتخصصين) وبالتعددية (من خلال إدماج زوايا نظر متعددة لمختلف المشاركين). تقوم الجمعية أيضا بتنظيم ورشات مفتوحة للكتابة المسرحية تحت إشراف مؤطر، فيتم إنتاج نص جماعي تشاركي تتم مسرحته.

إن العدد المرتفع من الشباب الذي عبّروا عن ارتياحهم لوضعية الديمقراطية الداخلية داخل التنظيمات الجمعوية التي ينشطون فيها في فترة إجراء هذا البحث الميداني يتوافق مع نتائج الباحثة حسناء العمراني في دراستها للديمقراطية المحلية بمدينة فاس، حيث أوردت:" لقد اعترف أغلب المنخرطين في الجمعيات أنه يتم إشراكهم في اتخاذ القرارات داخل الجمعية بنسبة 48.8% وهي نسبة مهمة، و35.2% أجابوا ب"أحيانا "، بمعنى أنه لا يتم إقصاؤهم نهائيا من المشاركة في اتخاذ قرارات الجمعية، لكن ذلك ليس بصفة مستمرة، في حين أجاب 6.4% فقط من مجموع عينة البحث ب"لا" بمعنى أنه لا يتم إدماجهم في ذلك، وهي نسبة ضعيفة جدا"[500].

أما فيما يخص الشباب الذين عبّروا عن عدم رضاهم عن وضعية الديمقراطية الداخلية بالجمعيات التي ينتمون إليها حاليا، فقد أعرب عماد أن القرارات تتخذ على مستوى المكتب المسيّر ولا يتم التشاور بشكل كاف مع باقي المنخرطين. في حين، أشار أمين إلى أسلوب الكيل بمكيالين: "هناك قرارات اعتيادية تأخذ بعين الاعتبار موقف المنخرطين، لكن في عدد من الحالات هناك قرارات انفرادية تضر بالثقة بين المنخرطين والمسؤولين في الجمعية".

في نفس السياق المتعلق بضعف أو غياب الديمقراطية الداخلية، عبّر مجموعة من الشباب عن استيائهم واستهجانهم لممارسات متنافية مع هذه القيم، وذلك خلال تجارب جمعوية سابقة كما أشرتُ إلى ذلك فيما قبل. وأفاد رئيس "جمعية الازدهار الثقافي" أن ضعف الديمقراطية الداخلية هو من بين العوامل التي تؤثر في دينامية الديمغرافية الجمعوية

[500] العمراني. حسناء، (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، سلسلة دراسات، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس، ص. 204.

من خلال انشقاقات الأعضاء بشكل فردي أو جماعي لتأسيس جمعيات جديدة وتدبيرها بشكل مختلف:"الكثير من الشباب الجمعوي يريد التغيير ويريد الديمقراطية، والدليل على ذلك أنه حينما لا يجد هذا الشباب نفسه في جمعية ما، ينشق عنها ويؤسس جمعيات أخرى، وهذه من أسباب تناسل الجمعيات وهو ما حصل في تجربتي الشخصية من قبل".

يقودني تصريح هذا المشارك في البحث إلى الإشارة إلى أن الارتفاع الكبير في عدد التنظيمات الجمعوية خلال العقود الثلاثة السابقة على وجه الخصوص، أي منذ سنوات التسعينات، قد لا يعكس حقيقة الحقل الجمعوي بشكل دقيق وقد لا يكون مؤشرا معتمَدا على تطور ثقافة المجتمع المدني وثقافة الديمقراطية في أوساط المجتمع المغربي، وهو ما يستلزم الإكثار من الدراسات الكيفية وعدم الاقتصار على المؤشرات الكمية.

يتحدث خالد عن تجاربه الجمعوية السابقة التي تميزت بالصراع ضد فرض الرأي الوحيد بشكل مباشر أو عن طريق التحايل: "لم يكن هناك تشاور مع المنخرطين في الجمعيات التي كنت أنتمي إليها سابقا، فالمنخرطون كانوا يُعتبرون مجرد أتباع، على غرار الكثير من الجمعيات الأخرى التي روى لي أصدقائي عنها. في هذه الفئة من الجمعيات، يمارس النقاش بشكل موجه، فمثلا عند مناقشة موضوع معيّن، يتم اقتراح خيارين اثنين ويطلب من المنخرطين الاختيار بينهما، وأي قرار سيتم اختياره سيكون في مصلحة الموجّهين للنقاش، في حين أن الديمقراطية الحقيقية تقتضي أن يُطلب من المنخرطين طرح مختلف أنواع البدائل والاختيارات.

من بين المظاهر التي تعبّر على كون هذه الفئة من الجمعيات تبحث عن أتباع وليس عن فاعلين أحرار ومستقلين فكريا، أنه حينما صرت عضوا في المكتب المسيّر صرت عنصرا غير مرغوب فيه، لأنني كنت أرفض أن أعد السيناريوهات في الكواليس وأعرض على المنخرطين اختيارات ومخططات ممنوحة ومعدة سلفا، لتصب جميعها في مصلحة فئة معينة. في هذه الحالة، فإن المجموعة التي تسعى إلى هذه الهيمنة تستبعدك وتقصيك عن طريق إشارات رمزية، وتحاول ممارسة الضغط عليك بوسائل مختلفة كي تنسحب من الجمعية من تلقاء نفسك. لذلك، قلت سابقا أن هناك جمعيات تفكر بمنطق معنا أو ضدنا،

ومنطق الضبط أكثر من منطق التشارك، وهي تعبّر عن ثقافة فئة في المجتمع تعوزها الثقافة المدنية القائمة على العمل الجماعي والإيمان بالحرية والقبول بالاختلاف".

بنفس الشكل الذي تحدث عنه أمين فيما سبق بخصوص الكيل بمكيالين في الجمعية التي ينتمي إليها حاليا، يروي رضى عن معايشته لهذه الممارسة أثناء عضويته في الجمعيات التي انسحب منها سلفا: "من خلال تجربتي الجمعوية مع عدة جمعيات، لاحظت أنه في عدد من الجمعيات تطبّق المقاربة التشاركية في ظرفيات معينة دون أخرى، أي أن المقاربة التشاركية يتم استخدامها من أجل ذر الرماد في العيون ومن أجل إعطاء صورة مزيفة. وأحيانا يُفرض عليك الأمر الواقع وتجد نفسك مجبرا على تقبله بحكم مجموعة من الإكراهات والالتزامات".

ظاهرة أخرى، حضرت من خلال أجوبة الشابين رضوان ورئيس "جمعية الازدهار الثقافي"، وتتمثل في ظاهرة "الجمعيات العائلية" حيث يتألف أعضاء المكتب المسير من نفس العائلة وقد ينضاف إليهم معارف آخرين. يكون الهدف في كثير من هذه الحالات الاستفراد بالقرار وتداول السلطة بين أفراد من نفس المجموعة، وهو ما يضمن عدم وجود أصوات معارضة. وغالبا ما يرتبط هذا النمط من التنظيم باقتسام "غنائم" الميزانية في حالة الاختلاسات المالية حسب ما عبّر عنه المشاركون في البحث.

تحيل هذه النقطة المتعلقة بتداول السلطة على مسألة الانخراط[501] وتجديده كشكل من أشكال تحديد الرابطة الاجتماعية بين الجمعية وفئاتها المستهدفة. وقد أمكن تنميط الجمعيات من حيث هذا المؤشر إلى فئتين:

- ❖ الفئة الأولى، لا تعتبر عملية الحصول على بطاقات الانخراط مسألة شكلية تفيد بانتماء مجموعة من الأشخاص إلى جمعية معينة، بل إن هذه العملية ترتبط بصميم الديمقراطية الداخلية، على اعتبار أنها تمنح بعض الامتيازات وتخوّل شرعية الحصول على بعض الصفات، مثل: حضور الجموع العامة والاستثنائية وحق

[501] تنبغي الإشارة إلى أن مصطلح "الانخراط" يتغيّر معناه حسب السياق. فقد يدل بشكل عام على الإقبال على الفعل، كالقول "الانخراط في الحياة السياسية او الحياة الثقافية"، وقد يدل كما هو الشأن في هذه الحالة على الانتماء إلى تنظيم معين حسب إجراءات أدراية متعارف عليها، تتم من خلال الإدلاء بوثائق معينة و/أو واجبات مادية.

التصويت أثناءها؛ الترشح لشغل مواقع المسؤولية داخل البنى التنظيمية للجمعية؛ المشاركة في بعض الأنشطة التي لا تكون موجهة للعموم.

❖ أما بالنسبة إلى الفئة الثانية، فهي لا تعمل بنظام الانخراط وتجديده، وإنما تبني علاقتها بفئاتها المستهدفة على أساس تطبعه التلقائية. وفي ذلك، فلكل جمعية منها منطقها الخاص بها.

من خلال البحث الكيفي عن طريق المقابلة، بلغ عدد الفئة الأولى 14 جمعية في مقابل 6 جمعيات من الفئة الثانية. أما البحث الكمي بالاستمارة، فقد أكّد ارتفاع عدد الفئة الأولى مقارنة بالثانية، وهو ما يظهر من خلال الجدول التالي الذي يعبر عن مؤشر مساهمة المنخرطين في ميزانية الجمعيات:

اختيار" واجبات الانخراط "ضمن الموارد المالية للجمعية					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
80.0	80.0	80.0	64	ذكره	Valide
100.0	20.0	20.0	16	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

وإذا كانت الفئة الأولى تبني شرعيتها من خلال انتخابات داخلية تجري بين الأعضاء الحاصلين على بطائق الانخراط، فإن شرعية الفئة الثانية تتأسس بناء على تصويت متعاطفين تعتبرهم أوفياء للجمعية دون القيام بعملية الانخراط أو تجديده. وإن كان تحليل معطيات المقابلات قد مكّن من الكشف عن منطق فعل الفئة الأولى من الجمعيات كما أوضحت سابقا، فقد مكنت المقابلات أيضا من فهم منطق فعل الفئة الثانية والتي علّلته بالعوامل التالية:

❖ عدم الالتزام بالقيام بعملية الانخراط وأداء الواجب المادي: ويتجلى ذلك في إفادة رئيس "جمعية التنوير": "الكثير من المستفيدين من أنشطة الجمعية لا يرغبون في أداء واجب الانخراط، يرغبون فقط في الاستفادة المجانية دون المساهمة بالواجب المادي رغم أن قيمته تظل رمزية، ورغم أن هؤلاء الشباب ينفقون أموالا أكثر في أمور أخرى مثل المظهر وما يتعلق بالإنترنت والهواتف النقالة والأسفار، الخ".

نتيجة لذلك، تتموقف بعض الجمعيات من هذا النفور بناء على منطق الأنفة والكبرياء، وهو ما تجسّد من خلال نموذجي "جمعية التنمية الثقافية" و"جمعية النماء الثقافي"، حيث قال رئيس هذه الأخيرة: "كثير من رواد الجمعية لا يرغبون في القيام بعملية الانخراط وأداء واجبه، والجمعية لا تريد أن تستجدي الجمهور، لاسيما أن مداخيل الانخراط تظل متواضعة".

- ❖ استغلال المِأسسة الديمقراطية للجمعية من أجل التأثير عليها وتحريف مسارها: تجلى ذلك في ذلك نموذج "جمعية الوصل الثقافي"، حيث أعرب رئيسها أنه "تم إيقاف الانخراط منذ ثلاث سنوات، حيث أصبحت عملية الانخراط عائقا يؤخر عمل الجمعية ويعرقل بلوغ أهدافها المسطرة. الانخراط يعني وجود هياكل وانتخابات، ومن خلالها، كثيرا ما تعرضت الجمعية للاختراق من طرف عناصر جديدة، وتبين لنا أن انخراطها لم يكن إيمانا بالمشروع الجمعوي، ولكن من أجل إثارة اضطرابات داخلية لفائدة جمعيات منافسة أو جهات حزبية لم تنجح في استقطاب الجمعية لصالح توجهاتها. ومن آليات هذا التدخل، إكثار هذه العناصر من طلب الجموع العامة الاستثنائية، فتبدأ في خلق نزاعات داخلية بهدف إزاحة أعضاء سابقين والاستيلاء على أغلبية المكتب. لذلك فضلت الجمعية توقيف الانخراط مؤقتا".
- ❖ تمثلات حول انعكاسات الانخراط في العمل الجمعوي على مشروع الحياة المهنية، تمظهرت هذه التمثلات من خلال نموذج "جمعية أفاق الثقافة"، حيث أكد رئيسها ما أشرتُ إليه سابقا من أن "بعض الشباب يعتقدون أنهم انخراطهم في العمل الجمعوي سيعرقل نجاحهم في مباريات ولوج المهن الأمنية مثل الشرطة أو الجندية، ولذلك يتخوفون من إعطاء نسخة من بطاقة التعريف الوطنية أو ما يشابهها، ويفضلون الانخراط بشكل تلقائي وغير رسمي".

من أجل تجاوز هذه المشاكل، تقوم بعض الجمعيات بتجديد شرعيتها من خلال انتخابات تستند على فئة المتعاطفين، رغم عدم قيامهم بعملية الانخراط. وقد ينتج عن هذا المعطى أن تداول السلطة في بعض الجمعيات يتم بين نفس الأعضاء وعبر الاكتفاء بتبادل المواقع، لكن لا يمكن تعميم هذا الاحتمال، إذ جاء على لسان رئيس "جمعية الإشراق

الثقافي": "أن من بين الأعضاء المتعاطفين من غيّروا رأيهم واقتنعوا بالترشح لشغل منصب مسؤولية داخل المكتب المسيّر، لسنا مع الإقصاء بل مع الانفتاح. لكن للأسف، هناك إكراهات تتمثل في كون أغلبية المتعاطفين ترغب في الاستفادة من أنشطة الجمعية لكن دون أن تتحمل المسؤولية ولو من باب الانخراط".

6- التطوع وحوافزه

هناك تصوران كبيران للإنسان هيمنا على الفكر النفسي طيلة القرنين 19 و20م، يُنسب التصور الأول إلى "لوك" و"سكينر" مرورا ب"واتسون"، وهو بمثابة نظرية تطرح تأثير الوسط الخارجي، وهذا ما يصطلح عليه بالنظرية الوسيطية، وتعتبر أن كلا من حافزية الإنسان وسلوكه يحددان بواسطة قوى خارجية عن ذاته. التصور الثاني هو نظرية تطرح تأثير الوسط الداخلي – أي الفطري- في شكله الأكثر حداثة. إن هذا التصور الصادر عن "كانط" قد تبناه معاصريه الأكثر شهرة، من بينهم "فرويد" و"بياجي"[502].

نتيجة لعدم قدرة أغلب الجمعيات على تأمين التشغيل لتيسير تدبير منظوماتها الداخلية، تعتمد أغلبها - بما في ذلك الجمعيات التي تقوم بالتشغيل - على خدمات المتطوعين، ويساعد على ذلك أن عملية التطوع هي في حد ذاتها قيمة مركزية في المجتمع المدني، تتزايد بوجود حوافز معينة وتحقق هي ذاتها عددا من الرهانات والوظائف غير المتوقعة. ولا يعني هذا الاعتماد على الفعل التطوعي أنه يلبي كل حاجيات الحقل الجمعوي، بل إنه يعرف تفاوتا من حيث الإقبال حسب كل جمعية وحسب كل سياق جمعوي، كما يعرف مشاكل ترتبط بالجانب القانوني والاجتماعي.

انقسم الشباب من حيث الموقف من العمل التطوعي إلى فئتين اثنتين:

- **الفئة الأولى:** ترى أن العمل الجمعوي يجب أن يعتمد على التطوع المحض، وهو الاتجاه الذي يعبر عنه نموذج كل من آمال وأمين، حيث يقول هذا الأخير: "العمل الجمعوي قائم على التطوع والعمل النضالي يتطلب التضحية دون انتظار المقابل"؛

[502] القنبعي. الإدريسي. عبد الكريم، (2016)، سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس، الجزء الأول، منشورات قطب البحث: التراب، المجتمع والتنمية المستدامة، فاس، ص. 195.

❖ **الفئة الثانية:** تتفق مع إمكانية التوليف بين التطوع والحصول على عائدات مادية مثلما أوضحت في محور سابق. وفي إطار الوحدة في هذا الموقف، يحضر التنوع في منطقيات الفعل كما تظهر النماذج التالية، ومن بينها نموذج فؤاد الذي قال:" أغلب مساهماتي تتم بشكل تطوعي محض، لكن أحيانا تكون بشكل مؤدى عنه بمقابل رمزي وليس بمقابل مرتفع، مثل التأطير الموسيقي، لكنني أنزعج أحيانا من كثرة الجمعيات التي تطالبني في كل مرة بالعمل المجاني، فلدي إكراهاتي الخاصة. هناك إذن جانب مهم من التطوع، لكن العمل الجمعوي لا يعني أن كل شيء يجب أن يكون مجانيا، لاسيما فيما يتعلق بالجمعيات التي لا أكون منخرطا فيها".

أما بالنسبة لمهدي فقد أشار إلى أنه يقوم بالتطوع مع الجمعيات في مرحلة بداياتها، لكن بعد تمكن الجمعية من الحصول على الدعم المالي، فإنه يرغب في تلقي التعويضات المادية: "أساهم بشكل تطوعي، وفي العديد من المرات يتطلب مني العمل الجمعوي أداء نفقات من مالي الخاص. أقوم بهذا التطوع في مرحلة البناء، لكننا نعتزم إقامة شراكات مع مؤسسات عمومية، وحينذاك سيتم الاتفاق على تقاضي الأتعاب". على نفس النهج، أوضح سمير أن هناك أنشطة ثقافية يتقاضى عنها أجرا، مثل قيامه بتنشيط ثقافي في أربع أمسيات في إطار مهرجان ثقافي بمدينة الرباط.

يتزايد تطوع الشباب بفعل دافعية مجموعة من الحوافز التي تضفى قيمة ومعنى على الحياة، سواء كان هذا المعنى مقصودا عنه من قبل أو تم اكتشافه بشكل غير منتظر. وقد قمت بتصنيف هذه الحوافز إلى 5 أنماط، هي: الأثر؛ العلاقات الاجتماعية؛ المقابل المادي؛ دعم المسار الثقافي؛ محفزات الوسط التنظيمي.

1-6 حافز أثر الفعل الاجتماعي.

إن تحقيق الأهداف التي يصبو إليها الفاعل هو من أهم المحفزات التي تبعث على الاستمرارية في الفعل. وقد قمت بتنميط حافز الأثر إلى عنصرين: الأثر المتعلق بالذات والأثر المرتبط بالواقع. فيما يخص الأثر الأول، فيتجلى في نتائج الفعل التطوعي التي تنعكس على ذات الفاعل من تطور على مستوى بناء الشخصية والفكر والجانب النفسي.

ومن النماذج التي أبرزت قيمة هذا الأثر ما أوضحه رضى: "العمل الجمعوي يجعلك تحس أنك إنسان غير عادي، غير روتيني مثل الكثير من الناس، بل لديك قيمة ويحتاجك الآخرون". أما سارة التي غالبا ما تلازم فضاء البيت بسبب وضعية البطالة، فقد وجدت في العمل التطوعي مخرجا من الملل: "في الصباح أساعد والدتي في المطبخ، وبعد الزوال أملء وقت الفراغ بأعمال الديكور والماكياج التي أوظفها في العروض المسرحية لجمعيتنا. من قبل، كنت أشعر بالملل القاتل، لكن مع العمل الجمعوي أصبحت استمتع بأوقاتي".

من جهته، يتحدث رشيد عن الشعور بالاعتراف والحماس حينما تسند إليه المهام، حيث يشعر بتحقيق قيمة مضافة ومساهمة معينة. أما آمال، فركزت على علاقة التطوع بالضغوط المجتمعية، حيث قالت: "الجمعية هي المتنفس الأكبر من ضغوط الحياة، هي عالم آخر يجعلني نشيطة فكريا ونفسيا وأتعرف على أشخاص جدد وأكتشف ثقافاتهم وتجاربهم. الجمعية تجعلني أفرغ الطاقة السلبية وأجدد طاقتي الايجابية".

أما الأثر الموضوعي المتعلق بالواقع، فيتمظهر من خلال الشعور بالفخر بعد بلوغ الأهداف المسطرة مسبقا، لاسيما إن أحدثت هذا النتائج تغييرات إيجابية متعلقة بوضعية معينة أو بأشخاص آخرين. تجلى ذلك في نموذج نادية بقولها: " أشعر بالحماس حينما أرى الإرادة في أفعال الشباب، أو أنني حققت نجاحا اجتماعيا من خلال العمل الجمعوي. بشكل عام، حينما يتجسد أثر ما نعمل من أجله. من الأمثلة على ذلك أن انخرطت في جمعيتنا شابة كانت في غاية الخجل، واستطاعت أن تتخلص من خجلها وتصبح مبادرة، سواء داخل الجمعية أو مع أسرتها. بفضل هذه النتائج، يتحوّل العمل الجمعوي إلى إدمان لذيذ، إلى رحلة ممتعة، من ينطلق فيها يصعب عليه التراجع عنها".

يضيف كمال: "عندما أرى السعادة في نظرات الآخرين بفضل ما قمت بإنجازه، أحس بالسعادة والثقة بالنفس. يمكن أن أذكر على سبيل المثال أن من الشباب الذين ساهمت في إدماجهم اجتماعيا بواسطة العروض المسرحية من كان يقطع الطريق فكف عن هذا الفعل الإجرامي، ومنهم أيضا من تم فصله من الدراسة ثم أقنعناه بالعودة إليها وتمكن من النجاح، فكنتُ أول من اتصل بهم بعد تلقيه خبر نجاحه".

أما نموذج أمين، فقد تحقق الأثر لديه من خلال بُعد الدفاع عن الحقوق الثقافية. يوضح هذا الشاب: "في الماضي، كان العمل الجمعوي الموجّه للدفاع عن الثقافة الأمازيغية يعتبر من الطابوهات السياسية، واستمر ذلك لفترة طويلة. ولحد الآن، لازالت هناك صعوبات تجعل أن هذه الثقافة لم تأخذ بعد نصيبها من الحق في الذيوع والانتشار. لذلك أشعر بالاعتزاز بالنفس حينما أشعر أنني استطعت إيصال الثقافة الأمازيغية لغير المنتمين إليها أو ترسيخها لدى الشباب الأمازيغي. فالمحفزات تتجسد حينما تلاحظ أن التحديات التي سطرتها في البداية قد تحولت إلى منجزات مكتسبة".

2-6 حافز العلاقات الاجتماعية

إلى جانب الحوافز الأخرى، هناك حوافز معنوية تتجلى في اتساع حاجات الفاعل الاجتماعية والنفسية والذاتية: كالحاجة للإحساس بالانتماء إلى التنظيم، والحاجة إلى الإحساس بالكفاءة والتفوق في العمل، والحاجة إلى تبادل الأفكار والعواطف مع الزملاء، الخ[503]. وتعد الجمعية كتنظيم اجتماعي فضاء ملائما لتوليد روابط اجتماعية جديدة تتميز بالدينامية، وقد تكون الجمعية فضاء اجتماعيا بديلا نتيجة وهن العلاقات الاجتماعية في بعض المجالات السكنية أو في أطر اجتماعية أخرى[504].

كثيرا ما تتطور العلاقات الاجتماعية داخل التنظيمات الجمعوية بعد أن تكون قد مرت من مستوى أساسي من الزمالة لترتقي إلى مستوى الصداقة أو العلاقة الجنسانية المفضية إلى علاقات غرامية أو إلى وضعية الزواج. غير أن نمط العلاقة الاجتماعية الأكثر شيوعا في الوسط الجمعوي هي الصداقة، حيث تعتبر حافزا أساسيا في ثقافة الشباب نظرا لتميزها بالطابع الأفقي المحفز على التواصل، بخلاف المستوى العمودي مع الأسرة الموسوم بالتراتبية والسلطوية وصراع الأجيال. فمع الأصدقاء، يستطيع الشباب التعبير عن خوالجهم ومناقشة مشاكلهم وتوتراتهم، ومعهم أيضا يمكن القيام بممارسات لا يتم القيام بها مع الأسرة.

---

[503] القنبعي. الإدريسي. عبد الكريم، (2016)، سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس، الجزء الأول، منشورات قطب البحث: التراب، المجتمع والتنمية المستدامة، فاس، ص. 205.

[504] DUCLOS. HAVARD. Bénédicte et NICOURD. Sandrine, (2005), Pourquoi s'engager ?, bénévoles et militants dans les associations de solidarité, Payot, Paris, p. 115.

تجلى هذا البعد التواصلي فيما عبّر عنه كريم: "أصدقائي لهم تفكير مشابه لأسلوبي في التفكير، لاسيما أننا في زمن الإحباط. فمن تحدثه عن العمل الجمعوي والثقافي يجيبك بخطاب عدمي تيئيسي يرى أن العمل الجمعوي مصدر المشاكل والمنغصات. لكن، في الجمعية، لدي علاقات اجتماعية تشكل لي مصدر تشجيع، نتبادل الأفكار فيما بيننا بحكم اختلاف التجارب والأعمار والوسط الاجتماعي".

تردف سارة: "كونت علاقات جديدة تحفزني على الاستمرارية في العمل الجمعوي وعلى معالجة مشاكلي في جانب التواصل. حينما أرى شبابا آخرين أصغر منّي سنا ويتواصلون بشكل جيد، أشعر أنه بإمكاني أن أصبح مثلهم أو ربما أحسن منهم". أما كمال، فتطرق إلى الحرية التي يمنحها العمل الجمعوي في انتقاء العلاقات الاجتماعية وتجنب النزاعات التنظيمية: "لم يسبق لي أن دخلت في صراع مع أحد ما في العمل الجمعوي، وحينما ألاحظ بوادر الصراع مع إحدى الجمعيات التي أتعامل معها، أنسحب بهدوء وأستمر في التركيز على العلاقات الإيجابية".

3-6 حافز دعم المسار الثقافي على المستوى الشخصي

تعتبر الترقية حقا من حقوق الفاعل، والتي تنص عليها القوانين وفق ضوابط ومعايير[505]. ومثلما يسعى الفاعلون إلى تطوير وضعياتهم في الأوساط المهنية، يجد الشباب في الوسط الجمعوي مجموعة من العوامل التي تدعم مشروعهم في الحياة وتيسّر لهم بلوغ رهاناتهم الفردية، وهو ما يمكن أن يساهم في تحفيزهم على الاندماج الجمعوي بشكل أكبر. يأتي تطوير الرأسمال الاجتماعي على رأس الميزات الجمعوية التي تدعم الشباب إلى حد كبير، ومما يحفزهم على تحصيل هذا النمط من الرأسمال وجود تمثلات مجتمعية ترى أن أهم الأسباب لتحقيق النجاح الاجتماعي هو الاعتماد على شبكة العلاقات الاجتماعية، في ظل واقع لا يؤمن كثيرا بالكفاءات، خاصة مع ما نشهده من هدر للموارد البشرية من خلال هجرة جماعية للأدمغة والكفاءات إلى دول العالم الأول.

[505] القنبعي. الإدريسي. عبد الكريم، (2016)، سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس، الجزء الأول، منشورات قطب البحث: التراب، المجتمع والتنمية المستدامة، فاس، ص.206.

وقد أعرب شباب العينة عن اهتمامهم بهذا المكتسب لما له من وقع إيجابي على مسارهم، ومن النماذج التي أوضحت ذلك ما جاء في إفادة خالد: "العمل الجمعوي يوفر الفرصة لتوسيع العلاقات الاجتماعية ذات الكفاءات من مختلف التخصصات، وهو ما يساعدني في تنمية مساري في فن المسرح. المتخصص في المسرح هو فنان لا يمكنه إلا أن يهتم بجميع الفنون (من شعر وموسيقى ورقص وثقافة شعبية وفنون الصورة وسينوغرافيا الخ) على اعتبار أن مجملها يحضر في إعداد العروض المسرحية، والعمل الجمعوي هو ذلك الفوروم الذي يلتقي فيه كل ذلك".

تضيف زينب: "تعرفت على مثقفين وشخصيات مهمة كنت لا أراهم إلا في وسائل الإعلام، ولم أكن لأتعرف عليها لولا نشاطي بالجمعية، كما أنني ربطت علاقات اجتماعية ودية مع العديد من الأصدقاء". أما عماد ، فيضيف مثالا عن إحدى آليات تحقيق المصلحة الخاصة: "كونت صداقات ومعارف جيدة، وقد أصبحت تساعدني في عملي الفني المتمثل في الفن التشكيلي وإنجاز الجداريات من خلال تزكية إسمي لدى الزبائن الجدد".

4-6 محفزات الوسط التنظيمي

أبرزت الأبحاث والنظريات في العلوم الاجتماعية كيفية تأثير الجماعة على الفرد، وإذا كانت دراسات الرواد قد ركزت على دور الجماعات الأولية، فإن الأبحاث اللاحقة تناولت بدورها ديناميات التفاعل الاجتماعي داخل الأوساط التدبيرية الحديثة. من بين المواضيع التي تم التطرق لها في هذا الشأن، أثر تحفيز الفاعلين على الأداء التنظيمي، وقد بيّنت المقابلات مع الشباب الجمعوي نتائج هذا التحفيز عليهم.

في هذا الاتجاه، يتحدث كمال عن دور كاريزماتية القائد من خلال قيم وفاعلية رئيس الجمعية التي ينتمي إليها: "ما يحفزني هو قيم وتدبير رئيس الجمعية، فهو إنسان مثقف حاصل على الدكتوراه في الفن من فرنسا، ويقوم بفعل جمعوي بكل نكران للذات وينفق على الجمعية من ماله الخاص. ما أثارني أيضا أن هناك جمعيات، ومنها الجمعية التي أنتمي إليها، ينشط فيها أساتذة جامعيون متخصصون في الشأن الثقافي، في حين أنني كنت أرى في

أوساط جمعوية أخرى أن كثيرا من الفاعلين الجمعويين ليس لهم تكوين كاف في الحقول التي يشتغلون فيها".

في هذا الباب، ينبغي التمييز بين معنى القيادة ومعنى الرئاسة، ويرجع هذا الاختلاف إلى عدم توافر بعض العناصر القيادية في حالة الرئاسة، حيث تعتمد هذه الأخيرة على السلطة التي تمنحها القواعد والقوانين، في حين تعتمد القيادة على اقتناع الفاعلين في المؤسسة أو التنظيم بالقائد وثقتهم به، وهذا ما يجعل القيادة تقوم على القدرات والاستعدادات الطبيعية الكامنة في الفرد التي تمكّنه من إحداث تغييرات في الفاعلين عن طريق التأثير في سلوكهم وتوجهاتهم[506].

يتحدث حمزة عن تأثير العمل الجماعي وعن قيمة التضامن التي تؤثر في مردوديته كفاعل جمعوي: "في الجمعية نشعر دائما بوجود روح الفريق، وهي روح تجعلك تنفي ذاتك وتنصهر وسط الجماعة، مما يبعدك عن المنطق المادي ويشجعك على الإيثار والرغبة في تشارك المعارف والأفكار والمشاعر أيضا". أما سعيد، فيضيف: "كأعضاء في الجمعية، كنا ولازلنا أصدقاء منذ الطفولة. لذلك، لا تحدث بيننا نزاعات كبيرة، وإن حدثت نتجاوزها بثقافة الحوار. وقد شجعت روح الفريق هذه على اعتيادنا على العمل الجمعوي فلا نفكر في تركه، لقد أصبح كحقنة إدمان نتناولها دائما بكل شغف"

تتحدث مريم من جانبها عن قيمة الثقة التي تضعها المؤسسة في الأفراد الفاعلين عندما تلمس فيهم حسّيْ المبادرة والمسؤولية: "أحس بالمتعة والاطمئنان، فداخل الجمعية ليس هناك صراع للأجيال، بل مناخ يدعو إلى تبادل التجارب والأفكار. أشعر أن الجمعية تتبناني، فقد وثقت بي وجعلتني ناطقة باسمها مع مؤسسات أخرى. من جانبي، أعي بأهمية المسؤولية التي يجب أن أحافظ عليها، لذلك أعمل جاهدة كي أكون في مستوى هذه الثقة وكي أرد قسطا من فضل الجمعية عليّ، فهي تساعدني في البحث الأكاديمي الذي أقوم به بحكم تجاربها وعلاقاتها المتعددة في المجال الثقافي".

[506] القنبعي. الإدريسي. عبد الكريم، (2016)، سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس، الجزء الأول، منشورات قطب البحث: التراب، المجتمع والتنمية المستدامة، فاس، ص. 26.

5-6 الحافز المادي

رغم وجود حوافز متعددة تختلف خصائصها باختلاف خصوصيات كل حقل، إلا أن المقابل المادي هو الحافز التي تشترك فيه أغلب الحقول الاجتماعية، إن لم نقل جميعها. ويخلق هذا الحافز جدلا في الحقل الجمعوي، نظرا للسمة التطوعية لهذا الأخير. على اثر ذلك، تباينت مواقف المشاركين في البحث الذين أجريتُ معهم المقابلة بين منطقين في التفكير:

المنطق الأول: يرى أن العمل الجمعوي يجب أن يحافظ على تركيزه بشكل أساسي على منطق التطوع، وأن يتم تفادي المقابل المادي تجنبا لتسليع العمل الجمعوي المؤدي صوب المنطق الربحي وممارسات الفساد المالي. ويتجلى هذا النموذج في جمعية "الثقافة للجميع": "يتم تفادي الأنشطة التي تؤدي إلى استفادة مادية، فأقصى ما يمكن أن يستفيد منه الفاعل الجمعوي هو تعويضات عن التنقل والمبيت في حال القيام بمهمات في مدن بعيدة".

المنطق الثاني: يتفق مع الرؤية التي ترى أن الحقل الثقافي يخضع شيئا فشيئا (أو ربما أصبح خاضعا) لمنطق السوق، وهو ما يقود إلى نوع من "الداروينية الثقافية" التي تجعل التنظيمات الأقوى هي الأقدر على التأثير في الحقل الثقافي من خلال حجم أنشطتها وقوة رساميلها وقدرتها على جذب الجمهور[507]. تتفق فئة من جمعيات العينة مع هذا المنطق وتؤكد اختراق منطق السوق للحقل الجمعوي بفعل ديناميات عميقة ذات طابع سوسيواقتصادي بالأساس. تفرض هذه الديناميات تحولا في الثقافة الجمعوية في علاقتها بهذا الموضوع، مما يفضي أيضا إلى تطورات تنظيمية تشمل الجانب التشريعي وباقي الجوانب التدبيرية. في هذا الصدد، قدم المشاركون في البحث توضيحات وافرة لبيان الإكراهات التي تفرض هذا الواقع.

يتجلى الموقف الأول في رؤية الكاتب العام ل"جمعية رواد الثقافة" وهو مخرج مسرحي مخضرم، واكب تطور المسرح المغربي منذ الستينات إلى الآن، ويقول: "ينبغي

[507] MULCAHY. V. Kevin, (2012), « Les arguments pour une culture publique », (3-6), in: L'Observatoire, La revue des politiques culturelles, N°40, Grenoble, p. 5.

إعادة النظر في الجانب المالي للعمل الجمعوي، ففي السابق كان التطوع هو الأساس. هذا المعطى أصبح متجاوزا حاليا، حيث أن الفعل الجمعوي يضطلع الآن بمهام جديدة وآليات احترافية ومهنية تتطلب وجود الخبرة. لأجل ذلك، أصبح الأمر يتطلب مقابلا ماليا يجب تبريره قانونيا بالتعاقد مع المختصين. فأصبح بالضرورة إعادة تعريف مفهوم التطوع وتطوير آليات تدبيره، سواء من جانب الجمعيات أو من جانب المشرّع، كي لا يتحول الأمر إلى ريع وضعف في جودة الحكامة، ومن شأن هذا التحيين أن يعزز استمرارية المشاريع الجمعوية والثقافية. بالإضافة إلى ذلك، هناك خصوصيات لمنطق اشتغال بعض الفنون التي تفرض على الفاعلين الجمعويين والثقافيين إدماج المنطق المادي في التدبير بحكم أن هناك مصاريف، فإنتاج مسرحية وعرضها يتطلب نفقات مادية، وهو ما لا يعني نفي استمرارية منطق التطوع".

يؤكد رئيس "جمعية الانبعاث الثقافي" نفس الموقف قائلا: "تداخل منطق التطوع بالمنطق المادي أصبح عاديا جدا في بعض الحالات، فالذي يقدم العرض للجمهور هو فنان له مصاريف، المهم أن يتوفر في العرض الثقافي معيار الجودة، لكن لا يجب أن تكون قيمة المقابل المادي مبالغا فيها مقارنة مع الجودة ومقارنة مع مصاريف الإنتاج، كما أن هامش الربح لا يجب أن يكون كبيرا كي لا يُفقد الجمعية طابعها التطوعي".

من جانبها، تدعم رئيسة "جمعية التنمية الثقافية" هذه النقطة بالقول: "هناك فئة من الجمعيات أصبحت مضطرة حاليا ليكون لها محاسب بحكم خضوعها للتدقيق المالي، وأصبح واجبا عليها أداء الضريبة وأداء واجب الضمان الاجتماعي، تماما مثل المقاولة. فمثلا، يتطلب شراء خزانة لحفظ الوثائق تبريرا ماليا بالفاتورة. التطوع لم يعد كما كان في السابق، إذ أن خريجي الدراسات المسرحية لم يعد بإمكانهم التطوع في الجمعيات دون تلقي أي مقابل، والمحاضرون أيضا أصبحوا يتلقون التعويضات، وهو ما يتم بالتعاقد. كل ذلك يتطلب ميزانية لا يوفرها الدعم الذي تتلقاه الجمعيات من المؤسسات المانحة للدعم المالي، مما يفرض البحث عن موارد مادية بشكل آخر.

زيادة على ذلك، فحينما تتوجه الجمعيات إلى المؤسسات المسرحية من أجل تقديم العروض أو بيعها، يُطلب منها الإدلاء بالتعريف الضريبي، وهو ما يفرض مجموعة من المتطلبات الأخرى، مثل أداء واجبات التأمين والضمان الاجتماعي، كل ذلك يفرض على الجمعية تحيين وتحديث أدوات وطرق اشتغالها. أضيف أيضا أن هناك منظمات أجنبية تشترط على الجمعيات ضرورة الخضوع للتدقيق المالي للحصول على الدعم، وهو ما يتطلب من الجمعية التعامل مع المحاسب والأداء بالفواتير وواجبات الضرائب. إن هذه التطورات التي عرفها التدبير الجمعوي تحد من التسيّب وضعف الحكامة الذي كان منتشرا في السابق".

أما "جمعية المشروع الثقافي"، فأضافت إلى ذلك بُعد العلاقات الداخلية في التنظيم الجمعوي: "من حق المتطوع أن يتلقى تعويضا رمزيا من باب التحفيز على العطاء بشكل أكبر. في مثل هذه الحالة، تكتسب الجمعية مصداقية في علاقتها بالمتطوعين، حيث تعبّر لهم من خلال هذا التعويض عن اعترافها لهم وتضامنها معهم عندما تتوفر لديها الإمكانيات المادية. وبهذا، تحافظ الجمعية على علاقاتها بالمنخرطين المتطوعين. من حق الجمعويين إذن أن يحققوا مداخيل مادية في الجمعيات التي تندرج في إطار التشغيل الذاتي، شريطة ألا يكون هناك فساد مالي".

في نفس السياق، يردف رئيس "جمعية الإشعاع الثقافي": "في الماضي كان التطوع هو السائد بخلاف الحاضر، إذ من الصعب أن يتقبل الشباب دائما الفعل التطوعي بشكل خالص، لاسيما حينما يتطلب منه الأمر المساهمة المادية من نفقته الخاصة، مما قد يولّد لديه الاعتقاد أن الجمعية تستغله. يحتاج الشباب إذن إلى تحفيز مادي كتعويض من الجمعية وكاعتراف رمزي له ليتمكن من الاستمرارية. الشباب يريد أن تكون الجمعية واضحة معه في هذا الشأن منذ البداية، ودون أهداف مبيتة".

إذا كانت الجمعيتين السابقتين قد أشارتا إلى علاقة الحافز المادي بالعلاقة الداخلية مع المنخرطين، فإن "جمعية منتدى الثقافة" تشير إلى تأثير هذه العلاقة على استدامة المشاريع الجمعوية في حد ذاتها، حيث أعرب رئيسها عما يلي: "حينما يكون التطوع بشكل محض أي

مجانيا، يكون التدبير الجمعوي هشا، لأنه من الممكن أن ينسحب الفاعلون في خضم انجاز المشاريع وليس هناك ما يمنعهم من ذلك، وبهذا تُهدر مجهودات باقي الفاعلين وتتعثر المشاريع وتضيع صورة الجمعية. أما حينما يكون هناك مقابل مادي، يكون هناك التزام وجودة وديمومة".

على خلاف المنطق التطوعي، ترصد الجمعيات وجود فئة من الشباب تنظر إلى العمل الجمعوي من زاوية مادية صرفة، وهو ما يدفع هؤلاء الشباب إلى الاندماج في جمعيات معينة نظرا لتوفرها على دعم المؤسسات المانحة، مما يعني أن الجمعيات التي تحظى بهذه الميزة تكون لها فرصة أكبر في استقطاب الشباب.

بخصوص هذه الفئة، يقول رئيس "جمعية الرواق الثقافي" :"عدد من الشباب ينظر إلى الجمعية نظرة مادية محضة، ينخرط في الجمعية على أساس أنها يجب أن تقدم له مقابلا ماديا على فعله الجمعوي، لاسيما أن جمعيات أخرى تقدم التعويضات المادية للمنخرطين". يضيف رئيس "جمعية الازدهار الثقافي" متحدثا عن عملية التكوين للحصول على صفة مؤطر بالمخيمات: " هذا النوع من الشباب الذي يفكر بمنطق وصولي، حينما يحصل على البطاقة التي تخوله صفة إطار أو مدرب، لا يستمر مع الجمعية ولا يجدد التواصل معها إلا حين يرغب في مصلحة أخرى".

يسعى الشباب إذن إلى تحقيق مكاسب مادية من أجل تأمين حاجياته ومسايرة أسلوب الحياة الشبابي الذي يطبع ثقافته الجيلية. ولا تحضر هذه التمثلات حول وجود الطابع المادي والاستهلاكي لدى الشباب في الأوساط الجمعوية فقط، بل إنها تُطرح قبلا في الإطار الأسري كواحد من أهم عناصر صراع الأجيال[508].

فيما يتعلق بالتحفيز المادي، أوضح السوسيولوجي عبد الكريم القنبعي الإدريسي في الجزء الأول من كتابه المعنون "سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس" أن طريقة التحفيز المادي ليس لها تأثير على المستوى البعيد لأنها تتوفر على

[508] CHARBONNEAU. Johanne, (2004), « Valeurs transmises, valeurs héritées », (34-49), in: Les valeurs des jeunes, sous la direction de Gilles PRONOVOST et Chantal ROYER, Presses de l'Université du Québec, Sainte-Foy, p. 42.

جانب سلبي، وهو أن الفاعل إذا تعوّد على هذا الحافز المادي لن يكون فاعلا في المرة القادمة إلا إذا توفر على هذا الحافز، أو أنه قد ينجز عملا يساوي الحافز المادي الذي يتلقاه، وعلى هذا الأساس لا يُعمل بهذه الطريقة إلا في المجال الصناعي[509].

يتضح مما تقدم أن وضعية التطوع الجمعوي وعلاقتها بالتعاملات المادية في التدبير الجمعوي مازالت غير محددة بشكل دقيق، وهو ما يستدعي تدخل المشرّع بشكل أكثر دقة لوضع حد للّبس والضبابية التي تحضر سواء في الفعل الجمعوي الثقافي أو على مستوى التمثلات الاجتماعية بخصوص هذا الموضوع. في هذا السياق، تقول رئيسة "جمعية التنمية الثقافية": "يجب الحسم في إشكالية الإطار القانوني الذي يؤطر عمل الفرق المسرحية لكونه غير محدد بشكل جيد، ويجب استحداث إطار خاص بالفرق المسرحية. في غياب ذلك، تستمر هذه الأخيرة في العمل ضمن إطار التنظيم الجمعوي. بالإضافة إلى ذلك فمسألة التشغيل وأداء الخبرة للمستشارين والخبراء الذين تتعامل معهم الجمعيات تطرح هي أيضا فراغات قانونية".

يضيف رئيس "جمعية الرواق الثقافي": "في الدول المتقدمة هناك فرق بين volontariat et bénévolat، أما عندنا فلازلنا نستعمل نفس المفهوم الوحيد وهو التطوع، ومن الناحية القانونية لازالت هناك انتظارات كثيرة حوله من شأنها التمييز بين الاستفادة المادية الذاتية للمتطوع والاستفادة المادية الموجهة نحو النشاط أو المشروع الجمعوي، وتساهم جمعيتنا إلى جانب عدد آخر من الجمعيات في الترافع القانوني حول هذا الموضوع".

[509] القنبعي. الإدريسي. عبد الكريم، (2016)، سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس، الجزء الأول، منشورات قطب البحث: التراب، المجتمع والتنمية المستدامة، فاس، ص. 199

المبحث الثاني: الرأسمال المادي

للجمعيات الثقافية

1- تأثير الدعم المالي في الفعل الجمعوي

إلى جانب الموارد البشرية، تأتي الموارد المالية في مقدمة الرساميل الاساسية التي تؤثر في الفعل التنظيمي للجمعيات الثقافية، سواء من حيث التدبير الداخلي أو من حيث الأداء الخارجي في علاقته بالفئات المستهدفة والتأثير في الحقل الثقافي. وإذا أعربت فئة من الجمعيات عن توفرها على رأسمال بشري مهم وكفاءات فاعلة ومبدعة، فقد عبّرت جميعها عن حاجتها للموارد المادية وعدم استفادتها من الدعم المالي الكافي لتجويد فعلها الثقافي. وقد كان تأكيد هذا الخصاص من طرف كل الجمعيات من ضمن الفرضيات التي توقعتُها مسبقا، وهي الحاجة التي وردت حتى في خطاب الجمعيات المصنفة كجمعيات كبرى (من حيث الميزانيات وحجم الأنشطة والموارد البشرية والقرب من الجهات المانحة). ومن خلال خطاب الجمعيات حول هذا الموضوع، أمكنني التمييز بين فئتين:

- **الفئة الأولى**: ورد في خطابها أنه رغم صعوبات الحصول على الدعم المادي، إلا أنه بمقدور الجمعيات الحصول على الحد الأدنى منه في حال برهنتها على الجدية في العمل والإبداع. من النماذج التي تندرج في هذه الفئة، ما أشارت إليه "جمعية التنمية الثقافية": "حققت جمعيتنا ثقة لدى الشركاء والممولين المحليين والأجانب، وهو ما أصبح يوفر لنا دعما كافيا ومتنوعا من حيث المصادر. في بعض الحالات، أصبح الشركاء هم من يقترحون الشراكات والمشاريع الجديدة على الجمعية". وأكدت "جمعية الثقافة للجميع" أن النجاح الذي حققته فتح لها أبواب المؤسسات للحصول على الدعم المالي.
- **الفئة الثانية**: لم يرد في خطابها عنصر التفاؤل في توفير الدعم المادي مثلما ورد لدى الفئة الأولى، بل اكتفت بالتركيز على ضعف الميزانيات الموجهة لدعم الجمعيات وما يرافق ذلك من مشاكل مختلفة.

بالنسبة لي، أرى أن خطاب كلا الفئتين يصدر عن واقع معيش. فمن جهة، هناك إقرار حتى من جانب المؤسسات العمومية المانحة للدعم المالي للجمعيات أن الميزانية المخصصة لهذا الغرض تظل غير كافية، نظرا لكون الطلب يتجاوز العرض، فعدد الجمعيات أصبح

مرتفعا ولجان الدعم المالي لا يمكنها الاستجابة لجميع المشاريع حتى لو كانت طموحة ومبدعة، بل تكتفي بالانتقاء فقط.

علاقة بالتنميط الذي قدمتُه أعلاه حول نموذج اشتغال الجمعيات، أورد السوسيولوجي لحبيب امعمري في كتابه "الاجتماعي كمنتوج" جدولا مقارنا للفروق بين نمطين من تدبير التنظيمات، أحدهما "تقليدي" والآخر "حداثي"، وذلك على الشكل التالي[510]:

نموذج المنتوج التقليدي	نموذج المنتوج التحديثي
ثقافة الشفوي	ثقافة المكتوب
ثقافة التكتم	ثقافة الشفافية
ثقافة تجاهل القوانين والتحايل عليها	ثقافة الامتثال للقوانين واحترامها
ثقافة عدم الاكتراث بالمساطر والقواعد	ثقافة الاهتمام بالمساطر والقواعد
ثقافة الزبونية والمحسوبية والرشوة	ثقافة الاستقامة والمنافسة الشريفة
ثقافة الارتجال والعفوية	ثقافة التخطيط والتدقيق والإتقان
ثقافة التسيير الأبوي السلطوي	ثقافة الإشراك واقتسام المسؤولية
ثقافة الحذر والترقب والإنتظارية	ثقافة الإقدام والمبادرة
ثقافة الاستغناء عن الأطر والتفريط في الموارد البشرية	ثقافة الاعتماد على الكفاءات والتقنيات والتجارب
ثقافة الانعزالية والانكماش والتوجس	ثقافة الانفتاح والثقة في النفس
ثقافة المواجهة وإخضاع المستخدمين	ثقافة التوافق والتفاوض والتراضي
ثقافة إلقاء اللوم على الآخرين	ثقافة التركيز على الذات
ثقافة انتهاز الفرص	ثقافة الجودة
ثقافة السوق المحلية أو الزبون الأوحد	ثقافة السوق الكوني
ثقافة التقليد والمحاكاة	ثقافة الإبداع والابتكار والتجديد
ثقافة المقاولة كمشروع لتحقيق الربح السريع	ثقافة المؤسسة لتحديث المنتوج الاجتماعي
ثقافة الشأن الخاص	ثقافة المقاولة

يشار إلى أن عددا من القطاعات العمومية المسؤولة عن الثقافة والشباب تعاني في حد ذاتها من ضعف في ميزانياتها، مما ينعكس على قيمة الدعم المالي الذي تخصصه للمجتمع

[510] امعمري. لحبيب، (2013)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الثاني، الاجتماعي كمنتوج، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، ص. 72

المدني، خاصة مع ارتفاع ديمغرافية الجمعيات. وكنموذج على ذلك، وزارة الثقافة التي كانت ولازالت تتلقى إحدى أضعف الميزانيات الحكومية. أما في هيكلة المجالس الجماعية، فغالبا ما يتم إدراج التنمية الثقافية ضمن مصالح أخرى تشمل العمل الاجتماعي والرياضي. يؤشر هذا المعطى على أن الشأن الثقافي لا يحظى بأهمية وازنة مقارنة مع القطاعات الأخرى التي ترصد لها ميزانيات أكبر، وتعد الميزانيات المرصودة إحدى المؤشرات العاكسة لتراتبية الأولويات في تدبير السياسات العمومية.

من جهة أخرى، ورغم هذه المعيقات المؤسساتية ورغم إكراهات الحقل الثقافي، تستطيع فئة من الجمعيات الوصول إلى مصادر الدعم وتأمين الحصول عليه بطرق مشروعة ومسؤولة. ولعل ثقافة التنظيم تشكل إحدى الفروق الأساسية بين النمطين، فهناك منطق الفعل القائم على الإبداع والتحدي والذي يركز على استثمار نقاط القوة للتكيّف أو تجاوز نقاط الضعف. وبالمقابل، هناك منطق الفعل الذي يرتكن إلى السلبية ويتبنى خطاب المظلومية والإنتظارية، مع التركيز على مسؤولية الآخر دون الاعتراف بمسؤولية الذات ودون العمل على معالجة نقائصها.

بخصوص الثقافة التنظيمية التي اعتبرتُها عاملا في الحصول على الموارد المادية والدعم المالي، فقد وردت فيها تعريفات مختلفة من أهمها التعريف الذي قدمه إدغار شاين Edgar SCHEIN في كتابه الثقافة التنظيمية والقيادة « organizanional culture and leadership » . يفيد هذا الأخير أنه يمكن تعريف الثقافة التنظيمية كبنية من القيم الأساسية المشتركة بين مجموعة بشرية معينة التي اخترعتها أو اكتشفتها أو طورتها أثناء محاولتها تجاوز مشاكل متعلقة بالتكيف مع البيئة الخارجية أو بالإدماج الداخلي، وهي قيم تم اعتبارها صالحة ومناسبة لظروف الاشتغال، لذلك يتم نقلها إلى الفاعلين الجدد في التنظيم على اعتبار أنها أنجع الطرق لإدراك ومعالجة المشاكل الشبيهة[511]. الثقافة هي أيضا ذلك الطابع المتمثل في انغراس السلوكات في الواقع الاجتماعي من خلال المعايير والقيم والممارسات التي يتمسك بها الأفراد لفترة طويلة في تفاعلهم مع الآخرين. ولهذا، نرى أنه

[511] GODOLIER. Éric, (2009), "La culture d'entreprise, Source de pérennité ou d'inertie?", (95-111), in: Lavoisier Revue française de gestion, n° 192, France, p. 103.

عادة ما يتم اللجوء إلى مفهوم الثقافة عندما يتعلق الأمر بتحليل المقاومات التي تعترض عملية التغيير الاجتماعي[512].

مهما يكن، يظل الرأسمال المادي عنصرا مؤثرا في الفعل الجمعوي الثقافي وبأشكال مختلفة. ومن النماذج على ذلك، ما ذكره فؤاد: "موارد جمعيتنا محدودة، وهي لا تتلقى دعما، لدينا مشاريع طموحة في مجال الموسيقى، لكن ليس بالإمكان تحقيقها لكون التجهيزات اللوجستية التي نحتاجها باهظة الثمن، لاسيما ما يتعلق بأجهزة الصوتيات". من جانبها، تقول رئيسة "جمعية التنمية الثقافية": "تحصل الفرق المسرحية الشابة على جوائز عالمية تعطي إشعاعا جيدا للوطن، لكن المغرب لا يتوفر على مهرجانات مسرحية كبرى بشكل احترافي".

وعن تأثير الدعم المالي في غزارة الإنتاج الثقافي، يصف رئيس "جمعية المشروع الثقافي" السنة الثقافية في الجمعية على الشكل التالي: "يتطلب إنتاج العرض المسرحي وقتا كثيرا ومجهودات ونفقات مهمة، فهناك المشروع الفني الذي يتجلى في كتابة النص المسرحي، ويتطلب ذلك وقتا من أجل الإنتاج الفكري، نحن نمارس التفكير والتأمل في الحياة الاجتماعية كي نقدم عملا ثقافيا يساهم في الارتقاء بالمستوى الثقافي للمواطن، ونحاول أن نخلق مسرحا مختلفا ومبدعا يخرج عن النمطية. وهناك أيضا الجانب الإداري والعلاقات العامة من أجل البحث عن الدعم، ثم عملية الإخراج الفني وإنجاز الديكور والأزياء، والبحث عن الممثلين وإجراء التداريب. وحينما يكون الدعم غير متوفر أو ضعيف، تضطر أغلب الجمعيات المسرحية إلى الاقتصار على إنتاج عرض وحيد في السنة".

لا يؤثر الدعم المالي فقط في الجانب الكمي للإنتاج الثقافي، بل أيضا في عملية البرمجة، وهذا ما تطرقت له "جمعية الازدهار الثقافي"، حيث أوضح رئيسها أن التوزيع الزمني للأنشطة الجمعوية يتم بشكل دوري حسب أجندات المؤسسات المانحة، فمثلا من شهر دجنبر إلى شهر يناير يغلب على برنامج الجمعية العمل الاجتماعي، وخلال فصل الربيع يكثر العمل الثقافي. وعليه، فأغلب برامج الجمعيات تظل تابعة للمناسبات الوطنية والعالمية التي يتم خلالها دعم الأنشطة من طرف الجهات المانحة للدعم المالي".

[512] امعمري. لحبيب، (2010)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الأول، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، ص. 48

قد يصل تأثير الدعم المالي إلى درجة تغيير الجمعية لنشاطها الأساسي أو تعديله، وهو ما تناولته "جمعية النماء الثقافي" حين أشارت إلى التحول الكبير الذي لحق الحقل الجمعوي منذ سنة 2005 إبان انطلاق برنامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، حيث قامت العديد من الجمعيات الثقافية بتغيير قوانينها الأساسية لتشمل العمل الاجتماعي، وهو ما مكنها من الإستفادة من الدعم المالي الذي وفره هذا البرنامج. وقد أدى التنافس حول الدعم بهذا الشكل إلى تراجع العمل الثقافي والى انخفاض عدد الجمعيات الثقافية المتخصصة مقارنة مع الفئات الأخرى من الجمعيات.

2- الدعم العمومي وموقف الجمعيات الثقافية منه

تتصدر المؤسسات العمومية لائحة الجهات المانحة للدعم المالي الموجه للتنظيمات الجمعوية، وهو ما ورد في عدة دراسات حول الحقل الجمعوي، من بينها دراسة هناء شريكي[513]، ويدفع هذا المعطى أغلب الجمعيات للتنافس بوسائل شتى لضمان الحصول عليه. وقد أعربت 75% من الجمعيات أنها تستفيد من دعم القطاع العام كما هو مبيّن في الجدول أسفله، علما أن الحصول عليه ليس قاعدة سنوية، كما أنه لا يتم الحصول دائما على نفس المبلغ.

اختيار" دعم القطاع العام "ضمن الموارد المالية للجمعية					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ذكره	60	75.0	75.0	75.0
	لم يذكره	20	25.0	25.0	100.0
	Total	80	100.0	100.0	

على الرغم من استفادة الجمعيات من الدعم المالي العمومي، إلا أن ذلك لا يمنعها من اتخاذ مواقف نقدية حيال مشاكل السياسيات العمومية المرتبطة بهذا الشأن، وتتركز أهم هذه الانتقادات حول مجموعة من المشاكل، من بينها:

[513] شريكي. هناء، (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، بحث لنيل دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ص. 329

1-2 عدم وجود سياسة ثقافية بعيدة المدى ومبنية على رؤية عميقة

يرى رضوان أن سبب هذا التخبط في تدبير الحقل الثقافي مرده إلى كون الفعل الثقافي لم يرتق بعد إلى مستوى الأهمية الإستراتيجية ولا يتوفر بعد على وضوح في الرؤية، سواء على مستوى الدولة أو على مستوى الجمعيات، بخلاف دول عربية أخرى حيث تُظهر المقارنة معها البون الشاسع في كيفية الاشتغال وتدبير الفعل الثقافي.

تؤكد هذا الواقع "جمعية المشروع الثقافي" بالقول: "من ناحية التنمية الثقافية، لازال المغرب في طور التجربة، يحاول الوقوف ثم يسقط وهكذا دواليك، هناك نوع من العبثية، ليست هناك رؤية طويلة الأمد، إذ تتغير البرامج القطاعية في كل ولاية حكومية، وهو ما لا يسمح بتحقيق التراكم. هناك مشاكل من السهل التغلب عليها، ورغم بساطتها، فلا تتم معالجتها". في نفس السياق، ترى "جمعية آفاق الثقافة" عدم وجود رؤية بعيدة المدى، خاصة لدى المجالس المنتخبة، إذ تهتم هذه المؤسسات بالتجهيزات المادية أكثر من استثمارها في التنمية البشرية والثقافية، تفضل الاستثمار في الحجر أكثر من استثمارها في البشر".

2-2 وجود تفاوتات في تصنيف الجمعيات

أعربت فئة من الجمعيات عن امتعاضها من عملية توزيع الدعم من طرف المؤسسات العمومية المانحة استنادا على تصنيف الجمعيات إلى فئتين: جمعيات كبرى أو مقرّبة وجمعيات صغرى لا تحظى بما يكفي من الأهمية. في هذا السياق، يقول رئيس "جمعية الازدهار الثقافي": "بسبب مجموعة من الممارسات، تسود في الساحة الجمعوية مواقف أصبحت ترى تمييزا بين جمعيات من الصنف الأول، تحصل دائما على الدعم وجمعيات من الصنف الثاني، يتم التكملة بها ويوزع عليها ما تبقى من الفتات. وهنا، تطرح مسألة المعايير في توزيع منح الدعم. فالجمعيات من الصنف الأول لا تتلقى نصيبها حسب معايير قانونية، بل حسب منطق الولاءات والمحسوبية".

تضيف "جمعية الانبعاث الثقافي" على لسان رئيسها: "ليس هناك تجاوب مع الجمعيات الثقافية التي تصنف على أنها جمعيات صغرى، وأغلب جمعيات الشباب تدخل ضمن هذا

الصنف، بخلاف ما تحصل عليه الجمعيات الكبرى". أما "جمعية التنوير" فتؤكد: "حينما تتوجه الجمعيات الصغرى إلى المسؤولين للحصول على دعم مالي، يتم استقبالنا بحفاوة، لكن دون نتيجة، لا ننال إلا الكلام المعسول".

في إطار هذه التفاوتات في تصنيف الجمعيات، أشير إلى جدل قديم ومتجدد، قائم حول صفة المنفعة العامة التي تحظى بها بعض الجمعيات، مما يتيح لها الحصول على عدد من الامتيازات والحقوق الحصرية، مثل القيام سنويا بالتماس الإحسان العمومي دون إذن مسبق[514]. وتعتبر بعض المواقف هذا الامتياز نوعا من "التفضيل غير المنصف"، الذي يُمنح بشكل تفضيلي للجمعيات المقربة من دوائر الدولة، في حين أن جمعيات أخرى تبذل مجهودات أكبر رغم أنها في وضعيات أصعب، ومع ذلك تتلقى دعما ماليا أقل.

3-2 ضعف تكوين المسؤولين في الشأن الثقافي المكلفين بالإشراف على الدعم المالي

أثار مشاركون في البحث مسألة ضعف التكوين الثقافي لدى عدد من المسؤولين في المؤسسات العمومية المانحة، لاسيما في المجالس المنتخبة. في هذا الاتجاه، يقول رئيس "جمعية الملتقى الثقافي": "قمنا بالتواصل مع المسؤولين في محيط الجمعية للبحث عن شراكات، وتم تسجيل أن عددا من المسؤولين في المناصب المتعلقة بالشأن الثقافي ليس لهم ما يكفي من الثقافة الفنية وحس التدبير الثقافي". ويرى رئيس "جمعية النماء الثقافي" أن هذا المشكل يؤدي إلى انتصاب الحواجز على مستوى التواصل الفكري بين الجمعيات والمؤسسات، كما أن ضعف التكوين الثقافي لدى أعضاء في لجان الدعم لا يؤهلهم للتقييم الجيد للمشاريع المقدمة أو الموارد المطلوبة.

4-2 ضعف المقاربة التشاركية

تمثل مرحلة الإدارة المشتركة آخر مراحل تطور علاقات السلطة داخل التنظيمات بوجه عام، حيث تقوم الإدارة بمناقشة العاملين بكل ما يتعلق بميزانية ونشاط المشروع، كما أنها تعرض على الفاعلين تمثيلهم في مجلس الإدارة، بالإضافة إلى أنها تتيح لهم فرصة

[514] الوزارة المنتدبة لدى رئيس الحكومة المكلفة بالعلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني، (2015)، التقرير السنوي حول وضعية الشراكة بين الدولة والجمعيات، الرباط، ص. 18

للاشتراك في إدارة المشروع[515]. إن هذه المبادئ المتعلقة بالمقاربة التشاركية، يفترض فيها أن تتوفر في الفاعل القيادي سواء كان فردا أو مؤسسة.

وقد عبّرت فئة من الجمعيات عن ضعف رضاها بخصوص المقاربة التشاركية التي يفترض بالمؤسسات العمومية أن تنهجها في علاقتها بالتنظيمات الجمعوية، سواء تعلق هذا الإشراك بعملية توزيع الدعم أو بطرائق الاشتغال في الحقل الثقافي. ومن النماذج المعبرة على ذلك ما قاله رئيس "جمعية الازدهار الثقافي": "المؤسسات العمومية لديها قصور في التواصل مع الجمعيات، من حيث إشراكها وفتح نقاش عمومي حول حجم الدعم ومشاكله ومنهجية تدبيره وكيفية بناء السياسات والاستراتيجيات".

أشارت بعض الجمعيات إلى أن هذه المقاربة التشاركية تكون في عدد من الحالات مجرد آلية لذرّ الرماد في العيون والإيهام باعتماد ديمقراطية تشاركية، لكن في نهاية المطاف يتم اتخاذ القرارات المعدّة سلفا، يقول رئيس "جمعية العطاء الثقافي": "من المسؤولين في المؤسسات العمومية من يعمدون إلى فتح باب الحوار مع الجمعيات والتواصل معها، لكن في نهاية المطاف يظلون على مواقفهم".

5-2 وجود عيوب بنيوية في عملية توزيع الدعم

أثارت هذه النقطة "جمعية العطاء الثقافي" حيث تحدثت عن ضرورة مراجعة قوانين ودفاتر التحملات والمعايير المعتمدة من طرف لجان الدعم. بالإضافة إلى ذلك، هناك حاجة ملحة لإعادة النظر في آليات التتبع وتقييم منجزات الجمعيات المستفيدة من المنح، فالكثير من الميزانيات يتم صرفها لكن لا تتم دراسة أثر هذا الإنفاق، مما يشكل هدرا للموارد المالية. الكثير من الجمعيات تقدم تقارير مختلقة لأنشطة وهمية، وتسعى إلى شرعنة كل ذلك عن طريق التلاعب بالصور الفوتوغرافية (كالتركيز أثناء التقاط الصور على المقاعد التي تجمّع فيها الجمهور أو تم تركيزه فيها، أو عن طريق تزييف التغطية الفوتوغرافية بإدماج صور

[515] القنبعي. الإدريسي. عبد الكريم، (2016)، سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس، الجزء الأول، منشورات قطب البحث: التراب، المجتمع والتنمية المستدامة، فاس، ص. 128

لأنشطة قامت بها جمعيات أخرى، وهو ما يشكل سطوا على منجزات الآخرين وتضليلا للإدارة من أجل التحايل على المال العام).

6-2 مشاكل النظام البيروقراطي

يختلف المعنى الذي يُعطى لمفهوم البيروقراطية حسب المرجعيات، فالمعنى السوسيولوجي الذي تحدث عنه ماكس فيبر في كتابه "الاقتصاد والمجتمع" يحمل دلالة إيجابية كشكل من أشكال العقلنة وكسيرورة من سيرورات التحديث. أما المعنى الدارج لمفهوم البيرقراطية في الحس المشترك، فيحمل دلالة قدحية تحيل إلى سوء توظيف هذا المبدأ التحديثي في خضم الممارسات التدبيرية[516]، مع العلم أن هذا الحس المشترك يشير إلى واقع حقيقي معاش يقف فيه سوء استخدام البيروقراطية كحاجز يعرقل عملية التنمية والتحديث، بما فيها الفعل الجمعوي.

في هذا الشأن، نبّهت "جمعية آفاق الثقافة" إلى مشكل تأخر صرف الدعم المالي بعد إنجاز المشاريع الثقافية، في حين أن الكثير من الجمعيات ترتبط بتعاقدات مالية مع فاعلين آخرين، ما يجعلها مدينة لهم. تشير الجمعية أيضا إلى تعقد مسطرة الدعم التي تتطلب من الجمعيات احترافية مهمة على المستوى التنظيمي، في حين أن أغلب التنظيمات تشتغل بالتطوع وليس لها مداومين ومقرات إدارية.

7-2 تدخل الفاعل السياسي في التأثير على توزيع التمويل العمومي

تطرقتُ في محور الرهانات السياسية إلى تدخل الفاعل السياسي في توجيه الخط الجمعوي بشكل عام، أما في هذا المحور فسأتطرق بشكل خاص إلى تأثير الفاعل السياسي في عملية الحصول على الدعم العمومي. جدير بالذكر أن العلاقة بين الجمعيات التي تترشح للحصول على الدعم العمومي والمؤسسات العمومية هي علاقة هبة ورد الهبة، فالمؤسسات العمومية هي مطالبة بقوة القانون بصرف الميزانيات المخصصة للدعم وتبرير إنفاقها، ومن جهة الجمعيات فهي مستفيدة بشكل مباشر من هذا الإنفاق.

---

[516] امعمري. لحبيب، (2010)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الأول، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، ص. 146

خلال إجراء المقابلات، عبّرت 15 جمعية على أن تجاربها الجمعوية تؤكد تدخل الفاعلين السياسيين في توجيه صرف الدعم العمومي لفائدة الجمعيات المتحالفة معهم، علما أن هذا التدخل كان حاضرا منذ عقود. وقد شهدت السنوات الأخيرة تطورا في الآليات القانونية من أجل إقرار الحكامة الجيدة في هذا الشأن، غير أن مواقف الكثير من الجمعويين تؤكد أن أنماط تدخل الفاعل السياسي اتخذت أشكالا جديدة بشكل يتكيّف مع التطورات القانونية ويتحايل عليها. بخصوص الممارسات غير المشروعة، تجدر الإشارة أن ما أسوقه من شهادات المشاركين في البحث عبر أداة المقابلة لا يهدف إلى إصدار أحكام مطلقة حول هذا الطرف أو ذاك، وإنما يدخل في باب دراسة تمثلات ومواقف الفاعلين في الحقل الجمعوي الثقافي.

في هذا السياق، يرى رئيس "جمعية المشروع الثقافي" أنه: "مازالت هناك المحسوبية والزبونية وضعف الشفافية في دعم المؤسسات العمومية، رغم أن الخطاب الرسمي يعلن عن وجود حكامة وشفافية". ويؤكد رئيس "جمعية الازدهار الثقافي" هذا التكيّف مع تطور الآليات التشريعية بالقول: "على مستوى السياسات العمومية هناك بعض التغيّر، لكن مازال هناك تجذّر للمحسوبية والزبونية في إطار التحالفات السياسوية التي تؤدي إلى ممارسات ريعية مخالفة للحكامة الجيدة، وهي أفعال غير مشروعة لكنها تتم بطرق قانونية".

من الأمثلة على هذه التحايلات ما ذكره رئيس "جمعية العطاء الثقافي" حيث أفاد أن من أنماط العلاقة بين الفاعل السياسي والجمعوي وجود جمعيات تابعة بشكل مقنّع لمسؤولين عموميين. وبهذا، تستفيد هذه التنظيمات غالبا من منح الدعم العمومي. تقود هذه الممارسات إلى سيادة مناخ من عدم الثقة بين الجمعيات والمؤسسات المانحة، وهو ما يتمظهر عبر وسائل الإعلام، في المقالات الصحفية ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث تفشى الانطباع بتميّع الحقل الجمعوي وعملية توزيع الدعم العمومي على وجه الخصوص بسبب تأثير الفاعلين السياسيين، كما أصبحت تسود تمثلات من قبيل أن الدعم أصبح يعطى بناء على "العلاقات" وليس بناء على الكفاءات، وان الأفضلية تكون عادة للجمعيات الوازنة من الدرجة الأولى ويتم توزيع الباقي على جمعيات الدرجة الثانية.

من النماذج التي فصّلت في تدخل الفاعل السياسي، ما ورد على لسان نادية: " تمر عملية توزيع الدعم داخل الكثير من المؤسسات العمومية، وخصوصا في المجالس المنتخبة، حسب موقع القوة الحزبية، فالحزب المتمكن يمرّر الدعم للجمعيات التابعة له. وأنا شخصيا تلقيت اقتراحا بتأسيس جمعية مكوّنة من شباب حزب معيّن مقابل الحصول على دعم مالي مضمون، مما يعني أن الدعم المالي يمكن ضمان الحصول عليه حتى قبل بناء المشروع الجمعوي، وحتى أن تكون الجمعية قد تأسست أصلا. يلاحظ الجميع كيف أن هناك جمعيات تحصل على الدعم مباشرة بعد أسابيع من تأسيسها، رغم أن الأعراف الإدارية تشترط في مسار الجمعية التوفر على سنتين من المنجزات المُقْنعة".

يردف حمزة: "هناك جهات حزبية حاولت استقطاب شباب جمعيتنا وعرضت علينا تبني تجربتنا في فنون الشارع مع ضمان توفير فضاءات وموارد مادية مستقبلا مقابل أن يكون ذلك باسم المؤسسة الحزبية، لكن شباب الجمعية رفضوا هذا العرض لإيمانهم بالفن لأجل الفن، وليس لأجل مقاصد أخرى. بالإضافة إلى ذلك، سيكون هناك تعارض على مستوى شعارات الجمعية حينما يكتشف الجمهور أن الهدف من أنشطتنا هو الاستقطاب الحزبي. أضيف أيضا أنه خلال القيام بأنشطة مشتركة مع جمعيات أخرى، نكتشف أهدافا غير معلنة لا تتماشى مع ما تم الاتفاق حوله مسبقا، وأغلب هذه الأهداف تكون في خدمة السياسيين أو بهدف جمع الأموال بطرف غير مشروعة".

3- دعم القطاع الخاص والتمويل الأجنبي

لم يسجل القطاع الخاص حضورا قويا على مستوى دعم الجمعيات الثقافية، فمن خلال البحث بالاستمارة، تبيّن أن حوالي 18% فقط من الجمعيات من سبق لها أن تلقت دعما من هذا القطاع، كما هو موضح أسفله:

اختيار" دعم القطاع الخاص "ضمن الموارد المالية للجمعية					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
18.8	18.8	18.8	15	ذكره	Valide
100.0	81.3	81.3	65	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

على غرار البحث الكمي، تأكد هذا المعطى من خلال البحث بالمقابلات، حيث أكدت 6 جمعيات فقط من أصل 20 أن القطاع الخاص يشكل أحد شركائها في إنجاز الأنشطة والمشاريع الثقافية. بالنسبة لباقي الجمعيات، فمنها من صرّحت أنها لم تفكر من قبل في التعامل مع القطاع الخاص بسبب تمثلاتها حول نفوره من دعم الشأن الثقافي، ومنها من قامت بمبادرة البحث عن شركاء من هذا القطاع لكنها لم تستطع فعل ذلك. على العموم، يبدو أن الجمعيات الثقافية في العينة المدروسة تفضل الشراكة مع المؤسسات العمومية وتلقّي الدعم منها.

مثلما أن دعم المؤسسات العمومية لا يكون دائما بشكل مالي وإنما أيضا عن طريق مساهمات لوجستية، فنفس الأمر ينطبق على مساهمات الخواص. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكرته "جمعية النماء الثقافي"، حيث استفادت من وضع صاحب المقهى لمحله رهن إشارة الجمعية من أجل عقد الملتقيات الفكرية والمحاضرات. بنفس الشكل، استفادت "جمعية الانبعاث الثقافي" من دعم شركات المشروبات والمواد الغذائية في مقابل إشهار منتوجاتها خلال أنشطة الجمعية.

في هذا الإطار، عبّر عدد من الجمعيات عن موقفها من كون القطاع الخاص يتعامل مع الشأن الثقافي بشكل براغماتي محض، بحيث لا ينخرط في الشراكة مع الجمعيات الثقافية إلا حينما يرى نصيبا من الربح، يقول رئيس "جمعية الانبعاث الثقافي": "موافقة القطاع الخاص على إقامة الشراكة مع الجمعيات الثقافية يمكن أن تحصل حينما يجد هذا الأخير ما يمكن أن يستفيده من الجمعية، حيث ينظر إلى عدد الحاضرين في الأنشطة السابقة ومدى تحقيق الجمعية للانتشار على مواقع التواصل الاجتماعي".

في نفس الاتجاه المعبّر عن هذه البراغماتية، تشير رئيسة "جمعية التنمية الثقافية" إلى تفضيل القطاع الخاص لحقول ثقافية دون غيرها، فهو يميل إلى حقول مثل الفن التشكيلي والسينما والموسيقى (أي الفنون ذات الطابع الجماهيري)، في حين أنه لا يفضل مثلا دعم فن المسرح أو التشجيع على القراءة على اعتبار أنهما لا يجلبان له ما يكفي من الربح، كما هو الشأن بالنسبة للحقول الأخرى.

في خضم هذا الجدل، يمكن التمييز بين موقفين أساسيين: موقف أول يرى أن هذه البراغماتية هي منطق فعل مشروع للقطاع الخاص، بينما يرى الموقف الثاني أن المقاولة المواطنة لا ينبغي أن تفكر دائما بالمنطق الربحي، بل إنه لا ضير من الاستثمار أحيانا في الفعل الثقافي، حتى لو لم تحقق أرباحا. بهذا، ستكون هذه الشراكة الداعمة شكلا من أشكال التطوع القائم على التضحية والإيثار، لاسيما أن مساهمة القطاع العام أصبحت تتراجع في ظل تزايد أعداد الجمعيات الثقافية.

تم أيضا تسجيل الحضور الضعيف للقطاع الخاص في دراسة السوسيولوجية هناء شريكي للجمعيات التنموية، حيث تذكر أن المفارقة التي تسترعي الاهتمام هي أن القطاع الخاص، ورغم اعتباره طرفا من أطراف المعادلة التنموية، يعد شبه غائب عن الدينامية الجمعوية. في هذا الصدد، يورد إسماعيل، رئيس المنتدى المغربي للشباب أنه عندما طرق باب أحد رؤساء الشركات الكبرى المغربية بغرض طلب المساهمة في تنظيم مؤتمر نظمه المنتدى أجابه رئيس الشركة "نحن لسنا بديلا للدولة"، الشيء الذي يعكس الانخراط "المشروط" لهذا القطاع في مجال التنمية بالمغرب، إذ أن تدخله لا يتجاوز فكرة "حملة إشهارية" له من طرف الجمعية المستفيدة من دعمه[517].

سجل التمويل الأجنبي، على غرار دعم القطاع الخاص، حضورا ضعيفا على مستوى الشراكات التي تقيمها جمعيات العينة. فقد سُجّل في العينة المدروسة بالمقابلات أن 5 جمعيات فقط تستفيد من دعم المنظمات غير الحكومية الأجنبية، في حين سجل البحث بالاستمارة أن 12.5% من الجمعيات تتلقى دعما أجنبيا، كما هو مبيّن في الجدول أسفله، وهي نسبة قليلة مقارنة مع ما يلاحظ من حضور للدعم الأجنبي لفائدة الجمعيات الناشطة في العمل الاجتماعي، لاسيما في عقد التسعينات حيث كانت الموارد الأجنبية متوفرة بشكل ملحوظ.

حري بالذكر أن التمويل الأجنبي أصبح يطرح جدلا على المستوى السياسي والأمني، حيث أصبحت الدولة أكثر تدخلا بخصوص مراقبة حركة هذا الدعم من حيث الحجم

[517] شريكي. هناء، (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، بحث لنيل دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ص. 331

والمصدر والمآل، لاسيما بعد أن لاحظت أن ميزانية ضخمات توجّه إلى تنظيمات جمعوية دون أن يتم تبرير نفقاتها أو حتى التصريح بها، وهو ما قد يقود إلى استخدام تلك الموارد المالية لتبييض الأموال وخدمة أهداف تتعارض ومصلحة الدولة.

من جهة أخرى يطرح التمويل الأجنبي إشكالية استقلالية الفعل الجمعوي عن إملاءات الجهات المانحة، ويرى السوسيولوجي محمد شرايمي أن الممول الأجنبي يحاول دائما فرض تصوراته وبرامجه كمقابل لما يقدمه للجمعية، بل إن بعض المانحين أو المنظمات غير الحكومية العالمية تسعى إلى تجاهل أو سوء تقدير مختلف السياقات التي تتحرك فيها المنظمات غير الحكومية المحلية، وهذه الأخيرة تعي جيدا هذه الضغوطات لكنها تحاول هي أيضا أن تستفيد من هذه التمويلات لمشاريعها دون أن تجازف باستقلاليتها، خاصة أنها توجد في إطار منافسة حادة من أجل الحصول على التمويل[518].

اختيار" دعم المنظمات الأجنبية "ضمن الموارد المالية للجمعية					
		Effectifs	Pourcentage	Pourcentage valide	Pourcentage cumulé
Valide	ذكره	10	12.5	12.5	12.5
	لم يذكره	70	87.5	87.5	100.0
	Total	80	100.0	100.0	

4- الموارد الذاتية

بالنسبة لكثير من الجمعيات، يندرج توفير الدعم المادي اللازم لانجاز الفعل الجمعوي ضمن خانة اللايقين، إذ ليس من المؤكد الحصول على دعم المؤسسات العمومية أو القطاع الخاص في كل سنة جمعوية، وهو ما يدفع بالجمعيات إلى الاعتماد على مصادرها الذاتية في حال عدم توفر الموارد المادية، وهو ما أكدته نسبة 67.5% من الجمعيات كما يظهر الجدول التالي:

[518] شرايمي. محمد، (2007)، سوسيولوجيا المنظمات غير الحكومية بالمغرب، حالتا تنظيمين جمعويين، نشر للمولف، الرباط، ص. 211.

اختيار" موارد ذاتية "ضمن الموارد المالية للجمعية					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
67.5	67.5	67.5	54	ذكره	Valide
100.0	32.5	32.5	26	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

كشف البحث بالمقابلة عن تنوع في الآليات التي تنهجها التنظيمات الجمعوية من أجل التمويل الذاتي، ومن بينها:

1-4 واجبات الانخراط والتضامن بين الأعضاء

كما سبق وأشرتُ في موقع آخر من هذا البحث، لا تقوم جميع الجمعيات بعملية تجديد الانخراط بالبطاقات وتحصيل واجباته، لكن هناك جمعيات تقوم بذلك رغم أن هذه العائدات ليس ذات أثر المادي مهم، إلا أنها تساهم في تلبية بعض الحاجيات.

اختيار" واجبات الانخراط "ضمن الموارد المالية للجمعية					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
80.0	80.0	80.0	64	ذكره	Valide
100.0	20.0	20.0	16	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

بالإضافة إلى واجبات الانخراط، يلاحظ في كثير من الأنشطة الثقافية تضامن الجمعويين فيما بينهم من أجل تقاسم عبء التكاليف المادية. في هذا الصدد، يتحدث رئيس "جمعية أجيال الثقافة" عن واجبات الانخراط ويقول: "الجمعية تبرمج أنشطها حسب ما توفر لها من موارد مادية، وفي حال تلقي اقتراح من إحدى المؤسسات التعليمية للقيام بنشاط مشترك يتجاوز قدراتنا المادية، فالجمعية تقدم اعتذارها كي لا تحمّل الأعضاء المتطوعين أكثر من قدرتهم المادية. تكتفي جمعيتنا بواجبات الانخراط رغم أنها غير كافية، لذلك نصرح أننا لا نقوم بأنشطة إشعاعية كبيرة الحجم".

في نفس الاتجاه، يشير رئيس "جمعية الوصل الثقافي" أن الجمعية تبرمج المشاريع التي لا تتطلب إمكانيات كبيرة. ويتحدث رئيس "جمعية النماء الثقافي" عن مساهمات الأعضاء قائلا: "هناك خدمات يقدمها بعض المتعاطفين مع الجمعية لإنجاح الأنشطة، مثل

خدمة التغطية السمعية البصرية التي يقدمها أحد التقنيين بشكل احترافي وبمبلغ زهيد، علما أن الثمن الحقيقي لهذه الخدمة يتجاوز بكثير ما تقدمه الجمعية بشكل رمزي".

من إبداعات التدبير التي صرّحت بها "جمعية الإشراق الثقافي"، أنه حينما يتصادف تنظيم إحدى الأنشطة الثقافية مع زيارة أحد المثقفين البارزين الأجانب للمغرب، تتم دعوته للقيام بمداخلة في إطار أمسية أدبية جماعية، أو تتم برمجة لقاء فكري خاص يقوم بإحيائه بشكل منفرد، ويكون ترتيب هذا الأمر بشكل أيسر عندما يكون أحد أعضاء الجمعية على علاقة مسبقة بهذا الضيف. باغتنام حدث الزيارة، لا تتحمل الجمعية مصاريف الإقامة والتنقل، بل تتحمل المصاريف الجهة التي وجّهت الدعوة.

إن التضامن الذي يحصل بين أعضاء الجمعيات في حال عدم توفر الإمكانيات المادية يدل على أن التنظيمات يمكن أن يُنظر إليها من زاوية التعاون أيضا، وليس من باب المصلحة المادية فقط. في هذا الاتجاه، قدم شستر برنار CHESTER Bernard ملاحظات وأفكارا يُستشف من خلالها أن التنظيم يقوم أساسا على التعاون بين أعضائه، وهي خاصية لا تقل أهمية عن العقلنة والتفاعل، لكن التعاون بين الأفراد في التنظيم يختلف عن أشكال التعاون الأخرى الممكنة بين الأفراد.

فبالنسبة للتنظيمات، كما بيّن ذلك روجيه دافال Roger DAVAL، يقوم التعاون على الانسجام بين الأهداف الشخصية والأهداف الجماعية المتمثلة في الغايات التي يسعى التنظيم إلى تحقيقها. فالانسجام بين الأهداف الشخصية وأهداف التنظيم يعني أن هناك فصلا بين ما يرتبط بالفرد كعضو مدمج في النسق وما يرتبط بالتنظيم كغايات تبرر وجود ذلك النسق. غير أن هذا التمييز بين الغايات الشخصية والغايات الجماعية لا يعني أن هناك تناقضا أو تعارضا بين التنظيم وأعضائه. إن الانسجام بين ما هو شخصي وما هو جماعي يتم من خلال عملية التعاون التي تشكل جوهر العملية التنظيمية برمتها[519].

[519] امعمري. لحبيب، (2010)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الأول، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، ص. 152

2-4 الاقتراض الداخلي

تعمد بعض الجمعيات إلى الاقتراض الداخلي لتوفير مصاريف ملحّة أو مستعجلة، حيث تتم الاستدانة المادية من بعض الأعضاء ويتم توثيق ذلك بمحضر على أساس إرجاع ذلك الديْن من ميزانية الجمعية لاحقا. وقد يأخذ الديْن شكلا آخر من خلال الاستفادة من خدمات بعض الفاعلين المأجورين على أن يكون تسديد مبلغ الخدمة لاحقا بعد التوفر على الموارد المالية.

3-4 عائدات المشاريع

في إطار التمويل الذاتي، تستفيد بعض الجمعيات من عائدات بعض المشاريع مثل تقديم تكوينات في فن المسرح أو الرقص أو ورشات في فنون السمعي البصري l'audiovisuel أو تكوينات في مهارات التنمية البشرية و"الكوتشينغ". ماعدا هذا النمط من المشاريع، يلاحظ أن الجمعيات الثقافية لا تستثمر كثيرا في المشاريع المدرة للدخل، بعكس ما تقوم به الكثير من جمعيات العمل الاجتماعي أو الجمعيات التي تسمى "الجمعيات التنموية"، حيث استطاعت هذه الأخيرة تحقيق التمويل الذاتي وتجاوزت في العديد من الحالات سقف منجزات المؤسسات العمومية (لاسيما في العالم القروي)، واستحقت بذلك صفة القطاع الاقتصادي الثالث، كقطاع يتوسط القطاعين العام والخاص[520].

هكذا، وفي إطار ضعف الاستثمار في مشاريع التمويل الذاتي، تظل الجمعيات الثقافية في تبعية دائمة للمؤسسات المانحة، وهو ما يضع صعوبات جمة إزاء بناء استراتيجيات بعيدة المدى. يبين الجدول التالي كيف أن 32.5% من الجمعيات هي فقط من تتوفر على عائدات المشاريع:

[520] زعنون. عبد الرفيع، (2019)، "دور المجتمع المدني في تحقيق التنمية الترابية: المآلات والمتطلبات"، (89-104)، في: المجتمع المدني والإيكولوجيا السياسية، باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 8، تازة، ص. 94

اختيار" عائدات المشاريع "ضمن الموارد المالية للجمعية					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
32.5	32.5	32.5	26	ذكره	Valide
100.0	67.5	67.5	54	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

5- الفساد وضعف الحكامة في التدبير المالي للتنظيمات الجمعوية

إذا كانت التحولات التي عرفها المجتمع المغربي قد أبانت عن محدودية أدوار الدولة في التنمية، فإن سياسة فتح المجال أمام الهيئات المدنية للمساهمة في تحقيق التنمية البشرية انطلاقا من ارتباط الفاعل الاجتماعي بالمواطن ومعايشته لقضاياه، قد استدعت استحضار مبدأ الحكامة والاستعانة بآلياته التي لا يجب أن تصاحب الفعل التنموي في مختلف مراحله فحسب، بل أن تشكل محركا للفاعل الاجتماعي[521]. لكن بالمقابل، وقبل أن يمارس هذا الفاعل المدني وظيفته في تتبع مشروع ترسيخ الحكامة، فإنه مطالب هو ذاته أن يكون مؤهلا لها.

إن العمل الجمعوي بما يحمل من قيم المجتمع المدني ومشروع تنموي يروم خدمة المصلحة العليا للجماعة لا يشكل مجتمعا مثاليا، بل يتضمن ممارسات تتنافى مع مبادئه مثلما يتضمن أيضا ممارسات تستجيب لأخلاقياته وتجسدها على أرض الواقع. من خلال تحليل المقابلات، أعرب 14 شابا أنهم خلال تجاربهم السابقة مع جمعيات أخرى عاينوا انتشارا مهما للفساد المالي وطغيانا للمصلحة الخاصة على المصلحة العامة، وهو ما تؤكده كذلك 10 جمعيات.

في هذا السياق، يقول كمال: " في جمعية كنت أنتمي إليها، لاحظتُ أن عددا من الممارسات التي يقوم بها أعضاء المكتب المسير لا تتوافق مع قيم الحكامة الجمعوية، حيث أصبح هؤلاء الأشخاص يبحثون عن الدعم من أجل الريع وليس من أجل الاشتغال، وذلك على غرار الكثير من الجمعيات التي توجد على الورق فقط، وهو ما قادني إلى التنازل عن عضويتي بالجمعية وانسحبتُ منها رغم أنني كنتُ من بين من أسسها".

[521] الوزاني. الطيبي. كريمة، (2016)، ثقافة النوع بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية لمفهومي الحكامة والمجتمع المدني، منشورات دار التوحيدي، الرباط، ص.97.

نفس ما حدث لهذا الشاب، حدث أيضا للشاب رضى قبل أن ينسحب من جمعية كان ينتمي إليها، ويروي أنه كان يتم القيام في الخفاء بممارسات غير نزيهة، وفي التقارير المالية يتم تمريرها بشكل مقنّع. من بين هذه الممارسات أن هناك جمعيات تقوم بتكوينات تهدف بالأساس إلى المتاجرة في الدبلومات (خاصة دبلومات التكوين في التنمية الذاتية)، حيث يتم التصريح للمشاركين أن الدبلوم معترف به من طرف الدولة، في حين أنه لا أساس لذلك من الصحة.

في نفس الإطار المتعلق بموضوع التكوينات، لكن هذه المرة في ميدان التكوينات الموجهة للحصول على صفة مدرب بأنشطة التخييم، يُخبر رئيس "جمعية الازدهار الثقافي" أن هناك تنظيمات جمعوية تتلقى مقابلا ماديا من الشباب بهدف ترشيح أسمائهم للاستفادة من التكوينات التي ستجريها مؤسسات عمومية، رغم أن التكوين بهذه الأخيرة سيتم بشكل مجاني. يجسد هذا الأمر علاقة هبة ورد الهبة، في إطار "علاقة أعطيني نعطيك"، ففي مثل هذه الحالات يكون الشاب مقتنعا أنه لا مفر من أداء ذلك المقابل في حال عدم الحصول على فرصة الترشيح من طرف جمعية أخرى".

من الوسائل الأخرى التي يتم توظيفها للقيام بممارسات متنافية مع مبادئ الحكامة الجيدة، توظيف الإطار التنظيمي للجمعيات كغطاء للفعل المقاولاتي بهدف التهرب الضريبي. في هذا الشأن يقول رئيس "جمعية النماء الثقافي": "مثلما أن هناك جمعيات لا أثر لها على الساحة ولا تظهر إلا عند فتح باب الدعم المالي ثم تختفي، فهناك جمعيات هي في أصلها مشروع تجاري يتم تلفيفه بالإطار الجمعوي بهدف التهرب من الضرائب وعدم سداد واجبات الضمان الاجتماعي للأجراء، وفي نفس الوقت تتم الاستفادة من دعم الجهات المانحة. في هذا السياق، يمكن إدماج الكثير من الجمعيات الرياضية التي هي في الأصل نواد يؤدي لها الزبناء واجبا شهريا في مقابل خدمة، وهناك أيضا تقديم دروس الدعم والتقوية بشكل تجاري وتغليف ذلك بإطار جمعوي ثقافي. حسب رئيس "جمعية العطاء الثقافي"، فيمكن في هذا الاتجاه أيضا إدراج "تنظيم الرحلات الترفيهية بمبالغ تفوق تغطية النفقات ويتم

اقتسام الفائض بين المنظمين، هناك من يعتبر ذلك ممارسة تجارية تتعارض مع منطق التطوع الجمعوي، وهناك من يعتبر ذلك أمرا جائزا يدخل في إطار تعويضات عن الخدمة".

في إطار العمل الاجتماعي التضامني الذي تنظمه بعض الجمعيات الثقافية، يترتب عن الممارسات المتعارضة مع مبادئ الحكامة الجيدة تراجع حوافز الشباب تجاه العمل الجمعوي وكذا تآكل الرأسمال الاجتماعي للتنظيمات الجمعوية بسبب تدني مستوى الثقة فيها، لاسيما أن كثرة نماذج سوء الحكامة والتدبير يدفع بشرائح من المجتمع إلى تعميم الأحكام ووصم جميع الجمعيات بحكم واحد.

من الشباب الجمعوي الذي تحدث عن هذا الموضوع بإسهاب الشابة نادية التي تحدثت عن ثلاث تجارب أثرت بشكل سلبي على تمثلاتها حول العمل الجمعوي وحول المبادرات التضامنية بشكل خاص، قبل أن تتراجع عن هذا الموقف. تحدثت هذه الشابة عن مبادرة قامت بها لجمع تبرعات مالية لفائدة عضوة بالجمعية تعرضت لوعكة صحية صعبة، فتكلف بعض أعضاء الجمعية بجمع المساهمات. بعد مرور بضعة أيام، اطلعت صاحبة المبادرة على حجم الأوراق النقدية المحصّلة والتي تقدر بمبلغ مهم، وهي القيمة المالية التي أكدها لها أعضاء آخرون اطلعوا على نفس المبلغ. في نهاية المطاف، أعلن الأعضاء المكلفون بجمع التبرعات عن مبلغ زهيد لا يتناسب مع حجم الأوراق النقدية التي عاينها الأعضاء الآخرين، مما تسبب في أزمة ثقة داخل الجمعية.

في التجربة الثانية، وهي تندرج خارج التنظيم الجمعوي، تم إطلاق حملة لجمع تبرعات لمساعدة أسرة على علاج طفلها المصاب بمرض السرطان. وفعلا تطوع الكثيرون بمساهمات مالية، لكن في نهاية المطاف، تم اكتشاف أن والدة الطفل كانت تتاجر بمرض طفلها وتتلقى المساعدات المالية من مختلف المصادر دون أداء المصاريف للمصحة المسؤولة عن العلاج، وكانت تخبر المتبرعين أن الأداء يتم فعلا، وهو ما نفته المصحة. على إثر ذلك، اتسع حجم القضية وتدخلت الأجهزة الأمنية لتتخذ الواقعة طابع عملية نصب واحتيال على المتبرعين.

أما في التجربة الثالثة، فتخبر الشابة أنها كانت مسؤولة عن مشروع بإحدى الجمعيات، واكتشفت بعد ذلك تلاعبات مالية في تمويلات مقدمة من منظمات أجنبية. ولتبرير تقارير الأنشطة، كان رئيس الجمعية يحضر إلى أنشطة جمعيات أخرى ويلتقط خلالها صورا لنفسه، ثم يدمجها في التقارير ليبدو وكأنه هو المسؤول عن تنظيم تلك الأنشطة، مع التضخيم من حجم النفقات.

تضيف هذه المشاركة في البحث أن تعرضها لكل هذه المشاكل اثّر سلبا على رأسمالها الاجتماعي والرمزي في محيطها الاجتماعي، وأصبح ذلك يتسبب لها في مشاكل مع الأسرة، بل أصبحت صورة هذه الأخيرة هي نفسها معرضة للوصم. كل ذلك، دفعها للتراجع عن العمل الجمعوي في فترة معينة بعد أن عاينت الكثير من ممارسات الفساد المالي واستغلال ذوي النوايا الحسنة. في هذا الشأن، تقول هذه الشابة: "أعرف الكثير من الشباب الذين انسحبوا من العمل الجمعوي بسبب هذه الممارسات المتنافية مع الحكامة الجيدة. فعند شرائح واسعة من المجتمع، أصبح العمل الجمعوي سُبّة نُعيّر بها وتحوّل الفاعل الجمعوي إلى مرادف للمسترزق المتسوّل أو المحتال الذي يقتات على آلام الآخرين وأزماتهم الاجتماعية".

ردا على هذه الصورة القاتمة، يورد الكاتب العام ل"جمعية رواد الثقافة": "صحيح أن بعض الممارسات الجمعوية تطرح تساؤلات حول مدى تجذر قيمة المواطنة لدى بعض الفاعلين الجمعويين من خلال مخالفة مبادئ الحكامة الجيدة، وهو ما تؤكده افتحاصات المؤسسات المكلفة بالتدقيق، لكن القول إن العمل الجمعوي كله ريع وأهداف ربحية وفساد مالي هو من قبيل المواقف العدمية، علما أن الفكر التشكيكي العدمي موجود في مجتمعنا ولا يقتصر فقط على العمل الجمعوي، بل يتخلل جوانب أخرى من المجتمع. إن هذا الأمر يعكس أزمة ثقة داخل المجتمع ويعيق الانخراط الجمعوي. زيادة على ذلك، فهناك عدميّون يستفيدون من خدمات الجمعيات التي يشككون في نزاهة أهدافها، ثم يدبرون عنها بمجرد قضاء حاجاتهم الخاصة، وهذا نوع من النفاق الاجتماعي".

على خلاف خصائص العمل الجمعوي الإيجابية التي تشكل عنصر جذب، تتسبب مظاهر الفساد التي يعرفها عدد من الجمعيات في عزوف شرائح من الشباب عن الفعل

الجمعوي. هذا ما ورد في دراسة السوسيولوجية هناء شريكي التي توصلت إلى التصنيفات التالية في سياق تناولها لموضوع العزوف الجمعوي:

- ❖ التصنيف الأول: يترجم بموقف عدم الثقة، ويتعلق بالعمل الجمعوي والعمل السياسي على السواء؛
- ❖ التصنيف الثاني: يرتبط بالأساس بموقف الشباب من الجمعيات المحلية وخاصة بالمسيرين الجمعويين حينما يسخّرون عملهم لخدمة رجل السياسة؛
- ❖ التصنيف الثالث: يتعلق بشباب اصطدموا بواقع لا يستجيب لطموحاتهم وانتظاراتهم؛
- ❖ التصنيف الرابع: يتعلق بشباب لا ينتمون لأي توجه من التوجهات السابقة الذكر، ورغم معرفتهم بالجمعيات وبأهمية العمل الجمعوي، غير أنهم لا يسعون للعمل التطوعي ويرون أن الدراسة أو العمل تشكل الأولوية بالنسبة لهم، بالتالي يرون أن العمل الجمعوي أو الحزبي مضيعة للوقت، وأن إمكانية انخراطهم في هذه التنظيمات يمكن أن تكون في وقت لاحق[522].

6- فضاءات الفعل الثقافي، رأسمال مادي كاشف عن خصائص وإكراهات الحقل الثقافي

يتطلب تنزيل استراتيجيات الفعل الثقافي رأسمالا ماديا آخر ينضاف إلى عنصر التمويل، ويتعلق الأمر بتوفير الفضاءات المناسبة لإنجاز الأنشطة والمشاريع الثقافية. ويطرح عنصر توفير الفضاء صعوبات جمّة أمام الجمعيات الثقافية..

1-6 التوفر على مقر جمعوي خاص ميزة صعبة المنال

يتجلى التوظيف السائد للمقرات الجمعوية في الجوانب التنظيمية الداخلية من خلال توفير الظروف الملائمة لعقد الاجتماعات الداخلية واستقبال الزوار، ورغم أن هذه الفضاءات لا تكفي عادة للقيام بأنشطة ثقافية موجهة لجمهور عريض، إلا أنها قد تستغل لانجاز أنشطة ذات استقطاب محدود. لكن، تنبغي الإشارة إلى أن هناك مقرات جمعوية تسمح باستقبال أعداد مهمة من الحضور تكفي لعقد محاضرات ومعارض وعروض

[522] شريكي. هناء، (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، بحث لنيل دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ص. 386.

مسرحية أيضا، وهو ما لاحظتُه على وجه الخصوص خلال زيارتي للجمعيات التي تتموقع داخل النسيج الحضري للمدن العتيقة.

تعد هذه المجالات العمرانية فضاء مفضلا لدى فئة من التنظيمات الجمعوية، حيث تقوم بعملية إعادة توظيف للبيوت التقليدية وتحويلها إلى فضاءات جمعوية، مستغلة بذلك ميزة اتساع مساحاتها وتدني سومتها الكرائية مقارنة بالمجالات العمرانية الحديثة. بهذا، يمكن أن تصبح الفضاءات الجمعوية عنصرا مكمّلا للمرافق الثقافية العمومية.

بغية إبراز الامتيازات التي يقدمها التوفر على فضاء جمعوي بشكل ملموس، أسوق نموذج "جمعية التواصل الثقافي"، حيث تستفيد الجمعية من:

- **الحرية في تدبير الفعل الجمعوي على المستوى الداخلي للجمعية:** يتيح توفر المقر الفرصة لبناء برامج بعيدة المدى والقيام ببرمجة سنوية حسب ظروف الجمعية بشكل قابل للتعديل والتأقلم مع تغيرات الظروف. بالإضافة إلى ذلك، توفر هذه الميزة حرية للجمعية في فتح أبوابها طيلة اليوم إلى غاية ما بعد منتصف الليل، حيث يتيح تنظيم الأنشطة بعد الساعة السادسة مساء إمكانية الحضور لجميع الفئات من طلبة وموظفين، الخ، وهو ما لا يتأتى القيام به في عدد من المؤسسات العمومية. زيادة على ذلك، فالجمعية تتعامل مع شركاء من دول أخرى توجد معها فروق في التوقيت، وهو ما يفرض البقاء في مقر الجمعية إلى حدود ساعات متأخرة من الليل.
- **استثمار فضاء الجمعية كرأسمال مادي في بناء رأسمال اجتماعي ورمزي:** حفّز القيام بعمل ثقافي داخل فضاء الجمعية بشكل مبرمج ومنتظم الكثير من المثقفين والفنانين على اقتراح أنفسهم لإحياء أنشطة ثقافية لفائدة الجمعية، علما أن هؤلاء المثقفين يستفيدون هم أيضا من هذه المبادرات. بهذا، فعوض أن تكون الجمعية هي من تبحث دائما عن شركاء من هذه الفئة، أصبحت تتلقى منها هذه العروض والمبادرات.

زيادة على ذلك، تتضامن الجمعية مع جمعيات أخرى بتوفير فضاءها لإقامة أنشطة الثقافية، وهي بذلك تساهم في تنمية الحقل الثقافي، ويفيد هذا النوع من الشراكة

الجمعية في توسيع شبكة علاقاتها مع تنظيمات جمعوية أخرى ومعاينة الأنشطة المحتضنة بشكل مباشر، مما يؤدي إلى الاستفادة من تجاربها وجذب جمهور جديد. وهي التجربة نفسها التي عاينتُها لدى "جمعية التنمية الثقافية"، حيث تعرفتُ عليها من خلال حضوري لنشاط ثقافي أقامته جمعية أخرى بفضائها.

- **إمكانية تطوير الفعل الثقافي للجمعية:** يمكّن توفر الجمعية على فضاء رحب بمقرها بالمدينة العتيقة من إنشاء إقامة فنية يستفيد منها الشباب المغاربة والأجانب وتحفّز التثاقف فيما بينهم. وقد مكنت الشراكات التي تقيمها الجمعية مع التنظيمات الأجنبية من توسيع شبكة إقامتها الفنية، لتشمل كلا من مدن طنجة وأصيلا وإحداث مقهى ثقافي بمدينة زاكورة. وقد ساعد التلاقح الثقافي الذي نتج عن مشروع الإقامة الفنية من تعيين الجمعية لفنانين وجامعيين ومثقفين آخرين كممثلين لها بدول أجنبية، ينسّقون لمشاريع مشتركة ويقيمون شراكات جديدة.

ينطبق نموذج جمعيات التي تتوفر على فضاءات يتم استثمارها بهذا الشكل على فئة محدودة من هذه التنظيمات. في حين، لا تتوفر الأغلبية منها على فضاءات خاصة، وهو ما تبيّن من خلال نتائج تفريغ الاستمارات، إذ عبّرت 25 جمعية فقط عن توفرها على هذه الرأسمال المادي كما يظهر في الجدول أسفله:

التوفر على مقر خاص بالجمعية					
Pourcentage cumulé	**Pourcentage valide**	**Pourcentage**	**Effectifs**		
31.3	**31.3**	**31.3**	**25**	**ذكره**	**Valide**
100.0	**68.8**	**68.8**	**55**	**لم يذكره**	
	100.0	**100.0**	**80**	**Total**	

يعتبر عدم توفر المقر أولى العوائق التي تواجه الكثير من التنظيمات الجمعوية في بداية مسارها، فعملية التأسيس تتطلب توطين domiciliation الجمعية بعنوان إداري محدد. في السابق، كان من الممكن تحديد هذا العنوان الإداري بمقر دار الشباب أو مؤسسة أخرى. لكن، خلال السنوات الأخيرة، تم منع ذلك بمذكرة من وزارة الشباب والرياضة، فأصبح من الضروري على الجمعيات أن تجد مقرا خاصا لهذا الغرض، على ألا يكون محلا

للسكن. بما أن الموارد المادية لأغلب الجمعيات لا تسمح لها في مرحلة الانطلاق باكتراء محل مخصص لإدارتها، يتم اللجوء إلى تحديد عنوان سكن أحد الأعضاء المؤسسين كعنوان إداري للجمعية، رغم أن ذلك يخالف القانون. أما بالنسبة للاجتماعات، فيستمر انعقادها بعد مرحلة التأسيس بالمقاهي ودور السكن، كما جاء على لسان "جمعية الإشراق الثقافي" وعلى لسان الشاب فؤاد.

في هذا السياق، يورد السوسيولوجي فوزي بوخريص ضمن دراسته حول التنظيمات الجمعوية بإقليم الرشيدية أن النسبة المرتفعة للجمعيات التي لها مقر خاص تعود إلى سهولة الولوج إلى العقار في قرى الإقليم أو حتى في المراكز الحضرية. ذلك أن الإقليم الذي يتميز بشساعة مساحته لم يشهد بعد أزمة عقارية خانقة، كما هو الحال في المدن الكبرى، ولم يسقط بعد في منطق المضاربات العقارية. بخلاف ما هو حاصل في المدن الكبرى، حيث بدأت السلطات المحلية في السنوات الأخيرة، في إطار التضييق على بعض الجمعيات، تطالبها بعقد كرائها أو ملكيتها لمقر خاص، ضمن الوثائق المشكّلة لملف التصريح بالتأسيس أو التجديد، ومثل هذا المطلب يعد في مثل تلك الشروط مطلبا تعجيزيا. بالنسبة للجمعية، كتنظيم لا يهدف للربح، هناك صعوبة دائما في الولوج إلى العقار، مهما رخص ثمنه، وهذا الذي يفسر أن نسبة من الجمعيات لا مقر لها. لهذا يظل هناك فرق بين القانون الذي يُلزم الإشارة إلى عنوان الجمعية ومقرها في القانون الأساسي، وبين الواقع، حيث يعمد مؤسسو الجمعيات في غالب الأحيان إلى تدوين عناوين شكلية من أجل استكمال إجراءات التصريح لا غير[523].

بعدم توفر أغلبية الجمعيات على مقرات، لا تستطيع هذه الأخيرة تعزيز شبكة المرافق الثقافية الموجودة في محيطها السوسيوثقافي. تُسجل هذه النتيجة في ظل وضعية عمرانية تتميز بقلة التجهيزات الثقافية في أغلب المدن المغربية، وذلك بالمقارنة مع أعداد الساكنة. في هذا الصدد، عبّرت نسبة 57.6% من عينة الشباب الجمعوي عن ضعف حضور التجهيزات الثقافية في محيطها السكني، كما تظهر المعطيات أسفله:

[523] بوخريص. فوزي، (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، من التطوع إلى العمل المأجور، نشر للمؤلف، الرباط،، ص. 136.

توفر الفضاءات الثقافية في حي السكن					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
57.6	57.6	57.6	232	لا	Valide
100.0	42.4	42.4	171	نعم	
	100.0	100.0	403	Total	

2-6 دور الشباب، بين تاريخ تليد وواقع غير مُرض

تأتي دور الشباب، وهي مؤسسات ثقافية ورياضية تابعة لوزارة الشباب والرياضة، على رأس قائمة التجهيزات الثقافية التي تلجأ إليها الجمعيات بشكل أكثر لإقامة أنشطتها الثقافية، وقد أظهرت 62.5% من الجمعيات أنها تُجري عددا من أنشطتها بهذا المرفق الثقافي كما هو موضح أسفله:

اختيار" دار الشباب "ضمن فضاءات القيام بالانشطة					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
62.5	62.5	62.5	50	ذكره	Valide
100.0	37.5	37.5	30	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

تتوفر شبكة دور الشباب حاليا على أزيد من 602 مؤسسة موزعة عبر مختلف مدن المغرب[524]، ورغم الموقع المتقدم الذي تحتله دور الشباب ضمن الفضاءات التي تستخدمها عينة الجمعيات المشاركة في البحث، إلا أن هذه التنظيمات تتضايق من المشاكل التي أصبحت تعرفها هذه المؤسسات العمومية، بعد أن كانت أيقونة مضيئة في الحقلين الجمعوي والثقافي في الماضي. في هذا الإطار، يقول الشاب سمير: "تعاني مؤسسات دور الشباب من تراجع كبير مقارنة مع ما عرفتُه عنها فيما مضى، ومقارنة مع عصرها الذهبي خلال سنوات الستينات والسبعينات حسب ما ترويه الأجيال السابقة، حيث كانت محجّا للشباب وكانت مدرسة تخرجت منها أسماء لامعة في الفنون ومختلف المجالات".

يبرز مشكل توزيع القاعات وبرمجة الأنشطة كأحد أهم المشاكل التي يمكن رصدها بدور الشباب. يتحدث عن ذلك رئيس "جمعية الازدهار الثقافي" قائلا: "المشكل الذي أصبح

[524] حسب موقع وزارة الشباب والرياضة بتاريخ يوم 25 نونبر 2020، على الرابط التالي: http://www.mjs.gov.ma/ar/%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D8%A8

يطرح حاليا هو أن كثرة الجمعيات أصبحت تخلق صعوبة في إيجاد الفضاء، فتطورها لم يواكبه تطور في عدد البنيات الثقافية. من بين الحلول التي أصبحت تضطر إليها الجمعيات هو توحيد البرامج والقيام بأنشطة مشتركة للتمكن من الحصول على القاعة، رغم أن هذه الشراكات تصدر عنها الكثير من المشاكل والنزاعات بين الجمعيات".

لمعالجة هذا الوضع، يقول رئيس "جمعية العطاء الثقافي" أنه "وجب إعادة النظر في العديد من البنيات الحاضنة، ومنها دور الشباب. صحيح أن التطور يجب أن يكون ماديا، لكن لا يجب الاقتصار على توفير القاعات وباقي التجهيزات، بل المطلوب أن يكون التطور نوعيا من أجل إعادة استقطاب الشباب في ظل ثقافات أخرى جاذبة وأهمها الثقافة الرقمية". في هذا الصدد، يضيف رئيس "جمعية الوصل الثقافي": "الدولة تؤسس مؤسسات مهمة، لكن ما هو أهم هو الاستثمار في تأهيل الرأسمال البشري الذي يفترض به أن يطوّر هذه المؤسسات، وهو الاستثمار الذي مازال غير كاف، كما يجب إعادة النظر في منطق تدبير الكثير من المؤسسات التي تعنى بالثقافة والشباب".

بالنسبة لباقي المشاكل التي تعرفها دور الشباب، يورد عبد الرزاق الحنوشي أن أهم هذه المشاكل تكمن في: عزلة دار الشباب عن المحيط إذ لا يستفيد منها إلا عدد قليل من الشباب من هذه المؤسسات؛ النظرة الاستخفافية الاحتقارية لدى فئة عريضة من الشباب تجاه العمل الذي التي تقوم به دار الشباب؛ الموقع الجغرافي للعديد من دور الشباب الذي نجده معزولا عن الكثافة السكانية؛ الهندسة المعمارية لأغلب دور الشباب لا تستجيب لحاجيات التنشيط؛ ضعف الوسائل الضرورية للتنشيط؛ تدخل السلطة في العديد من الأنشطة الثقافية؛ ندرة دور الشباب حيث أن عدد المستفيدين القارّين يظل ضعيفا جدا؛ سيادة منطق التعليمات، حيث أن دور الشباب تخضع مباشرة للسلطات المحلية، إذ نجد أن أعوان السلطة يواظبون على حضور كل الأنشطة ويتدخلون في بعض الأحيان في أمور تتعلق بالسير الإداري والتربوي للمؤسسة، وقد نجد أن بعض الدور يطغى عليها أسلوب التسيير السلطوي المفتقد لكل حس تربوي[525]. كثيرا ما تتطرق الدراسات حول دور الشباب إلى علاقة هذه المؤسسة

[525] الحنوشي. عبد الرزاق، (2001)، "دار الشباب، البنية والوظيفة"، (39-43)، في: "دار الشباب المغربية، الواقع والآفاق"، إعداد عبد الواحد أولاد الفقيهي، منشورات الشعلة، الدار البيضاء، ص. 40

بمحيطها العمراني الحضري، لكن الفاعل الثقافي حسن نجمي يثير إشكالية حضور دور الشباب في العالم القروي، وهو الوجود الذي يكاد يكون منعدما، مما يطرح أكثر من علامة استفهام حول الحقوق الثقافية لفئة الشباب وباقي الفئات في العالم القروي[526].

3-6 فضاءات المجالس المنتخبة والسلطات المحلية

حلت قاعات المجالس المنتخبة وفضاءات السلطات المحلية مثل قاعات العمالات في المرتبة الثانية، بنسبة بلغت 48.8% من حيث مستوى تردد الجمعيات على الفضاءات، كما هو موضح في الجدول أسفله:

اختيار" فضاءات المجالس المنتخبة أو السلطات المحلية "ضمن فضاءات القيام بالأنشطة					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
48.8	48.8	48.8	39	ذكره	Valide
100.0	51.3	51.3	41	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

4-6 المراكز الثقافية، نشأة حديثة مطالبة بزيادة الانتشار

تعتبر المراكز الثقافية مؤسسات تابعة لوزارة الثقافة، تقصدها 23.8% من عينة الجمعيات الثقافية، أي بشكل أقل حضورا من دور الشباب. ولعل ذلك يعزى إلى ضعف شبكة المراكز الثقافية مقارنة مع شبكة دور الشباب، وهو ما يمكن إرجاعه أيضا إلى ارتفاع ميزانية وزارة الشباب والرياضة مقارنة مع ميزانية وزارة الثقافة.

تجدر الإشارة إلى أن هناك حاليا رؤية للدولة لدمج المرافق الثقافية لوزارتي الشباب والرياضة من جهة ووزارة الثقافة من جهة أخرى في تدبير موحد خاضع لنفس السلطة الوصية، وذلك بعد أن تم دمج الوزارتين معا في وزارة واحدة وأصبحت كل منها تشكل "قطاعا". يشار إلى أنه في الوضع الراهن لازالت عملية التوحيد لم تبلغ بعد مراحل متقدمة، فلازال كل قطاع يشتغل بشكل مستقل عن الآخر، وينتظر أن تشكل عملية الدمج تكاملا وتنسيقا بين فضاءات كل منهما لاسيما بعد تنزيل ورش الجهوية المتقدمة.

[526] نجمي. حسن، (2001)، "تأملات في فضاء دار الشباب"، (27-34)، في: "دار الشباب المغربية، الواقع والآفاق"، إعداد عبد الواحد أولاد الفقيهي، منشورات الشعلة، الدار البيضاء، ص. 33.

اختيار" مركز ثقافي "ضمن فضاءات القيام بالأنشطة					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
23.8	23.8	23.8	19	ذكره	Valide
100.0	76.3	76.3	61	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

5-6 فضاءات القطاع الخاص

حلت فضاءات القطاع الخاص مثل استغلال دور السينما بشكل مؤدى عنه أو قاعات الحفلات الخاصة بنسبة أقل بلغت 16.3% من عينة الجمعيات، وغالبا ما يكون هذا الاستغلال بتردد غير دائم، خاصة في حالة الجمعيات التي تقوم بأنشطة أسبوعية، بخلاف الجمعيات التي تقوم بأنشطة معدودة على مدار السنة، فبعضها يستطيع توفير مصاريف اكتراء هذه الفضاءات نظرا لمحدودية أنشطتها.

اختيار" فضاءات القطاع الخاص "ضمن فضاءات القيام بالأنشطة					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
16.3	16.3	16.3	13	ذكره	Valide
100.0	83.8	83.8	67	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

تنبغي الإشارة إلى التحول التدبيري الذي همّ استغلال عدد من الفضاءات عمومية، حيث كانت في السابق تستغل بشكل مجاني من طرف التنظيمات الجمعوية، لكن استغلالها حاليا أصبح يتم بشكل مؤدى عنه بعد أن تم تحويلها إلى مصدر مدرّ للدخل، لتنتقل بذلك إلى صنف الفضاءات الخاصة بعد أن كانت موجهة للعموم.

إن هذا النمط من الخوصصة الذي يعبّر على تحولات في تدبير المؤسسات العمومية، يذكّر ويؤشر على انعكاسات العولمة على أجهزة الدولة في اتجاه تقليص تدخلاتها واقتصارها على الوظائف السيادية les fonctions régaliennes، مع فسح المجال أمام فعل القطاع الخاص وخوصصة الخدمات المجانية، التي كانت تقدم في إطار نموذج الدولة الرعاية l'Etat providence.

عبّرت مجموعة من الجمعيات عن امتعاضها من هذا التحول في تدبير فضاءات المؤسسات العمومية، من هذه الجمعيات "جمعية الملتقى الثقافي" التي أعلنت أن هذه الواجبات المادية تُرهق كاهل الجمعيات في ظل محدودية الدعم العمومي، لاسيما أن الأمر لا يتعلق فقط باكتراء القاعات وإنما يتبع ذلك نفقات إضافية مثل اكتراء أجهزة الصوتيات. هكذا فإن أصغر نشاط ثقافي يتطلب على الأقل مبلغ 5000 درهم.

أما "جمعية النماء الثقافي"، فقد أشارت إلى أن "الدعم المالي المقدم من طرف الدولة سيعود إليها بطريقة غير مباشرة دون أن تستفيد منه الجمعيات، فالخمسة آلاف درهم التي قد تصرفها الدولة لجمعية ما كدعم مالي ستأخذه هذه الأخيرة بيد لتعيده باليد الأخرى إلى الدولة عبر أداء مبلغ اكتراء القاعة". من شأن هذا الإجراء أن يكرّس النخبوية والتفاوتات بين التنظيمات الجمعوية من خلال إفراز واقع يكون فيه للجمعيات الوازنة والمتمتعة بقربها من الفاعل السياسي القدرة على أداء الواجبات المادية لقاعات المؤسسات العمومية، في حين أن الجمعيات ذات الرأسمال المادي المحدود ستضطر لحصر أنشطتها كمّا ونوعا، وسيظل وجودها مقتصرا على فضاءات من "الدرجة الثانية".

6-6 المؤسسات التعليمية

حلت فضاءات المؤسسات التعليمية في المرتبة الخامسة بنسبة 18.8%، وغالبا ما يكون نشاط الجمعيات التي تنشط في المؤسسات التعليمية متمركزا حول الفعل القرائي أو حول اللقاءات الأدبية والفكرية، مع وجود استثناءات تم تسجيلها في إطار العينة، مثل التأطير المسرحي الذي تقوم به "جمعية الانبعاث الثقافي" داخل المؤسسات التعليمية. بالإضافة إلى ذلك، تشارك هذه الجمعية المكوّنة من الشباب في لجنة تحكيم لمهرجان خاص بالمسرح المدرسي بشراكة مع الأكاديمية الجهوية للتعليم، حيث يساهم الأساتذة بكتابة مسرحيات ويكوّنون فرقا من التلاميذ لأدائها، ثم تقوم لجنة التحكيم بانتقاء الفرق المؤهلة للوصول إلى نهائيات المهرجان.

اختيار" المؤسسات التعليمية "ضمن فضاءات القيام بالأنشطة					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
18.8	18.8	18.8	15	ذكره	Valide
100.0	81.3	81.3	65	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

7-6 المكتبات العمومية

حلت المكتبات العمومية في الفضاءات التي تقصدها الجمعيات الثقافية بنسبة 12.5%، ورغم هذه المرتبة المتأخرة، إلا أنني لاحظت خلال الأنشطة الثقافية التي كنتُ أحضرها، أن عددا من الجمعيات أصبحت تتردد بشكل أكبر على المكتبات العمومية، خاصة الجمعيات المهتمة بالأدب. تعبّر هذه الدينامية عن رهانين:

- ❖ من جهة أولى، هناك رهان الجمعيات الثقافية في خضم بحثها عن فضاءات جديدة كحلّ لمشكل نقص الفضاءات.
- ❖ ومن جهة ثانية: هناك رهان وزارة الثقافة، كقطاع وصيّ على المكتبات العمومية، والذي يهدف إلى الترويج الثقافي لهذه الفضاءات بعد تدني مستوى القراءة بالمغرب وتدني الإقبال على المكتبات العمومية، باستثناء فترات محددة حيث يستغلها الطلبة للتحضير للامتحانات.

اختيار" المكتبات "ضمن فضاءات القيام بالأنشطة					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
12.5	12.5	12.5	10	ذكره	Valide
100.0	87.5	87.5	70	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

8-6 الشارع وفضاءات أخرى

حلّ صنف "الفضاءات الأخرى" في المرتبة الأخيرة بنسبة 11.3%، ضمن وجهات الجمعيات لإقامة أنشطتها الثقافية. وعلى قلة حضور هذا النمط من الفضاءات - ومن بينها فضاء الشارع العام - إلا أنها تعبر عن وجود منطق فعل إبداعي في الثقافة التدبيرية لبعض الجمعيات. يتأسس هذا المنطق على رفض الانحصار في الفضاءات "التقليدية" التي اعتادت

جلّ الجمعيات على استغلالها، لكن ذلك لا يعني عدم استثمار "الفضاءات التقليدية"، بل هناك سعي للبحث عن آفاق بديلة وغير مستهلكة من طرف البقية.

اختيار " فضاءات أخرى "ضمن فضاءات القيام بالأنشطة					
Pourcentage cumulé	Pourcentage valide	Pourcentage	Effectifs		
11.3	11.3	11.3	9	ذكره	Valide
100.0	88.8	88.8	71	لم يذكره	
	100.0	100.0	80	Total	

ضمن هذا السياق، تذكر "جمعية التنمية الثقافية" إقامة عروضها المسرحية ضمن المستشفيات، الأسواق الأسبوعية، السجون، المدن الصغرى، دور المسنين ودور الطالبات، وهي فضاءات يمكن وصفها "بفضاءات الهامش" مقارنة مع فضاءات المركز مثل دور الشباب والمراكز الثقافية. في نفس الوقت، فهي تضم فئات هامشية حين نتحدث مثلا عن المدن الصغرى والأسواق الأسبوعية.

بخصوص المؤسسات السجنية، طرحتُ سؤالا خلال إجراء المقابلة مع "جمعية الإشراق الثقافي" حول ولوجية accessibilité هذه الفضاءات، لاسيما مع وجود فكرة شائعة تقول بصعوبة القيام بفعل ثقافي داخل هذه المؤسسات ذات الطبيعة الضبطية، وما يرافق ذلك من تشديد من الإجراءات البيروقراطية والأمنية. فكان جواب الجمعية كالتالي: "اشتغلت الجمعية في المؤسسات السجنية بدون مشاكل تذكر، هناك جمعيات أخرى تضخم من هذا الموضوع في ظل خطاب عدمي يصيب الآخرين بالإحباط ويحد من حس المبادرة".

وقد لوحظ في السنوات الأخيرة تغيّر إيجابي في تمثلات التنظيمات الجمعوية بخصوص إدماج نزلاء المؤسسات السجنية ضمن فئاتها المستهدفة، وهو ما تؤكده عدد من التقارير منها تقرير للمرصد المغربي للسجون الذي أحصى 1422 زيارة قامت بها التنظيمات الجمعوية إلى السجون المغربية خلال سنة 2015-2016[527].

[527] المرصد المغربي للسجون، (2016)، السجناء والسجون، امتحان للمجتمع، التقرير السنوي 2015-2016، الدار البيضاء، ص. 39.

يدخل في هذا الإطار أيضا، إقامة الأنشطة الثقافية في المؤسسات الثقافية الأجنبية في سياق شراكات معها، وهو ما يتطلب من الجمعيات رأسمالا اجتماعيا ورمزيا وحس الدبلوماسية الثقافية في تدبير العلاقات العامة. يندرج الفضاء الافتراضي ضمن خانة هذه الفضاءات البديلة، وكما أشرتُ سابقا بخصوص التدبير الداخلي، فقد أصبح التواصل الرقمي رائج الاستخدام في العلاقة مع الفئات المستهدفة وعموم رواد مواقع التواصل الاجتماعي، في ظل الضرورة التي فرضتها جائحة كوفيد 19.

في إطار خانة "فضاءات أخرى"، يندرج أيضا استغلال فضاء الشارع من طرف بعض جمعيات العينة، وجدير بالذكر أن التفكير في استغلال الشارع العام لتحقيق رهانات ثقافية عبر فن المسرح ليس وليد اليوم، بل إن مختلف الثقافات البشرية قامت بذلك منذ قرون بعيدة يمكن إرجاعها على الأقل إلى الفترة العتيقة la période antique مع الإغريق والرومان[528]. في السياق المغربي، كان المسرحي الطيب الصديقي من أوائل الذين نادوا بهذا التغيير نظرا لمحدودية إقبال المغاربة على المؤسسات المسرحية، وقد استفاد هذا المسرحي المغربي من تجربة أستاذه الفرنسي جون فيلار Jean VILAR الذي كان يدعو إلى مسرح شعبي احتفالي في أماكن مفتوحة[529].

يذكر الباحث طارق الربح ضمن أطروحته المعنونة "مسرح الشارع بالمغرب، التأسيس والتطلعات" أن الطيب الصديقي - حينما كان مسؤولا عن المسرح البلدي بالدار البيضاء - صدرت عنه مقولة تختزل رؤيته التحليلية للوضع حين قال وهو يشير إلى بناية المسرح البلدي: "هذا مسرح بلا جمهور"، ثم أشار إلى مرتادي الساحة المتواجدة أمام المسرح والتي كانت لا تخلو من الناس وقال: "وذاك جمهور بلا مسرح"[530].

ورد في نتائج تحليل المقابلات لجوء 6 من جمعيات العينة إلى توظيف فضاء الشارع، وقد تكشّف أن هذا الاختيار لا يتعلق فقط بالحاجة إلى إيجاد فضاء بديل، بل إن هذا الفعل لا

---

[528] الربح. طارق، (2016)، " مسرح الشارع بالمغرب، التأسيس والتطلعات"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة. ص. 22.

[529] المرجع نفسه، ص. 90.

[530] الكغاط .محمد، (1986)، بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، ص.292 .

يخلو من رهانات ثقافية تنضاف إلى تلك التي تم تناولها سابقا في مواقع أخرى من هذا البحث، ومن بينها:

أولا، تغيير بعض التمثلات النمطية والمساهمة في التربية الجمالية ومعالجة القضايا المجتمعية: وغالبا ما يرجع في خطاب هؤلاء الفاعلين الجمعويين فكرة أن ثقافة فنون الشارع تضرب جذورها في الثقافة الشعبية المغربية، مذكّرين بفن "الحلْقة" كفن فرجوي يجمع بين مواهب متعددة، مثل: مهارات التشخيص بالجسد؛ مهارة الحكي والخطابة؛ العزف على الآلات الموسيقية والغناء؛ ثقافة الأمثال الشعبية؛ الكوميديا؛ الخ. لكن هذا التجذر لم يمنع من ترسب بعض التمثلات السلبية حول فنون الشارع، لاسيما في ظل وضع اتسم منذ زمن طويل بضعف كل من التربية الجمالية والتنمية الثقافية.

مع انفتاح الشباب المغربي على تطور فنون الشارع بالغرب، مع كل ما يحمل ذلك من آليات للدمقرطة للثقافية وأفاق واعدة بإحداث التغيير المجتمعي عبر فن الشارع، يسعى هذا الشباب إلى تغيير هذه الأفكار النمطية عبر هذا النموذج من الفعل الثقافي. في هذا الصدد، يقول حمزة:" من خلال الأنشطة التي قامت بها جمعيتنا في الشارع، كنا نسعى لتصحيح بعض الأفكار الخاطئة حول التسول بالفن، خاصة الموسيقى، كما كنا نقدم عروضا مسرحية قصيرة. حاولنا تغيير بعض الأفكار التي ترى أن تلقّي الفن يجب أن يكون داخل مؤسسة معينة وأن يتم الولوج إليها عبر أداء التذكرة، لكن ليس للجميع الوقت للذهاب إلى القاعات، وليست كل الفئات تتوفر على الإمكانيات المادية لأداء التذاكر.

من خلال فضاء الشارع، يمكننا الوصول إلى أكبر عدد من الفئات المستهدفة، خاصة أن الأنشطة الثقافية في القاعات تعرف إقبالا غير مهم. القضية ليست في عدم توفر القاعات، رغم أن هذا المشكل مطروح وبحدة، لكن هدفنا هو تغيير نظرة المجتمع حول فن الشارع. وعوض أن ننتظر الجمهور ليأتي ألينا، فإننا نحن من نبحث عنه في الشارع. بهذا، نحاول أن نخلق ثقافة جديدة تصالح المجتمع مع الفن ونساهم في التربية الفنية على أوسع نطاق، مع التحسيس بمشاكل المجتمع عبر الفن. في حال تطور هذه التجربة بشكل كبير من طرف

جمعيات أخرى وعبر مختلف أرجاء الوطن، يمكن لفئات من الجمهور أن تتصالح مع المؤسسات والقاعات الثقافية وتقبل عليها بشكل ملحوظ".

فيما يخص "جمعية التنوير"، فتسعى من خلال فعلها الثقافي بالشارع إلى تغيير الصورة النمطية التي تنفّر شرائح واسعة من المجتمع من العمل الجمعوي، وهي بهذا تحاول خلق تطبيع ثقافي بين هذه الفئات والعمل الجمعوي من خلال تعويدها على التعامل معه وتغيير التمثلات التي تعمّم صفة الفساد على مجمل التنظيمات الجمعوية. أما بالنسبة إلى "جمعية النماء الثقافي"، فبعد سؤالها حول عدم تركيزها على استغلال قاعات مختلف المؤسسات فقد أجابت أن التحدي الذي تراهن عليه هو التمسك بالتجربة التي تخوضها من اجل تغيير "ثقافة المقهى" لدى المواطن ومعالجة التمثلات والعادات الثقافية السلبية التي التصقت بهذا الفضاء.

ثانيا، التدليل على أن تجربة فنون الشارع قابلة للنجاح بالمجتمع المغربي: حضر هذا الرهان في نموذج الجمعية التي ينتمي إليها الشاب حمزة. يقول هذا المشارك في البحث أنه كان يتوجه رفقة زملائه من الشباب إلى فضاء "الأوداية"، وهو منتزه بمدينة الرباط، ويقومون بحلقيات على غرار "ساحة جامع الفنا بمراكش"، بحيث تتضمن كل حلقية أداء في نمط فني معين. وقد كانت أعداد الجماهير تقدر بحوالي 600 شخص، وهو عدد يتجاوز بكثير ما يتم تسجيله خلال كثير من الأنشطة التي تجري بالقاعات والمؤسسات الثقافية.

تم إنجاز ثلاث نسخ لهذه الفعاليات الثقافية علما أنها لم تكلف أي نفقات مادية، فالشباب كان يتطوع بتقديم أعماله الفنية بشكل مجاني، كما أن طبيعة فضاء الشارع لا تفرض أي واجبات مادية، كما هو الشأن بالنسبة للأنشطة الثقافية في القاعات. يتحدث هذا الشاب عن نجاح هذه التجربة بوصف سلوك الجمهور، حيث كان هذا الأخير يتفاعل بشكل إيجابي وكان يعبّر عن إعجابه بردود فعل حضارية، وهو تفنيد للتمثلات التي تعمّم الفكرة القائلة أن فن الشارع لا يتناسب وثقافة الإنسان المغربي وأنه يتسبّب في سلوكات غير حضارية وأعمال شغب. وقد حفزت هذه التجربة هؤلاء الشباب على تطوير منجزهم والارتقاء به إلى مستوى مهرجان ثقافي.

ثالثا، الرفع من مستوى الترويج الثقافي للفعل الثقافي الشبابي: يعد فضاء الشارع فضاء مناسبا لترويج بعض أنماط الفعل الثقافي، ومن الأمثلة على ذلك ما أشار إليه رئيس "جمعية الملتقى الثقافي"حول إقامة مهرجانات للأغنية الغيوانية بالساحات العامة. أما بالنسبة للفن التشكيلي، يقول رئيس "جمعية أجيال الثقافة" إن الجمعية كانت تنظم معارض في الساحات العامة كانت تتميز بموقع جاذب وسط المجال الحضري، وهو ما كان يخلق رواجا مهما للوحات الفنانين الشباب.

إن دراسة الفعل الاجتماعي (بمختلف أبعاده الثقافية، السياسية، الخ) بمؤسسة الشارع من شأنه أن يكشف الكثير عن ثقافة الشباب، على اعتبار أن إحدى أهم التحولات الثقافية لدى هذه الفئة هي الحركية والتنقل la mobilité، فلم يعد فضاء الأسرة والمؤسسات المغلقة أهم الفضاءات التي ينشط فيها الشباب، بل أصبح الفضاء العام لاسيما فضاء الشارع يُستثمر بشكل كبير من طرف هذه الفئة، حيث أن خاصية العمومية (la publicité, dans le sens de public)، تسمح بالتعبير والتفاعل على نطاق أوسع.

من بين الأدبيات التي تطرقت إلى تنوع الفعل الاجتماعي لدى الشباب في الفضاءات العامة كتاب " Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique". وقد تطرق هذا الكتاب إلى مختلف هذه التمظهرات في المجتمعات العربية، ومن بينها سياقة المتعة joyride في الشوارع الكبرى بالمجتمعات الخليجية[531]، ثقافة الشباب العاطل "الحيطيست" (نسبة إلى الحائط hittiste) بالجزائر[532]، ثقافة المقاهي الثقافية بلبنان[533]، ثقافة الراب[534]، ثقافة الروك[535].

[531] MENORET. Pascal, (2013), «Fonce, brule tes pneus, la fureur de vivre des joyriders saoudiens », (31-41), in: Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

[532] LE PAPE. Loïc, (2013), « Histoire de voir le temps passer, les hittistes algériens », (42-52), in: Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

[533] DOT-POUILLARD. Nicolas, (2013), « Boire à Hamra, une jeunesse nostalgique à Beyrouth », (125-133), in: Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

خلاصات

1- أغلب الشباب الفاعل الذي حافظ على استمرارية العمل الجمعوي قد انخرط فيه منذ سن مبكرة، وهو ما يبرز **أهمية الاندماج المبكر في هذا الفعل الاجتماعي**.

2- تنوع **الفاعلون المحفزون على الاندماج في العمل الجمعوي** بين المحيط الأسري أثناء الطفولة وتأثير الأصدقاء في سن المراهقة أو الشباب. من جهة أخرى، هناك أسر تعارض انضمام أبنائها إلى الجمعيات وأخرى لا تكترث. في المسح الكمي، كان تأثير الحياة المدرسية ضعيفا، وهو ما يحيل على ضعف أنشطة التفتح الثقافي بالمدرسة، لكن احتكاك الشباب بالحركات الطلابية الجامعية يعد فرصة لاكتشاف العمل الجمعوي والثقافي والاهتمام بالشأن العام. بالإضافة إلى ذلك، يؤثر مستوى تأهيل وأداء المؤسسات الثقافية بشكل قوي في هذا التحفيز على الاندماج في العمل الجمعوي والثقافي.

3- من خلال البحث الكيفي أمكن التمييز بين فئة من الشباب الجمعوي حافظت على **استمرارية هذا الانخراط** منذ لحظة الولوج (64%) وفئة أخرى تميز مسارها بالتقطع (36%).

4- 73% من الشباب نوّعوا مسارهم الجمعوي عكس 27 % منهم. **من رهانات هذا التنويع**: الرغبة في الاندماج بشكل أعمق في الحقل الجمعوي؛ الرفع من مستوى الاستفادة من خدمات الجمعيات أو من تعويضاتها المادية؛ حدوث مشاكل أو نزاعات داخل التنظيمات الجمعوية.

5- **ينظر عدد من الشباب للحقل الجمعوي بمنطق السوق**، مستثمرين بذلك مختلف الرساميل التي يمنحها العمل الجمعوي. لهذا، يُلاحظ تنويع الشباب لانتماءاتهم التنظيمية

---

534 PUIG. Nicolas, (2013), « Le rap palestinien, contenus politiques et explorations artistiques », (337-341), in : Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

535 CAUBET. Dominique et MILLER. Catherine, (2013), « Du Rock au Maroc, quelle place dans la nouvelle scène urbaine casablancaise ? », (342-354), in: Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

وعدم تقلد فئة منهم لمناصب المسؤولية التي تتطلب وقتا مهما. و**من أهم وسائل الشباب لتحقيق هذه النفعية**: توظيف الفعل الجمعوي كإطار قانوني للتشغيل الذاتي؛ تلقي تعويضات مادية مقابل تقديم الإبداعات الثقافية؛ المرور عبر الجمعيات للحصول على صفة "إطار مدرب" من اجل الاشتغال الموسمي في المخيمات الشبابية.

6- النجاح الاجتماعي عبر الممارسات الجمعوية والثقافية هو من أهم **وسائل الشباب لإبراز الذات والبحث عن الاعتراف**، كما تحقيق التميّز يمر عبر الاهتمام بالمظهر الخارجي، مما يسمح بالامتثال والاندماج الثقافي مع النظراء والاختلاف مع الآخرين.

7- العمل الجمعوي إطار مناسب لفئة من الشباب للبحث عن شريك في **الحياة الجنسية**.

8- **يقوم العمل الجمعوي الثقافي بإعادة تعريف الهوية الفكرية** وإضفاء معنى على الحياة، ويساعد أيضا في البحث عن الذات الثقافية بالمعنى التخصيصي. كما يحقق شباب أخر هذا الرهان الهوياتي من خلال النضال والصراع.

9- **النمط التخصصي للفعل الجمعوي** قليل الحضور من الناحية العددية مقارنة مع العقود السابقة، لكنه يعبّر عن سيرورة من التمأسس والاحترافية. ومن عوامل اعتماده، التخصص المسبق للفاعلين في الحقل الثقافي بشكل عام أو في إحدى تخصصاته بشكل خاص. أما أسباب اعتماد **الفعل الجمعوي غير المتخصص**، فمنها الرفع من الحظوظ في الحصول على الدعم المالي؛ تحقيق انتشار أوسع؛ توظيف الفعل الثقافي لمواكبة الفعل الاجتماعي.

10- من **أهم الوسائل التي اعتمدها الفاعلون لخدمة التراث الثقافي**: توظيف فنّيْ المسرح والزجل؛ استثمار عمليات التخييم الموجهة للشباب؛ وإنجاز مشاريع ثقافية لفائدة تراث المدن العتيقة.

11- تنظم الجمعيات الثقافية المحاضرات والأمسيات الأدبية ليخلق فضول معرفي **يرسخ فعل القراءة،** كما أن ذلك يحقق الانتشار للإنتاجات المغربية. وتعد استضافة المثقفين الوازنين من عناصر الجذب، مما يحقق الوساطة الثقافية بين الشباب والمثقفين الطلائعيين.

12- **يُقبل شباب العينة على الفن المسرحي بشكل كبير** نظرا لتعدد آفاق استثماره في التنمية السوسيوثقافية وتعدد تقاطعاته مع كثير من الفنون. ومن بين الصعوبات في ذلك: ضغط الوقت؛ مشاكل تنظيمية خاصة بهذا الحقل الثقافي؛ إكراهات مرتبطة بالنوع الاجتماعي.

13- **تحتل الموسيقى أهمية قصوى في ثقافة الشباب،** فهي تعكس تنوع ثقافتهم وتعبر عن نمط حياتهم وذوقهم وأسلوبهم في التفكير، مما يجعلها طقسا ثقافيا يوميا.

14- في **الفن التشكيلي تظل إشكالية النخبوية قائمة** ويظل الإقبال عليه ضعيفا مقارنة مع الفنون الأخرى، وهذا راجع إلى ضعف التربية الفنية كأحد أهم العوامل التي تؤدي إلى هذا الوضع. لمعالجة هذا المشكل، تعمل عينة البحث على: الاشتغال بشكل جماعي على الجداريات في الشارع العام وفي فضاءات المؤسسات لمخاطبة جمهور عريض بسهولة؛ تكوين الشباب في هذا الفن؛ تنظيم معارض جماعية تساهم في تطوير مختلف رساميل الشباب.

15- **تتجاوز ممارسة المواطنة عند مجتمع العينة الفعل الثقافي إلى العمل الاجتماعي** عبر آليات متنوعة: التطوع بالعمل الثقافي في المؤسسات الاجتماعيةّ؛ المواكبة الاجتماعية للفئات الهشة عن طريق الفن؛ الإسهام في التنمية الحضرية من خلال التنمية السوسيواقتصادية التي تجلبها المهرجانات الثقافية، بالإضافة إلى تفعيل كل من القوة الإقتراحية التشاركية والترافع الاجتماعي داخل مؤسسات التدبير الحضري.

16- تركز عينة البحث على **ثلاث استراتيجيات أساسية لتحقيق التنمية السياسية،** هي:

أولا، التعبير والاحتجاج من خلال إنتاج الأعمال الثقافية، ويمكن وصف التمرد والنقد السياسي الذي تمارسه عينة البحث بكونه مضبوطا في مستوى معين، وهو ما تمت الاشارة إليه في دراسة السوسيولوجي أحمد شراك للغرافيتيا كثقافة في الهامش حيث ميّز بين الخطاب السياسي للغرافيتيا في الغرب ونظيره في المجتمعات العربية. أما النقد السياسي الذي يتجاوز هذا السقف، فلم أُلاحظ حضورا قويا له في الحقل الجمعوي الثقافي، حيث يبحث لنفسه عن فضاءات أخرى للتعبير أكثر تحررا من القيود التنظيمية للجمعيات، ومن بينها: الفضاء الرقمي والفعل الاحتجاجي في الشارع العام غير المؤطر جمعويا. إذن، فالصراع عند الشباب الجمعوي لا يتحقق بآليات الصدام أو التمرد الثوري، بل من خلال آليات أخرى تتمثل في الفعل التفاوضي، الاحتجاج بالتعبير، العزوف السياسي كتعبير عن الرفض. ومثلما تتجلى هذه التوفيقية في العلاقة بالحقل السياسي، فإنها تتمظهر أيضا في صراع الأجيال داخل مؤسسة الأسرة أو في التنظيم الجمعوي؛

ثانيا، المشاركة في السياسات العمومية: في هذا الإطار يمكن التمييز بين جمعيات تظل بمعزل عن المشاركة في بناء وتقييم السياسات العمومية وأخرى تساهم في هذا الفعل السياسي. بمعيار آخر، يمكن التمييز بين جمعيات مهادنة للفاعل السياسي بما في ذلك الدولة (إما بحثا عن الاستفادة والحفاظ على مكتسبات الدعم المالي واللوجستي أو دعما لجهة سياسية معينة) وأخرى تتبنى الخيار النقدي عبر الفعل الاحتجاجي؛

ثالثا، تطوير الثقافة السياسية خاصة من خلال تنظيم الدورات التكوينية.

17- **في خضم المساهمة في التنمية السياسية، تواجه عينة البحث مجموعة من الصعوبات**: صراعات المضمار الحزبي التي تنعكس على الحقل الجمعوي بشكل يضعُف فيه حس الاختلاف وثقافة الحوار والفكر النقدي، وهو ما يؤشر على تجذر منطق العصبية كمظهر من مظاهر الثقافة التقليدية والتي تتقنّع بأقنعة جديدة في الحياة العصرية؛ ضيق

هامش الحرية السياسية في المؤسسات الثقافية. هذه المشاكل وغيرها تؤدي بالشباب إلى العزوف عن العمل الحزبي وتفضيل العمل الجمعوي كبديل لممارسة الفعل المواطناتي.

18- أعلن 19 شابا من أصل 22 عن ارتياحهم لمستوى **الديمقراطية الداخلية** داخل جمعياتهم الحالية، مقارنة مع تجاربهم السابقة في جمعيات أخرى. في نفس السياق المتعلق بالحكامة الجيدة، أكد 14 شابا من أصل 22 و10 جمعيات من أصل 20 أنهم خلال تجاربهم الجمعوية السابقة عاينوا انتشار **الفساد المالي وطغيان المصلحة الخاصة على المصلحة العامة،** مما يؤدي إلى تآكل الرأسمال الاجتماعي وتدني مستوى الثقة في الحقل الجمعوي.

19- **من حيث الموقف من العمل التطوعي،** تؤمن فئة من العينة بالعمل التطوعي المحض، بينما ترى فئة أخرى إمكانية التوليف بين المنفعة العامة والمنفعة المادية الخاصة. ومن بين **الحوافز على الفعل التطوعي**: حافز أثر الفعل الاجتماعي؛ العلاقات الاجتماعية؛ حافز دعم المسار الثقافي على المستوى الشخصي؛ محفزات الوسط التنظيمي؛ الحافز المادي. أما فيما يخص **الصعوبات،** فتأتي الارتباطات العائلية وضغط الوقت في مقدمة المعيقات. في هذا الإطار، أرى أن المجتمع الرأسمالي أقر الفردانية الاجتماعية كي لا تعيق الحياة المهنية وطوّر مؤسسات الرعاية الاجتماعية ليتخفف الفرد من هذه القيود ويتفرغ للعطاء المهني.

20- أبرز المسح الكمي بالاستمارة أن أعمار 63.8% من الشباب الجمعوي تتراوح بين 18 و25 سنة وأن 82.4% منهم في وضعية **عزوبة**. إن **مؤشر التمثيلية الشبابية على مستوى مكاتب التسيير لا يعد كافيا للتعبير عن مدى هذه الفاعلية،** حيث أن عددا منهم يفضل الفعل الجمعوي من خارج الهياكل التنظيمية .

21- سجّل **الحضور النسائي** رقما مهما (179شابة)، بشكل لا يبتعد كثيرا عن الحضور الذكوري (224 شابا). ومازالت المشاركة النسائية في مراكز صنع القرار غير كافية بسبب: حدث الزواج؛ تمثلات الأسر حول العمل التطوعي؛ خصوصية بعض الأنماط من الفعل الثقافي.

22- يمكن تقسيم الشباب الجمعوي المدروس إلى فئتين: **فئة "النخبة"**، ويمكن رصد فاعليتها من خلال عدد من المؤشرات، مثل: درجة التردد على التنظيم الجمعوي؛ المساهمة النوعية في الفعلين الثقافي والتنظيمي؛ الاستمرارية وعدم الانقطاع عن الفعل الجمعوي؛ الاضطلاع بدور المثقف والمشاركة في الإنتاج الثقافي عبر مختلف الإبداعات الرامية إلى المساهمة في تنمية المجتمع، استثمار الرساميل التي توفرها الجمعيات كتنظيمات منتجة ومؤهلة للنخب. بهذا، تفند هذه الفئات التمثلات الاجتماعية التي ترى في الحقل الجمعوي الثقافي فضاء للترويح والترفيه فقط. بالمقابل، هناك **فئة "العامة"** التي تساهم بشكل أقل في الحقل الجمعوي الثقافي، وتتميز بطابعها الاستهلاكي للأنشطة الثقافية خاصة تلك التي تتسم بالترفيه ولا تتطلب مستوى ثقافيا عاليا أو مجهودا فكريا في عملية التفاعل. يجسد الاختلاف بين هاتين الفئتين التقابل بين ثنائية التثقيف والتتفيه التي تمحورت حولها كثير من النظريات المهتمة بالثقافة.

23- من حيث الخطاب، أمكن التمييز بين **فئتين من ثقافة التنظيم**: الفئة الأولى تتصف بمنطق فعل قائم على الإبداع والتحدي مع التركيز على استثمار نقاط القوة وتجاوز نقاط الضعف بهدف توفير الموارد المادية. أما الفئة الثانية، فلا يصدر عنها التفاؤل، بل تكتفي بالتركيز على ضعف الدعم المالي وتبني خطاب المظلومية والإنتظارية. تنعكس هذه الثقافة التنظيمية على الفعل الجمعوي، فهناك جمعيات تشتغل بطابع مناسباتي وبمشاريع تغلب عليها البساطة في البناء والانجاز. من جهة أخرى، نجد جمعيات تُدبّر بمنطق أكثر تبلورا واحترافية وهو منطق اقرب إلى المقاولة، وهي تنحو نحو المشاريع الأطول مدى والأكثر تعقيدا. لذلك، فهي الأخرى تستقطب موارد بشرية مؤهلة، بخلاف الفئة الأولى من الجمعيات "ذات الاستقطاب المفتوح".

24- تعد **الفردانية في العمل الجمعوي وضعف التشبيك** من بين ما لاحظتُه في ثقافة التنظيمات المدروسة، وتطرح هذه الظاهرة تساؤلات حول قدرتها على تشكيل **"حركة اجتماعية"** بالمعنى الذي يقصده ألان تورين، فهي لا تؤسس فيما بينها تكتلات ذات مشاريع مشتركة واستراتيجيات موحدة. بهذا التذرر (atomisation)، يصعب علي هذه

التنظيمات تشكيل قوة اقتراحية جماعية ضاغطة أو أن تصير فاعلا جماعيا يترافع حول بناء السياسات الثقافية وتقييمها أو تقويمها.

25- **يشار إلى أن عددا من القطاعات العمومية المسؤولة عن الثقافة والشباب تعاني في حد ذاتها من ضعف في الموارد المادية** مما ينعكس سلبا على دعمها المالي للجمعيات، خاصة مع ارتفاع ديمغرافية الجمعيات، وهو ما يدفع 67.5% من الجمعيات إلى الاعتماد على مصادرها الذاتية في حال عدم توفر الدعم المالي. يؤشر هذا المعطى على أن الشأن الثقافي لا يحظى بأهمية وازنة مقارنة مع القطاعات الأخرى التي ترصد لها ميزانيات أكبر.

26- **من أهم انتقادات الجمعيات لعملية الدعم العمومي**: عدم وجود سياسة ثقافية بعيدة المدى ومبنية على رؤية عميقة؛ وجود تفاوتات في تصنيف الجمعيات؛ ضعف تكوين المسؤولين في الشأن الثقافي المكلفين بالإشراف على الدعم المالي؛ ضعف المقاربة التشاركية؛ وجود عيوب بنيوية في عملية توزيع الدعم؛ مشاكل النظام البيروقراطي؛ تدخل الفاعل السياسي في التأثير على توزيع التمويل العمومي.

27- لم يسجل **القطاع الخاص** حضورا قويا حسب خطاب الجمعيات، حيث يتعامل مع الشأن الثقافي بشكل براغماتي محض. وعلى غرار ذلك، سجّل **التمويل الأجنبي** حضورا ضعيفا مقارنة مع شراكة هذا الفاعل مع جمعيات العمل الاجتماعي.

28- يعد **التوفر على مقر جمعوي خاص ميزة صعبة المنال،** لكن في حال توفره فإنه يمنح عددا من الامتيازات، منها: الحرية في تدبير الفعل الجمعوي على المستوى الداخلي للجمعية؛ استثمار فضاء الجمعية كرأسمال مادي في بناء رأسمال اجتماعي ورمزي؛ إمكانية تطوير الفعل الثقافي للجمعية.

29- يمكن **ترتيب استغلال الجمعيات الثقافية للفضاءات الثقافية** حسب الشكل التالي: أولا، دور الشباب (والتي تعرف مشاكل توزيع القاعات وبرمجة الأنشطة)؛ ثانيا: فضاءات المجالس المنتخبة والسلطات المحلية؛ ثالثا: المراكز الثقافية؛ رابعا: فضاءات القطاع

الخاص؛ خامسا: المؤسسات التعليمية؛ سادسا: المكتبات العمومية؛ سابعا: الشارع العام وفضاءات أخرى. وعلى قلة انتشار استغلال هذا النمط الأخير من الفضاءات، إلا أن الإقبال عليها يعبّر عن وجود منطق فعل إبداعي في الثقافة التنظيمية لبعض الجمعيات من خلال رفض الانحصار في الفضاءات "التقليدية".

30- **يعاني الحقل الجمعوي من هشاشات مختلفة،** ومنها الهشاشة التنظيمية، وبالتالي لا ينبغي المبالغة في تضخيم حجمه وتحميله بالمسؤوليات أكثر مما يطيق، لذلك فكل الفاعلين في المجتمع تقع عليهم مسؤولية التنمية وعلى رأسهم الدولة التي تتحمل مسؤوليات لا يمكن لفاعلين آخرين القيام بها. على رأس هذه الأخيرة، تأتي الصياغة التشاركية لسياسات عمومية في مجال الثقافة والشباب بشكل مندمج مع قطاعات أخرى (خاصة التعليم والإعلام والاقتصاد)، وبشكل مستدام أيضا بحيث لا تتغير البرامج القطاعية مع كل ولاية حكومية جديدة، إذ يشكل هدرا للمكتسبات ولتراكم التجارب.

31- إن اختيار **فضاء الشارع** لا يتعلق فقط بالضرورة والحاجة إلى إيجاد فضاء بديل، بل إنه لا يخلو من رهانات ثقافية مثل: تغيير بعض التمثلات النمطية والمساهمة في التربية الجمالية ومعالجة القضايا المجتمعية؛ التدليل على أن تجربة فنون الشارع قابلة للنجاح بالمجتمع المغربي؛ الرفع من مستوى الترويج الثقافي للفعل الثقافي الشبابي.

32- باستخدام مفهوم الاتجاه الثقافوي الأمريكي، **تتميز الشخصية الأساسية** في **ثقافة الشباب الجمعوي المدروس بمجموعة من الخصائص المركزية،** من بينها: النزوع إلى الحرية والاستقلالية؛ البحث عن الاعتراف؛ إبراز الذات وحب التميز؛ البحث عن المعنى؛ الترفيه عن النفس؛ المراوحة بين الواقعية والمثالية؛ التنوع الثقافي والفكري المفضي إلى تنوع وتضارب منطقيات الفعل، وهو ما يترتب عنه أشكال مختلفة من الصراع الاجتماعي، إذ أصبح هذا الأخير أكثر حضورا مع تقدم سيرورة الحداثة مقارنة بالمجتمعات التقليدية التي يغلب عليها التنميط الثقافي من خلال التنشئة الاجتماعية أحادية الاتجاه.

33- إن هذه النتائج المرتبطة بثقافة الشباب تخص العينة المدروسة فقط، ماعدا ذلك، فثقافة الشباب بشكل عام تحمل ظواهر وخصائص أكثر تنوعا، وإن تبين من خلال دراسة

العينة أن هناك شباب فاعل وملتزم ومثقف فهذا لا ينفي وجود الكثير من مظاهر الاغتراب لدى فئات شبابية أخرى. في كلتا الفئتين، **يعيش الشباب وضعين من الحداثة والتقليد** بأشكال نسبية ومتباينة، فلكل حداثته وتقليده على طريقته الخاصة. وهو أمر متوقع في ظل مجتمع متحول يمر بديناميات مجتمعية متسارعة الإيقاع.

34- تبين من خلال نماذج الشباب الفاعل المشارك في البحث الكيفي مدى **تأثير مستواهم التعليمي في إسهامه الثقافي والجمعوي**، وهو ما يؤكد أن التنمية الثقافية بشكل خاص والتنمية الشاملة بشكل عام لا يمكن تتقدم بشكل متوازن بدون منظومة تعليمية مؤهَّلة.

35- بخصوص **الصراع النظرياتي بين نظرية "الهابيتوس" عند بورديو ونظرية الإنسان التعددي** l'Homme pluriel لدى نقاده (خاصة تلميذه برنار لاهير)، يبدو لي أن كلا النظريتين تتجسدان جنبا إلى جنب في الواقع الاجتماعي، فتأثير التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمدرسة خاصة) مازال راهنيا، كما أن انعكاسات العولمة (لاسيما في بعدها الثقافي) تفرز تنوعا ثقافيا وفكريا يؤدي إلى تعددية فائضة لدى الشباب المعاصر، مما يدعو إلى الاهتمام أكثر بموضوع "المجتمع ما بعد الحداثي" أو لنقُل "الحداثة المتقدمة".

خاتمة عامة

من خلال هذا العمل، تناولتُ موضوعا متشعبا ومركبا من ثلاثة حقول: الشباب، الحقل الثقافي، الحقل الجمعوي، وهو ما يجعل منه مجالا بحثيا دائم التجدد والحركية، خاصة أن الفئات الشابة تساهم في تسريع الديناميات المجتمعية الراهنة وتحديد معالم المجتمع المستقبلي.

حاولتُ خلال هذا البحث أن أوثق الصلة والربط بين القسمين النظري والميداني كي أتمكن من فهم التمفصل بين المستويين الشمولي والتخصيصي لمفهوم الثقافة لدى فئة الشباب الجمعوي ولدى التنظيمات الجمعوية المهتمة بالفعل الثقافي. في هذا الإطار، سعيتُ إلى الانفتاح على مختلف الأطر النظرية واستثمارها بما يخدم إشكالية الدراسة وأهدافها.

رغم الصعوبات التي واجهتُها في خضم البحث الميداني، إلا أنني حاولتُ تسليط بعض الأضواء على الإشكاليات المطروحة وتوصلتُ إلى عدد من النتائج. بالرغم من ذلك، لا يمكن القول أن هذا العمل قد استنفد أغراضه وأنه قدم أجوبة شافية وكافية، فنتائجه تظل نسبية ولا يمكن تعميم عدد منها إلا بعد طول مقارنات بدراسات أخرى أُجريت في سياقات مماثلة.

بعد إنجاز مختلف مراحل هذا البحث، أجيب عن السؤال الإشكالي الذي أثرته عند مُنطلق هذه الدراسة بالقول إن منطق الفعل المتحكم في الممارسات السوسيوثقافية لكل من الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية في العينة المدروسة يسعى إلى المزاوجة بين المصلحتين الخاصة والعامة في أغلب الحالات، فالاكراهات السوسيواقتصادية لبنية المجتمعات الحديثة فرضت على الفرد النظر إلى الحقل الجمعوي الثقافي برؤية براغماتية يطبعها منطق السوق ومنطق المصلحة الذاتية، وهو ما يعود بنا إلى تعريف هيجل للمجتمع المدني كمملكة للشهوات ولإشباع الحاجيات. يندرج هذا المنطق من التفكير في إطار ديناميات – أكثر شمولية- عرفها الحقل الجمعوي منذ نشأته بالمغرب، ومن جملتها: تغير القيم الجمعوية (لاسيما قيمة التطوع وقيمة الالتزام)؛ تميّع الحقل السياسي وما ينتج عن ذلك من مخلفات تنفّر الشباب من الاهتمام بالشأن العام؛ تعقد الزمن الاجتماعي الذي لم يعد يتيح وقتا كافيا

للحياة الجمعوية، لاسيما في ظل مجتمع يتصف بطابعه الجماعي (على خلاف الحياة الجمعوية في المجتمعات الفردانية)؛ احتداد الصراع داخل الحقل الجمعوي حول الحصول على الدعم المالي واللوجستي، وهو ما افرز مجموعة من الانعكاسات على مجمل هذا الحقل.

إن المراوحة (بتوظيف مفهوم الكونتينيوم continuum الوارد عند مدرسة شيكاغو) بين المصلحتين الخاصة والعامة في العمل الجمعوي تنفي التعميم الشائع في عدد من الأدبيات، والقائل إن ثقافة الشباب يغلب عليها الاستيلاب الثقافي وأن الحقل الجمعوي الثقافي مجرد حلبة للصراع حول المصالح الخاصة. لقد أكد مجتمع العينة المشارك في الدراسة وجود نخبة من الشباب الجمعوي ومن التنظيمات الجمعوية التي تسعى إلى توظيف رساميلها المتنوعة من أجل التأثير في قواعد اللعب داخل الحقل الجمعوي الثقافي. وكما أوضحت سابقا دراسات مدرسة بيرمنغهام، فإن منطق الفعل هذا يعد شكلا من أشكال المقاومة والاحتجاج في ثقافة الشباب، وذلك من خلال الفعل الثقافي المساهم إيجابيا في تغيير الواقع مع رفض الممارسة الثقافية التي يغلب عليها التلقي الاستهلاكي والسلبي.

فيما يخص الشق الثاني من السؤال الإشكالي، تبين أن كلا من ثقافة الشباب الجمعوي وثقافة التنظيمات الجمعوية تحملان على السواء منطق القطيعة والإبداع في جوانب معينة، ومنطق الاستمرارية والإتباع في جوانب أخرى. ويمكنني تفسير ذلك بكون المجتمع المغربي (الذي يظل مطبوعا بثقافتين تقليديتين: واحدة عتيقة وأخرى مقنعة بأشكال جديدة) يخوض حاليا تجربة حداثة مصطنعة، غير واضحة الملامح، غير مفكر فيها بعمق، وهو ما يفرز هذه المراوحة بين الحداثة والتقليد، في سياق سوسيوثقافي يتسم بضعف الإقبال على الفعل التثقيفي وبشراهة في استهلاك المنتوج الترفيهي.

لقد أوضح البحث الميداني أيضا أن البعد السياسي، المتمثل أساسا في الصراع الانتخابي، يخترق الحقل الجمعوي بشكل عميق. يؤثر هذا العامل بشكل غير مباشر وغير مرئي على الفاعل المدني، حتى وإن سعى إلى البقاء على "الحياد". فهو بهذا، حتى وإن لم يمارس السياسة فإنها تمارس عليه. تؤكد هذه النتيجة على أن عمق البحث السوسيولوجي هو في

الواقع عمق سياسي، فمثلما أنه لا وجود لسوسيولوجيا بدون بحث ميداني، فكذلك لا وجود لسوسيولوجيا بدون خوض في السياسي.

البيبليوغرافيا

المراجع باللغة العربية

❖**إبراهيمي. زكريا،** (9 شتنبر 2016)، "إميل دوركايم والتأسيس السوسيولوجي للحداثة"، (1-25)، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، . على الموقع: https://www.mominoun.com/pdf1/2016-06/dorkaimm.pdf

❖**اتحاد كتاب المغرب،** (2015)، المناظرة الوطنية حول الثقافة المغربية، بيت الصحافة.

❖**أحرشاو. الغالي والزاهر. أحمد،** (2001)، "البحث عن الشغل ومواجهة البطالة لدى خريجي الجامعة"، (29-57)، في: "التكوين الجامعي والاندماج السوسيومهني"، مركز الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله. فاس.

❖**إسماعيل. داليا. محمد. بهاء،** (2011)، الشباب والجمعيات الشبابية، المشاركة والدور والتوجهات، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة.

❖**اشقرا. عثمان،** (2004)، "نشأة العمل الجمعوي بالمغرب"، (31-33)، في: العمل الجمعوي بالمغرب، التاريخ والهوية، أعمال ندوة، تنسيق حسن أميلي، نشر للجمعية المغربية لتربية الشبيبة، الرباط.

❖**اشويكة. محمد،** (2015)، التفكير في السينما / التفكير بالسينما، الطبعة الأولى، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء.

❖**أمزازي. محمد. أمين،** (2020)، "الخدمة الاجتماعية وارتباطها بالتنمية البشرية في ضوء السياسة الاجتماعية بالمغرب، برامج قطاع التعاون الوطني أنموذجا"، (125-137)، في: المجتمع المدني والتنمية، أسئلة ومقاربات متقاطعة، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، تازة.

❖**امشنوك. رشيد**، (2019)، "سوسيولوجيا المجتمع المدني في المغرب والتحدي الحقوقي: الحقوق الثقافية نموذجا"، (35-58)، في: المجتمع المدني والإيكولوجيا السياسية، باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 8، تازة.

❖**امعمري. لحبيب**، (2010)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الأول، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات ما بعد الحداثة، فاس.

❖**امعمري. لحبيب**، (2013)، المقاولة والثقافة، دراسة في عملية التحديث بالمغرب، الجزء الثاني، الاجتماعي كمنتوج، منشورات ما بعد الحداثة، فاس.

❖**أميلي. حسن**، (2004)، "العمل الجمعوي بالمغرب وإشكالية التأريخ" (18-22)، في: العمل الجمعوي بالمغرب، التاريخ والهوية، أعمال ندوة، تنسيق حسن أميلي، نشر للجمعية المغربية لتربية الشبيبة، الرباط.

❖**انغليز. ديفيد وهيوسون. جون**، (2013)، مدخل الى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة لما نصير، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.

❖**اينيك. ناتالي**، (2011)، سوسيولوجيا الفن، ترجمة حسين جواد القبيسي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

❖**بناني. عبد العزيز**، (1998)،"الحركة المغربية لحقوق الانسان"، (179-198)، في: وعي المجتمع بذاته، عن المجتمع المدني في المغرب العربي، ندوات معهد الدراسات عبر الإقليمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، جامعة برينستون بالولايات المتحدة الأمريكية، إشراف: عبد الله حمودي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

❖**بنيس. محمد والرضاوني. أحمد**، (1984)، "القراءة والقراء في المغرب"، (238-271)، في: مجلة الكرمل، العدد 11، قبرص.

❖**بهضوض. محمد**، (2014)، الفكر الثقافي، أسئلة الثقافة في المغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط.

❖**بهضوض. محمد،** (2014)، المشهد الثقافي المغربي الحقل الثقافي الحديث بالمغرب، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط.

❖**بهضوض. محمد،** (2014)، المغرب الثقافي، نحو مشروع وطني للثقافة، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، الرباط.

❖**بوخريص. فوزي،** (2010)، مساهمة الجمعيات في التشغيل: حالة إقليم الرشيدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

❖**بوخريص. فوزي،** (2015)، في سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب، الطبعة الأولى، من التطوع إلى العمل المأجور، نشر للمؤلف، الرباط.

❖**بونيت. عز الدين،** (1999)، ملامح من تاريخ الخطاب التنظيري في المسرح المغربي، (34-47)، في: مجلة الثقافة المغربية، عدد 8، وزارة الثقافة، الرباط.

❖**بونيت. عز الدين،** (2010)، المسرح والدولة، سلسلة دراسات الفرجة، رقم 9، الطبعة الأولى، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة.

❖**توفلر. ألفن،** (1990)، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي.

❖**الجابري. محمد. عابد،** (2003)، سلسلة مواقف، العدد 11، نشر للمؤلف، الدار البيضاء.

❖**الجرموني. رشيد،** (2013)، "الشباب العربي وتدافع القيم، محاولة للفهم"، (123-132)، في: تدافع وبناء القيم، منشورات المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، الرباط.

❖**جرموني. رشيد،** (2013)، الشباب وتحول القيم والاتجاهات والممارسات الدينية. دراسة سوسيولوجية بمدينة سلا، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط.

❖**حران. العربي والتونسي. فائزة،** (دجنبر 2018)، "رأس المال الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة"، (166-179)، في: مجلة العلوم الاجتماعية، العدد السابع، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتجية والسياسية والاقتصادية، برلين.

❖**حفصاوي. حبيبة،** (2006)، الجمعيات النسائية بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

❖**حقي. عبده،** (مارس 2017)، "هل نسير نحو ثقافة افتراضية بلا مثقفين ؟، (117-120)، في: باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 1، تازة، يناير.

❖**الحمراوي. إسماعيل،** (2017)، الشباب المغربي وتحديات المشاركة السياسية، الطبعة الأولى، دار القلم، الطبعة الأولى، الرباط.

❖**الحنوشي. عبد الرزاق،** (2001)، "دار الشباب، البنية والوظيفة"، (39-43)، في: "دار الشباب المغربية، الواقع والآفاق"، إعداد عبد الواحد أولاد الفقيهي، منشورات الشعلة، الدار البيضاء.

❖**الخطيبي. عبد الكبير،** (1998)، "دور المثقف في حوار الحضارات"، (361-366)، في: العولمة والهوية الثقافية، سلسلة أبحاث المؤتمرات، إشراف جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

❖**الدغمومي. محمد،** أوهام المثقفين، (1997)، سلسلة شراع، العدد 17، وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال، طنجة.

❖**دوركايم. اميل،** (1982)، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة حافظ الجمالي، الطبعة الأولى، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت.

❖**دوركايم. ايميل،** (2015)، التربية الأخلاقية، ترجمة السيد محمد بدوي، سلسلة ميراث الترجمة، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

❖**الذهبي. حمزة،** (2020)، "النظريات السوسيولوجية المفسرة للجريمة"، (225-232)، في: المجتمع المدني والتنمية، أسئلة ومقاربات متقاطعة، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، تازة.

❖**الراجي. محمد،** (2020)، " الجري وراء الربح السريع يبدد القيم المغربية على منصة يوتوب"، مقال صحفي منشور بجريدة هسبريس، في يوم الاثنين 23 نونبر 2020، الساعة 09:00، على الرابط:https://www.hespress.com/societe/490458.html

❖**راضي. محمد،** (2016)، "الإقصاء الاجتماعي والعنف لدى الشباب"، (88-96)، في: السياحة بصيغة الجمع: من الثقافة إلى التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد مزدوج 3-4، تازة.

❖**الراعي. علي،** (1999)، المسرح في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 248، الطبعة الثانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

❖**الربح. طارق،** (2016)، " مسرح الشارع بالمغرب، التأسيس والتطلعات"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة.

❖**رحومة. علي. محمد،** (2008)، علم الاجتماع الآلي، مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب، سلسلة عالم المعرفة، عدد 347، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

❖**ريفيل. ريمي،** (2018)، الثورة الرقمية، ثورة ثقافية؟، ترجمة سعيد بلمبخوت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 462، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

❖**زعنون. عبد الرفيع،** (2019)، "دور المجتمع المدني في تحقيق التنمية الترابية: المآلات والمتطلبات"، (89-104)، في: المجتمع المدني والإيكولوجيا السياسية، باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 8، تازة.

❖**الزواوي. حسن،** (2020)، "المجتمع المدني والفعل السياسي بالمغرب: حالة الأقاليم الصحراوية"، (153-165)، في: المجتمع المدني والتنمية، أسئلة ومقاربات متقاطعة، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، تازة.

❖**الزيدي. منجي،** (2016)، جماهير الثقافة: مداخل نظرية لدراسة الثقافة الجماهيرية، دار سحر للنشر، تونس.

❖**ستراوس. ليفي. كلود،** (2007،) الفكر البري، ترجمة وتعليق: نظير جاهل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، لبنان.

❖**ستروس. ليفي. كلود،** (1995)، الإناسة البنيانية، ترجمة حسين قبيسي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.

❖**سراج. نادر،** (2017)، الخطاب الاحتجاجي، دراسة تحليلية في شعارات الحراك المدني، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر.

❖**السعداني. عادل وكسيكس. إدريس،** (2014)، نحو سياسة تضع الثقافة في قلب التنمية بالمغرب، وثيقة عمل، الملتقى العام حول الثقافة بالمغرب، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الأربعاء 12 نونبر 2014، الرباط.

❖**السعيداني. منير،** (2007)، استحالات المثقف والثقافة والممارسة الثقافية، الطبعة الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس.

❖**السلاوي. أديب. محمد،** (2015)، "الحركة التشكيلية المغربية، البداية والامتداد"، (30-37)، في: آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد 88-89، الرباط.

❖**السهول. إبراهيم،** (2015)، نخب المجتمع المدني في المغرب، دراسة سوسيوسياسية لجمعيات حقوقية وثقافية ونسائية، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط.

❖**سيجلماسي. أحمد،** (2016)، "المجتمع المغربي والسينما: اتصال أم انفصال؟"، (25-28)، في: "السينما والمجتمع"، أعمال ندوة المهرجان الدولي العاشر للسينما الامازيغية يومي 30 و31 أكتوبر 2016، تنسيق: محمد اشويكة ورشيد بوقسيم، منشورات أسني ن وورغ، ايت ملول.

❖**شتيوي. موسى،** عبد المجيد. لبنى وعبد الهادي. عزت، (2000)، التطوع والمتطوعون في العالم العربي، دراسات حالة، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة.

❖**شراك. أحمد،** (2008)، الثقافة وجواراتها، منشورات مقاربات، آسفي.

❖**شراك. أحمد،** (2015)، الغرافيتيا، أو الخربشات العربية على الحيطان، مقدمات في سوسيولوجيا الهامش والثورة، روافد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة.

❖**شراك. أحمد،** (2017)، سوسيولوجيا الربيع العربي، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس.

❖**شراك. أحمد،** (2015)، سوسيولوجيا الجمعيات الثقافية، أي براديغم للعمل الثقافي؟، الطبعة الأولى، منشورات مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

❖**شرايمي. محمد،** (2006)، آليات تنظيم واشتغال المنظمات غير الحكومية بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس.

❖**شرايمي. محمد،** (2007)، سوسيولوجيا المنظمات غير الحكومية بالمغرب، حالتا تنظيمين جمعويين، نشر للمولف، الرباط.

❖**شرف. عبد المجيد،** (1996)،"السلطة الأسروية وأسلوب اتخاذ القرار لدى الشباب المغربي"، (85-107)، في: الشباب المغربي في أفق القرن الحادي والعشرين، سلسلة

ندوات ومناظرات، رقم 59، تنسيق: مبارك ربيع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

❖**شريكي. هناء،** (2011)، الشباب والجمعيات التنموية: بين التحولات الاجتماعية والمنظومة القيمية. دراسة ميدانية بجهة الرباط سلا زمور زعير، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط.

❖**شكير. عبد المجيد،** (2012)، المسرح المغربي بين المضمون الفكري والبعد الاديولوجي، الطبعة الأولى، منشورات ومضة، طنجة.

❖**الشناوي. الكبير،** (2014)، الحركة الجمعوية بالمغرب بين سؤال الحرية وسؤال التأهيل، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط.

❖**الشيكر. محمد،** (2014)، الفن في أفق ما بعد الحداثة التشكيل المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، جمعية الفكر التشكيلي، نشر بدعم من وزارة الثقافة، الرباط.

❖**طارق. حسن،** (2009)، "الشباب بين رهانات المواطنة وواقع المشاركة السياسية"، (109-136)، في: السياسات الشباب والبحث العلمي، من اجل تفاعل جديد، مناظرة وطنية الشباب تحت إشراف عبد الفتاح الزين، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

❖**طلعت. إبراهيم. لطفي،** (2007)، علم اجتماع التنظيم، الطبعة الأولى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

❖**عارف. أحمد،** (2018)، الممارسة الثقافية والجمعوية بالمغرب، مقاربة سوسيوثقافية، الطبعة الأولى، ايديسيون بلوس، الدار البيضاء.

❖**عباس. محمد. نور الدين،** (2005)، التنشئة الأسرية، رؤية نفسية اجتماعية تربوية لعلاقة الأسرة بأبنائها والإشكاليات التي تطرحها، الطبعة الأولى، منشورات عالم التربية، الرباط.

❖**عبد العظيم عباس. وسام،** (2018)، " جدلية العلاقة بين المسرح التفاعلي والقضايا المعاصرة"، مقال على موقع "الحوار المتمدن"، العدد: 6022 ، بتاريخ 13/10/2018، على الساعة 03:23، على الرابط: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=614648

❖**عبد الفتاح. عبد الله. خالد،** (2006)، قيم العمل الأهلي في مصر، تقارير بحث: التراث والتغير الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة.

❖**عبود. رامي،** (2013)، المحتوى الرقمي العربي على الانترنت نظرة على التخطيط الاستراتيجي العربي والعالمي، الطبعة الأولى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

❖**العطري. عبد الرحيم،** (2004)، سوسيولوجيا الشباب المغربي، جدل الإدماج والتهميش، الطبعة الأولى، الرباط.

❖**العطري. عبد الرحيم،** (2018)، سوسيولوجيا الحياة اليومية، الرمزي أفقا للتفكير، دفاتر العلوم الإنسانية، الرباط.

❖**عماد. عبد الغني،** (2012)، الثقافة وتكنولوجيا الاتصال التغيرات والتحولات في عصر العولمة... والربيع العربي، سلسلة طريق المعرفة، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

❖**العمراني. حسناء،** (2016)، الديمقراطية المحلية والمجتمع المدني، سلسلة دراسات، الطبعة الأولى، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس.

❖**عميروش. بنيونس،** (2015)، "النحت المعاصر في المغرب، مقاربة أولية"، (43-58)، في: مجلة افاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد 88-89، الرباط.

❖**الغياط. محمد،** (2001)، جمعيات الشباب وتفعيل المجتمع المدني، دراسة حول إسهامات جمعيات الشباب في تفعيل المجتمع المدني بالمغرب، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط.

❖**الغياط. محمد،** (2004)، حق تأسيس الجمعيات والأحزاب في القانون المغربي والمقارن: دراسة قانونية عن حرية تأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية من خلال القانون المغربي المقارن، الطبعة الأولى، نشر للمؤلف، الرباط.

❖**غيدنز. انتوني وصاتن. فيليب،** (2018)، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة محمود الذواذي، سلسلة ترجمان، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.

❖**فرقزيد. بوشتى،** (2016)، "الدلالة الاجتماعية للسينما"، (11-23)، في: "السينما والمجتمع"، أعمال ندوة المهرجان الدولي العاشر للسينما الامازيغية يومي 30 و31 أكتوبر 2016، تنسيق: محمد اشويكة ورشيد بوقسيم، منشورات أسني ن وورغ، ايت ملول.

❖**فلوري. لوران،** (2014)، علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية، ترجمة علي نجيب إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.

❖**فهيم. حسين،** (1986)، قصة الانثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، عدد 98، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

❖**فيبر. ماكس،** (2013)، "الأسس العقلانية والسوسيولوجية للموسيقى"، ترجمة حسن صقر، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

❖**القنبعي. الإدريسي. عبد الكريم،** (2016)، سوسيولوجيا التدبير المقاولاتي، مدخل إلى الأنساق والأسس، الجزء الأول، منشورات قطب البحث: التراب، المجتمع والتنمية المستدامة، فاس.

❖**كابان. فيليب و دورتيه. جان فرانسوا،** (2010)، علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، الطبعة الأولى، دار الفرقد، دمشق.

❖**كداي. عبد اللطيف،** (2015)، "التحولات الاجتماعية للشباب المغربي، محاولة للرصد والفهم"، (79-99)، في: مجلة التدريس، العدد 7، السلسلة الجديدة، كلية علوم التربية، الرباط.

❖**كداي. عبد اللطيف،** (2016)، "الصناعة الثقافية بالمغرب والمساهمة في التنمية: أي استراتيجيات ممكنة؟"، (43-49)، في: السياحة بصيغة الجمع: من الثقافة إلى التنمية، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد مزدوج 3-4، تازة.

❖**الكراوي. إدريس،** (2014)، إشكالية التشغيل، مقاربات وتوجهات، منشورات جمعية الدراسات والأبحاث للتنمية، الرباط.

❖**الكراوي. إدريس،** (2018)، التنمية، نهاية نموذج؟، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء.

❖**كريش. محمد،** (2015)، "التشكيل المغربي المعاصر وإشكالية التوطين"، (69-82)، في: آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، عدد 88-89، الرباط.

❖**الكغاط .محمد،** (1986)، بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء.

❖**كموني. هشام،** "اللباس بوصفه خطابا وتمويها اجتماعيا"، (2019)، (63-69)، في: الجسد من المتعة إلى الاحتجاج، مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، تازة.

❖**الكنز. علي،** (1998)، "المجتمع المدني في البلدان المغاربية، بعض التساؤلات"، (21-37)، في: وعي المجتمع بذاته، عن المجتمع المدني في المغرب العربي، ندوات معهد الدراسات عبر الإقليمية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، جامعة برينستون بالولايات المتحدة الأمريكية، إشراف: عبد الله حمودي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

❖**كوش. دنيس،** (2007) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

❖**لبيب. الطاهر،** (2006)، سوسيولوجيا الثقافة، الطبعة الأولى، دار الملتقى، المحمدية.

❖**لوفو. ريمي،** (2011)، الفلاح المغربي المدافع عن العرش، ترجمة: محمد بن الشيخ، سلسلة أطروحات وبحوث جامعية (2)، منشورات وجهة نظر، الرباط.

❖**المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (لجنة مجتمع المعرفة والإعلام)،** (2016)، اقتصاديات الثقافة، إحالة ذاتية رقم 25 / 2016، نشر للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الرباط.

❖**المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،** (2013)، أماكن العيش والفعل الثقافي، تقرير، إحالة ذاتية رقم 2013/10، الرباط.

❖**المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،** (2019)، "النهوض بالقراءة، ضرورة ملحّة"، (1109-11018)، رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، في: الجريدة الرسمية، إعلانات وبلاغات، عدد 6836، 8 ربيع الآخر 1441 (6 ديسمبر 2019) .

❖**المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،** 2016، المقاولة الذاتية رافعة للتنمية وإدماج القطاع غير المنظم، تقرير، إحالة ذاتية رقم 2016/27، الرباط.

❖**المرصد المغربي للسجون،** (2016)، السجناء والسجون، امتحان للمجتمع، التقرير السنوي 2015-2016، الدار البيضاء.

❖**مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية،** (2004)، العمل الخيري والإنساني في دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة ميدانية لعينة من العاملين والمتطوعين في الجمعيات الخيرية، الطبعة الأولى، أبو ظبي.

❖**المرنيسي. فاطمة،** (1987)، الجنس كهندسة اجتماعية، بين النص والواقع، نشر الفنك، ترجمة فاطمة الزهراء زريول، المحمدية.

❖**المندوبية السامية للتخطيط،** (2011)، البحث الوطني حول المؤسسات غير الهادفة للربح (سنة المرجع 2007)، النتائج الرئيسية، ص 2، على الموقع الالكتروني: /https://www.hcp.ma/file/117493

❖**المنيعي. حسن،** (2001)، أبحاث في المسرح المغربي، سلسلة شرفات، عدد 1، الطبعة الأولى، الطبعة الثانية، منشورات الزمن، الرباط.

❖**المنيعي. حسن،** (2015)، عن المسرح المغربي، المسار والهوية، السلسلة المسرحية، رقم 36، الطبعة الأولى، إصدارات أمنية للإبداع والتواصل، الدار البيضاء.

❖**المهداوي. عبد الواحد،** 2013، حماية التراث بالمغرب، مقاربة تاريخية وقانونية، المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، الرباط.

❖**مؤسسة الفكر العربي،** (2009)، التقرير الأول للتنمية الثقافية، الطبعة الثانية، بيروت.

❖**نجمي. حسن،** (2001)، "تأملات في فضاء دار الشباب"، (27-34)، في: "دار الشباب المغربية، الواقع والآفاق"، إعداد عبد الواحد أولاد الفقيهي، منشورات الشعلة، الدار البيضاء.

❖**هارينتغتون. أوستن،** (2014)، الفن والنظرية الاجتماعية، نقاشات سوسيولوجية في فلسفة الجماليات، ترجمة حيدر إسماعيل، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

❖**هشام شرابي،** (1984)، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الطبعة الثالثة، الدار المتحدة للنشر، بيروت.

❖**وافي. العربي،** (2008)، مقاربة النوع والتنمية، المعرفة للجميع، عدد 35، منشورات رمسيس، الرباط.

❖**وردايني. يوسف،** (2016)، سياسات إدماج الشباب في الوطن العربي، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

❖**وزارة الثقافة،** (2016)، مجلة الإحصائيات الثقافية 2013-2015، نشر لوزارة الثقافة، الرباط.

❖**الوزارة المنتدبة لدى رئيس الحكومة المكلفة بالعلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني،** (2015)، التقرير السنوي حول وضعية الشراكة بين الدولة والجمعيات، الرباط.

❖**الوزاني. الطيبي. كريمة،** (2016)، ثقافة النوع بالمغرب، مقاربة سوسيولوجية لمفهومي الحكامة والمجتمع المدني، منشورات دار التوحيدي، الرباط.

❖**الوعرابي. إسماعيل،** (2015)، زوايا من المسرح المغربي، تركيب وخلاصات، الطبعة الأولى، منشورات مهرجان أماناي، ورزازات.

المراجع باللغة الأجنبية

❖ **ABDELMOUMNI. Fouad**, (2013), "Le Maroc et le Printemps arabe", (123-140), in : Pouvoirs, Revue française d'études constitutionnelles et politiques, 2013/2 (n° 145), Editions Le Seuil, Paris.

❖ **ABOU EL AZM. Amel et KHROUZ. Myriem**, (7 Février 2010), «En quête d'économie de la culture», (68-114), Revue Economia, N8, Editions : HEM Research Center, Rabat.

❖ **ALAOUI. BELGHITI. Abdallah**, (2015), Propos sur l'éducation et la culture au Maroc, 1ère édition, publication à compte d'auteur avec le soutien du Ministère de la Culture, Rabat.

❖ **ARCHAMBAULT. Edith**, (2002), "Le travail bénévole en France et en Europe", (13-39), in : Revue française des affaires sociales, La Documentation française, 56 (4), Paris.

❖ **AVENEL. Cyprien**, (2010), « Jeunesses des quartiers fragiles, politique de la ville et émeutes urbaines », (301-314), in: La jeunesse n'est plus ce qu'elle était, sous la direction de Jacques HAMEL, Catherine PUGEAULT-CICCHELLI, Olivier GALLAND et Vincenzi CICCHELLI , Collection Le Sens Social, Presses Universitaires de Rennes, Rennes.

❖ **BARTHELEMY. Martine**, (2004), « Itinéraires militants et univers symboliques dans les associations de filiation catholique et laïque », (107- 124), in: Les bénévoles et leurs associations, autres réalités, autre sociologie, sous la direction de BESCHMANN. Dan Ferrand, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris.

❖ **BASTIDE. Roger**, (1997), Art et société, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **BAYAHYA. Nabil**, (2015), Politiques culturelles à l'âge du numérique, l'exemple du Maroc, Coll. Essais, 1ère édition, Ed. Descartes et Cie, Paris.

❖ **BAYILI. Blaise**, (2008), Culture et inculturation: Approche théorique et méthodologique, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **BELATIK. Mohamed**, (2003), «Le patrimoine culturel marocain, richesse et diversité », (17-37), in: Patrimoine culturel Marocain, sous la direction de Gaultier-Kurhan. Caroline, Maisonneuve et Larose, Paris.

❖ **BENNANI. CHRAIBI. Mounia**, (2007), « Jeunesse marocaine et politique, le clivage générationnel revisité», (137-163), in : jeunesse des sociétés arabes, par delà les promesses et les menaces, sous la direction de BENNANI CHRAIBI Mounia et FARAG Mounia, Cedej, Paris.

❖ **BENNETT. Andy**, (2012), «Pour une réévaluation du concept de contre-culture», mis en ligne le 15 juin 2014, sur le site: http://volume.revues.org/2941 ; DOI :10.4000/volume.2941.

❖ **BERA. Matthieu et LAMY. Yvon**, (2008), Sociologie de la culture, 2ème édition, Armand Colin, Paris.

❖ **BERNIE-BOISSARD. Catherine**, (2010), « Le développement culturel Genèse et temporalités », (39-49), in Développement culturel et territoires, sous la direction de Catherine BERNIE-BOISSARD, Dominique CROZAT, Claude CHASTAGNER, LAURENT-SEBASTIEN Fournie, L'harmattan, Paris.

❖ **BOISARD. Pierre**, (2008), "La cohésion sociale à l'ère de la mondialisation", (1225-1231), in : Droit social, n° spécial, 12, Librairie technique et économique, Paris.

❖ **BOURQUIA. Rahma**, (2005), Société, famille, femmes et jeunesse, recueil des contributions, Cinquantenaire de l'Indépendance du Royaume du Maroc, Casablanca.

❖ **BRILMAN. Jean**, (2018), L'Intellectuel, le politique et le marchand, Questions contemporaines, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **BRUNELLE. Natacha et COUSINEAU. Marie-Marthe**, (2005), Trajectoires de Déviance Juvénile: Les Éclairages de la Recherche Qualitative, coll. Problèmes sociaux et interventions sociales, 1ère édition, Presses de l'Université du Québec.

❖ **CASSILDE. Stéphanie**, (Octobre 2012), « Pratiques culturelles et genre », in: Les cahiers du CEPS/INSTEAD, Cahier n°2012-05, Esch-sur-Alzette, Luxembourg.

❖ **CAUBET. Dominique et MILLER. Catherine**, (2013), « Du Rock au Maroc, quelle place dans la nouvelle scène urbaine casablancaise ? », (342-354), in: Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

❖ **CESTOR. Elisabeth**, (2006), Les musiques particularistes, Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **CHADLI. El Mostafa**, (2001), La société civile ou la quête de la citoyenneté, publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, série : Essais et Etudes, N°32, Rabat.

❖ **CHARBONNEAU. Johanne**, (2004), « Valeurs transmises, valeurs héritées », (34-49), in: Les valeurs des jeunes, sous la direction de Gilles PRONOVOST et Chantal ROYER, Presses de l'Université du Québec, Sainte-Foy.

❖ **CHAUMIER. Serge et MAIRESSE. François**, (2014), La médiation culturelle, 1ère édition, Armand Colin, Paris.

❖ **CHEVALIER. Martin et VIGNOLLES. Benjamin**, (2013), « comment expliquer le chômage involontaire ? », (21-24), in : Regards croisés sur l'économie, 2013/1 n° 13, édition La Découverte, Paris.

❖ **COENEN-HUTER. Jacques**, (2004), Sociologie des élites, 1ère édition, Armand Colin, Paris.

❖ **Collectif**, "Sociologie pragmatique: mode d'emploi", (2013), (175-204), in: revue Politix, De Boeck Supérieur, N° 103, 2013/3, Louvain-la-Neuve, Belgique.

❖ **Collectif**, (1993), « Sciences sociales et politiques culturelles. entretiens avec Joffre Dumazedier et Augustin Girard », (57-77), in: Politix, vol. 6, n°24, Quatrième trimestre, Ed. De Boeck Supérieur, Paris.

❖ **Collectif**, (1998), Précis de sociologie, 1ère édition, Editions Nathan, Paris.

❖ **Collectif**, (2004), Les sociétés civiles du sud, un état des lieux dans trois pays de la ZSP, Cameroun, Ghana, Maroc, Centre d'étude d'Afrique noire et Institut d'études politiques de Bordeaux, Ministère des affaires étrangère, Paris.

❖ **Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir**, (1993), Enquête Nationale sur les Jeunes, Volume 1, Relations familiales des jeunes, Rabat.

❖ **Conseil National de la Jeunesse et de l'Avenir**, (1993), Enquête Nationale sur les Jeunes, Activités socioculturelles des jeunes, Volume 3, chapitre intitulé : jeunes et vie associative, (51-65), Rabat.

❖ **COULANGEON. Philippe**, (2005), Sociologie des pratiques culturelles, 1ère édition, La Découverte, Paris.

❖ **CUIN. Charles-Henry et GRESLE. François**, (2002), Histoire de la sociologie, Tome 1, 3ème édition, La Découverte, Paris.

❖ **DAMON. Julien**, (2012), « Les classes moyennes : définitions et situations", (605-616), in : Études, revue de culture contemporaine, Société d'Edition de Revues (SER), 2012/5 (Tome 416), Paris.

❖ **DELIEGE. Robert**, (2006), Une histoire de l'anthropologie: écoles, auteurs, théories, 1ère édition, Seuil, Paris.

❖ **DETREZ. Christine**, (2014), Sociologie de la culture, coll. Cursus sociologie, 1ère édition, Armand Colin, Paris.

❖ **DONNAT. OLIVIER et COGNEAU. Denis**, (1990), Les pratiques culturelles des français 1973-1989, 1ère édition, La Découverte, Paris.

❖ **DONNAT. Olivier**, (2003), présentation, (9-37), in : Regards croisés sur les pratiques culturelles, sous la direction de DONNAT Olivier, La Documentation française, Paris.

❖ **DONNAT. OLIVIER**, (2003), Regards croisés sur les pratiques culturelles, 1ère édition, La Documentation Française, Paris.

❖ **DONNAT. Olivier**, (2009), Les pratiques culturelles des Français à l'ère numérique. Éléments de synthèse 1997-2008, Coll. Etudes, Département des études, de la prospective et des statistiques, Paris, sur le site: http://www.pratiquesculturelles.culture.gouv.fr/08synthese.php

❖ **DONNAT. Olivier**, (2011), «Pratiques culturelles des Français »: une enquête de marginal-sécant, au croisement de la sociologie de la culture, des médias et des loisirs, (93-111), in: Le fil de l'esprit. Augustin Girard, un parcours entre recherche et action, Comité d'histoire du Ministère de la Culture et de la Communication, Paris.

❖ **DOT-POUILLARD. Nicolas**, (2013), « Boire à Hamra, une jeunesse nostalgique à Beyrouth », (125-133), in: Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

❖ **DUBET. François**, (1987), La galère : jeunes en survie, Fayard, Paris.

❖ **DUBET. François, DURU-BELLAT. Marie et VERETOUT. Antoine**, (2010), « Les inégalités scolaires entre l'amont et l'aval, organisation scolaire et emprise des diplômes », (177-197), revue Sociologie, Presses Universitaires de France, Vol. 1, Paris.

❖ **DUBOST. Nathalie**, (2007), « Motivations des bénévoles : une revue de la littérature », Cahiers de Recherche, Laboratoire Orléanais de gestion, N° 2007-01, Orléans.

❖ **DUBUISSON-QUELLIER. Sophie et PLESSZ. Marie**, « La théorie des pratiques », *Sociologie* [En ligne], N°4, vol. 4 | 2013, mis en ligne le 28 janvier 2014, URL : http://journals.openedition.org/sociologie/2030

❖ **DUCLOS. HAVARD. Bénédicte et NICOURD. Sandrine**, (2005), Pourquoi s'engager ? Bénévoles et militants dans les associations de solidarité, Payot, Paris.

❖ **DUCRET. André et MOESCHLER. Olivier**, (2011), « La sociologie à l'épreuve des pratiques culturelles et vice-versa », in: Nouveaux Regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris.

❖ **EL OUAZZANI. Hassan**, (2009), Le secteur du livre au Maroc, état des lieux et perspectives, Etude réalisée en 2006 dans le cadre d'un partenariat entre le bureau de l'UNESCO à Rabat et le Ministère de la Culture, 1ère édition, publications du Ministère de la Culture, Rabat.

❖ **El YAZAMI. Abdelali**, (1998), Enquête sur la lecture au Maroc, 1ère édition, Association marocaine des professionnels du livre, Rabat.

❖ **ESCAFFRE. Jean-Pierre et LOJKINE. Jean et SUAREZ. Cathy**, (2007), "L'état social, mythe et réalités", (56-64), Nouvelles Fondations, Ed Fondation Gabriel Péri, Paris.

❖ **FERRAND. Laure**, (2012), «Les approches des cultural studies et de Simon Frith. des subcultures à la musique comme accompagnateur du quotidien», (35-45), in : revue Sociétés, Vol. 117, no. 3, Ed De Boeck Supérieur, Belgique.

❖ **FLEURY. Laurent**, (2007), « Le discours d'échec de la démocratisation de la culture : constat sociologique ou assertion idéologique ? », (75-99), in : Les usages de la sociologie de

l'art, construction théoriques, cas pratiques, sous la direction de Sylvia Girel et Serge Proust, L'Harmattan, Paris.

❖ **Fleury. Laurent**, (2011), « Mesurer les pratiques culturelles : les enjeux épistémologiques et idéologiques des choix méthodologiques », (23-44), in: Nouveaux regards sur les pratiques culturelles, contraintes collectives, logiques individuelles et transformation des modes de vie, sous la direction de André Ducret et Olivier Moeschler, coll. Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris.

❖ **FLICHY. Patrice**, (2010), Le sacré de l'amateur, sociologie des passions ordinaires à l'ère numérique, 1ère édition, La République des Idées et Seuil, Paris.

❖ **Gadet. Steve**, (2016), Les cultures urbaines dans la Caraïbe , coll. Questions contemporaines, série : Questions urbaines, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **GALLAND. Olivier**, (2007), Sociologie de la jeunesse, 4ème édition, Armand Colin, Paris.

❖ **GAUDIO. Attilio**, (2010), Connaissances actuelles et méthodes de recherche en anthropologie: un voyage sans fin, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **GAY. Thomas**, (2006), L'indispensable de la sociologie, coll. Principes, 1ère édition, Studyrama, Levallois-Perret, France.

❖ **GLEVAREC. Hervé et MACE. Eric et MAIGRET. Eric**, (2008), Cultural studies, anthologie, 1ère édition, Armand Colin et Institut National de l'Audiovisuel, Paris.

❖ **GLEVAREC. Hervé**, (2010), La culture de la chambre, Coll. Questions de culture, 1ère édition, Ed. Ministère de la Culture, Département des études de la prospective et des statistiques (DEPS), Paris.

❖ **GODOLIER. Éric**, (2009), "La culture d'entreprise, Source de pérennité ou d'inertie?", (95-111), in: Lavoisier Revue française de gestion, n° 192, France.

❖ **HADDIYA. El Mostafa**, (2006), Processus de la socialisation en milieu urbain au Maroc, Série : Essais et Etudes, N°1, publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat.

❖ **HAUT COMMISSARIAT AU PLAN**, (2018), Les Indicateurs sociaux du Maroc, Edition 2018, édité par le Haut Commissariat au Plan, Rabat.

❖ **HAUT-COMMISSARIAT AU PLAN (Direction de la Statistique)**, (2011), Rapport de synthèse, Enquête Nationale auprès des Institutions Sans But Lucratif (ISBL), Rabat.

❖ **HAUT-COMMISSARIAT AU PLAN**, **(Centre d'Etudes et de Recherches Démographiques),** (2005), 50 ans de développement humain et perspectives au Maroc 2025, Rapport thématique: Cinquantenaire de l'indépendance du Royaume du Maroc, chapitre 3, valeurs politiques, (49-63), Rabat.

❖ **HELY. Mattiew**, (2005), « Les différentes formes d'entreprises associatives », (175-200), in: Les bénévoles et leurs associations, autres réalités, autre sociologie ?, sous la direction de Dan FERRAND-BECHMANN, Logiques Sociales, L'Harmattan, Paris.

❖ **HERSKOVITS. J. Melville**, (1967), Les bases de l'anthropologie culturelle, 1ère édition, François Maspero Éditeur, Paris.

❖ **HEYNDELS. Rudolph**, (1977), « Étude du concept de vision du monde : sa portée en théorie de la littérature ». (133-140), In: L'Homme et la société, N. 43-44, L'Harmattan, Paris.

❖ **JUNEAU. Sandra et MARTEL. Joane**, (2014), « La cyberdépendance, un phénomène en construction », (285- 310), in : Déviance et Société, (Vol. 38), revue Médecine & Hygiène, p.289. sur le lien : https://www.cairn.info/revue-deviance-et-societe-2014-3-page-285.htm?contenu=article

❖ **KAFAS. Samir**, (2003), « De l'origine de l'idée de musée au Maroc », (39-57), in: Patrimoine culturel Marocain, sous la direction de Gaultier-Kurhan, Maisonneuve et Larose, Paris.

❖ **KHACHANI. Mohamed**, (Juin/Juillet 2005), « Les jeunes et la migration », (62-70), in : Les Cahiers du Plan, N°3, Haut Commissariat au Plan, Rabat.

❖ **KHATIBI. Abdelkébir**, (Juin-Juillet 2005), « Les jeunes, le patriotisme et la citoyenneté », (21-22), in : Les Cahiers du Plan, N°3, Dossiers « La jeunesse marocaine, attitudes, comportements et besoins », Haut Commissariat au Plan, Rabat.

❖ **KLANICZAY. Gábor**, (2006), « L'UNDERGROUND POLITIQUE, ARTISTIQUE, ROCK (1970-1980) », (283-297), in : Ethnologie française, Vol. 36,2006/2, Presses Universitaires de France.

❖ **LABERGE. Yves**, (Octobre 1996), « De la culture aux cultures. Délimitations d'un concept pluri-sémantique», in : revue Foi et Raison, Volume 52, numéro 3, Faculté de philosophie, Université Laval et Faculté de théologie et de sciences religieuses, Laval.

❖ **LAMIZET. Bernard**, (2000), La médiation culturelle, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **LE GUERN. Philippe**, (2010), « Dick Hebdige, l'empire des signes et la pensée vintage », (203-209), in : Sociologie de l'Art, Vol. opus 15, no. 1, L'Harmattan, Paris.

❖ **LE PAPE. Loïc**, (2013), « Histoire de voir le temps passer, les hittistes algériens », (42-52), in: Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

❖ **LEFEBVRE. Solange**, (2008), Cultures et spiritualités des jeunes, Les Editions Fides, Montréal.

❖ **LEVI-STRAUSS. Claude**, (1987), Race et Histoire, 1ère édition, N° 58, Folio Essais, Paris.

❖ **MARIETTE. José**, (2004), Introduction à la sociologie, 1ère édition, Editions Le Manuscrit, Paris.

❖ **MASSAIA. Ahmed**, (2013), Un désir de culture, essai sur l'action culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca.

❖ **MAYADE-CLAUSTRE. Julie**, (2002), « LE DON, Que faire de l'anthropologie ?", (229-237), Hypothèses, Éditions de la Sorbonne, Paris.

❖ **MECHOUAT. Aziz**, (2017), Jeunes et valeurs, essai de construction d'une typologie des valeurs de jeunes casablancais, thèse de doctorat en sociologie, Université Hassan II, Casablanca.

❖ **MELLIANI. Fabienne**, (2001), «Subculture et territorialité urbaines en banlieue rouennaise », (65-75), in : Cahiers de sociolinguistique, n° 6, 2001/1.

❖ **MENORET. Pascal**, (2013), «Fonce, brule tes pneus, la fureur de vivre des joyriders saoudiens », (31-41), in: Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

❖ **MERNISSI. Fatema**, (2003), Les Ait Débrouille – ONG Rurales du Haut Atlas, 3ème édition, Edition de Poche, Marsam, Rabat.

❖ **MERNISSI. Fatema**, (2008), « A quoi rêvent les jeunes ? Le choc des Kamikazes de Casablanca», (5-16), in: A quoi rêvent les jeunes ?, sous la direction de Fatema MERNISSI, Marsam, Rabat.

❖ **MIGNON. Patrick**, (1986), Frith Simon, Sounds effects : youth, leisure and the politics of rock'n'roll; Bennett H. Stith, On becoming a rock musician, (pp. 586-591), in: Revue française de sociologie, 1986, 27-3. Sociologie de l'art et de la littérature.

❖ **MINISTERE DE LA CULTURE, (Département des études, de la prospective et des statistique)**, (2010), «L'invention de la prospective culturelle, Textes choisis d'Augustin Girard », in: revue Culture prospective, n°2010-1, Paris, p.8, sur le site : http://www.culture.gouv.fr/deps

❖ **MINISTERE DE LA CULTURE**, **Direction du Patrimoine Culturel**, projet de stratégie patrimoine 2020, Ministère de la Culture, Rabat.

❖ **Ministère de la Jeunesse et des Sports, Direction de la Jeunesse et de l'Enfance**, (2001), Consultation nationale des jeunes, enquête auprès de 18109 jeunes, Rabat.

❖ **MONTOUSSÉ. Marc et RENOUARD. Gilles**, (2006), 100 fiches pour comprendre la sociologie, 1ère édition, Bréal, Paris.

❖ **MONTOUSSE. Marc**, (2005), Sciences économiques et sociales, 1ère édition, Editions Bréal, Paris.

❖ **MULCAHY. V. Kevin**, (2012), « Les arguments pour une culture publique », (3-6), in: L'Observatoire, La revue des politiques culturelles, N°40, Grenoble.

❖ **MVE. MINKO**. **Bernardin**, (2012), L'anthropologie, pour Comprendre, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **NAJA. Abdellatif**, (2013), « Quand la jeunesse s'éveillera, le monde arabe tremblera : le cas du Maroc », (27-38), in: Identité et participation sociale des jeunes en Europe et en Méditerranée, Sous la direction de Jean-Yves Dartiguenave, Christophe Moreau et Maité Savina, L'Harmattan, Logiques Sociales, Paris.

❖ **Octobre. Sylvie et JAUNEAU. Yves**, (2008), "Tels parents, tels enfants ? Une approche de la transmission culturelle", (695-722), in: Ophrys, Revue française de sociologie, Vol. 49, 2008/4, Paris.

❖ **PASQUIER. Dominique**, (2005), Cultures lycéennes, la tyrannie de la majorité, Collections Mutations, n° 235, Editions Autrement, Paris.

❖ **PEDLER, Emmanuel**. (2010), «Les sociologies de la musique de Max Weber et Georg Simmel: une théorie relationnelle des pratiques musiciennes», (305-330), in : L'Année sociologique, vol. 60, no. 2, Presses Universitaires de France.

❖ **PEQUIGNOT. Bruno**, (2004), «Un débat autour du livre de Nathalie Heinich: Sociologie de l'art, La Découverte Coll. Repères, Paris, 2001», (147-193), in: Sociologie de l'Art, OPuS 3, L'Harmattan, Paris.

❖ **PEQUIGNOT. Bruno**, (2007), La question des œuvres en sociologie des arts et de la culture, coll. Logiques sociales, 1ère édition, L'Harmattan, Paris.

❖ **PEQUINOT. Bruno**, (2009), Sociologie des arts, 1ère édition, Armand Colin, Paris.

❖ **Périer. Florence**, (2005), Etude sur le volontariat et le bénévolat au Maroc, Programme des Nations Unies au Maroc (P.N.U.D), Rabat.

❖ **PERRINEAU. Pascal**, «Sur la notion de culture en anthropologie », (946-968), in: Revue française de science politique, 25e année, n°5, 1975.

❖ **PUIG. Nicolas**, (2013), « Le rap palestinien, contenus politiques et explorations artistiques », (337-341), in : Jeunesses arabes, du Maroc au Yémen, loisirs, cultures et politique, sous la direction de Laurent BONNEFOY et Myriam CATUSSE, La Découverte, Paris.

❖ **QUENIART. Anne**, (2004), « Regards de jeunes pères sur la famille et la paternité », (112-130), in: Les valeurs des jeunes, sous la direction de Gilles PRONOVOST et Chantal ROYER, Presses de l'Université du Québec, Sainte-Foy.

❖ **RACHIK. Hassan et MARDON. Céline et MUXEL. Anne**, (2019), Generation What? Arabic Countries MAROC, Rapport national, sur le site : https://ma.generation-what.org/ebook/domains/ma/fr.pdf

❖ **RICHEZ. Jean-Claude**, (2011), "Services civiques et volontariat des jeunes en Europe, une attente des jeunes, des logiques différentes", Bulletin d'études et de synthèses de l'observatoire de la jeunesse Institut national de la jeunesse et de l'éducation populaire (INJEP), Numéro 6, Paris.

❖ **RIEFFEL. Rémy**, (2014), Révolution numérique, révolution culturelle ?, 1ère édition, Gallimard, Paris.

❖ **Salih. Abdallah**, (2008), L'inventaire du patrimoine culturel et naturel au Maroc, Les Cahiers du Patrimoine, 1ère édition, publié avec le soutien de l'ISESCO, N°2, Rabat.

❖ **SILBERMANN. Alphons**, (1968), « Situations et vocation de la sociologie de l'art », (617-639), in : Revue Internationale des sciences sociales, Vol XX, N°4, UNESCO, Paris.

❖ **SIMON. Pierre-Jean**, (1991), Histoire de la sociologie, 1ère édition, Presses Universitaires de France, Paris, p. 495.

❖ **TABORDA-SIMÕES. Maria da Conceição**, (2005), « L'adolescence : une transition, une crise ou un changement ? », (521-534), in : bulletin de psychologie, édition Groupe d'études de psychologie, 2005/5, Numéro 479, Paris.

❖ **TEMPLIER. Cendrine**, (2016), « Comment garder le sens de l'action bénévole face à la professionnalisation des ong, Etude de cas Surfrider Foundation Europe », thèse de doctorat en sciences de gestion, Université de Pau et des Pays de l'Adour, Pau (Pyrénées-Atlantiques), France.

❖ **THIEBAULT. Jean-Louis**, (2008), "Lipset et les conditions de la démocratie", (389-409), in : revue internationale de politique comparée, 2008/3 Vol. 1, De Boeck Supérieur, Louvain-la-Neuve, Belgique.

❖ **TOUZANI. Amina**, (2003), La culture et la politique culturelle au Maroc, 1ère édition, La Croisée des Chemins, Casablanca.

❖ **TRIPIER-MONDANCIN. Odile et SARRAIL. Jean-Noël**, (1996), « Éducation musicale et Créativité ». in: Actes de congrès national, Association des Professeurs d'Education Musicale en Haute-Garonne, Toulouse.

❖ **TRUC. Gérôme**, (2002), «La sociologie est-elle un sport de combat ? L'image du sociologue en Pierre Bourdieu», (63-88.), in: Terrains et travaux, n°3, Ed ENS Paris-Saclay, Paris, 2002/1.

❖ **WILLIS. Paul**, "Profane Culture", Routledge Falmer, Oxford, 1978.

الفهرس

تقديم عام..... 1

فصل تمهيدي

1- الدراسات السابقة..... 5
2- تحديدات مفاهيمية..... 44
2-1 مفهوم الثقافة..... 44
2-2 بين مفهومي الممارسة الثقافية والفعل الثقافي..... 45
2-3 مفهوم التنظيمات الجمعوية..... 48
2-4 مفهوم الشباب وثقافة الشباب..... 51
3- إشكالية البحث، الأسئلة الكبرى، الفرضيات والأهداف..... 53

القسم النظري

الفصل الأول:

من المعنى الشمولي لمفهوم الثقافة

إلى المعنى التخصيصي للممارسات الثقافية

المبحث الأول: مفهوم الثقافة بالمعنى الشمولي..... 71

المبحث الثاني: سوسيولوجيا الممارسات الثقافية، من الإرهاصات إلى التطور..... 81

المبحث الثالث: وضعية الممارسات الثقافية بالمغرب..... 102

الفصل الثاني:

الشباب وثقافته في ظل التغيرات

الاجتماعية المعولمة

المبحث الأول: موقع ثيمة الشباب وثقافته في الحقل السوسيولوجي..... 139

المبحث الثاني: مفهوم الحداثة كأحد المداخل الرئيسية لفهم ثقافة الشباب الجمعوي.... 155

المبحث الثالث: الديناميات الاجتماعية الناتجة عن الحداثة وعلاقتها بالشباب المغربي وبثقافته بالمعنى الشمولي..... 161

الفصل الثالث:

التنظيمات الجمعوية والشباب،

تطور، رهانات وخصائص

المبحث الأول: في تطور التنظيمات الجمعوية بالمغرب..... 180
المبحث الثاني: رهانات الشباب الجمعوي والجمعيات الثقافية من خلال الفعل الثقافي 197
المبحث الثالث: خصائص فئة الشباب الجمعوي..... 216

القسم الميداني

الفصل الأول:

الشباب، من ولوج الحقل الجمعوي

إلى الرهانات الذاتية

المبحث الأول: تأثير مسار الحياة في ولوج العمل الجمعوي..... 226
المبحث الثاني: الرهانات الذاتية للشباب الجمعوي..... 240

الفصل الثاني:

استراتيجيات الشباب والجمعيات الثقافية

لتحقيق الرهانات المجتمعية

المبحث الأول: الرهانات الثقافية واستراتيجيات تحقيقها..... 284
المبحث الثاني: الفعل الثقافي كإستراتيجية لبلوغ الرهانات الاجتماعية..... 324
المبحث الثالث: الفعل الثقافي آلية للمساهمة في التنمية السياسية..... 332

الفصل الثالث:

الرساميل البشرية والمادية

لتنزيل استراتيجيات الفعل الجمعوي الثقافي

المبحث الأول: الرأسمال البشري للجمعيات الثقافية..... 356

المبحث الثاني: الرأسمال المادي للجمعيات الثقافية..... 393

خلاصات..... 430

خاتمة عامة..... 439

البيبليوغرافيا..... 442

الفهرس..... 468

الملاحق:

- ❖ لائحة الجداول والمبيانات..... 472
- ❖ لائحة الجمعيات المعتمدة في عينة البحث..... 475
- ❖ استمارة موجهة للشباب الجمعوي..... 479
- ❖ استمارة موجهة للتنظيمات الجمعوية..... 481
- ❖ دليل المقابلة مع الشباب الجمعوي..... 483
- ❖ دليل المقابلة مع التنظيمات الجمعوية..... 485

الملاحق

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز- فاس

مختبر الدراسات النفسية والاجتماعية (L.A.R.E.P.S)
اسم الباحث: بوشعراء محمد
الأستاذ المشرف: ذ. أحمد شراك

استمارة موجهة للشباب الجمعوي في إطار بحث حول موضوع:

"الفعل السوسيوثقافي لدى كل من التنظيمات الجمعوية وشبابها بجهة الرباط سلا القنيطرة"

الاستمارة رقم:.....

بداية، أشكركم على قبولكم المشاركة في هذا البحث الميداني من خلال الإجابة على أسئلة هذه الاستمارة. يندرج هذا البحث في إطار علم الاجتماع ويتناول موضوع ثقافة الشباب (القيم؛ الهوية؛ العلاقات الاجتماعية؛ الاكراهات...)، والتي سنحاول أن ندرس بعض جوانبها من خلال الممارسات الثقافية (الفنون؛ الآداب؛ التراث) للشباب المنخرط في الجمعيات الثقافية. إن ملأكم لهذه الاستمارة سيساعد على تقدم البحث العلمي وسيطور دراسة وفهم فئة الشباب كشريحة مهمة ومؤثرة داخل المجتمع المغربي، ومن شأنها أن تساهم في الإصلاح والتنمية. لذلك، أرجو أن تجيبوا عن الأسئلة التالية بما يكفي من العناية والدقة، وانأ اضمن لكم أن أجوبتكم ستظل سرية، وشكرا مجددا.

1) اسم الجمعية: .....

2) المدينة:.....

3) تأسست جمعيتكم في سنة: .....

4) عدد أعضاء المكتب المسير للجمعية هو: .....

5) عدد أعضاء المكتب المسير الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و40 سنة هو: .....

6) عدد النساء في المكتب المسير هو: .....

7) هل تتوفر الجمعية على منخرطين خارج المكتب المسير؟ ☐ نعم ☐ لا

8) إذا كان الجواب ب"نعم"، فكيف هو تطوع هؤلاء المنخرطين؟ (الإجابة باختيار واحد)

☐ تطوع فعال وملتزم ☐ تطوع ضعيف من حيث الفعالية والالتزام ☐ تطوع متأرجح بين الحالتين

9) كيف هو تقسيم العمل بين أعضاء الجمعية (سواء بين أعضاء المكتب المسير أو مع المتطوعين)؟ (الإجابة باختيار واحد)

☐ تقسيم متوازن بين الأعضاء ☐ تقسيم يتأرجح بين التوازن تارة وعدم التوازن تارة أخرى

☐ تقسيم غير متوازن تقع فيه الأعباء على قلة من الأعضاء

10) ما هي الموارد المالية التي تعتمدون عليها لانجاز أنشطتكم: (يمكنكم الإجابة بأكثر من اختيار)

☐ واجبات الانخراط | ☐ دعم المنظمات الأجنبية | ☐ دعم القطاع الخاص أو المنظمات الوطنية

☐ دعم القطاع العام | ☐ عائدات المشاريع | ☐ موارد أخرى، ما هي؟.....

11) هل تتوفرون على مقر خاص بجمعيتكم؟ ☐ نعم ☐ لا

12) ما هي الفضاءات الخارجية التي تقومون بأنشطتكم؟ (يمكنكم الإجابة بأكثر من اختيار)

☐ دور الشباب ☐ المراكز الثقافية ☐ فضاءات المجالس المنتخبة أو السلطات المحلية ☐ المكتبات

☐ المؤسسات التعليمية ☐ فضاءات القطاع الخاص ☐ مؤسسات أخرى، ما هي: .....

13) تمارس الجمعية أنشطتها على المستوى: (يمكنكم الإجابة بأكثر من اختيار)

☐ مستوى الحي ☐ مستوى المدينة ☐ الجهوي ☐ الوطني

14) بشكل عام، هل تقومون بأنشطتكم الثقافية بانتظام؟ ☐ نعم ☐ لا

15) إذا كان الجواب ب "نعم"، فما هي وتيرة تنظيم هذه الأنشطة؟ (الإجابة باختيار واحد)

☐ كل أسبوع ☐ كل شهر ☐ كل ثلاثة أشهر ☐ كل ستة أشهر ☐ كل سنة

16) كم عدد منخرطي الجمعية؟ (الإجابة باختيار واحد)

☐ 0 منخرط	☐ من 60 إلى 100	☐ من 160 إلى 200
☐ من 10 إلى 50	☐ من 110 إلى 150	☐ أكثر من 200

17) كيف هو تردد الجمهور الذي يقبل على أنشطتكم؟ (الإجابة باختيار واحد)

☐ جمهور ثابت ووفي ☐ فئة من الجمهور ثابتة، وفئة أخرى متغيرة ☐ جمهور متغير باستمرار

18) هل تقوم جمعيتكم بالتشغيل؟ ☐ نعم ☐ لا

19) إذا كانت لديك أفكار أو معلومات أخرى تريدون إضافتها فيمكنك القيام بذلك:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

نموذج لدليل المقابلة مع الشباب الجمعوى

المحور الأول: معلومات عامة عن المشارك في البحث

رقم المقابلة:
تاريخ إجراء المقابلة:
الجنس:
السن :
الحالة العائلية:
عدد الأطفال:
المستوى التعليمي:
المهنة:
المدينة:
اسم الحي :
استغلال السكن (كراء /أصل /رهن/شيء آخر) :
رقم هاتف المشارك (ة) في البحث:

المحور الثاني: الفعل الجمعوى

1- شنو هو التصور ديالك للعمل الجمعوي كفكرة وكوضعية بالمغرب؟

2 - عاود(ي) لي على المسار الجمعوي ديالك

الاستئارات:

1-2 شحال كان فعمرك باش التحقتي أول مرة بالعمل الجمعوي؟

2-2 كيفاش تعرفتي أول مرة على العمل الجمعوي؟

3-2 واش استمريتي مع نفس الجمعية اللي بديتي معها أم انك نوعتي المسار الجمعوي ديالك؟

3- شنو هو موقف أسرتك (لاسيما الوالدين) من الممارسات الثقافية والحياة الجمعوية ديالك ؟

4- شنو هي الأهداف من الانخراط ديالك فهاد الجمعية ؟

5- شنو هي الأشياء اللي كتلقاها (كتلقايها) فالجمعية واللي كتحفزك وكتشجعك باش توصل(ي) للأهداف اللي ذكرتي؟
6- من غير الأهداف اللي ذكرتي دابا واللي خلاتك تنخرط (ي) فالعمل الجمعوي، شنو هي الأشياء الأخرى اللي ما كنتيش متوقع(ة) انك غتلقاها (غتلقايها) ولقيتيها؟

7- كيف دايرة علاقتك مع باقي المنخرطين فالجمعية؟ واش كونتي صداقات، علاقات غرامية، واش كاين توترات؟

8- واش كتطوع(ي) بشكل فاعل فتنظيم الأنشطة ديال جمعيتكم، أم انك كتكتفي فقط بالحضور للأنشطة؟

الاستئارات:

1-8 بحالاش هاد الفاعلية اللي كدير (ي)؟ اعطيني أمثلة.

2-8 واش كتقوم (ي) بهادشي بشكل مؤدى عنه أم انه بشكل تطوعي مجاني؟

3-8 واش أنت عضو(ة) فالمكتب المسير للجمعية؟ شنو السبب اللي كيجعلك تبغي تتحمل(ي) المسؤولية داخل المكتب أو على العكس تتجنبها (تتجنبيها)؟

9- إلى جانب العمل الجمعوي ديالك، واش كتمارس(ي) العمل الحزبي؟ علاش؟

10- شنو هي الانتظارات ديالك من الجمعية، واش الجمعية كتلبي الاحتياجات ديالك أم انه كاين أشياء ناقصة؟

الاستثارات:

1-10 شنو الحوايج اللي محتاجهم الجمعية باش تحسن الأداء الجمعوي ديالها ؟

11- واش التنظيم ديال الأنشطة والاتخاذ ديال القرارات داخل الجمعية كيتم بالتشاور معكم كأعضاء أم كتشوف (ي) انه ما كايناش ديمقراطية داخلية؟

12- شنو هي الأشياء اللي كتشوف(ي) أنها كتحد من حريتك فالعمل الجمعوي؟ كيفاش كتحاول(ي) تقاومها (تقاوميها)؟

المحور الثالث: الفعل الثقافي للشباب

1- من خلال تجربتك كجمعوي(ة)، شنو هو التصور ديالك للممارسات الثقافية والجمعوية ديال باقي الشباب بالمغرب؟ (من حيث الأفكار، المستوى، طريقة الاشتغال...).

2- شنو هو المشروع ديالك فالحياة، بشكل عام، وعلى المستوى الثقافي بشكل خاص؟

الاستثارات:

1-7 واش الجمعية هي وسيلة من وسائل تحقيق هاد المشروع أم أنها ما عندها علاقة به؟ كيفاش؟

3- شنو هي المشاكل والصعوبات اللي واجهتي فالمسار الثقافي ديالك؟

الاستثارات:

1-4 شنو درتي من اجل تجاوز هاد المشاكل والصعوبات؟

4- شنو هي المواضيع والأفكار اللي كتبغي تعبّر عليها فالممارسات الثقافية والفنية ديالك ؟

5- كيفاش داير التجاوب مع الأفكار، الإبداعات والمواقف ديالك داخل الجمعية ؟

6- كيفاش تغيرات وتطورات الأفكار والمواقف ديالك عبر مسارك الثقافي والجمعوي ؟

7- واش كتمارس أو كتبدع أنشطة تراثية سواء داخل الجمعية أو خارجها؟ علاش؟

8- شنو كدير بفلوسك (بمصروفك اليومي)؟

الاستثارات:

1-8 بالنسبة للنشاط الجمعوي ديالك وممارساتك الثقافية داخل الجمعية أو خارجها، واش كتصرف(ي) فيهم جزء من فلوسك؟

9- هل لديك إضافة؟

كنشكركم بزاف على المشاركة فهاد البحث،

وكنتمنى ليكم مسيرة موفقة فمساركم الشخصي والمهني والجمعوي

نموذج لدليل المقابلة مع الجمعيات

المحور الأول: معلومات عامة عن الجمعية المشاركة في البحث

رقم المقابلة:

اسم الجمعية:

تاريخ تأسيسها:

المدينة والمقر:

صفة المشارك في البحث داخل مكتب الجمعية:

رقم هاتف المشارك في البحث:

تاريخ إجراء المقابلة:

المحور الثاني: سياق تأسيس الجمعية، الاهداف، الاستراتيجيات والانشطة

1- كيفاش جات فكرة تأسيس الجمعية؟

الاستئارات:

1-1 ما هي بروفايلات مؤسسيها؟ هل كان من بينهم شباب، نساء؟ ما هي صعوبات التأسيس؟

2-1 علاش اختاريتو تشتغلو بالتحديد فالحقل الثقافي؟

3-1 علاش اختاريتو تكونو جمعية متخصصة / غير متخصصة ؟

2- شنو هي الأهداف ديال جمعيتكم؟

3- شنو هي الاستراتيجية اللي سطرتو باش تحققو هاد الأهداف وباش تساهمو فتأهيل الشباب ؟

4- شنو هي الأنشطة اللي كتركزو عليها؟ علاش؟

5- كيفاش كيتم بناء البرامج والأنشطة؟

الاستئارات:

1-5 واش الجمعية هي اللي كتوضع البرامج وكتخطط ليها على حسب اللي كتشوفو كيفيد الشباب؟ أم أنها كتبع الشباب فداكشي اللي باغي هو؟

6- من غير الأنشطة الداخلية ديالكم، شنو كديرو على المستوى الخارجي باش تساهمو فإصلاح وتجويد الحقل الثقافي وحقل خدمة الشباب؟

الاستئارات:

1-6 واش كتشاركو فبناء البرامج والسياسات العمومية؛ أو ربما كتمارسو المرافعة والتفاوض...؟

7- شنو هي الفضاءات اللي كتنشطو فيها؟

الاستئارات:

1-7 شنو هي المشاكل اللي كتواجهكم باش تحصلو على الفضاءات؟

2-7 شنو كديرو في حال عدم التوفر على الفضاءات؟

المحور الثالث: تدبير الموارد البشرية والمادية

1- شنو هي الموارد البشرية اللي كتوفر عليها الجمعية؟

الاستثارات:

1-1 شحال هو عدد أعضاء المكتب؟

2-1 شحال منهم اللي من الفئة العمرية 18-40 سنة؟

3-1 شحال عدد النساء فالمكتب المسيّر للجمعية ؟

4-1 شحال عندكم ديال المنخرطين فالجمعية؟

2- واش الأعضاء المسيرين للجمعية كيتحملوا المهام ديالهم بشكل متوازن ومنظم أم أن العبء يقع على عدد قليل منهم؟ شنو هي الأسباب؟

3- واش كتقوم الجمعية بتشغيل أجراء للمساهمة في التدبير أم أن إمكانياتها المادية لا تسمح؟

4- شنو هي الأساليب ديال الجمعية فجذب المنخرطين والأعضاء الفاعلين وضمان استمراريتهم معها؟

5- كيفاش كدير الجمعية باش توفر الموارد المادية اللازمة؟

الاستثارات:

1-5 شكون هوما الشركاء والممولين ديالكم؟

2-5 شنو كديرو فحالة عدم توفر الموارد المادية ؟

المحور الرابع: تقييم الفاعل الجمعوي للممارسات الثقافية الشبابية

1- (سؤال موجه للفاعلين الجمعويين من فئة الكبار): كيفاش كانت الممارسة الجمعوية ديال الشباب بين الماضي والحاضر؟

الاستثارات:

1-1 فنظركم، شنو هي أسباب هاد التحولات ؟

2- شنو هي المشاكل اللي كتلقاوها فالتعامل مع الشباب ؟

الاستثارات:

1-2 كيفاش كتعاملو معاها؟

3- كيفاش كتشوفو مستوى انخراط واندماج أغلبية الشباب في الجمعية؟

الاستثارات:

1-3 واش كيترشحو لتقلد مناصب مسؤولية داخل الجمعية؟ واش كيتطوعو بشكل فاعل بدون تقلد المسؤولية؟ أو أنهم كيستفادو من الأنشطة بدون ما يكونوا فاعلين بشكل كبير؟

3-3 شنو هي أشكال التطوع عند الشباب فالجمعية ديالكم؟

4- كيفاش كتشوفو المشاركة النسوية في جمعيتكم؟

الاستثارات:

1-4 شنو هي الاكراهات اللي كتشوفو أنها كتحدّ من الفاعلية ديال المرأة فالحقل الجمعوي والثقافي؟

المحور الخامس: منظور الفاعلين الجمعويين للحقل الجمعوي

1- شنو هو الموقف ديالكم من السياسات العمومية وباقي الفاعلين في المجال الثقافي وفمجال الشباب؟

2- شنو هو الموقف ديالكم من مساهمة القطاع الخاص فدعم العمل الجمعوي والعمل الثقافي؟

3- كيفاش كتشوفو العلاقة بين ما هو جمعوي و ما هو حزبي؟

الاستثارات:

1-3 واش عندكم انتماءات او تعاطفات سياسية ؟

2-3 هاد الانتماء او عدم الانتماء السياسي، واش كيأثر سلبا ام ايجابا على فعلكم الثقافي وعلى علاقاتكم مع الفاعلين الاخرين ؟

4- شنو رأيكم في كون منخرطين او مسيرين جمعويين كيستافدو من العمل الجمعوي من اجل تحقيق مصالح مادية؟ (مثلا الجمعية كإطار للمقاولة الذاتية في مجال المسرح، أو الاستفادة المادية من التاطير في المخيمات بشكل مؤدى عنه، الخ). واش ممكن يكون هادشي ايجابي من خلال توفير مداخيل ذاتية للشباب؟ أم انه يؤدي إلى مشاكل مثل سيادة المنطق المادي داخل الحقل الجمعوي؟

5- هل لديكم إضافات؟

كنشكركم بزاف على المشاركة فهاد البحث،

وكنتمنى ليكم مسيرة موفقة فمساركم الشخصي والمهني والجمعوي.